تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

تفسير الطبري

جامع البيان عن تأويل آي القرآن

لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

(٢٢٤هـ - ٣١٠هـ)

تحقيق

الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي

بالتعاون مع

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

الدكتور عبد السند حسن يمامة

الجزء الخامس

هجر

للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان

الطبعة الأولى

القاهرة ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية

بدار هجر

الدكتور عبد السند حسن يمامة

مكتب : ٤ ش ترعة الزمر - المهندسين - جيزة

ت : ٣٢٥١٠٢٧

مطبعـة : ٣٢٥٢٥٧٩ - فاكس : ٣٢٥١٧٥٦

بسم الله الرحمن الرحيم

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : [٥١/٨و] ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكرُه : الشيطانُ يعِدُكم أيها الناسُ بالصدقةِ وأدائِكم الزكاةَ الواجبةَ عليكم فى أموالِكم ، أن تَفْتقِروا ، ﴿ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ . يعنى : ويأمُرُكم بمعاصى اللَّهِ ، وتركِ [(١)] الصلاةِ ، و [(١)] طاعتِه ، ﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ ﴾ . يعنى أن اللَّهَ تبارك وتعالى يَعِدُكم أيُّها المؤمنون أن يستُرَ عليكم فحشاءَكم ، بصفحِه لكم عن /عقوبتِكم عليها ، فيغفرَ لكم ذنوبَكم بالصدقةِ التى تتصدَّقون ، ﴿ وَفَضۡلٗاۗ ﴾ . يعنى : ويَعِدُكم أن يُخْلِفَ عليكم من صَدقاتِكم ، فيُفْضِلَ عليكم من عطاياه ، ويُسبغَ عليكم فى أرزاقِكم . ٨٨/٣

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن يزيدَ النحويِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : اثنانِ من اللَّهِ ، واثنانِ من الشيطانِ ، ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ ﴾ . يقولُ : لا تُنفِقْ مالَك وأمسِكْه عليك ؛ فإنك تحتاجُ إليه ، ﴿ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ ﴾ على هذه المعاصى ، ﴿ وَفَضۡلٗاۗ ﴾ فى الرزقِ [(٢)] .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٣٠ ، ٥٣١ (٢٨١١ ، ٢٨١٦ ، ٢٨١٩) من طريق الحسين بن واقد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى ابن المنذر .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ ﴾ . يقولُ : مغفرةً لفحشائِكم ، وفضلًا لفقرِكم[1] .

حدَّثنا هنَّادُ بنُ السَّرِيِّ ، قال : ثنا أبو الأحوصِ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ للشيطانِ لَـمَّةً من ابنِ آدمَ ، وللملَكِ لـمةً ، فأما لـمةُ الشيطانِ ، فإيعادٌ بالشرِّ وتكذيبٌ بالحقِّ ، وأمَّا لـمةُ الملَكِ فإيعادٌ [2]بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ[2] ، فمن وجَد ذلك فلْيعلَمْ أنَّه من اللَّهِ ، ولْيحمَدِ اللَّهَ ، ومن وجَد الأُخرى فلْيتعوَّذْ باللَّهِ من الشيطانِ » . ثم قرأ : « ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ ﴾ »[3] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا الحكمُ بنُ بَشيرِ بنِ سلمانَ ، قال : ثنا عمرٌو ، عن عطاءِ ابنِ السائبِ ، عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : إن للإنسانِ من الملَكِ لـمةً ، ومن الشيطانِ لـمةً ، [٥١/٨ظ] فاللَّمَّةُ من الملَكِ إيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ ، واللَّمَّةُ من الشيطانِ إيعادٌ بالشرِّ وتكذيبٌ بالحقِّ . وتلا عبدُ اللَّهِ : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ ﴾ . قال عمرٌو : وسمِعْنا في هذا الحديثِ أنه كان يقالُ : إذا أحسَّ أحدُكم من لـمةِ الملَكِ شيئًا ، فلْيحمَدِ اللَّهَ ، ولْيسأله مِن فضلِه ، وإذا أحسَّ من لـمةِ الشيطانِ شيئًا ، فلْيَستغفرِ اللَّهَ ، ولْيتعوَّذْ[4] من الشيطانِ .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٣٠/٢ (٢٨١٧) من طريق سعيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/ ٣٤٨ إلى عبد بن حميد .

(٢ - ٢) في الأصل ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « بالحق وتصديق بالخير » .

(٣) أخرجه الترمذي (٢٩٨٨) ، والنسائي في الكبرى (١١٠٥١) ، وأبو يعلى (٤٩٩٩) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٢٩/٢ (٢٨١٠) ، وابن حبان (٩٩٧) من طريق هناد بن السرى به ، وأخرجه البيهقي في الشعب (٤٥٠٦) من طريق أبي الأحوص به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى ابن المنذر .

(٤) في الأصل : « يتعوذ » .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُليَّةَ ، قال : ثنا عطاءُ بنُ السائبِ ، عن أبي الأحوصِ ، أو عن مرَّةَ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ : ألَا إن للملَكِ لـمةً ، وللشيطانِ لـمةً ، فلمَّةُ الملَكِ إيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ ، ولـمةُ الشيطانِ إيعادٌ بالشرِّ وتكذيبٌ بالحقِّ ، ذلكم بأن اللَّهَ عز وجل يقولُ : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ . فإذا وجَدتم من هذه شيئًا فاحمَدوا اللَّهَ عليه ، وإذا وجَدتم من هذه شيئًا فتعوَّذوا باللَّهِ من الشيطانِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ عُتبةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ في قولِه : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ ﴾ . قال : إن للمَلَكِ لـمةً ، وللشيطانِ لـمةً ، فلمَّةُ الملَكِ إيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ ، فمن وجَدها فليَحمَدِ اللَّهَ ، ولـمةُ الشيطانِ إيعادٌ بالشرِّ وتكذيبٌ بالحقِّ ، فمن وجَدها فليستعِذْ باللَّهِ[(١)] .

/حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا الحجّاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا حمادُ بنُ سلَمةَ ، قال : أخبَرنا عطاءُ بنُ السائبِ ، عن مرةَ الهَمْدانيِّ ، أن ابنَ مسعودٍ قال : إن للملَكِ لـمةً ، وللشيطانِ لـمَّةً ، فلمَّةُ الملَكِ إيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ ، ولـمةُ الشيطانِ إيعادٌ بالشرِّ وتكذيبٌ بالحقِّ ، فمن أحسَّ من لـمةِ الملَكِ شيئًا ، فليحمَدِ اللَّهَ عليه ، ومن أحسَّ من لـمةِ الشيطانِ شيئًا[(٢)] ، فليتعوَّذْ باللَّهِ منه . ثم تلا هذه الآيةَ : ﴿ ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ وَيَأۡمُرُكُم بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغۡفِرَةٗ مِّنۡهُ وَفَضۡلٗاۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴾ .

٨٩/٣

حدَّثنا المثنَّى ، قال : ثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبَرنا ابنُ المباركِ ، عن فِطْرٍ ، عن

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٠٩ ، وأخرجه ابن مردويه في تفسيره - كما في تفسير ابن كثير ١/ ٤٧٥ من طريق الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن مسعود مرفوعًا نحوه .

(٢) سقط من : الأصل .

المسيَّبِ بنِ رافعٍ ، عن عامرِ بنِ عَبْدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنحوِه .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن مُرةَ بنِ شَراحيلَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : إن للشيطانِ لمةً ، وللملَكِ لمةً ، فأما لمةُ الشيطانِ فتكذيبٌ بالحقِّ وإيعادٌ بالشرِّ ، وأما لمةُ المَلَكِ فإيعادٌ بالخيرِ وتصديقٌ بالحقِّ ، فمن وجَد ذلك فلْيعلَمْ أنه من اللَّهِ ، ولْيَحْمَدِ اللَّهَ عليه ، ومن وجَد الأُخرى فَلْيتعوَّذْ من الشيطانِ[٥٢/٨و] الرجيمِ . ثم قرَأ : ﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بذلك : واللهُ واسعُ الفَضْلِ[1] الذى يَعِدُكم أن يُعْطِيَكموه من فضلِه وسَعَةِ خزائنِه ، عليمٌ بنفقاتِكم وصدقاتِكم التى تُنْفِقون وتتصدقون بها ، يُحْصِيها لكم حتى يجازيَكم بها عندَ مَقْدَمِكم عليه فى آخرتِكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : يُؤْتى اللَّهُ الإصابةَ فى القولِ والفعلِ من يشاءُ من عبادِه ، ومن يُؤْتَ الإصابةَ فى ذلك منهم فقد أُوتِىَ خيرًا كثيرًا .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : الحكمةُ التى ذكَرها اللَّهُ تبارك وتعالى فى هذا الموضعِ هى القرآنُ والفقهُ به .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن

---

(١) فى الأصل : « للفضل » .

ابنِ عباسٍ فى قولِه تبارك وتعالى : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ : يعنى المعرفةَ بالقرآنِ ؛ ناسخِه ومنسوخِه ، ومُحْكمِه ومتشابهِه ، ومُقدَّمِه ومؤخَّرِه ، وحلالِه وحرامِه ، وأمثالِه[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ . قال : الحكمةُ القرآنُ والفقْهُ فى القرآنِ[(٢)] .

/حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، [٥٢/٨ظ] قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ : والحكمةُ الفقهُ فى القرآنِ[(٣)] . ٩٠/٣

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الهلالىُّ ، قال : ثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا مهدىُّ بنُ ميمونٍ ، قال : ثنا شعيبُ بنُ الحَبْحابِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ . قال : الكتابُ والفهمُ به[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ الآية . قال : ليست بالنبوّةِ ، ولكنه القرآنُ والعلمُ والفقهُ[(٥)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣١/٢ (٢٨٢٢) والنحاس فى ناسخه ص ٥٠ من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٠٩.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى عبد بن حميد .

(٤) فى م : « فيه » .

والأثر ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤٧٦/١ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٤٨/١ إلى المصنف .

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة ٧/ ٢٣١، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣١/٢ (٢٨٢٣) ، والخطيب فى الفقيه والمتفقه (١٠٦) من طريق جرير به ، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢٩٢/٣ ، والخطيب (١٠٥، ١٠٧) من طريق ليث به .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : الفقهُ فى القرآنِ[(١)] .

وقال آخرون : معنى الحكمةِ الإصابةُ فى القولِ والفعلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابن أبى نَجيحٍ ، قال : سمِعتُ مجاهدًا قال : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ . قال : الإصابةُ[(٢)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تبارك وتعالى : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ . قال : يُؤْتى إصابتَه من يشاءُ[(٣)] .

وحدَّثنا المثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ . قال : الكتابُ ، يُؤْتى إصابتَه [(٤)] من يشاءُ[(٤)] .

وقال آخرون : هى العلمُ بالدينِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : الحكمةُ العقلُ فى

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٤٨ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٣٢ (٢٨٢٥) من طريق سفيان به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٥، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٤٨ إلى عبد بن حميد .

(٤ - ٤) سقط من : م .

الدينِ . وقرأ : ﴿ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾[(١)] .

وحدثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قلتُ لمالكٍ : ما الحكمةُ ؟ قال : المعرفةُ بالدينِ ، والفقهُ فيه ، والاتباعُ له .

وقال آخرون : الحكمةُ الفهمُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن أبى حمزةَ ، عن إبراهيمَ ، قال : [(٢)]هو الفهمُ . يعنى[(٣)] الحكمةَ[(٢)] .

وقال آخرون : هى الخشيةُ .

[٨/٥٣و] ذكرُ من قال ذلك

/حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ٣/٩١ فى قولِه : ﴿ يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ ﴾ الآية . قال : الحكمةُ الخشيةُ ؛ لأن رأسَ كلِّ شيءٍ خشيةُ اللهِ . وقرأ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[(٤)] [فاطر : ٢٨] .

وقال آخرون : هى النبوَّةُ .

---

(١) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حدثنى يونس قال أخبرنا ابن وهب قال قال ابن زيد الحكمة العقل » . وتقدم هذا الأثر والأثر بعده فى ٢/٥٧٦ .

(٢ - ٢) فى م : « الحكمة هى الفهم » .

(٣) فى ص ، ت ١ : « بمعنى » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٣٢ (٢٨٢٦) من طريق سفيان به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٣١ (٢٨٢٤) من طريق أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ١/٤٧٦ عن أبى العالية ، وذكره القرطبى فى تفسيره ٣/٣٣٠ عن الربيع مختصرا بلفظ : الحكمة الخشية .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ قولَه : ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ ﴾ الآية . قال : الحكمةُ هى النبوَّةُ[(١)] .

وقد بيَّنا فيما مضَى معْنى « الحكمةِ » ، وأنها مأخوذةٌ من الحُكمِ وفصلِ القضاءِ ، وأنها الإصابةُ ، بما دلَّ على صحَّتِه ، فأَغْنى ذلك عن تكريرِه فى هذا الموضعِ[(٢)] .

وإذا كان ذلك[(٣)] مغْناه ، كان جميعُ الأقوالِ التى قالها القائلون الذين ذكَرنا قولَهم فى ذلك ، داخلًا فيما قُلنا من ذلك ؛ لأن الإصابةَ فى الأمورِ إنما تكونُ عن فَهمٍ بها وعلمٍ ومعرفةٍ ، وإذا كان ذلك كذلك ، كان المصيبُ عن فَهْمٍ منه بمواضعِ الصوابِ فى أمورِه ، فَهِمًا خاشيًا للَّهِ ، فقيهًا عالمًا ، وكانت النبوَّةُ من أقسامِه ؛ لأن الأنبياءَ مُسَدَّدون مُفَهَّمُون مُوَفَّقون لإصابةِ الصوابِ فى الأمورِ ، فالنبوَّةُ بعضُ معانى الحكمةِ .

فتأويلُ الكلامِ : يُؤْتى اللَّهُ إصابةَ الصوابِ فى القولِ والفعلِ مَن يشاءُ ، ومَن يؤتِه اللَّهُ ذلك فقد آتاه خيرًا كثيرًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴿٢٦٩﴾ ﴾ .

يعْنى جلَّ ثناؤُه بذلك : وما يتعظُ بما وعَظه به ربُّه فى هذه الآياتِ التى وعَظ فيها الـمُنْفِقين أموالَهم ، بما ⁽⁴⁾وعظَهم به وغيرَهم⁽⁴⁾ فيها وفى غيرِها من آيِ كتابِه ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣٢/٢ (٢٨٢٨) من طريق عمرو به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٥٧٧/٢ .

(٣) بعده فى ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣: « كذلك » .

(٤ - ٤) فى م « وعظ به غيرهم » .

فيذَّكَّرُ وعدَه ووعيدَه فيها ، فينزجِرُ عمَّا زجَره عنه ربُّه ، ويُطيعُه فيما أمَره به ﴿ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ . يعْنى : [٥٣/٨ظ] إلّا أُولو العقولِ الذين عقَلوا عن اللَّهِ أمرَه ونهيَه .

فأخْبَر جلَّ ثناؤُه أن المواعظَ غيرُ نافعةٍ إلّا أُولى الحِجا والحُلُومِ ، وأن الذِّكرَى غيرُ ناهيةٍ إلا أهلَ النُّهَى والعقولِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ ﴾ .

يعْنى جلَّ ثناؤُه بذلك : وأىَّ نفقةٍ أَنْفَقتُم . يعْنى : أىَّ صدقةٍ تصدَّقْتُم ، أو أىَّ نَذْرٍ نذَرتم . يعْنى بالنذرِ ما أَوْجَبه المرءُ على نفسِه ، تبرُّرًا فى طاعةِ اللَّهِ ، وتقرُّبًا به إليه مِن صدقةٍ أو عملِ خيرٍ ، ﴿ فإن اللَّهَ يعلَمُه ﴾ أىْ : إنَّ جميعَ ذلك بعلمِ اللَّهِ ، لا يعزُبُ عنه منه شئٌ ، ولا يَخْفَى عليه منه قليلٌ ولا كثيرٌ ، ولكنه يُحْصِيه أيها الناسُ عليكم ، حتى يُجازِىَ[(١)] جميعَكم على جميعِ ذلك ، فمن كانت نفقتُه منكم وصدقتُه ونذرُه ابتغاءَ مرضاةِ اللَّهِ وتثبيتًا من نفسِه ، جازاه بالذى وعَده مِن التضْعيفِ ، ومن كانت نفقتُه وصدقتُه رياءَ الناسِ ، ونذورُه للشيطانِ ، جازاه بالذى أوْعَده مِن العقابِ وأليمِ العذابِ .

/كالذى حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ ﴾ . قال[(٢)] : فإن اللَّهَ يَعْلَمُه ويُحْصِيه[(٣)] . ٩٢/٣

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ « يجازيكم » .

(٢) سقط من : م .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣٥/٢ (٢٨٤١) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٠/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ثم أوْعَد جلَّ ثناؤُه من كانت نفقتُه رياءً ، ونذورُه طاعةً للشيطانِ ، فقال : ﴿ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ . يعْنى : وما لمن أَنْفق مالَه رياءَ الناسِ وفى معصيةِ اللَّهِ ، وكانت نذورُه للشيطانِ وفى طاعتِهِ ، ﴿ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ وهم جمعُ نصيرٍ ، كما الأشرافُ جمعُ شريفٍ .

ويعْنى بقولِه : ﴿ مِنْ أَنصَارٍ ﴾ : مَن ينصُرُهم مِن اللَّهِ يومَ القيامةِ ، فيدفَعُ عنهم عقابَه يومَئذٍ بقُوّةٍ وشدَّةِ بطشٍ ، ولا بفديةٍ (١) ولا حيلةٍ (١) .

وقد دلَّلْنا على أن الظالمَ هو الواضعُ الشيءَ فى غيرِ موضعِه (٢) ، وإنما سمَّى اللَّهُ المنفقَ مالَه رياءَ الناسِ ، والناذرَ فى غيرِ طاعتِه ظالمًا ؛ لوضعِه إنفاقَ مالِه فى غيرِ موضِعِه ، ونَذْرَه فى غيرِ ما له وضعُه فيه ، فكان ذلك ظلمَه .

فإن قال قائلٌ : فكيف قال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ . ولم يقلْ : يعلَمُهما . وقد ذكَر النذرَ والنفقةَ ؟

قيل : إنما قال : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ ﴾ لأنه أراد : فإن اللَّهَ يعلَمُ ما أَنْفَقتم [٤/٨٥و] أو نذَرتم . فلذلك وحَّد الكنايةَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٧١) ﴾ .

يعْنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ ﴾ : إن تُعْلِنُوا الصدقاتِ ، فتُعطوها مَن تصدَّقْتُم بها عليه ، ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾ . يقولُ : فنِعْمَ الشيءُ هى ، ﴿ وَإِن تُخْفُوهَا ﴾ . يقولُ : وإن تَستُروها فلم (٣) تُعْلِنُوها ، ﴿ وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ ﴾ . يعْنى :

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .
(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٥٥٩ ، ٥٦٠ .
(٣) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « فلن » .

وتعطوها الفقراءَ فى السرِّ ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ . يقولُ : فإخفاؤُكم إيَّاها خيرٌ لكم مِن إعلانِها ، وذلك فى صدقةِ التطوُّعِ .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ : كلٌّ مقبولٌ إذا كانت النيّةُ صادقةً ، وصدقةُ السرِّ أفضلُ ، وذُكِر لنا أنّ الصدقةَ تطفئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النارَ[(١)] .

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ فى قولِه : ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ . قال : كلٌّ مقبولٌ إذا كانت النيّةُ صادقةً ، والصدقةُ فى السرِّ أفضلُ . وكان يقولُ : إنّ الصدقةَ تُطفئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النارَ[(٢)] .

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ : فجعَل اللَّهُ صدقةَ السرِّ فى التطوُّعِ تفضُلُ علانيتَها بسبعِينَ ضِعْفًا ، وجعَل صدقةَ الفريضةِ علانيتَها أفضلَ مِن سرِّها . يقالُ : بخمسةٍ وعشرين ضِعْفًا ، وكذلك جميعُ الفرائضِ والنوافلِ و[(٣)] الأشياءِ كلِّها[(٤)] .

/حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ الحنفىُّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ ، قال : أخبرَنا ٩٣/٣

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٣/١ إلى المصنف وعبد بن حميد . وقوله : الصدقة تطفئ الخطيئة ... أخرجه الترمذى (٦١٤) مرفوعا من حديث كعب بن عجرة ، وينظر ما أخرجه أحمد ٣٣٢/٢٢ (١٤٤٤١) من حديث جابر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣٧/٢ (٢٨٤٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) فى الأصل ، م : « فى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣٦/٢ (٢٨٤٧) من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٣/١ إلى ابن المنذر .

عبدُ اللَّهِ بنُ المباركِ ، قال : سمِعت سفيانَ يقولُ فى قولِه : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْۚ ﴾ . قال : يقولُ : هو سوى الزكاةِ[(١)] .

وقال آخرون : إنما عنَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ بقولِه : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ ﴾ : إن تُبْدُوا الصدقاتِ على أهلِ الكتابين من اليهودِ والنصارى ، فنِعِمَّا هى ، وإن تُخْفُوها وتُؤْتُوها فقراءَهم ، فهو خيرٌ [٨/٥٤ظ] لكم . قالوا : وأما ما أُعطِىَ فقراءُ المسلمين من زكاةٍ وصدقةِ تطوُّعٍ ، فإخفاؤُه أفضلُ من إعلانِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدثنى عبدُ الرحمنِ بنُ شُريحٍ ، أنه سمِع يزيدَ بنَ أبى حبيبٍ يقولُ : إنما نزَلت هذه الآيةُ : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ ﴾ فى الصدقةِ على اليهودِ والنصارَى[(٢)] .

حدَّثنى عبدُ اللَّهِ بنُ محمدٍ الحنفىُّ ، قال : أخبرنا عبدُ اللَّهِ بنُ عثمانَ ، قال : أخبرنا عبدُ اللهِ بنُ المباركِ ، قال : أخبرنا ابنُ لَهيعةَ ، قال : كان يزيدُ بنُ أبى حبيبٍ يأمرُ بقَسْمِ الزكاةِ فى السرِّ . قال عبدُ اللَّهِ : أُحبُّ أن تُعْطَى فى العلانيةِ . يعْنى الزكاةَ .

ولم يَخْصُصِ اللَّهُ جلّ ثناؤُه مِن قولِه : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَۖ ﴾ . [(٣)]صدقةً دونَ صدقةٍ[(٣)] ، فذلك على العمومِ ، إلَّا ما كان من زكاةٍ واجبةٍ ،

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣٦/٢ (٢٨٤٥) من طريق ابن المبارك به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣٩/٢ (٢٨٦٣) عن يونس بن عبد الأعلى به .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

فإنَّ الواجبَ مِن الفرائضِ قد أَجْمَع الجميعُ على أن الفضلَ فى إعلانِه وإظهارِه ، سوى الزكاةِ التى ذكَرنا اختلافَ المختلفينَ فيها ، مع إجماعِ جميعِهم على أنها واجبةٌ ، فحكمُها فى أن الفضلَ فى أدائِها علانيةٌ حكمُ سائرِ الفرائضِ غيرِها .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّئَاتِكُمْ ﴾ .

اختلَفت القرَأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فرُوى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقرؤُه : (وتُكفِّرُ عنكم) بالتاءِ[(١)] . ومن قرأه كذلك ، فإنه يعْنى به : وتُكفِّرُ الصدقاتُ عنكم من سيئاتِكم .

وقرَأ آخَرون : ﴿ وَيُكَفِّرُ عَنكُم ﴾ . بالياءِ[(٢)] . بمعنى : ويكفِّرُ اللَّهُ عنكم بصدقاتِكم ، على ما ذكَر فى الآيةِ من سيئاتِكم .

وقرأ ذلك بعدُ عامّةُ قرَأَةِ أهلِ المدينةِ والكوفةِ والبصرةِ : (وَنُكَفِّرْ عنكم) . بالنونِ وجَزْمِ الحرفِ[(٣)] ، بمعنى : وإن تُخْفُوها وتُؤْتُوها الفقراءَ ، نكفِّرْ عنكم من سيئاتِكم . بمعنى مجازاةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ مُخْفِىَ الصدقةِ بتكفيرِ بعضِ سيئاتِه بصدقتِه التى أَخْفاها .

وأَوْلى القراءاتِ فى ذلك عندَنا بالصوابِ قراءةُ من قرَأ : (وَنُكَفِّرْ عنكم) . بالنونِ وجزمِ الحرفِ ، على معْنى الخبرِ مِن اللَّهِ جلّ ثناؤه عن نفسِه أنه يُجازِى المخفِىَ صدقتَه التطوُّعَ ؛ ابتغاءَ [٨/٥٥و] وجهِه من صدقتِه ، بتكفيرِ سيئاتِه . وإذا قُرِئَ كذلك فهو مجزومٌ على [(٤)] النَّسْقِ على [(٤)] موضِعِ الفاءِ فى قولِه : ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . لأن الفاءَ هنالك حلَّت محَلَّ جوابِ الجزاءِ .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف اخترتَ الجزمَ على النَّسْقِ على موضِعِ الفاءِ ، وتركتَ

(١) ينظر البحر المحيط ٣٢٥/٢ ، وهى قراءة شاذة ، لم يقرأ بها أحد من العشرة .

(٢) وهى قراءة ابن عامر وحفص . حجة القراءات ص ١٤٨ .

(٣) وهى قراءة نافع وحمزة والكسائى ، ولم يذكر المصنف قراءة من قرأ بالنون ورفع الراء ، وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو وأبى بكر . المصدر السابق ص ١٤٧ ، ١٤٨ .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

اختيارَ نَسْقِه على ما بعدَ الفاءِ ، وقد علمتَ أن الأفصحَ من الكلامِ فى النسْقِ على جوابِ الجزاءِ الرفعُ وإنما الجزمُ تجويزٌ ؟

قيل : اخترْنا ذلك ليُؤْذِنَ بجزمِه أن التكفيرَ - أعنى تكفيرَ اللَّهِ مِن سيئاتِ المُتصَدِّقِ - لا محالةَ داخلٌ فيما وعَد اللَّهُ /المُصَّدِّقَ أن يُجازيَه به على صدَقتِه ؛ ٩٤/٣ لأن ذلك إذا جُزِم مُؤْذِنٌ بما قُلنا لا محالةَ ، ولو رُفِع كان قد يَحْتَملُ أن يكونَ داخلًا فيما وعَده اللَّهُ أن يُجازيَه به ، وأن يكونَ خبرًا مستأنَفًا ، أنه يكفِّرُ من سيئاتِ عبادِه المؤمنين ، على غيرِ المجازاةِ لهم بذلك على صدقاتِهم ؛ لأن ما بعدَ الفاءِ فى جوابِ الجزاءِ استئنافٌ ، فالمعطوفُ على الخبرِ المستأنَفِ فى حكمِ المعطوفِ عليه ، فى أنه مُسْتأنفٌ[1] غيرُ داخلٍ فى الجزاءِ ، ولذلك من العلَّةِ اخترْنا جزمَ (نُكَفِّرْ) عطفًا به على موضعِ الفاءِ مِن قولِه : ﴿ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . وقراءتَه بالنونِ .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ دخولِ (مِن) فى قولِه : (ونُكفِّرْ عنكم من سيئاتِكم) ؟

قيل : وجهُ دخولِها فى ذلك بمعْنى : ونكفِّرْ عنكم من سيئاتِكم ما نشاءُ تكفيرَه منها دونَ جميعِها ؛ ليكونَ العبادُ على وَجَلٍ من اللَّهِ فلا يَتَّكِلوا على وعدِه ما وعَدَ على الصدقاتِ التى يُخْفِيها المتصدِّقُ ، فيَجْترِئُوا على حدودِه ومعاصِيه .

وقد قال بعضُ نحويِّى البصرةِ : معْنى ﴿ مِّن ﴾ الإسقاطُ فى هذا الموضِعِ . وتأوَّل معْنى ذلك : ونكفِّرْ عنكم سيئاتِكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ ﴾ .

يعْنى بذلك جلَّ ثناؤُه : واللَّهُ بما تعمَلون فى صدقاتِكم ، من إخفائِها وإعلانِ وإسرارٍ بها وجِهارٍ ، وفى غيرِ ذلك من أعمالِكم ، ﴿ خَبِيرٌ ﴾ يعْنى بذلك : ذو خبرةٍ وعلمٍ ، [٨/٥٥ظ] لا يَخْفَى عليه شىءٌ مِن ذلك ، فهو بجميعِه محيطٌ ، ولِكُلِّه محصٍ

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

على أهلِه ، حتى يوفِّيَهم ثوابَ جميعِه ، وجزاءَ قليلِه وكثيرِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بذلك : ليس عليك يا محمدُ هُدَى المشركين إلى الإسلامِ ، فتمنعَهم الصدقةَ التطوُّعَ ، ولا تُعطِيَهم منها ؛ ليدخُلوا فى الإسلامِ حاجةً منهم إليها ، ولكنَّ اللَّهَ هو يَهْدى مَن يشاءُ مِن خلقِه إلى الإسلامِ فيوفِّقُهم له ، فلا تمنَعْهم الصدقةَ .

كما **حدَّثنا** أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ يمانٍ ، عن أشْعثَ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدٍ[(١)] ، قال : كان النبىُّ ﷺ لا يتصدَّقُ على المشركين ، فنزَلت : ﴿ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ . فتَصَدَّقَ عليهم[(٢)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا أبو داودَ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن جعفرِ بنِ إياسٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كانوا لا يرْضَخُون[(٣)] لقراباتِهم مِن المشركين ، فنزَلت : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ ﴾[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن رجلٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : كانوا يتَّقون أن يرضَخوا لقراباتِهم من المشركين حتى نزَلت : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ ﴾ .

---

(١) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « شعبة » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) الرضخ : العطية القليلة . اللسان (ر ض خ) .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣٧/٢ (٢٨٥٢) من طريق أبى داود به ، وأخرجه النسائى فى الكبرى (١١٠٥٢) ، والطبرانى (١٢٤٥٣) ، والحاكم ٢٨٥/٢ ، والبيهقى ١٩١/٤ ، من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والضياء .

٩٥/٣ /حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ وأحمدُ بنُ إسحاقَ ، قالا : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن جعفرِ بنِ إياسٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كانوا لا يرضَخون لأنْسِبائِهم مِن المشركين ، فنزَلت : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ الآية . فرخَّص لهم[(١)] .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا سُويدٌ ، قال : أخبرنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن جعفرِ بنِ إياسٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان أناسٌ مِن الأنصارِ لهم أَنْسباءُ وقرابةٌ من قُرَيْظةَ والنَّضيرِ ، وكانوا يتَّقون أن يتصدَّقوا عليهم ، ويُريدونهم أن يُسْلِموا ، فنزَلت : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ الآية[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : وذُكِر لنا أنَّ رجالًا مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ قالوا : أنتصدَّقُ على مَن ليس مِن أهلِ دينِنا ؟ [٥٦/٨و] فأَنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ في ذلك القرآنَ : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾[(٣)] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ في قولِه : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ . قال : كان الرجلُ مِن المسلمين إذا كان بينَه وبينَ الرجلِ مِن المشركين قرابةٌ وهو محتاجٌ ، فلا يتصدَّقُ عليه ، يقولُ : ليس مِن أهلِ ديني . فأَنزل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ . الآية[(٢)]

حدَّثني [(٤)]موسى بنُ هارونَ[(٤)] ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) أخرجه البزار (٢١٩٣ - كشف) ، والحاكم ١٥٦/٤ من طريق أبي أحمد الزبيرى به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤ - ٤) فى ص ، م : « محمد » .

السُّدىِّ قولَه : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ : أمَّا ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ فيعْنى المشركين ، وأما النفقةُ فبيَّن أهلَها[1] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا الحِمَّانيُّ ، قال : ثنا يعقوبُ القُمِّيُّ ، عن جعفرِ بنِ أبى المغيرةِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : كانوا يتصدَّقون [2]على فُقَراءِ أهلِ الذِّمَّةِ ، فلمَّا كثُر فقَراءُ المسلمين ، قالوا : لا نُعْطِيها إلَّا المسلمين ، فنزَلت : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ . قال : فكانوا بعدُ يُعْطُونهم[3] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ .قال : يقولُ : إنما لها ثوابُ نفقَتِها ، وليس لها مِن عملِه شىءٌ، لو كان خيْرَ أهلِ الأرْضِ لم يكنْ لها مِن عملِه شىءٌ ، إنما لها أجرُ نفقتِها ، ولا تُسأَلُ عمَّن تريدُ تضعُ نفقتَها فيه ، فليس لها من عملِه شىءٌ ، إنما لها ثوابُ نفقَتِها ، ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ .

حدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : حدَّثنا جريرُ بنُ عبدِ الحميدِ ، عن أشعثَ بنِ إسحاقَ ، عن جعفرِ بنِ أبى المغيرةِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « لا تصدَّقوا إلَّا على أهلِ دينِكم » . فأنزَل اللهُ تبارك وتعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ الآية إلى قولِه : ﴿ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[2][4] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣٨/٢ (٢٨٥٦) من طريق عمرو به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى ابن المنذر .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٧/١ إلى ابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة ١٧٧/٣ عن جرير به .

(١) وأما قولُه : ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ . فإنه يعْنى جلَّ ثناؤه : وما تتصدَّقون به من مالٍ - والمالُ هو الخيْرُ الذى ذكَره اللهُ جلَّ ثناؤه فى هذه الآيةِ .

وقولُه : ﴿ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ تنفِقون ؛ ليكونَ لكم ذُخْرًا عندَ الحاجةِ إليه فى مَعَادِكم .

وأما قولُه : ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ ﴾ فإنه يعْنى جلَّ جلالُه : وما تتصدَّقوا به من مالٍ فإنكم تُوَفَّوْنَه ، فيرجعَ إليكم جزاؤه تامًّا وافيًا ، فلا تَـمُنُّوا على أحدٍ بما تصدَّقْتم به عليه ، ولا تمتَنِعوا مِن إعطائِهَا مَن امتنعتم مِن إعطائه إياها مِن مشركى أهلِ الكتابِ وغيرِهم مِن أهلِ الإسلامِ، فإنكم لا تُظْلَمون أجْرَها فَتُبْخَسُوه، ولا تُنْقَصُونَه ، بل على اللهِ أن [٥٦/٨ظ] يوفِّيَكم أجورَكم وجزاءَكم عليها(١) .

كما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾ . قال : هو مردودٌ عليك ، فما لك ولهذا تُؤْذيه وتَمُنُّ عليه ؟ إنما نفقتُك لنفسِك ، وابتغاءُ وجهِ اللَّهِ ، واللَّهُ يَجزيك(٢) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ .

٩٦/٣ /أما قولُه : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . فبيانٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه عن سبيلِ النفقةِ ووجهِها . ومعنى الكلامِ : وما تُنفِقُوا من خيرٍ فلأنفسكم ، تُنْفِقون للفقراءِ الذين أُحصروا فى سبيلِ اللَّهِ .

واللامُ التى فى « الفقراءِ » مردودةٌ على موضعِ اللامِ مِن قولِهِ : ﴿ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ . كأنه قال : ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ ﴾ يعْنى به : وما تتصدَّقوا به من مالٍ فللفقراءِ الذين أُحصِروا فى سبيلِ اللَّهِ . فلمّا اعْترَض فى الكلامِ بقولِه : ﴿ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ . فأَدْخَل الفاءَ التى هى جوابُ الجزاءِ فيه ، تُرِكت إعادتُها فى قولِه :

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٧/١ ، ٣٥٨ إلى المصنف .

﴿ لِلْفُقَرَآءِ ﴾ . إذ كان الكلامُ مفهومًا معناه .

كما حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ قولَه : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ﴾ : أمَّا ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ ﴾ . فيعني المشركين ، وأمَّا النفقةُ فبيَّن أهلَها ، فقال : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[1] .

وقيل : إنَّ هؤلاءِ الفقراءَ الذين ذكَرهم اللَّهُ في هذه الآيةِ هم فقراءُ المهاجرين خاصَّةً[2] دونَ غيرِهم من الفقراءِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ : مهاجرى قريشٍ بالمدينةِ مع النبيِّ ﷺ ، أُمِر بالصدقةِ عليهم[3] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه قولَه : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية . قال : هم فقراءُ المهاجرين بالمدينةِ[4] .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : فقراءُ المهاجرين[5] .

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٢١ .

(٢) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «عامة» .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٥، ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٤٠/٢ (٢٨٦٥) .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٨/١ إلى المصنف من قول الربيع .

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٢٦١/٢ ، وتفسير القرطبى ٣٩٩/٣.

[٥٧/٨و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه** : ﴿ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ .

يعنِى بذلك تعالى ذكرُه : الذين جعَلهم جهادُهم عدوَّهم يُحْصِرون أنفسَهم ، فيحبِسونها عن التصرُّفِ ، فلا يستطيعون تصرُّفًا .

وقد دلَّلنا فيما مضى قبلُ على أنّ معنَى الإحصارِ تصييرُ الرجلِ المُحْصِرِ مرَضُه أو فاقتُه أو جهادُه عدوَّه ، وغيرُ ذلك من عللِه ، إلى حالةٍ يحبِسُ فيها نفسَه عن التصرُّفِ فى أسبابِه ، بما فيه الكفايةُ فيما مضى قبلُ[١] .

وقد اخْتَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم فى ذلك بنحوِ الذى قلنا فيه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : حصَروا أنفسَهم فى سبيلِ اللَّهِ للغزوِ[٢] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : كانت الأرضُ كلُّها كفرًا ، لا يستطيعُ أحدٌ أن يخرُجَ يبتغِى من فضلِ اللَّهِ ، فإذا خرَج / خرَج فى كفرٍ . ٩٧/٣
وقيل : كانت الأرضُ كلُّها حربًا على أهلِ هذا البلدِ ، وكانوا لا يتوجَّهون جهةً إلَّا لهم فيها عدوٌّ ، فقال اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٣٤٢/٣ وما بعدها .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٠٩، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٠/٢ (٢٨٦٧) عن الحسن بن يحيى به .

﴿سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ . الآية . كانوا هلهنا فى سبيلِ اللَّهِ[(١)] .

وقال آخرون : بل معنَى ذلك : الذين حَصَرهم المشركون فمنَعوهم التصرُّفَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ : حصَرهم المشركون فى المدينةِ[(٢)] .

ولو كان تأويلُ الآيةِ على ما تأوَّله السُّدىُّ ، لكان الكلامُ : للفقراءِ الذين حُصِروا فى سبيلِ اللَّهِ . ولكنه ﴿أُحْصِرُوا۟﴾ . فدلَّ ذلك على أن خوفَهم من العدوِّ الذى صيَّر هؤلاءِ الفقراءَ إلى الحالِ التى حَبَسوا - وهم فى سبيلِ اللَّهِ - [٨/٥٧ظ] أنفسَهم ، لا أن العدوَّ هم كانوا الحابِسيهم ، وإنما يقالُ لمن حبَسه العدوُّ : حصَره العدوُّ . وإذا كان الرجلُ المُحْبَسُ من خوفِ العدوِّ ، قيل : أَحْصَره خوفُ العدوِّ .

القولُ فى تأويلِ قولهِ جل ثناؤُه : ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

يعنِى بذلك جلَّ ثناؤُه : لا يستطيعون تقلُّبًا فى الأرضِ ، وسفرًا فى البلادِ ؛ ابتغاءَ المعاشِ ، وطلبَ المكاسبِ ، فيستغنوا به[(٣)] عن الصدقاتِ ، رهبةَ العدوِّ ، وخوفًا على أنفسِهم منهم .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٥٨ إلى المصنف إلى قوله : خرج فى كفر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٤٠ (٢٨٦٨) من طريق عمرو به .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت٣ .

كما حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : حدثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ : حصَروا[1] أنفسَهم في سبيلِ اللَّهِ للغَزوِ[2] ، فلا يستطيعون تجارةً[3] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ يعني : التجارةَ[4] .

وحدَّثنا يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ ، في قولِه : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ ﴾ : كان أحدُهم لا يستطيعُ أن يخرُجَ يبتغِي من فضلِ اللَّهِ[5] .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾ .

يعنِي بذلك : يحسَبُهم الجاهلُ بأمرِهم وحالِهم أغنياءَ من تعفُّفِهم عن المسألةِ ، وتركِهم التعرُّضَ لما في أيدي الناسِ ؛ صبرًا منهم على البأساءِ والضرَّاءِ .

كما حدَّثنا[6] بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : حدَّثنا[6] يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ ﴾ . يقولُ : يحسَبُهم الجاهلُ بأمرِهم أغنياءَ من التعفُّفِ .

---

(١) في ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « حبسوا » .

(٢) في م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « للعدو » .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٠٩.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٥٨/١ إلى المصنف .

(٥) تقدم في ص ٢٤.

(٦ - ٦) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٢، ت٣ .

ويعنى بقولِه : ﴿ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ : من تَرْكِ مسألةِ الناسِ ، وهو « التفعُّلُ » من العفَّةِ عن الشيءِ ، والعفَّةُ عن الشيءِ تركُه ، كما قال رُؤْبةُ[1] :

فعَفَّ عن أسرارِها بعدَ العسَقْ[2]

يعنى : ترَك[3] وتجنَّب .

[٥٨/٨و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ تَعۡرِفُهُم بِسِيمَٰهُمۡ ﴾ .**

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : تعرِفُهم يا محمدُ ﴿ بِسِيمَٰهُمۡ ﴾ ، يعْنى : بعلامتِهم وآثارِهم ، من قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : / ﴿ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ﴾ ٩٨/٣ [الفتح : ٢٩] . وهذه لغةُ قريشٍ ، ومِن العربِ مَن يقولُ : بسيمائِهم . فيمُدُّها ، وأمَّا ثَقيفٌ وبعضُ أَسَدٍ فإنهم يقولون : بسيميائِهم ، ومن ذلك قولُ الشاعرِ[4] .

غُلامٌ رمَاه اللَّهُ بالحُسْنِ يافعًا له سِيمِياءٌ لا تَشُقُّ على البَصَرْ

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ فى السِّيما التى أَخبر اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أنَّها لهؤلاءِ الفقراءِ الذين وصَف[5] صفتَهم ، وأنهم يُعرَفون بها ؛ **فقال بعضُهم** : هو التخشُّعُ والتواضعُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ،

---

(١) تقدم البيت فى ٤/ ٢٧٩.

(٢) فى ص ، م : « الغسق » ، وفى ت ٢: « العشق » .

(٣) فى ص ، م ، ت ٢، « برئ » ، وفى ت ١: « يروى » .

(٤) هو ابن عنقاء الفزارى ، والبيت فى الكامل ٢٢/١، وأمالى القالى ١/ ٢٣٧، والمؤتلف والمختلف للآمدى ص ٢٣٨، والأغانى ١٩/ ٢٠٨.

(٥) فى ص ، م ، ت ٢: « وصفت » .

عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ . قال : التخشُّعُ[(١)] .

وحدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى المُثَنَّى ، [(٢)]قال : حدثنا إسحاقُ[(٢)] ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن ليثٍ ، قال : كان مجاهدٌ يقولُ : هو التخشُّعُ .

وقال آخرون : يعْنِى بذلك : تعرِفُهم بسيما الفقرِ وجَهْدِ الحاجةِ فى وجوهِهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : [٨/٥٨ظ] ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ : بسيما الفقرِ عليهم[(٣)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ فى قولِه : ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ ﴾ . يقولُ : تعرِفُ فى وجوهِهم الجَهْدَ من الحاجةِ[(٤)] .

وقال آخرون : يعنى بذلك : تعرِفُهم برَثاثةِ ثيابِهم . وقالوا : الجوعُ خفىٌّ .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٥، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٤١ (٢٨٧٢) ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/١٠٩ عن معمر ، عن مجاهد .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، وفى الأصل : « قال : حدثنا أبو إسحاق » . وهو إسناد دائر ، وتقدم على الصواب فى ص ٢٣ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٤١ (٢٨٧٣) من طريق عمرو به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٤١ (٢٨٧٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ تَعْرِفُهُم بِسِيمَاهُمْ ﴾ . قال : السيما : رَثاثةُ ثيابِهم ، والجوعُ خفىٌّ على الناسِ ، ولم تستطعِ الثيابُ التى يَخْرُجون فيها تَخْفَى على الناسِ[(١)] .

وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ أن يقالَ : إن اللَّهَ عزَّ وجلَّ أَخْبر نبيَّه ﷺ أنه يعرِفُهم بعلاماتِهم وآثارِ الحاجةِ فيهم ، وإنما كان النبىُّ ﷺ يُدرِكُ تلك العلاماتِ والآثارَ منهم عندَ المشاهدةِ بالعِيانِ ، فيعرِفُهم وأصحابُه بها ، كما يُدرَكُ المريضُ فيُعلَمُ أنه مريضٌ بالمعاينةِ .

وقد يجوزُ أن تكونَ تلك السيما كانت تخشُّعًا منهم ، وأن تكونَ كانت أثرَ الحاجةِ والضُّرِّ ، وأن تكونَ كانت رَثاثةَ الثيابِ ، وأن تكونَ كانت جميعَ ذلك ، وإنما تُدرَكُ علاماتُ الحاجةِ وآثارُ الضُّرِّ فى الإنسانِ ، ويُعلَمُ / أنها من الحاجةِ والضُّرِّ ، ٩٩/٣ بالمعاينةِ دونَ الوصفِ ، وذلك أن المريضَ قد يصيرُ به فى بعضِ أحوالِ مرضِه من المرضِ ، نظيرُ آثارِ المجهودِ من الفاقةِ والحاجةِ ، وقد يلبَسُ الغنىُّ ذو المالِ الكثيرِ الثيابَ الرَّثَّةَ ، فيتزيَّا بزىِّ أهلِ الحاجةِ ، فلا يكونُ فى شىءٍ من ذلك دَلالةٌ بالصفةِ على أن الموصوفَ به مختلٌّ ذو فاقةٍ ، وإنما يُدْرَكُ[(٢)] ذلك عندَ المعاينةِ بسيماه ، [(٣)]كما وصَفهم اللَّهُ به ، نظيرَ ما يُعرَفُ المريضُ بأنه مريضٌ[(٣)] عندَ المعاينةِ ، دونَ وصفِه بصفتِه .

[٥٩/٨و] **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه** : ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ .

[(٤)]يعنى جلَّ ثناؤُه بذلك : لا يسأَلون الناسَ إلحاحًا[(٤)] . يقالُ : قد أَلْحَف السائلُ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٨/١ إلى المصنف .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يدرى » .

(٣ - ٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كما وصفهم الله نظير ما يعرف أنه مريض » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

فى مسألتِه ، إذا ألحَّ ، فهو يُلحِفُ فيها إلحافًا .

فإن قال قائلٌ : أفكان هؤلاء القومُ يسألون الناسَ غيرَ إلحافٍ ؟

قيل : غيرُ جائزٍ أن يكونوا كانوا يسألون الناسَ شيئًا على وجهِ الصدقةِ إلحافًا [(١)وغيرَ إلحافٍ(١)] ، وذلك أن اللَّهَ عزَّ وجلَّ وصَفهم بأنهم كانوا أهلَ تعفُّفٍ ، وأنهم إنما كانوا يُعرَفون بسيماهم ، فلو كانت المسألةُ من شأنِهم لم تكنْ صفتُهم التعفُّفَ ، ولم [(٢)تكنْ بالنبيِّ ﷺ إلى معرفتِهم بالأدلةِ والعلاماتِ حاجةٌ ، إذ كانت(٢)] المسألةُ الظاهرةُ تُنْبِئُ على حالِهم وأمرِهم .

وفى الخبرِ الذى حدَّثنا به بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدُ ابنُ أبى عَروبةَ ، عن قتادةَ ، عن هلالِ بنِ حصنٍ ، عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، قال : أَعْوَزْنا مرةً ، فقيل لى : لو أتيتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ فسألتَه . فانطلقتُ إليه مُعْنِقًا[(٣)] ، فكان أوَّلَ ما واجَهنى به : « مَن استعفَّ أعفَّه اللَّهُ ، ومن اسْتَغنَى أغناه اللَّهُ ، ومَن سأَلَنا لم ندَّخِرْ عنه شيئًا نجِدُه » . قال : فرجَعتُ إلى نفسى ، فقلتُ : ألَا أستعِفُّ فيُعِفَّنى اللَّهُ ! فرجَعتُ ، فما سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ شيئًا بعدَ ذلك من أمرِ حاجةٍ ، حتى مالت علينا الدنيا فغرَّقتنا ، إلا مَن عصَم اللَّهُ[(٤)] - الدلالةُ الواضحةُ على أن التعفُّفَ معنًى ينفِى معنَى المسألةِ من الشخصِ الواحدِ ، وأنّ مَن كان موصوفًا بالتعفُّفِ ، فغيرُ موصوفٍ بالمسألةِ إلحافًا [(١)وغيرَ إلحافٍ(١)] .

(١ - ١) كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : « ولا غير إلحاف » . ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ١٨١، وما سيأتى فى الصفحة التالية .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ولم يكن بالنبى ﷺ إلى علم معرفتهم بالأدلة » ، وكذا فى م ، وزاد : « والعلامة حاجة وكانت » .

(٣) أى : مسرعا . النهاية ٣/ ٣١٠.

(٤) أخرجه الطحاوى فى شرح معانى الآثار ١٦/٢ من طريق يزيد به ، وأخرجه أبو يعلى (١١٢٩ ، ١٢٦٧) من طريق قتادة به ، وأخرجه أحمد ٤٨٨/١٧ (١١٤٠١) من طريق هلال به .

فإن قال قائلٌ : فإن كان الأمرُ على ما وصفتَ ، فما وجهُ قولِه : ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ . وهم لا يسألون الناسَ إلحافًا ولا[(1)] غيرَ إلحافٍ ؟

قيل له : وجهُ ذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه لمَّا وصَفهم بالتعفُّفِ ، وعرَّف عبادَه أنهم ليسوا أهلَ مسألةٍ بحالٍ ، بقولِه : ﴿ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ ﴾ . وأنهم إنما يُعْرَفون بالسيما ، زاد عبادَه إبانةً لأمرِهم ، وحُسْنَ ثناءٍ عليهم ، بنَفْيِ الشَّرَهِ والضَّراعةِ التى تكونُ فى المُلِحِّين من السُّؤَّالِ عنهم ، [(2)]وقد كان بعضُ القائلين يقولُ فى ذلك : هو نظيرُ قولِ القائلِ[(2)] : قلَّما رأيتُ مثلَ فلانٍ . ولعلَّه [٥٩/٨ظ] لم يرَ مثلَه أحدًا ولا له[(1)] نظيرًا .

وبنحوِ الذى قُلنا فى معنى « الإلحافِ » قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ . قال : لا يُلْحِفون فى المسألةِ .

/ وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ : هو الذى يُلِحُّ فى المسألةِ[(3)] . ١٠٠/٣

وحدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾ : ذُكِر لنا أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « إنَّ اللَّهَ يُحبُّ الحليمَ

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وقال كاد بعض القائلين يقول فى ذلك نظير قول القائل » . وفى م : « وقال كان بعض القائلين يقول فى ذلك نظير قول القائل » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥٩/١ إلى المصنف .

الحَيِىَّ[(١)] الغنِىَّ المتعفِّفَ ، ويُبْغِضُ الغنىَّ الفاحشَ البَذِىءَ السائلَ المُـلْحِفَ »[(٢)] .

قال : وذُكِر لنا أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « إنَّ اللَّهَ كرِه لكم ثلاثًا ؛ [(٣)]قيلَ وقالَ[(٣)] ، وإضاعةَ المالِ ، وكثرةَ السؤالِ »[(٤)] . فإذا شئتَ رأيتَه فى قيلَ وقالَ يومَه أجمعَ وصدرَ ليلتِه ، حتى يُلقَى جِيفةً على فراشِه ، لا يجعَلُ اللَّهُ له من نهارِه ولا ليلتِه نصيبًا ، وإذا شئتَ رأيتَه ذا مالٍ يُنْفِقُه[(٥)] فى شهوتِه ولذَّاتِه ومَلَاعبِه ، ويعدِلُه عن حقِّ اللَّهِ ، [(٦)]وكَثُرت بتلك[(٦)] إضاعةُ المالِ ، وإذا شئتَ رأيتَه باسطًا ذراعَيْه ، يسألُ الناسَ فى كفَّيه ، فإنْ أُعطِىَ أَفْرَط فى حَمْدِهم[(٧)] ، وإن مُنِع أَفْرَط فى ذمِّهم .

وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : حدَّثنا معتمرُ بنُ سليمانَ ، عن أيمنَ بنِ نابلٍ * ، قال : حدَّثنى صالحُ بنُ سُويدٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : « ليس المسكينُ بالطَّوَّافِ الذى تردُّه الأُكْلَةُ والأُكلتان ، ولكنَّ المسكِينَ المُتعفِّفُ فى بيْتِه ، لا يسْألُ النَّاسَ شيئًا ، تُصيبُه الحاجةُ » . اقرَءوا إن شئْتم : ﴿ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ﴾[(٨)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ ﴾ .

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٥٩ ، ٣٦٣ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣ - ٣) فى الأصل ، ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قيلا وقالا » .

(٤) وأصل الحديث عند البخارى (١٤٧٧) ، ومسلم (١٧١٥) من حديث المغيرة ابن شعبة .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦ - ٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وكثرت بذلك » ، وفى م : « فذلك » .

(٧) فى م : « مدحهم » .

* من هنا خرم فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ إلى ص ٣٥ .

(٨) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٤٨٠ عن المصنف ، وفيه : الحسن بن ماتك . مكان : أيمن بن نابل . وأصل الحديث فى البخارى (٤٥٣٩) ، ومسلم (١٠٣٩) .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : وما تُنفِقُوا أيها الناسُ مِن مالٍ ، فتصَّدَّقوا على أهلِ ذمَّتِكم تطوعًا منكم ، أو تُعْطُوه مَن أمَرَكم ربُّكم بإعْطائِه مِن الفُقَراءِ الذين أُحْصِرُوا فى سبيلِ [٨/٦٠و] اللّهِ مما فرَضه اللهُ لهم فى أموالِكم ، فإنَّ اللهَ بكلِّ ذلك عليمٌ ، يُحْصِيه لكم ، ويدَّخِرُ ثَوابَه عندَه لكم ، حتى يُوفِّيَكم على جميعِ ذلك أُجُورَكم ، ويُعْظِمَ لكم عليه فى المَعادِ جزاءَكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤه بذلك : مَن يُنْفِقُ مالَه باللَّيلِ والنَّهارِ فى السرِّ والعَلانيةِ ، فيتصدَّقُ به ابتغاءَ اللهِ وطلَبَ ثَوابِه ، فله أجرُ صَدَقتِه مَذْخُورًا له عندَ ربِّه حتى يُوفِّيَه إيّاه فى مَعادِه يومَ بعثِه ، ولا خوفٌ عليه يومَ القِيامةِ مِن عِقابِه وعَذابِه ، ولا فى أهوالِ قِيامَتِه ، ولا هو يحْزَنُ عندَ مَقْدَمِه عليه بمُعايَنتِه مِن عَظيمِ كَرامةِ اللهِ التى أعدَّها له على ما خلَّف وراءَه فى الدنيا .

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ فى المعْنى الذى أُنْزِلت فيه هذه الآيةُ ؛ **فقال بعضُهم :** أُنزلت فى علىِّ بنِ أبى طالبٍ رحِمه اللهُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا عبدُ الوهابِ بنُ مجاهدٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ قال : نزلت فى علىٍّ ؛ كانت معه أربعةُ درَاهمَ ، فأنفق بالليلِ درهمًا ، وبالنهارِ درهمًا ، وسرًّا درهمًا ، وعلانيةً درهمًا[1] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٠٨ ، ومن طريقه الطبرانى فى الكبير (١١١٦٤) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٦٤ ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٠٦/١٢ (مخطوط) ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٣/٢=

حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ قال : كان لرجُلٍ أربعةُ دراهمَ ، فأنفَق درهمًا باللَّيلِ ، ودرهمًا بالنَّهارِ ، ودرهمًا سرًّا ، ودرهمًا علانيةً[1] .

وقال آخرون : نزَلت هذه الآيةُ فى النَّفَقةِ على الخَيْلِ فى سبيلِ اللهِ .

[٨/٦٠ظ] **ذكرُ من قال ذلك**

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهْبٍ ، قال : حدَّثنى رجالٌ[2] مِن أهلِ العلمِ ، منهم عبدُ الرحمنِ بنُ شُريحٍ ، عن قيْسِ بنِ الحجاجِ ، عن حَنَشِ بنِ عبدِ اللهِ ، قال بعضُهم عن ابنِ عباسٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ الآية : إنها فى عَلْفِ الخَيْلِ[3] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : حدَّثنى عبدُ الرحمنِ - يعْنى ابنَ شُريحٍ - عن عبدِ اللهِ بنِ بشرٍ الغافقىِّ ، أنه أشار إلى بعضِ خَيْلٍ كانت فى الجَبَّانَةِ ، فأشار إلى عِتاقِ تلك الخَيْلِ ، فقال : أصحابُ هؤلاءِ ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ .

قال - يعْنى عبدَ الرحمنِ بنَ شُرَيحٍ - : وحدَّثنى يعقوبُ بنُ عمرٍو المَعَافِرىُّ ، عن أبيه ، عن أبى ذَرٍّ بنحوِ ذلك[4] .

وحدَّثنا علىُّ بنُ سَهْلٍ ، قال : حدَّثنا ضَمْرةُ بنُ ربيعةَ ، عن رجاءِ بنِ أبى سلمةَ ،

= (٢٨٨٣) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٦٤ ، وابن عساكر فى الموضع السابق من طريق عبد الوهاب عن مجاهد قوله ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٦٣ إلى عبد ابن حميد وابن المنذر .

(١) ذكره القرطبى فى تفسيره ٣/ ٣٤٧.

(٢) فى الأصل : « رجل » . ولعل المثبت هو الصواب .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٤٣ (٢٨٨١) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٦٣ من طريق عبد الرحمن بن شريح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٦٣ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٢٦٨، والقرطبى فى تفسيره ٣/٣٤٦ .

عن العجلانِ بنِ سُهيلٍ ، عن أبي أمامةَ فى تفسيرِ هذه الآيةِ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ . قال : نزلت فى أصحابِ الخَيْلِ فى مَن لم يَرْتَبِطْهَا لخُيلاءَ ولا مِضْمارٍ[1] .

وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا يعقوبُ القُميُّ ، عن سعيدٍ ، عن الحسَنِ ، عن الأوزاعيِّ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾ . قال : هم الذين يَرْتَبِطون الخَيْلَ خاصةً فى سبيلِ اللهِ ، يُنفِقون عليها باللَّيلِ والنَّهارِ[2] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثنى أبو شُريحٍ عبدُ الرحمنِ ابنُ شريحٍ المعَافرىُّ ، عن قيسِ بنِ الحجاجِ ، عن حَنَشٍ الصَّنْعانىِّ أنه قال : حدَّث ابنُ عباسٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ قال : فى عَلْفِ الخَيْلِ[3] .

*وحدَّثنى المثنى ، قال : حدَّثنا سويدٌ ، قال : أخبرنا ابنُ المباركِ ، عن رِشدين بنِ سعدٍ ، قال : أخبرنى شيخٌ من غافقٍ[4] ، أنَّ أبا الدرداءِ كان ينظُرُ إلى الخيلِ مَربوطةً بينَ

---

(١) المضمار : المكان تضمر فيه الخيل أو تتسابق .

والأثر أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١١/٤٥٦ - مخطوط من طريق ضمرة بن ربيعة به ، وأخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ٦٤ ، وابن عساكر ١١/٤٥٧ - مخطوط من طريق زيد بن الحباب عن رجاء بن أبى سلمة عن سليمان بن موسى عن عجلان به .

(٢) ذكره البغوى فى تفسيره ١/ ٣٤٠، والقرطبى فى تفسيره ٣/ ٣٤٦.

(٣) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ٦٣ من طريق عبد الله بن صالح به .

* هنا نهاية الخرم المشار إليه فى ص ٣٢ .

(٤) غافق بن الشاهد : بطن من عك من الأزد ، من القحطانية ، وهم بنو غافق بن الشاهد بن عك بن عدنان ابن عبد الله بن الأزد . وإليهم تنسب الحصن ولهم خطة بمصر ، وكان منهم فى الإسلام رؤساء وأمراء . معجم قبائل العرب ٣/ ٨٧٥، تاج العروس (غ ف ق) .

البَراذينِ والهُجْنِ ، فيقولُ : أهلُ هذه - يعنى الخيلَ - من ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1] .

وقال آخرون : عنَى بذلك قومًا أنفقوا فى سبيلِ اللَّهِ ، فى غيرِ إسرافٍ ولا تقتيرٍ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ : هؤلاءِ أهلُ الجنةِ[2] . ذُكِر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « المُكْثِرون هم الأَسفَلون » . قالوا : يا نبيَّ اللَّهِ ، إلَّا مَن ؟ قال : « المُكْثِرون هم الأَسْفَلون » . قالوا : يا نبيَّ اللَّهِ ، إلَّا مَن ؟ قال : « المُكْثِرون هم الأَسْفَلون » . قالوا : يا نبيَّ اللَّهِ ، إلَّا مَن ؟ حتى خَشُوا أن تكونَ قد مضَت فليس لها رَدٌّ ، حتى قال : « إلَّا مَن قال بالمالِ هكذا وهكذا ، عن يمينِه وعن شِمالِه ، وهكذا بينَ يدَيْه ، وهكذا خلْفَه ، وقليلٌ ما هم »[3] . هؤلاء قومٌ أَنْفَقوا فى سبيلِ اللَّهِ التى افْتَرض وارْتَضى ، فى غيرِ سَرَفٍ ولا إمْلاقٍ ، ولا تبذيرٍ ولا فسادٍ[4] .

وقد قيل : إن هذه الآياتِ من قولِه : ﴿ إِن تُبْدُوا ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ . كان مما يُعمَلُ به قبلَ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٣/١ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٣/٢ (٢٨٨٥) من طريق يزيد به .

(٣) أخرجه أحمد ٣٢٢/١٥ (٩٥٢٦) ، وابن ماجه (٤١٣١) من حديث أبى هريرة مرفوعًا .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٣/١ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

نزولِ ما فى سورةِ « براءة » من تفصيلِ الزكواتِ[(١)] ، فلما نزَلت « براءة » قصَروا عليها .

ذكرُ من قال ذلك

/ حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمِّى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ : فكان هذا يُعملُ به قبلَ أنْ تَنزِلَ « بَراءة » ، فلمَّا نزَلتْ « براءة » بفرائضِ الصدقاتِ وتفصيلِها انتهتِ الصدقاتُ إليها[(٢)] . ١٠١/٣

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ .

يَعْنى بذلك جلَّ ثناؤُه : الذين يُرْبُون .

والإِرْباءُ : الزِّيادةُ على الشىءِ ، يقالُ منه : أرْبَى فلانٌ على فلانٍ ، إذا زادَ عليه ، يُرْبى إرْباءً ، والزِّيادةُ هى الرِّبا . ورَبا الشىءُ ، إذا زادَ على ما كان عليه فعَظُمَ ، فهو يَرْبُو رَبْوًا . وإنما قيلَ للرابيةِ : رَابيةٌ[(٣)] ؛ لزيادتِها فى العِظمِ والإِشْرافِ على ما استوى مِن الأرضِ ممّا حولَها ، مِن قولِهم : رَبَا يَرْبُو . ومِن ذلك قيلَ : فلانٌ فى رِبا قومِه . يُرادُ به أنه فى رِفعَةٍ وشرفٍ منهم ، فأَصْلُ الرِّبا الإنافَةُ والزِّيادَةُ ، ثم يُقالُ : أرْبَى فلانٌ . أىْ : أناف (٤) غيرَه و (٤) صَيَّرَه زائدًا . وإنّما قِيلَ للمُرْبى مُرْبِيًا ؛ لتضْعِيفِه [٦١/٨ظ] المالَ

---

(١) يشير إلى الآية ٦٠ من سورة التوبة .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٣٥/٢ (٢٨٤٣) عن محمد بن سعد به .

(٣) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

الذى كان له على غَرِيمِه حلالًا[(١)] ، أو لزيادتِه عليه فيه بسَبَبِ الأَجَلِ الذى يُؤخِّره إليه ، فيَزِيدُه إلى أجَلِه الذى كان له قبلَ حَلِّ دَيْنِه عليه . ولذلك قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ﴾ [آل عمران : ١٣١] .

وبمثلِ الذى قُلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسَى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال فى الرِّبا الذى نَهى اللَّهُ عنه : كانوا فى الجاهليةِ يكونُ للرجلِ على الرجلِ الدَّيْنُ ، فيقولُ : لكَ كذا وكذا ، وتُؤَخِّرُ عنِّى . فيُؤخِّرُ عنه[(٢)] .

وحدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وحدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ أنّ [(٣)]رِبَا أهْلِ الجاهليةِ ؛ يبيعُ الرجلُ البيعَ إلى أجلٍ مُسمًّى ، فإذا حَلَّ الأجلُ ولم يكنْ عندَ صاحبِه قضاءٌ زادَ وأخَّرَ عنه .

فقال جلَّ ثناؤُه : الذين يُرْبونَ الرِّبا الذى وصَفْنا صِفَتَه ، فى الدنيا ، ﴿ لَا يَقُومُونَ ﴾ فى الآخرةِ مِن قُبورِهم ﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ . يَعْنِى بذلك : يَتَخَبَّلُه الشيطانُ فى الدنيا ، وهو الذى يتخنَّقُه[(٤)]

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « حالا » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٥ ، ومن طريقه أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٨/٢ (٢٩١٢) ، والبيهقى ٢٧٥/٥ .

(٣) سقط من : م .

(٤) فى م : « يتخبطه » .

فيصْرَعُه ، ﴿ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ يَعنِى : مِن الجنونِ .

وبمثلِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ

ذِكرُ مَن قالَ ذلك

/ حدَّثنى محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسَى ، عن ابنِ أبى ١٠٢/٣ نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ عزَّ وجَلَّ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ : يومَ القيامةِ ، فى أكلِ الرِّبا فى الدنيا[1] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، عن شبلٍ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا رَبيعةُ بنُ كُلثومٍ ، قال : ثنى أبى ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ . قال : ذلك حينَ يُبعَثُ من قبرِه[2] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا مُسلِمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا رَبيعةُ بنُ كُلْثومٍ ، قال : ثنى أبى ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : يُقالُ يومَ القيامةِ لآكلِ الرِّبا : خُذْ سلاحَكَ للحَرْبِ . وقرأ : ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ . قال : ذلك حين يُبعثُ مِن قبرِه[3] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٥.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٤/١ إلى ابن المنذر وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٠/٢ (٢٩٢٠) من طريق ربيعة به ، دون آخره .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن أشْعثَ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ الآيةَ . قال : [٦٢/٨و] يُبعثُ آكلُ الرِّبا يومَ القيامةِ مجنونًا يُخْنَقُ[1] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ : وتلك علامةُ أهلِ الرِّبا يومَ القيامةِ ، بُعِثُوا وبهم خَبَلٌ من الشيطانِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيَى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ . قال : هو التخْبيلُ الذى يَتَخَبَّلُه الشيطانُ مِن الجنونِ[2] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ . قال : يُبعثُون يومَ القيامةِ وبهم خَبَلٌ مِن الشيطانِ ، وهى فى بعضِ القراءةِ : (لا يقُومُون يومَ القيامةِ)[3] .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهيرٍ ، عن جُوَيبرٍ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ . قال : مَن مات وهو يأكلُ الرِّبا ، بُعِثَ يومَ القيامةِ مُتخَبِّطًا ، كالذى يَتَخَبَّطُه الشيطانُ مِن المسِّ .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ٥٦٢/٦ عن جرير به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٠.

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٤/١ إلى المصنف . وهذه القراءة ذكرها ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢٧٠/٢ عن ابن مسعود .

حدَّثني موسَى ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ ﴾ [١] يومَ القيامةِ [١] ﴿ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ . يعْنى : مِن [٢] الجنونِ [٣] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ . قال : هذا مَثَلُهم يومَ القيامةِ ، / لا يقُومُون يومَ القيامةِ مع الناسِ ، إلَّا ١٠٣/٣ كما يَقومُ الذى يُخْنقُ مع الناسِ ، يقومُ [٤] يومَ القيامةِ كأنه خُنِقَ ، كأنه مَجنونٌ .

ومعْنى قولِه : ﴿ يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾ : يتَخَبَّلُه مِن مَسِّه إيَّاه . يقالُ منه : قد مُسَّ الرجلُ [٥] وأُلِسَ [٥] وأُلِقَ ، فهو مَمسوسٌ [٦] ومأْلوسٌ [٦] ومَأْلوقٌ . كلُّ ذلك إذا ألَمَّ به اللَّمَمُ فجُنَّ . ومنه قولُ اللّهِ عزّ وجلّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ ﴾ [الأعراف : ٢٠١] ، ومنه قولُ الأعشَى [٧] :

وتُصْبِحُ عن [٨] غِبِّ السُّرَى وكأنما ... أَلَمَّ بها مِن طائفِ الجنِّ أَوْلَقُ

فإن قال لنا قائلٌ : أفرأيتَ مَن عَمِلَ ما نهَى اللّهُ عنه مِن الرِّبا فى تجارته ولم يأْكُلْه ، أيَستحِقُّ هذا الوعيدَ مِن اللّهِ ؟

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٢) سقط من : الأصل .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٥٤٤/٢ عقب الأثر (٢٨٨٩) من طريق عمرو به .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٥ - ٥) سقط من : م .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٧) ديوانه ص ٢٢١.

(٨) فى الديوان : « من » .

قيل : نعم ، وليس المقصودُ مِن الرِّبا فى هذه الآيةِ [(١] النهىَ عن أكلِه خاصةً ، دونَ النهيِ عن العملِ به ، وإنما خصَّ اللهُ وصْفَ العاملين به فى هذه الآيةِ [١)] بالأكلِ[(٢)] ؛ لأن[(٣)] الذين نزَلتْ [٦٢/٨ظ] فيهم هذه الآياتُ يومَ نزَلتْ ، كانت طُعْمَتُهم ومَأكلُهم مِن الرّبا ، فذَكَرَهم بصِفَتِهم ، مُعظِّمًا بذلك عليهم أمْرَ الرّبا ، ومُقبِّحًا إليهم الحالَ التى هم عليها فى مَطاعِمِهم . وفى قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ الآية . ما يُنْبِئُ[(٤)] عن صحةِ ما قُلنا فى ذلك ، وأنَّ التحريمَ مِن اللّهِ فى ذلك كان لكلِّ مَعانى الرِّبا ، وأن سواءً العملُ به وأكلُه وأخْذُه وإعطاؤُه ، كالذى تظاهَرتْ به الأخبارُ عن رسولِ اللّهِ ﷺ من قولِه : « لَعَنَ اللّهُ آكِلَ الرِّبا ، ومُؤْكِلَه ، وكاتِبَه ، وَشاهِدَيْه إذا عَلِموا[(٥)] به »[(٦)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ .

يَعْنى بقولِه[(٧)] : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ : الذى وصَفَهم اللهُ به مِن قيامِهم يومَ القيامة مِن قبورِهم ، كقيامِ الذى يتخبَّلُه[(٨)] الشيطانُ[(٩)] مِن الجنونِ ، فقال : هذا الذى ذَكَرْنا أنه

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٢) فى م : « الأكل » .
(٣) فى م : « إلا أن » .
(٤) فى الأصل ، ص ، ت ١ : « يبين » .
(٥) فى ص : « عملوا » .
(٦) أخرجه البخارى (٢٠٨٦) من حديث أبى جحيفة ، ومسلم (١٥٩٧) ، وأبو داود (٣٣٣٣) ، والترمذى (١٢٠٦) ، وابن ماجه (٢٢٧٧) ، وغيرهم من حديث عبد الله بن مسعود .
(٧) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بذلك جل ثناؤه » .
(٨) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يتخبطه » .
(٩) بعده فى م : « من المس » .

يُصيبُهم يومَ القيامةِ من قُبْحِ حالِهم ، ووَحْشَةِ قيامِهم مِن قُبورِهم ، وسوءِ ما حَلَّ بهم ، مِن أجلِ أنهم كانوا فى الدنيا يَكْذِبون فيَفْتَرون ويقُولون : ﴿ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ ﴾ الذى أحَلَّه اللّهُ لعبادِه ﴿ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ . وذلك أنّ الذين كانوا يأكلونَ الرِّبا مِن أهلِ الجاهليةِ ، كان إذا حَلَّ مالُ أحدِهم على غَريمِهِ يقولُ الغريمُ لصاحبِ[(1)] الحقِّ : زِدْنى فى الأجلِ وأزيدَك فى مالِكَ . فكان يُقالُ لهما إذا فَعلَا ذلك : هذا ربًا لا يَحِلُّ . فإذا قِيلَ لهما ذلك قالَا : سواءٌ علينا زِدْنا فى أوَّل البيعِ أو عندَ مَحِلِّ المالِ . فكذَّبَهم اللّهُ فى قِيلِهم ، فقال جلّ ثناؤُه : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ ﴾ .

يعنى [(2)] بقولِه : ﴿ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ ﴾ : وأحلَّ[(2)] الأرْباحَ فى التجارةِ والشراءِ والبيعِ ، ﴿ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ﴾ ، يَعنى الزِّيادَةَ التى يُزادُها ربُّ المالِ بسببِ زيادَتِه غريمَه فى الأجلِ وتأخيرِه دَيْنَه عليه . يقولُ تعالى ذكرُه : فليست الزيادتان اللتان / إحْداهما من وَجْهِ البيعِ والأُخْرَى مِن وَجهِ تأخيرِ المالِ والزِّيادةِ فى الأجلِ ، سواءً ، وذلكَ أنِّى حرَّمتُ إحدَى الزيادتينِ - وهى التى مِن وَجْهِ تأخيرِ المالِ والزِّيادةِ فى الأجلِ - وأحْلَلتُ الأخرَى منهما - وهى التى مِن وَجْهِ الزيادةِ على رأسِ المالِ الذى ابتاع به البائعُ سِلْعَته التى يَبيعُها فيستفْضِلُ فضْلَها - فقال اللّهُ جلّ ثناؤه لهم[(3)] : ليست الزيادةُ مِن وجْهِ البيعِ نظيرَ الزِّيادةِ مِن وجهِ الرِّبا ؛ لأنِّى أحْلَلتُ البيعَ وحرَّمتُ الرِّبا ،

١٠٤/٣

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لغريم » .
(٢ - ٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جل ثناؤه وأحل الله » .
(٣) زيادة من : الأصل .

والأمرُ أمْرِى ، والخلقُ خَلْقِى ، أقْضِى فيهم ما أشاءُ ، وأسْتَعْبِدُهم بما أُريدُ ، ليسَ لأحدٍ منهم أنْ يَعترضَ فى حُكْمِى ، ولا أنْ يُخالفَ أمْرِى ، وإنما عليهم طاعتى والتَّسْليمُ لحكمِى .

ثم قال جلّ ثناؤُه : ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ ﴾ . يعْنى بالموعظَةِ التذكيرَ والتخويفَ الذى ذكَّرهم وخوَّفَهم به فى آيِ القرآنِ ، وأوْعدَهُم على أكلِهم الرِّبا مِن العقابِ . يقولُ جلَّ ثناؤُه : فمن جاءَه ذلكَ ، ﴿ فَٱنتَهَىٰ ﴾ عن أكْلِ الرِّبا ، وارْتَدعَ عن العملِ به ، وانزَجرَ عنه ، ﴿ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ ﴾ ، يعْنى : ما أكلَ وأخذَ ، فمضَى قبلَ مجىءِ الموعظةِ والتحريمِ من ربِّه فى ذلك ، ﴿ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ ، يَعنى : وأمْرُ آكلِه (١) إلى اللهِ (١) بعد مَجيئِه الموعظةُ مِن ربِّه والتحريمُ ، وبعدَ انتهاءِ آكِلِه عن أكْلِه ، ﴿ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ فى عِصْمتِه وتوفيقِه ، إن شاءَ عصَمه عن أكْلِه ، وثبَّتَه فى انتهائِه عنه ، وإن شاءَ خَذَله عن ذلك ، ﴿ وَمَنۡ عَادَ ﴾ ، يقولُ : ومن عادَ لأكْلِ الرِّبا بعدَ التحريمِ ، وقال ما كان يقولُه قَبلَ مجىءِ الموعظةِ من اللهِ بالتحريمِ من قولِه : ﴿ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ ﴾ ، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ : يعْنى ففاعِلُو ذلك وقائِلُوه هم أهلُ النارِ ، يعْنى نارَ جهنم ، ﴿ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ ، (١) يعنى : دائمو البقاءِ فيها ، لا يموتون فيها ولا يَخرُجون منها (١) .

وبنحوِ ما قُلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قالَ ما قلنا فى قولِه : ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ ﴾ .

[٦٣/٨و] **حدَّثنى** موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عَمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ : أما الموعظةُ فالقرآنُ ، وأما ﴿ مَا سَلَفَ ﴾ : فلَه ما أكَلَ من الرِّبا[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾ .

يَعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ : يَنقُصُ اللّهُ الرِّبا فيذْهِبُه .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ ﴾ . قال : يَنقُصُ[2] .

وهذا نَظِيرُ الخبرِ الذى رُوى عن عبدِ اللّهِ بنِ مسعودٍ ، عن النبىِّ ﷺ أنه قال : « الرِّبا وإن كَثُرَ فإلى قُلٍّ »[3] .

وأما قولُه جل ثناؤه : ﴿ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ ﴾ . فإنه تعالى ذكرُه يعْنى : أنه يُضاعِفُ أجرَها لرَبِّها ، ويُنمِّيها له .

وقد بيَّنا معنَى الرِّبا قَبلُ ، والإرباءِ ، وما أصلُه ، بما فيه الكفايةُ من إعادَتِه .

فإن قال قائلٌ : وكيفَ إرباءُ اللّهِ الصدقاتِ ؟

قيل : إضعافُه الأجرَ لربِّها ، كما قال : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ/ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ ﴾ ١٠٥/٣

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٥/٢ ، ٥٤٦ (٢٨٩٤) ، عقب الأثر (٢٨٩٨) من طريق عمرو بن حماد به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٥/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) القل : القلة ، كالذل والذلة ، أى أنه وإن كان زيادة فى المال عاجلا فإنه يؤول إلى نقص . ينظر النهاية ٤/ ١٠٤ .

والحديث أخرجه أحمد ٢٩٧/٦ ، ١٢٦/٧ (٣٧٥٤، ٤٠٢٦) ، وابن ماجه (٢٢٧٩) ، والحاكم ٢/ ٣٧، ٤/ ٣١٧، والطبرانى (١٠٥٣٨، ١٠٥٣٩) .

[البقرة: ٢٦١] ، وكما قال: ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ﴾ .

وكما حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، قال : ثنا عبادُ بنُ منصورٍ ، عن القاسِمِ ، أنه سمعَ أبا هريرةَ يقولُ : قال رسولُ اللّهِ ﷺ : « إنَّ اللّهَ يَقْبَلُ الصدقةَ ويَأْخُذُها بِيمينِه ، فيُرْبيها لأحدِكُمْ كمَا يُرْبِى أحَدُكم مُهْرَه ، حتى إنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ »[(١)] . [(٢)]وتَصْديقُ ذلك فى كتابِ اللّهِ : [(٣)]وهو الذى يَقْبَلُ التوبةَ عن عبادِه ويَأْخُذُ الصدقاتِ[(٣)] ، و﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[(٢)] .

حدَّثنى سليمانُ بنُ عُمرَ بنِ خالدِ بنِ[(٤)] الأقطعِ الرَّقِّىُّ ، قال : ثنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ ، عن عَبَّادِ بنِ منصورٍ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، عن أبى هريرةَ ، ولا أُراهُ إلّا قد رَفعَه ، قال : « إنّ اللّه عزّ وجلّ يقبلُ الصَّدقةَ ، ولا يقبلُ منها[(٥)] إلّا الطَّيبَ[(٦)] » .

---

(١) أخرجه الترمذى (٦٦٢) عن أبى كريب به . وأخرجه ابن أبى شيبة ١١١/٣ ، وأحمد ١٠٥/١٦ (١٠٠٨٨) ، وابن خزيمة (٢٤٢٧) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٤٧/٢ (٢٩٠٨) ، ١٨٧٧/٦ من طريق وكيع به . وأخرجه أبو عبيد فى الأموال ص ٤٣٧ (٨٩٦) ، وأحمد ١٣٨/١٥ (٩٢٤٥) ، ١٠٥/١٦ (١٠٠٨٨) ، وابن زنجويه فى الأموال ٧٥٩/٢ (١٣٠٢) - ومن طريقه البغوى فى شرح السنة (١٦٣٠) - وابن خزيمة (٢٤٢٧) من طريق عباد بن منصور به .

(٢ - ٢) لعل هذه الزيادة إدراج فى متن هذا الحديث . وقد أدرجت هذه الزيادة أيضًا - دون لفظ آية التوبة - فى الحديث الذى رواه القاسم عن عائشة .

(٣ - ٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات » ، واضطرب فيها ناسخ النسخة ت ٢ ، والمثبت من الأصل ، وهو موافق لرواية المسند والترمذى كما فى تحفة الأحوذى ، وهو خلط بين الآية ١٠٤ من سورة التوبة وبين الآية ٢٥ من سورة الشورى ، وليست هذه الآية موضع استشهاد فى الحديث ههنا . وهذا الخطأ الذى ثبت فى الأصل هنا وفى هذه المصادر خطأ قديم ، فقد ثبت هذا الخطأ فى جامع المسانيد ٣٢٠/٧ (نقلا عن الشيخ شاكر) ، وقال عنه العراقى - كما فى تحفة الأحوذى ٢٣/٢ -: فى هذا تخليط من بعض الرواة ، والصواب ... وقد رويناه فى كتاب الزكاة ليوسف القاضى على الصواب .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣.

(٥) زيادة من : ت ٢ ، ت ٣.

(٦) جزء من الحديث السابق ، وسيأتى بالإسناد نفسه فى سورة التوبة الآية (١٠٤) .

وحدَّثنى محمدُ بنُ عمرَ[1] بنِ[2] علىٍّ المقدَّمِىُّ ، قال : ثنا رَيْحانُ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا عبادٌ ، عن القاسمِ ، عن عائشةَ ، قالتْ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنّ اللَّهَ يَقْبَلُ [٨/ ٦٤و] الصدَقاتِ[3] ، وَلا يَقْبَلُ منها إلا الطَّيِّبَ ، ويُرْبِيها لصاحِبِها[4] كما يُرْبِى أحَدُكم مُهْرَهُ أوْ فَصيلَه ، حتى إن اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ » ، وتَصْديقُ ذلك فى كتابِ اللَّهِ : ﴿ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِۗ ﴾[5] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ الملكِ ، قال : ثنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرنا مَعمرٌ ، عن أيوبَ ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ العَبْدَ إذا تصَدَّقَ مِن طَيِّبٍ ، تقَبَّلَها[6] اللَّهُ منه ، ويَأْخُذُها بيَمينِه ، وَيُرْبِيها كمَا يُرْبِى أحَدُكم مُهْرَه أوْ فَصِيلَه ، وإنَّ الرجلَ ليَتَصَدَّقُ باللُّقْمَةِ فتَرْبُو فِى يَدِ اللَّهِ - أو قال : فى كفِّ اللَّهِ - حتى تَكُونَ مِثْلَ أُحُدٍ ، فتَصَدَّقُوا »[7] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : ثنا المُعْتمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ يونسَ ، عن صاحبٍ له ، عن القاسمِ بنِ محمدٍ ، قال : قال أبو هريرةَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ بيَمِينِه ، ولا يَقْبَلُ منها إلَّا ما كان طَيِّبًا ، واللَّهُ يُرْبِى لأحَدِكم لُقْمَتَه ، كمَا يُرْبِى أحدُكُمْ مُهْرَهُ وفَصِيلَه ، حتى يُوافَى بها يَوْمَ القِيامَةِ - وهى أعْظَمُ مِن أُحدٍ » .

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « عمرو » .

(٢) فى الأصل : « قال نا » . وفى الحاشية : « فى الأم : قال : عمر بن على المقدمة » . وينظر : تهذيب الكمال ٢٦/ ١٧٤.

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « الصدقة » .

(٤) فى الأصل : « لصاحبه » .

(٥) أخرجه أحمد ٢٥١/٦ (الميمنية) من طريق القاسم به .

(٦) فى الأصل ، ت ١: « يقبلها » .

(٧) أخرجه معمر فى جامعه (٢٠٠٥٠) عن أيوب به ، وأخرجه أحمد ٧٣/١٣ (٧٦٣٤) ، وابن خزيمة (٢٤٢٦) من طريق عبد الرزاق به .

وأما قولُه : ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ . فإنه يعنى به : واللَّهُ لا يحبُّ كُلَّ مُصِرٍّ على كُفرٍ[1] ، مُقيمٍ عليه ، مُستحلٍّ أكْلَ الرِّبا وإطْعامَه ، ﴿ أَثِيمٍ ﴾ : مُتَمادٍ فى الإثمِ بربِّه[2] فيما نَهاهُ عنه من أكْلِ الرِّبا والحرامِ وغيرِ ذلك من معاصِيه ، لا يزجِرُ عن ذلك ، ولا يرْعوِى عنه ، ولا يتعِظُ بموعظةِ ربِّه التى وعظَه بها فى تنزيلِه وآيِ كتابِه .

١٠٦/٣ / القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ من اللَّهِ جلَّ ثناؤُه بأنَّ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ، يعْنى : الذين صَدَّقُوا باللَّهِ وبرسولِه ، وبما جاء به مِن عندِ ربِّه[3] ، من تحريمِ الرِّبا وأكْلِه وغيرِ ذلك من سائرِ شَرائعِ دِينِه ، ﴿ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ التى أمَرَهُم اللَّهُ بها ، والتى نَدَبَهم إليها ، ﴿ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ المفروضَةَ بحدودِها ، وأدَّوها بِسُنَّتِها[4] ، ﴿ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ المفروضةَ عليهم فى أموالِهم ، بعدَ الذى سلَف منهم من أكْلِ [٦٤/٨ظ] الرِّبا ، قبل مَجىءِ الموعظةِ فيه مِن عندِ ربِّهم ، ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾ ، يَعنى ثوابَ ذلك مِن أعمالِهم وإيمانِهم وصَدَقتِهم ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ يومَ حاجَتِهم إليه فى مَعادِهم ، ﴿ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ﴾ يومئذٍ مِن عقابِه على ما كان سلَفَ منهم فى جاهِليتِهم وكُفْرِهم ، قبلَ مجيئِهم موعظةُ رَبِّهم ، من أكلِ ما كانوا أكلوا مِن الرِّبا ، بما كان من إنابَتِهم ، وتوبَتِهم إلى اللَّهِ مِن ذلك عندَ مَجِيئِهم المَوْعِظةُ مِن ربِّهم ، وتَصْدِيقِهم بوعْدِ اللَّهِ ووَعيدِه ، ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ على تركِهم ما كانوا تركُوا[5] فى الدنيا ، من أكْلِ

---

(١) بعده فى م : « بربه » .
(٢) سقط من : م .
(٣) فى م : « ربهم » .
(٤) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « بسننها » .
(٥) بعده فى ت ٢ : « من ذلك » .

الرِّبا والعَملِ به ، إذ عايَنُوا جزِيلَ ثوابِ اللّهِ لهم[1] على تَرِكِهم ما تَرَكُوا مِن ذلك فى الدنيا ، ابتغاءَ رضْوانِه فى الآخرةِ ، فوصَلوا إلى ما وُعِدُوا على تَرْكِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ ﴾ .

يَعنى جَلَّ ثناؤه[2] : يأيها الذين[3] صَدَّقُوا باللّهِ وبرسولِه ، ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ . يقولُ : خافوا اللّهَ على أنفُسِكم ، فاتقوه بطاعتِه فيما أمَرَكم به ، والانتهاءِ عما نَهاكم عنه ، ﴿ وَذَرُواْ ﴾ . يَعنى : ودَعُوا ﴿ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ . يقولُ : اترُكوا طلبَ ما بقِىَ لكم مِن فَضْلٍ على رءوسِ أموالِكم التى كانتْ لكم قبلَ أن تُرْبُوا عليها ، ﴿ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ : إنْ كنتم مُحققِينَ إيمانَكم قوْلًا ، وتَصْدِيقَكم بألْسِنَتِكم بأفْعالِكم .

وذُكِرَ أن هذه الآيةَ نَزلتْ فى قومٍ أسلَموا ، ولهم على قومٍ أموالٌ من ربًا كانوا أَرْبَوه عليهم ، وكانوا قد اقتضَوا[4] بعضَه منهم ، وبَقِىَ بعضٌ ، فعفا اللّهُ عزَّ وجلَّ لهم عما كانوا قد اقتضَوه قبلَ نزولِ هذه الآيةِ ، وحرَّم عليهم اقتضاءَ ما بَقِىَ منه .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عَمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ إلى ﴿ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ . قال : نزَلتْ هذه الآيةُ فى العباسِ بنِ عبدِ المطلبِ ورجلٍ مِن بنى المغيرةِ ، كانا شريكَين فى الجاهِليةِ ، يُسْلِفان[5] [٨/٦٥و] فى الرِّبا إلى ناسٍ مِن

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢: « وهم » .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢: « بذلك » .

(٣) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢: « آمنوا » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢: « قبضوا » .

(٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢: « سلفا » .

١٠٧/٣ ثقيف ، مِن / بنى غِيرةَ[١] ، وهم بنو عَمرِو بنِ عُميرٍ ، فجاء الإسلامُ ولهما أموالٌ عظيمةٌ فى الرِّبا ، فأنزلَ اللَّهُ : ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ ﴾ مِن فَضْلٍ كان فى الجاهليةِ ﴿ مِنَ الرِّبَوٰٓا ﴾[٢] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . قال : كانت ثَقيفٌ قد صالحَتِ النبيَّ ﷺ على أنَّ ما لهم مِن ربًا على الناسِ [٣]فهو لهم[٣] ، وما كان للناسِ عليهم مِن ربًا فهو مَوْضوعٌ ، فلمَّا كان الفتحُ ، استعمَلَ عَتَّابَ بنَ أَسيدٍ على مكةَ ، وكانت بنو عَمرِو بنِ عُميرِ بنِ عَوْفٍ يأخذون الرِّبَا مِن بنى المغيرةِ ، وكانت بنو المغيرةِ يُرْبُون لهم فى الجاهليةِ ، فجاء الإسلامُ ولهم عليهم مالٌ كثيرٌ ، فأتاهم بنو عَمرٍو يطلُبون رِبَاهم ، فأبَى بنو المغيرةِ أنْ يُعطُوهم فى الإسلامِ ، ورَفَعوا ذلك إلى عَتَّابِ بنِ أَسِيدٍ ، فكَتَب عتَّابٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فنزلَتْ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ، إلى ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ ، فكتَبَ بها رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى عتَّابٍ ، وقال : « إنْ رَضُوا وَإِلَّا فَآذِنْهُمْ بِحَرْبٍ » . قال ابنُ جُريجٍ ، عن عكرمةَ قولَه : ﴿ ٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا ﴾ . [٤]يقولُ : لبنى عمرِو بنِ عميرٍ[٤] . قال : كانوا يأخذون الرِّبا على بنى المغيرةِ ، يزْعُمون أنهم مَسعودٌ وعبدُ ياليلَ وحبيبٌ وربيعةُ ؛ بنو عَمرِو بنِ عُميرٍ ، فهم الذين كان لهم الرِّبا على بنى المغيرةِ ، فأسلَم عبدُ ياليلَ وحبيبٌ وربيعةُ وهلالٌ ومسعودٌ[٥] .

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « عمرة » ، وفى م : « عمرو » . وينظر جمهرة أنساب العرب ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ٥٤٨/٢ (٢٩١٣) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ومكانه بياض فى ت ٢.

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢.

(٥) ذكره الحافظ فى الإصابة ٦/ ٥٥١، ٥٥٢، والسيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٦٦، وعزياه إلى المصنف . وقال الحافظ : وفى ذكر مصالحة ثقيف قبل قوله : فلما كان الفتح . نظر ، ذكرت توجيهه فى أسباب النزول .

وحدَّثني يحيى[(١)] بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جُويبرٌ ، عن الضحاكِ في قولِه : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ . قال : كان ربًا يَتَبايَعُون به في الجاهليةِ ، فلمَّا أسْلَموا أُمِرُوا أنْ يأخذوا رُءوسَ أموالِهم[(٢)] .

القولُ في تأويلِ قولِهِ جلّ ثناؤُه : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ .

[٦٥/٨ظ] يَعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا ﴾ : فإن لمْ تَذَرُوا ما بقِيَ من الرِّبا .

واختلفَ القَرأةُ في قراءةِ قولِه : ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ ؛ فقرأتْه عامَّةُ قرأةِ أهلِ المدينةِ : ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ بقصرِ ألفِ[(٣)] ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ ، وفتحِ ذَالِها ، بمعنَى : كونوا على علمٍ وإذْنٍ .

وقرأَهُ آخرون - وهي قراءةُ عامَّةِ قرأةِ الكوفيين - : (فآذِنوا) بمدِّ الألفِ مِن قولِه : (فآذنوا) وكسرِ ذالِها ، بمعنى : فآذِنُوا غيرَكم : أعْلِموهم وأخْبِرُوهم بأنكم على حَرْبِهم[(٤)] .

وأَوْلَى القراءتين بالصَّوابِ في ذلك قراءَةُ مَن قرأَ : ﴿ فَأْذَنُوا ﴾ بقصرِ أَلِفِها وفتحِ ذالِها ، بمعنى : اعْلَمُوا ذلكَ واستيقِنوه ، وكونوا على إذنٍ مِن اللّهِ لكم بذلك .

وإنما اخْتَرنا ذلكَ لأنَّ اللّهَ جلّ ثناؤُه إنما أمَرَ نبيَّه ﷺ أن يَنْبِذَ إلى مَن أقامَ على

---

(١) في م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « على » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم ٥٥١/٢ (٢٩٢٩) من طريق جويبر به بنحوه . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٦٦/١ إلى عبد بن حميد .

(٣) في الأصل ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « الألف » ، وفي م ، ت ٣: « الألف من » .

(٤) بقصر الألف وفتح الذال قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي وابن عامر ، وكذا روى حفص والمفضل عن عاصم ، وبمد الألف وكسر الذال قرأ عاصم في رواية أبي بكر ، وحمزةُ ، ومن طريق أبي يوسف الأعشى عن أبي بكر عن عاصم بالوجهين . السبعة لابن مجاهد ص ١٩٢ .

١٠٨/٣ شركِه ، الذى لا يُقَرُّ على المُقامِ عليه ، وأنْ يَقْتُلَ المرتدَّ عن / الإسلامِ منهم بكلِّ حالٍ ، إلا أنْ يُراجِعَ الإسلامَ ، آذَنَه المشركون بأنهم على حرْبِه أو لمْ يُؤْذِنُوه ، فإذْ كان المأمورُ بذلك لن يَخلُوَ مِن أحدِ أمريْن ؛ إما أنْ يكونَ كان مُشركًا مُقيمًا على شركِه الذى لا يُقَرُّ عليه ، أو يكونَ كان مسلمًا فارْتدَّ [(١] عن إسلامِه [١)] فأُذِن بحربٍ ، فأىُّ الأمريْن كان ، فإنَّما نُبِذَ إليه بحربٍ ، لا أنّه أُمِرَ بالإيذانِ[(٢)] بها إن عزَم على ذلك ؛ لأنَّ الأمرَ إنْ كان إليه ، فأقام على أكْلِ الرِّبا مُستحِلًّا له ، ولمْ يُؤْذِنِ المسلمين[(٣)] بالحربِ ، لم يَلْزمْهم حَرْبُه ، وليس ذلكَ حُكمَه فى واحدةٍ من الحالتين ، فقد علِم أنه المأذونُ بالحربِ لا الآذِنُ بها . وعلى هذا التأويلِ تأوَّله أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ ﴾ إلى : ﴿ فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ : فمن كان مقيمًا على الرِّبا لا يَنْزِعُ عنه ، فحقٌّ على إمامِ المسلمينَ أنْ يَسْتَتِيبَه ، فإنْ نَزَع ، وإلَّا ضرَب عُنقَه[(٤)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا مُسلِمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ربيعةُ بنُ كلثومٍ ، قال : ثنى أبى ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : يقالُ يومَ القيامةِ لآكِلِ الرِّبا : خُذْ سِلاحكَ للحرْبِ[(٥)] .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س .

(٢) فى ص ، ت ١ ، س : « بالإنذار » .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « المسلمون » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٥٠ (٢٩١٩) من طريق أبى صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٦٦ إلى ابن المنذر .

(٥) تقدم تخريجه فى ص ٣٩ .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ ، قال : ثنا ربيعةُ بنُ كُلثومٍ ، قال : ثنى أبى ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه .

وحدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ [٦٦/٨و] تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ : أوْعدَهُم اللّهُ بالقتلِ كما تَسْمَعونَ ، فجعلَهم بَهْرَجًا[1] أينما ثُقِفُوا[2] .

وحدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبَةَ ، عن قَتادةَ مثلَه .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ قال : أوْعدَ[3] آكلَ الرِّبا بالقتلِ[4] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ قولَه : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ : فاسْتَيقِنوا بحربٍ من اللّهِ ورسولِه[5] .

وهذه الأخبارُ كُلُّها تُنبئُ عن أنّ قولَه : ﴿ فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ إيذانٌ مِن اللّهِ لهم بالحربِ والقتلِ ، لا أمْرٌ لهم بإيذانِ غَيرِهم بذلك[6] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ ﴾ .

---

(١) البهرج : الشيء المباح ، يقال : بهرج دمه : أهدره . التاج (بهرج) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ٥٥٠/٢ (٢٩٢٢) من طريق شيبان عن قتادة به .

(٣) بعدها إحالة غير واضحة فى الأصل .

(٤) عزاه ابن كثير فى تفسيره ٤٩٠/١ إلى المصنف .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٦/١ إلى المصنف وابن المنذر وابن أبى حاتم ، وذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٠/٢ عقب الأثر (٢٩٢٢) معلقًا عن ابن جريج ، عن ابن عباس .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س .

يَعنى جلَّ ثناؤُه بذلك : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ ﴾ فتركتُم أكْلَ الرِّبا ، وأَنَبْتُم إلى اللَّهِ عزّ وجلّ ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ . يعْنى[1] : من الديونِ التى لكم على الناسِ دونَ الزِّيادَةِ التى أحْدَثْتُمُوها[2] على ذلك رِبًا منكم .

كما حدَّثنا ابنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ/ أَمْوَالِكُمْ ﴾ : [3]والمالُ[3] الذى لهم على ظهورِ الرجالِ ، جَعَلَ لهم رُءُوسَ أموالِهم حينَ نزَلتْ هذه الآيةُ ، فأمّا الرِّبحُ والفضْلُ فليس لهم ، لا ينْبغى لهم أنْ يأخُذوا منه شيئًا[4] .

١٠٩/٣

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنى عَمرُو بنُ عَوْنٍ ، قال : ثنا هُشيمٌ[5] ، عن جُوَيبرٍ ، عن الضحاكِ ، قال : وضَعَ اللَّهُ الرِّبَا ، وجعلَ لهم رُءُوسَ أموالِهم[6] .

وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سعيدِ بنِ أبى عَرُوبةَ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ . قال : ما كان لهم من دَينٍ ، فجعَل لهم أن يأخُذوا رُءُوسَ أموالِهم ، لا يزْدادُوا عليه شيئًا .

وحدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عَمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ : التى[7] أسْلفْتُم ، وسَقَطَ الرِّبا .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ذُكِر لنا أن نبىَّ

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س .
(٢) فى س : « أخذتموها » .
(٣ - ٣) فى م : « المال » .
(٤) أخرجه ابن أبى حاتم ٥٥١/٢ (٢٩٢٦) من طريق يزيد به .
(٥) فى الأصل : « هشام » .
(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٠/٢ (٢٩٢٣) من طريق جويبر به بنحوه .
(٧) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « الذى » .

اللَّهِ ﷺ [٦٦/٨ظ] قال فى خُطْبتِه يومَ الفتْحِ : « ألا إنَّ ربَا الجاهِليَّةِ مَوْضُوعٌ كُلُّه ، وأوّلُ رِبًا أبْتَدِئُ بهِ رِبَا العَبَّاسِ بنِ عبدِ المُطَّلِبِ »[(١)] .

وحدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ قال فى خُطْبتِه بمِنًى[(٢)] : « إنَّ كُلَّ ربًا [(٣)] فى الجاهِليَّةِ[(٣)] مَوْضُوعٌ ، وأوَّلُ رِبًا يُوضَعُ رِبا[(٤)] العَبَّاسِ » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾﴾ .

يَعنى بذلك[(٥)] : ﴿لَا تَظْلِمُونَ﴾ بأخْذِكم رُءُوسَ أموالِكم التى كانت لكم قبلَ الإرْباءِ على غُرَمَائِكم منهم ، دونَ أرْباحِها التى زِدْتُمُوها ربًا على[(٦)] مَن أخذْتُم ذلك منه مِن غُرَمائِكم ، فتأخُذُوا منهم ما ليس لكم أخْذُه ، أوْ لمْ يكنْ لكم قبلُ ، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ يقولُ : ولا الغريمُ الذى يُعطِيكم ذلك دونَ الربحِ[(٧)] الذى كنتم ألزَمْتمُوه من أجلِ الزِّيادةِ فى الأجلِ ، يَبخَسُكم حقًّا لكم عليه ، فيمْنعُكموه ؛ لأنَّ ما زادَ على رءوسِ أموالِكم لمْ يكنْ حقًّا لكم عليه ، فيكونَ بمنعِه إيّاكم ذلكَ ظالمًا لكم .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك كان ابنُ عباسٍ يقولُ فيه وغيرُه مِن أهلِ التأويلِ .

---

(١) لم نقف عليه بهذا الإسناد ، وأصل الحديث عند مسلم (١٢١٨) من حديث جابر رضى الله عنه ، وغيره .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س .

(٤) فى ت ٢ : « ما » .

(٥) فى ص ، م ، ت ٢ ، س : « بقوله » ، وفى ت ١ : « قوله » .

(٦) زيادة من : م .

(٧) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « الربا » .

ذِكرُ مَن قالَ ذلك

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ ﴾ : فتَرْبون ، ﴿ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ فتُنْقَصُون[1] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَٰلِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ ﴾ . قال : لا تُنقَصُونَ مِن أموالِكم ، ولا تأخُذونَ باطِلًا لا يَحِلُّ لكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : [٦٧/٨و] ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ .

١١٠/٣ / يَعنى جلَّ ثناؤه بذلك : ﴿ وَإِن كَانَ ﴾ ممن تَقبِضون منه مِن غُرمائِكم رُءُوسَ أموالِكم ﴿ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ ، يعْنى مُعسرًا برءُوسِ أموالِكم التى كانت لكم عليهم قَبلَ الإرْباءِ ، فأنْظِروهُم إلى مَيْسرَتِهم .

وقولُه : ﴿ ذُو عُسْرَةٍ ﴾ مرفوعُ بـ ﴿ كَانَ ﴾ ، والخبرُ متروكٌ ، وهو ما ذَكرْنا . وإنما صلَح تركُ خبرِها من أجلِ أنّ النكراتِ تُضمِرُ لها العربُ أخبارَها . ولَوْ وُجِّهتْ ﴿ كَانَ ﴾ فى هذا الموضعِ إلى أنها بمعنَى الفعلِ المُكْتَفِى بنفْسِه التامِّ ، لكان وجْهًا صحيحًا ، ولمْ تكنْ بها حاجةٌ حينئذٍ إلى خبرٍ ، فيكونُ تأويلُ الكلامِ عندَ ذلك : وإن وُجِد ذُو عُسرَةٍ مِن غُرَمائِكم برءُوسِ أموالِكم ، فنَظِرةٌ إلى مَيسرَةٍ .

وقد ذُكرَ أن ذلك فى قراءةِ أُبىّ بنِ كعبٍ : (وَإِنْ كانَ ذا عُسْرَةٍ)[2] بمعنى : وإنْ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم ٥٥١/٢ (٢٩٣٠) من طريق أبى صالح به .

(٢) ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ١٨٦، وذكر أنها قراءة ابن مسعود أيضا .

كان الغريمُ ذَا عُسرَةٍ ، فنَظِرةٌ إلى مَيسرَةٍ . وذلك وإنْ كان فى العربيةِ جائزًا ، فغيرُ جائزةِ القراءةُ به عندَنا ؛ لخلافِه خطوطَ مَصاحفِ المسلمين .

وأما قولُه : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . فإنه يَعنِى : فعليكم أن تُنْظِرُوه إلى مَيسرَتِه ، كما قال : ﴿ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ ﴾ . وقد ذَكَرْنا وجْهَ رفعِ ما كان مِن نَظائرِ هذا فيما مضَى قَبلُ[1] ، فأغْنَى ذلك عن تكريرِه .

والميسَرةُ : المفْعَلةُ من اليُسرِ ، مثلُ المرْحمةِ والمشْأمةِ .

ومعنى الكلامِ : وإنْ كان مِن غُرمائِكم ذُو عُسرَةٍ ، فعليكم أن تُنظِرُوه حتى يُوسِرَ بما[2] لكم ، فيصيرَ مِن أهلِ اليُسرِ به .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى واصلُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : ثنا محمدُ بنُ فُضيلٍ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قوله : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : نَزلتْ فى الرِّبا[3] .

[٦٧/٨ظ] وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبَرنا هشامٌ ، عن ابنِ سيرينَ ، أنَّ رجلًا خاصَم رجلًا إلى شُريحٍ ، فقضَى عليه وأمَر بحبْسِه ، قال :

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٣٥٧/٣ ، ٣٥٨.

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، س : « ليس » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٢/٢ (٢٩٣٤) من طريق محمد بن فضيل به ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (تفسير - ٤٥٤) من طريق يزيد بن أبى زياد به .

فقال رجلٌ عندَ شُريحٍ : إنه مُعسِرٌ ، واللَّهُ يقولُ فى كتابِه : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : فقال شُريحٌ : إنما ذلك فى الرِّبا ، وإن اللَّهَ قال فى كتابِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ﴾ [النساء: ٥٨] . ولا يأمُرُنا اللَّهُ بشىءٍ ثم يُعذِّبُنا عليه[(١)] .

وحدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبَرنا مُغيرةُ ، عن إبراهيمَ فى قولِه : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : ذلك فى الرِّبا[(٢)] .

وحدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبَرنا مُغيرةُ ، عن الحسنِ[(٣)] ، أنّ الربيعَ بنَ خُثَيْمٍ[(٤)] كان له على رجلٍ حقٌّ ، فكان يأتِيه ، فيقومُ على بابِه ، ويقولُ : أَثَمَّ[(٥)] فلانٌ ؟ إنْ كنتَ مُوسِرًا فأَدِّ ، وإنْ كنتَ مُعسِرًا فإلى مَيسرَةٍ[(٦)] .

١١١/٣ / وحدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أيوبَ ، عن محمدٍ ، قال : جاء رجلٌ إلى شُرَيْحٍ ، فكلَّمه ، فجعَل يقولُ : إنه مُعْسِرٌ[(٧)] ، قال : فظَننتُ أنه يُكلِّمُه فى محبوسٍ ، فقال شُرَيْحٌ : إن الرِّبا كان فى هذا الحىِّ من الأنصارِ ، فأنزَل اللَّهُ عزّ وجل : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . وقال اللَّهُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٥٣ - تفسير) من طريق هشيم عن هشام وعن يونس معًا ، دون قوله بعد الآية .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٥٢ - تفسير) عن هشيم به .

(٣) كذا فى الأصل ، م ، وفى ص ، ت ٢، س : « الحسى » ، وفى ت ١: « الخشنى » ، ورجح الشيخ شاكر أنها الشعبى ، وذكر محقق تفسير سعيد بن منصور أن رسمها عنده : الحجبى ، واستشكلها ثم قال : ولم أجد الحديث عند غيرهما حتى أتمكن من حل هذا الإشكال .

(٤) فى الأصل : « جبير » ، وفى م ، ت ١، ت ٢، س : « خيثم » .

(٥) فى م : « أى » .

(٦) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٥٢- تفسير) عن هشيم به ، وفيه الإشكال المتقدم فى الراوى عن الربيع .

(٧) بعده فى ص ، م ، ت ١، س : « إنه معسر » .

ٱلْأَمَنَنَتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾ . فما كان اللهُ ليأْمُرَنا بأمرٍ ثم يُعَذِّبَنا عليه ، أدُّوا الأماناتِ إلى أهلِها[1] .

حدَّثنا يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : فنَظِرةٌ إلى ميسرةٍ برأسِ مالِه[2] .

وحدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ : إنما أُمِر فى الرِّبا أن يُنْظَرَ المعسِرُ ، وليست النظِرةُ فى الأمانةِ ، ولكن تُؤَدَّى[3] الأمانةُ إلى أهلِها[4] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عَمرُو بنُ حمَّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ ﴾ برأسِ المالِ ﴿ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . يقولُ : إلى غنًى[5] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ : هذا فى شأنِ الرِّبا[6] .

حُدِّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا مُعاذٍ ، قال : أخبَرَنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ الضحَّاكَ فى قولِه : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ : هذا فى شأنِ الربا ، وكان أهلُ الجاهليةِ [٦٨/٨و] بها يتبايَعون ، فلمَّا أسْلَم مَن أسْلَم

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه ٣٠٥/٨ (١٥٣٠٩) ، ووكيع فى أخبار القضاة ٣٦٠/٢ ، والنحاس فى ناسخه ص ٢٦٣ من طريق أيوب به بنحوه .

(٢) تقدم بمعناه فى ص ٥٤.

(٣) فى ص ، ت ٢: « مؤدى » ، وفى م ، ت ١ ، س : « يؤدى » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٢/٢ (٢٩٣٥) عن محمد بن سعد به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٣/٢ (٢٩٤٠) من طريق عمرو بن حماد به .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٨/١ إلى ابن المنذر .

منهم ، أُمِروا أن يأخُذوا رءوسَ أموالِهم[(١)] .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ : يعْنى المطلوبَ[(٢)] .

وحدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن أبى جعفرٍ فى قولِه : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : الموت[(٣)] .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا إسرائيلُ ، عن جابرٍ ، [(٤)]عن محمدِ بنِ[(٤)] علىٍّ مثلَه .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا قَبيصَةُ بنُ عقبةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن المغيرةِ ، عن إبراهيمَ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : هذا فى الربا .

وحدَّثنا أحمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ فى الرجلِ يَتَزَوَّجُ إلى ميسرةٍ ، قال : إلى الموتِ أو إلى فُرقةٍ .

وحدَّثنا أحمدُ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : ذلك فى الربا[(٥)] .

١١٢/٣ / وحدَّثنا أحمدُ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا مِنْدَلٌ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٦٨/١ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٢/٢ (٢٩٣٢) من طريق أبى صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٣/٢ (٢٩٣٩) من طريق وكيع به .

(٤ - ٤) فى الأصل : « بن محمد عن » .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٥٢ - تفسير) عن هشيم به .

﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : يُؤَخِّرُه ولا يَزِدْ عليه ، وكان إذا حلَّ دَيْنٌ بعضِهم فلم يَجِدْ ما يُعْطِيه ، زاد عليه وأخَّره .

وحدَّثنى أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نعيمٍ ، قال : ثنا مِنْدَلٌ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : يُؤَخِّرُه ولا يَزِدْ عليه .

وقال آخرون : بل هذه الآيةُ عامٌّ[1] فى كلِّ مَن كان له قِبَلَ رجلٍ مُعْسرٍ حقٌّ ، من أيِّ وجهٍ كان ذلك الحقُّ ، مِن دَينٍ حلالٍ أو رِبًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

[2]حدَّثنا القاسمُ ، قال : حدَّثنا الحسينُ ، قال : حدَّثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال لى عطاءٌ : ذلك فى الرِّبا والدَّيْنِ ، فى كلِّ ذلك[2] .

حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : أخبرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحَّاكِ ، قال : مَن كان ذا عُسرةٍ ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . قال : وكذلك كلُّ دَينٍ على مسلمٍ ، فلا يَحِلُّ لمسلمٍ له دينٌ على أخيه يعْلَمُ منه عُسرةً أن يَسْجُنَه ، ولا يَطْلُبَه منه حتى يُيَسِّرَه اللّهُ عليه ، وإنما جَعَل النظِرةَ فى الحلالِ فمِن أجلِ ذلك كانت الديونُ على ذلك[3] .

حدَّثنا علىُّ بنُ حربٍ ، قال : ثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن

---

(١) فى م : « عامة » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٥٢ (٢٩٣٧) من طريق ابن جريج به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٦٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ . قال : نزَلت في الدَّيْنِ[1] .

والصوابُ من القولِ في قولِه : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾ .
أنه يَعْنى به غُرَماءَ الذين كانوا أسْلَموا على عهدِ رسولِ اللهِ ﷺ ، ولهم عليهم ديونٌ قد أربَوا فيها [٦٨/٨ظ] في الجاهليةِ ، فأدركهم الإسلامُ قبلَ أن يَقْبِضوها منهم ، فأمَر اللهُ بوضعِ ما بَقِي من الربا بعدَ ما أسْلَموا ، واقتضاءِ[2] رءوسِ أموالِهم ممن كان منهم مِن غُرَمائِهم مُوسِرًا ، وإنظارِ مَن كان منهم مُعْسِرًا برءوسِ أموالِهم إلى ميسرتِهم ، فذلك حكمُ كلِّ مَن أسْلَم وله ربًا قد أرْبَى على غريمٍ له ، فإن إسلامَه يُبْطِلُ عن غريمِه ما كان له عليه مِن قبلِ الربا - ويُلْزِمُه أداءَ رأسِ مالِه الذي كان أخَذ منه ، أو لزِمه من قبلِ الإرباءِ - إليه إن كان مُوسرًا ، وإن كان معسرًا كان مُنْظَرًا برأسِ مالِ صاحبِه إلى ميسرتِه ، وكان الفضلُ على رأسِ المالِ مُبْطَلًا عنه ، غيرَ أن الآيةَ وإن كانت نزَلت في من ذكَرْنا ، وإيَّاهم عنَى بها ، فإن الحكمَ الذي حكَم اللهُ به في إنظارِ المعسِرِ برأسِ مالِ المُرْبِي بعد بُطولِ الربا عنه حكمٌ واجبٌ لكلِّ مَن كان عليه دَيْنٌ لرجلٍ قد حلَّ عليه ، وهو بقضائِه معسرٌ ، في أنه به مُنْظَرٌ إلى ميسرتِه ؛ ولأن دَيْنَ كلِّ ذي دَينٍ في مالِ غريمِه ، وعلى غريمِه قضاؤُه منه ، لا في رقبتِه ، فإذا عُدِم مالُه ، فلا سبيلَ على رقبتِه بحبسٍ ولا بيعٍ ، وذلك أن مالَ ربِّ الدَّينِ لن يَخْلُوَ من أحدِ وجوهٍ ثلاثةٍ ؛ إمَّا أن يكونَ في رقبةِ غريمِه ، أو في ذمتِه يَقْبِضُه[3] من مالِه ، أو في مالٍ له بعينِه ؛ فإن يكنْ في مالٍ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٢/٢ (٢٩٣٤) من طريق ابن فضيل به ، وأخرجه سعيد بن منصور (٤٥٤ - تفسير) من طريق يزيد بن أبي زياد به وعندهما بلفظ : الربا . وينظر الدر المنثور ٣٦٨/١ فقد عزاه إلى ثلاثتهم بلفظ : الربا .

(٢) في م : « بقبض » .

(٣) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢: « يقضيه » .

له بعينِه ، فمتى بطَل ذلك المالُ وعُدِم ، فقد بطلَ دَينُ ربِّ المالِ ، وذلك ما لا يقولُه أحدٌ ، أو يكونُ في رقبتِه فإن يكنْ ذلك كذلك فمتى عُدِمت نفسُه فقد بطَل دينُ ربِّ الدَّيْنِ وإن خلَّف الغريمُ وفاءً بحقِّه وأضعافَ ذلك ، وذلك أيضًا ما لا يقولُه أحدٌ ، فقد تبيَّن إذًا إذ كان ذلك كذلك ، أن دَيْنَ ربِّ المالِ في ذمةِ غريمِه ، يقضيه من مالِه ، فإذا عُدِم مالُــه فلا سبيلَ له على رقبتِه ؛ لأنه قد عُدِم ما كان له عليه أن يُؤَدِّىَ منه حقَّ / صاحبِه لو كان موجودًا ، وإذا لم يكنْ على رقبتِه سبيلٌ ، لم يكنْ إلى حبسِه وهو ١١٣/٣ مُعْدِمٌ[1] بحقِّه سبيلٌ ؛ لأنه غيرُ مانعِه حقًّا له إلى قضائِه سبيلٌ ، فيعاقَب بظلمِه إيَّاه بالحبسِ .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ (٢٨٠) ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بذلك : وأن تَتصدَّقوا برءوسِ أموالِكم على هذا المعسِرِ ، ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ أيُّها القومُ من أن تُنْظِروه إلى ميسرتِه لتقْبِضوا رءوسَ أموالِكم منه إذا أيْسَر ، ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [٦٩/٨و] موضعَ الفضلِ في الصدقةِ ، وما أوْجَب اللّهُ من الثوابِ لمَن وضَع عن غريمِه المعسرِ دَينَه .

واختَلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : معنى ذلك : وأن تَصَدَّقوا برءوسِ أموالِكم على الغنيِّ والفقيرِ منهم خيرٌ لكم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ ﴾ : والمالُ الذى لهم على ظهورِ الرجالِ ،

---

(١) في م : « معدوم » .

جَعَل لهم رءوسَ أموالِهم حينَ نزَلت هذه الآيةُ ، فأمَّا الربحُ والفضلُ فليس لهم ، لا يَنبغى لهم أن يأخذوا منه شيئًا ، ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ . يقولُ : وأن تَصَدَّقوا بأصلِ المالِ خيرٌ لكم[1] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ : ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟﴾ أى : برأسِ المالِ ، فهو خيرٌ لكم .

وحدَّثنا ابنُ بشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ : ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ . قال : من رءوسِ أموالِكم .

وحدَّثنا ابنُ بشَّارٍ ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيانَ ، عن المغيرةِ ، عن إبراهيمَ بمثِله .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا قَبيصَةُ بنُ عُقْبَةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ : ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ : قال : [2]برءوسِ الأموالِ[3] .

وحدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن إبراهيمَ : ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ . قال[2] : أن تَصَدَّقوا برءوسِ أموالِكم .

وقال آخَرون : معنى ذلك : وأن تَصَدَّقوا به على المعسِرِ خيرٌ لكم . نحوَ ما قلنا فى ذلك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ :

---

(١) تقدم تخريجه فى ص٥٤ دون آخره ، وعلقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٣/٢ عقب الأثر (٢٩٤١) .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، س .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٣/٢ (٢٩٤١) من طريق سفيان به .

﴿ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . قال : وأن تَصدَّقوا برءوسِ أموالِكم على الفقيرِ ، فهو خيرٌ لكم . فتصدَّق به العباسُ[(١)] .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ . يقولُ : وإن تصدَّقتَ [٦٩/٨ظ] عليه برأسِ مالِك فهو خيرٌ لك[(٢)] .

وحُدِّثتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعتُ أبا مُعاذٍ ، قال أخبرَنا عُبَيْدُ بنُ سليمانَ قال : سمِعتُ الضحَّاكَ في قولِه : ﴿ وَأَن /تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ : يعْنى ١١٤/٣ على المعسِرِ ، فأمَّا الموسِرُ فلا ، ولكن يُؤْخذُ منه رأسُ المالِ ، والمعسِرُ الأخذُ منه حلالٌ ، والصدقةُ عليه أفضلُ .

وحدَّثني المثنى ، قال : ثنا عَمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبرَنا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحَّاكِ : ﴿ وَأَن تَصَدَّقُواْ ﴾ [(٣)]من رُءوسِ[(٣)] أموالِكم ﴿ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ من نَظِرةٍ إلى ميسرةٍ ، فاختار اللَّهُ عزّ وجلّ الصدقةَ على النِّظارةِ .

وحدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ قال : من النَّظِرةِ ، ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ .

وحدَّثني يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبرَنا يزيدُ ، قال : أخبرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحَّاكِ : ﴿ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾ : والنظِرةُ واجبةٌ ،

---

(١) أخرجه بنحوه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ عقب الأثر (٢٩٤١) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٣/٢ عقب الأثر (٢٩٤١) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣ - ٣) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « برءوس » .

وخيرٌ[(١)] اللّهُ الصدقةَ على النظِرةِ ، والصدقةُ لكلّ معسرٍ ، فأما الموسرُ فلا .

وأَوْلَى التأويلين بالصواب تأويلُ مَن قال : معناه : وأن تَصَدَّقوا على المعسرِ برءوسِ أموالِكم خيرٌ لكم . لأنه يَلِى ذكرَ حكمِه فى المُعْسرِ[(٢)] ، وإلحاقُه بالذى يَلِيه أَوْلى[(٣)] من إلحاقِه بالذى بَعُد منه .

وقد قيل : إن هذه الآياتِ فى أحكامِ الربا هنَّ آخرُ آياتٍ نزَلت من القرآنِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن سعيدٍ ، **وحدَّثنى** يعقوبُ ابنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سعيدٍ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المُسَيَّبِ ، أن عمرَ بنَ الخطابِ قال : كان آخرَ ما أنزَل اللهُ من القرآنِ آيةُ الربا ، وإن نبىَّ اللّهِ ﷺ قُبِض قبلَ أن يُفَسِّرَها ، فدَعُوا الربا والرِّيبةَ[(٤)] .

وحدَّثنا حُميدُ بنُ مَسْعَدَةَ ، قال : ثنا بشرُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا داودُ بنُ أبى هندٍ ، عن عامرٍ ، أن عمرَ رضى اللّهُ عنه قام ، فحمِد اللّهَ وأثْنَى عليه ، ثم قال : أمَّا بعدُ ، فإنه واللّهِ ما أدرى ، لعلَّنا نأمُرُكم بأمرٍ لا يَصْلُحُ لكم ، وما أدرى لعلَّنا نَنْهاكم عن [(٥)]أمورٍ تَصْلُحُ[(٥)] لكم ، وإنه كان مِن آخِرِ القرآنِ تنزيلًا آياتُ الربا ، فتُوفِّى رسولُ اللّهِ ﷺ قبلَ أن يُبيِّنَه لنا ، فدَعُوا ما يَرِيبُكم إلى ما لا يَرِيبُكم[(٦)] .

---

(١) خيَّر : فضل . ينظر النهاية ٢/ ٩١.

(٢) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، س : « المعنيين » .

(٣) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، س : « أحب إلى » .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٢٢٧٦) من طريق سعيد به .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، س : « أمر يصلح » .

(٦) عزاه الحافظ فى الفتح ٨/ ٢٠٥ إلى المصنف .

حدَّثني أبو زيدٍ عُمرُ بنُ شَبَّةَ ، قال : ثنا قَبيصَةُ ، قال : ثنا سفيانُ الثوريُّ ، عن عاصمٍ الأحولِ ، عن الشَّعْبيِّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : آخرُ ما أُنْزِل على رسولِ اللَّهِ ﷺ آيةُ الربا ، وإنَّا لنَأْمُرُ بالشيءِ لا نَدْرِى لعلَّ به بأسًا ، ونَنْهَى عن الشيءِ لعلَّه ليس به بأسٌ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : [٧٠/٨و] ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ .

وقيل أيضًا : إنَّ هذه الآيةَ آخِرُ آيةٍ نزَلت من القرآنِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا أبو تُمَيْلةَ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ واقدٍ ، عن يزيدَ النحويِّ ، عن عكرمةَ ، /عن ابنِ عباسٍ ، قال : آخرُ آيةٍ أُنزِلت على النبيِّ ﷺ : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[2] . ١١٥/٣

وحدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية : فهى آخرُ آيةٍ من الكتابِ أُنْزِلت[3] .

---

(١) أخرجه أبو عبيد فى الفضائل ص ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، والبخارى (٤٥٤٤) ، والبيهقى فى الدلائل ١٣٨/٧ من طريق قبيصة به ، وعند البخارى إلى قوله : آية الربا . وقال الحافظ فى الفتح ٨/ ٢٠٥ : المراد بالآخرية فى الربا تأخر نزول الآيات المتعلقة به من سورة البقرة ، وأما حكم تحريم الربا فنزوله سابق لذلك بمدة طويلة ، على ما يدل عليه قوله تعالى فى آل عمران فى أثناء قصة أحد : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ﴾ . الآية .

(٢) أخرجه النسائى (١١٠٥٧ ، ١١٠٥٨ - كبرى) ، والطبرانى (١٢٠٤٠) ، والبيهقى فى دلائل النبوة ١٣٧/٧ من طريق الحسين به .

(٣) أخرجه الطبرانى (١٢٣٥٧) بسند آخر إلى ابن عباس .

وحدَّثني محمدُ بنُ عُمارةَ ، قال : ثنا[1] سهلُ بنُ عامرٍ ، قال : ثنا مالكُ بنُ مِغْوَلٍ ، عن عطيةَ ، قال : آخرُ آيةٍ أنزلت : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾[2] .

وحدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : آخرُ آيةٍ نزلت : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ﴾ الآية[3] .

وحدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو تُمَيْلَةَ ، عن عُبَيْدِ بنِ سليمانَ ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، وحجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : آخرُ آيةٍ نزَلت من القرآنِ : ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ قال ابنُ جُريجٍ : يقولون : إن النبيَّ ﷺ مكَث بعدَها تسعَ ليالٍ ، وبُدِئَ[4] يومَ السبتِ ، ومات يومَ الاثنينِ[5] .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرَنى يونسُ ، عن ابنِ شهابٍ ، قال : ثنى سعيدُ بنُ المسيَّبِ ، أنه بلَغه أن أحدثَ القرآنِ بالعرشِ آيةُ الدَّيْنِ[6] .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : واحْذَروا أيُّها الناسُ يومًا تُرْجعُون فيه إلى اللهِ ، فتلْقَوْنه

---

(١) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « إسماعيل بن » .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ١٠/ ٥٤١ ، ١٤/ ١٠٥ من طريق مالك به .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ١٠/ ٥٤٠ ، ١٤/ ١٠٤ من طريق وكيع به .

(٤) فى النسخ : « بدا » . والمثبت من فضائل القرآن ، وتفسير ابن كثير ١/ ٤٩٤ . وبُدِئَ فلان : مرض . النهاية ١/ ١٠٤ .

(٥) أخرجه الواحدى فى تفسيره ١/ ٣٩٩ من طريق الضحاك به ، وأخرجه أبو عبيد فى فضائل القرآن ص ٢٢٤ عن حجاج به .

(٦) ذكره ابن كثير ١/ ٤٩٥ عن المصنف بسنده ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٧٠ إلى المصنف ، وأخرجه أبو عبيد فى الفضائل ص ٢٢٤ من طريق عقيل عن ابن شهاب قوله .

وقال الحافظ فى الفتح ٨/ ٢٠٥ : وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هى ختام الآيات المنزلة فى الربا ، إذ هى معطوفة عليهن .

فيه ، أي[1] تردوا عليه بسيئاتٍ تُهْلِكُكم ، أو بمخزياتٍ تُخْزِيكم ، أو بفاضحاتٍ[2] تَفْضَحُكم ، فتَهْتِكُ أستارَكم ، أو بموبقاتٍ تُوبقُكم ، فتُوجبُ لكم من عقابِ اللَّهِ ربِّكم ما لا قِبَلَ لكم به ، فإنه يومُ مجازاةٍ بالأعمالِ ، لا يومُ استعتابٍ ، ولا يومُ استقالةٍ وتوبةٍ وإنابةٍ ، ولكنه يومُ جزاءٍ وثوابٍ ومحاسبةٍ ، تُوَفَّى فيه[3] كلُّ نفسٍ أجرَها على ما قدَّمت واكْتَسَبت من سيِّئٍ وصالحٍ ، لا يُغادَرُ فيه صغيرةٌ ولا كبيرةٌ من خيرٍ وشرٍّ إلا أُحضِرت فوُفِّيَت[4] جزاءَها بالعدلِ من ربِّها ، ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ ، كيف يُظْلَمُ مَن جُوزِىَ بالإساءةِ مثلَها ، وبالحسنةِ عشرَ أمثالِها ؟ كلا بل عدَل عليك أيُّها المُسِيءُ ، وتكرَّم عليك ، فأفْضَل وأسْبَغ أيُّها المحسنُ ، فاتقَى امرؤٌ ربَّه ، [٧٠/٨ظ] وأخَذ منه حِذرَه ، وراقبه قبلَ[5] أن يهجُمَ عليه يومُه ، وهو من الأوزارِ ظَهرُه ثقيلٌ ، ومن صالحاتِ الأعمالِ خفيفٌ ، فإنه تعالى ذكرُه قد حذَّر فأعْذَر[6] ، ووعَظ فأبْلَغ .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ .

/يعني بذلك جلّ ثناؤه : يا أيُّها الذين صدَّقوا اللَّهَ ورسولَه ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم ﴾ ١١٦/٣ يعني : إذا تبايَعْتم بدَيْنٍ أو اشْتَريتم به ، أو تعاطَيْتم ، أو أخَذتم به ، ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ . يقولُ : إلى وقتٍ معلومٍ وقَّتُّموه بينكم ، وقد يَدْخُلُ في ذلك القَرْضُ

(١) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « أن » .
(٢) في م : « بفضيحات » .
(٣) سقط من : الأصل .
(٤) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « فتوفيت » ، وفي م : « فتوفى » .
(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س .
(٦) في س : « فأنذر » .

والسَّلَمُ فى كلِّ ما جاز السَّلَمُ [(1] فيه ؛ لأنَّ السَّلَمَ [1)] شراءُ أُجِّل بنَقْدٍ[(2)] يَصيرُ دَيْنًا على بائعِ ما أسلم إليه فيه . ويَحْتَمِلُ بيعَ الحاضرِ الجائزِ بيعُه من الأملاكِ بالأثمانِ المُؤَجَّلةِ ، كلُّ ذلك من الديونِ المُؤَجَّلةِ إلى أجلٍ مُسَمًّى ، إذا كانت آجالُها معلومةً بحدٍّ موقوفٍ عليه . وكان ابنُ عباسٍ يقولُ : نزَلت هذه الآيةُ فى السَّلَمِ خاصَّةً .

ذكرُ الروايةِ عنه بذلك

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ عيسى الرَّمْليُّ ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ فى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ . قال : السَّلَمُ فى الحِنْطةِ ، فى كَيْلٍ معلومٍ إلى أجَلٍ معلومٍ[(3)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ المُخَرِّميُّ[(4)] ، قال : ثنا يحيى بنُ الصَّامتِ[(5)] ، قال : ثنا ابنُ المُبارَكِ ، عن سفيانَ ، عن أبى حيَّانَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ ﴾ قال : نزَلت فى السَّلَمِ فى كيلٍ معلومٍ إلى أجلٍ معلومٍ[(6)] .

حدَّثنا علىُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنا زيدُ[(7)] بنُ أبى الزرقاءِ ، عن سفيانَ ، عن أبى

(١ - ١) سقط من ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت٢ ، ت ٣ : « بيعه » ، وفى س : « معه » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٤٩٥/١ عن سفيان به . وأصله فى الصحيحين وغيرهما من رواية سفيان ، عن ابن أبى نجيح ، عن عبد الله بن كثير ، عن أبى المنهال ، عن ابن عباس . البخارى (٢٢٣٩ ، ٢٢٥٣) ، ومسلم (١٦٠٤) .

(٤) فى الأصل : « المخزومى » .

(٥) فى م : « الصامح » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر ٣٧٠/١ إلى عبد بن حميد والمصنف .

(٧) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « يزيد » . ينظر تهذيب الكمال ١٠/ ٧٠.

حيَّانَ ، عن رجلٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نزَلت هذه الآيةُ : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ فى السَّلَفِ[1] فى الحِنْطَةِ فى كيلٍ معلومٍ إلى أجلٍ معلومٍ[2] .

حدَّثنا ابنُ بشَّارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ مُحَبَّبٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى حيانَ التَّيْمىِّ ، عن رجلٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : نزَلت هذه الآيةُ : [٧١/٨و] ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ فى السَّلفِ فى الحنطةِ فى كيلٍ معلومٍ إلى أجلٍ معلومٍ[2] .

حدَّثنا ابنُ بشَّارٍ ، قال : ثنا مُعاذُ بنُ هشامٍ ، قال : ثنى أبى ، عن قتادةَ ، عن أبى حسَّانَ[3] ، عن ابنِ /عباسٍ ، قال : أَشْهَدُ أن السلَفَ المضمونَ إلى أجلٍ مُسَمًّى ، أنّ اللَّهَ ١١٧/٣ عزّ وجلّ قد أحلَّه ، وأذِن فيه . ويتلُو هذه الآيةَ : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[4] .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ قولِه : ﴿ بِدَيْنٍ ﴾ وقد دلَّ بقولِه : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم ﴾ عليه ، وهل تكونُ مُداينةٌ بغيرِ دَينٍ فاحْتيج إلى أن يقالَ : ﴿ بِدَيْنٍ ﴾ ؟

قيل : إن العربَ لمَّا كان مقولًا عندَها « تدايَنَّا » ، بمعنى : تجازَيْنا . وبمعنى : تعاطَيْنا الأخذَ والإعطاءَ بدَيْنٍ - أبان اللَّهُ جلّ ثناؤه بقولِه : ﴿ بِدَيْنٍ ﴾ المعنَى الذى قصَد [5]تعريفَ عبادِه[5] من قولِه : ﴿ تَدَايَنتُم ﴾ حُكْمَه ، وأعْلَمهم أنه [6]عنى به[6]

---

(١) فى ص ، م ، س : « السلم » .

(٢) أخرجه البيهقى ١٨/٦ من طريق سفيان به .

(٣) فى م : « حيان » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٤/٢ (٢٩٤٨) من طريق هشام الدستوائى به .

(٥ - ٥) فى م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س : « تعريفه » .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، س .

حُكْمَ الدَّينِ دونَ حكمِ المُجازاةِ .

وقد زعَم بعضُهم أن ذلك تأكيدٌ ، كقولِه : ﴿ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴾ [الحجر: ٣٠، ص: ٧٣] ، ولا معنى لما قال من ذلك فى هذا الموضعِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ فَٱكْتُبُوهُ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤه بقولِه : ﴿ فَٱكْتُبُوهُ ﴾ : فاكْتُبوا الدَّينَ الذى تدايَنْتُموه إلى أجلٍ مُسَمًّى ، مِن بيعٍ كان ذلك أو قرضٍ .

واختَلف أهلُ العلمِ فى اكتتابِ الكتابِ بذلك على مَن هو عليه[(١)] ، هل هو واجبٌ أو هو نَدْبٌ ؟ **فقال بعضُهم** : هو حقٌّ واجبٌ ، وفرضٌ لازمٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهيرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحَّاكِ فى قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ قال : مَن باع إلى أجلٍ مُسَمًّى أمَره اللَّهُ أن يَكْتُبَ ، صغيرًا كان أو كبيرًا ، إلى أجلٍ [٨/٧١ظ] مُسَمًّى[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ قال : فمَن ادَّان دَينًا فلْيَكْتُبْ ، ومَن باع فلْيُشْهِدْ[(٣)] .

---

(١) سقط من : الأصل .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ٢/٥٥٥ (٢٩٥٢) من طريق جويبر به بنحوه .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١/ ٤٩٦.

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ : فكان هذا واجبًا[(١)] .

وحُدِّثتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بمثلِه ، وزاد فيه : قال : ثم جاءت الرُّخصةُ والسَّعةُ ، قال : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾[(٢)] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِر لنا أن أبا سليمانَ المَرْعَشِيَّ[(٣)] كان رجلًا صحِب كعبًا ، فقال ذاتَ يومٍ لأصحابِه : هل تعلمون مظلومًا دعا ربَّه فلم يَسْتَجِبْ له ؟ قالوا : وكيف يكونُ ذلك ؟ قال : رجلٌ باع[(٤)] بيعًا إلى أجلٍ مسمًّى[(٤)] ، فلم يَكْتُبْ ولم يُشْهِدْ ، فلمَّا حلَّ مالُه جحَده صاحبُه ، فدعا ربَّه ، فلم يَسْتَجِبْ له ؛ لأنه قد عصَى ربَّه[(٥)] .

/وقال آخرون : كان اكتتابُ الكتابِ بالدَّيْنِ فرضًا ، فنسَخه قولُه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ . ١١٨/٣

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا الثوريُّ[(٦)] ومعمرٌ[(٦)] ، عن ابنِ شُبْرُمَةَ ، عن الشَّعْبِيِّ ، قال : لا بأسَ إذا أَمِنْتَه ألا تَكْتُبَ ولا تُشْهِدَ ، لقولِه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ قال ابنُ عُيينةَ : قال ابنُ شُبْرُمَةَ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٥/٢ (٢٩٥٣) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٢٨٦، وأبو حيان في البحر المحيط ٢/ ٣٤٣.

(٣) في الأصل : « المرعش » ، وفي ص : « المدعس » ، وفي ت١، س : « المرعس » .

(٤ - ٤) في ص ، م ، ت ١، ت ٢، س : « شيئا » .

(٥) ذكره ابن كثير في تفسيره ٤٩٦/١ عن قتادة به .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت٣ ، س .

الشَّعْبىّ : إلى هذا انتهى[(١)] .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا عبدُ الوهابِ ، قال : ثنا داودُ ، عن عامرٍ فى هذه الآيةِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ حتى بلَغ هذا المكانَ : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ قال : رُخِّص فى ذلك ، فمَن شاء أن يأْتَمِنَ صاحبه فلْيأْتَمِنْه[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيْدٍ ، قال : ثنا هارونُ ، عن عَمرٍو ، عن عاصمٍ ، عن الشَّعْبىّ ، قال : إن ائْتَمنه فلا يُشْهِدْ عليه ولا يَكْتُبْ .

حُدِّثت عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشَّعْبىّ ، قال : فكانوا يَرَوْن أن هذه الآيةَ : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ نسَخت ما قبلَها من الكتابةِ والشهودِ ، رُخْصَةً ورحمةً من اللَّهِ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال غيرُ عطاءٍ : نسَخت الكتابَ والشهادةَ : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾[(٤)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : نسَخ ذلك قولُه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ [٧٢/٨و] قال : فلولا هذا الحرفُ لم ينبغِ[(٥)] لأحدٍ أن يَدَّانَ بدَيْنٍ إلا بكتابٍ وشهداءَ ، أو برَهْنٍ ، فلمَّا جاءت هذه

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٧٠ (٣٠٤٢) عن الحسن به .

(٢) أخرجه البيهقى ١٠/ ١٤٥ من طريق داود به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٧٣ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه بنحوه الثورى فى تفسيره ص ٧٣ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٧١ (٣٠٤٦) ، وابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٢١ من طريق إسماعيل بن أبى خالد به .

(٤) ينظر النواسخ ص ٢٢٢.

(٥) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت٣ ، س : « يبح » .

نسخت هذا كلَّه ، وصار إلى الأمانةِ[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا حجَّاجٌ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن سليمانَ التيميِّ ، قال : سألتُ الحسنَ قلتُ : كلُّ مَن باع بيعًا يَنْبَغِي له أن يُشْهِدَ ؟ فقال : ألم تَرَ أن اللَّهَ عزّ وجلّ يقولُ : ﴿ فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾[(٢)] .

[(٣)] **حدَّثنا** محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الوهابِ ، قال : ثنا داودُ ، عن عامرٍ في هذه الآيةِ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ حتى بلَغ هذا المكانَ : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَـٰنَتَهُۥ ﴾ قال : رُخِّص في ذلك ، فمَن شاء أن يَأْتَمِنَ صاحبَه فلْيأْتَمِنْه[(٣)] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن داودَ ، عن الشَّعْبيِّ في قولِه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ قال : إن أَشْهَدتَ فحَزْمٌ ، وإن لم تُشْهِدْ ففي حِلٍّ وسَعَةٍ[(٤)] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيْمٌ ، عن إسماعيلَ بنِ أبي خالدٍ ، قال : قلتُ للشَّعْبيِّ : أرأيتَ الرجلَ /يَسْتَدِينُ[(٥)] من الرجلِ الشيءَ ، أحتمٌ عليه أن يُشْهِدَ ؟ فقال : [(٦)]ألا ترى[(٦)] إلى قولِه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ ؟ قد نسَخ ما كان قبلَه . ١١٩/٣

حدَّثنا عَمرُو بنُ عليٍّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ مروانَ العُقَيْليُّ ، قال : ثنا عبدُ الملكِ

---

(١) ينظر تفسير ابن كثير ١/ ٤٩٦.

(٢) أخرجه ابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٢٠ ، ٢٢١ من طريق سليمان التيمى به .

(٣ - ٣) تقدم هذا الأثر فى الصفحة السابقة ، وشيخ المصنف هناك المثنى وهنا محمد بن المثنى .

(٤) أخرجه البيهقى ١٠/١٤٥ من طريق داود به .

(٥) فى الأصل : « يشترى » .

(٦ - ٦) فى م ، ت ٢: « فقرأ » ومكانها بياض فى ص ، ت ١، ت٣ ، س .

ابنُ[(١)] أبي نَضْرَةَ ، [(٢)] عن أبيه[(٢)] ، عن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ أنه قرأ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ﴾ قال : فقرأ إلى : ﴿ فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا ﴾ قال : هذه نسَخت ما قبلَها[(٣)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ ﴾ .

يعني بذلك جل ثناؤه : ولْيكتُبْ كتابَ الدَّينِ إلى الأجلِ المسمَّى بينَ الدائنِ والمدِينِ ﴿كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ﴾ يعني : بالحقِّ والإنصافِ في كتابِه الذي يَكْتُبُه بينهما ، بما لا يتحيَّفُ ذا الحقِّ حقَّه ، ولا يَبْخَسُه ، ولا يُوجِبُ له حُجَّةً على مَن عليه دينُه فيه بباطلٍ ، ولا يُلْزِمُه ما ليس عليه .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ قال : اتَّقى اللَّهَ كاتبٌ في كتابِه ، فلا يَدَعَنَّ منه حقًّا ، ولا يَزِيدَنَّ فيه باطلًا[(٤)] .

وأمَّا قولُه : ﴿ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ ﴾ فإنه يعني : ولا يَأبَيَنَّ كاتبٌ استُكْتِب ذلك أن يَكْتُبَ بينهم كتابَ الدَّيْنِ ، كما علَّمه اللَّهُ كتابتَه فخصَّه بعلمِ ذلك ، وحرَمه كثيرًا مِن خَلقِه .

[٧٢/٨ظ] **وقد اختلف أهلُ العلمِ** في وجوبِ الكتابةِ[(٥)] على الكاتبِ إذا

---

(١) بعده في ت ١ ، س : « فضالة » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س ، وينظر الجرح والتعديل ٥/ ٣٧٠.

(٣) أخرجه ابن الجوزي في النواسخ ص ٢٢٢ من طريق عمرو بن علي به . وأخرجه البخاري في التاريخ ٢٣٢/١ ، وابن ماجه (٢٣٦٥) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٠/٢ (٣٠٤١) ، والنحاس في ناسخه ص ٢٦٧، ٢٦٨ ، والطبراني في الأوسط (١٥٥٨) ، وابن عدي ٢٢٦٧/٦ ، والبيهقي ١٤٥/١٠ ، والمزي ٤٢٨/١٨ من طريق محمد بن مروان العقيلي به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٣/١ إلى أبي نعيم .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٥٨/٢ (٢٩٦٩) من طريق يزيد بن زريع به .

(٥) في ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س : « الكتاب » .

اسْتُكْتِب ذلك ، نظيرَ اختلافِهم فى وجوبِ الكتابةِ[(١)] على الذى له الحقُّ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزّ وجلّ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ ﴾ قال : واجبٌ على الكاتبِ أن يَكْتُبَ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : قولَه : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ ﴾ أواجبٌ ألا يأْبَى أن يَكْتُبَ ؟ قال : نعم . قال ابنُ جُريجٍ : وقال مجاهدٌ : واجبٌ على الكاتبِ أن يَكْتُبَ[(٣)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ بمثلِه[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن عامرٍ وعطاءٍ قولَه : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ قالا : إذا لم يَجِدوا كاتبًا فدُعِيتَ ، فلا تأبَ أن تَكْتُبَ لهم[(٥)] .

ذكرُ مَن قال : هى منسوخةٌ

قد ذكَرْنا جماعةً ممن قال : كلُّ ما فى هذه الآيةِ من الأمرِ بالكتابةِ والإشهادِ والرهنِ

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « الكتاب » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٦/٢ (٢٩٥٩) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٠/١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٥٥٦٠) عن ابن جريج به .

(٤) سقط من : الأصل ، ص ، س .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٦/٢ عقب الأثر (٢٩٦٠) معلقا .

منسوخٌ بالآيةِ التى فى آخرِها . وأَذْكُرُ قولَ مَن تركْنا ذكرَه هنالك لبعضِ[(١)] المعانى .

١٢٠/٣ /حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهيرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحَّاكِ : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ ﴾ قال : كانت عزيمةً فنسَختها : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ [٧٣/٨و] كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ : فكان هذا واجبًا على الكُتَّابِ[(٣)] .

وقال آخرون : هو على الوجوبِ ، ولكنه واجبٌ على الكاتبِ فى حالِ فراغِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عَمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ قولَه : ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِٱلْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ﴾ يقولُ : لا يأبَ كاتبٌ أن يَكْتُبَ إن كان فارغًا[(٤)] .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أن اللَّهَ تبارك وتعالى أمَر المتداينينَ إلى أجلٍ مسمًّى باكتتابِ كُتبِ الدَّينِ بينهم ، وأمَر الكاتبَ أن يَكْتُبَ ذلك بينهم بالعدلِ ، وأمرُ اللَّهِ فرضٌ لازمٌ ، إلا أن تقومَ حُجَّةٌ بأنه إرشادٌ ونَدْبٌ ، ولا دَلالةَ تَدُلُّ على أن أمْرَه جلّ ثناؤه باكتتابِ الكتبِ فى ذلك ، وأن تقدُّمَه إلى الكاتبِ ألا يأْبَى كتابةَ ذلك –

---

(١) فى ص ، م : « ببعض » ، وفى س : « يبعض » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٠/١ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم ٥٥٧/٢ (٢٩٦٥) من طريق ابن أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٠/١ إلى ابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٧/٢ (٢٩٦٢) من طريق عمرو بن حماد به .

ندبٌ وإرشادٌ ، فذلك فرضٌ عليهم لا يَسَعُهم تضْييعُه ، ومَن ضيَّعه منهم كان حرِجًا بتضْييعِه .

ولا وجهَ لاعتلالِ مَن اعتلَّ بأن الأمرَ بذلك منسوخٌ بقولِه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ ؛ لأن ذلك إنما أَذِن اللَّهُ تعالى ذكرُه به حيثُ لا سبيلَ إلى الكتابِ أو إلى الكاتبِ ، فأمَّا والكتابُ والكاتبُ موجودان ، فالفرضُ - إذا كان الدَّينُ إلى أجلٍ مُسَمًّى - ما أمَر اللَّهُ تعالى ذكرُه به فى قولِه : ﴿ فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ وإنما يكونُ الناسخُ ما لم يَجُزْ اجتماعُ حكمِه وحكمِ المنسوخِ فى حالٍ واحدةٍ ، على السبيلِ التى قد بيَّنَّاها ، فأمَّا ما كان أحدُهما غيرَ نافٍ حكمَ الآخرِ ، فليس من الناسخِ والمنسوخِ فى شىءٍ .

ولو وجَب أن يكونَ قولُه : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ ناسخًا قولَه : ﴿ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ . لوجَب أن يكونَ قولُه : ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾[المائدة : ٦] ناسخًا الوضوءَ بالماءِ فى الحَضَرِ عندَ وجودِ الماءِ فيه ، وفى السفرِ الذى فرَضه اللَّهُ عز وجل بقولِه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ ﴾ . وأن يكونَ قولُه فى كفَّارةِ الظِّهارِ : ﴿ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ ﴾ [المجادلة : ٤] ناسخًا قولَه : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ﴾ [المجادلة : ٣] . فيُسألُ القائلُ : إن قولَ اللَّهِ عزّ وجلّ : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِى اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ ﴾ ناسخٌ قولَه :

١٢١/٣ ﴿ إِذَا /تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ ﴾ - الفرقَ[1] بينَه وبينَ قائلٍ فى التيممِ وما ذكَرنا قولَه فزعَم أن كلَّ ما أُبيح فى حالِ الضرورةِ لعلَّةِ الضرورةِ ، [٧٣/٨ظ] ناسخٌ حكمُه فى حالِ الضرورةِ حكمَه فى[2] كلِّ أحوالِه ، نظيرَ قولِه فى أن الأمرَ باكتتابِ كتبِ الديونِ والحقوقِ منسوخٌ بقولِه : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ .

فإن قال : الفرقُ بينى وبينه أن قولَه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ كلامٌ منقطعٌ عن قولِه : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ وقد انتهى الحكمُ فى السفرِ إذا عُدِم فيه الكاتبُ بقولِه : ﴿ فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ وإنما عنَى بقولِه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ : إذا تدايَنْتم بدَيْنٍ إلى أجلٍ مسمًّى فأَمِن بعضُكم بعضًا فَلْيُؤَدِّ الذى اؤْتُمِن أمانتَه .

قيل له : وما البرهانُ على ذلك من أصلٍ أو قياسٍ ، وقد انقضى الحكمُ فى الدَّيْنِ الذى فيه إلى الكَاتبِ[3] والكتابِ سبيلٌ بقولِه : ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ ؟

وأمَّا الذين زعَموا أن قولَه : ﴿ فَٱكْتُبُوهُ ﴾ وقولَه : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ ﴾ . على وجهِ النَّدْبِ والإرشادِ ، فإنهم يُسْأَلون البرهانَ على دعواهم فى ذلك ، ثم يُعارَضون بسائرِ أمرِ اللَّهِ عزّ وجلّ الذى أمَر فى كتابِه ، ويُسْأَلون الفرقَ بينَ ما ادَّعَوْا فى ذلك ، وأنكَروه فى غيرِه ، فلن يقولوا فى شىءٍ من ذلك قولًا إلا أُلْزِموا فى الآخَرِ مثلَه .

---

(١) فى م : « ما الفرق » ، وفى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « والفرق » .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ،س : « و » .

(٣) فى الأصل : « الكتاب » .

ذكرُ مَن قال : العدلُ فى قولِه : ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ﴾ : الحقُّ

(١) حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : حدَّثنا عمرُو بنُ حمّادٍ ، قال : حدَّثنا أسباطُ ، عن السدىِّ قولَه : ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌۢ بِٱلْعَدْلِ ﴾ يقولُ : بالحقِّ(١) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ .

يعنى بذلك : فَلْيَكْتُبِ الكاتبُ ، ولْيُمْلِلِ الذى عليه الحقُّ ، وهو الغريمُ المَدِينُ ، يقولُ : ليَتَوَلَّ المَدِينُ إملالَ كتابِ ما عليه من دَيْنِ ربِّ المالِ على الكاتبِ ، ولْيتَّقِ ربَّه المُمْلِى الذى عليه الحقُّ ، [٧٤/٨و] فَلْيَحْذَرْ عقابَه فى بخْسِ الذى له الحقُّ مِن حقِّه شيئًا ، أن يَنْقُصَه منه ظلمًا ، أو يذهبَ به منه تعدِّيًا ، فيُؤْخَذَ به حيث لا يَقْدِرُ على قضائِه إلا من حسناتِه ، أو أن يَتَحَمَّلَ من سيئاتِه .

كما حُدِّثْتُ عن عمّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ ﴾ : فكان هذا واجبًا ﴿ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ يقولُ : لا يَظْلِمْ منه شيئًا(٢) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْـًٔا ﴾ . قال : لا يَنْقُصْ من حقِّ هذا الرجلِ شيئًا إذا أَمَلَّ(٣) .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س .
وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٦/٢ (٢٩٥٨) من طريق عمرو به .
(٢) تقدم تخريج أوله فى ص ٧٣ ، وأخرج آخره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٨/٢ عقب الأثر (٢٩٧١) من طريق ابن أبى جعفر به .
(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « أملى » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ .

يعنى بقولِه جلّ ثناؤه : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾ : فإن كان المَدِينُ الذى عليه المالُ ﴿سَفِيهًا﴾ . يعنى جاهلًا بالصوابِ فى الذى عليه أن يُمِلَّه على الكاتبِ .

١٢٢/٣ /**كما حدَّثنى** المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا ﴾ . قال : أمَّا السفيهُ فالجاهلُ بالإملاءِ والأمورِ[1] .

وقال آخرون : بل السفيهُ فى هذا الموضعِ الذى عناه اللّهُ : الطفلُ الصغيرُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عَمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا ﴾ : أمَّا السفيهُ فهو الصغيرُ[2] .

حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبرَنا يزيدُ بنُ هارونَ ، قال : أخبرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحَّاكِ فى قولِه : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾ قال : هو الصبىُّ الصغيرُ ، فَلْيُمْلِلْ وليُّه بالعدلِ[3] .

وأوْلَى التأويلينِ بالآيةِ تأويلُ مَن قال : السفيهُ فى هذا الموضعِ الجاهلُ بالإملاءِ وموضعِ صوابِ ذلك من خطئِه . لما قد بيَّنَّا قبلُ من أن معنى السفَهِ فى كلامِ العربِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٩/٢ (٢٩٧٣) من طريق أبى حذيفة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٩/٢ (٢٩٧٤) من طريق عمرو به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣٧/١ إلى المصنف .

الجهلُ[(١)] .

وقد يَدْخُلُ فى قولِه : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا ﴾ كلُّ جاهلٍ بصوابِ ما يُمِلُّ من خطئِه ، من صغيرٍ وكبيرٍ ، وذكَرٍ وأنثى . غيرَ أن الذى هو أوْلَى بظاهرِ الآيةِ أن يكونَ مرادًا بها كلُّ جاهلٍ [٧٤/٨ظ] بموضعِ خطأٍ مايُمِلُّ وصوابِه ، مِن بالِغِى الرجالِ الذين لا يُوَلَّى عليهم ، والنساءِ ؛ لأنه جل ذكرُه ابْتدأ الآيةَ بقولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ . والصبىُّ ومَن يُوَلَّى عليه لا يجوزُ مداينتُه ، وأن اللَّهَ عزّ وجلّ قد اسْتَثْنى مِن الذين أمَرهم بإملالِ كتابِ الدَّينِ معَ السفيهِ الضعيفَ ومَن لا يستطيعُ إملالَه ، ففى فصلِه جلّ ثناؤه الضعيفَ مِن السفيهِ ومَن لا يستطيعُ إملالَ الكتابِ ، [(٢)] فى الصفةِ [(٢)] التى وصَف بها كلَّ واحدٍ منهم - ما أنْبَأ عن أن كلَّ واحدٍ من الأصنافِ الثلاثةِ الذين بيَّن صفاتِهم ، غيرُ الصنفينِ الآخرينِ .

وإذا كان ذلك كذلك ، كان معلومًا أن الموصوفَ بالسَّفَهِ منهم دونَ الضعفِ ، هو ذو القُوَّةِ على الإملالِ ، غيرَ أنه وُضِع عنه فرضُ الإملالِ بجهلِه بموضعِ صوابِ ذلك مِن خطئِه ، وأن الموصوفَ بالضعفِ منهم ، هو العاجزُ عن إملالِه ، وإن كان سديدًا[(٣)] رشيدًا ، إما لعِىٍّ لسانهِ أو خَرَسٍ به ، وأن الموصوفَ بأنه لا يستطيعُ أن يُمِلَّ ، هو الممنوعُ من إملالِه ، إمَّا بالحبسِ الذى لا يَقْدِرُ معَه على حضورِ الكاتبِ الذى يَكْتُبُ الكتابَ فيُمِلُّ عليه ، وإمَّا لغَيْبتِه عن موضعِ الإملالِ ، فهو غيرُ قادرٍ مِن أجلِ غَيبتِه عن إملالِ الكتابِ ، فوضَع اللَّهُ عزّ وجلّ عنهم فرضَ إملالِ ذلك ؛ للعللِ التى وصَفنا إذا كانت بهم ، وعذَرهم بتركِ الإملالِ من أجلِها ، وأمَر عندَ سقوطِ فرضِ ذلك عنهم[(٤)] ولىَّ الحقِّ بإملالِه ، فقال : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٣٠٢/١ ، ٦١٥/٢ .

(٢ - ٢) زيادة من : م .

(٣) فى ص ، م ، ت ٢، س : « شديدا » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، س : « عليهم » .

ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ : يعني وليَّ الحقِّ .

ولا وجهَ لقولِ مَن زعَم أن السفيهَ في هذا الموضعِ هو الصغيرُ ، وأن الضعيفَ هو الكبيرُ الأحمقُ ؛ لأن ذلك - إن كان كما قال - يُوجِبُ أن يكونَ قولُه : ﴿ أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ ﴾ هو العاجزَ من الرجالِ العقلاءِ - الجائزي الأمرِ في أموالِهم وأنفسِهم - عن الإملالِ ، إمّا لعلةٍ بلسانِه ، من خَرَسٍ أو غيرِه من العللِ ، وإما لغَيبتِه عن موضعِ الكتابِ . وإذا كان كذلك معناه ، بطَل معنى قولِه : ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ / بِٱلْعَدْلِ ﴾ ؛ لأن العاقلَ الرشيدَ لا يُوَلَّى عليه في[1] مالِه وإن كان أخرسَ أو غائبًا ، ولا يجوزُ حكمُ أحدٍ في مالِه إلا بأمرِه ، وفي صحةِ معنى ذلك ما يَقْضِي على فسادِ قولِ مَن زعَم أن السفيهَ في هذا الموضعِ هو الطفلُ الصغيرُ ، أو الضعيفُ[2] الكبيرُ الأحمقُ . ١٢٣/٣

ذكرُ مَن قال في ذلك ما قلناه

[٧٥/٨و] **حدَّثني** المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ يقولُ : وليُّ الحقِّ[3] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ ﴾ قال : يقولُ : فإن عيِيَ عن ذلك ، أملَّ

---

(١) زيادة من : م .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س .

(٣) ذكره القرطبي في تفسيره ٣/ ٣٨٨.

صاحبُ الدَّينِ بالعدلِ[(١)] .

ذكرُ من قال : عُنِى بالضعيفِ فى هذا الموضعِ : الأحمقُ . وبقولِه : ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ ﴾ : ولىُّ السفيهِ والضعيفِ

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحَّاكِ : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ ﴾ . قال : أُمِر ولىُّ السفيهِ أو الضعيفِ أن يُمِلَّ بالعدلِ[(١)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عَمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : أما الضعيفُ فهو الأحمقُ[(٢)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : أمَّا الضعيفُ فالأحمقُ[(٣)] .

حدَّثنا يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا ﴾ : لا يَعْرِفُ ، فيُثْبِتُ لهذا حقَّه ، ويَجْهَلُ ذلك ، فوليُّه بمنزلتِه ، حتى يَضَعَ لهذا حقَّه .

وقد دَلَّلنا على أَوْلَى القولين[(٤)] بالصوابِ فى ذلك .

وأمَّا قولُه : ﴿ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِۚ ﴾ فإنه يعنى : بالحقِّ .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧١/١ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٩/٢ عقب الأثر (٢٩٧٥) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) فى الأصل : « الحمق » .

والأثر ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٥٩/٢ عقب الأثر (٢٩٧٥) معلقًا .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « القراءتين » ، وفى م : « التأويلين » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ ﴾ .

[٨/٧٥ظ] يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : واسْتَشْهِدوا على حقوقِكم شاهدينِ . يقالُ : فلانٌ شهيدى على هذا المالِ ، وشاهِدِى عليه .

وأمَّا قولُه : ﴿ مِن رِّجَالِكُمۡۖ ﴾ . فإنه يعنى : من أحرارِكم المسلمين ، دونَ عبيدِكم ، ودونَ أحرارِكم الكفَّارِ .

كما حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ ﴾ . قال : الأحرارُ[(١)] .

وحدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرَنا علىُّ بنُ سعيدٍ[(٢)] ، عن هُشَيمٍ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٣)] .

١٢٤/٣ /القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ .

يعنى بذلك : فإن لم يكونا رجلين فليكُنْ رجلٌ وامرأتان على الشهادةِ عليه[(٤)] .

ورفْعُ « الرجلِ » و « المرأتين » بالردِّ على « الكونِ » . وإن شِئتَ قلتَ : فإن لم يكونا رجلين فليشهَدْ رجلٌ وامرأتان على ذلك . وإن شِئتَ : فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان يَشْهَدون عليه . وإن قلتَ : فإن لم يكونا رجلين (٥ فهو رجلٌ ٥)

---

(١) تفسير سفيان ص ٧٣، ومن طريقه سعيد بن منصور فى سننه (٤٥٦ - تفسير) ، والبيهقى ١٠/١٦١ ، وأخرجه ابن أبى شيبة ٦/٧٨ عن وكيع به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٦٠ (٢٩٨٤) من طريق ليث ، عن مجاهد وفيه زيادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٧١ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) فى الأصل : « معبد » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور (٤٥٧ - تفسير) - ومن طريقه البيهقى ١٠/١٦١ - عن هشيم به نحوه .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « فرجل » .

وامرأتان . كان صوابًا ، كلٌّ ذلك جائزٌ . ولو كان : [(١] فرجلًا وامرأتين [١)] . نصبًا ، كان جائزًا ، على تأويلِ : فإن لم يكونا رجلين فاسْتَشْهدوا رجلًا وامرأتين .

وقولُه : ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ﴾ . يعنى : من العدولِ المُرْتَضَى دِينُهم وصلاحُهم .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ . يقولُ : فى الدَّينِ ، ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ﴾ وذلك فى الدَّينِ ، ﴿مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ﴾ يقولُ : عدولٌ[(٢)] .

وحدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهيرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحَّاكِ : ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ : أمَر اللَّهُ أن تُشْهِدوا[(٣)] ذَوَىْ عدلٍ من رجالِكم[(٤)] ، ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَآءِ﴾[(٥)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ .

اخْتلفت القَرَأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأته عامَّةُ قرَأةِ أهلِ الحجازِ والمدينةِ وبعضُ أهلِ

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت٢ ، ت ٣ : « فرجل وامرأتان » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٧١ إلى المصنف مقتصرا على آخره ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٦١ (٢٩٨٧) من طريق ابن أبى جعفر به مقتصرا على قوله : وذلك فى الدين .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يشهدوا » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « رجالهم » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٦١ (٢٩٨٦) من طريق إسحاق به .

العراقِ : ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ بفتحِ الألفِ مِن ﴿أَن﴾ ، ونصبِ ﴿تَضِلَّ﴾ و ﴿فَتُذَكِّرَ﴾[1] . بمعنى : فإن لم يكونا رجلين فرجلٌ وامرأتان ، كى تُذَكِّرَ إحداهما الأخرى إن ضلَّت . وهو عندَهم من المُقدَّمِ الذى معناه التأخيرُ ؛ لأن التذكيرَ عندَهم هو الذى يَجبُ أن يكونَ مكانَ ﴿تَضِلَّ﴾ ؛ لأن المعنى ما وصَفنا فى قولِهم . وقالوا : إنما نصَبنا ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ ؛ لأن الجزاءَ لمَّا تقدَّم اتَّصل[2] بما قبلَه ، فصار جوابُه مردودًا عليه ، كما تقولُ فى الكلامِ : إنه ليُعْجِبُنى أن يَسأَلَ السائلُ فيُعْطَى . بمعنى : إنه ليُعْجِبُنى أن يُعْطَى السائلُ إن سأل . أو : إذا سأل . فالذى يُعْجِبُك هو الإعطاءُ دونَ المسألةِ ، ولكن قولَه : أن يَسأَلَ . لمَّا تقدَّم اتَّصل بما قبلَه ، وهو قولُه : يُعْجِبُنى[3] . ففتَحَ « أن »[4] ونصَب بها ، ثم أَتْبَع ذلك قولَه : فيُعْطَى . فنصَبه بنصبِ قولِه : ليُعجبُنى أن يسألَ . نَسَقًا عليه ، وإن كان فى معنى الجزاءِ .

وقرَأ ذلك آخرون كذلك ، غيرَ أنهم كانوا يقرءونه بتسكينِ الذالِ من (تُذْكِرَ) وتخفيفِ كافِها[5] .

وقارئو ذلك كذلك مختلفون فيما بينهم فى تأويلِ قراءتِهم إيَّاه كذلك ، **وكان بعضُهم يُوَجِّهُه** إلى أن معناه : فتُصَيِّرُ إحداهما الأخرى ذَكَرًا باجتماعِهما . بمعنى أن شهادتَها إذا اجْتَمعت وشهادةَ صاحبتِها ، جازت كما تجوزُ شهادةُ الواحدِ من الذكورِ فى الدَّينِ ؛ لأن شهادةَ كلِّ واحدةٍ[6] منهما منفردةً غيرُ جائزةٍ فيما جازت فيه من الدُّيونِ ، إلا باجتماعِ اثنتين على شهادةِ واحدٍ ، وتصيرُ شهادتُهما حينئذٍ بمنزلةِ

---

(١) وهى قراءة نافع وعاصم وابن عامر والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ١٩٤ .

(٢) فى ص ، س ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « أن تضل » .

(٣) فى م : « ليعجبنى » .

(٤) سقط من : الأصل ، ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٥) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو . المصدر السابق .

(٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « واحد » .

شهادةِ واحدٍ من الذكورِ . فكأنَّ كلَّ واحدةٍ منهما - في قولِ مُتأَوِّلي ذلك بهذا المعنى - صيَّرتْ صاحبتَها معَها ذَكَرًا ، وذهَب إلى قولِ العربِ : لقد أَذْكَرتْ بفلانٍ أمُّه ، أي : ولَدته ذَكَرًا ، فهي تُذْكِرُ به ، وهي امرأةٌ مُذْكِرٌ[1] ، إذا كانت تَلِدُ الذُّكورَ مِن الأولادِ . وهذا قولٌ يُرْوَى عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ أنه كان يقولُه .

حُدِّثتُ بذلك عن أبي عُبيدٍ القاسمِ بنِ سلَّامٍ أنه قال : حُدِّثتُ عن سفيانَ بنِ عُيَيْنَةَ أنه قال : ليس تأويلُ قولِه : ﴿ فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ . من الذِّكْرِ بعدَ النسيانِ ، إنما هو من الذَّكَرِ ، بمعنى أنها إذا شهِدت مع الأخرى صارت شهادتُهما كشهادةِ الذَّكَرِ[2] .

وكان[3] آخَرون منهم يُوَجِّهونه إلى أنه بمعنى الذِّكْرِ بعدَ النسيانِ .

وقرَأ ذلك آخرون[4] : (إِنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُما فَتُذَكِّرُ إحداهما الأُخْرَى) . بكسرِ (إن) مِن قولِه : (إِنْ تَضِلَّ) ، ورفعِ (تُذَكِّرُ) [5]وتشديدِ كَافِه[5] ، بمعنى ابتداءِ الخبرِ عمَّا تَفْعَلُ المرأتان إن نسِيت إحداهما شهادتَها [6]وذكَّرتها[6] الأخرى ، من تثبيتِ الذاكرةِ الناسيةَ [7]وتذكيرِها[7] ذلك ، وانقطاعِ ذلك عما قبلَه .

ومعنى ذلك[8] عندَ قارئي ذلك كذلك : واسْتَشْهِدوا شهيدين من رجالِكم ،

---

(١) في ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س : « مذكرة » .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/ ٢٩٣ ، والقرطبي في تفسيره ٣/ ٣٩٧ .

(٣) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « قال » .

(٤) هو حمزة . ينظر السبعة الموضع السابق .

(٥ - ٥) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « وتشديده كأنه » .

(٦ - ٦) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وذكرها » ، وفي م : « تذكرها » .

(٧ - ٧) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وتنكيرها » .

(٨) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « الكلام » .

فإن لم يكونا رجلين ، فرجلٌ وامرأتان ممَّن تَرْضَوْن من الشهداءِ ، فإنَّ إحداهما إن ضلَّت ذَكَّرتها الأخرى . [٧٦/٨ظ] على استئنافِ الخبرِ عن فعلِهما[١] إن نسِيت إحداهما شهادتَها ، مِن تذكيرِ الأخرى منهما صاحبتَها الناسيةَ .

وهذه قراءةٌ كان الأعمشُ يَقْرَؤُها[٢] ومَن أخَذها عنه ، وإنما نصَب الأعمشُ (تَضِلَّ) ؛ لأنها فى محلِ جزمٍ بحرفِ الجزاءِ ، وهو (إن) . فتأويلُ[٣] الكلامِ على قراءتِه : إن تَضْلِلْ . فلمَّا انْدَغمت إحدى اللامينْ فى الأخرى ، حرَّكها إلى أخفِّ الحركاتِ ، ورفَع[٤] (تُذَكِّرُ) بالتاءِ[٥] ؛ لأنه جوابُ الجزاءِ بالفاءِ[٦] .

والصوابُ من القراءةِ عندَنا فى ذلك قراءةُ مَن قرَأه بفتحِ ﴿أَن﴾ من قولِه : ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا﴾ . وبتشديدِ الكافِ من قولِه : ﴿فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ . ونصبِ الراءِ منه ، بمعنى : فإن لم يكونا رجلين ، فَلْيَشْهَدْ رجلٌ وامرأتان ، كى إن ضلَّت إحداهما ذكَّرتها الأخرى .

وأمَّا نصبُ ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ فبالعطفِ على ﴿تَضِلَّ﴾ ، وفُتِحت ﴿أَن﴾ لـحُلولِها[٧] محلَّ « كى » ، وهى فى موضعِ جزاءٍ ، والجوابُ بعده ، اكتفاءً بفتحِها ، أعنى بفتحِ ﴿أَن﴾ من « كى » ، ونسَق بالثانى ، أعنى ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ على

(١) فى ص ، م ، ت ٢، ت٣، س : « فعلها » .

(٢) ينظر البحر المحيط ٣٤٨/٢.

(٣) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « تأويله » .

(٤) فى ت١، ت٢، ت٣، س : « وقع » .

(٥) فى م : « بالفاء » .

(٦) سقط من : م .

(٧) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت٣، س : « بحلولها » .

﴿تَضِلَّ﴾ ؛ ليُعْلَمَ أن الذى قام مقامَ ما كان يَعْمَلُ فيه وهو ظاهرٌ ، قد دلَّ عليه وأدَّى عن معناه وعملِه ، أعنى[1] عن « كى » .

وإنما اخترنا ذلك فى القراءةِ لإجماعِ الحجَّةِ من قُدَماءِ القَرَأةِ والمتأخرين على ذلك ، وانفرادِ الأعمشِ ومَن قرَأ قراءتَه فى ذلك بما انْفَرد به عنهم ، ولا يجوزُ تركُ قراءةٍ جاء بها المسلمون مستفيضةً بينهم إلى غيرِها .

وأمَّا اختيارُنا ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ بتشديدِ الكافِ ؛ فلأنه بمعنى ترديدِ[2] الذِّكْرِ من إحداهما على الأخرى ، وتعريفِها إيّاها[3] ذلك لتَذْكُرَ ، فالتشديدُ به أوْلى من التخفيفِ .

وأمَّا ما حُكِى عن ابنِ عُيَيْنَةَ من التأويلِ الذى ذكَرناه ، فتأويلٌ خطأٌ لا معنى له ؛ لوجوهٍ شتى : **أحدُها** : أنه خلافٌ لقولِ جميعِ أهلِ التأويلِ .

والثانى : أنه معلومٌ أنَّ ضلالَ إحدى المرأتين فى الشهادةِ التى شهِدت عليها ، إنما هو ذهابُها[4] عنها ونسيانُها إيَّاها ، كضلالِ الرجلِ فى دينِه ، إذا تحيَّر فيه فعدَل عن الحقِّ ، وإذا صارت إحداهما بهذه الصفةِ ، فكيف يجوزُ أن تُصيِّرَها[5] الأخرى ذَكَرًا معها ، مع نسيانِها شهادتَها وضلالِها فيها ، والضالَّةُ منهما فى شهادتِها حينئذٍ لا شكَّ أنها إلى التذكيرِ أحوجُ منها إلى الإذكارِ . إلا أن يكونَ أراد أن الذاكرةَ / إذا ضعُفت صاحبتُها عن ذكرِ شهادتِها ، شحَذَتها[6] على ذكرِ ما ضعُفت عن ذكرِه فنسِيته ، ١٢٦/٣

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « أى » .

(٢) فى ص ، ت٢ ، ت٣ : « تودية » ، وفى م : « تأدية » ، وفى س : « درية » .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « بإنهاء » .

(٤) فى ص ، ت ١ ، س : « خطابها » ، وفى م : « خطؤها » .

(٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « تصير » .

(٦) فى م : « ستجرئها » ، وفى ت ١ : « ستجدها » . وشحذتها : قوتها . التاج (ش ح ذ) .

فقوَّتها[١] بالذكرِ ، حتى صيَّرتها كالرجلِ فى قوَّتِها فى ذكرِ ما ضعُفت عن ذكرِه من ذلك ، كما يقالُ للشىءِ القوىِّ فى عملِه : ذَكَرٌ . وكما يقالُ للسيفِ الماضى فى ضربتِه : سيفٌ ذَكَرٌ . ورجُلٌ ذَكَرٌ ، يُرادُ به ماضٍ فى عملِه ، قوىُّ البطشِ ، صحيحُ العزمِ . [٧٧/٨و] فإن كان ابنُ عُيينةَ هذا أراد ، فهو مذهبٌ مِن مذاهبِ تأويلِ ذلك ، إلا أنه إذا تُؤُوِّل كذلك ، صار تأويلُه إلى نحوِ تأويلِنا الذى تَأَوَّلْناه فيه ، وإن خالَفت القراءةُ بذلك المعنى القراءةَ التى اخْتَرناها ، بأن تصيرَ[٢] القراءةُ حينئذٍ الصحيحَ[٣] بالذى اختار قراءتَه من تخفيفِ الكافِ من قولِه : (فَتُذْكِرَ) . ولم نَعْلَمْ أحدًا تأوَّل ذلك كذلك ، فنسْتَجِيزَ[٤] قراءتَه كذلك بذلك المعنى .

فالصوابُ فى قراءتِه[٥] إذا كان الأمرُ على ما وصَفنا ما اخْتَرْنا[٦] .

ذكرُ مَن تأوَّل قولَه : ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَنٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَنٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ . نحوَ تأويلِنا الذى قلنا فيه

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَنٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَنٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ : علِم اللَّهُ أن ستكونُ حقوقٌ ، فأخَذ لبعضِكم[٧] مِن بعضٍ الثقةَ ، فخُذوا بثقةِ اللَّهِ ، فإنه أطوعُ لربِّكم ،

---

(١) فى ص ، ت ١: « فقوته » .

(٢) فى ص : « يعين » ، وفى م ، ت ١: « تغير » .

(٣) فى ص ، م ، ت ٢، س: « الصحيحة » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت٣، س: « ويستحب » .

(٥) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت٣، س: « قوله » .

(٦) فى الأصل : « أخبرناه » ، وفى س : « أخذناه » .

(٧) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت٣، س: « لبعضهم » .

وأدرَكُ لأموالِكم ، ولعَمْرِى لئن كان تقيًّا لا يَزِيدُه الكتابُ إلا خيرًا ، وإن كان فاجرًا فبالحَرَى أن يُؤَدِّىَ إذا علِم أن عليه شُهودًا .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ . يقولُ : أن تنسَى إحداهما فتُذَكِّرَها الأخرى[1] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ . يقولُ : تنسى إحداهما الشهادةَ ، فتُذَكِّرها الأُخْرَى[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زهيرٍ ، عن جويبرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا﴾ . يقولُ : أن تَنْسَى إحداهما فتُذَكِّرَها الأُخرى[3] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ﴾ . [٧٧/٨ظ] قال : [4]إن أخطأَتِ الشهادةَ فذكَّرتها الأُخرى . قال : و(تُذَكِّرُ) ، فـ(تُذكِرُ) قال[4] : كلاهما لغةٌ ، وهما سواءٌ ، ونحن نَقْرأُ : ﴿فَتُذَكِّرَ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى الحالِ التى نَهى اللَّهُ الشهداءَ عن إباءِ الإجابةِ إذا دُعوا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٢/٢ عقب الأثر (٢٩٩٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٢/٢ عقب الأثر (٢٩٩٢) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٢/٢ عقب الأثر (٢٩٩٢) معلقا .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س .

بهذه الآيةِ ؛ **فقال بعضُهم** : معناه : ولا يأْبَ الشهداءُ أن يُجيبوا إذا دُعُوا ليَشْهَدُوا على الكتابِ والحقوقِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ : كان الرجلُ يَطُوفُ فى الحِواءِ[1] العظيمِ فيه القومُ ، فيَدْعُوهم إلى الشهادةِ ، فلا يَتْبَعُه أحدٌ منهم . قال : وكان قتادةُ يَتأوَّلُ هذه الآيةَ : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . ليَشْهَدُوا لرجلٍ على رجلٍ[2] .

١٢ / **حدِّثتُ** عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . قال : كان الرجلُ يَطُوفُ فى القومِ الكثيرِ ، يَدْعُوهم ليُشهِدَهُم[3] ، فلا يَتْبَعُه أحدٌ منهم ، فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾[4] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . قال : لا تَأْبَ أن تَشْهَدَ إذا دُعِيت إلى شهادةٍ[5] .

وقال آخرون بمثلِ معنى هؤلاءِ ، إلا أنهم قالوا : إنما[6] يجِبُ فرضُ ذلك على مَن دُعِى للإشهادِ على الحقوقِ إذا لم يُوجَدْ غيرُه ، فأما إذا وجِد غيرُه ، فهو فى الإجابةِ إلى

---

(١) الحواء : بيوت مجتمعة من الناس على ماء ، والجمع : أحوية . النهاية ١/ ٤٦٥.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٧٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) فى ص ، م ، ت١، ت٢، ت٣: « ليشهدوا » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٦٣ (٣٠٠١) من طريق عبد اللَّه بن أبى جعفر به .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٠.

(٦) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

ذلك [٧٨/٨و] مُخيرٌ ، إن شاء أجاب وإن شاء لم يُجِبْ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن جابرٍ ، عن الشعبيِّ ، قال : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . قال : إن شاء شهِد ، وإن شاء لم يَشْهَدْ ، فإذا لم يوجَدْ غيرُه شهِد[(١)] .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا يَأبَ الشهداءُ إذا ما دُعُوا للشهادةِ على مَن أراد الداعى إشهادَه عليه ، وللقيامِ بما عندَه مِن الشهادةِ مِن الإجابةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا أبو عامرٍ ، عن الحسنِ : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . قال : قال الحسنُ : الإقامةُ والشهادةُ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ فى قولِه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ : كان الحسنُ يقولُ : جمَعَت أمرين : لا تَأبَ إذا كانت عندَك شهادةٌ أن تَشْهَدَ ، ولا تَأبَ إذا دُعيتَ إلى شهادةٍ[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بن أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . يَعْنى : مَن احْتيج إليه مِن المسلمين شهِد على شهادةٍ ، أو[(٣)] كانت عندَه شهادةٌ[(٤)] ، فلا يَحِلُّ له أن

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ٧٢/٧ من طريق سفيان به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٣/٢ (٢٩٩٩) من طريق جابر به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٠.

(٣) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت٣، س : « إن » .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت٣، س .

يَأبى إذا ما دُعِى[(١)].

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : حدَّثنا هشيمٌ ، عن يُونسَ ، عن الحسنِ : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ . قال : لإقامتِها [(٢)] ولابتدائِها [(٢)] ، إذا دعَاه ليُشْهِدَه ، وإذا دعاه ليُقيمَها[(٣)] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يَأبَ الشهداءُ إذا ما دُعُوا للقيامِ بالشهادةِ التى عندَهم للداعى ، من إجابتِه إلى القيامِ بها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ . قال : إذا شهِد .

١٢٨/٣ /حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ . قال : إذا كانوا قد شهِدوا قبلَ ذلك[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن ابنِ أبى نـجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ﴾ . يَقُولُ : إذا كانوا قد شهِدُوا[(٥)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٣/٢ (٣٠٠٢) ، والبيهقى ١٦٠/١٠ من طريق عبد الله بن صالح به .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «ولا يبدأ بها» ، وفى م: «ولا يبدأ بها» ، وفى س: «ولا تبدأ بها» .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة ٧١/٧ من طريق يونس به .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة ٧٣/٧ من طريق ابن أبى نجيح به .

(٥) فى الأصل ، ص ، م ، ت ١: «أشهدوا» .

والأثر أخرجه ابن أبى شيبة ٧٣/٧ عن وكيع به ، وأخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١١٠/١ عن سفيان به .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ علية ، عن ابنِ أبي نجيح ، [٧٨/٨ظ] عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . قال : إذا كانت عندَك شهادةٌ فدُعيتَ[1] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلية ، قال : ثنا ليثٌ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . قال : إذا كانت عندَك[2] شهادةٌ فأقِمْها ، فإذا دُعِيت لتَشهَدَ ، فإن شئْتَ فاذْهَبْ ، وإن شِئْتَ فلا تَذْهَبْ[3] .

حدَّثنا سَوَّارُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : ثنا عبدُ الملكِ بنُ الصَّبَّاحِ ، عن عمرانَ بنِ حُدَيرٍ[4] ، قال : قُلْتُ لأبي مِجلَزٍ : ناسٌ يَدْعُونَني لأَشْهَدَ بينَهم ، وأنا أَكْرَهُ أن أَشْهَدَ بينَهم ؟ قال : دَعْ ما تَكْرَهُ ، فإذا أُشهِدْتَ[5] فأجِبْ إذا دُعِيت[6] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن جابرٍ ، عن عامرٍ ، قال : الشاهدُ بالخيارِ ما لم يُشْهَدْ[7] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عَوْنٍ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، عن يونسَ ، عن عكرمةَ في قولِه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . قال : لإقامةِ الشهادةِ[8] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عَوْنٍ ، قال : أخبَرنا هشيمٌ ، عن أبي

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٢ - تفسير) ، وابن أبي شيبة ٧٠/٧ عن ابن علية به ، ولفظ ابن أبي شيبة : فقد دعيت .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٣/٢ عقب الأثر (٢٩٩٩) معلقًا .

(٤) في ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « جرير » .

(٥) في م : « شهدت » .

(٦) أخرجه ابن أبي شيبة ٧١/٧ ، ٧٢ من طريق عمران به .

(٧) أخرجه ابن أبي شيبة ٧٢/٧ عن وكيع به وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٦٣/٢ (٣٠٠٠) من طريق جابر به .

(٨) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٠ - تفسير) عن هشيم به .

عامرٍ ، عن عطاءٍ ، قال : فى إقامةِ الشهادةِ[(١)] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : ثنا أبو عامرٍ المزنىُّ ، قال : سمِعتُ عطاءً يقولُ : ذلك فى إقامةِ الشهادةِ . يعنى قولَه : ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبَرنا أبو حُرَّةَ[(٣)] ، أخبَرنا عن الحسنِ أنه سأَله سائلٌ قال : أُدْعَى إلى الشهادةِ وأنا أكْرَهُ أن أشْهَدَ عليها ؟ قال : فلا تُجِبْ إن شِئْتَ[(٤)] .

حدَّثنا يعقوبُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، عن مغيرةَ ، قال : سأَلْتُ إبراهيمَ قلتُ : أُدْعَى إلى الشهادةِ وأنا أخافُ أن أنسى ؟ قال : فلا تَشْهَدْ إن شِئْتَ[(٥)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا أبو عامرٍ ، عن عطاءٍ ، قال : للإقامةِ .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن شَريكٍ ، عن سالمٍ الأَفْطَسِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ . قال : إذا كانوا قد شَهِدوا[(٦)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبَرنا ابنُ المباركِ ، عن شريكٍ ، عن سالمٍ ، عن سعيدٍ : ﴿وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ﴾ . قال : هو الذى عندَه

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٥٩ - تفسير) عن هشيم به .

(٢) فى م ، س : « مرة » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٦٥ - تفسير) عن هشيم به ، وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٥٥٦٢) من طريق أبى حرة به .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٥٥٦١) ، وسعيد بن منصور فى سننه (٤٦٤ - تفسير) عن هشيم به .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٦١ - تفسير) عن شريك به .

الشهادةُ[١] .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّيِّ قولَه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . يقولُ : لا يَأْبَ الشاهدُ أن يَتقدمَ فيَشْهَدَ إذا كان فارِغًا[٢] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قلت لعطاءٍ : ﴿ وَلَا / يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . قال : هم الذين قد شهِدوا . قال : ولا يَضُرُّ إنسانًا أن يأبى أن يَشْهَدَ إن شاء . قال : قُلْتُ لعطاءٍ : ما شأنُه إذا دُعِى أن يَكْتُبَ وجَب عليه ألا يأبى ، وإذا دُعِى أن يَشْهَدَ لم يَجِبْ عليه أن يشهَدَ إن شاء ؟ قال : كذلك يَجِبُ على [٧٩/٨و] الكاتبِ أن يَكْتُبَ ، ولا يَجِبُ على الشاهدِ أن يَشْهَدَ إن شاء ، الشهداءُ كثيرٌ[٣] . ١٢٩/٣

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . قال : إذا شهِد فلا يَأْبَ إذا دعِى أن يَأتىَ يُؤَدِّى شَهادتَه ويُقيمُها[٤] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ ﴾ . قال : كان الحسنُ يتأوَّلُها : إذا كانت عندَه شهادةٌ فدُعِى ليُقيمَها[٥] .

حدَّثني يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جويبرٌ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ قال : إذا كتَب الرجلُ شهادَتَه ،

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ٧/ ٧٢، والبغوى فى الجعديات (٢١٨١) من طريق شريك به .

(٢) ذكره أبو حيان فى البحر المحيط ٣٥٠/٢ بنحوه .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٥٥٦٠) عن ابن جريج به مختصرًا .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٢/٢ (٢٩٩٧) من طريق ابن وهب ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن زيد ابن أسلم بنحوه .

(٥) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (تفسير - ٤٦٣) من طريق يونس ، عن الحسن بنحوه .

أو أُشْهِدَ الرجلُ فشهِد ، والكاتبُ الذى يَكْتُبُ الكتابَ ، إذا دُعُوا إلى مقطعِ الحقِّ ، فعليهم أن يُجِيبوا ، وأن يَشْهَدوا بما أُشْهِدُوا عليه[١] .

وقال آخرون : هو أمرٌ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ الرجلَ والمرأةَ بالإجابةِ إذا دُعِى ليَشْهَدَ على ما لم يُشْهَدْ عليه مِن الحقوقِ ابتداءً ، لا لإقامةِ الشهادةِ ، ولكنه أمرُ ندْبٍ لا فرضٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى أبو العاليةِ العبدىُّ إسماعيلُ بنُ الهيثمِ ، قال : ثنا أبو قتيبةَ ، عن فُضيلِ بنِ مرزوقٍ ، عن عطيةَ العوفىِّ فى قولِه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . قال : أُمِرت أن تَشْهَدَ ، فإن شِئْتَ فاشْهَدْ ، وإن شئت فلا تَشْهَدْ .

حدَّثنى أبو العاليةِ ، قال : ثنا أبو قتيبةَ ، عن محمدِ بنِ ثابتٍ العبدىِّ[٢] ، عن عطاءٍ بمثلِه[٣] .

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ قولُ مَن قال : معنى[٤] ذلك : ولا يَأْبَ الشهداءُ مِن الإجابةِ إذا دُعُوا لإقامةِ الشهادةِ وأدائِها عندَ ذى سلطانٍ أو حاكمٍ ، يَأْخُذُ مِن الذى عليه ما عليه للذى هو له .

وإنما قُلْنا : هذا القولُ بالصوابِ أولى فى ذلك مِن سائرِ الأقوالِ غيرِه ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه قال : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . فإنما أمَرهم بالإجابةِ للدعاءِ

---

(١) ذكره أبو حيان فى البحر المحيط ٢/ ٣٥٠.

(٢) فى النسخ : « العصرى » . والمثبت من سنن سعيد بن منصور . وينظر تهذيب الكمال ٢٤/ ٥٥٤.

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٥٨ - تفسير) ، وابن أبى شيبة ٧/ ٧٢ من طريق محمد ابن ثابت به .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

للشهادةِ ، وقد ألزَمهم اسمَ الشهداءِ ، وغيرُ جائزٍ أن يُلْزِمَهم اسمَ الشهداءِ إلا وقد استُشهِدوا قبلَ ذلك ، فشهِدوا على ما لزِمَهم بشهادتِهم عليه اسمُ الشهداءِ ، فأما قبلَ أن يُسْتَشْهَدُوا فيشهَدوا[(1)] [(2)] على شيءٍ [(2)] ، فغيرُ جائزٍ أن يُقالَ لهم : شهداءُ . لأن ذلك الاسمَ لو كان يَلْزَمُهم ولمَّا يُسْتَشْهَدُوا على شيءٍ يَسْتوجِبُون بشهادتِهم عليه هذا الاسمَ ، لم يكنْ على الأرضِ [٧٩/٨ظ] أحدٌ له عقلٌ صحيحٌ إلا وهو مُسْتَحِقٌّ أن يُقالَ له[(3)] : شاهدٌ . بمعنَى أنه سيَشْهَدُ ، أو أنه يَصْلُحُ لأنْ يَشْهَدَ ، فإنْ كان خطأً أن يُسَمَّى بذلك الاسمِ إلا مَن عندَه شهادةٌ لغيرِه ، أو مَن قد قام بِشهادةٍ فلزِمه لذلك هذا الاسمُ ، كان معلومًا أن المعنيَّ بقولِه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ مَن وصَفْنا صفتَه ، ممن قد اسْتُرْعِيَ شهادةً أو شهِد فدُعِي إلى القيامِ بها ؛ لأن الذى لم يُسْتَشْهَدْ ولم يُسْتَرعَ شهادةً قبلَ الإشهادِ ، غيرُ مستحقٌّ اسمَ شهيدٍ ولا شاهدٍ ؛ لما قد / وصَفنا قبلُ. ١٣٠/٣

مع أنّ فى دخُولِ الألفِ واللامِ فى ﴿ ٱلشُّهَدَآءُ ﴾ دلالةً واضحةً على أنَّ المعْنِيَّ[(4)] بالنهيِ عن تركِ الإجابةِ للشهادةِ ، أشخاصٌ معلُومُون قد عُرِفوا بالشهادةِ ، وأنهم الذين أمَر اللَّهُ عزَّ وجلَّ أهلَ الحقوقِ باستشهادِهم بقولِه : ﴿ وَٱسْتَشْهِدُواْ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ ﴾ . وإذ كان ذلك كذلك ، كان معلومًا أنهم إنما أُمِرُوا بإجابةِ داعيهم لإقامةِ شهادتِهم بعدَ ما اسْتُشْهِدُوا فشَهِدوا ، ولو كان ذلك أمرًا لمن اعْتُرِض مِن الناسِ ، فدُعِي إلى الشهادةِ يَشْهَدُ[(5)] عليها ، لقيل : ولا يَأْبَ شاهدٌ إذا ما دُعِي .

---

(1) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢ - ٢) فى س : « قبل » .

(3) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(4) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المسمى » .

(5) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فشهد » .

غيرَ أن الأمرَ وإن كان كذلك ، فإن الذى نقولُ به فى الذى يُدْعَى لِشهادةٍ يشْهَدُ عليها إذا كان بموضعٍ ليس به سواه ممّن يَصْلُحُ للشهادةِ ، فإن الفرضَ عليه إجابةُ داعِيه إليها ، كما فَرْضٌ على الكاتبِ إذا اسْتُكتِب بموضعٍ لا كاتبَ به سواه ، ففَرْضٌ عليه أن يَكْتُبَ ، كما فَرْضٌ على مَن كان بموضعٍ لا أحدَ به سواه يَعْرِفُ الإيمانَ وشرائعَ الإسلامِ ، فحضَره جاهلٌ بالإيمانِ وبفرائضِ اللَّهِ ، فسأله تعليمَه وبيانَ ذلك له أن يُعَلِّمَه ويبيِّنَه له . ولم نُوجِبْ ما أوجَبْنا على الرجلِ مِن الإجابةِ للشهادةِ إذا دُعِى ابتداءً لِيَشهدَ على ما يُسْتَشهدُ[1] عليه بهذه الآيةِ ، ولكن بأدلةٍ سواها ، وهى ما ذكَرْنا . [2]وإنَّ[2] فرْضًا[3] على الرجلِ إحياءُ ما قدَر على إحيائِه من حقِّ أخيه المسلمِ .

والشهداءُ جمعُ شهيدٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾ .

يعْنى بذلك جلَّ ثناؤه : ولا تسْأموا أيّها الذين تُدايِنُون الناسَ إلى أجلٍ أن تَكْتُبوا صغيرَ الحقِّ ، يعْنى قليلَه ، أو كبيرَه ، يَعْنى : أو كثيرَه ، ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾ يعْنى[4] : إلى أجلِ الحقِّ ، فإن الكتابَ أحْصَى[5] للأجلِ والمالِ .

كما حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا سويدٌ ، قال : أخبَرنا ابنُ المباركِ ، عن شَريكٍ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَلَا [٨٠/٨و] تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾ . قال : هو [6]الحقُّ الذى بينَهما[6] ، الدَّينُ .

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أشهد » .

(٢ - ٢) فى م : « وقد » .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فرضنا » .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س .

(٥) فى حاشية الأصل : « فى الأم : إحصاء » .

(٦ - ٦) سقط من : م .

ومعنى قولِه : ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ ﴾ : لا تَملُّوا . يقالُ منه : سئِمتُ فأنا أسْأَمُ سآمةً وسَأْمةً ، ومنه قولُ لَبيدٍ[(١)] :

ولقد سَئِمْتُ مِن الحياةِ وطُولِها وسؤالِ هذا الناسِ : كيف لَبيدُ

يعْنى : ملَلتُ .

وقولُ زهيرٍ[(٢)] :

سَئِمتُ تكاليفَ الحياةِ ومن يَعِشْ ثمانينَ حَوْلًا[(٣)] لا أبا لَكَ يَسْأَمِ

وقال بعضُ نحويِّى البصريين : تأويلُ قولِه : ﴿ إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾ : إلى أجلِ الشاهِدِ . ومعْناه : إلى الأجلِ الذى لا[(٤)] تجُوزُ شهادتُه فيه .

وقد بينَّا القولَ (٥ فى ذلك ٥) .

/القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . ١٣١/٣

يعْنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ ذَٰلِكُمْ ﴾ : اكتتابُ كتابِ الدَّيْنِ إلى أجلِه . ويعنى بقولِه : ﴿ أَقْسَطُ ﴾ : أعدلُ عندَ اللَّهِ . يُقالُ منه : أقسَط الحاكمُ فهو يُقْسِطُ إقساطًا وهو مُقْسِطٌ . إذا عدَل فى حكمِه ، وأصاب الحقَّ فيه . فإذا جار ، قيل : قسَط فهو يَقْسِطُ قُسوطا ؛ ومنه قولُ اللَّهِ جل ثناؤُه : ﴿ وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٥] . يعنى الجائرين .

---

(١) ديوانه ص ٣٥.

(٢) شرح ديوانه ص ٢٩.

(٣) فى ص ، ت ١، س : «عاما» .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : «فيه» وينظر ما تقدم فى ص ٦٩ وما بعدها .

وبمثلِ ما قُلْنا فى ذلك قال جماعةُ أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قولَه : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : أعدلُ عندَ اللَّهِ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ ﴾ .

يَعْنى بذلك جلَّ ثناؤه : وأصوبُ للشهادةِ . وأصلُه مِن قولِ القائلِ : أَقَمتُه مِن عِوَجِه . إذا سوَّيتَه [٨/٨٠ظ] فاستوَى .

وإنما كان الكتابُ أعدلَ عندَ اللَّهِ ، وأصوبَ لشهادةِ الشهودِ على ما فيه ؛ لأنه يَحْوِى الألفاظَ التى أقرَّ بها البائعُ والمشترى وربُّ الدَّينِ ، والمستدينُ على نفسِه ، فلا يَقَعُ بينَ الشهودِ اختلافٌ فى ألفاظِهم بِشهاداتِهم ؛ لاجتماعِ شهاداتِهم على ما حواه الكتابُ ، وإذا اجتمَعت شهاداتُهم على ذلك ، كان فصلُ الحكمِ بينَهم أبْيَنَ لمن احْتُكِم إليه مِن الحكامِ ، مع غيرِ ذلك مِن الأسبابِ ، وهو أعدلُ عندَ اللَّهِ ؛ لأنه قد أمَر به ، واتباعُ أمرِ اللَّهِ لاشكَّ أنه عندَ اللَّهِ أقسطُ وأعدلُ مِن تركِه والانحرافِ عنه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ وَأَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾ .

يعْنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ وَأَدْنَىٰٓ ﴾ : وأقربُ ، من الدُّنُوِّ وهو القربُ .

ويَعْنى بقولِه : ﴿ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾ : مِن ألا تَشُكُّوا فى الشهادةِ .

كما حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ذلك ﴿ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَرْتَابُوٓاْ ﴾ . يقولُ : ألا تشكُّوا فى الشهادةِ[2] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٦٤ (٣٠٠٧) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٦٥ عقب الأثر (٣٠١٢) من طريق عمرو بن حماد به .

وهو « تفتعِلوا »[(١)] مِن الرِّيبةِ .

ومعنى الكلامِ : ولا تَمَلُّوا أيُّها القومُ أن تَكْتُبوا الحقَّ الذى لكم قِبَلَ مَن دايَنْتُموه مِن الناسِ إلى أجلٍ ، صغيرًا كان ذلك الحقُّ [(٢)]أو كبيرًا[(٢)] ، فإن كتابَكم ذلك أعدلُ عندَ اللَّهِ ، وأصوبُ لشهادةِ شهودِكم عليه ، وأقربُ لكم ألا تشكُّوا فيما يشهدُ به شهودُكم عليكم مِن الحقِّ والأجلِ إذا كان مكتوبًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ [(٣)]تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً[(٣)] تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ .

ثم استثنى جلَّ ثناؤه مما نهاهم أن يَسْأَموه مِن اكتتابِ كتبِ حقوقِهم على غرمائِهم من الحقوقِ التى لهم عليهم ، ما وجَب لهم قِبَلَهم مِن حقٍّ ، عن مبايعةٍ بالنقودِ الحاضرةِ يدًا بيدٍ ، فرخَّص لهم فى تركِ اكتتابِ الكتبِ بذلك ؛ لأن كلَّ واحدٍ منهم ، أعنى مِن الباعةِ والمشترين ، يَقْبِضُ إذا كان التواجبُ بينَهم فيما تبايعوه[(٤)] / ١٣٢/٣ نقدًا[(٥)] ، ما وجَب له قِبَلَ مُبايعيه [٨١/٨و] قبلَ المفارقةِ ، فلا حاجةَ بهم فى ذلك إلى اكْتِتابِ أحدِ الفريقَين على الفريقِ الآخرِ كتابًا بما وجَب لهم قِبلَهم ، وقد تقابَضوا الواجبَ لهم عليهم ، فلذلك قال تعالى ذكرُه : ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ . لا أجلَ فيها ولا تأخيرَ ولا ثُنيا[(٦)] ، ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ . يقولُ : فلا حرجَ عليكم ألا تَكْتُبوها . يعنى التجارةَ الحاضرةَ .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

---

(١) فى ص ، س : « تفعيل » ، وفى م : « تفتعل » .

(٢ - ٢) فى الأصل ، ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قليلًا أو كثيرًا » ، وكتب مقابله فى حاشية الأصل : « كبيرًا » .

(٣ - ٣) ضبطها فى الأصل : « تجارةٌ حاضرةٌ » . بالرفع ، وهى القراءة التى اختارها المصنف كما سيأتى .

(٤) فى ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ : « يتبايعونه » ، وفى ت ١ ، س : « يبايعونه » .

(٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بعد » .

(٦) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « نساء » ، وفى س : « شيا » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ قولَه : ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ . يقولُ : معكم بالبلدِ تديرونها[(١)] ، فتأخُذُ وتُعْطِى ، فليس على هؤلاء جناحٌ ألا يَكْتُبوها[(٢)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ وَلَا تَسْـَٔمُوٓاْ أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦ ﴾ إلى قولِه : ﴿ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ . قال : أمَر اللَّهُ ألا تسْأموا أن تَكْتُبوه صغيرًا أو كبيرًا إلى أجلِه ، وأمَر ما كان يدًا بيدٍ أن يُشْهدَ عليه ؛ صغيرًا كان أو كبيرًا ، ورخَّص لهم ألا يَكْتُبوه[(٣)] .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأته قرأةُ الحجازِ والعراقِ وعامةُ القرأةِ : (إلا أن تَكُونَ تـجارَةٌ حَاضِرَةٌ) بالرفعِ[(٤)] . وانْفَرَد بعضُ قرأةِ الكوفيين بقراءتِه[(٥)] بالنصبِ ، [(٦)] فقرأ : ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً ﴾[(٦)] . وذلك وإن كان جائزًا فى العربيةِ ، إذ كانت العربُ تَنْصِبُ النكراتِ المَنْعـوتاتِ[(٧)] مع « كان » ، وتُضْمِرُ معها فى « كان » مجهولًا ، فتقولُ : إن كان طعامًا طيبًا فأْتِنا به . وتَرْفَعُها فتقولُ : إن كان طعامٌ

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « ترونها » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٥/٢ (٣٠١٥) من طريق عمرو به مختصرا .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٦/٢ عقب الأثر (٣٠٢٠) معلقًا .

(٤) زيادة من : م .

وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ١٩٤ .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فقرأته » ، وفى م : « فقرأه » .

(٦ - ٦) سقط من : م ، س .

وقراءة النصب هى قراءة عاصم . المصدر السابق .

(٧) فى ص : « المبعوثان » ، وفى م ، ت ٢ : « والمنعوتات » ، وفى س : « المتبوعات » .

طيبٌ فأْتِنا به . فتُتْبِعُ النكرةَ خبرَها بمثلِ إعرابِها - فإن الذى أَخْتارُ مِن القراءةِ ، ثم لا أَسْتَجِيزُ القراءةَ بغيرِه ، الرفعُ فى « التجارة الحاضرة » ؛ لإجماعِ القرأةِ على ذلك ، وشذوذِ مَن قرَأ ذلك نَصْبًا عنهم ، ولا يُعْتَرَضُ بالشاذِّ على الحُجَّةِ[1] . ومما جاء نصبًا[2] قولُ الشاعرِ[3] :

أَعَيْنَيَّ هَلَّا تَبْكِيانِ عِفَاقَا[4] إذا كان طَعْنًا بينَهم وعِنَاقا

وقولُ الآخرِ[5] :

ولِلَّهِ قَومِى أىُّ قَوْمٍ لِحُرَّةٍ إذا كان يَوْمًا ذا كواكبَ أشْنَعا

/ وإنما تَفْعَلُ العربُ ذلك فى النكراتِ ؛ لِمَا وصَفْنا مِن إتْباعِ أخبارِ النكِراتِ أسماءَها ، و« كان » من حكمِها أن يَكونَ معها مرفوعٌ ومنصوبٌ ، فإذا رفَعوهما جميعًا[6] تذَكَّروا إتْباعَ النكرةِ خبرَها ، وإذا نصبوها[7] تذكَّروا صُحْبةَ « كان » مرفوعٍ ومنصوبٍ ، ووجَدوا النكرةَ يَتْبَعُها خبرُها ، [٨١/٨ظ] (٨فنصَبوا النكرةَ وأتبعوها خبرَها٨) ، وأضْمَروا فى « كان » مجهولًا ؛ لاحتمالِها الضميرَ . ١٣٣/٣

---

(١) قراءة النصب متواترة كقراءة الرفع .

وقد قال أبو جعفر النحاس : السلامة عند أهل الدين أنه إذا صحت القراءتان عن الجماعة ألا يقال : أحدهما أجود ؛ لأنهما جميعا عن النبى ﷺ ، فيأثم من قال ذلك ، وكان رؤساء الصحابة رضى اللَّه عنهم ينكرون مثل هذا . البرهان للزركشى ١/ ٣٤٠.

(٢) بعده فى ص : « فى ذلك » .

(٣) معانى القرآن للفراء ١/ ١٨٦.

(٤) عفاق : اسم رجل أكلته باهلة فى قحط أصابهم . اللسان (ع ف ق) .

(٥) معانى القرآن للفراء ١/ ١٨٦ ، ونسبه سيبويه فى الكتاب ٤٧/١ إلى عمرو بن شأس ، ورواية الشطر الأول مختلفة عما هنا ، ونسبه فى اللسان (ك و ن) إلى مقاس العائذى باختلاف أيضًا فى الشطر الأول ، والشطر الثانى بالرفع .

(٦) فى ص : « جميعها » ، وفى م : « جميعهما » .

(٧) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « نصبوهما » .

(٨ - ٨) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

وقد ظنَّ بعضُ الناسِ أن مَن قرأ ذلك : ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً حَاضِرَةً ﴾ . إنما قرأه على معنى : إلا أن يَكونَ الدَّيْنُ[1] تجارةً حاضرةً . فزعَم أنه كان يَلْزَمُ قارئَ ذلك أن يَقْرَأَ : يكون بالياءِ ، وأغْفَل موضعَ صوابِ قراءتِه مِن جهةِ الإعرابِ ، وألْزَمه غيرَ ما يَلْزَمُه . وذلك أن العربَ إذا ذكروا[2] مع « كان » نكرةً مؤنثًا بنعتِها أو خبرِها ، أنَّثوا « كان » مرةً ، وذكَّروها أخرى ، فقالوا : إن كانت جاريةٌ صغيرةٌ فاشْترُوها ، وإن كان جاريةٌ صغيرةٌ فاشْترُوها ، [3]وإن كانت جاريةً صغيرةً فاشترُوها ، وإن كان جاريةً صغيرةً فاشترُوها[3] . تُذَكَّرُ « كان » - وإن نُصِبت النكرةُ المنعوتةُ أو رُفِعت - أحيانا ، وتُؤنَّثُ أحيانا .

وقد زعَم بعضُ نحويى البصرةِ أنَّ قولَه : (إلا أنْ تَكونَ تجارَةٌ حاضرةٌ) . مرْفوعةٌ فيه التِّجارةُ الحاضِرةُ لأنَّ « تكون » بمعنى التَّمامِ ، ولا حَاجةَ بها إلى الخَبرِ ، بمعنى : إلا أن تُوجدَ أو تقعَ أو تحدُثَ . فألزَم نفسَه ما لم يكنْ لها لازمًا ؛ لأنه إنما ألزَم نفسَه ذلك ، إذ لم يكنْ يجدُ لـ « كان » منصُوبًا ، ووجَد التجارةَ الحاضرةَ مرفُوعةً ، وأغفَلَ جَوازَ قولِه : ﴿ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ أن يكون خبرًا لـ « كان » ، فيسْتَغْنى بذلك عن إلزامِ نفسِه ما ألزَم .

والذى قال مَن حَكَيْنا قولَه من البصريين غيرُ خطأٍ فى العربيَّةِ ، غيرَ أنَّ الذى قلناه بكلامِ العَربِ أشبهُ ، وفى المعنى أصَحُّ ، وهو أن يكونَ فى قولِه : ﴿ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ . وجهان ؛ **أحدُهما** ، [4]أنه فى موضع نصبٍ على[4] أنه حَلَّ محلَّ خبرِ « كان » ، والتجارةُ الحاضرةُ اسمُها . **والآخرُ** ، أنه فى موضعِ رَفْعٍ على إتْباعِ التجارةِ

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .
(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « جعلوا » .
(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .
(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

الحاضرةِ ؛ لأنَّ خبرَ النكرةِ يتبعُها ، فيكونُ تأويلُه : إلا أن تكونَ تجارةٌ حاضرةٌ دائرةٌ بينكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وأشْهِدوا على صغيرِ ما تَبايَعْتُم وكبيرِه مِن حقوقِكم ؛ عاجلِ ذلك وآجلِه ، ونقدِه ونَسائِه ، فإنّ إرْخاصى لكم فى تركِ اكْتِتابِ الكتبِ بينَكم ، فيما كان مِن حقوقٍ تَجْرِى بينَكم لبعضِكم مِن قِبَلِ بعضٍ ، عن تجارةٍ حاضرةٍ دائرةٍ بينَكم يدًا بيدٍ ونقدًا ، ليس بإرخاصٍ منى لكم فى تركِ الإشْهادِ منكم على مَن بِعْتُموه شيئًا ، أو ابْتَعْتُم منه ؛ لأن فى تركِكم الإشهادَ على ذلك خوفَ المَضَرَّةِ على كلا الفريقَين ؛ أما ما على المُشْتَرِى فأن يَجْحَدَ البائعُ البيعَ ، وله بينةٌ على مُلْكِه ما قد باع ، ولا بينةَ [٨٢/٨و] للمشترِى منه على الشراءِ منه ، فيكونَ القولُ حينَئذٍ قولَ البائعِ مع يمينِه ويُقْضَى له به ، فيَذْهَبَ مالُ المشترِى باطلًا . وأما ما على البائعِ فأن يَجْحَدَ المشترِى الشراءَ ، وقد زال ملكُ البائعِ عما باع ، ووجَب له قِبَلَ المُبْتاعِ ثمنَ ما باع ، فيَحْلِفَ على ذلك ، ويبْطُلَ حقُّ البائعِ قِبَلَ المشترِى مِن ثمنِ ما باعه ، فأمَر اللَّهُ عز وجل الفريقَين بالإشهادِ ؛ لئلا يَضِيعَ حقُّ أحدِ الفريقين قِبَلَ الفريقِ الآخرِ .

ثم اخْتَلَفوا فى معنى قولِه : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . أهو أمرٌ مِن اللَّهِ واجبٌ بالإشهادِ عندَ المُبايَعةِ أم هو ندبٌ ؟ **فقال بعضُهم** : هو ندبٌ ، إن شاء أشْهَد ، وإن شاء لم يُشْهِدْ .

ذكرُ مَن قال ذلك

١٣٤/٣ / **حدَّثنا** ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن الربيعِ ، عن الحسنِ ، وسفيانَ[(١)] ، عن رجلٍ ، عن الشعبىِّ فى قولِه : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . قالا[(٢)] : إن شاء أشْهَد ،

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « شقيق » .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قال » .

وإن شاء لم يُشْهِدْ ، ألم تَسْمَعْ إلى قولِه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾[1] ؟

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المنهالِ ، قال : ثنا الربيعُ بنُ صبيحٍ ، قال : قلتُ للحسنِ : أرأيْتَ قولَ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ ؟ قال : إن أشْهَدْتَ عليه فهو ثقةٌ للذى لك ، وإن لم تُشْهِدْ عليه فلا بأسَ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ المباركِ ، عن الربيعِ بنِ صبيحٍ ، قال : قلتُ للحسنِ : يا أبا سعيدٍ ، قولُ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . قلتُ : أبيعُ الرجلَ بنَقْدٍ[2] ، وأنا أَعْلَمُ أنه لا يَنْقُدُنى[3] شهرين ولا ثلاثةً ، أتَرَى بأسًا ألا أُشْهِدَ عليه ؟ قال : إن أشْهَدْتَ فهو ثقةٌ للذى لك ، وإن لم تُشْهِدْ فلا بأسَ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيْعٍ ، عن داودَ ، عن الشعبىِّ : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . قال : إن شاءوا أشْهَدوا ، وإن شاءوا لم يُشْهِدوا .

وقال آخَرون : الإشهادُ على ذلك واجبٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، [4]قال : ثنا إسحاقُ[4] ، قال : ثنا أبو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٩٥ ، ٩٧ .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) فى م : « ينقد » ، وفى س : « ينفذ » .

(٤ - ٤) سقط من : الأصل .

تَكْتُبُوهَا﴾ : ولكن أشْهِدوا عليها إذا تَبايَعْتُم ، أمَر اللَّهُ ما كان يدًا بيدٍ أن تُشْهدَ[١] عليه ، صغيرًا كان أو كبيرًا[٢] .

حدَّثني يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخْبَرَنا يزيدُ ، قال : أخْبَرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحاكِ ، قال : ما كان مِن بيعٍ حاضرٍ ، فإن شاء أشْهَد ، وإن شاء لم يُشْهِدْ ، وما كان مِن بيعٍ إلى أجَلٍ ، فأمَر [٨٢/٨ظ] اللَّهُ تبارك وتعالى أن يُكْتَبَ وأن يُشْهدَ عليه ، وذلك فى المُقامِ .

وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ أن الإشهادَ على كلِّ مَبيعٍ ومُشْتَرًى حقٌّ واجبٌ ، وفرضٌ لازمٌ ؛ لِمَا قد بيَّنَّا مِن أن كلَّ أمرٍ للهِ ففرضٌ ، إلا ما قامَت حُجَّتُه مِن الوجهِ الذى يَجِبُ التسليمُ له بأنه ندبٌ أو إرشادٌ .

وقد دلَّلْنا على وَهْيِ[٣] قولِ مَن قال : إنه منسوخٌ بقولِه : ﴿فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ . فيما مضَى ، فأغْنَى ذلك عن إعادتِه[٤] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ .

اخْتلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : ذلك نَهْىٌ مِن اللَّهِ الكاتبَ الكتابَ بين أهلِ الحقوقِ وشهيدَه أن يُضارَّ أهلَه ، فيَكْتُبَ هذا ما لم يُمْلِلْه المُمِلُّ ، ويَشْهَدَ هذا بما لم يَسْتَشْهِدْه المستَشْهِدُ[٥] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعمرٌ ، عن ابنِ

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « يشهد » ، وفى م: « يشهدوا » .
(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٦/٢ عقب الأثر (٣٠٢٠) معلقا .
(٣) سقط من : م ، ت ٢ ، ت ٣ ، وفى ص ، ت ١ : « وهاء » .
(٤) ينظر ما تقدم فى ص ٧٣ - ٨١.
(٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الشهيد » .

١٣٥/٣ طاوسٍ ، عن / أبيه فى قولِه : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ : لا يُضارُّ كاتبٌ فيَكْتُبَ ما لم يُمَلَّ عليه ، ولا شهيدٌ بما لم يُسْتَشْهَدْ[1] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُليةَ ، عن يونُسَ ، قال : كان الحسنُ يقولُ : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ ﴾ فيَزِيدَ شيئًا أو يُحرِّفَ ، ﴿ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ قال : لا يَكْتُمِ الشهادةَ ، ولا يَشْهَدْ إلا بحقٍّ[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، [3]قال : حدَّثنا سعيدٌ[3] ، عن قَتادةَ ، قال : اتَّقَى اللَّهَ شاهدٌ فى شهادتِه ، لا يَنْقُصْ منها حقًّا ، ولا يَزِدْ[4] فيها باطلًا ، اتَّقَى اللَّهَ كاتبٌ فى كتابِه ، فلا يَدَعَنَّ منه حقًّا ، ولا يَزِيدَنَّ فيه باطلًا[5] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . قال : لا يُضارُّ كاتبٌ فيَكْتُبَ ما لم يُمْلَلْ عليه ، ولا شَهيدٌ فيَشْهَدَ بما لم يَشْهَدْ[6] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا سُوَيْدٌ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ المباركِ ، عن معمرٍ ، عن قَتادةَ نحوَه .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا

---

(١) ذكره البغوى فى تفسيره ١/ ٣٥٢.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٧/٢ (٣٠٢٣) من طريق ابن علية به .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ٢، ت ٣، س .

(٤) فى ص ، م ، ت ١، ت ٣: « يزيد » .

(٥) أخرجه البيهقى ١٦١/١٠ من طريق سعيد به نحوه .

(٦) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « يستشهد » .

والأثر فى تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٠، وفى مصنفه (١٥٥٦٣) ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٧/٢ (٣٠٢٦) .

يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ . قال : لا يُضارُّ كاتبٌ فيَكْتُبَ غيرَ الذى أُمْلِيَ عليه . قال : والكتَّابُ يومَئذٍ قليلٌ ، ولا يَدْرُون [٨٣/٨و] أيَّ شيءٍ يُكْتَبُ ، فيُضارُّ فيَكْتُبَ غيرَ الذى أُمْلِي عليه فيُبطِلَ حقَّهم . قال : والشهيدُ يُضارُّ فيُحَوِّلُ شهادتَه ، فيُبطِلُ حقَّهم[1] .

فأصلُ الكلمةِ على تأويلِ مَن ذكَرْنا قولَه مِن هؤلاءِ : ولا يُضارِرْ كاتبٌ ولا شهيدٌ . ثم أُدْغِمَت الراءُ فى الراءِ ؛ لأنهما مِن جنسٍ ، وحُرِّكَت إلى الفتحِ ، وموضعُها جزمٌ ؛ لأن الفتحَ أخفُّ الحركاتِ .

وقال آخرون ممَّن تأوَّل هذه الكلمةَ هذا التأويلَ : معنى ذلك : ولا يُضارِرْ كاتبٌ ولا شهيدٌ ، بالامتناعِ على مَن دعاهما إلى أداءِ ما عندَهما مِن العلمِ والشهادةِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ جُرَيجٍ ، عن عطاءٍ فى قولِه : ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ . يقولُ : أن يُؤَدِّيا ما قِبَلَهما[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قلتُ لعطاءٍ : ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ ؟ قال : لا يُضارَّا أن يُؤَدِّيا ما عندَهما مِن العلمِ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ المباركِ ، عن سفيانَ ، عن يزيدَ بنِ أبى زيادٍ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ﴿وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا

---

(١) ذكره الطوسى فى التبيان ٢/ ٣٧٦، وابن عطية فى المحرر الوجيز ٢٩٨/٢ عن ابن زيد بنحوه .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١١١/١ ومصنفه (١٥٥٦٤) ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٧/٢ (٣٠٢٤) عن الحسن به .

شَهِيدٌ ﴾ . قال : أن يَدْعُوَهما فيقولا : إن لنا حاجةً[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عطاءٍ ومجاهدٍ : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . قالا : واجبٌ على الكاتبِ أن يَكْتُبَ ، ﴿ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . قالا : إذا كان قد شهِد قِبَلَه[(٢)] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا يُضَارُّ المُسْتَكْتِبُ والمُسْتَشْهِدُ الكاتبَ والشهيدَ .

وتأويلُ الكلمةِ على مذهبِهم : ولا يُضارَرْ . على وجهِ ما لم يُسَمَّ فاعلُه .

ذكرُ مَن قال ذلك

١٣٦/٣ / **حدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، عن ابنِ عُيَيْنةَ ، عن عمرٍو ، عن عكرمةَ ، قال : كان عمرُ يَقْرَأُ : (ولا يُضارَرْ[(٣)] كاتبٌ ولا شهيدٌ)[(٤)] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ ، قال : أخْبَرَنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضحاكَ ، قال : كان ابنُ مسعودٍ يَقْرَأُ : (ولا يُضارَرْ)[(٥)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : أخْبَرَني [٨٣/٨ظ] عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ ، عن مجاهدٍ أنه كان يقرؤُها : (ولا يُضارَرْ كاتبٌ ولا شهيدٌ)[(٦)] . وأنه كان يقولُ في تأويلِها : يَنْطَلِقُ الذي له الحقُّ ، فيَدْعُو

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٧ (٣٠٢٢) ، والبيهقي ١٠/١٦٠ من طريق سفيان به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) مصنف عبد الرزاق (١٥٥٦٠) .

(٣) في ت٢ ، س : « يضار » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/١١١ ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٦ - تفسير) ، والبيهقي ١٠/١٦١ من طريق ابن عيينة به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٢ إلى سفيان وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١/٣٧٢ إلى المصنف . وينظر البحر المحيط ٢/ ٣٥٤ .

(٦) وهي شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة . النشر ٢/٢٢٧ ، ٢٢٨ .

كاتبَه وشاهدَه إلى أن يَشْهَدَ ، ولعله أن يَكونَ فى شُغْلٍ أو حاجةٍ ؛ لِيُؤَثِّمَه إن ترَك ذلك حينَئذٍ لشغلِه وحاجتِه . وقال مجاهدٌ : لا يُقَمْ عن شغلِه وحاجتِه ، فيَجِدَ فى نفسِه أو يحرجَ[1] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ : والضِّرارُ أن يقولَ الرجلُ للرجلِ وهو عنه غنىٌّ : إن اللَّهَ قد أمَرَك ألا تَأبى إذا ما دُعِيتَ . فيُضارَّه بذلك ، وهو مُكْتَفٍ بغيرِه ، فنهاه اللَّهُ عز وجل عن ذلك وقال : ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمْ ﴾[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . يقولُ : إنه يكونُ للكاتبِ أو الشاهدِ حاجةٌ ليس منها بُدٌّ ، فيقولُ : خَلُّوا سبيلَه .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن يونسَ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . قال : تكونُ به العِلَّةُ ، أو يكونُ مَشْغولًا ، يقولُ : فلا يُضارَّه[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ أنه كان يقولُ : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . يقولُ : لا تأتِ الرجلَ فتقولَ : انْطَلِقْ فاكتُبْ لى ، واشْهَدْ لى . فيَقولُ : إن لى حاجةً فالتَمِسْ غيرى .

---

(١) أخرجه البيهقى ١٦١/١٠ من طريق ابن جريج ، عن مجاهد .

(٢) أخرجه البيهقى ١٦٠/١٠ من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) معلقًا .

فيقولُ : اتقِ اللَّهَ ، فإنك قد أُمِرتَ أن تَكْتُبَ لى . فهذه المضارَّةُ ، ويَقُولُ : دَعْه والْتَمِسْ غيرَه ، والشاهدُ بتلك المنزلةِ[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زهيرٍ ، عن جويبرٍ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . يقولُ : يَدْعُو الرجلُ الكاتبَ أو الشهيدَ ، فيَقُولُ الكاتبُ أو الشهيدُ : إن لنا حاجةً . فيَقُولُ الذى يَدْعُوهما : إن اللَّهَ عزَّ ذكرُه أمَرَكما أن تُجيبَا فى الكتابةِ والشهادةِ . يقولُ اللَّهُ جل ثناؤُه : لا يضارَّهما[(١)] .

حُدِّثتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعت أبا معاذٍ ، قال : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعت الضحاكَ فى قولِه : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ : هو الرجلُ يَدْعو الكاتبَ والشاهدَ وهما على حاجةٍ مهمةٍ ، فيَقُولان : إنَّا على حاجةٍ مهمةٍ فاطْلُبْ غيرَنا . فيَقُولُ : (٢)واللَّهِ لقد أمَركما اللَّهُ أن تُجِيبا(٢) . فأمَره أن يَطْلُبَ غيرَهما ولا يُضارَّهما ، يَعْنى : ولا يَشْغَلهما عن حاجتِهما المهمةِ وهو يَجِدُ غيرَهما[(٣)] .

١٣٧/٣ / حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ قولَه : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . يقولُ : ليس يَنْبَغى أن تَعْتَرِضَ رجلًا له حاجةٌ فتُضارَّه ، فتقولَ له : اكْتُبْ لى . فلا تتْرُكُه حتى يكتبَ لك ، وتُفَوِّته حاجتَه ، ولا شاهدًا مِن شهودِك وهو مشغولٌ ، فتَقُولُ : اذْهَبْ فاشْهَدْ لى . فتحبِسُه عن حاجتِه وأنت تَجِدُ غيرَه[(٤)] .

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) معلقًا .

(٢ - ٢) فى م : « اللَّه أمركما أن تجيبا » .

(٣) فى الأصل : « غيرها » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) من طريق عمرو بن حماد به .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . قال : لما نزَلت : ﴿ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ ﴾ . كان أحدُهم يَجِىءُ إلى الكاتبِ فيَقُولُ : اكْتُبْ لى . فيَقُولُ : إنى مَشْغولٌ ، أو : لى حاجةٌ ، فانْطَلِقْ إلى غيرِى . فيَلْزَمُه ويقولُ : إنك قد أُمِرت أن تَكْتُبَ لى . فلا يَدَعُه ، ويُضَارُّه بذلك وهو يَجِدُ غيرَه ، ويأتى الرجلُ فيقولُ : انْطَلِقْ معى فأُشْهِدَك[1] . فيقولُ : [٨/٨٤و] انطلقْ إلى غيرِى ، فإنى مَشْغولٌ ، أو : لى حَاجةٌ . فيَلْزَمُه ويَقُولُ : قد أُمِرتَ أن تتَّبِعَنى . فيُضَارُّه بذلك وهو يَجِدُ غيرَه ، فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا سُويدٌ ، قال : أخبَرَنا ابنُ المباركِ ، عن معمرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . يقولُ : إنّ لى حاجةً فدَعْنى . فيَقُولُ : لا[3] ، اكْتُبْ لى . ولا شهيدٌ كذلك[4] .

وأولى الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : معنى ذلك : ولا يضارَرْ كاتبٌ ولا شهيدٌ . بمعنى : ولا يُضَارِرْهما مَن استَكْتَب هذا أو استشهَد هذا ؛ بأن يأبى على هذا إلا أن يَكْتُبَ له وهو مشغولٌ بأمرِ نفسِه ، ويَأبى على هذا إلا أن يُجِيبَه إلى الشهادةِ ، وهو غيرُ فارغٍ ، على ما قاله قائلو ذلك ، مِن القولِ الذى قد ذكَرناه قبلُ .

وإنما قلنا : هذا القولُ أولى بالصوابِ مِن غيرِه ؛ لأن الخطابَ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ فى هذه الآيةِ مِن مُبْتَدئِها إلى انقضائِها على وجهٍ : افعَلوا أو لا تفعَلوا . وإنما هو

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٧/٢ عقب الأثر (٣٠٢٢) من طريق ابن أبى جعفر به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى المصنف .

(٣) سقط من : م .

(٤) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١/ ١١١، وفى مصنفه (١٥٥٦٣) عن معمر بنحوه مختصرًا .

خطابٌ به لأهلِ الحقوقِ ، والمكتوبِ بينَهم الكتابُ ، والمشهودِ لهم أو عليهم بالذى تَدايَنوه بينَهم مِن الدُّيونِ . فأمَّا ما كان مِن أمرٍ أو نهيٍ فيها لغيرِهم ، فإنما هو على وجهِ الأمرِ والنهيِ للغائبِ غيرِ المخاطَبِ كقولِه : ﴿ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ ﴾ . وكقولِه : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ ﴾ . وما أشبَهَ ذلك . فالواجبُ إذ كان المأمورون فيها مخاطَبين بقولِه : ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ . (١)أن يكونَ بالرَّدِّ على قولِه : ﴿ وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ ﴾ . ولا تضارُّوا كاتبًا ولا شهيدًا ، ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ (١) . أشبَهُ منه بأن يَكُونَ مردودًا على الكاتبِ والشهيدِ . ومع ذلك أن الكاتبَ والشهيدَ لو كانا هما المنهيينْ عن الضِّرارِ لقيل : وإن يفعلا فإنه فسوقٌ بهما ؛ لأنهما اثنان ، وأنهما غيرُ مخاطَبَين بقولِه : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ ﴾ . بل النهيُ بقولِه : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ ﴾ . نهيٌ للغائبِ غيرِ المخاطَبِ . فتوجيهُ الكلامِ إلى ما كان نظيرًا لما فى سياقِ الآيةِ ، أولى مِن توجيهِه إلى ما كان مُنْعَدِلًا عنه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ .

١٣٨/٣ / يَعْنى بذلك تعالى ذكرُه : وإن تُضارُّوا الكاتبَ أو الشاهدَ ، وما نُهِيتم عنه مِن ذلك ، ﴿ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ . يعنى : إثمٌ بكم ومعصيةٌ .

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** فيه بنحوِ الذى قلنا فيه .

ذكرُ من قال ذلك

[٨٤/٨ظ] **حدَّثنى** المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زهيرٍ ، عن جويبرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ . يقولُ : إن تَفْعَلوا غيرَ الذى

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

آمرُكم به ، فإنه فُسوقٌ بكم[1] .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ ابنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ : والفسوقُ المعصيةُ[2] .

حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ : والفسوقُ العصيانُ[3] .

وقال آخرون : معنى ذلك : وإن يُضارَّ كاتبٌ فيكتبَ غيرَ الذى أمْلَى المُمْلِي ، ويضارَّ شهيدٌ ، فيحوِّلَ شهادتَه ويُغيِّرَها ، ﴿ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ . يَعْنى : فإنه كَذِبٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقٌۢ بِكُمْ ﴾ : الفسوقُ الكذبُ . قال : هذا فسوقٌ ؛ لأنه كذَب الكاتبُ[4] فحوَّل كتابَه فكذَب ، وكذَب الشاهدُ فحوَّل شهادتَه ، فأخبَرهم اللَّهُ عز وجل أنه كذِبٌ .

وقد دلَّلنا فيما مضَى على أن المعنيَّ بقولِه : ﴿ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾ . إنما معناه : (٥) لا يُضارَّهما (٥) المستكتِبُ والمستشهِدُ - بما فيه الكفايةُ . فقولُه : ﴿ وَإِن تَفْعَلُواْ ﴾ . إنما هو إخبارٌ منه جل ثناؤُه مُضَارَّهما بحكمِه فيهما ، وأنه بضِرَارِهما قد

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٢/١ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم ٥٦٨/٢ (٣٠٢٩) ، والبيهقى ١٦٠/١٠ من طريق أبى صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٨/٢ عقب الأثر (٣٠٢٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الكاذب » .

(٥ - ٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يضرهما » .

عصَى ربَّه وأثِم به ، وركِب ما لا يَحِلُّ له ، وخرَج عن طاعةِ ربِّه فى ذلك .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٨٢﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ : وخافوا اللَّهَ أيها المتداينون فى الكتّابِ والشهودِ أن تُضارُّوهم ، وفى غيرِ ذلك مِن حدودِه أن تُضيِّعوها .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ : ويُبيِّنُ اللَّهُ لكم الواجبَ لكم وعليكم فاعمَلوا به ، ﴿ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ . يعنى : مِن أعمالِكم وغيرِها ، يُحصيها عليكم فيجَازِيكم بها .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زهيرٍ ، عن جُوَيبرٍ ، عن الضحاكِ قولَه : ﴿ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ﴾ . قال : هذا تعليمٌ علَّمكُموه فخُذوا به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ .

١٣٩/٣ / **اختلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛** فقرَأته القرأةُ فى الأمصارِ جميعًا : ﴿ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا ﴾ . بمعنى : ولم تجِدُوا مَن يَكْتُبُ لكم كتابَ الدينِ الذى تَدايَنْتُموه إلى أجلٍ مسمًّى ، ﴿ فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ .

وقرَأه جماعةٌ مِن المتقدِّمين : (ولم تجِدُوا كِتابًا)[1] . بمعنى : ولم يَكُنْ لكم إلى

---

(١) فى الأصل ، ت ٢: « كاتبا » . والمثبت قراءة أُبىّ وابن عباس ومجاهد وأبى العالية - كما سيذكر المصنف - وقرأ ابن عباس أيضًا : « كُتّابًا » وهى شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة . وينظر البحر المحيط ٢/ ٣٥٥.

اكتِتابِ كتابِ الدَّينِ سبيلٌ ؛ إما بتَعَذُّرِ الدَّواةِ والصحيفةِ ، وإما بتَعَذُّرِ الكاتبِ وإن وجَدتم الدواةَ والصحيفةَ .

والقراءةُ التى لا يَجُوزُ غيرُها عندَنا هى قراءةُ قرأةِ الأمصارِ : ﴿وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ . بمعنى : مَن يَكْتُبُ ؛ لأن ذلك كذلك فى مصاحفِ المسلمين ، [(١)] وغيرُ جائزَةٍ القراءةُ بغيرِ ما فى مصاحفِ المسلمين مُثْبَتٌ من القراءاتِ .

فإذا كان ذلك كذلك فتأويلُ الكلامِ [(١)] : وإن كنتم أيُّها المُدَاينون [(٢)] فى سفرٍ بحيثُ لاتجِدُون كاتبًا يَكْتُبُ لكم ، ولم يكنْ لكم إلى اكتتابِ كتابِ الدينِ الذى تَدايَنْتُموه إلى أجلٍ مسمًّى بينَكم ، الذى أمَرتُكم باكتتابِه والإشهادِ عليه - سبيلٌ ، فارتهِنوا بدُيونِكم التى تَدايَنْتُموها إلى الأجلِ المسمَّى رُهونًا تَقْبِضُونها ممن تُدايِنونه كذلك ؛ ليكونَ ثقةً لكم بأموالِكم .

ذكرُ مَن قال ما قُلْنا فى ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زهيرٍ ، عن جُويبرٍ ، عن الضحاكِ [٨٥/٨ظ] قولَه : ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ : فمن كان على سفرٍ فبايَع بيعًا إلى أجلٍ فلم يَجِدْ كاتبًا ، فرُخِّص له فى الرهانِ المقبوضةِ ، وليس له إن وجَد كاتبًا أن يَرْتَهِنَ [(٣)] .

حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾ . يقولُ : كاتبًا يَكْتُبُ لكم ، ﴿فَرِهَٰنٌ

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) فى م : « المتداينون » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٩/٢ (٣٠٣٩) من طريق جويبر به بمعناه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٣/١ إلى المصنف .

مَّقۡبُوضَةٞ﴾ .

حدَّثني يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جويبرٌ ، عن الضحاكِ ، قال : ما كان مِن بيعٍ إلى أجلٍ ، فأمَر اللَّهُ عزَّ وجلَّ أن يُكْتَبَ ويُشْهَدَ عليه ، وذلك في المُقامِ ، فإن كان القومُ على سفرٍ فبايَعوا إلى أجلٍ فلم يَجِدوا كاتبًا[1] ، فرِهانٌ مقبوضةٌ .

ذكرُ مَن تأوَّل ذلك على القراءةِ الأُخرَى[1] التي حكَيناها

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبَرنا يزيدُ بنُ أبي زيادٍ ، عن مِقْسمٍ ، عن ابنِ عباسٍ : (فإن لم تَجِدُوا كتابًا) : يعني بالكتابِ الكاتبَ والصحيفةَ والدواةَ والقلمَ[2] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُليةَ ، قال : أخبَرنا ابنُ جريجٍ ، قال : أخبَرني أبي ، عن ابنِ عباسٍ أنه قرَأ : (فإن لم تَجِدوا كتابًا) . قال : ربما وجَد الرجلُ الصحيفةَ ولم يَجِدْ كاتبًا[3] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عليةَ ، قال : أخبرنا ابنُ أبي نجيحٍ ، أن مجاهدًا كان يَقْرَؤُها : (فإن لم تَجِدُوا كتابًا) . ويقولُ : ربما وُجِد الكُتَّابُ[4] ولم تُوجَدِ الصحيفةُ والمدادُ . ونحوَ هذا مِن القولِ[5] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٦٨ - تفسير) عن هشيم به .

(٣) ينظر فضائل القرآن لأبي عبيد ص ١٦٧ .

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « الكاتب » ، وفي س : « المكاتب » .

(٥) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص١٦٧ عن ابن علية به .

مجاهدٍ : (وَإِن كُنتُمْ / عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كتابًا) يقولُ : مِدادًا . يَقْرَؤُها كذلك ، ١٤٠/٣ يقولُ : فإن لم تَجِدوا مِدادًا ، فعندَ ذلك تكونُ الرُّهونُ المقبوضةُ . (فرُهُنٌ[1] مقبوضةٌ) . قال : لا تَكُونُ الرُّهُنُ إلا فى السَّفَرِ[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ ، قال : ثنا حمادُ بنُ زيدٍ[3] ، عن شعيبِ بنِ الحَبْحابِ ، أن أبا العاليةِ كان يَقْرَؤُها : (فإن لم تَجِدُوا كتابًا) . قال أبو العاليةِ : قد تُوجَدُ الدواةُ ولا تُوجَدُ الصحيفةُ ، [4]وربما وُجِد الكاتبُ ولا توجدُ الصحيفةُ[4] .

واختلفت القَرَأَةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ ؛ فقرَأ ذلك عامةُ قرَأةِ [٨٦/٨و] الحجازِ والعراقِ : ﴿فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾[5] . بمعنى جِماعِ رَهْنٍ ، كما الكِبَاشُ جمعُ كَبْشٍ ، والبِغالُ جمعُ بَغْلٍ ، والنِّعالُ جمعُ نَعلٍ .

وقرَأ ذلك جماعةٌ آخرون : (فَرُهُنٌ مقبوضةٌ)[6] . على معنى جَمعِ رِهانٍ ، ورُهُنٌ جمعُ الجمعِ . وقد وجَّهه بعضُهم إلى أنها جمعُ رَهْنٍ ، مثلُ سَقْفٍ وسقُفٍ .

وقرَأه آخرون : (فَرُهْنٌ) . مخففةُ الهاءِ ، على معنى جِماعِ رَهْنٍ ، كما يُجْمَعُ السَّقْفُ سُقْفًا . قالوا : ولا نَعْلَمُ اسمًا على فَعْلٍ يُجمَعُ على فُعُلٍ وفُعْلٍ ، إلا الرُّهُنَ والرُّهْنَ ، والسُّقُفَ والسُّقْفَ .

والذى هو أولى بالصوابِ فى ذلك قراءةُ مَن قرَأه : ﴿ فَرِهَـٰنٌ مَّقْبُوضَةٌ ﴾ ؛ لأن ذلك الجمعُ المعروفُ لما كان مِن اسمٍ على فَعْلٍ ، كما يقالُ : حَبْلٌ وحِبالٌ ، وكَعْبٌ

---

(١) فى ص ، م ، س : « فرهان » . وهما قراءتان ، وسيذكرهما المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٩/٢ (٣٠٣٨) من طريق أبى حذيفة به مقتصرا على آخره بنحوه .

(٣) فى الأصل : « يزيد » . وينظر تهذيب الكمال ٢٣٩/٧ - ٢٤٣.

(٤ - ٤) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٦٩/٢ عقب الأثر (٣٠٣٥) من طريق الربيع عن أبى العالية .

(٥) وهى قراءة نافع وعاصم وحمزة والكسائى وابن عامر . السبعة لابن مجاهد ص ١٩٤.

(٦) وهى قراءة ابن كثير وأبى عمرو ، على خلاف عنهما فى ضم الهاء وتسكينها . المصدر السابق .

وكِعابٌ ، ونحوُ ذلك مِن الأسماءِ . فأما جمعُ الفَعْلِ على الفُعُلِ أو الفُعْلِ ، فشاذٌّ قليلٌ ، إنما جاء فى أحرفٍ يسيرةٍ ، وقيل : سَقْفٌ وسُقُفٌ وسُقْفٌ ، و : قَلْبٌ وقُلُبٌ وقُلْبٌ ، مِن قَلْبِ النخلِ ، وجَدٌّ وجُدٌّ ، للجَدِّ الذى هو بمعنى الحظِّ . وأما ما جاء مِن جمعِ فَعْلٍ على فُعْلٍ فـ « ثَطٌّ وثُطٌّ » ، ووَرْدٌ ووُرْدٌ ، و(١)جَوْنٌ وجُونٌ(١) .

وإنما دعا الذى قرأ ذلك : (فَرُهُنٌ) . إلى قراءتِه - فيما أظُنُّ - كذلك ، مع شُذوذِه(٢) فى جمعِ فَعْلٍ ، أنه وجَد الرِّهانَ مستعملةً فى رِهانِ الخيلِ ، فأحبَّ صرفَ لفظِ ذلك عن اللفظِ الملتبسةِ برهانِ الخيلِ ، الذى هو بغيرِ معنى الرِّهانِ ، الذى هو جمعُ رَهْنٍ ، ووجَد الرُّهُنَ مَقُولًا فى جمعِ رَهْنٍ ، كما قال قَعْنَبٌ(٣) :

بانَتْ سُعادُ وأمْسَى دُونَها عَدَنُ ... وغُلِّقَتْ(٤) عِنْدَها مِن قَلْبِكَ الرُّهُنُ

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ وَلْيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : فإن كان المَدينُ أمينًا عندَ ربِّ المالِ والدَّينِ ، فلم يَرْتَهِنْ منه فى سفرِه رَهْنًا بدينِه ؛ لأمانتِه عندَه على مالِه وثِقَتِه به ، فليتقِ اللَّهَ المَدينُ ﴿رَبَّهُۥ﴾ . يَقُولُ : فليَخَفِ اللَّهَ ربَّه فى الذى عليه مِن دينِ صاحبِه أن(٥) يَجْحَدَه ، أو يَلُطَّ(٦) دُونَه به ، أو يُحاوِلَ الذهابَ [٨٦/٨ظ] به ، فيَتَعَرَّضَ مِن عقوبةِ اللَّهِ ما لا قِبَلَ له به ، وليؤدِّ دينَه الذى ائْتَمَنَه عليه إليه .

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « خود وخود » .

(٢) وليست قراءة من قرأ : (رُهُنٌ) . شاذة ، بل هى متواترة ، وليست قواعد النحو والصرف أصلا للقرآن ، بل القرآن أصل لهما .

(٣) البيت فى اللسان (ر هـ ن) وفيه : قبلك . بدلا من : قلبك .

(٤) غلِق الرهن فى يد المرتهن : استحقه المرتهن ، وذلك إذا لم يفتك فى الوقت المشروط . اللسان (غ ل ق) .

(٥) فى س : « أو » .

(٦) لط الغريم بالحق : دافع ومنع ، ولط حقه ولط عليه : جحده . اللسان (ل ط ط) .

وقد ذكَرنا قولَ مَن قال : هذا الحكمُ مِن اللَّهِ ناسخُ الأحكامِ التى فى الآيةِ قبلَها ، مِن أمرِ اللَّهِ بالشهودِ والكتابِ ، ودلَّلنا على أولى ذلك بالصوابِ مِن القولِ فيه ، فأغنى ذلك عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[1] .

/ وقد حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جُوَيبرٌ ، ١٤١/٣ عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ ﴾ : إنما يعنى بذلك فى السَّفرِ ، فأما الحضَرُ فلا ، وهو واجدٌ كاتبًا ، فليس له أن يَرْتَهِنَ ولا يَأْمَنَ بعضُهم بعضًا .

وهذا الذى قاله الضحاكُ مِن أنه ليس لربِّ الدَّينِ ائتمانُ المدينِ وهو واجدٌ إلى الكاتبِ والكتابِ والإشهادِ عليه سبيلًا ، وإن كانا فى سَفرٍ ، فكما قال ؛ لِما قد دلَّلنا على صحتِه فيما مضَى قبلُ .

وأما ما قال ، مِن أنّ الأمرَ فى الرَّهنِ أيضًا كذلك مثلُ الائتمانِ ، فى أنه ليس لربِّ الحقِّ الارتهانُ بمالِه إذا وجَد إلى الكاتبِ والشهيدِ سبيلًا فى حضَرٍ أو سفرٍ - فإنه قولٌ لا معنى له ؛ لصحةِ الخبرِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه اشترَى طعامًا نَساءً ، ورهَن به دِرْعًا له[2] . فجائزٌ للرجلِ أن يَرْهَنَ[3] بما عليه ، ويَرْتَهِنَ بما لَه مِن حقٍّ فى السفرِ والحضَرِ ؛ لصحةِ الخبرِ بما ذكَرنا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وأن معلومًا أن النبىَّ ﷺ لم يكنْ حينَ رهَن ما[4] ذكَرنا غيرَ واجدٍ كاتبًا ولا شهيدًا ؛ لأنه لم يكنْ مُتَعذِّرًا عليه بمدينتِه فى وقتٍ مِن الأوقاتِ الكاتبُ والشاهدُ ، غيرَ أنهما إذا تبايعا برَهْنٍ ، فالواجبُ

---

(١) ينظر ما تقدم فى ص ٧٣ - ٨١.

(٢) أخرجه البخارى (٢٠٦٨، ٢٠٩٦، ٢٢٠٠)، ومسلم (١٦٠٣) .

(٣) فى ص ، ت ١، س: « يرتهن » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: « من » .

عليهما إذا وجَدا سبيلًا إلى كاتبٍ وشهيدٍ ، وكان البيعُ أو الدَّينُ إلى أجلٍ مسمًّى ، أن يَكْتُبا ذلك ويُشْهِدا على المالِ والرهنِ ، وإنما يَجُوزُ تركُ الكتابِ والإشهادِ في ذلك ، حيث لا يَكُونُ لهما إلى ذلك سبيلٌ .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ ﴾ .

وهذا خطابٌ مِن اللَّهِ ، جلَّ ثناؤُه ، الشهودَ الذين أَمَر المُستدينَ وربَّ المالِ [٧٨/٨و] بإشهادِهم ، فقال لهم : ﴿ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ ﴾ ، ولا تَكْتُموا أيُّها الشهودُ بعدَ ما شهِدتم شهادتَكم عندَ الحاكمِ ، كما شهِدتم على ما شهِدتم عليه ، ولكن أجيبوا مَن شهِدتم له ، إذا دعاكم لإقامةِ شهادتِكم على خَصمِه على حقِّه عندَ الحاكمِ الذي يأخُذُ له بحقِّه ، ثم أخبَر الشاهدَ جلَّ ثناؤُه ما عليه في كِتمانِ شهادتِه ، وإبائِه مِن أدائِها والقيامِ بها عندَ حاجةِ المُسْتَشْهِدِ إلى قيامِه بها عندَ حاكمٍ أو ذي سلطانٍ ، فقال : ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا ﴾ . يعني : ومن يَكْتُمْ شهادتَه ، ﴿ فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ . يقولُ : فاجرٌ قلبُه ، مُكْتَسِبٌ بكِتمانِه إياها معصيةَ اللَّهِ .

كما **حدَّثنا** المثنى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿ وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ : فلا يَحِلُّ لأحدٍ أن يَكْتُمَ شهادةً هي عندَه ، وإن كانت على نفسِه والوَالِدَين ، ومَن كتَمها فقد ركِب إثمًا عظيمًا[(١)] .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قولَه : ﴿ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ﴾ . يقولُ : فاجرٌ قلبُه[(٢)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧١/٢ (٣٠٥٠) من طريق ابن أبي جعفر به نحوه .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٢/٢ (٣٠٥٣) من طريق عمرو به .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أكبرُ الكبائرِ الإشراكُ باللَّهِ ؛ لأن اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ : ﴿مَن[1] يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ﴾ [المائدة : ٧٢] . وشهادةُ الزورِ ، وكِتمانُ الشهادةِ ؛ لأن اللَّهَ يقولُ : ﴿وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾[2] .

/ وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يَقولُ : على الشاهدِ أن يَشْهَدَ حيثما ١٤٢/٣ اسْتُشْهِدَ ، ويُخْبِرَ بها حيثما اسْتُخْبِر .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا سويدٌ ، قال أخبَرنا ابنُ المباركِ ، عن محمدِ بنِ مسلمٍ ، قال : حدثنا عمرُو بنُ دينارٍ ، عن ابن عباسٍ ، قال : إذا كانت عندَك شهادةٌ ، فسألك عنها ، فأخْبِرْه بها ، ولا تقُلْ : أُخْبِرُ بها عندَ الأميرِ . أخبِرْه بها ، لعله يَرجِعُ أو يَرْعَوِى[3] .

وأما قولُه : ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ . فإنه يَعْنى بذلك : بما تَعْمَلون في شهادتِكم ، مِن إقامتِها والقيامِ بها ، أو كتمانِكم إياها عندَ حاجةِ مَن اسْتَشْهَدَكم إليها ، وبغيرِ ذلك مِن سرائرِ أعمالِكم وعلانيتِها ، ﴿عَلِيمٌ﴾ يُحْصِيه عليكم ليَجْزِيَكم بذلك كلِّه جزاءَكم ؛ إما خيرًا وإما شرًّا ، على قدرِ استحقاقِكم .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ﴾ . [٨٧/٨ظ]

يعني جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ : للَّهِ ملكُ كلِّ ما

---

(١) في النسخ : « ومن » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧١/٢ (٣٠٥١) ، والطبراني في الكبير ٢٥٢/١٢ (١٣٠٢٣) من طريق أبي صالح به ، وهو عند الطبراني مطول .

(٣) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (١٥٥٥٩) عن محمد بن مسلم به ، ومن طريقه ابن عبد البر في التمهيد ٣٠١/١٧ .

في السماواتِ وما في الأرضِ ، مِن صغيرٍ وكبيرٍ ، (١) وقليلٍ وكثيرٍ (١) ، وإليه تدبيرُ جميعِه ، وبيدِه صَرْفُه وتَقْلِيبُه ، لا يَخْفَى عليه منه شيءٌ ؛ لأنه مدبِّرُه ومالكُه ومصرِّفُه .

وإنما عنَى بذلك جلَّ ثناؤُه كِتمانَ الشهودِ الشهادةَ ، يقولُ : لاتَكْتُموا الشهادةَ أيُّها الشُّهودُ ، فإنه مَن يَكْتُمْها يَفْجُرْ قلبُه ، ولن يَخْفَى عليَّ كِتمانُه ذلك ؛ لأني بكلِّ شيءٍ عليمٌ ، وبيَدى صرفُ كلِّ شيءٍ في السماواتِ والأرضِ وملْكُه ، أعلمُ (٢) خفيَّ ذلك وجَليَّه ، فاتقوا عقابى إياكم على كِتمانِكم الشهادةَ . وعيدًا مِن اللَّهِ بذلك مَن كتَمها ، وتخويفًا منه له به .

ثم أخبَرهم عما هو فاعلٌ بهم في آخرتِهم ، وبمَن كان مِن نُظَرائِهم ممن انْطَوى كَشْحًا على معصيةٍ فأضمَرَها ، أو أظهَر مُوبِقةً فأبداها مِن نفسِه ، من المحاسبةِ عليها ، فقال : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ . يقولُ : وإن تُظْهِرُوا فيما عندَكم مِن الشهادةِ على حقِّ ربِّ المالِ الجحودَ والإنكارَ ، أو تُخْفوا ذلك فتُضْمِروه في أنفسِكم ، وغيرَ ذلك مِن سيِّئِ أعمالِكم ، ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ . يَعْنى بذلك : يَحْتَسِبْ به عليه مِن أعمالِه ، فمجازٍ مَن شاء منكم مِن المسيئين سوءَ عملِه ، وغافرٌ لمن شاء منكم مِن المسيئين .

ثم اختلَف **أهلُ التأويلِ** فيما عنَى بقولِه : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** بما قلنا ، مِن أنه عنَى به الشهودَ في كِتمانِهم الشهادةَ ، وأنه لاحقٌ بهم كلُّ مَن كان مِن نُظرائِهم ممن أضْمَر معصيةً أو أبداها .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أعلمه » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني أبو زائدةَ زكريا بنُ يحيى بنِ أبي زائدةَ ، قال : ثنا [(١)] ابنُ فُضيلٍ [(١)] ، عن يزيدَ بنِ أبي زيادٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ﴾ . قال : يَعْنى في الشهادةِ [(٢)] .

/ **حدَّثنا** ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن يزيدَ بنِ أبي زيادٍ ، عن مِقْسمٍ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ . قال : في الشهادةِ [(٣)] . ١٤٣/٣

حدَّثنا محمدُ بنُ المثنى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : سئِل داودُ عن قولِه : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم [٨٨/٨و] بِهِ اللَّهُ﴾ . فحدَّثنا عن عكرمةَ ، قال : هي الشهادةُ إذا كتمتَها .

حدَّثنا المثنى [(٤)] ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن عمرٍو [(٥)] أبي سعيدٍ ، أنه سمِع عكرمةَ يقولُ في هذه الآيةِ : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ . قال : في الشهادةِ [(٦)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن السدِّيِّ ، عن الشعبيِّ في قولِه : ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ . قال : في الشهادةِ [(٧)] .

(١ - ١) في ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « أبو نفيل » . وينظر تهذيب الكمال ٢٦/ ٢٩٣.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٢/٢ (٣٠٥٦) من طريق ابن فضيل به ، وأخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٧٣ - تفسير) من طريق يزيد بن أبي زياد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٣/١ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه الطحاوي في المشكل ٣١٥/٤ عقب الحديث (١٦٢٩) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٣/١ ، ٣٧٤ إلى ابن المنذر .

(٤) في ص ، م ، ت١ ، ت ٢، ت ٣، س : « ابن المثنى » .

(٥) بعده في ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت ٣، س : « و » .

(٦) أخرجه أبو عبيد في ناسخه ص ٣٩٤ ، وابن الجوزي في النواسخ ص ٢٣٤ من طرق عن عكرمة .

(٧) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٢/٢ عقب الأثر (٣٠٥٦) معلقا .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال أخبَرنا يزيدُ بنُ أبى زيادٍ ، عن مِقْسَمٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال فى هذه الآيةِ : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ . قال : نزَلت فى كِتمانِ الشهادةِ وإقامتِها[(١)] .

حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جويبرٌ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ . يعنى : كِتمانَ الشهادةِ وإقامتَها على وجهِها .

وقال آخرون : بل نزَلت هذه الآيةُ إعلامًا مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤه عبادَه أنه مُؤاخذُهم بما كسَبته أيديهم ، وحدَّثتهم به أنفسُهم مما لم يَعْمَلوه .

ثم اختلَف متأوِّلو ذلك كذلك ؛ **فقال بعضُهم** : ثم نسَخ اللَّهُ ذلك بقولِه : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ ، عن مصعبِ بنِ ثابتٍ ، عن العلاءِ ابنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يعقوبَ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : لما نزَلت : ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ . فاشتدَّ ذلك على القومِ ، فقالوا : يارسولَ اللَّهِ ، إنا لمُؤاخذون بما نُحدِّثُ به أنفسَنا ! هلَكنا . فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلّ : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ الآية ، إلى قولِه : ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ . قال أبى : قال أبو هريرةَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قال اللَّهُ : نعم » . ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال أبى : قال أبو هريرةَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قال اللَّهُ : نعم »[(٢)] .

---

(١) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٣٩٣ ، وابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٣٤ من طريق هشيم به .

(٢) أخرجه أحمد ١٩٨/١٥ - ٢٠٠ (٩٣٤٤) ، ومسلم (١٢٥) ، وأبو عوانة ٧٦/١ ، ٧٧ ، والطحاوى =

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، وحدَّثنا سفيانُ بنُ وكيعٍ ، قال : ثنا (١) أبى ، عن (١) سفيانَ ، عن آدمَ بنِ سليمانَ ، مولى خالدِ بنِ خالدٍ ، قال : سمِعت سعيدَ بنَ جبيرٍ يُحدِّث ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما نزلت هذه الآيةُ : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ ﴾ . دخَل قلوبَهم منها شىءٌ لم يدخُلْها من شىءٍ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قولوا (٢) : سمِعْنا وأطعْنا وسلَّمْنا » . [٨/٨٨ظ] قال : فألقى اللَّهُ الإيمانَ فى قلوبِهم . قال : فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ . قال أبو كريبٍ : فقرأ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ - (١) وقال ابنُ وكيعٍ : إلى قولِه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ (١) - قال : فقال : قد فعَلتُ . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ ﴾ . قال : قد فعَلتُ (٣) . ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال : قد فعَلتُ (٤) . ١٤٤/٣

حدثنى أبو الردَّادِ المصرىُّ عبدُ اللَّهِ بنُ عبدِ السلامِ ، قال : ثنا أبو زرعةَ وهبُ اللَّهِ ابنُ راشدٍ ، عن حَيْوةَ بنِ شريحٍ ، قال : سمِعت يزيدَ بنَ أبى حبيبٍ يقولُ : قال ابنُ شهابٍ : حدَّثنى سعيدُ بنُ مَرْجانةَ ، قال : جئتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرَ ، فتلا هذه الآيةَ :

= فى المشكل (١٦٢٩) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ (٣٠٦٠ ، ٣٠٦١ ، ٣٠٩٤ ، ٣٠٩٩ ، ٣١٠٣ ، ٣١١١) ، وابن حبان (١٣٩) ، والبيهقى فى الشعب (٣٢٧) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٦٦ ، وابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٢٦ ، ٢٢٧ من طريق العلاء ابن عبد الرحمن به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٤/١ إلى أبى داود فى ناسخه وابن المنذر .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

(٣) بعده فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « ربنا لا تحملنا مالا طاقة لنا به قال قد فعلت » .

(٤) أخرجه مسلم (١٢٦) عن أبى كريب به بنحوه ، وأخرجه أحمد ٤٩٧/٣ (٢٠٧٠) ، ومسلم (١٢٦) ، والترمذى (٢٩٩٢) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٥٩) ، وأبو عوانة ١/ ٧٥، وابن حبان (٥٠٦٩) ، والحاكم ٢/ ٢٨٦، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٤٥٣) ، وفى الشعب (٢٤٠٧، ٢٤٠٨) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٦٦ ، ٦٧ من طريق وكيع به ، وأخرجه أبو عوانة ٧٥/١ من طريق سفيان به ، وعزاه =

﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ . ثم قال ابنُ عمرَ : لئن آخَذَنا بهذه الآيةِ لنَهْلِكَنَّ . ثم بكَى ابنُ عمرَ حتى سالت دُموعُه . قال : ثم جئتُ عبدَ اللَّهِ بنَ العباسِ ، فقلت : يا أبا العباسِ ، إنى جئتُ ابنَ عمرَ ، فتلا هذه الآيةَ : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآية . ثم قال : لئن واخذنا بهذه الآيةِ لنَهْلِكَنَّ . ثم بكَى حتى سالت دُموعُه ، فقال ابنُ عباسٍ : يَغْفِرُ اللَّهُ لعبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ ، لقد فَرِق أصحابُ رسولِ اللَّه ﷺ منها كما فرِق ابنُ عمرَ منها ، فأنزَل اللَّهُ : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ . فنسَخ اللَّهُ الوَسْوَسَةَ ، وأثبَت القولَ والفعلَ[(١)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرنى يونسُ بنُ يزيدَ ، عن ابنِ شهابٍ ، عن سعيدِ بنِ مَرْجانةَ يُحَدِّثُ أنه بينَا هو جالسٌ مع[(٢)] عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ تلا هذه الآيةَ : ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآية . فقال : واللَّهِ لئن آخَذَنا اللَّهُ بهذا لنَهْلِكَنَّ . ثم بكَى ابنُ عمرَ حتى سُمِع نَشِيجُه . فقال ابنُ مَرْجانةَ : فقُمْت حتى أتيْتُ ابنَ عباسٍ ، فذكَرتُ له ما تلا ابنُ عمرَ ، وما فعَل حينَ تلاها ، فقال عبدُ اللَّهِ بنُ عباسٍ : يَغْفِرُ اللَّهُ لأبى عبدِ الرحمنِ ، لَعَمْرِى لقد وجَد المسلمون منها حين أُنْزِلَت مثلَ ما وجَدَ عبدُ اللَّهِ بنُ عمرَ ، فأنزَل اللَّهُ : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ إلى آخرِ السورةِ . قال ابنُ عباسٍ : فكانت هذه الوَسْوَسَةُ مما لا طاقةَ للمسلمين بها ، وصار الأمرُ إلى أن قضَى اللَّهُ أن للنَّفسِ ما كسَبت ، وعليها ما اكتَسَبَت فى القولِ والفعلِ[(٣)] .

= السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٤/١ إلى ابن المنذر .

(١) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٣٩٦، والطبرانى فى الكبير (١٠٧٦٩) من طريق يزيد بن أبى حبيب به بنحوه .

(٢) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « سمع » .

(٣) أخرجه الطحاوى فى المشكل (١٦٢٧) عن يونس به ، وأخرجه الفسوى فى المعرفة والتاريخ ٤٠٤/١ ، والطحاوى فى المشكل (١٦٢٦) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره مفرقًا ٢/ ٥٧٨، ٥٧٩ (٣٠٨٧، ٣٠٩٠) ، والطبرانى (١٠٧٧٠) ، والبيهقى فى الشعب (٣٢٩) من طريق الزهرى به ، وعزاه السيوطى فى الدر =

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، قال : سمِعت الزهريَّ يَقُولُ فى قولِه : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ . قال : قرَأها ابنُ عمرَ ، فبكَى وقال : إنا لـمَأخُوذون بما نحدِّثُ به أنفُسَنا . فبكَى حتى سُمِع نشيجُه ، فقام رجلٌ مِن عندِه ، فأتى ابنَ عباسٍ ، فذكَر ذلك له ، فقال : يرحَمُ اللَّهُ ابنَ عمرَ ، لقد وجَد المسلمون نحوًا مما وجَد ، حتى نزَلت : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[1] . [٩٨/٨و]

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنى إسحاقُ ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، عن جعفرِ بنِ سليمانَ ، عن حميدٍ الأعرجِ ، عن مجاهدٍ ، قال : كُنْتُ عندَ ابنِ عمرَ فقال : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ الآية . فبكَى ، حتى دَخلتُ على ابنِ عباسٍ ، فذكَرتُ له ذلك ، فضحِك ابنُ عباسٍ فقال : يَرْحَمُ اللَّهُ ابنَ عمرَ ، أوَمَا يَدْرِى /فيم أنزِلَت [٢]وكيف أنزلت[٢] ؟ إن هذه الآيةَ حينَ أُنزِلَت غمَّت أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ غمًّا شديدًا ، وقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هلكنا . فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قُولُوا : سَمِعْنا وأطَعْنا » . فنسَختها : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ . فتُجُوِّزَ لهم مِن حديثِ النفسِ وأُخِذوا بالأعمالِ[٣] . ١٤٥/٣

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، عن سفيانَ بنِ حسينٍ ، عن الزهريِّ ، عن سالمٍ أن أباه قرَأ : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ . فدمَعت عَيْناه ، فبلَغ صنيعُه ابنَ عباسٍ ، فقال : يَرْحَمُ

= المنثور ٣٧٤/١ إلى عبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه .

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٢.

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٣، ١١٤. ومن طريقه أحمد ١٩٤/٥ ، ١٩٥ (٣٠٧٠) ، وابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٢٩.

اللَّهُ أبا عبدِ الرحمنِ ، لقد صنَع كما صنَع أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ حينَ أُنْزِلَت ، فنسَختها الآيةُ التى بعدَها : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال حدَّثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : نسَخت هذه الآيةَ : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ ، ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾[(٢)] .

[(٣)]حدثنا ابنُ بشارٍ ، قال : حدثنا أبو أحمدَ ، قال : حدثنا سفيانُ ، عن آدمَ بنِ سليمانَ مولى خالدٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ بمثلِه[(٤)(٣)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن آدمَ بنِ سليمانَ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : لما نزَلت هذه الآيةُ ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قالوا : أنُؤاخَذُ بما حدَّثْنا به أنفسَنا ولم تَعْمَلْ به جَوارِحُنا ؟ قال : فنزَلت هذه الآيةُ : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ . قال : ويقولُ : قد فعَلْت . [(٣)]﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ . قال : ويقولُ : فَعَلْتُ[(٣)] . قال : فأُعطِيَتْ هذه الأمةُ خواتيمَ سورةِ « البقرةِ » ، لم تُعْطَها الأُمَمُ قبلَها .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، قال ثنا إسماعيلُ ، عن عامرٍ : ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ١٤/٧ ، والنحاس فى ناسخه ٢٧٥، ٢٧٦، والحاكم ٢/ ٢٨٧، وابن الجوزى فى ناسخه ص ٢٢٩ من طريق يزيد بن هارون به .

(٢) أخرجه ابن الجوزى فى ناسخه ص ٢٣٠ من طريق سفيان به بنحوه .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧٤/٢ عقب الأثر (٣٠٦١) معلقًا .

يَشَآءُ ﴾ قال : فنسَخَتها التى بعدَها ؛ قولُه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن مغيرةَ ، عن الشعبىِّ : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ . قال : نسَخَتها الآيةُ التى بعدَها : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [٨/٨٩ظ] وقولُه : ﴿ وَإِن تُبْدُوا ﴾ . قال : يُحاسَبُ بما أبدى مِن سرٍّ أو أخفى مِن سرٍّ ، فنسَخَتها التى بعدَها .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبَرنا سيارٌ ، عن الشعبىِّ ، قال : لما نزَلت هذه الآيةُ : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ . قال : فكان فيها شدةٌ ، حتى نزَلت هذه الآيةُ التى بعدَها : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ . قال : فنسَخَت ما كان قبلَها[1] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيةَ ، عن ابنِ عونٍ ، قال : ذكَروا عندَ الشعبىِّ : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ . حتى بلغ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ . قال : فقال الشعبىُّ : إلى هذا صار ، رجَعتْ إلى آخرِ الآيةِ .

١٤٦/٣ حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جويبرٌ ، عن الضحاكِ ، فى قولِه : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ . قال : فقال ابنُ مسعودٍ : كانت المحاسبةُ قبلَ أن تنزِلَ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ . فلما

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٨٠ - تفسير) ، والنحاس فى ناسخه ص ٢٧٦، وابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٣١ من طريق هشيم به . وعند النحاس : شيبان . وعند ابن الجوزى : يسار . والصواب : سيار ، وهو أبو الحكم الواسطى العنزى . ينظر تهذيب الكمال ١٢/ ٣١٣.

نزَلت نسَخت الآيةَ التى كانت قبلَها[١] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعت أبا معاذٍ ، قال : أخبرنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعت الضحاكَ يَذْكُرُ عن ابنِ مسعودٍ نحوَه .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن بيانٍ ، عن الشعبيِّ ، قال : نسَخت : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ ، ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾[٢] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن موسى بنِ عُبَيدةَ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ ، وسفيانَ ، عن جابرٍ ، عن مجاهدٍ ، وعن إبراهيمَ بنِ مهاجرٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : نسَخت هذه الآيةُ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ ، ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ الآية[٣] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن عكرمةَ وعامرٍ بمثلِه .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن[٤] حميدٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال : نسختها[٥] : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٨٢- تفسير) ، والطبرانى فى الكبير (٩٠٣٠) من طريق جويبر به بنحوه .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٧٩ - تفسير) من طريق بيان به بنحوه .

(٣) أخرجه بن الجوزى فى النواسخ ص ٢٣٠ من طريق سفيان به بنحوه .

(٤) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « بن » .

(٥) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « محتها » .

ﱡﭐ ﭐﱡﭐﳈﱠ [(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ أنه قال : نسَخت هذه الآيةُ - يعنى قولَه : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ - الآيةَ التى قبلَها : ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [(٢)] .

حدَّثنا [(٣)] الحسنُ بنُ يحيى [(٣)] ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ . قال : نسَخَتْها قولُه : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [(٤)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثنى ابنُ زيدٍ ، قال : لما نزَلت هذه الآيةُ : ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ إلى آخرِ الآيةِ : اشتدَّت على المسلمين ، وشقَّت مشقةً شديدةً ، وقالوا : يارسولَ اللَّهِ ، لو وقَع فى أنفسِنا شىءٌ لم نَعْمَلْ به ، واخَذنا اللَّهُ به ؟ قال : « فلعلكم تقولُون [٨/٩٠و] كما قالت بنو إسرائيلَ لموسى : سمِعنا وعصَينا » . قالوا : بل سمِعنا وأطعْنا يارسولَ اللَّهِ . قال : فنزَل القرآنُ يُفرِّجُها عنهم : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قولِه : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾ . قال : فصيَّره إلى الأعمالِ ، وترَك ما يَقَعُ فى القلوبِ .

---

(١) أخرجه أبو عبيد فى ناسخه ص ٣٩٧ عن الحجاج به بنحوه . وأخرجه ابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٣٠ من طريق حماد بن سلمة به .

(٢) أخرجه ابن الجوزى فى ناسخه ص ٢٣٠، ٢٣١ من طريق سعيد به بمعناه .

(٣ - ٣) فى الأصل : « ابن حسين قال أخبرنا يحيى » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١١.

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجَّاجُ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، عن سيّارٍ[(١)] أبي الحكمِ ، عن الشعبيِّ ، عن /أبي عُبَيدةَ بنِ[(٢)] عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ في قولِه : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ . قال : نسَخت هذه الآيةَ التي بعدَها : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[(٣)] .

١٤٧/٣

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ قولَه : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ . قال : يومَ نزَلت هذه الآيةُ كانوا يؤاخَذون بما وَسْوسَت به أنفسُهم وما عمِلوا ، فشَكَوا ذلك إلى النبيِّ ﷺ ، فقالوا : إن عمِل أحَدُنا وإن لم يعملْ أُخِذْنا به ! واللَّهِ ما نملِكُ الوَسْوسَةَ . فنسَخها اللَّهُ بهذه الآيةِ التي بعدَها بقولِه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ . فكان حديثُ النفسِ مما لم يُطِيقُوا . الآية .

حدِّثت عن عمارٍ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، أن عائشةَ أمَّ المؤمنين قالت : نسَخها قولُه : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ﴾[(٤)] .

وقال آخَرون - ممن قال : معنى ذلك الإعلامُ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه عبادَه أنه مؤاخِذُهم بما كسَبته أيديهم وعمِلته جوارِحُهم ، وبما حدَّثتهم به أنفسُهم مما لم يَعْمَلُوه -: هذه الآيةُ محكمةٌ غيرُ منسوخةٍ ، واللَّهُ محاسبٌ خلقَه على ما عمِلوا مِن عمَلٍ وما لم يَعْمَلوه مما أضمَروه في أنفسِهم ونوَوه وأرَادُوه ، فيَغْفِرُه للمؤمنين ، ويُؤاخِذُ به أهلَ الكفرِ والنفاقِ .

---

(١) بعده في م : « عن » .

(٢) في ت ١، س ، ونواسخ القرآن : « عن » .

(٣) أخرجه ابن الجوزي في النواسخ ص ٢٢٥، ٢٢٦ من طريق حجاج به بنحوه ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٥٧٨/٢ (٣٠٨٩) من طريق هشيم به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٤/١ إلى المصنف .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبى طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ : فإنها لم تُنسَخْ ، ولكنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ إذا جمَع بين الخلائقِ يومَ القيامةِ ، يقولُ : إنى أُخبِرُكم بما أخفَيتم فى أنفسِكم ، مما لم تَطَّلِعْ عليه ملائكتى ، فأما المؤمنون فيُخْبِرُهم ويَغْفِرُ لهم ما حدَّثوا به أنفسَهم ، وهو قولُه : ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ . يقولُ : يُخْبِرُكم . وأما أهلُ الشكِّ والرِّيبِ فيُخْبِرُهم بما أخفَوا مِن التكذيبِ ، وهو قولُه : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ . وهو قولُه : ﴿ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ﴾ [البقرة : ٢٢٥] [٨/٩٠ظ] من الشكِّ والنفاقِ(١) .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ : فذلك سرُّ عملِك وعلانيتُه ، يحاسبُك به اللَّهُ ، فليس مِن عبدٍ مؤمنٍ يُسِرُّ فى نفسِه خيرًا ليَعْمَلَ به ، فإن عمِل به كُتِبَت له به عَشْرُ حسناتٍ ، وإن هو لم يُقدَّرْ له أن يَعْمَلَ به كُتِبَت له به حسنةٌ مِن أجلِ أنه مؤمنٌ ، واللَّهُ يَرْضَى سرَّ المؤمنين وعلانيتَهم ، وإن كان سوءًا حدَّث به نفسَه اطَّلَع اللَّهُ عليه ، أخبرَه به يومَ تُبْلَى السرائرُ ، وإن هو لم يَعْمَلْ به لم يُؤاخِذْه اللَّهُ به حتى يَعْمَلَ به ، فإن عمِل به تجاوَز اللَّهُ عنه ، كما قال : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ ﴾ [الأحقاف : ١٦](٢) .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٧٢، ٥٧٥ (٣٠٥٧، ٣٠٦٦، ٣٠٦٨) ، وابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٣٢ من طريق عبد اللَّه بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٧٥ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٧٣ (٣٠٥٨) عن محمد بن سعد به .

حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جويبرٌ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الآية . قال : قال ابنُ عباسٍ : إن اللَّهَ تبارك وتعالى يقولُ يومَ/ القيامةِ : إنَّ كُتَّابى لم يَكْتُبوا مِن أعمالِكم إلا ما ظهَر منها ، فأما ما أسْرَرْتُم فى أنفسِكم فأنا أُحاسبُكم به اليومَ ؛ فأغْفِرُ لمن شئتُ ، وأُعَذِّبُ مَن شئتُ .

١٤٨/٣

حدثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبَرنا علىُّ بنُ عاصمٍ ، قال : أخبَرنا بيانٌ ، عن بشرٍ ، عن قيسِ بنِ أبى حازمٍ ، قال : إذا كان يومُ القيامةِ قال اللَّهُ تبارك وتعالى يُسمِعُ الخلائقَ : إنما كان كُتَّابى يَكْتُبون عليكم ما ظهَر منكم ، فأما ما أسْرَرْتُم فلم يَكونوا يَكْتُبونه ولا يَعْلَمونه ، أنا اللَّهُ أعْلَمُ بذلك كلِّه منكم ، فأغْفِرُ لمن شئتُ ، وأعَذِّبُ مَن شئتُ .

حدِّثت عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال سمِعت أبا معاذٍ ، قال : أخبَرنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعت الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ : كان ابنُ عباسٍ يقولُ : إذا دُعِى الناسُ للحسابِ ، أخبَرهم اللَّهُ بما كانوا يُسِرُّون فى أنفسِهم مما لم يَعْمَلوه ، فيقولُ : إنه كان لا يَعْزُبُ عنى شىءٌ ، وإنى مخبِرُكم بما كنتم تُسِرُّون مِن السوءِ ، ولم تَكُنْ حَفَظَتى عليكم يطَّلِعون عليه . فهذه المحاسبةُ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو تُميلةَ ، عن عُبَيدِ بنِ سليمانَ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ نحوَه .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ . قال : هى مُحْكَمةٌ لم يَنْسَخْها شىءٌ ، يقولُ : ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ . يقولُ : يُعَرِّفُه اللَّهُ

يومَ القيامةِ أنَّك أخفَيت فى صدرِك كذا وكذا ؛ لا يُؤَاخِذُه[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن عمرِو ابنِ عُبَيدٍ ، عن الحسنِ ، قال : هى مُحْكمةٌ لم تُنْسَخْ .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : ثنا ابنُ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ . قال : مِن الشكِّ واليقينِ[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِن تُبْدُوا مَا فِى أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ﴾ . يَقُولُ : فى اليقينِ والشكِّ .

حدَّثنى المثنى ، قال [٨/٩١و] : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

فتأويلُ هذه الآيةِ على قولِ ابنِ عباسٍ الذى رَواه علىُّ بنُ أبى طلحةَ : وإن تُبْدوا ما فى أُنفسِكم مِن سيِّئِ[(٣)] الأعمالِ ، فتُظْهِروه بأبدانِكم وجَوارِحِكم ، أو تُخْفوه فتُسِرُّوه فى أنفسِكم ، فلم يَطَّلِعْ عليه أحدٌ مِن خلقى ، أُحاسِبْكم به ، فأَغْفِرُ كلَّ ذلك لأهلِ الإيمانِ بى ، وأُعَذِّبُ أهلَ الشكِّ والنفاقِ فى دينى .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٧٢، ٥٧٤ (٣٠٥٥، ٣٠٦٥) ، وابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٣٢ من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٧ ، ومن طريقه ابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٣٤ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧٣/٢ (٣٠٥٩) ، والنحاس فى ناسخه ص ٢٧٤ ، وابن الجوزى فى النواسخ ص ٢٣٤ من طريق ابن علية به .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « شىء من » .

وأما على الروايةِ التى رَواها عنه الضحاكُ مِن روايةِ عُبيدِ بنِ سليمانَ عنه ، وعلى ما قاله الربيعُ بنُ أنسٍ ، فإن تأويلَها : إن تُظْهِروا ما فى أنْفُسِكم فتَعْمَلوه مِن المعاصى ، أو تُضْمِروا إرادتَه فى أنفسِكم فتُخْفُوه ، يُعْلِمْكم اللَّهُ به يومَ القيامةِ ، فيَغْفِرُ لمن يشاءُ ويُعَذِّبُ مَن يشاءُ .

وأما قولُ مجاهدٍ فشبيهٌ معناه بمعنى قولِ ابنِ عباسٍ الذى رَواه عنه علىُّ بنُ أبى طلحةَ .

١٤٩/٣ /وقال آخرون ممن قال : هذه الآيةُ محكمةٌ ، وهى غيرُ منسوخةٍ . ووافَقوا الذين قالوا : معنى ذلك أن اللَّهَ أعلَمَ عبادَه به[(١)] ما هو فاعلٌ بهم ، فيما أبدَوا وأخفَوا مِن أعمالِهم - : معناها أن اللَّهَ محاسبٌ خلقَه بجميعِ ما أبدَوه مِن سيِّئِ أعمالِهم وجميعِ ما أسروه ، ومعاقبُهم عليه ، غيرَ أن عقوبتَه إياهم على ما أخفَوه مما لم يَعْمَلوه ، ما يَحْدُثُ لهم فى الدنيا مِن المصائبِ والأمورِ التى يَحْزَنون عليها ويألَمون لها[(٢)] .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جويبرٌ ، عن الضحاكِ فى قولِه : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ الآية . قال : كانت عائشةُ تقولُ : مَن همَّ بسيئةٍ فلم يَعْمَلْها أرسَل اللَّهُ عليه مِن الهمِّ والحزنِ مثلَ الذى همَّ به مِن السيئةِ فلم يَعْمَلْها فكانت كفارتَه[(٣)] .

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س . وبه أى بقوله .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « منها » .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٨١ - تفسير) من طريق جويبر به بنحوه .

حدِّثت عن الحسينِ ، قال : سمِعت أبا معاذٍ يقولُ : أخبَرنا عُبيدٌ ، قال : سمِعت الضحاكَ يَقُولُ فى قولِه : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ . قال : كانت عائشةُ تقولُ : كلُّ عبدٍ يَهُمُّ بمعصيةٍ أو يُحَدِّثُ بها نفسَه ، حاسَبه اللَّهُ بها فى الدنيا ، يَخافُ ويَحْزَنُ ويَهْتَمُّ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : حدثنا أبو تُمَيلةَ ، عن عُبيدٍ ، عن الضحاكِ ، قال : قالت عائشةُ فى ذلك : كلُّ عبدٍ همَّ بسوءٍ ومعصيةٍ ، وحدَّث بها نفسَه ، حاسَبه [٩١/٨ظ] اللَّهُ بها فى الدنيا ، يَخافُ ويَحْزَنُ ويَشْتَدُّ همُّه ، لا يَنالُه مِن ذلك شىءٌ ، كما همَّ بالسوءِ ولم يَعْمَلْ منه شيئًا .

حدَّثنا الربيعُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا أسَدُ بنُ موسى ، قال : ثنا حمادُ بنُ سلمةَ ، عن علىِّ بنِ زيدٍ ، عن أميةَ[(١)] أنها سألَت عائشةَ عن هذه الآيةِ : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ ، و﴿ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء: ١٢٣] . فقالت : ما سألنى عنها أحدٌ مُذ سألتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : « يا عائشةُ ، هذه متابعةُ اللَّهِ العبدَ بما يُصيبُه مِن الحمَّى والنكْبةِ والشَّوكةِ ، حتى البِضاعةِ يَضَعُها فى كمِّه يَفْقِدُها ، فيُرَوَّعُ لها ، فيجدُها فى ضِبْنِه[(٢)] ، حتى إن المؤمنَ ليَخْرُجُ مِن ذُنوبه كما يَخْرُجُ التِّبْرُ الأحمرُ مِن الكِيرِ »[(٣)] .

وأولى هذه الأقوالِ التى ذكَرناها بتأويلِ هذه الآيةِ قولُ مَن قال : إنها مُحْكمةٌ

---

(١) فى ص ، م : « أمه » ، وفى س : « أبيه » . وهى أمية بنت عبد اللَّه ، وينظر تهذيب الكمال ٣٥/ ١٣٢.

(٢) الضبن : الإبط وما يليه . اللسان (ض ب ن) .

(٣) أخرجه الطيالسى (١٦٨٩) ، وأحمد ٢١٨/٦ (الميمنية) ، والترمذى (٢٩٩١) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧٤/٢ (٣٠٦٢) ، والبيهقى فى الشعب (٩٨٠٩) من طريق حماد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٥/١ إلى ابن المنذر .

وليست بمنسوخةٍ ، وذلك أن النسخَ لا يكونُ فى حكمٍ إلا يَنْفِيه بآخرَ له نافٍ من كلِّ وجوهِه ، وليس فى قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ نفىُ الحكمِ الذى أعلَم عبادَه بقولِه : ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ ؛ أن المحاسبةَ ليست بموجبةٍ عقوبةَ اللَّهِ ، ولا مُؤاخذةً بما حُوسِب عليه العبدُ مِن ذُنوبِه ، وقد أخبرَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عن المجرمين أنهم حينَ تُعْرَضُ عليهم كُتبُ أعمالِهم يومَ القيامةِ يقُولون : ﴿ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ [الكهف : ٤٩] . فأخبرَ أن كتبَهم مُحصِيةٌ عليهم صغائرَ أعمالِهم وكبائرَها ، فلم تَكُنِ الكتبُ - وإن أحصَت صغائرَ الذنوبِ وكبائرَها - بموجِبٍ إحصاؤُها على أهلِ الإيمانِ باللَّهِ ورسولِه وأهلِ الطاعةِ له ، أن يَكُونوا بكلِّ ما أحصَته الكتبُ مِن الذنوبِ معاقَبين ؛ لأنه عزَّ وجلَّ وعَدهم العفوَ عن الصغائرِ باجتنابِهم الكبائرَ ، فقال فى تنزيلِه : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴾ [النساء : ٣١] . فكذلك[1] محاسبةُ اللَّهِ عبادَه المؤمنينَ بما هو/ محاسبُهم به مِن الأمورِ التى أخْفَتها أنفسُهم ، غيرُ موجِبةٍ لهم منه عقوبةً ، بل محاسبتُه إياهم ، إن شاء اللَّهُ ، عليها ليُعرِّفَهم بفضْلِه عليهم بعفوِه لهم عنها ، كما بلَغنا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى الخبرِ الذى حدَّثنى به أحمدُ بنُ المِقدامِ ، قال : ثنا المُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعت أبى ، عن قتادةَ ، عن صفوانَ بنِ مُحرِزٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن نبىِّ اللَّهِ ﷺ ، قال : « يُدْنِى اللَّهُ عزَّ وجلَّ عبدَه المؤمنَ يومَ القيامةِ حتى يَضَعَ عليه كنَفَه ، فيُقَرِّرُه بسيئاتِه ، يَقولُ : هل تَعْرِفُ ؟ فيَقُولُ : نعم . فيَقُولُ : ستَرتُها فى الدنيا وأغْفِرُها اليومَ . ثم يُظْهِرُ له حسناتِه [٨/٩٢و] ، فيَقُولُ : ﴿ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا كِتَٰبِيَهْ ﴾ [الحاقة : ١٩] - أو كما قال - وأما الكافرُ فإنه يُنادَى به على

٣/١٥٠

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فذلك » ، وفى م : « فدل أن » .

رُءوسِ الأشهادِ »[١] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى عَدَىٍّ ، عن[٢] سعيدٍ وهشامٍ ، وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : أخبَرنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : أخبَرنا هشامٌ ، قالا جميعًا فى حديثِهما : عن قتادةَ ، عن صفوانَ بنِ مُحرِزٍ ، قال : بينما نحن نَطُوفُ بالبيتِ مع عبدِ اللَّهِ بنِ عمرَ وهو يَطُوفُ ، إذ عرَض له رجلٌ ، فقال : يابنَ عمرَ ، ما سمِعتَ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ فى النَّجْوَى ؟ فقال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يَدْنُو المؤمنُ مِن ربِّه حتى يَضَعَ عليه كَنَفَه ، فيُقَرِّرُه بذُنوبِه ، فيَقُولُ : هل تَعْرِفُ كذا ؟ فيقولُ : ربِّ ، أعرِفُ[٣] . مرتين ، حتى إذا بلَغ به ما شاء اللَّهُ أن يَبْلُغَ به ، قال : فإنى قد ستَرتُها عليك فى الدنيا وأنا أغْفِرُها لك اليومَ » . قال : « فيُعْطَى صحيفةَ حسناتِه أو كتابَه بيمينِه . وأما الكفارُ والمنافقون ، فينادَى بهم على رُءوسِ الأشهادِ : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤] .

قال أبو جعفرٍ : إن اللَّهَ جلَّ ثناؤه يَفْعَلُ بعبدِه المؤمنِ مِن تعريفِه إياه سيئاتِ أعمالِه ، حتى يُعرِّفَه تَفَضُّلَه عليه بعفوِه له عنها ، فكذلك فعلُه ، تعالى ذكرُه ، فى محاسبتِه إياه بما أبداه مِن نفسِه وبما أخفاه مِن ذلك ، ثم يَغْفِرُ له كلَّ ذنبٍ[٥] بعدَ

---

(١) أخرجه أحمد ٣١٨/٩ (٥٤٣٦) ، والبخارى (٢٤٤١) ، وفى خلق أفعال العباد (٢٤٨ - ٢٥٠) ، وابن أبى عاصم فى السنة (٦٠٤، ٦٠٥) ، والآجرى فى الشريعة (٦١٩) ، وغيرهم من طرق عن قتادة به .

(٢) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « و » .

(٣) فى ص ، م : « اغفر » .

(٤) أخرجه مسلم - كما فى التحفة ٤٣٧/٥ - عن محمد بن بشار به ، ومن طريق ابن أبى عدى عن سعيد وحده به . وأخرجه البخارى (٤٦٨٥) ، وفى خلق أفعال العباد (٢٥١) ، وابن منده فى الإيمان (٧٩٠) من طريق سعيد وهشام به ، وأخرجه مسلم (٢٧٦٨) ، وعبد الله بن أحمد فى السنة (٤٣٧) ، والنحاس فى ناسخه ص ٢٧٧، وفى القطع والائتناف ص ٣٨٦، والآجرى فى الشريعة (٦١٨) ، وابن منده (٧٩٠) من طريق ابن علية به ، وأخرجه ابن منده (١٠٧٧) من طريق هشام به .

(٥) فى ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « ذلك » .

تعريفِه بفَضْلِه وبكَرَمِه عليه ، فيَسْتُرُه عليه . وذلك هو المغفرةُ التى قد وعَد عبادَه المؤمنين ، فقال : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ .

فإن قال قائلٌ : فإن قولَه عزَّ وجلَّ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ ينبئُ عن أن جميعَ الخلقِ غيرُ مؤاخَذين إلا بما كسَبَتْه أنفسُهم مِن ذنبٍ ، ولا مثابين إلا بما اكتسبته مِن خيرٍ . قيل : إن ذلك كذلك ، وغيرُ مؤاخذِ العبدُ بشيءٍ مِن ذلك إلا بفعلِ ما نُهِى عن فعلِه ، أو تركِ ما أُمِر بفعلِه .

فإن قال : فإذ كان ذلك كذلك ، فما معنى وعيدِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ إيانا على ما أخْفَته أنفسُنا بقولِه : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ إن كان ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾ ، وما أضمرته قلوبُنا وأخْفَته أنفسُنا ؛ مِن همٍّ بذنبٍ ، أو إرادةٍ لمعصيةٍ ، لم تَكْتَسِبْه جوارحُنا ؟

قيل له : إن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد وعَد المؤمنين أن يعفوَ لهم عما هو أعظمُ من همٍّ همَّ به أحدُهم مِن المعاصى فلم يَفْعَلْه ، وهو ما ذكرنا، مِن وعْدِه إياهم العفوَ عن صغائرِ ذُنوبِهم إذا هم اجْتَنَبوا كبائرَها، وإنما الوعيدُ مِن اللَّهِ جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ على ما أخفَته نفوسُ الذين كانت أنفسُهم تُخْفِى الشكَّ فى اللَّهِ والمريةَ [٨/ ٩٢ظ] فى وحدانيتِه ، أو فى نبوّةِ نبيِّه محمدٍ ﷺ، وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، أو فى المَعَادِ والبعثِ مِن المنافقين ، على نحوِ ما قال ابنُ عباسٍ ومجاهدٌ ،/ ومَن قال بمثلِ قولِهما ؛ من أن تأويلَ قولِه : ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ على الشكِّ واليقينِ ، غيرَ أنَّا نقولُ : إن المُتوعَّدَ بقولِه : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ . هو مَن كان إخفاءُ نفسِه ما تُخْفِيه الشكَّ والمِرْيةَ فى اللَّهِ ، وفيما يكونُ الشكُّ فيه باللَّهِ كفرًا ، والموعودَ الغُفْرانَ بقولِه : ﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ ﴾ هو الذى إخفاؤُه[1] ما يُخْفِيه الهمَّةُ

١٥١/٣

(١) فى ص، م، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «أخفى و».

بالتقدمِ على بعضِ مانهاه اللَّهُ عنه ، مِن الأمورِ التى كان جائزًا ابتداءُ تحليلِه وإباحتِه ، فحرَّمه على خلقِه جل ثناؤُه ، أو على تركِ بعضِ ما أمَره اللَّهُ بفعلِه ، مما كان جائزًا ابتداءُ إباحةِ تركِه ، فأوْجَب فعلَه على خلقِه . فإن الذى يَهِمُّ بذلك مِن المؤمنين إذا هو لم يُصَحِّحْ همَّه بما يَهِمُّ به ، ويُحَقِّقْ ما أخْفَتْه نفسُه مِن ذلك بالتقدمِ عليه ، لم يَكُنْ مأخوذًا ، كما رُوِى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « مَن همَّ بحسنةٍ فلم يَعْمَلْها كُتِبَت له حسنةٌ ، ومَن همَّ بسيئةٍ فلم يَعْمَلْها لم تُكْتَبْ عليه »[1] . فهذا الذى وصَفْنا هو الذى يُحاسِبُ اللَّهُ تبارك وتعالى به مؤمنى عبادِه ، ثم لا يُعاقِبُهم عليه .

فأما مَن كان ما أخْفَتْه نفسُه شكًّا فى اللَّهِ ، وارْتِيابًا فى نبوةِ أنبيائِه ، فذلك هو الهالكُ المُخَلَّدُ فى النارِ ، الذى أوْعَده جلَّ ثناؤُه أن يعذِّبَه العذابَ الأليمَ بقولِه : ﴿ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ﴾ .

فتأويلُ الآيةِ إذنْ : ﴿ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ ﴾ أيُّها الناسُ فتُظْهِروه ﴿ أَوْ تُخْفُوهُ ﴾ فتَنْطَوِى عليه نفوسُكم ﴿ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ﴾ ، فيُعرِّفُ مؤمنكم[2] تفضُّلَه بعفوِه عنه ومغفرتَه له ، فيَغْفِرُه له ، ويُعَذِّبُ مُنافقِكم[3] على شكِّه[4] الذى انْطَوَت عليه نفسُه فى وَحْدانيةِ خالقِه ونبوةِ أنبيائِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : واللَّهُ على العفوِ عما أخْفَتْه نفسُ هذا المؤمنِ مِن الهِمَّةِ بالخَطيئةِ ، وعلى عقابِ هذا الكافرِ على ما أخْفَتْه نفسُه مِن الشكِّ فى توحيدِ

---

(١) أخرج نحوه مسلم (٢٠٦ ، ٢٠٧) من حديث أبى هريرة وابن عباس . وينظر ما تقدم فى ٢/ ٤١١.
(٢) فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « مؤمنيكم » .
(٣) فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س : « منافقيكم » .
(٤) فى ص : « شك » ، وفى م ، س : « الشك » .

[٩٣/٨و] اللَّهِ ونبوةِ أنبيائِه ، ومُجازاةِ كلٍّ واحدٍ منهما على ما كان منه ، وعلى غيرِ ذلك مِن الأمورِ - قادرٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بذلك : صدَّق الرسولُ ، يعنى : رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فأقرَّ ﴿ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ ﴾ يعنى : بما أُوحِى إليه مِن عندِ ربِّه مِن الكتابِ وما فيه مِن حلالٍ وحرامٍ ، ووعدٍ ووَعيدٍ ، وأمرٍ ونهيٍ ، وغيرِ ذلك مِن سائرِ ما فيه مِن المعانى التى حوَاها .

وذُكِر أن رسولَ اللَّهِ ﷺ لما نزَلَت هذه الآيةُ عليه قال : « يحقٌّ[١] له » .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ : ذُكِر لنا أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ لما نزَلت هذه الآيةُ قال : « ويحقٌّ[١] له أن يُؤْمِنَ »[٢] .

وقد قيل : إنها نزَلَت بعدَ قولِه : ﴿ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ / فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴾ ؛ لأن المؤمنين برسولِ اللَّهِ ﷺ مِن أصحابِه شقَّ عليهم ما توعَّدَ اللَّهُ به مِن محاسبتِهم على ما أخْفَتْه نفوسُهم ، فشكَوْا ذلك إلى النبىِّ ﷺ ، فقال لهم رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لعلكم تقولون : سمِعْنا وعصَيْنا كما قالت بنو إسرائيلَ » . فقالوا : [٣] بل نقولُ[٣] : سمِعْنا وأطَعْنا . فأنْزَل اللَّهُ لذلك مِن قولِ النبىِّ ﷺ وقولِ أصحابِه :

١٥٢/٣

---

(١) فى الأصل : « لحق » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧٦/٢ (٣٠٧١) من طريق يزيد به .

(٣ - ٣) سقط من : الأصل .

﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ ﴾ . يقولُ : وصدَّق المؤمنون أيضًا مع نبيِّهم عليه السلامُ باللَّهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه ، الآيتين . وقد ذكَرْنا قائلي ذلك قبلُ[(١)] .

واختلَفت القرأةُ في قراءةِ قولِه : ﴿ وَكُتُبِهِۦ ﴾ فقرَأ ذلك عامَّةُ قرأَةِ المدينةِ وبعضُ [٩٣/٨ظ] قرأَةِ أهلِ العراقِ ﴿ وَكُتُبِهِۦ ﴾[(٢)] على وجهِ جمعِ الكتابِ ، على معنى : والمؤمنون كلٌّ آمَن باللَّهِ وملائكتِه وجميعِ كتبِه التي أنْزَلَها على أنبيائِه ورسلِه .

وقرَأ ذلك جماعةٌ مِن قرأةِ أهلِ الكوفةِ : (وكتابِه)[(٣)] . بمعنى : والمؤمنون كلٌّ آمَن باللَّهِ وملائكتِه وبالقرآنِ الذي أنْزَلَه على نبيِّه محمدٍ ﷺ .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يَقْرَأُ ذلك : (وكتابِه)[(٤)] . ويقولُ : الكتابُ أكثرُ مِن الكتبِ . وكان ابنُ عباسٍ يُوَجِّهُ تأويلَ ذلك إلى نحوِ قولِه : ﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴾ [العصر: ١، ٢] . يعنى جنسَ الناسِ وجنسَ الكتابِ ، كما يقالُ : ما أكثرَ درهمَ فلانٍ وديناره . ويُرادُ به جنسُ الدراهمِ والدنانيرِ .

وذلك وإن كان مذهبًا مِن المذاهبِ معروفًا ، فإن الذي هو أعْجَبُ إليَّ مِن القراءةِ في ذلك أن يُقْرَأَ بلفظِ الجمعِ ؛ لأن الذي قبلَه جمعٌ ، والذي بعدَه كذلك - أعْنى بذلك : ﴿ وَمَلَـٰٓئِكَتِهِۦ ﴾ ﴿ وَرُسُلِهِۦ ﴾ - فإلْحاقُ « الكتبِ » في الجمعِ لفظًا به أعجبُ إليَّ مِن توحيدِه وإخراجِه في اللفظِ به بلفظِ الواحدِ ؛ ليكونَ لاحقًا في اللفظِ والمعنى بلفظِ ما قبلَه وما بعدَه وبمعناه .

---

(١) ينظر ما تقدم ص ١٣٠ - ١٣٨.

(٢) وهي قراءة نافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبي عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ١٩٥ ، ١٩٦ .

(٣) وهي قراءة الكسائي وحمزة . المصدر السابق .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٤٧٧ - تفسير) من طريق عكرمة ، عن ابن عباس .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ .

وأما قولُه : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ . فإنه أخْبَرَ جلَّ ثناؤُه بذلك عن المؤمنين أنهم يقولون ذلك . ففى الكلامِ فى قراءةِ مَن قرأ : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ بالنون ، متروكٌ قد اسْتُغْنِى بدلالةِ ما ذُكِر عنه ، وذلك المتروكُ هو « يقولون » .

وتأويلُ الكلامِ : والمؤمنون كلٌّ آمَن باللَّهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه ، يقولون : لا نُفَرِّقُ بينَ أحدٍ مِن رسلِه . وترَك ذكْرَ « يَقُولُون » لدلالةِ الكلامِ عليه ، كما ترَك ذكْرَه فى قولِه : ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ﴾ [الرعد : ٢٣، ٢٤] . بمعنى : يقولُون : سلامٌ عليكم .

وقد قرَأ ذلك جماعةٌ مِن المُتقدِّمين : (لا يُفَرِّقُ بينَ أحدٍ من رسلِه) بالياءِ[(١)] ، بمعنى : والمؤمنون كلُّهم آمَن باللَّهِ وملائكتِه وكتبِه ورسلِه ، لا يُفَرِّقُ الكلُّ منهم بينَ أحدٍ مِن رسلِه ، فيُؤْمِنَ ببعضٍ ويَكْفُرَ ببعضٍ ، ولكنهم يُصَدِّقون بجميعِهم ، ويُقِرُّون أن ما جاءوا به كان مِن عندِ اللَّهِ ، وأنهم دَعَوْا إلى اللَّهِ وإلى طاعتِه ، ويُخالِفون فى فعلِهم ذلك اليهودَ الذين أقَرُّوا بموسى وكذَّبوا بعيسى ، والنصارى الذين أقَرُّوا بموسى وعيسى وكذَّبوا بمحمدٍ ﷺ وجحَدوا نبوتَه ،ومَن أشْبَهَهم مِن الأممِ الذين كذَّبوا بعضَ رُسُلِ اللَّهِ وأقَرُّوا ببعضٍ .

١٥٣/٣ /كما حدَّثنا يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ : كما صنَع القومُ - يعنى بنى إسرائيلَ - قالوا : فلانٌ نبيٌّ وفلانٌ ليس نبيًّا ، وفلانٌ نُؤْمِنُ به وفلانٌ لا نُؤْمِنُ به .

---

(١) وهى قراءة ابن جبير وابن يعمر وأبى زرعة بن عمرو بن جرير ، ويعقوب ، ونص رواة أبى عمرو على أنها بالياء . البحر المحيط ٢/ ٣٦٥. ويعقوب من القراء العشرة الذين تواترت قراءاتهم عند الجمهور .

والقراءةُ التى لا نستَجِيزُ غيرَها فى ذلك عندَنا بالنونِ : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾ ؛ لأنها القراءةُ التى قامَت حجتُها بالنقلِ المُسْتفيضِ الذى يَمْتَنِعُ معه التَّشاعُرُ[1] والتَّواطُؤُ والسهوُ والغَلَطُ ، بمعنى ما وصَفْنا من : يقولون : لا نُفَرِّق بينَ أحدٍ مِن رسلِه . ولا يُعْتَرَضُ بشاذٍّ مِن القراءةِ على ما جاءَت به الحجةُ نقلًا وراثةً[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه : وقال الكلُّ مِن المؤمنين : سمِعنا قولَ ربِّنا وأمْرَه إيَّانا بما أمَرَنا به ، ونهيَه عما نهانا عنه ﴿ وَأَطَعْنَا ﴾ . يعنى : أطَعْنا ربَّنا فيما ألْزَمنا مِن فرائضِه واسْتَعْبَدَنا به مِن طاعتِه ، وسلَّمْنا له .

وقولُه : ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ . يعنى : وقالوا : غفرانَك ربَّنا . بمعنى : اغْفِرْ لنا ربَّنا غُفْرانَك . كما يُقالُ : سبحانَك . بمعنى : نُسَبِّحُك سبحانَك .

وقد بيَّنَّا فيما مضَى أن الغفرانَ والمغفرةَ السترُ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ على ذنوبِ مَن غُفِر له ، وصَفْحُه له عن هَتْكِ سترِه بها فى الدنيا والآخرةِ ، وعفوُه عن العقوبةِ عليه[3] .

وأما قولُه : ﴿ وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ . فإنه يعنى جل ثناؤُه أنهم قالوا : وإليك ياربَّنا مَرْجِعُنا ومَعادُنا ، فاغْفِرْ لنا ذنوبَنا .

فإن قال لنا قائلٌ : فما الذى نصَب : ﴿ غُفْرَانَكَ ﴾ ؟

قيل له : وقوعُه وهو مصدرٌ موقعَ الأمرِ ، وكذلك تَفْعَلُ العربُ بالمصادرِ

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « التشاغر » . والتشاعر : التعالم . من « شعر » بمعنى : علم .

(٢) فى ص ، م ، س : « ورواية » .

(٣) ينظر ما تقدم ١/ ٧٢٠، ٧٢١ .

والأسماءِ إذا حلَّت محلَّ الأمرِ وأدَّت عن معنى [٩٤/٨ظ] الأمرِ نصَبتها ، فيقولون : شكرًا للَّهِ يا فلانُ ، وحمدًا له . بمعنى : اشْكُرِ اللَّهَ واحْمَدْه . والصلاةَ الصلاةَ ، بمعنى : صَلُّوا . ويَقُولُون فى الأسماءِ : اللَّهَ اللَّهَ ياقومِ . ولو رُفِع بمعنى : هو اللَّهُ ، أو هذا اللَّهُ . ووُجِّه إلى الخبرِ وفيه تأويلُ الأمرِ ، كان جائزًا ، كما قال الشاعرُ[1] :

إن قومًا منهم عُمَيرٌ وأشبا ... هُ عُمَيرٍ ومنهمُ السَّفَّاحُ
لَجَدِيرون بالوفاءِ إذا قا ... ل أخو النَّجْدةِ السَّلاحُ السلاحُ

ولو كان قولُه : ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ جاء رفعًا فى القراءةِ لم يكنْ خطأً ، بل كان صوابًا على ما وصَفنا .

وقد ذُكِر أن هذه الآيةَ لما نزَلَت على رسولِ اللَّهِ ﷺ ثناءً مِن اللَّهِ عليه وعلى أمتِه ، قال له جبريلُ ﷺ : إن اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد أحْسَن عليك وعلى أمتِك الثناءَ ، فسَلْ ربَّك .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن بَيانٍ ، عن حَكيمِ بنِ جابرٍ ، قال : لما أُنْزِلَ على رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۖ غُفْرَانَكَ / رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴾ . قال جبريلُ عليه السلامُ : إن اللَّهَ تبارك وتعالى قد أحْسَن الثناءَ عليك وعلى أمتِك ، فسَلْ تُعْطَهْ . فسأل : « ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ » إلى آخرِ السورةِ[2] . ١٥٤/٣

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ .

(١) البيتان فى معانى القرآن للفراء ١/ ١٨٨، والخصائص ٣/ ١٠٢، والدرر اللوامع ١/ ١٤٦.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٧٥ (٣٠٧٠) من طريق جرير به . وأخرجه سعيد بن منصور (٤٧٨ - تفسير) ، وابن أبى شيبة ١١/٥٠١ من طريق بيان به .

يعنى بذلك جل ثناؤه : لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا فيتَعَبَّدُها إلا بما يَسَعُها ، فلا يُضَيِّقُ عليها ولا يَجْهَدُها .

وقد بيَّنا فيما مضَى قبلُ أن الوُسْعَ اسمٌ مِن قولِ القائلِ : وَسِعنى هذا الأمرُ[1] . مثلُ الجُهْدِ والوُجْدِ ، مِن : جَهَدنى هذا الأمرُ ، ووجَدْتُ منه .

كما حدَّثنى [٨/٩٥و] المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ . قال : هم المؤمنون ، وسَّع اللَّهُ عليهم أمرَ دينِهم ، فقال اللَّهُ جل ثناؤه : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ ﴾ [الحج : ٧٨] . وقال : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾ [البقرة : ١٨٥] . وقال : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[2] [التغابن : ١٦] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن الزهرىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ ، قال : لما نزَلَت ضجَّ المؤمنون منها ضجةً ، وقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، هذا نَتوبُ من عملِ اليدِ والرِّجْلِ واللسانِ ، فكيف نتوبُ مِن الوَسْوسةِ ؟ كيف نَمْتَنِعُ منها ؟ فجاء جبريلُ عليه السلامُ بهذه الآيةِ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ . إنكم لاتَسْتَطِيعون أن تَمْتَنِعوا مِن الوَسْوسةِ[3] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ : ووسعُها طاقتُها ، فكان حديثُ النفسِ مما لم يُطِيقوا[4] .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٤/ ٢١٣.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧٧/٢ (٣٠٨٠) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٦/١ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧٨/٢ عقب الأثر (٣٠٨٤) من طريق عمرو بن حماد به .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ لَهَا ﴾ : للنفسِ التى أخْبَر أنه لا يُكلِّفُها إلا وسعَها . يَقُولُ : لكلِّ نفسٍ ما اجْترَحَت وعمِلَت مِن خيرٍ . ﴿ وَعَلَيْهَا ﴾ . يعنى : وعلى كلِّ نفسٍ ﴿ مَا ٱكْتَسَبَتْۗ ﴾ : ما عمِلَت مِن شرٍّ .

كما **حدَّثنا** بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ أىْ : مِن خيرٍ ، ﴿ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ ﴾ أىْ : مِن شرٍّ . أو قال : مِن سُوءٍ .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ ﴾ . يقولُ : ما عمِلَت مِن خيرٍ ، ﴿ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ ﴾ . يقولُ : وعليها ما عمِلَت مِن شرٍّ .

١٥٥/٣ /**حُدِّثْتُ** عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ مثلَه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن الزهرىِّ ، عن [٩٥/٨ظ] عبدِ اللَّهِ بنِ عباسٍ : ﴿ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ ﴾ ، عملُ اليدِ والرِّجْلِ واللسانِ[(١)] .

فتأويلُ الآيةِ إذنْ : لا يُكلِّفُ اللَّهُ نفسًا إلا ما يَسَعُها فلا يَجْهَدُها ولا يُضَيِّقُ عليها فى أمرِ دينِها ، فيُؤاخِذُها بهِمَّةٍ إن همَّت ، ولا بوَسْوَسةٍ إن عَرَضَت لها ، ولا بخَطْرَةٍ إن خطَرَت بقلبِها ، [(٢)] ولكنه يؤاخذُها بما عملت فتعمَّدت وقصَدت عملَه من خيرٍ أو شرٍّ[(٢)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٧٨/٢ ، ٥٧٩ (٣٠٨٧، ٣٠٩٠) من طريق سعيد بن مرجانة ، عن ابن عباس .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ .

وهو تعليمٌ مِن اللَّهِ عبادَه المؤمنين دعاءَه ؛ كيف يَدْعُونه ، وما يقولون فى دعائِهم إياه ، ومعناه : قولوا : ربَّنا لا تُؤاخِذْنا إن نَسِينا شيئًا فرَضْتَ علينا عملَه فلم نَعْمَلْه ، أو أخْطَأْنا فى فعلِ شىءٍ نهيْتَنا عن فعلِه ففعَلْناه على غيرِ قصدٍ منا إلى معصيتِك ، ولكن على جَهالةٍ منا به وخطأً .

كما **حدَّثنى** يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ : إن نَسِينا شيئًا مما افْتَرَضْتَه علينا ، أو أخْطَأْنا شيئًا مما حرَّمْتَه علينا .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ . قال : بلَغَنى أن النبىَّ ﷺ قال : « إن اللَّهَ تبارك وتعالى تَجاوَز لهذه الأُمَّةِ عن نسيانِها وما حدَّثَت به أنفسَها »[(١)] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، قال : زعَم السدىُّ أن هذه الآيةَ حينَ نزَلَت : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ . قال له جبريلُ ﷺ : فَعَل[(٢)] ذلك يا محمدُ[(٣)] .

فإن قال لنا قائلٌ : وهل يَجوزُ أن يُؤاخِذَ اللَّهُ جلَّ ثناؤُه عبادَه بما نَسُوا أو أخْطَئوا ، فيَسْأَلوه ألا يُؤاخِذَهم بذلك ؟

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٢. والحديث أصله فى البخارى (٢٥٢٨، ٥٢٦٩، ٦٦٦٤)، ومسلم (١٢٧) من حديث أبى هريرة .

(٢) فى م : « فقل » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/ ٣٧٧ إلى المصنف .

قيل : إن النسيانَ على وجهين ؛ **أحدُهما** : على وجهِ التَّضْييعِ مِن العبدِ والتَّفْريطِ . **والآخرُ** : على وجهِ عجزِ الناسى عن حفظِ ما اسْتُحْفِظ ووُكِّل به ، وضعفِ عقلِه عن احتمالِه .

فأما الذى يكونُ مِن العبدِ على وجهِ التَّضْييعِ منه والتفريطِ ، [٩٦/٨و] فهو تركٌ منه لما أُمِر بفعلِه ، فذلك الذى يَرْغَبُ العبدُ إلى اللَّهِ فى تركِه مُؤاخَذتَه به ، وهو النسيانُ الذى عاقَب اللَّهُ به آدمَ صلواتُ اللهِ عليه ، فأخْرَجَه مِن الجنةِ ، فقال فى ذلك : ﴿ وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴾ [طه : ١١٥] . وهو النسيانُ الذى قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا ﴾ [الأعراف : ٥١] . فرغبةُ العبدِ إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ بقولِه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ فيما كان مِن نسيانٍ منه لما أُمِر بفعلِه ، على هذا الوجهِ الذى وصَفْنا ، ما لم يكنْ تركُه ما ترَك مِن ذلك تَفْريطًا منه فيه وتَضْييعًا ، كفرًا باللَّهِ ، فإن ذلك إذا كان كفرًا باللَّهِ ، فإن الرغبةَ إلى اللَّهِ فى تركِه المؤاخذةَ به غيرُ جائزةٍ ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه قد أخْبَر عبادَه أنه لا يَغْفِرُ لهم الشركَ به ، فمسألتُه فِعْلَ ما قد أَعْلَمَهم أنه لا يَفْعَلُه خطأٌ ، وإنما تجوزُ[1] مسألتُه المغفرةَ فيما كان[2] مثلَ نسيانِه القرآنَ بعدَ حفظِه بتَشاغُلِه عنه وعن قراءتِه ، وبمثلِ نسيانِه صلاةً أو صيامًا ، باشتغالِه عنهما بغيرِهما حتى ضيَّعهما .

وأما الذى العبدُ به غيرُ مُؤاخَذٍ لعجزِ بِنْيَتِه عن حفظِه ، وقلةِ احتمالِ عقلِه ما وُكِّل بمراعاتِه ، فإن ذلك مِن /العبدِ غيرُ معصيةٍ ، وهو به غيرُ آثمٍ ، فذلك الذى لا وجهَ لمسألةِ العبدِ ربَّه أن يغفِرَه له ؛ لأنه مسألةٌ منه له أن يَغْفِرَ له ما ليس له بذنبٍ ، وذلك مثلُ الأمرِ يَغْلِبُ عليه وهو حَريصٌ على تذكُّرِه وحفظِه ، كالرجلِ يَحْرِصُ على حفظِه

١٥٦/٣

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يكون » .
(٢) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « من » .

القرآنَ بجِدٍّ منه ، فيَقْرَؤُه ثم يَنْساه بغيرِ تَشاغُلٍ منه بغيرِه عنه ، ولكن لعجزِ بِنْيَتِه عن حفظِه ، وقلَّةِ احتمالِ عقلِه ذكْرَ ما أَوْدَع قلبَه منه ، وما أَشْبَهَ ذلك مِن النسيانِ ، فإن ذلك مما لا تجوزُ مسألةُ الربِّ مغفرتَه ؛ لأنه لاذنبَ للعبدِ فيه فيُغْفَرَ له باكتسابِه .

وكذلك للخطأِ وجهان ؛ **أحدُهما** : مِن وجهِ ما نُهِى عنه العبدُ ، فيأْتِيه بقصدٍ منه وإرادةٍ ، فذلك خطأٌ منه وهو به مأخوذٌ ، يُقالُ منه : خَطِئَ فلانٌ وأخْطَأَ . فيما أَتَى مِن الفعلِ ، و: أَثِم ، إذا أَتَى ما يأثَمُ فيه وركِبه ، ومنه قولُ الشاعرِ[1] :

النَّاسُ يَلْحَوْن[2] الأميرَ إذا هم خَطِئوا الصوابَ ولا يُلامُ المُرْشَدُ

بمعنى : أخْطَئوا الصوابَ . وهذا الوجهُ الذى يَرْغَبُ العبدُ إلى ربِّه فى صَفْحِ ما كان منه مِن إثمٍ عنه ، إلا ما كان مِن ذلك كفرًا .

والآخرُ منهما : ما كان منه على وجهِ الجهلِ [٨/٩٧ظ] به ، والظنِّ منه بأن له فِعْلَه ، كالذى يأْكُلُ فى شهرِ رمضانَ ليلًا وهو يَحْسَبُ أن الفجرَ لم يَطْلُعْ ، أو يُؤَخِّرُ صلاةً فى يومِ غَيْمٍ وهو يَنْتَظِرُ بتأخيرِه إياها دخولَ وقتِها ، فيَخْرُجُ وقتُها وهو يَرَى أن وقتَها لم يَدْخُلْ ، فإن ذلك مِن الخطأِ الموضوعِ عن العبدِ الذى وضَع اللَّهُ عز وجل عن عبادِه الإثمَ فيه ، فلا وجهَ لمسألةِ العبدِ ربَّه ألا يُؤاخِذَه به .

وقد زعَم قومٌ أن مسألةَ العبدِ ربَّه ألا يُؤاخِذَه بما نسِى أو أخْطَأَ ، إنما هو فعلٌ منه لما أمرَه به ربُّه تبارك وتعالى ، أو لما ندَبه إليه مِن التذلُّلِ له ، والخضوعِ بالمسألةِ ، فأما على وجهِ مسألتِه الصَّفْحَ عنه ، فما لا وجهَ له عندَهم .

وللبيانِ على[3] هؤلاء كتابٌ سنأتى فيه إن شاء اللَّهُ على ما فيه الكِفايةُ لمن وُفِّق لفهمِه .

---

(١) هو عبيد بن الأبرص الأسدى ، والبيت فى ديوانه ص ٤٢.

(٢) يلحون : يلومون .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « عن » .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه : قولوا : ربَّنا ولا تَحْمِلْ علينا إصرًا . ويعنى بالإصْرِ العهدَ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ [آل عمران : ٨١] . وإنما عنَى بقولِه : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾ : ولا تَحْمِلْ علينا عهدًا نَعْجِزُ عن القيامِ به ولانستَطِيعُه . ﴿ كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ . يعنى : على اليهودِ والنصارى الذين كُلِّفوا أعمالًا ، وأُخِذت عهودُهم ومَواثيقُهم على القيامِ بها ، فلم يَقُوموا بها ، فعُوجِلوا بالعقوبةِ ، فعلَّم اللَّهُ عزَّ جلَّ أمةَ محمدٍ ﷺ الرغبةَ إليه بمسألتِه ألا يَحْمِلَهم مِن عهودِه ومَواثيقِه على أعمالٍ - إن ضَيَّعوها أو أخْطَئوا فيها أو نَسُوها - مثلَ الذى حَمَل مَن قبلَهم ، فيُحِلُّ بهم بخطئِهم فيه وتَضْييعِهم إياه مثلَ الذى أحَلَّ بمَن قبلَهم .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه :/ ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾ . قال : لا تَحْمِلْ علينا عهدًا وميثاقًا ﴿ كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ . يقولُ : كما غُلِّظ على مَن قبلَنا[(١)] . ١٥٧/٣

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن موسى [٩٧/٨و] بنِ قيسٍ الحَضْرمىِّ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾ . قال : عهدًا[(٢)] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٢.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى عبد بن حميد .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ في قولِه : ﴿ إِصْرًا ﴾ . قال : عهدًا .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : حدَّثني معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ إِصْرًا ﴾ . يقولُ : عهدًا[(١)] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدِّيِّ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ : والإصرُ العهودُ التي كانت على مَن قبلَنا مِن اليهودِ[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ في قولِه : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾ . قال : عهدًا لا نُطيقُه ولانَستَطيعُ القيامَ به ، ﴿ كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ ، اليهودَ والنصارى ، فلم يَقُوموا به ، فأهْلَكْتَهم[(٣)] .

حدَّثني يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخْبَرَنا يَزيدُ ، قال : أخْبَرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحاكِ : ﴿ إِصْرًا ﴾ . قال : المَواثيقَ[(٤)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : الإصرُ العهدُ ، ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ [آل عمران : ٨١] . قال : عهْدى .

[(٥)] حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه[(٥)]

---

(١) ذكره الحافظ فى التغليق ١٨٧/٤ عن المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٠/٢ (٣٠٩٧) من طريق الضحاك ، عن ابن عباس .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٠/٢ عقب الأثر (٣٠٩٧) من طريق عمرو بن حماد به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى المصنف .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٠/٢ عقب الأثر (٣٠٩٧) معلقا .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س .

[١] ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ . قال : عهدى[٢)(١] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي ﴾ . قال : عهدى[٣] .

وقال آخرون : معنى ذلك : ولا تَحْمِلْ علينا ذنوبًا وإثمًا كما حمَلْتَ ذلك على مَن قبلَنا مِن الأممِ ، فتَمْسَخنا قِرَدةً وخَنازيرَ كما مسَخْتَهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى سعيدُ بنُ عمرٍو السَّكونىُّ ، قال : ثنا بَقِيةُ بنُ الوليدِ ، عن علىِّ بنِ هارونَ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عطاءِ بنِ أبى رَباحٍ فى قولِه : ﴿ وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ . قال : لا تَمْسَخْنا قردةً وخنازيرَ[٤] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : قولُه : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ﴾ . لا تَحْمِلْ علينا ذنبًا ليس فيه توبةٌ ولا كفارةٌ[٤] .

وقال آخرون : معنى الإِصْرِ بكسرِ الألفِ : الثِّقْلُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

/ حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ١٥٨/٣ قولَه : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ [٩٧/٨ظ] مِن

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٢٠ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٥/٢ (٣٧٦٥) عن محمد بن سعد به .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى المصنف .

﴿قَبْلِنَا﴾ . يقولُ : التشديدُ الذى شدَّدْتَه على مَن قبلَنا مِن أهلِ الكتابِ[(١)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : سألْتُ - يعنى مالكًا - عن قولِه : ﴿وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ . قال : الإصرُ الأمرُ الغَليظُ[(٢)] .

فأما الأَصْرُ بفتحِ الألفِ فهو ما عطَف به الرجلُ على غيرِه مِن رَحِمٍ أو قَرابةٍ ، يقولُ : قد أَصَرَتْنى رحِمى بينى وبينَ فلانٍ عليه . بمعنى : عطَفَتْنى عليه ، و : ما يَأْصِرُنى عليه . أىْ : ما يَعْطِفُنى عليه . و : بينى وبينَه آصِرَةُ رحِمٍ تَأْصِرُنى عليه أَصْرًا . يعنى به : عاطفةُ رحمٍ تَعْطِفُنى عليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه : وقولوا أيضًا : ربَّنا لا تُكَلِّفْنا مِن الأعمالِ ما لا نُطِيقُ القيامَ به لثِقَلِ حملِه علينا .

وكذلك كانت جماعةُ أهلِ التأويلِ يَتَأَوَّلونه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ : تشديدٌ تُشَدِّدُ به ، كما شدَّدتَ على مَن كان قبلنا[(٣)] .

حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخْبَرَنا يزيدُ ، قال : أخْبَرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحاكِ قولَه : ﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ . قال : لاتُحَمِّلْنا مِن الأعمالِ ما لا نُطِيقُ[(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٠/٢ (٣٠٩٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) ينظر البحر المحيط ٢/ ٣٦٩.

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١١٢/١ عن معمر ، عن قتادة بمعناه .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى المصنف .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ : لا تفْتَرِضْ علينا مِن الدينِ ما لا طاقةَ لنا به فنَعْجِزَ عنه[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ : ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ : مَسْخُ القِرَدةِ والخَنازيرِ[(٢)] .

حدَّثني سَلَّامُ بنُ سالمٍ الخُزاعيُّ ، قال : ثنا أبو حفصٍ عمرُ بنُ سعيدٍ التَّنُوخيُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ شُعيبِ بنِ شابورَ[(٣)] ، عن [(٤)]سلّامِ بنِ سابورَ[(٤)] في قولِه : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ . قال : الغُلْمةُ[(٥)] .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ : مِن التغليظِ والأغْلالِ التى كانت عليهم مِن التحريمِ[(٦)] .

وإنما قلنا : إن تأويلَ ذلك : ولا تُكلِّفْنا مِن الأعمالِ ما لا نُطِيقُ القيامَ به . على نحوِ الذى قلنا فى ذلك ؛ لأنه عَقيبَ مسألةِ المؤمنين ربَّهم ألا يُؤاخِذَهم إن نَسُوا أو أخطَئوا ، ولا يَحْمِلَ عليهم إصرًا كما حمَله على الذين مِن قبلِهم ،

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٢١، والبحر المحيط ٢/ ٣٦٩.

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨١/٢ عقب الأثر (٣١٠٤) معلقا .

(٣) فى م : « سابور » .

(٤ - ٤) فى ص : « سلام بن سابورا » ، وفى م : « سالم بن شابور » .

(٥) الغلمة : هيجان شهوة النكاح من المرأة والرجل . اللسان (غ ل م) .

والأثر ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٣٢١، وأبو حيان فى البحر المحيط ٢/ ٣٦٩، عن سلام بن سابور ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى المصنف .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨١/٢ (٣١٠٧) من طريق عمرو به .

فكان إلحاقُ ذلك بمعنَى ما قبلَه مِن مسألتِهم التَّيْسيرَ فى الدِّينِ [٨/٩٨و]، أَوْلَى مما خالَف ذلك المعنى .

(١) فإن قال قائلٌ : أوَ كان جائزًا أن يُكَلِّفَهم ما لا طاقةَ لهم به فيَسْأَلوه ألا يُكَلِّفَهم ذلك ؟

قيل : إن تَكْليفَ ما لا يُطاقُ على وجْهَين :

أحدُهما : ما ليس فى بِنْيةِ المُكَلَّفِ احْتِمالُه ، فذلك ما لا يَجوزُ تَكْليفُ الربِّ عبدَه بحالٍ ، وذلك كتَكْليفِ الأعْمَى النَّظَرَ ، وتكليفِ المُقْعَدِ العَدْوَ ، فهذا النوعُ مِن التكليفِ هو الذى لا يَجوزُ أن يُضافَ إلى اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، ولا تَجوزُ مسأَلتُه صرفَه وتَخْفيفَه عنه ؛ لأن ذلك مسألةٌ مِن العبدِ ربَّه - إن سأله - ألا يَفْعَلَ ما قد أعْلَمَه أنه لا يَفعلُه به .

والوجهُ الثانى : ما فى بِنْيةِ المكلَّفِ احْتِمالُه ، غيرَ أنه يَحْتَمِلُه بمشقةٍ شَديدةٍ وكُلْفةٍ عظيمةٍ ، مَخُوفٍ على مُكَلَّفِه التَّضْييعُ والتَّفْريطُ ؛ لغِلَظِ مِحْنتِه عليه فيه ، وذلك كتكْليفِ قَرْضِ مَن أصاب جسدَه بولٌ موضعَ البولِ الذى أصابه بمِقْراضٍ ، وكإقامةِ خمسين صلاةً فى اليومِ والليلةِ ، وما أشْبَهَ ذلك مِن الأعمالِ التى وإن كانت الأبْدانُ لها مُحْتَمِلةً ؛ فإن الأغْلَبَ مِن أمرِها خوفُ التَّضْييعِ عليها والتَّقْصيرِ ، فذلك هو الذى سأَل المؤمنون ربَّهم ألا يُحَمِّلَهم ، ورغِبوا إليه فى تَخْفيفِه وتَيْسيرِه عليهم ؛ لأن ذلك مِن الأمورِ التى لو أمَر اللَّهُ تعالى ذكرُه بها عبادَه وتعَبَّدهم بها كان عدْلًا منه ، وتَخفيفُه ذلك عنهم فضلٌ منه تفَضَّل به عليهم ، ورحمةٌ منه بهم ، فرغِب المؤمنون إلى ربِّهم فى تَعَطُّفِه عليهم بفضلِه ورحمتِه ، وإن كانت المنزلةُ الأخرى عدلًا منه ، إذ كان فى تفَضُّلِه عليهم التخفيفُ ، وفى عدلِه عليهم التشديدُ الذى لا يُؤْمَنُ معه هَلاكُهم (١) .

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا ﴾ .

وفى هذا أيضًا مِن قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤه خبرًا عن المؤمنين مِن مسألتِهم إياه ذلك ، الدلالةُ الواضحةُ أنهم سألوه تيْسيرَ فرائضِه عليهم بقولِه : ﴿ وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ﴾ . لأنهم عقَّبوا ذلك بقولِهم : ﴿ وَٱعْفُ/ عَنَّا ﴾ . مسألةً منهم ربَّهم أن يعفوَ لهم عن تقصيرٍ إن كان منهم فى بعضِ ما أمَرَهم به مِن فرائضِه ، فيَصْفَحَ لهم عنه ، ولا يُعاقِبَهم عليه ، وإن خفَّ ما كلَّفهم مِن فرائضِه على أبدانِهم . ١٥٩/٣

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال بعضُ أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا ﴾ . قال : اعْفُ عنا إن قصَّرْنا [٨/٩٨ظ] عن شىءٍ مِن أمرِك مما أمَرْتَنا به[(١)] .

وكذلك قولُه : ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا ﴾ . يعنى : واسْتُرْ علينا زَلَّةً إن أتَيْناها فيما بيننا وبينَك ، فلا تَكْشِفْها ولا تَفْضَحْنا بإظهارِها .

وقد دلَّلْنا على معنى « المغفرةِ » فيما مضَى قبلُ[(٢)] .

كما حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَٱغْفِرْ لَنَا ﴾ : إن انْتَهَكْنا شيئًا مما نهَيْتَنا عنه .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه : ﴿ وَٱرْحَمْنَآ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه : تغَمَّدْنا منك برحمةٍ تُنْجِينا بها مِن عقابِك ، فإنه ليس

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١/٣٧٧ إلى المصنف . وستأتى بقيته فيما يأتى .

(٢) تقدم فى ١/٧٢٠ ، ٧٢١ .

بناجٍ مِن عقابِك أحدٌ إلا برحمتِك إياه دونَ عملِه ، وليست أعمالُنا مُنْجِيَتَنا إن أنت لم تَرْحَمْنا فوفِّقْنا لما يُرْضِيك عنا .

كما حدَّثنى يونُسُ بنُ عبدِ الأعلى ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ وَٱرْحَمْنَآ ﴾ . قال : يقولُ : لا نَنالُ العملَ بما أمَرْتَنا به ، ولا نَتْرُكُ ما نهَيْتَنا عنه إلا برحمتِك . قال : ولم يَنْجُ أحدٌ إلا برحمتِك[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ : أنت وليُّنا تَلِينا بنصرِك دونَ مَن عاداك وكفَر بك ؛ لأنا مؤمنون بك ومُطِيعوك فيما أمَرْتَنا ونَهَيْتَنا ، فأنت وليُّ مَن أطاعك ، وعدُوُّ مَن كفَر بك فعَصَاك ﴿ فَٱنصُرْنَا ﴾ ؛ لأنا حِزْبُك ﴿ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ الذين جحَدوا وحدانيتَك ، وعبَدوا الآلهةَ والأنْدادَ دونَك ، وأطاعوا فى معصيتِك الشيطانَ .

والمَوْلَى فى هذا الموضعِ « المَفْعَلُ » ، مِن : ولِى فلانٌ أمرَ فلانٍ ، فهو يَلِيه وَلايةً ، وهو وليُّه ومولاه . وإنما صارَت الياءُ مِن « مولى » ألفًا لانفتاحِ اللامِ قبلَها التى هى عينُ الاسمِ .

وقد ذُكِر أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه لما أنْزَل هذه الآيةَ على رسولِه ﷺ فتلاها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، استَجاب اللَّهُ له فى ذلك كلِّه .

ذكرُ الأخبارِ التى جاءَت بذلك

حدَّثنى المثنى بنُ إبراهيمَ ومحمدُ بنُ خلفٍ العسقلانىُّ ، قالا : ثنا آدمُ العسقلانىُّ ، قال : ثنا وَرْقاءُ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ

---

(١) تقدم أوله فى ص ١٦٤ .

عباسٍ ، قال : لمَّا نزَلَت هذه الآيةُ : [٩٩/٨و] ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ . قال : قرأَها رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلما انتهَى إلى قولِه : ﴿ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾ . قال اللَّهُ : قد غفَرْتُ لكم . فلما قرَأ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾ . قال اللَّهُ عز وجل : (١) لا أؤاخذُكم . فلما قرَأ : ﴿ وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا ﴾ . قال جلَّ ثناؤُه : لا أحمِلُ عليكم . فلما قرَأ : ﴿ وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾ . قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ (١) : لا أحمِّلُكم . فلما قرَأ : (١) ﴿ وَٱعۡفُ عَنَّا ﴾ . قال اللَّه عز وجل : قد عفوت عنكم . فلما قرَأ (١) : ﴿ وَٱغۡفِرۡ لَنَا ﴾ . قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : قد غفَرت لكم . فلما قرَأ : ﴿ وَٱرۡحَمۡنَاۚ ﴾ . قال اللَّهُ عز وجل : قد رحِمْتُكم . فلما قرَأ : ﴿ فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ . قال اللَّهُ جلَّ ثناؤُه : قد نصَرْتُكم عليهم (٢) .

١٦٠/٣ /حدَّثني يحيَى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخْبَرَنا يَزيدُ ، قال : أخْبَرَنا جُوَيْبِرٌ ، عن الضحاكِ ، قال : أتَى جبريلُ رسولَ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليهما وسلَّم فقال : يا محمدُ ، قلْ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ ﴾ . فقالها ، فقال جبريلُ عليه السلامُ : قد فعَل . وقال له : قلْ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ ﴾ . فقالها ، فقال جبريلُ ﷺ : قد فعَل . فقال : قلْ : ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾ . فقالها ، فقال جبريلُ : قد فعل . فقال : قلْ : ﴿ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾ . فقالها ، فقال له جبريلُ ﷺ : قد فعَل (٣) .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن

(١ - ١) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س .

(٢) أخرجه أبو عوانة فى مسنده ١/ ٧٦، والطحاوى فى المشكل (١٦٣٠) ، والطبرانى فى الأوسط (٩٣٠٨) ، والبيهقى فى الشعب ٢/ ٤٦٣ من طريق آدم به .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٤٨٣ - تفسير) ، والبيهقى فى الشعب (٢٤١٠) من طرق عن الضحاك بنحوه .

السدىِّ أن هذه الآيةَ حينَ نزَلَت : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ فقال له جبريلُ صلى اللَّه عليهما وسلم : فعَل ذلك يا محمدُ . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . فقال جبريلُ فى كلِّ ذلك : فعَل ذلك يا محمدُ[1] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا وَكيعٌ ، وحدَّثنا سفيانُ ، قال : ثنا أبى ، عن سُفيانَ ، عن آدمَ بنِ سليمانَ مولى خالدٍ ، قال : سمِعْتُ سعيدَ بنَ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : أنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ إلى قوله : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ . فقرأ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ . قال : فقال : قد فعَلْتُ . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ ﴾ . فقال . قد فعَلْتُ . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ ﴾ قال : قد فعلتُ . ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ قال : قد فعَلْتُ[2] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سليمانَ ، عن مُصْعَبِ بنِ ثابتٍ ، عن العَلاءِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ يعقوبَ ، عن أبيه ، عن أبى هريرةَ ، قال : أنْزَل اللَّهُ تبارك وتعالى : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ . قال أبى : قال أبو هريرةَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قال اللَّهُ : نعم » . [3]﴿ رَبَّنَا [٩٩/٨ظ] وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال أبى : قال أبو هريرةَ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قال اللَّهُ عز وجل : نعم[3] »[4] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧٧/١ إلى المصنف .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ١٣١ .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤) تقدم تخريجه فى ص ١٣٠ ، ١٣١ .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ[(١)] ، قال : حدَّثنا سفيانُ ، عن آدمَ بنِ سليمانَ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : نزلت هذه الآيةُ : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ قال : ويقولُ : قد فعَلْتُ . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ ﴾ . قال : ويقولُ : قد فعَلْتُ . فأُعْطِيَت هذه الأمةُ خَواتيمَ سورةِ « البقرةِ » ، ولم تُعْطَها الأممُ قبلَها .

حدَّثنا عليُّ بنُ حربٍ المَوْصليُّ ، قال : ثنا ابنُ فُضَيْلٍ ، قال : ثنا عَطاءُ بنُ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِ اللَّهِ جلَّ وعزَّ : ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ ﴾ إلى قوله : ﴿ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا ﴾ . قال : قد غفَرْتُ لكم . ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ إلى قولِه : ﴿ لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ ﴾ . قال : لا أُؤاخِذُكم . ﴿ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا ﴾ ./ قال : لا أحْمِلُ عليكم . إلى قولِه : ﴿ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا ﴾ إلى آخرِ السورةِ . قال : قد عَفَوْتُ عنكم ، وغفَرْتُ لكم ، ورَحِمْتُكم ، ونَصَرْتُكم على القومِ الكافرين[(٢)] .

١٦١/٣

ورُوِى عن الضحاكِ بنِ مُزاحِمٍ أن إجابةَ اللَّهِ [(٣)] تبارك وتعالى فى هذه الآيةِ كانت[(٣)] للنبيِّ ﷺ خاصّةً .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سَمِعْتُ أبا مُعاذٍ ، قال : أخبَرنا عُبَيْدُ بنُ سليمانَ ، قال : سَمِعْتُ الضّحّاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « حميد » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٧٧ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ ، ٥٨٢ (٣٠٧٨ ، ٣٠٩٣ ، ٣٠٩٦ ، ٣١٠٨ ، ٣١١٠ ، ٣١١٣) عن على بن حرب به .

(٣ - ٣) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

﴿أَخۡطَأۡنَا﴾ إلى آخرِ السورةِ : فإن جبريلَ عليه السلامُ أقرَأَها نبيَّ اللَّهِ ﷺ ، فسألها نبيُّ اللَّهِ ربَّه جلَّ ثناؤُه ، فأعطاها إيّاه ، فكانت للنبيِّ ﷺ خاصّةً[(١)] .

حدَّثني المثنَّى بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبي إسحاقَ أن مُعاذًا كان إذا فرَغ من هذه السورةِ : ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ . قال : آمينَ[(٢)] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧٨/١ إلى المصنف .

(٢) أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن ص ١٢٥، وابن أبي شيبة ٤٢٦/٢ من طريق سفيان به ، وفي إسنادهما : « عن أبي إسحاق عن رجل عن معاذ » .

وإلى هنا انتهى الجزء الثامن من المخطوط الأصل . وآخره : « آخر تفسير سورة البقرة والحمد لله رب العالمين كثيرا كما هو أهله وصلى الله على محمد وآله . تم السفر الثامن من جامع البيان عن تأويل آي الفرقان بحمد الله وعونه وصلى الله على محمد نبيه وعلى آله الطيبين وسلم تسليما يتلوه إن شاء الله أول تفسير آل عمران » . وسيجد القارئ أرقام أوراق المخطوط ت ١ بين معكوفين .

سورةُ آلِ عمران

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ربِّ يسِّر

أخبَرَنا أبو جعفرٍ محمدُ بنُ جريرِ بنِ يزيدَ :

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : قد أتَيْنا على البيانِ عن معنى قولِه : ﴿الٓمٓ﴾ . فيما مضَى ، بما أغنى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[1] ، وكذلك البيانُ عن قولِه : ﴿اللَّهُ﴾[2] .

وأما معنى قولِه : ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ . فإنه خبرٌ من اللَّهِ عزَّ وجلَّ أخبَر عبادَه أن الألوهةَ خاصَّةٌ به دونَ ما سواه من الآلهةِ والأندادِ ، وأن العبادةَ لا تصلُحُ ولا تجوزُ إلا له ، لانفرادِه بالربوبيةِ وتَوَحُّدِه بالأُلوهيَّةِ ، وأن كلَّ ما دونَه فمِلْكُه ، وأن كلَّ ماسواه فخَلْقُه ، لاشريكَ له فى سلطانِه ومِلْكِه ؛ احتجاجًا منه تعالى ذكرُه عليهم ، بأن ذلك إذْ كان كذلك ، فغيرُ جائزةٍ لهم عبادةُ غيرِه ولا إشراكُ أحدٍ معه فى سلطانِه ، إذ كان كلُّ معبودٍ سواه فمِلْكُه ، وكلُّ مُعَظَّمٍ غيرِه فخَلْقُه ؛ وعلى المملوكِ إفرادُ الطاعةِ لمالكِه ، وصَرْفُ خدمتِه إلى مولاه ورازقِه ، ومُعَرِّفًا[3] مَن كان مِن خَلْقِه - يومَ أنزل ذلك إلى نبيِّه محمدٍ ﷺ ، بتنزيلِه ذلك إليه ، وإرسالِه به إليهم على لسانِه ، صلواتُ اللَّهِ عليه وسلامُه - مُقِيمًا على عبادةِ وَثَنٍ أو

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/٢٠٤ - ٢٢٨ .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/١٢١ - ١٢٤ .

(٣) فى النسخ : « معرف » والصواب ما أثبتنا ، والسياق : « أخبر عباده أن الألوهة خاصة به دون ما سواه ... احتجاجا منه ... ومعرفًا من كان من خلقه ... أنه مقيم على ضلالة » .

صنمٍ ، أو شمسٍ أو قمرٍ ، أو إنسيٍّ أو مَلَكٍ ، أو غيرِ ذلك من الأشياءِ التي كانت بنو آدمَ مُقيمةً على [(١)]عبادتِها وإلاهتِها[(١)] ، ومُتَّخذَه[(٢)] دونَ مالكِه وخالقِه إلهًا وربًّا أنه مُقيمٌ على ضلالةٍ ، ومنعزلٌ عن المَحَجَّةِ ، وراكبٌ غيرَ السبيلِ المستقيمةِ ، بصرفِه العبادةَ إلى غيرِه ، ولا أحدَ له الألوهةُ غيرُه .

وقد ذُكِر أن هذه السورةَ ابتدأ اللَّهُ بتنزيلِ فاتحتِها ، بالذى ابتدأ به مِن نفيِ الأُلوهَةِ أن تكونَ لغيرِه ، ووَصْفِه نفسَه بالذى وصفَها به فى ابتدائِها ؛ احتجاجًا منه بذلك على طائفةٍ من النَّصارَى قَدِمُوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ من نَجْرانَ فحاجُّوه فى عيسى صلواتُ اللَّهِ عليه ، وألْحَدُوا فى اللَّهِ ، فأنزل اللَّهُ عزَّ / وجلَّ فى أمرِهم وأمرِ عيسى من هذه السورةِ ، نَيِّفًا وثلاثين آيةً من أوَّلِها ؛ احتجاجًا عليهم وعلى من كان على مثلِ مقالتِهم لنبيِّه محمدٍ ﷺ ، فأبَوْا إلا المُقامَ على ضلالتِهم وكفرِهم فدعاهم إلى المباهلةِ[(٣)] ، فأبَوْا ذلك وسألُوا قَبولَ الجِزْيةِ منهم ، فقَبِلها ﷺ منهم ، وانصرَفُوا إلى بلادِهم . غيرَ أن الأمرَ وإن كان كذلك ، وإيّاهم قصَد بالحِجاجِ ، فإنَّ مَن كان معناه من سائرِ الخلقِ معناهم فى الكفرِ باللَّهِ ، واتخاذِ ماسوى اللَّهِ ربًّا وإلهًا معبودًا ، معمومون بالحُجَّةِ التى حجَّ اللَّهُ تبارَك وتعالى بها مَن نزَلتْ هذه الآياتُ فيه ، ومحجوجون فى الفُرقانِ الذى فَرَق به لرسولِه ﷺ بينَه وبينَهم .

١٦٢/٣

ذكرُ الروايةِ عمن ذكرْنا قولَه فى نزولِ افتتاحِ هذه السورةِ أنه نزَل فى الذين وصَفْنا صِفتَهم من النَّصارَى

حدَّثنا محمدُ بنُ حميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنى محمدُ

(١ - ١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « عبادته وإلاهته » .

(٢) سقط من : س ، وفى م : « متخذته » .

(٣) فى س : « الإسلام » .

ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرٍ ، قال : قَدِم على رسولِ اللَّهِ ﷺ وفدُ نَجْرانَ ، ستون راكبًا ، فيهم أربعةَ عشَرَ رجلًا مِن أشرافِهم ، فى الأربعةَ عشَرَ [١/٣٨٠ظ] ثلاثةُ نَفَرٍ ، إليهم يئولُ أمرُهم : العاقبُ ؛ أميرُ القومِ وذو رأيِهم وصاحبُ مَشورتِهم ، والذى لا يَصْدرُون إلا عن رأيِه ، واسمُه عبدُ المسيحِ ، والسيِّدُ ؛ ثِمالُهم[(١)] وصاحبُ رحلِهم ومُجْتمَعِهم ، واسمُه الأيْهَمُ ، وأبو حارثةَ بنُ علقمةَ ؛ أحدُ[(٢)] بكرِ بنِ وائلٍ ، [(٣)]أسْقُفُّهم وحَبْرُهم[(٣)] وإمامُهم وصاحبُ مِدْراسِهم[(٤)] .

وكان أبو حارثةَ قد شرُف فيهم ، ودرَس كتبَهم ، حتى حسُن علمُه فى دينِهم ، فكانت ملوكُ الرومِ من أهلِ النصرانيَّةِ قد شرَّفُوه وموَّلُوه وأخدَمُوه وبَنَوْا له الكنائسَ ، وبسَطُوا عليه الكراماتِ ؛ لما يَبْلُغُهم عنه من علمِه واجتهادِه فى دينِهم[(٥)] .

قال ابنُ إسحاقَ : قال محمدُ بنُ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : قَدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ المدينةَ ، فدخَلوا عليه مسجدَه حينَ صلَّى العصرَ ، عليهم ثيابُ الحِبَراتِ[(٦)] جُبَبٌ وأرديةٌ ، فى [(٧)]جمالِ رجالِ[(٧)] بَلْحارثِ بنِ كعبٍ . قال : يقولُ بعضُ مَن رآهم من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومَئذٍ : ما رأيْنا بعدَهم وفدًا مثلَهم ، وقد حانتْ صلاتُهم ، فقاموا يُصَلُّون فى مسجدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « دَعُوهم » . فَصَلَّوْا إلى المَشْرِقِ .

---

(١) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه . تاج العروس (ث م ل) .

(٢) فى م : « أخو » . وينظر سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٣.

(٣ - ٣) فى س : « أشيبهم وخيرهم » .

(٤) المدراس : الموضع الذى يدرسون فيه كتابهم .

(٥) فى م : « دينه » .

(٦) الحِبَرَةُ : ضرب من برود اليمن مُنَمَّرة . تُجمع على : حِبَر وحِبَرات . يقال : برد حَبير ، وبرد حِبَرة .

(٧ - ٧) سقط من النسخ ، والمثبت من سيرة ابن هشام .

قال : وكانت تسميةُ الأربعةَ عشَرَ منهم الذين يَئُولُ إليهم أمرُهم : العاقبُ وهو عبدُ المسيحِ ، والسيِّدُ وهو الأيْهَمُ ، وأبو حارثةَ بنُ عَلْقمةَ أخو[1] بكرِ بنِ وائلٍ ، وأوسٌ ، والحارثُ ، وزيدٌ ، وقيسٌ ، ويزيدُ ، ونُبَيهٌ ، وخويلدٌ ، و[2]عمرٌو ، وخالدٌ ، وعبدُ اللَّهِ ، ويُحَنَّسُ ، فى ستين راكبًا ، فكلَّم رسولَ اللَّهِ ﷺ منهم أبو حارثةَ بنُ عَلْقمةَ ، والعاقبُ عبدُ المسيحِ ، والأيْهَمُ السَّيِّدُ ، وهم[3] من النصرانيةِ على دينِ الملِكِ ، مع اختلافٍ من أمرِهم يقولون : هو اللَّهُ . ويقولون : هو ولدُ اللَّهِ . ويقولون : هو ثالثُ ثلاثةٍ . وكذلك قولُ النصرانيةِ ، فهم يَحْتَجُّون فى قولِهم : هو اللَّهُ . بأنه كان يُحيِى الموتى ، ويُبْرِئُ الأسقامَ ، ويُخْبِرُ بالغُيوبِ ، ويَخلُقُ من الطينِ كهيئةِ الطيرِ ثم يَنفُخُ فيه فيكونُ طائرًا ، وذلك كلُّه بإذنِ اللَّهِ ، ليجعلَه آيةً للناسِ . ويَحتجُّون فى قولِهم : إنه ولدُ اللَّهِ . أنهم يقولون : لم يكنْ له أبٌ يُعْلَمُ ، وقد تكلَّم فى المهدِ ، شيءٌ[4] لم يَصْنَعْه أحدٌ من ولدِ آدمَ قبلَه . ويَحتجُّون فى قولِهم : إنه ثالثُ ثلاثةٍ . بقولِ اللَّهِ عز وجل : فعلْنا وأمَرْنا ، وخلَقْنا وقضَيْنا . فيقولون : لو كان واحدًا ما قال إلا : فعلْتُ وأمَرْتُ وقضَيْتُ وخلَقْتُ ، ولكنّه هو ، وعيسى ، ومريمُ . ففى كلِّ ذلك من/ قولِهم قد نزَل القرآنُ ، وذكَر اللَّهُ لنبيِّه ﷺ فيه قولَهم ، فلمّا كلَّمه الحَبْرانِ ، قال لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أسْلِما » . قالا : قد أسلَمْنا . قال : « إنَّكما لم تُسْلِما ، فأسْلِما » . قالا : بلى ، قد أسلَمْنا قبلَك . قال : « كَذَبْتُمَا ، يَمْنَعُكُما مِن الإسلامِ دعاؤُكما للَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلَدًا ، وعبادَتُكما الصَّلِيبَ ، وأكْلُكما الخِنزِيرَ » . قالا : فمن

١٦٣/٣

(١) كذا فى السيرة وجميع النسخ ، وتقدم فى الصفحة السابقة « أحد » . وهما واحد .

(٢) فى النسخ : « ابن » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٣) فى النسخ : « هو » . والمثبت من سيرة ابن هشام .

(٤) فى م : « بشىء » ، وفى السيرة : « وهذا » .

أبوه يا محمدُ ؟ فصمَت رسولُ اللَّهِ ﷺ عنهما فلم يُجبْهما ، فأنزل اللَّهُ فى ذلك من قولِهم ، واختلافِ أمرِهم كلِّه ، صدرَ سورةِ « آلِ عمرانَ » إلى بِضْعٍ وثمانين آيةً منها ، فقال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ . فافتتح السورةَ بتبْرِئتِه[1] نفسَه تبارك وتعالى مما قالوا ، وتوحيدِه إيّاها بالخلقِ والأمرِ ، لا شريكَ له فيه ؛ ردًّا عليهم ما ابتدَعوا من الكفرِ ، وجعَلوا معه من الأندادِ ، واحتجاجًا عليهم بقولِهم فى صاحبِهم ، ليُعرِّفَهم بذلك ضَلالتَهم ، فقال : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ أى ليس معه شريكٌ فى أمرِه[2] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ فى قولِه : ﴿ الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ . قال : إن النَّصارَى أتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فخاصَمُوه فى عيسى ابنِ مريمَ ، وقالوا له : من أبوه ؟ وقالوا على اللَّهِ الكَذِبَ والبُهْتانَ - لا إلهَ إلا هو ، لم يَتَّخِذْ صاحبةً ولا ولدًا - فقال لهم النبىُّ ﷺ : « ألستُم تَعْلَمُون أنَّه لا يكونُ وَلَدٌ إلا وهو يُشْبِهُ أباه ؟ » . قالوا : بلى . قال : « ألستُم تَعْلَمُون أنَّ ربَّنا حىٌّ لا يموتُ ، وأنَّ عيسى يأتى عليه الفَناءُ ؟ » . قالوا : بلى . قال : « ألستُم تَعْلَمُون أنَّ ربَّنا قَيِّمٌ على كلِّ شىءٍ ، يَكْلَؤُه ويَحْفَظُه ويَرْزُقُه ؟ » . قالوا : بلى . قال : « فهل يَمْلِكُ عيسى من ذلك شيئًا ؟ » . قالوا : لا . قال : « أفلستُم تَعْلَمُون أنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لا يَخْفَى عليه شىءٌ فى الأرضِ ولا فى السماءِ ؟ » . قالوا : بلى . قال : « فهل يعلَمُ عيسى من ذلك شيئًا إلا ما عُلِّمَ ؟ » . قالوا : لا . قال : « فإنَّ ربَّنا صَوَّرَ عيسى فى الرَّحِمِ كيف شاء »[3] . قال : « ألستُم تَعْلَمون أنَّ ربَّنا لا يأْكُلُ الطعامَ ، ولا يَشْرَبُ

---

(١) فى م : « بتبرئة » . وفى س ، والسيرة : « بتنزيه » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٣/١ - ٥٧٦ ، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٣٨٢/٥ من طريق يونس ، عن ابن إسحاق به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٢ إلى ابن المنذر . وسيذكر المصنف بقيته مفرقة فيما سيأتى .

(٣) بعده فى م : « فهل تعلمون ذلك ؟ قالوا : بلى » .

الشَّرابَ ، ولا يُحْدِثُ الحَدَثَ ؟ » . قالوا : بلى . قال : « ألستم تَعْلَمون أنَّ عيسى حَمَلَتْه امرأةٌ كما تَحْمِلُ المرأةُ ، ثم وَضَعَتْه كما تَضَعُ المرأةُ وَلَدَها ، ثم غُذِّىَ كما يُغَذَّى الصبيُّ ، ثم كان يَطْعَمُ الطعامَ ، ويَشرَبُ الشَّرابَ ، ويُحْدِثُ الحَدَثَ ؟ » . قالوا : بلى . قال : « فكيف يكونُ هذا كما زعمتُم ؟ » . قال : فعرَفوا ثم أبَوْا إلا جُحُودًا ، فأنزل [١/٣٨١و] اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ الٓمٓ ۝١ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ ﴾ .

اختلَفت القَرَأةُ فى ذلك ؛ فقِرأتْه قَرَأةُ الأمصارِ : ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ .

وقرَأ ذلك عمرُ بنُ الخطَّابِ وابنُ مسعودٍ ، فيما ذُكِر عنهما : (الحىُّ القيَّامُ)[2] .

وذُكِر عن عَلْقمةَ بنِ قيسٍ أنه كان يقرأُ : (الحَىُّ القَيِّمُ) .

حدَّثنا بذلك أبو كُريبٍ ، قال : حدَّثنا عثّامُ بنُ علىٍّ ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن إبراهيمَ ، عن أبى مَعْمَرٍ ، قال : سَمِعْتُ عَلقمةَ يقرأُ : (الحَىُّ القَيِّمُ) . قلت : أنتَ سَمِعْتَه ؟ قال : لا أدْرِى[3] .

/**حدَّثنا** أبو هشامٍ الرِّفاعىُّ ، قال : حدَّثنا وَكيعٌ ، قال : حدَّثنا الأعمشُ ، عن إبراهيمَ ، عن أبى معمرٍ ، عن عَلْقمةَ مثلَه . ١٦٤/٣

وقد رُوِى عن عَلْقمةَ خلافُ ذلك ، وهو ما **حدَّثنا** أبو هشامٍ ، قال : حدَّثنا

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٥/٢ (٣١٢٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) تنظر قراءة عمر فى فضائل القرآن لأبى عبيد ص ١٦٨ ، وسنن سعيد بن منصور (٤٨٦ – تفسير) ، وقراءة ابن مسعود فى سنن سعيد بن منصور (٤٨٩ – تفسير) ، والمعجم الكبير (٨٦٩٠) ، والمصاحف لابن أبى داود ص ٥٩ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢ إلى المصنف وابن الأنبارى .

عبدُ اللَّهِ ، قال : حدَّثنا شَيْبانُ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن أبى معمرٍ ، عن عَلْقمةَ أنه قرَأ : (الحَىُّ القَيَّامُ)[1] .

والقراءةُ التى لا يجوزُ غيرُها عندَنا فى ذلك ما جاءت به قراءةُ المسلمِين نقلًا مستفيضًا ، عن غيرِ تَشاعُرٍ[2] ولا تَواطؤٍ ، وِراثةً ، وما كان مُثْبَتًا فى مصاحفِهم ؛ وذلك قراءةُ من قرَأ : ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلْحَىُّ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى قولِه : ﴿ ٱلْحَىُّ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معنى ذلك مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه أنه وصَف نفسَه بالبقاءِ ، ونفَى الموتَ الذى يجوزُ على مَن سواه مِن خلقِه عنها .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ بنُ الفضلِ ، قال : حدَّثنى محمدُ ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ ٱلْحَىُّ ﴾ : الذى لا يموتُ ، وقد مات عيسى وصُلِب فى قولِهم . يعنى فى قولِ الأحبارِ الذين حاجُّوا رسولَ اللَّهِ ﷺ من نَصارَى أهلِ نَجْرانَ[3] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ ٱلْحَىُّ ﴾ . قال : يقولُ : حىٌّ لا يموتُ[4] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢ إلى المصنف وابن الأنبارى .

(٢) فى م : « تشاعر » .

(٣) سيرة ابن هشام ٢/ ٥٧٦.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٤٨٦/٢ (٢٥٧١) من طريق ابن أبى جعفر به .

وقال آخرون : معنى « الحىّ » الذى عَناه اللَّهُ عزَّ وجلَّ فى هذه الآيةِ ، ووصَف به نفسَه ، أنه المُتَيَسِّرُ له تدبيرُ كلِّ ما أراد وشاء ، لا يَمتنِعُ عليه شئٌ أراده ، وأنه ليس كمن لا تدبيرَ له من الآلهةِ والأندادِ .

وقال آخرون : معنى ذلك أن له الحياةَ الدائمةَ التى لم تَزَلْ له صفةً ، ولا تزالُ كذلك . وقالوا : إنما وَصف نفسَه بالحياةِ لأن له حياةً ، كما وصَفها بالعلمِ لأن لها علمًا ، وبالقُدْرةِ لأن لها قدرةً .

ومعنى ذلك عندى أنه وصَف نفسَه بالحياةِ الدائمةِ التى لا فَناءَ لها ولا انقطاعَ ، ونفَى عنها ما هو حالٌّ بكلِّ ذى حياةٍ من خلقِه ؛ من الفَناءِ وانقطاعِ الحياةِ عندَ مجىءِ أجلِه ، فأخبرَ عبادَه أنه المُستوجِبُ على خلقِه العبادةَ والأُلُوهةَ ، والحىُّ الذى لا يموتُ ولا يَبِيدُ ، كما يموتُ كلُّ مَن اتُّخِذَ مِن دونِه ربًّا ، ويَبِيدُ كلُّ مَن ادُّعِىَ مِن دونِه إلهًا ، واحتجَّ على خلقِه بأنَّ مَن كان يَبِيدُ فيزولُ ويموتُ فيَفْنَى ، فلا يكونُ إلهًا يَستوجِبُ أن يُعْبَدَ دونَ الإلهِ الذى لا يَبِيدُ ولا يموتُ ، وأنَّ الإلهَ هو الدائمُ الذى لا يموتُ ولا يَبِيدُ ولا يَفْنَى ، وذلك اللَّهُ الذى لا إلَهَ إلا هو .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ .

قد ذكَرْنا اختلافَ القرأةِ فى ذلك ، والذى نختارُ منه ، وما العِلّةُ التى مِن أجلِها اخترْنا ما اخترْنا من ذلك .

فأمّا تأويلُ جميعِ الوجوهِ التى ذكَرْنا أن القرأةَ قرأتْ بها ، فمتقارِبٌ ، ومعنى ذلك كلِّه : القَيِّمُ بحفظِ كلِّ شىءٍ ورِزْقِه وتدبيرِه ، وتصريفِه فيما شاء وأحبَّ ، مِن تغييرٍ وتبديلٍ ، وزيادةٍ ونقصٍ .

/كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ١٦٥/٣

ابنُ ميمونٍ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾ . قال : القائمُ على كلِّ شيءٍ[1] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[2] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ : قَيِّمٌ على كلِّ شيءٍ ؛ يَكْلَؤُه ويَحْفَظُه ويَرزُقُه[3] .

وقال آخرون : معنى ذلك : القَيّامُ على مكانِه . ووجَّهوه إلى القيامِ الدائمِ ، الذي لا زوالَ معه ولا انتقالَ ، وأنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ إنما نفَى عن نفسِه - بوَصْفِها بذلك - التغيُّرَ والتنقُّلَ من مكانٍ إلى مكانٍ ، وحدوثَ التبدُّلِ الذي يَحدُثُ في الآدميِّين وسائرِ خلقِه غيرِهم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، عن محمدِ[4] بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ ٱلْقَيُّومُ ﴾ : القَيّامُ على مكانِه ، مَن سلطانُه في خلقِه لا يزولُ ، وقد زال عيسى في قولِهم - يعني في قولِ الأحبارِ الذين حاجُّوا النبيَّ ﷺ من أهلِ نجرانَ في عيسى - عن مكانِه الذي كان به ، وذهَب عنه إلى غيرِه[5] .

وأولى التأويلَين بالصوابِ ما قاله مجاهدٌ والرَّبيعُ ، وأن ذلك وصفٌ من اللَّهِ

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٨، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٤٨٦ (٢٥٧٣) .

(٢) أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٩٦) من طريق أبي حذيفة به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٤٨٦ (٢٥٧٢) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) في النسخ : « عمر » .

(٥) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٦، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٨٦ (٣١٢٩) من طريق ابن إسحاق قوله .

تعالى ذكرُه نفسَه بأنّه القائمُ بأمرِ كلِّ شيءٍ في رَزْقِه والدفْعِ عنه ، وكِلائِه وتدبيرِه ، وصَرْفِه في قدرتِه ، مِن قولِ العربِ : فلانٌ قائمٌ بأمرِ هذه البلدةِ . تَعْنى بذلك : المتَوَلِّى تدبيرَ أمرِها . [٣٨١/١ظ] فـ « القيُّومُ » - إذ كان ذلك معناه - « الفَيْعُولُ » ، من قولِ القائلِ : اللَّهُ يقومُ بأمرِ خلقِه . وأصلُه « القَيْوُومُ » ، غيرَ أنَّ الواوَ الأولى من « القَيْوُومِ » ، لما سبَقتْها ياءٌ ساكنةٌ وهى متحرِّكةٌ ، قُلِبَتْ ياءً ، فجُعِلَتْ هى والياءُ التى قبلَها ياءً مشدَّدةً ؛ لأن العربَ كذلك تفعَلُ بالواوِ المتحرِّكةِ إذا تقدَّمَتْها ياءٌ ساكنةٌ .

وأما « القَيّامُ » ، فإن أصلَه « القَيْوامُ » ، وهو « الفَيْعَالُ » ، مِن : قام يقومُ ، سَبَقت الواوَ المتحرِّكةَ مِن « قَيْوامٍ » ياءٌ ساكنةٌ ، فجُعِلَتا جميعًا ياءً مشدَّدةً .

ولو أنَّ القَيُّومَ « فَعُّولٌ » ، كان « القَوُّومَ » ، ولكنَّه « الفَيْعُولُ » . وكذلك « القَيَّامُ » لو كان « الفَعَّالَ » لكان « القَوَّامَ » ، كما قيل : الصَّوّامُ والقَوَّامُ . وكما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ﴾ [المائدة : ٨] . ولكنَّه « الفَيْعالُ » ، فقال : القَيَّامُ .

وأمَّا « القَيِّمُ » فهو « الفَيْعِلُ » ، من : قامَ يقومُ ، سَبَقَت الواوَ المتحرِّكةَ ياءٌ ساكنةٌ ، فجُعِلَتا ياءً مُشدَّدةً ، كما قيل : فلانٌ سيِّدُ قومِه . من : سادَ يَسُودُ ، وهذا طعامٌ جيِّدٌ ، من : جادَ يجودُ ، وما أشبهَ ذلك .

وإنما جاء ذلك بهذه الألفاظِ ؛ لأنه قصَد به قَصْدَ المبالغةِ فى المدحِ ، فكان « القَيُّومُ » و « القَيَّامُ » و « القَيِّمُ » أبلغَ فى المدحِ من القائمِ . وإنما كان عمرُ رضِى اللَّهُ عنه يختارُ قراءتَه ، إن شاء اللَّهُ : « القَيَّامُ » ؛ لأن ذلك الغالبُ على مَنطِقِ أهلِ الحجازِ ، فى ذواتِ الثلاثةِ من الياءِ والواوِ ، فيقولون للرجلِ الصَّوّاغِ : الصَّيَّاغُ . ويقولون للرجلِ الكثيرِ الدَّوَرانِ : الدَّيَّارُ . وقد قيل : إن قولَ اللَّهِ جلَّ ثناؤُه : ﴿ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴾ [نوح : ٢٦] . إنما هو : « دَوَّارًا » ، « فَعَّالًا » ، مِن : دارَ

يَدُورُ . ولكنَّها نزَلتْ بلغةِ أهلِ الحجازِ ، وأُقِرَّتْ كذلك فى المصحفِ .

١٦٦/٣ / **القولُ فى تأويلِ قولِه** : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ .

يقولُ جلَّ ثناؤُه : يا محمدُ ، إنَّ ربَّك وربَّ عيسى وربَّ كلِّ شيءٍ ، هو الربُّ الذى أنزل عليك الكتابَ ، يعنى بـ « الكتابِ » : القرآنَ ، ﴿ بِٱلْحَقِّ ﴾ يعنى بالصِّدْقِ فيما اختلَف فيه أهلُ التوراةِ والإنجيلِ ، وفيما خالَفك فيه مُحاجُّوك مِن نَصارَى أهلِ نَجْرانَ ، وسائرِ أهلِ الشركِ غيرِهم ، ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ ، يَعنى بذلك القرآنَ أنه مُصَدِّقٌ لما كان قبلَه مِن كتبِ اللَّهِ التى أنزلَها على أنبيائِه ورسلِه ، ومُحَقِّقٌ ما جاءتْ به رسلُ اللَّهِ مِن عندِه ؛ لأنَّ مُنَزِّلَ جميعِ ذلك واحدٌ ، فلا يكونُ فيه اختلافٌ ، ولو كان من عندِ غيرِه لكان فيه اختلافٌ كثيرٌ .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : حدَّثنا أبو عاصمٍ ، قال : حدَّثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . قال : لِما قبلَه من كتابٍ أو رسولٍ[(١)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا أبو حُذيفةَ ، قال : حدَّثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ : لما قبلَه من كتابٍ أو رسولٍ .

حدَّثنى محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، قال : حدَّثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ أى :

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٨، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٧/٢ (٣١٣٥) .

بالصِّدْقِ فيما اختلَفوا فيه[١] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ يقولُ : القرآنَ مُصَدِّقًا لما بينَ يدَيْه من الكتبِ التى قد خلَتْ قبلَه[٢] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنى ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ قولَه : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ : يقولُ : مُصَدِّقًا لما قبلَه من كتابٍ ورسولٍ[٣] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : وأنزلَ التوراةَ على موسى ، والإنجيلَ على عيسى ، ﴿ مِن قَبْلُ ﴾ . يقولُ : من قبلِ الكتابِ الذى نزَّله عليك .

ويعنى بقولِه : ﴿ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ : بيانًا للناسِ من اللَّهِ فيما اختلَفوا فيه من توحيدِ اللَّهِ ، وتصديقِ رسلِه ، ونعتِك[٤] يا محمدُ بأنك نبيِّى ورسولى ، وفى غيرِ ذلك من شرائعِ دينِ اللَّهِ .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۝ مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ : هما كتابان أنزلَهما اللَّهُ ، فيهما بيانٌ

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٦.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٧/٢ (٣١٣٢) من طريق يزيد به مختصرًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٨٧، عقب الأثر (٣١٣٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) سقط من س ، وفى ص : « حفيك » ، وفى م : « مفيدًا » ، وفى ت ١، ت ٢: « حفيد » والمثبت أقرب إلى الصواب .

من اللَّهِ ، وعِصْمةٌ لمن أخَذ به ، وصدَّق به ، وعمِل بما فيه[1] .

١٦٧/٣ /حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ ابنِ الزُّبيرِ : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ : التوراةَ على موسى ، والإنجيلَ على عيسى ، كما أنزلَ الكتبَ على مَن كان قبلَه[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ .

يَعنى جلَّ ثناؤُه بذلك : وأنزلَ الفَصْلَ بين الحقِّ والباطلِ فيما اختلَفتْ فيه الأحزابُ وأهلُ المِلَلِ فى أمرِ عيسى وغيرِه .

وقد بَيَّنَّا فيما مضَى أن الفُرقانَ إنما هو الفُعْلانُ ، من قولِهم : فرَق اللَّهُ بينَ الحقِّ والباطلِ ؛ يَفْصِلُ بينهما بنصرِه الحقَّ على الباطلِ ، إمَّا بالحُجَّةِ البالغةِ ، وإمَّا بالقَهْرِ والغَلَبةِ بالأَيْدِ والقُوَّةِ[3] .

وبما قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ ، غيرَ أنَّ بعضَهم وجَّه تأويلَه إلى أنه فصلٌ بينَ الحقِّ والباطلِ فى أمرِ عيسى ، وبعضُهم إلى أنه فصلٌ بينَ الحقِّ والباطلِ فى أحكامِ الشرائعِ .

ذكرُ مَن [١/٣٨٢و] قال : معناه : الفصلُ بينَ الحقِّ والباطلِ فى أمرِ عيسى والأحزابِ

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ ابنِ الزُّبيرِ : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ . أى : الفصلَ بينَ الحقِّ والباطلِ ، فيما اختلَف فيه

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٨٨/٢ (٣١٤١، ٣١٤٢) من طريق شيبان ، عن قتادة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) فى م : « قبلهما » . والأثر فى سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٩٣/١ وما بعدها .

الأحزابُ من أمرِ عيسى وغيرِه[(١)] .

ذكرُ من قال : معنى ذلك : الفصلُ بينَ الحقِّ والباطلِ فى الأحكامِ وشرائعِ الإسلامِ

حدَّثنا بشرٌ ، قال : حدَّثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَۗ ﴾ : هو القرآنُ ، أنزَله على محمدٍ ، وفرَق به بينَ الحقِّ والباطلِ ، فأحلَّ فيه حلالَه ، وحرَّم فيه حرامَه ، وشرَّع فيه شرائعَه ، وحدَّ فيه حدودَه ، وفرَض فيه فرائضَه ، وبيَّن فيه بيانَه ، وأمَر بطاعتِه ، ونهَى عن معصيتِه[(٢)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَۗ ﴾ . قال : الفرقانُ القرآنُ ، فرَق بينَ الحقِّ والباطلِ[(٣)] .

والتأويلُ الذى ذكَرْناه عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ فى ذلك أوْلَى بالصّحّةِ من التأويلِ الذى ذكَرْناه عن قتادةَ والربيعِ ، وأن يكونَ معنى الفرقانِ فى هذا الموضعِ فصلَ اللَّهِ بينَ نبيِّه محمدٍ ﷺ والذين حاجُّوه فى أمرِ عيسى وفى غيرِ ذلك من أمورِه ، بالحُجّةِ البالغةِ القاطعةِ عذرَهم وعذرَ نُظَرائِهم من أهلِ الكفرِ باللَّهِ .

وإنما قلْنا : هذا القولُ أوْلَى بالصوابِ ؛ لأن إخبارَ اللَّهِ عن تنزيلِه القرآنَ قبلَ إخبارِه عن تنزيلِه التوراةَ والإنجيلَ فى هذه الآيةِ ، قد مضَى بقولِه : ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ﴾ . ولا شكَّ أن ذلك الكتابَ هو القرآنُ لا غيرُه ، فلا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٦ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٨٨ (٣١٤٦) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر ٢/٣ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٨٨ (٣١٤٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

وَجْهَ لتكريرِه مَرَّةً أخرى ، إذ لا فائدةَ فى تكريرِه ، ليست فى ذكرِه إيّاه وخبرِه عنه ابتداءً .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٤﴾ ﴾ .

يَعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : إن الذين جَحَدُوا أعلامَ اللَّهِ وأدلَّتَه على توحيدِه وألوهتِه ، وأن عيسى عبدٌ له ، واتَّخَذُوا المسيحَ إلهًا وربًّا ، أو ادَّعَوْه للَّهِ ولَدًا ، لهم عذابٌ من اللَّهِ شديدٌ يوم القيامةِ .

و « الذين كفَروا » : هم الذين جحَدوا آياتِ اللَّهِ . و « آياتُ اللَّهِ » : أعلامُ اللَّهِ وأدلّتُه وحُجَجُه .

١٦٨/٣ / وهذا القولُ من اللَّهِ عزَّ وجلَّ يُنْبِئُ عن معنى قولِه : ﴿ وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَۗ ﴾ . أنه مَعْنِيٌّ به الفصلُ[1] الذى هو حُجّةٌ لأهلِ الحقِّ على أهلِ الباطلِ ؛ لأنه عقَّب ذلك بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ . يعنى : إن الذين جحَدوا ذلك الفصلَ والفرقانَ الذى أنزله فرقًا بينَ المُحِقِّ والمُبْطِلِ ، ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۗ ﴾ وعيدٌ من اللَّهِ لمن عاند الحقَّ بعدَ وُضوحِه له ، وخالَف سبيلَ الهُدَى بعدَ قيامِ الحُجّةِ عليه ، ثم أخبَرهم أنه عزيزٌ فى سلطانِه ، لا يمنعُه مانعٌ ممن أراد عذابَه منهم ، ولا يحولُ بينَه وبينَه حائلٌ ، ولا يَستطيعُ أن يُعانِدَه فيه أحدٌ ، وأنه ذو انتقامٍ ممن جحَد حُجَجَه وأدلَّتَه بعد ثُبوتِها عليه ، وبعد وُضوحِها له ومعرِفتِه بها .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ

(١) بعده فى النسخ : « عن » . ولا يستقيم بها الكلام .

جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾ . أى : إن اللَّهَ منتقِمٌ ممن كفَر بآياتِه ، بعدَ علمِه بها ، ومعرفتِه بما جاء منه فيها[1] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : حدَّثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴾[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ۝٥ ﴾.

يَعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : إن اللَّهَ لا يخفَى عليه شىءٌ هو فى الأرضِ ، ولا شىءٌ هو فى السماءِ ، يقولُ : فكيف يخفَى علىَّ يا محمدُ ، وأنا علامُ [3]جميعِ الأشياءِ[3] ، ما يُضَاهِى به هؤلاء الذين يُجادِلُونك فى آياتِ اللَّهِ مِن نَصارَى نَجْرانَ فى عيسى ابنِ مريمَ ، فى مقالتِهم التى يقولونها فيه ؟

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا سلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ . أى : قد عَلِم ما يُريدون وما يَكِيدُون وما يُضاهون بقولِهم فى عيسى ، إذ جعَلوه ربًّا وإلهًا ، وعندَهم من علِمه غيرُ ذلك ، غِرَّةً باللَّهِ وكفرًا به[4] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٦، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٨٩ (٣١٥٣) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) هكذا فى النسخ ، لم يذكر المصنف نص الأثر ، وسيتكرر ذلك فيما سيأتى ، والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٨٩ (٣١٤٩) من طريق ابن أبى جعفر به بلفظ : يعنى النصارى .

(٣ - ٣) فى س : « الغيوب » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٦، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٩٠ (٣١٥٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ .

يَعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : اللَّهُ الذى يُصَوِّرُكم فيَجعلُكم صُوَرًا أشْباحًا فى أرحامِ أمّهاتِكم كيف شاء وأحبَّ ، فيَجعلُ هذا ذكَرًا وهذا أنثى ، وهذا أسودَ وهذا أحمرَ . يُعَرِّفُ عبادَه بذلك أن جميعَ مَن اشتملَتْ عليه أرحامُ النساءِ فممن[1] صَوَّره وخلَقه كيف شاء ، وأن عيسى ابنَ مريمَ ممن صَوَّره فى رَحِمِ أمِّه ، وخلَقه فيها كيف شاء وأحبَّ ، وأنه لو كان إلهًا لم يكنْ ممن اشتملَتْ عليه رَحِمُ أمِّه ؛ لأنَّ خلّاقَ ما فى الأرحامِ لا تكونُ الأرحامُ عليه مشتمِلةً ، وإنما تشتمِلُ على المخلوقِين .

١٦٩/٣ /كما حدَّثنى ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ : قد كان عيسى ممن صُوِّر فى الأرحامِ ، لا يدفَعون [٣٨٢/١ظ] ذلك ولا يُنكِرونه ، كما صُوِّر غيرُه من بنى آدمَ ، فكيف يكونُ إلهًا وقد كان بذلك المنزِلِ ؟[2]

حدَّثنا المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ . أى : أنَّه صوَّر عيسى فى الرَّحِمِ كيف شاءَ[3] .

وقال آخرون فى ذلك ما حدَّثنا به موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ ، عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ قولَه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ . قال : إذا وقَعت النطفةُ فى

---

(١) فى م : « ممن » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٦ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٩٠ (٣١٥٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

الأرحامِ ، طارتْ فى الجسدِ أربعين يومًا ، ثم تكونُ علقةً أربعين يومًا ، ثم تكونُ مضغةً أربعين يومًا ، فإذا بلَغ أن يُخْلَقَ ، بعَث اللَّهُ مَلكًا يصوِّرُها ، فيأتى الملَكُ بترابٍ بين إصبعَيْه ، فيخلِطُه فى المضغةِ ، ثم يعجِنُه بها ، ثم يصوِّرُها كما يؤمرُ ، فيقولُ : أذكرٌ أو أنثى ؟ أشقىٌّ أو سعيدٌ ؟ وما رزقُه ؟ وما عمرُه ؟ وما أثَرُه ؟ وما مصائبُه ؟ فيقولُ اللَّهُ ، ويكتبُ الملَكُ ، فإذا مات ذلك الجسدُ ، دُفِن حيث أُخِذ ذلك الترابُ[1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ : قادرٌ واللَّهِ ربُّنا أن يصوِّرَ عبادَه فى الأرحامِ كيف يشاءُ ؛ من ذكَرٍ أو أنثَى ، أو أسودَ أو أحمرَ ، تامٌّ خَلْقُه وغيرِ تامٍّ[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝٦ ﴾ .

وهذا القولُ تنزيهٌ من اللَّهِ تعالى ذكرُه نفسَه أن يكونَ له فى ربوبيَّتِه نِدٌّ أو مِثْلٌ ، أو أن تجوزَ الألُوهةُ لغيرِه ، وتكذيبٌ منه للذين قالوا فى عيسى ما قالوا ، من وفدِ نَجْرانَ الذين قَدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ ، وسائرِ مَن كان على مثلِ الذى كانوا عليه من قولِهم فى عيسى ، ولجميعِ مَن ادَّعى مع اللَّهِ معبودًا ، أو أقرَّ بِرُبُوبيَّةِ غيرِه . ثم أخبَر جلَّ ثناؤُه خلقَه بصفتِه ، وعيدًا منه لمن عبَد غيرَه ، أو أشركَ فى عبادتِه أحدًا سواه ، فقال : هو العزيزُ الذى لا ينصُرُ مَن أراد الانتقامَ منه أحدٌ ، ولا يُنْجِيه منه وَأْلٌ ولا لَجأٌ[3] ، وذلك لعِزَّتِه التى يَذِلُّ لها كلُّ مخلوقٍ ، ويخضَعُ لها كلُّ موجودٍ . ثم أعْلَمهم أنه

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٩٠ (٣١٥٦) من طريق عمرو به من قول السدى . وأصل الحديث فى البخارى (٣٢٠٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود مرفوعًا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٥٩٠، ٥٩١ (٣١٥٩) من طريق شيبان ، عن قتادة نحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤ إلى عبد بن حميد .

(٣) الوأْلُ والموئل : الملجأ . واللجأ والوأْلُ بمعنى . اللسان (ل ج أ ، و أ ل) .

الحكيمُ فى تدبيرِه ، وإعذارِه إلى خلقِه ، ومتابعةِ حُجَجِه عليهم ؛ ليَهْلِكَ من هَلَكَ منهم عن بيِّنةٍ ، ويَحْيا من حَيَّ عن بيِّنةٍ .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ ، قال : ثم قال - يَعنى الربَّ عزَّ وجلَّ - إنْزاهًا لنفسِه ، وتوحيدًا لها مما جعَلوا معه : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . قال : العزيزُ فى نُصْرتِه[(١)] ممن كفَر به إذا شاء ، والحكيمُ فى عُذْرِه وحُجَّتِه إلى عبادِه[(٢)] .

١٧٠/٣ /حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ . يقولُ : عزيزٌ فى نِقمتِه ، حكيمٌ فى أمرِه[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ .

يَعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ أن اللَّهَ الذى لا يَخْفَى عليه شىءٌ فى الأرضِ ولا فى السماءِ هو الذى أنزَل عليك الكتابَ . يعنى بالكتابِ القرآنَ .

وقد أتَيْنا على البيانِ فيما مضَى عن السببِ الذى من أجلِه سُمِّىَ القرآنُ كتابًا ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(٤)] .

وأما قولُه : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ . فإنه يَعنى : من الكتابِ آياتٌ . يَعنى بالآياتِ آياتِ القرآنِ . وأمَّا المحكماتُ ، فإنهنَّ اللواتى قد أُحْكِمْنَ بالبيانِ والتفصيلِ ،

---

(١) كذا فى النسخ ، وعند ابن أبى حاتم : يريد : « فى انتصاره ممن كفر » . كما فى سيرة ابن هشام .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٦ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩١/٢ (٣١٦١، ٣١٦٣) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩١/٢ (٣١٦٢، ٣١٦٤) من طريق ابن أبى جعفر ، عن أبى العالية قوله .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/ ٨٩، ٩٥، ٩٦.

وأُثْبِتَتْ حُجَجُهنَّ وأدلَّتُهنَّ على ما جُعِلْنَ أدلّةً عليه؛ من حلالٍ وحرامٍ، ووعدٍ ووعيدٍ، وثوابٍ وعقابٍ، وأمرٍ وزَجْرٍ، وخبرٍ ومَثَلٍ، وعِظَةٍ وعِبَرٍ، وما أشبهَ ذلك.

ثم وصَف جلَّ ثناؤُه هؤلاء الآياتِ المحكماتِ بأنهنَّ أمُّ[1] الكتابِ، يَعْنى بذلك أنهنَّ أصلُ الكتابِ الذى فيه عمادُ الدينِ والفرائضُ والحدودُ، وسائرُ ما بالخَلْقِ إليه الحاجةُ من أمرِ دينِهم، وما كُلِّفُوا من الفرائضِ [2]والحدودِ، وسائرِ ما يحتاجون إليه[2] فى عاجلِهم وآجلِهم، وإنما سَمّاهنَّ أمَّ الكتابِ لأنهنَّ مُعْظَمُ الكتابِ، ومَوضِعُ مَفْزَعِ أهلِه عندَ الحاجةِ إليه، وكذلك تفعلُ العربُ، تُسَمِّى الجامعَ مُعْظَمَ الشىءِ أمًّا له، فتُسَمِّى رايةَ القومِ التى تجمعُهم فى العساكرِ أمَّهم، والمُدَبِّرَ مُعْظَمَ أمرِ القريةِ والبلدةِ أمَّها. وقد بيَّنَّا ذلك فيما مضَى بما أغْنَى عن إعادتِه[3].

ووحَّد ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾، ولم يَجْمَعْ فيقولَ: هنَّ أمَّهاتُ الكتابِ. وقد قال: ﴿هُنَّ﴾؛ لأنَّه أراد: جميعُ الآياتِ المُحْكَماتِ أمُّ الكتابِ. لا أنَّ كلَّ آيةٍ منهنَّ أمُّ الكتابِ، ولو كان معنى ذلك أن كلَّ آيةٍ منهنَّ أمُّ الكتابِ، لكان لا شكَّ قد قِيل: هنّ أمّهاتُ الكتابِ. ونظيرُ قولِ اللهِ عز وجل: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ - على التأويلِ الذى قلْنا فى توحيدِ الأُمِّ، وهى خبرٌ [4]لِـ﴿هُنَّ﴾[4] - قولُه تعالى ذكرُه: ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾ [المؤمنون: ٥٠]. ولَم يقُلْ: آيتَيْن. لأنَّ معناه: وجعَلْنا جميعَهما آيةً. إذ كان المعنى [5]واحدًا فيما جُعِلا[5] فيه للخَلْقِ عِبرةً، ولو كان مرادُه الخبرَ عن كلِّ واحدٍ منهما على انفرادِه بأنه جُعِل للخَلْقِ عِبرةً، لقيل: وجعَلْنا ابنَ مريمَ

---

(١) فى ص، ت ١، ت ٢: «من»، وفى م: «هن أم».

(٢ - ٢) سقط من: الأصل، ص، م، ت١، ت ٢.

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/ ١٠٥، ١٠٦.

(٤ - ٤) فى ص، س، ت ١، ت ٢: «لهم».

(٥ - ٥) فى م: «وإحداثهما جعلنا».

وأُمَّه آيتَين . لأنَّه قد كان فى كلٍّ واحدٍ منهما لهم عِبرةٌ ؛ وذلك أن مريمَ ولَدتْ من غيرِ رجلٍ ، ونطَق ابنُها ، فتكلَّم فى المهدِ صبيًّا ، فكان فى كلٍّ واحدٍ منهما للناسِ آيةٌ .

وقد قال بعضُ نحويِّى البصرةِ : إنما قيل : ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ . ولم يقُلْ : هنَّ أمهاتُ الكتابِ . على وجهِ / الحكايةِ ، كما يقولُ [١/٣٨٣و] الرجلُ : ما لى أنصارٌ . فتقولُ : أنا أنصارُك . أو : ما لى نظيرٌ . فتقولُ : نحن نظيرُك . قال : وهو شَبيهُ : دَعْنى مِن تمرتانِ . وأنشد لرجلٍ من فَقْعَسٍ[(١)] : ١٧١/٣

تَعَرَّضَــتْ لى (٢)بمكانِ حَلِّ(٢)

تَعَرُّضَ المُهْــرَةِ فى الطِّوَلِّ(٣)

تَعَرُّضًا لم تَأْلُ عَنْ (٤)قَتْلًا لى(٤)

(٥)قتلًا لى(٥) ، يَحْكِى به على الحكايةِ ؛ لأنه كان منصوبًا قبل ذلك ، كما يقولُ : نُودِىَ : الصلاةَ الصلاةَ ، يَحْكِى قولَ القائلِ : الصلاةَ الصلاةَ . وقال : قال

---

(١) هو منظور بن مرثد الفقعسى الأسدى ، ويعرف بـ : منظور بن حبة . وحبة أمه . والرجز فى مجالس ثعلب ٢/ ٦٠٢، واللسان (ط و ل ، ق ت ل ، ع ر ض) .

(٢ - ٢) فى ت ١، ت ٢: « بمكان خلى » . وفى المجالس : « بمجازٍ حِلِّ » ، وفى اللسان : « بمكانٍ حِلِّ » . ومكان الحَلِّ : مكان الحلول والنزول . وينظر اللسان (ح ل ل) .

(٣) الطِّوَلُ : حبل طويل تشد به قائمة الدابة ، وقيل : هو الحبل تشد به ويمسك صاحبه بطرفه ويرسلها ترعى . وشدد الراجز الطِّوَلّ للضرورة . اللسان (ط و ل) .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١، ت ٢: « قتال » ، وفى اللسان : « قتل لى » ، وفى المجالس واللسان (ط و ل ، ق ت ل) « قَتْلِلِّى » كأنه أدغم « قتلِ لى » ، ولا شاهد فى كل ذلك . قال فى اللسان : ويروى : « عن قتلًا لى » على الحكاية ، أى : عن قولها : قتلًا له .

والرواية التى أشار إليها صاحب اللسان هى رواية سر صناعة الإعراب ، كما ذكر ذلك محقق المجالس .

(٥ - ٥) فى النسخ : « كل أى » ، وهى عبارة مضطربة ، ولعلها تحريف ما أثبتناه ، إذ لا يخفى أن الكلام منصب على مجىء « قتلًا » . على وجه الحكاية .

بعضُهم : إنما هى : أَنْ قَتْلًا لى . ولكنّه جعَله « عينًا »[(١)] ؛ لأنَّ « أنْ » فى لغتِه تُجْعَلُ موضعَها « عن » ، والنصبُ على الأمرِ ، كأنك قلتَ : ضربًا لزيدٍ .

وهذا قولٌ لا معنَى له ؛ لأنَّ كلَّ هذه الشَّواهدِ التى استشْهدها[(٢)] ، لا شكَّ أنهنَّ حكاياتُ حاكِيهنَّ[(٣)] بما حَكَى عن قولِ غيرِه وألفاظِه التى نطَق بهنَّ ، وأن معلومًا أن اللَّهَ جلَّ ثناؤُه لم يَحْكِ عن أحدٍ قولَه : أمُّ الكتابِ . فيجوزَ أن يقالَ : أَخْرَج ذلك مُخْرَجَ الحكايةِ عمَّن قال ذلك كذلك .

وأمّا قولُه : ﴿ وَأُخَرُ﴾ فإنها جمعُ أُخْرَى[(٤)] .

ثم اختلَف أهلُ العربيةِ فى العلَّةِ التى من أجلِها لم يُصْرَفْ « أُخَرُ » ؛ فقال بعضُهم : لم يُصْرَفْ « أُخَرُ »[(٥)] ، من أجلِ أنها نَعْتٌ ، واحدتُها « أُخْرَى » ، كما لم تُصْرَفْ « جُمَعُ » و « كُتَعُ » ؛ لأنهنّ نُعوتٌ .

وقال آخرون : إنما لم تُصْرَفِ « الأُخَرُ » ؛ لزيادةِ الياءِ التى فى واحدتِها ، وأن جَمْعَها مبنىٌّ على واحدِها فى تركِ الصرفِ . قالوا : وإنما تُرِكَ صرفُ « أُخْرَى » ، كما تُرِك صرفُ « حمراءَ » و « بيضاءَ » فى النكرةِ والمعرفةِ ؛ لزيادةِ المَدَّةِ فيها والهمزةِ بالواوِ[(٦)] ، ثم افترَق جمعُ « حمراءَ » و « أُخْرَى » ، فبُنِىَ جمعُ « أُخرى » على واحدتِه ،

---

(١) فى م : « عن » .

(٢) فى م : « استشهد بها » .

(٣) فى م : « حالتهن » .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « آخر » .

(٥) سقط من : ص ، ت ١ .

(٦) الضمير فى كلمة « فيها » يرجع إلى « حمراء وبيضاء » ؛ إذ القياس فى همزتها عند التثنية أن تقلب واوًا ، تقول : حمراوان وبيضاوان . ينظر ما لا ينصرف للزجاج ص ٣٢، وشرح ابن عقيل ٢/ ٤٤٥، ٤٤٦ .

فقيل : فُعَلُ « أُخَرُ » ، فتُرِك صرفُها كما تُرِك صرفُ « أخرى »، وبُنِىَ جمعُ « حمراءَ » و« بيضاءَ » على خلافِ واحدتِه ، فصُرِف ، فقيل : حُمْرٌ وبِيضٌ . فلاختلافِ حالتَيْهما فى الجمعِ ، اختلَف إعرابُهما عندَهم فى الصرفِ ، ولاتِّفاقِ حالتَيْهما فى الواحدةِ ، اتفقتْ حالتاهما فيها .

/ وأما قولُه : ﴿ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ . فإنَّ معناه : متشابهاتٌ فى التلاوةِ ، مختلِفاتٌ[1] فى المعنىَ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ﴾ [البقرة : ٢٥] . يعنى : فى المَنْظَرِ ، مختلِفًا فى المَطْعَمِ . وكما قال مُخبِرًا عمَّن أخبَر عنه من بنى إسرائيلَ أنه قال : ﴿ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا ﴾ [البقرة : ٧٠] . يَعْنون بذلك : تشابهَ علينا فى الصفةِ وإنِ اختلَفتْ أنواعُه . ١٧٢/٣

فتأويلُ الكلامِ إذنْ : إن الذى لا يَخْفَى عليه شىءٌ فى الأرضِ ولا فى السماءِ ، هو الذى أنزَل عليك يا محمدُ القرآنَ ، ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ بالبيانِ ، هنَّ أصلُ الكتابِ الذى عليه عِمادُك وعِمادُ أُمَّتِك فى الدِّينِ ، وإليه مَفْزَعُك ومَفْزَعُهم فيما افترضْتُ عليك وعليهم مِن شرائعِ الإسلامِ ، وآياتٌ أُخَرُ هنَّ متشابهاتٌ فى التلاوةِ ، مختلِفاتٌ فى المعانى .

وقد اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ . وما[2] المُحكَمُ من آيِ الكتابِ؟ وما المتشابهُ منه؟ **فقال بعضُهم** : المُحْكَماتُ مِن آيِ القرآنِ : المعمولُ بهنَّ ، وهنَّ الناسخاتُ ، أو المُثْبَتاتُ الأحكامِ ، والمتشابهاتُ مِن آيِه : المتروكُ العملُ بهنَّ المنسوخاتُ .

(١) فى ت ٢ : « مختلفة » .

(٢) فى ت ٢ : « أما » .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبَرنا العوَّامُ ، عمَّن حدَّثه ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ قال : هي الثلاثُ الآياتِ التي هلهنا ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ﴾ [الأنعام: ١٥١] إلى ثلاثِ آياتٍ ، والتي في بني إسرائيلَ ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ ﴾ [الإسراء: ٢٣] إلى آخرِ الآياتِ[(١)] .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : [(٢)] ثنا معاويةُ بنُ صالحٍ [(٢)] ، عن عليِّ ابنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ : المحكماتُ : ناسخُه ، وحلالُه ، وحرامُه ، وحُدُودُه ، وفرائضُه ، وما يُؤْمَنُ به ويُعْمَلُ به . قال : ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ : والمتشابهاتُ : منسوخُه ، ومُقدَّمُه ، ومُؤخَّرُه ، وأمثالُه ، وأقسامُه ، وما يُؤْمَنُ به ولا يُعْمَلُ به[(٣)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾

---

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « الآية » .

والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٩٢ (٣١٦٩) من طريق هشيم به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢ - ٢) سقط من : ت ١ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٩٢ ، ٥٩٣ (٣١٦٧ ، ٣١٧٤) من طريق أبي صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤ إلى ابن المنذر .

إلى ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ﴾ : فالمُحْكَماتُ التى هى أُمُّ الكتابِ : الناسخُ الذى يُدانُ به ويُعْمَلُ به ، والمتشابهاتُ : هنّ المنسوخاتُ التى لا يُدانُ بهنّ[(١)] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى خبرٍ ذكَره عن أبى مالكٍ ، وعن أبى صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبىِّ ﷺ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ إلى قولِه : ﴿كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ﴾ : أما الآياتُ المُحْكَماتُ ، فهنّ الناسخاتُ التى يُعْمَلُ بهنّ ، وأما المتشابهاتُ ، فهنّ المنسوخاتُ[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ : والمُحْكَماتُ : الناسخُ الذى يُعْمَلُ به ما أحلَّ اللّهُ فيه حلالَه ، وحرَّم فيه حرامَه ، وأمَّا المتشابهاتُ : فالمنسوخُ الذى لا يُعْمَلُ به ويُؤْمَنُ به[(٢)] . ١٧٣/٣

/حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ﴾ قال : المُحْكَمُ : ما يُعْمَلُ به[(٣)] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤ إلى المصنف .

(٢) ينظر تفسير البغوى ٢/ ٣٣٥، والمحرر الوجيز ٢/ ٨، وتفسير القرطبى ٤/ ١٠.

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٥ .

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ قال : المحْكَماتُ : الناسخُ الذى يُعْمَلُ به ، والمتشابهاتُ : [١/٣٨٣ظ] المنسوخُ الذى لا يُعْمَلُ به ، ويُؤْمَنُ به[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، عن جُويبرٍ ، عن الضّحّاكِ فى قولِه : ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال : الناسخاتُ . ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ قال : ما نُسِخ وتُرِك يُتْلَى[(٢)] .

حدَّثنى ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سلَمةَ بنِ نُبَيْطٍ ، عن الضّحّاكِ بنِ مُزاحِمٍ ، قال : المحْكَمُ ما لم يُنْسَخْ ، وما تَشابهَ منه : ما نُسِخ[(٢)] .

حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جُويبرٌ ، عن الضّحّاكِ فى قولِه : ﴿ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال : الناسخُ ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ قال : المنسوخُ[(٢)(٣)] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمعْتُ أبا مُعاذٍ يحدِّثُ ، قال : أخبَرنا عُبيدُ بنُ سليمانَ[(٤)] ، قال : سمعْتُ الضّحّاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٢/٢ ، ٥٩٣ عقب الأثر (٣١٦٧ ، ٣١٧٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) تفسير سفيان الثورى ص ٧٥ عن سلمة بن نبيط أو جويبر به .

(٣) بعده فى م : « حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاق ، قال : ثنا ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع : ﴿هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات﴾ قال : المحكمات : الذى يعمل به » .

(٤) فى ت ٢ : « سلمان » .

يعنى الناسخَ الذى يُعْمَلُ به ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ﴾ يعنى المنسوخَ ، يُؤْمَنُ به ولا يُعْمَلُ به .

حدَّثنى أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن الضَّحّاكِ : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ قال : ما لم يُنْسَخْ ، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ ﴾ قال : ما قد نُسِخ .

وقال آخرون : المُحْكَماتُ من آيِ الكتابِ ما أَحكَم اللَّهُ فيه بيانَ حلالِه وحرامِه ، والمتشابِهُ منها ما أَشبَه بعضُه بعضًا فى المعانى ، وإن اختلَفتْ ألفاظُه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ ﴾ : ما فيه من الحلالِ والحرامِ ، وما سوى ذلك ، فهو متشابهٌ يُصَدِّقُ[(١)] بعضُه بعضًا ، وهو مثلُ قولِه : ﴿ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [البقرة : ٢٦] . ومثلُ قولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام : ١٢٥] . ومثلُ قولِه : ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[(٢)] [محمد : ١٧] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[(٣)] .

---

(١) فى ص : « يصرف » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٨ .

(٣) أخرجه عبد بن حميد فى تفسيره - كما فى تغليق التعليق ٤/ ١٩٠ - من طريق شبل به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤ إلى الفريابى .

وقال آخرون : المحكَمات من آيِ الكتابِ ما لم يَحْتَمِلْ من التأويلِ غيرَ وجهٍ واحدٍ ؛ والمتشابهُ منها : ما احتمَل من التأويلِ أوجهًا .

/ ذكرُ مَن قال ذلك

١٧٤/٣

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ ابنُ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ مِنْهُ ءَايَـٰتٌ مُّحْكَمَـٰتٌ ﴾ : فيهنَّ حُجَّةُ الرَّبِّ ، وعِصْمةُ العبادِ ، ودفعُ الخصومِ والباطلِ ، ليس لها تَصْريفٌ ولا تَحْريفٌ عما وُضِعتْ عليه ، ﴿ وَأُخَرُ مُتَشَـٰبِهَـٰتٌ ﴾[1] فى الصِّدْقِ ، لهنَّ تصريفٌ وتحريفٌ وتأويلٌ ، ابتَلَى اللَّهُ فيهنَّ العبادَ ، كما ابتلاهم فى الحلالِ والحرامِ ، لا يُصرَّفْنَ إلى الباطلِ ولا يُحرَّفْنَ عن الحقِّ[2] .

وقال آخرون : معنى المُحْكَمِ ما أَحْكَم اللَّهُ فيه مِن آيِ القرآنِ ، وقَصَصِ الأممِ ورسلِهم الذين أُرْسِلُوا إليهم ، ففصَّله ببيانِ ذلك لمحمدٍ وأُمَّتِه . والمتشابهُ هو ما اشْتَبَهتِ الألفاظُ به من قِصَصِهم ، عندَ التكريرِ فى السورِ ، بقصِّه[3] باتفاقِ الألفاظِ واختلافِ المعانى ، وبقصِّه[4] باختلافِ الألفاظِ واتفاقِ المعانى .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ وقرَأ : ﴿ الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود : ١] قال : وذكَر حديثَ رسولِ

(١) فى م : « متشابهة » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٦/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٢/٢ ، ٥٩٤ (٣١٧١ ، ٣١٧٧ ، ٣١٧٨) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٣) فى م : « فقصة » .

(٤) فى م : « قصة » .

اللَّهِ ﷺ فى أربعٍ وعشرين آيةً منها ، وحديثَ نوحٍ فى أربع وعشرين آيةً منها ، ثم قال : ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾ [هود : ٤٩] ، ثم ذكَر : ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ ﴾ [هود : ٥٠] فقرَأ حتى بلَغ ﴿ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ﴾[1] ، ثم مضَى ، ثم ذكَر صالحًا وإبراهيمَ ولوطًا وشعيبًا ، وفرَغ من ذلك ، وهذا يقينٌ ، ذلك يقينُ ﴿ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ ﴾[2] .

قال : والمتشابهُ ذكرُ موسى فى أمكنةٍ كثيرةٍ ، وهو متشابهٌ ، وهو كلُّه معنًى واحدٌ ، [3]وهو مُتشابهٌ[3] : ﴿ فَٱسْلُكْ فِيهَا ﴾ [المؤمنون : ٢٧] ، ﴿ ٱحْمِلْ فِيهَا ﴾ [هود : ٤٠] ، ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ ﴾ [القصص : ٣٢] ، ﴿ وَأَدْخِلْ يَدَكَ ﴾ [النمل : ١٢] ، ﴿ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾ [طه : ٢٠] ، ﴿ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [الشعراء : ٣٢] .

قال : ثم ذكَر هُودًا فى عشْرِ آياتٍ منها ، وصالحًا فى ثمانى آياتٍ منها ، وإبراهيمَ فى ثمانى آياتٍ أُخرَى ، ولوطًا فى ثمانى آياتٍ منها ، وشعيبًا فى ثلاثَ عشْرةَ آيةً ، وموسى فى أربعِ آياتٍ ، كلُّ هذا يَقْضِى بين الأنبياءِ وبين قومِهم فى هذه السورةِ ، فانتهى ذلك إلى مائةِ آيةٍ من سورةِ هودٍ ، ثم قال : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴾ [هود : ١٠٠] . وقال فى المتشابهِ من القرآنِ : مَن يُرِدِ اللَّهُ به البلاءَ والضّلالةَ يقولُ : ما شأنُ هذا [4]لا يكونُ هكذا[4] ؟ وما شأنُ هذا لا يكونُ هكذا[5] ؟

---

(١) فى النسخ : « واستغفروا ربكم » . وأثبتناه بدون الواو لما ذكر بعده قال : « ثم مضى ثم ذكر صالحا وإبراهيم ولوطا وشعيبا » . فبيّن أنه أراد التى من قول هود : « يا قوم استغفروا ربكم » ، لا التى من قول شعيب : « واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه » .

(٢) اليقين : تحقيق الأمر . ويقينُ ﴿ أحكمت ... ﴾ : تحقيقها . ينظر اللسان (ي ق ن) .

(٣ - ٣) فى م : « ومتشابهه » .

(٤ - ٤) سقط من : ت ٢ .

(٥) فى ت ٢ : « هذا » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ١٩٩٥/٦ من طريق أصبغ بن الفرج ، عن عبد الرحمن بن زيد به .

وقال آخرون : بل المُحْكَمُ من آيِ القرآنِ ما عرَف العلماءُ تأويلَه ، وفَهِمُوا معناه وتفسيرَه . والمتشابِهُ ما لم يكنْ لأحدٍ إلى علمِه سبيلٌ مما اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بعلمِه دونَ خلقِه ، وذلك نحوُ الخبرِ عن وقتِ[1] مَخْرَجِ عيسى ابنِ مريمَ ، ووقتِ طلوعِ الشمسِ من مغرِبِها ، وقيامِ الساعةِ ، وفناءِ الدنيا ، وما أشبهَ ذلك ، فإن ذلك لا يَعْلَمُه أحدٌ . وقالوا : إنما سَمَّى اللَّهُ مِن آيِ الكتابِ المتشابهَ الحروفَ المقطَّعةَ التى فى أوائلِ بعضِ سورِ القرآنِ ، من نحوِ ﴿ الٓمٓ ﴾ ، و ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ [الأعراف : ١] ، و ﴿ الٓمٓر ﴾ [الرعد : ١] و ﴿ الٓر ﴾ وما أَشْبهَ ذلك ؛ لأنهنَّ متشابهاتٌ فى الألفاظِ ، وموافِقاتٌ حروفَ حسابِ الجُمَّلِ[2] ، وكان قومٌ من اليهودِ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ طمِعوا أن يُدْرِكُوا مِن قِبَلِها معرفةَ مدةِ الإسلامِ وأهلِه ، ويَعْلَمُوا نهايةَ أُكْلِ[3] محمدٍ وأُمَّتِه ، فأَكذبَ اللَّهُ أُحْدوثتَهم بذلك ، وأعلَمَهم أن ما ابْتَغَوْا علمَه من [١/٣٨٤و] ذلك من قِبَلِ هذه الحروفِ المتشابهةِ لا يُدْرِكُونه ، ولا مِن قِبَلِ غيرِها ، وأن ذلك لا يَعلمُه/ إلا اللَّهُ . وهذا قولٌ ذُكِر عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ رِئابٍ[4] أن هذه الآيةَ نزَلتْ فيه ، وقد ذكَرْنا الروايةَ بذلك عنه وعن غيرِه ممن قال نحوَ مقالتِه فى تأويلِ ذلك فى تفسيرِ قولِه : ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ ﴾ [البقرة : ١، ٢] . ١٧٥/٣

وهذا القولُ الذى ذكَرْناه عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ أشبهُ بتأويلِ الآيةِ ، وذلك أنَّ جميعَ ما أَنزلَ اللَّهُ عزَّ وجل مِن آيِ القرآنِ على رسولِه ﷺ فإنَّما أنزَله عليه بيانًا له ولأمتِه ، وهدًى للعالمين ، وغيرُ جائزٍ أن يكونَ فيه مالا حاجةَ بهم إليه ، ولا أن يكونَ

---

(١) سقط من : ت ٢.

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢١٠ .

(٣) فى م : « أجل » . والأُكُلُ : الرزق ، والحظُّ من الدنيا . ويقال : انقطع أُكْلُه : إذا مات . ينظر أساس البلاغة ، واللسان (أ ك ل) .

(٤) فى م : « رباب » . وينظر أسد الغابة ١/ ٣٠٦، ٣٠٧، والإصابة ١/ ٤٣٣.

فيه ما بهم إليه الحاجةُ ، ثم لا يكونَ لهم إلى علمِ تأويلِه سبيلٌ .

فإذ[(١)] كان ذلك كذلك ، فكلُّ ما فيه لخلقِه[(٢)] إليه الحاجةُ ، وإن كان في بعضِه ما بهم عن بعضِ معانيه الغِنَى ، وإن اضطَرَّته الحاجةُ إليه في معانٍ كثيرةٍ ، وذلك كقولِ اللَّهِ عز وجل : ﴿ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ﴾ [الأنعام : ١٥٨] . فأَعلمَ النبيُّ ﷺ أُمَّتَه أن تلك الآيةَ التي أخبرَ اللَّهُ جل ثناؤُه عبادَه أنها إذا جاءتْ لم يَنْفَعْ نفسًا إيمانُها لم تكنْ آمنتْ من قبلِ ذلك ، هي طلوعُ الشمسِ من مغربِها ، فإنَّ الذي كانت بالعبادِ إليه الحاجةُ من علمِ ذلك هو العلمُ منهم بوقتِ نفعِ التوبةِ بصفتِه ، بغيرِ تحديدِه [(٣)] بعَدِّ السنينَ[(٣)] والشهورِ والأيامِ ، فقد بيَّنَ اللَّهُ ذلكَ لهم بدَلالةِ الكتابِ ، وأوضَحه لهم على لسانِ رسولِه ﷺ مفسَّرًا ، والذي لا حاجةَ بهم إلى علمِه منه هو العلمُ بمقدارِ المدةِ التي بين وقتِ نزولِ هذه الآيةِ ، ووقتِ حدوثِ تلك الآيةِ ، فإن ذلك مما لا حاجةَ بهم إلى علمِه في دينٍ ولا دنيا ، وذلك هو العلمُ الذي استأثَر اللَّهُ جل ثناؤُه به دونَ خلقِه ، فحجَبه عنهم ، وذلك وما أَشبهَه هو المعنى الذي طلَبتِ اليهودُ معرفتَه في مدةِ محمدٍ ﷺ وأُمَّتِه من قِبَلِ قولِه : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، و﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ، و﴿ الٓر ﴾ ، و﴿ الٓمٓر ﴾ ، ونحوِ ذلك من الحروفِ المقطَّعةِ المتشابهاتِ ، التي أخبَر اللَّهُ ، جلّ ثناؤُه ، أنهم لا يُدْرِكون تأويلَ ذلك من قِبَلِه ، وأنه لا يَعلَمُ تأويلَه إلا اللَّهُ .

فإذ كان المتشابِهُ هو ما وصفْنا ، فكلُّ ما عدَاه فمُحْكَمٌ ؛ لأنه لن يخلُوَ من أن

---

(١) في م : « فإذا » .

(٢) في ص : « محلقه » . بغير نقط .

(٣ - ٣) في م : « بعد بالسنين » .

يكونَ مُحْكَمًا ، بأنه بمعنًى واحدٍ ، لا تأويلَ له غيرُ تأويلٍ واحدٍ ، وقد استُغْنِيَ بسماعِه عن بيانٍ مُبَيِّنِه ، (١) أو يكونَ مُحْكَمًا (١) ، وإن كان ذا وجوهٍ وتأويلاتٍ وتَصَرُّفٍ في معانٍ كثيرةٍ ، بالدَّلالةِ (٢) على المعنى المرادِ منه ، إما من بيانِ اللَّهِ تعالى ذكرُه عنه ، أو بيانِ رسولِه ﷺ لأُمَّتِه ، ولن يذهَبَ علمُ ذلك عن علماءِ الأُمَّةِ ؛ لما قد بَيَّنّا .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ .

قد أتيْنا على البيانِ عن تأويلِ ذلك ، بالدَّلالةِ الشاهدةِ على صحةِ ما قلْنا فيه ، ونحن ذاكرُو اختلافِ أهلِ التأويلِ فيه ، وذلك أنهم اختلَفوا في تأويلِه ؛ فقال بعضُهم : معنى قولِه : ﴿ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ : هنّ الآىُ (٣) فيهنَّ الفرائضُ والحدودُ والأحكامُ . نحوَ قولِنا الذي قلْنا فيه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا عِمْرانُ بنُ موسى القزَّازُ ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سُوَيدٍ ، عن يحيى بنِ يَعْمَرَ أنه قال في هذه الآيةِ : ﴿ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ قال يحيى : هنَّ اللاتي فيهنَّ الفرائضُ والحدودُ وعمادُ الدينِ . وضرَب لذلك مَثَلًا ، فقال : أُمُّ القُرَى مَكَّةُ ، و أُمُّ خُراسانَ مَرْوُ ، و أُمُّ المسافِرين الذي يَجْعَلُون إليه أمرَهم ، ويُعْنَى بهم في سفرِهم . قال : فذاك أُمُّهم (٤) .

/ حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ هُنَّ أُمُّ ١٧٦/٣

(١ - ١) سقط من : ت ٢.

(٢) في م : « فالدلالة » .

(٣) في م : « اللائي » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٩٣ (٣١٧٢) من طريق إسحاق بن سويد ، به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤ إلى عبد بن حميد وابن الضريس .

﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال : هنَّ جِماعُ الكتابِ[(١)] .

وقال آخرون : بل يعنى[(٢)] بذلك فواتحَ السورِ التى منها يُسْتَخْرَجُ القرآنُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا عِمْرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ سُويدٍ ، عن أبى فاخِتةَ أنه قال فى هذه الآيةِ : ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال : أمُّ الكتابِ فواتحُ السورِ ، منها يُسْتَخْرَجُ القرآنُ ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ منها اسْتُخْرِجَتِ « البقرةُ » ، و ﴿الٓمٓ ۝١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ منها اسْتُخْرِجَتْ « آلُ عِمْرانَ » .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه : فأمّا الذين فى قلوبِهم مَيْلٌ عن الحقِّ وانحرافٌ عنه ، يقالُ منه : زاغَ فلانٌ عن الحقِّ ، فهو يَزِيغُ عنه زَيْغًا وَزَيَغانًا وزَيْغُوغةً وزُيُوغًا ، وأزاغَه اللَّهُ ، إذا أماله ، فهو يُزِيغُه . ومنه قولُه جل ثناؤُه : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ . لا تُمِلْها عن الحقِّ ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : ثنى ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٣٦.

(٢) فى م : « معنى » . وفى ت ٢ : « المعنى » .

ابنِ الزُّبيرِ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ أى : مَيْلٌ عن الهُدَى[١] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ : ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قال : شَكٌّ[٢] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا أبو [١/٣٨٤ظ] حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[٣] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليٍّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قال : مِن أهلِ الشَّكِّ[٤] .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ في خبرٍ ذكَره عن أبي مالكٍ ، وعن أبي صالحٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، وعن مُرَّةَ الهَمْدانيِّ ، عن ابنِ مسعودٍ ، وعن ناسٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ : أما الزَّيْغُ فالشَّكُّ[٥] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن

(١) سيرة ابن هشام ١/٥٧٧ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٩٥ (٣١٨٣) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٨.

(٣) أخرجه عبد بن حميد - كما في تغليق التعليق ٤/١٩٠ - من طريق شبل به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٩٥ (٣١٨١) من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٥ إلى ابن المنذر .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٥ إلى المصنف .

مجاهدٍ ، قال : ﴿ زَيْغٌ ﴾ : شَكٌّ . قال ابنُ جُريجٍ : ﴿ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ : المنافقون[1] .

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤه : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ : ما تشابَهتْ ألفاظُه وتَصرَّفَتْ معانيه بوجوهِ التأويلاتِ ؛ ليُحَقِّقُوا بادِّعائِهم الأباطيلَ من التأويلاتِ فى ذلك ما هم عليه من الضَّلالةِ والزَّيْغِ عن مَحَجّةِ[2] الحقِّ ، تلبيسًا منهم بذلك على مَن ضَعُفَتْ معرفتُه بوجوهِ تأويلِ ذلك وتصاريفِ معانيه .

١٧٧/٣ / كما حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ : فيَحمِلُون المُحْكَمَ على المتشابِهِ ، والمتشابِهَ على المُحْكَمِ ، ويُلَبِّسُون ، فلبَّس اللَّهُ عليهم[3] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ أى : ما تَحرَّفَ منه وتَصرَّفَ ؛ ليُصَدِّقُوا به ما ابتدَعُوا وأَحدَثُوا ، ليكونَ لهم حُجّةً على ما قالوا وشُبْهةً[4] .

---

(١) تقدم قول مجاهد فى الصفحة السابقة ، وقول ابن جريج عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ إلى المصنف .

(٢) فى ت ٢: « الحجة » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٥) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٨٨) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ قال : البابُ الذى ضَلُّوا منه وهلَكُوا فيه ابتغاءُ تأويلِه[(١)] .

وقال آخرون فى ذلك بما **حدَّثنى** به موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ فى قولِه : ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ : يَتَّبِعُون المنسوخَ والناسخَ ، فيقولون : مابالُ هذه الآيةِ عُمِل بها كذا وكذا مكانَ[(٢)] هذه الآيةِ ، فتُرِكَتِ الأولى وعُمِل بهذه الأُخرَى ! هلّا كان العملُ بهذه الآيةِ قبلَ أن تَجِيءَ الأولى التى نُسِخَتْ ؟ وما بالُه يَعِدُ العذابَ مَن عمِل عملًا يُعَذِّبُه[(٣)] النارَ ، [(٤)]وفى[(٤)] مكانٍ آخرَ مَن عَمِله فإنه لم يُوجِبْ له[(٥)] النارَ ؟[(٦)]

واختلَف أهلُ التأويلِ فى مَن عُنِى بهذه الآيةِ ؛ **فقال بعضُهم** : عُنِى به الوفدُ مِن نَصارَى نَجْرانَ الذين قَدِمُوا على رسولِ اللَّهِ ﷺ فحاجُّوه بما حاجُّوه به وخاصَموه ، بأن قالوا : ألستَ تزعُمُ أنَّ عيسى رُوحُ اللَّهِ وكلمتُه ؟ وتأوَّلُوا[(٧)] فى ذلك ما يقولون فيه من الكفرِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ،

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « مجاز » . وصواب قراءة ما فى « ص » هو ما أثبتنا .

(٣) فى م : « يَعِدُ به » .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فى » .

(٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٩٥ ، ٥٩٦ (٣١٨٦) من طريق عمرو بن حماد .

(٧) فى ت ٢ : « قالوا » .

قال : عمَدوا - يعنى الوفدَ الذين قدِموا على رسولِ اللَّهِ ﷺ من نَصارَى نَجْرانَ - فخاصَمُوا النبيَّ ﷺ ، فقالوا : ألستَ تزعُمُ أنه كلمةُ اللَّهِ ورُوحٌ منه ؟ قال : « بلى » . قالوا : فحَسْبُنا . فأنزلَ اللَّهُ عز وجل : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ ﴾ . ثم إنَّ اللَّهَ جل ثناؤه أنزَل : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ [آل عمران : ٥٩] الآية[1] .

وقال آخرون : بل أُنزِلتْ هذه الآيةُ فى أبى ياسرِ بنِ أَخْطَبَ ، وأخيه حُيَيِّ بنِ أَخْطَبَ ، والنَّفَرِ الذين ناظَروا رسولَ اللَّهِ ﷺ فى قَدْرِ مدةِ [2]أُكْلِه وأُكْلِ[2] أُمَّتِه ، وأرادُوا عِلْمَ ذلك مِن قِبَلِ قولِه : ﴿ الٓمٓ ﴾ ، و﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ، و﴿ الٓمٓر ﴾ ، و﴿ الٓر ﴾ ، فقال اللَّهُ جل ثناؤه فيهم : ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ : يعنى هؤلاء اليهودَ الذين قلوبُهم مائلةٌ عن الهُدَى والحقِّ ، ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ﴾ : يعنى معانىَ هذه الحروفِ المقطَّعةِ ، المحتمِلةِ التَّصْريفَ فى[3] الوجوهِ المختلِفةِ[4] التأويلاتِ ؛ ابتغاءَ الفتنةِ .

وقد ذكَرْنا الروايةَ بذلك فيما مضَى قبلُ فى أولِ السورةِ التى يُذْكَرُ فيها البقرةُ .

وقال آخرون : بل عنَى اللَّهُ عز وجل بذلك كلَّ مبتدِعٍ فى دينِه بدعةً مخالِفةً لما ابتُعِث به رسولُه محمدٌ ﷺ ، بتأويلٍ[5] يتأوَّلُه مِن[6] بعضِ آيِ القرآنِ المحتمِلةِ التأويلاتِ ، وإن كان اللَّهُ قد أَحْكَمَ بيانَ ذلك ، إمّا فى كتابِه ، وإما على لسانِ رسولِه .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٨٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢ - ٢) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « أجله وأجل » . وتقدم فى ص ١٩٩ .

(٣) سقط من : ت ٢ .

(٤) فى ت ٢ : « المحتملة » .

(٥) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « تأويل » .

(٦) فى ت ٢ : « فى » .

/ ذكرُ مَن قال ذلك

١٧٨/٣

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ . وكان قتادةُ إذا قرَأ هذه الآيةَ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ ﴾ قال : إن لم يكونوا الحَرُوريَّةَ[1] والسبائيَّةَ[2] ، فلا أَدْرِى مَن هم ؟ ولَعَمْرِى لقد كان فى أهلِ بدرٍ والحُدَيْبِيَةِ الذين شَهِدوا معَ رسولِ اللَّهِ ﷺ بيعةَ الرِّضْوانِ مِن المهاجِرين والأنصارِ ، خبرٌ لمن استَخْبَر ، وعِبرةٌ لمن استعْبَرَ ، لمن كان يَعْقِلُ أو يُبْصِرُ . إن الخوارجَ خرَجوا وأصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ يومئذٍ كثيرٌ بالمدينةِ والشامِ والعراقِ ، وأزواجُه [١/٣٨٥و] يومئذٍ أحياءٌ ، واللَّهِ إنْ خرَج منهم ذكَرٌ ولا أُنْثَى حَرُوريًّا قطُّ ، ولا رَضُوا الذى هم عليه ، ولا مالئُوهم فيه ، بل كانوا يُحَدِّثون بعيبِ رسولِ اللَّهِ ﷺ إيّاهم[3] ، ونعتِه الذى نعَتَهم به ، وكانوا يُبْغِضُونهم بقلوبِهم ، ويُعادُونهم بألسنتِهم وتَشْتَدُّ واللَّهِ عليهم أيديهم إذا لَقُوهم ، ولَعَمْرِى ، لو كان أمرُ الخوارجِ هُدًى لاجْتَمَع ، ولكنّه كان ضلالًا فتفرَّق ، وكذلك الأمرُ إذا كان مِن عندِ غيرِ اللَّهِ وجَدْتَ فيه اختلافًا كثيرًا ، فقد ألاصُوا[4] هذا الأمرَ منذ

---

(١) الحرورية : هم فرقة الخوارج ، وسمُّوا بهذا الاسم لأنهم بعد خروجهم على عليٍّ رضى اللَّه عنه ورفضهم التحكيم ، نزلوا بموضع قرب الكوفة يقال له : حروراء . ينظر مقالات الإسلاميين ١/ ٢٠٧، ومعجم البلدان ٢/ ٣٣٦.

(٢) فى م : « السبئية » .

والسبائية : إحدى فرق الشيعة الغالية ، وهى تنسب إلى عبد اللَّه بن سبأ ، قبحه اللَّه ، ومن جهالاتهم زعمهم أن عليا لم يمت ، وأنه يرجع إلى الدنيا قبل يوم القيامة فيملأُ الأرض عدلًا كما ملئت جورًا ، وأن عليًّا فى السحاب ، والرعد صوته ، والبرق سوطه ... إلى غير ذلك من ترهاتهم . ينظر مقالات الإسلاميين ١/ ٨٦، والملل والنحل ١/٣٦٥ وما بعدها .

(٣) فى م : « إياه » .

(٤) ألاص الأمر : أداره ، وألاص فلانًا على الأمر : أداره عليه وأراده منه ، ويقال : ألصتُ أن آخذ عنه شيئًا : أردت . التاج (ل و ص) .

زمانٍ طويلٍ ، فهل أَفْلَحُوا فيه يومًا أو أَنْجَحُوا ؟ ياسبحانَ اللَّهِ ! كيف لا يَعْتَبِرُ آخِرُ هؤلاء القومِ بأوَّلِهم ! لو[(١)] كانوا على هُدًى قد أَظهَـره اللَّهُ وأَفلَجه[(٢)] ونَصَره ، ولكنَّهم كانوا على باطلٍ أَكذبَه اللَّهُ وأَدحضَه ، فهم كما رأيتَهم ، كلَّما خرَج لهم قَرْنٌ أَدحضَ اللَّهُ حُجَّتَهم ، وأَكذبَ أُحْدُوثتَهم ، وأَهراقَ دماءَهم ، وإن كَتَمُوا كان قَرْحًا فى قلوبِهم ، وغَمًّا عليهم ، وإن أَظهَرُوه ، أَهراقَ اللَّهُ دماءَهم ، ذاكم ، واللَّهِ ، دِينُ سوءٍ فاجتَنِبُوه ، واللَّهِ إن اليهوديةَ[(٣)] لبِدْعةٌ ، وإن النصرانيةَ لبدعةٌ ، وإن الحَرُوريَّةَ لبدعةٌ ، وإن السبائيَّةَ[(٤)] لبدعةٌ ، مانزَل بهنّ كتابٌ ، ولاسَنَّهنّ نبيٌّ[(٥)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَـٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ : طلَبَ القومُ التأويلَ فأَخطَئُوا التأويلَ ، وأصابُوا الفتنةَ ، فاتَّبعوا ما تشابَه منه ، فهلكوا مِن ذلك ، لَعَمْرِى لقد كان فى أصحابِ بدرٍ والحديبيةِ الذين شهدوا بيعةَ الرِّضْوانِ . وذكَر نحوَ حديثِ عبدِ الرزاقِ ، عن مَعْمَرٍ ، عنه .

حدَّثنى محمدُ بنُ خالدِ بنِ خِدَاشٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا إسماعيلُ ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أيوبَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى مُلَيْكةَ ، عن عائشةَ قالت : قرَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴾ . فقال : « فإذا رأَيْتُم الذين يُجادِلون فيه ، فهمُ الذين عَنَى اللَّهُ

---

(١) فى ت ٢: « ولو » .

(٢) فى النسخ : « أفلحه » . وأفلجه : أظفَره وغلَّبه وفضَّله ، وأفلج اللَّه برهانه : قوّمه وأظهره . التاج (ف ل ج) .

(٣) فى م : « اليهود » .

(٤) فى س : « الصابئة » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٥، ١١٦.

فاحذَرُوهم »[1] .

حدَّثنا ابنُ[2] عبدِ الأعلى ، قال : ثنا المُعْتَمِرُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ أيوبَ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن عائشةَ ، أنها قالت : قرأ نبيُّ اللَّهِ ﷺ هذه الآيةَ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ إلى : ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ . قالت : فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فإذا رأَيتم الذين / يُجادِلُون فيه - أو قال : يَتَجادَلُون فيه - فهم الذين عَنَى اللَّهُ فاحذَرُوهُمْ » . قال مَطَرٌ ، عن أيوبَ أنه قال : « فلا تُجالِسُوهم ، فهم الذين عَنَى اللَّهُ فاحذَرُوهم »[3] . ١٧٩/٣

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الوهابِ ، قال : ثنا أيوبُ ، عن ابنِ أبى مُلَيكةَ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ بنحوِ معناه[4] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن أيوبَ ، عن ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ نحوَه[5] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرنا الحارثُ ، عن أيوبَ ، عن ابنِ أبى مُلَيكةَ ، عن عائشةَ زوجِ النبيِّ ﷺ ، قالت : قرَأَ رسولُ اللَّهِ ﷺ هذه الآيةَ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ الآيةَ كلها . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذا رأَيْتُمُ الذين يَتَّبِعُون ما تَشابَهَ منه والذِين يُجادِلُون فيه ، فهم الذِين عَنَى اللَّهُ ، أولئك الذِين قال اللَّهُ ، فلا

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٧) عن محمد بن خداش به . وأخرجه أحمد ٤٨/٦ (الميمنية) عن إسماعيل ابن علية به .
(٢) سقط من : ت ٢.
(٣) أخرجه ابن حبان (٧٦) من طريق المعتمر به .
(٤) أخرجه ابن ماجه (٤٧) والآجرى فى الشريعة (٧٦٩) ومحمد بن يحيى العبدى - كما فى تفسير ابن كثير ٦/٢ - من طريق عبد الوهاب به .
(٥) سقط من : ت ٢. والأثر فى تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٦.

تُجالِسُوهم »[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبو أُسامةَ ، عن يزيدَ بنِ إبراهيمَ ، عن ابنِ أبى مُلَيكةَ ، قال : سمعتُ القاسمَ بنَ محمدٍ يُحَدِّثُ عن عائشةَ ، قالت : تلا النبيُّ ﷺ هذه الآيةَ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . ثم قرَأ إلى آخرِ الآياتِ ، فقال : « إذا رأيتُم الذين يَتَّبِعُون ما تَشابَهَ مِنه ، فأولئك الذين سَمَّى اللَّهُ ، فاحْذَرُوهم »[(٢)] .

حدَّثنا علىُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، عن حَمَّادِ بنِ سلَمةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ القاسمِ ، عن أبيه ، عن عائشةَ ، قالت : نزَع[(٣)] رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد حذَّرَكم اللَّهُ ، فإذا رأيتُموهم فاعْرِفوهم »[(٤)] .

حدَّثنا علىٌّ ، قال : ثنا الوليدُ ، عن نافعِ بنِ[(٥)] عمرَ ، عن[(٦)] ابنِ أبى مُلَيْكَةَ ، قال : حدَّثتنى[(٦)] عائشةُ ، قالت : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إذَا رأيْتُمُوهُمْ فاحْذَرُوهُمْ » . ثم

---

(١) أخرجه الهروى فى ذم الكلام (١/ل ٣٦/ ب - ٣٧/أ) من طريق الحارث بن نبهان به .

(٢) أخرجه الطيالسى (١٥٣٦) وأحمد ٢٥٦/٦ (الميمنية) ، والدارمى ٥٤/١ ، ٥٥ ، والبخارى (٤٥٤٧) ، ومسلم (٢٦٦٥) ، وأبو داود (٤٥٩٨) ، والترمذى (٢٩٩٣ ، ٢٩٩٤) ، والطحاوى فى المشكل (٢٥١٧) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٤) ، وابن حبان (٧٣) من طريق يزيد بن إبراهيم به .

(٣) انتزع بالآية والشعر : تمثل . ويقال للرجل إذا استنبط معنى آية : قد انتزع معنى جيدًا . وهو مجاز . التاج (ن ز ع) .

(٤) أخرجه الآجرى فى الشريعة (٧٧١) من طريق على بن سهل به .

وأخرجه الطبرانى فى الأوسط (٦٣٠٤) من طريق الوليد بن مسلم به .

(٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٣ ، س : « عن » . وفى ت ٢ : « عن ابن » . والمثبت من شرح المشكل ، وينظر تهذيب الكمال ٢٨٧/٢٩ .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من شرح المشكل .

نزَغ : « ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ﴾، ولا يَعْمَلون بمُحْكَمِه »[(١)] .

حدَّثني أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وهبٍ ، قال : أخبَرنا عمِّى ، قال : أخبَرنى شَبيبُ بنُ سعيدٍ ، عن رَوْحِ بنِ القاسمِ ، عن ابنِ أبى مُلَيكةَ ، عن عائشةَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِل عن هذه الآيةِ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ . فقال[(٢)] : « فإذا رأيتُمُ الذِين يُجادِلُون فيه ، فهم الذين عَنَى اللَّهُ ، فاحْذَرُوهم »[(٣)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحَكَمِ ، قال : ثنا خالدُ بنُ[(٤)] نِزارٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ أبى مُلَيكةَ ، عن عائشةَ فى هذه الآيةِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ الآيةَ يَتَّبِعُها يَتْلُوها ، ثم يقولُ : « فإذا رأيتمُ الذِين يُجادِلُون فيه فاحْذَرُوهم ، فهم الذين [١/٣٨٥ظ] عَنَى اللَّهُ » .

/حدَّثنا ابنُ[(٤)] وكيعٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، عن حمّادِ بنِ سلَمةَ ، عن ابنِ أبى مُلَيكةَ ، عن القاسمِ ، عن عائشةَ ، عن النبيِّ ﷺ فى هذه الآيةِ : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال : « هم الذين سمّاهمُ اللَّهُ ، فإذا رأيتُموهم فاحْذَرُوهم »[(٥)] . ١٨٠/٣

قال أبو جعفرٍ : والذى يَدُلُّ عليه ظاهرُ هذه الآيةِ أنَّها نزَلتْ فى الذين

---

(١) أخرجه الطحاوى فى شرح مشكل الآثار (٢٥١٥) من طريق الوليد بن مسلم به .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ .

(٣) ينظر تفسير ابن كثير ٦/٢ .

(٤) سقط من : ت ٢ .

(٥) أخرجه الطيالسى (١٥٣٥) ، وأحمد ١٢٤/٦ ، ١٣٢ (الميمنية) ، والدارمى ٥٥/١ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٥/٢ (٣١٨٤) ، والآجرى فى الشريعة (٧٧٠) ، وأبو نعيم فى الحلية ١٨٥/٢ من طرق عن حماد به .

جادَلُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ بمتشابِهِ ما أُنزِلَ إليه من كتابِ اللَّهِ ؛ إمّا فى أمرِ عيسى ، وإمّا فى مُدَّةِ (١)أُكْلِه وأُكْلِ(١) أُمَّتِه ، وهو بأن يكونَ فى الذين جادَلُوا رسولَ اللَّهِ ﷺ بمتشابِهِه(٢) فى مدتِه ومدةِ أمتِه أَشبَهُ ؛ لأنّ قولَه : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ . دالٌّ على أن ذلك إخبارٌ عن المدةِ التى أرادُوا عِلْمَها مِن قِبَلِ المتشابِهِ الذى لا يَعْلَمُه إلا اللَّهُ ، فأمّا أمرُ عيسى وأسبابُه(٣) ، فقد أَعلَمَ اللَّهُ ذلك نبيَّه محمدًا ﷺ وأُمَّتَه ، وبيَّنَه لهم ، فمعلومٌ أنه لم يَعْنِ(٤) إلا ما كان(٥) خفيًّا عن الآحادِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : معنى ذلك : ابتغاءَ الشِّرْكِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حَمّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ قال : إرادةَ الشِّرْكِ(٦) .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ فى قولِه : ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ : يعنى الشِّرْكَ(٧) .

(١ - ١) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أجله وأجل » .

(٢) فى ت ٢ . « فى متشابهه » .

(٣) فى ت ٢ : « أشباهه » .

(٤) فى ص ، ت ٢ : « يعره » .

(٥) بعده فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « عليه » . ولعل صوابها : « علمه » .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٦/٢ (٣١٩١) من طريق عمرو بن حماد به .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٦/٢ عقب الأثر (٣١٩١) من طريق ابن أبى جعفر به .

وقال آخرون : معنى ذلك : ابتغاءَ الشُّبُهاتِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو[(١)] عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ قال : الشُّبُهاتِ ، بها أُهْلِكوا[(٢)] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ : الشُّبُهاتِ . قال : هلكوا به .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ قال : الشُّبُهاتِ . قال : والشُّبُهاتُ ما أُهْلِكُوا به .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ أي : اللَّبْسِ[(٣)] .

وأَوْلَى القولَيْنِ في ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : معناه : إرادةَ الشُّبُهاتِ واللَّبْسِ .

فمعنى الكلامِ إذنْ : فأمّا الذين في قلوبِهم مَيْلٌ عن الحقِّ وحَيْفٌ عنه ، فيتَّبِعُون مِن آيِ الكتابِ ما تشابَهَتْ / ألفاظُه ، واحْتُمِل صَرْفُه في وجوهِ التأويلاتِ ، باحتمالِه المعانيَ المختلِفةَ ؛ إرادةَ اللَّبْسِ على نفسِه وعلى غيرِه ، احتجاجًا به على باطلِه الذي مال إليه قلبُه ، دونَ الحقِّ الذي أبانه اللَّهُ ، فأَوضَحه ١٨١/٣

(١) في ت ٢: « ابن » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٩، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٩٦ (٣١٩٠) .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٧.

وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٥٩٧ (٣١٩٢) من طريق سلمة به ، عن ابن إسحاق قوله .

بالمُحْكَماتِ من آيِ كتابِه .

وهذه الآيةُ وإن كانت نزَلتْ فى من ذكَرْنا أنّها نزَلتْ فيه مِن أهلِ الشِّرْكِ ، فإنه معنيٌّ بها كلُّ مُبتدِعٍ فى دينِ اللَّهِ بدعةً ، فمالَ قلبُه إليها ، تأويلًا منه لبعضِ متشابِهِ آيِ القرآنِ ، ثم حاجَّ به وجادَل به أهلَ الحقِّ ، وعدَلَ عن الواضحِ مِن أدلَّةِ آيِه المُحْكَماتِ ؛ إرادةً منه بذلك اللَّبْسَ على أهلِ الحقِّ مِن المؤمنين ، وطلبًا لعِلْمِ تأويلِ ما تشابَهَ عليه مِن ذلك ، كائنًا مَن كان ، وأيَّ أصنافِ البِدْعةِ[1] كان ؛ من أهلِ النصرانيةِ كانَ ، أو اليهوديّةِ ، أو المجوسيّةِ ، أو كان سَبَئيًّا ، أو حَرُوريًّا ، أو قَدَريًّا ، أو جَهْمِيًّا ، كالذى قال ﷺ : « فإذا رأيتُم الذين يُجادِلون به ، فهم الذين عَنَى اللَّهُ فاحْذَروهم » .

وكما حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا سفيانُ ، عن مَعْمَرٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، وذُكِر عندَه الخوارجُ وما يَلْقَون عندَ القرآنِ[2] ، فقال : يُؤْمِنون بمُحْكَمِه ، ويَهْلِكون عندَ متشابِهِه . وقرَأ ابنُ عباسٍ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ الآية[3] .

وإنما قلْنا القولَ الذى ذكَرْنا أنَّه أَوْلَى التأويلَين بقولِه : ﴿ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ ﴾ ؛ لأنَّ الذين نزَلتْ فيهم هذه الآيةُ كانوا أهلَ شِرْكٍ ، وإنما أرادُوا بطلبِ تأويلِ ما طلَبوا تأويلَه - اللَّبْسَ على المسلِمين ، والاحتجاجَ به عليهم ، ليَصُدُّوهم عمّا هم عليه من الحقِّ ، فلا معنى لأَنْ يُقالَ : فعَلوا ذلك إرادةَ الشِّرْكِ . وهم قد

(١) البِدْعَةُ ، فَعَلَةٌ : المبتدعة .

(٢) فى النسخ : « الفرار » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة ٣١٣/١٥ ، والآجرى فى الشريعة (٤٥) من طريق سفيان به .

كانوا مشركين .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى معنى « التأويلِ » الذى عنَى اللَّهُ جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معنى ذلك : الأَجَلُ الذى أرادت اليهودُ أن تَعْرِفَه مِن انقضاءِ مُدَّةِ أمرِ[1] محمدٍ ﷺ وأمرِ أُمّتِه من قِبَلِ الحروفِ المقطَّعةِ من حسابِ الجُمَّلِ كـ ﴿ الٓمٓ ﴾ ، و ﴿ الٓمٓصٓ ﴾ ، و ﴿ الٓر ﴾ ، و ﴿ الٓمٓر ﴾ ، وما أَشْبَهَ ذلك من الآجالِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : أمّا قولُه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ يعنى : تأويلَه يومَ القيامةِ ، إلا اللَّهُ[2] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : عواقبُ القرآنِ . وقالوا : إنما أرادُوا أن يَعْلَمُوا متى يَجِىءُ ناسخُ الأحكامِ التى كان اللَّهُ جل ثناؤُه شرَعها لأهلِ الإسلامِ قبلَ مجيئِه ، فنسَخ ما قد كان شرَعه قبلَ ذلك .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَٱبْتِغَآءَ

---

(١) سقط من : ت ٢.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٩٧ (٣١٩٧) من طريق عبد اللّه بن صالح به .

﴿تَأْوِيلِهِۦ﴾ : [٣٨٦/١و] أرادُوا[1] أن يَعْلَمُوا تأويلَ القرآنِ ، وهو عواقبُه ، قال اللَّهُ : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ . وتأويلُه : عواقبُه ؛ [2]متى يأتى[2] الناسخُ منه فيَنْسَخَ المنسوخَ[3] .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وابتغاءَ [4]تأويلِ ما تَشابَهَ[4] من آيِ القرآنِ يتأوَّلُونه ، إذ كان ذا وجوهٍ وتصاريفَ فى التأويلاتِ ، على ما فى قلوبِهم من الزَّيْغِ ، وما رَكِبوه من الضَّلالةِ .

/ذكرُ من قال ذلك

١٨٢/٣

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ : وذلك على مارَكِبوا من الضَّلالةِ فى قولِهم[5] : خلَقْنا وقَضَيْنا[6] .

والقولُ الذى قاله ابنُ عباسٍ ، من أن ابتغاءَ التأويلِ الذى طلَبه القومُ من المتشابِهِ هو معرفةُ انقضاءِ المدةِ ، ووقتِ قيامِ الساعةِ ، والذى ذكَرْنا عن السدىِّ مِن أنَّهم طلَبوا وأرادُوا معرفةَ وقتِ هوَ جاءٍ قبلَ مجيئِه ، أَوْلَى بالصوابِ ، وإن كان السدىُّ قد أَغفَل

(١) فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س : « وأن أرادوا » .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « حتى ينسخ » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٧/٢ ، ٥٩٨ (٣١٩٣ ، ٣٢٠٠) من طريق عمرو بن حماد به .

(٤ - ٤) فى ت ٢: « تأويله » .

(٥) فى م : « قوله » .

(٦) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٧/٢ (٣١٩٦) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله بمعناه .

معنى ذلك من وجهِ صرفَه إلى حَصْرِه على أنَّ معناه أنَّ القومَ طلَبوا معرفةَ وقتِ مجيءِ الناسخِ لما قد أُحكِمَ قبلَ ذلك .

وإنما قلْنا : إنَّ طلَبَ القومِ معرفةَ الوقتِ الذى هو جاءٍ قبلَ مجيئِه ، المحجوبِ عِلْمُه عنهم وعن غيرِهم بمتشابِهِ آيِ القرآنِ ، أَوْلَى بتأويلِ قولِه : ﴿ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ ؛ لما قد دلَّلْنا عليه قبلُ مِن إخبارِ اللَّهِ جل ثناؤُه أنَّ ذلك التأويلَ لا يَعلمُه إلا اللَّهُ ، ولا شكَّ أن معنى قولِه : وقَضَيْنا وفَعَلْنا . قد عَلِم تأويلَه كثيرٌ من جَهَلةِ أهلِ الشركِ ، فضلًا عن أهلِ الإيمانِ وأهلِ الرُّسوخِ فى العلمِ منهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بذلك : وما يَعلَمُ وقتَ قيامِ الساعةِ ، وانقضاءِ مدةِ أُكْلِ محمدٍ وأُمَّتِه ، وما هو كائنٌ ، إلا اللَّهُ ، دون مَن سواه مِن البشرِ ، الذين أمَّلُوا إدراكَ علمِ ذلك من قِبَلِ الحسابِ والتنجيمِ والكَهانةِ ، وأمّا الرّاسخون فى العلمِ فيقولون : آمنّا به كلٌّ مِن عندِ ربِّنا . لا يَعْلَمون ذلك ، ولكنَّ فضلَ علمِهم فى ذلك على[1] غيرِهم ، العلمُ[2] بأنَّ اللَّهَ هو العالمُ بذلك ، دون مَن سواه مِن خلقِه .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ، وهل « الرّاسخون » معطوفون[3] على اسمِ « اللَّهِ » ، بمعنى إيجابِ العلمِ لهم بتأويلِ المتشابِهِ ، أم هم مُستأنَفٌ ذِكْرُهم بمعنى الخبرِ عنهم أنَّهم يقولون : آمنَّا بالمتشابِهِ ، وصدَّقْنا أنَّ علمَ ذلك لا يعلمُه إلا اللَّهُ ؟ **فقال**

---

(١) فى ت ٢ : « إلى » .

(٢) سقط من : ت ٢ .

(٣) فى م : « معطوف » .

بعضُهم : معنى ذلك : وما يعلمُ تأويلَ ذلك إلا اللَّهُ وحدَه منفرِدًا بعلمِه ، وأمّا الرّاسخون فى العلمِ فإنهم ابْتُدِئَ الخبرُ عنهم بأنَّهم يقولون : آمنَّا بالمتشابِهِ والمُحْكَمِ ، وأن جميعَ ذلك من عندِ اللَّهِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ ، قال : ثنا خالدُ بنُ نِزارٍ ، عن نافعٍ ، عن ابنِ أبى مُلَيكةَ ، عن عائشةَ قولَه : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ . قالت : كان من رسوخِهم فى العلمِ أنْ آمَنُوا بمُحْكَمِه ومتشابِهِه ، ولم يَعْلَمُوا تأويلَه[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه ، قال : كان ابنُ عباسٍ يقولُ[(٢)] : (وما يَعْلَمُ تَأْوِيلَه إلَّا اللَّهُ [(٣)] ويقُولُ الراسِخون فى العِلْمِ[(٣)] آمَنَّا به)[(٤)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنى ابنُ أبى الزنادِ ، قال : قال

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٥٩٩ (٣٢٠٨) من طريق نافع به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦ إلى ابن المنذر .

(٢) كذا فى النسخ . وفى مصادر التخريج : « يقرؤها » . ويقول هنا بمعنى : يقرأ .

(٣ - ٣) فى النسخ : « يقول الراسخون » . وأثبتنا نص قراءة ابن عباس كما فى مصادر التخريج ، وينظر تفسير البحر المحيط ٢/ ٣٨٤.

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٦، ومن طريقه ابن أبى داود فى المصاحف ص ٧٥، وأخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد (ص ٤٢٦) من طريق الحسن بن يحيى به ، وأخرجه الحاكم فى المستدرك ٢/ ٢٨٩، من طريق معمر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

هشامُ بنُ عُرْوةَ : / كان أبى يقولُ فى هذه الآيةِ : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ : إنَّ الراسخين [(1] فى العلمِ [1)] لايَعْلَمون تأويلَه ، ولكنهم يقولون : ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [(2)] . ١٨٣/٣

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ واضحٍ ، قال : ثنا عُبيدُ اللَّهِ ، عن أبى نَهيكٍ الأسَدىِّ قولَه : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ . فيقولُ [(3)] : إنكم تَصِلُون هذه الآيةَ ، وإنها مقطوعةٌ : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ - ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ ، فانتهى عِلْمُهم إلى قولِهم الذى قالوا [(4)] .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : ثنا ابنُ دُكَينٍ ، قال : ثنا عمرُو بنُ عثمانَ بنِ عبدِ اللَّهِ بنِ مَوْهَبٍ [(5)] ، قال : سمِعتُ عمرَ بنَ عبدِ العزيزِ يقولُ : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ : انتهى عِلْمُ الراسخين فى العلمِ بتأويلِ القرآنِ إلى أن قالوا : ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [(6)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا أَشْهَبُ ، عن مالكٍ فى قولِه : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ قال : ثم ابتدأ فقال : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ . وليس يَعْلَمون تأويلَه [(7)] .

(١ - ١) سقط من : ص .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٧) عن يونس به .

(٣) فى ت ١، ت ٢: « فيقولون » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٦) من طريق يحيى بن واضح به .

(٥) فى ت ١، ت ٢: « وهب » . وينظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٥٠ .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦/٢ ، ٧ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٧) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٢ إلى المصنف .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : وما يَعلَمُ تأويلَ ذلك إلا اللهُ والراسخون في العلمِ ، وهم - مع عِلْمِهم بذلك ورسوخِهم في العلمِ - يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال : أنا ممن يَعْلَمُ تأويلَه[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ : [(٢)] يَعْلَمون تأويلَه ، و[(٢)] يقولون : آمنَّا به[(٣)] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ : يَعْلَمُون تأويلَه ، ويقولون : آمنَّا به[(٤)] .

حُدِّثْتُ عن عمّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : [٣٨٦/١ط] ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ : يَعْلَمون تأويلَه ، ويقولُون : آمنَّا به[(٥)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ ﴾ [(٦)] الذى أرادَ ، ما أراد[(٦)] ! ﴿ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ

---

(١) أخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص ٤٢٤ من طريق أبى عاصم به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٢ - ٢) سقط من : ت ٢.

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، وأخرجه ابن الأنبارى فى الأضداد ص ٤٢٤ من طريق أبى عاصم به .

(٤) أخرجه عبد بن حميد فى تفسيره - كما فى التغليق ١٩٠/٤ - من طريق شبل به .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٧/٢ إلى المصنف .

(٦ - ٦) فى ت ٢: « الذى أراد » . وفى سيرة ابن هشام : « الذى به أرادوا ما أرادوا » . والمثبت موافق لما فى تفسير ابن كثير .

﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾[(١)] . ثم رَدُّوا تأويلَ المتشابِهِ[(٢)] على ما عرَفوا من تأويلِ المُحْكَمةِ التى لا تأويلَ لأحدٍ فيها إلا تأويلٌ واحدٌ ، فاتَّسَقَ بقولِهم الكتابُ ، وصدَّق بعضُه بعضًا ، فنَفَذتْ به الحُجَّةُ ، وظهَر به العذرُ ، وزاح[(٣)] به الباطلُ ، ودُمِغ به الكفرُ[(٤)] .

فمن قال القولَ الأولَ فى ذلك ، وقال : إنَّ الراسخين لا يَعْلَمون تأويلَ ذلك ، وإنما أخبَر اللَّهُ عنهم بإيمانِهم / وتصديقِهم بأنَّه مِن عندِ اللَّهِ ، فإنه يَرْفَعُ « الرَّاسخين فى العلمِ » بالابتداءِ فى قولِ[(٥)] البصريِّين ، ويَجعَلُ خبرَه ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ . وأمّا فى قولِ بعضِ الكوفيِّين فبالعائِدِ مِن ذكرِهم فى : ﴿ يَقُولُونَ ﴾ . وفى قولِ بعضِهم بجملةِ الخبرِ عنهم وهى ﴿ يَقُولُونَ ﴾ . ومَن قال القولَ الثانىَ ، وزعَم أنَّ الراسخين فى العلمِ يَعلَمُون تأويلَه ، عطَف بـ « الرَّاسخين » على اسمِ « اللَّهِ » ، فرفَعَهم[(٦)] بالعطفِ عليه . ١٨٤/٣

والصوابُ عندنا فى ذلك أنهم مرفوعون بجملةِ خبرِهم بعدَهم ، وهو : ﴿ يَقُولُونَ ﴾ ؛ لما قد بيَّنَّا قبلُ مِن أنهم لايَعلَمون تأويلَ المتشابِهِ الذى ذكَره اللَّهُ عز وجل فى هذه الآيةِ ، وهو فيما بلَغنى مع ذلك فى قراءةِ أُبَىٍّ : (ويقولُ[(٧)] الرَّاسِخُونَ فى العِلْمِ)[(٨)] . كما ذكَرْناه عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقرؤُه . وفى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (إِنْ

---

(١) بعده فى سيرة ابن هشام : « فكيف يختلف وهو قول واحد من رب واحد » .

(٢) فى م : « المتشابهة » .

(٣) زاح الشىء : بعُد وذهب ، كانزاح بنفسه ، تقول : أزحتُ علته فزاحت . التاج (ز ى ح) .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وذكره ابن كثير فى تفسيره ٨/٢ عن ابن إسحاق به .

(٥) فى ت ٢: « قولى » .

(٦) فى ت ٢: « فعرفهم » .

(٧) فى ت ٢: « يقولون » .

(٨) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٤٢، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٣٨٤.

تَأْوِيلَهُ إِلَّا عندَ اللَّهِ ، والرَّاسِخُونَ فى العِلْمِ يقُولُونَ)[١] .

وأمّا معنى التأويلِ فى كلامِ العربِ ، فإنَّه التفسيرُ والمَرْجِعُ والمَصِيرُ ، وقد أَنشَدَ بعضُ الرواةِ بيتَ الأَعْشَى[٢] :

على أنَّها كانت تَأَوُّلُ حُبِّها تَأَوُّلَ[٣] رِبْعِيِّ السِّقابِ[٤] فأَصْحَبَا

وأصلُه : مِن آلَ الشئُ إلى كذا ، إذا صارَ إليه ورجَع ، يَئُولُ أَوْلًا ، وأَوَّلْتُه أنا ، صيَّرْتُه إليه .

وقد قيل : إنَّ قولَه : ﴿ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء : ٥٩] أى : جَزاءً ، وذلك أن الجزاءَ هو المعنى[٥] الذى آل إليه أمرُ القومِ ، وصار إليه .

ويَعنِى بقولِه : تَأَوُّلُ حُبِّها : تفسيرُ حبِّها ومرجعُه . وإنما يُريدُ بذلك أنَّ حبَّها كان صغيرًا فى قلبِه ، فآلَ مِن الصِّغَرِ إلى العِظَمِ ، فلم يَزَلْ يَنْبُتُ حتى أَصْحَبَ[٦] فصار قديمًا ، كالسَّقْبِ الصغيرِ الذى لم يَزَلْ يَشِبُّ حتى أَصْحَبَ فصار كبيرًا مثلَ أُمِّه .

وقد يُنْشَدُ هذا البيتُ[٧] :

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٣٤٢/٢ ، وأبو حيان فى البحر المحيط ٣٨٤/٢ ، وفى المصاحف لابن أبى داود ص ٥٩ : « وإن حقيقة تأويله ... » .

(٢) ديوانه ص ١١٣.

(٣) فى م : « توالى » .

(٤) فى ت ٢: « السقات » . والسِّقاب : جمع السَّقْب ، وهو ولد الناقة الذكر ساعة يولد ، ولا يقال للأنثى : سقبة . ينظر التاج (س ق ب) .

(٥) سقط من : م ، س .

(٦) أصحب : ذَلَّ وانقاد . التاج (ص ح ب) .

(٧) رواية اللسان (ر ب ع ، و ل ى) :

ولكنها كانت نَوًى أَجْنَبِيَّةً توالىَ رِبْعِيِّ السِّقابِ فأصحبا =

على أنّها كانتْ تَوَابعُ حُبِّها   تَوَالِيَ رِبْعِيِّ السِّقابِ فأَصْحَبَا

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَالرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ .

يعنى بالرَّاسخين فى العلمِ العلماءَ الذين قد أَتْقَنُوا عِلْمَهم ، ووَعَوْه فحَفِظُوه حِفْظًا لايَدْخُلُهم فى معرفتِهم وعلمِهم بما عِلموه شكٌّ ولا لَبْسٌ . وأصلُ ذلك مِن رُسوخِ الشىءِ فى الشىءِ ، وهو ثبوتُه ووُلُوجُه فيه ، يقالُ منه : رسَخ الإيمانُ فى قلبِ فلانٍ ، فهو يَرْسَخُ رَسْخًا ورُسُوخًا .

وقد رُوِىَ فى نعتِهم خبرٌ عن النبىِّ ﷺ ، وهو ما **حدَّثنا** موسى بنُ سَهْلٍ الرَّمْلىُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : ثنا فَيّاضُ بنُ محمدٍ الرَّقِّىُّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ بنِ آدمَ ، عن أبى الدَّرْداءِ / وأبى أُمامةَ ، قالا : سُئِل رسولُ اللَّهِ ﷺ : مَن الراسخُ فى العلمِ ؟ قال : « مَن بَرَّتْ يمينُه ، وصدَق لسانُه ، واستقام به قلبُه ، وعفَّ بطنُه ، فذلك الراسخُ فى العلمِ »[1] .

١٨٥/٣

حدَّثنى المثنَّى وأحمدُ بنُ الحسنِ الترمذىُّ ، قالا : ثنا نُعيمُ بنُ حمّادٍ ، قال[2] : ثنا فَيّاضٌ الرَّقِّىُّ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ يزيدَ الأَوْدِىُّ - قال : وكان أَدركَ أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ - قال : حدَّثنا أنسُ بنُ مالكٍ وأبو أُمامةَ وأبو

= قال الأزهرى : هكذا سمعت العرب تنشده ، وفسروا لى توالى السقاب أنه من الموالاة ، وهو تمييز شىء من شىء . يقال : والينا الفصلانَ عن أمهاتها فتوالت ، أى : فصلناها عنها عند تمام الحول ويشتد الموالاة ويكثر حنينها فى أثر أمهاتها ويتخذ لها خندق تحبس فيه ، وتسرَّح الأمهات فى وجه من مراتعها ، فإذا تباعدت عن أولادها سرِّحت الأولاد فى جهة غير جهة الأمهات ، فترعى وحدها فتستمر على ذلك ، وتُصحب بعد أيام ؛ أخبر الأعشى أن نوًى صاحبته اشتدت عليه فحنّ إليها حنين ربعى السقاب إذا وولى عن أمه . تهذيب اللغة ٢/ ٣٧٧.

(١) أخرجه الطبرانى (٧٦٥٨) من طريق عبد الله بن يزيد به ، بزيادة أنس وواثلة .

(٢) فى ت ٢: « قالا » .

الدَّرْداءِ ، أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سُئِل عن الراسخين فى العلمِ ، فقال : « مَن بَرَّتْ يمينُه ، وصدَق لسانُه ، واستقام به قلبُه ، وعفَّ بطنُه وفرجُه ، فذلك الراسخُ فى العلمِ »[(١)] .

وقد قال جماعةٌ من أهلِ التأويلِ : إنما سمَّى اللَّهُ عز وجل هؤلاء القومَ الراسخين فى العلمِ ، بقولِهم : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن جابرٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ قال : الراسخون الذين يقولون : آمنَّا به كلٌّ من عندِ ربِّنا[(٢)] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ : هم المؤمنون ، فإنهم يقولون : ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ بناسخِه ومنسوخِه ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ : قال ابنُ عباسٍ : قال عبدُ اللَّهِ بنُ سَلَامٍ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ ﴾ : وعِلْمُهم قولُهم . قال ابنُ جُريجٍ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ وهم

---

(١) أخرجه ابن عساكر ٣٢٦/٣٩ - ٣٢٧ (طبعة مجمع اللغة بدمشق) من طريق نعيم به . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٥٩٩/٢ (٣٢٠٥) من طريق نعيم به عن أبى الدرداء وحده . وأخرجه ابن عساكر ٩١٧/١٥ (مخطوط) من طريق عبد الله بن يزيد الأودى ، عن أنس وحده .

(٢) ينظر تفسير البغوى ٢/ ١١.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٢) ، وعقب الأثر (٣٢١٤) من طريق عمرو به .

الذين يقولون : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ ويقولون : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ الآية .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ . فإنه يعنى أن الراسخين فى العلمِ يقولون : صدَّقْنا بما تشابَهَ من آيِ الكتابِ ، وأنَّه حقٌّ وإن لم نَعْلَمْ تأويلَه .

وقد حدَّثنى أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعَيمٍ ، قال : ثنا سلَمةُ بنُ نُبَيْطٍ ، عن الضَّحّاكِ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ ﴾ قال : المُحْكَمُ والمتشابِهُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ : كلُّ المُحْكَمِ من الكتابِ والمتشابِهِ منه من عندِ ربِّنا ، وهو تنزيلُه ووَحْيُه إلى نبيِّه محمدٍ [١/٣٨٧و] ﷺ .

كما حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن جابرٍ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [(١] قال : يعنى ما نُسِخَ منه وما لم يُنْسَخْ[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ : والراسخون فى العلم قالوا : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [١)] آمَنُوا بمتشابِهِه ، وعمِلوا بمُحْكَمِه[(٣)] .

(١ - ١) سقط من : ت ٢.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٠ (٣٢١٤) من طريق وكيع به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٧ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٠ (٣٢١٥) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وفيه زيادة .

١٨٦/٣ /حُدِّثْتُ عن عمّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ قولَه : ﴿ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ يقولون : المُحْكَمُ والمتشابِهُ من عندِ اللَّهِ[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ : نُؤْمِنُ بالمُحْكَمِ ونَدِينُ به ، ونُؤْمِنُ بالمتشابِهِ ولا نَدِينُ به ، وهو من عندِ اللَّهِ كلُّه[2] .

حدَّثنا يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جُويبرٌ ، عن الضّحّاكِ فى قولِه : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ ﴾ : يَعْمَلُونَ[3] به ، يقولون : نَعْمَلُ بالمُحْكَمِ ونُؤْمِنُ به ، ونُؤْمِنُ بالمتشابِهِ ولا نَعْمَلُ به ، وكلٌّ من عندِ ربِّنا[4] .

واختلَف أهلُ العربيةِ فى حكمِ « كلّ » إذا أُضْمِرَ فيها ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصريِّين : إنما[5] جاز حذفُ المرادِ الذى كان معها ، الذى « الكُلُّ » إليه مضافٌ فى هذا الموضعِ ؛ لأنها اسمٌ ، كما قال : ﴿ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ ﴾ [غافر : ٤٨] بمعنى : إنَّا كلُّنا فيها . قال : ولا يكونُ « كلٌّ » مُضْمَرًا [6] فيها وهى صفةٌ ، لا يقالُ : مَرَرْتُ بالقومِ كلٌّ . وإنما يكونُ فيها مُضْمَرٌ[6] إذا جعلْتَها اسمًا ، لو كان : إنَّا كلًّا فيها ، على الصفةِ ، لم يَجُزْ ؛ لأنَّ الإضمارَ فيها[7] ضعيفٌ ، لا يَتَمَكَّنُ فى كلِّ مكانٍ .

وكان بعضُ نحويِّى الكوفيِّين يَرَى الإضمارَ فيها وهى صفةٌ أو اسمٌ سواءً ؛ لأنه غيرُ جائزٍ أن يُحْذَفَ مابعدَها عندَه إلا وهى كافيةٌ بنفسِها عمّا كانت تُضافُ إليه من

---

(١) فى م : « ربنا » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠١/٢ (٣٢١٧) عن محمد بن سعد به .

(٣) فى ت ١، ت ٢، س: « يعلمون » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٠/٢ (٣٢١٦) من طريق جويبر به .

(٥) فى م : « إذا » .

(٦ - ٦) سقط من : ت ٢.

(٧) فى ت ٢: « فيه » .

المُضْمَرِ ، وغيرُ جائزٍ أن تكونَ كافيةً منه فى حالٍ ، ولا تكونَ كافيةً فى أُخْرَى . وقال : سبيلُ « الكلِّ » و « البعضِ » فى الدَّلالةِ على مابعدَهما بأنفسِهما وكفايتِهما منه بمعنًى واحدٍ فى كلِّ حالٍ ، صفةً كانت أو اسمًا .

وهذا القولُ الثانى أَوْلَى بالقياسِ ؛ لأنها إذا كانت كافيةً بنفسِها مما حُذِف منها فى حالٍ لدَلالتِها عليه ، فالحكمُ فيها أنها كلَّما وُجدَتْ دالَّةً على ما بعدها ، فهى كافيةٌ منه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه : وما يَتذكَّرُ ويَتَّعِظُ ويَنْزَجِرُ عن أن يقولَ فى متشابِهِ آيِ كتابِ اللَّهِ ما لا علمَ له به ، إلا أولو العقولِ والنُّهَى .

وقد حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ ابنِ الزُّبيرِ : ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ يقولُ : وما يَذَّكَّرُ فى مثلِ هذا ، يعنى : فى ردِّ تأويلِ المتشابِهِ إلى ما قد عُرِف من تأويلِ المُحْكَمِ ، حتى يَتَّسِقا على معنًى واحدٍ ، إلا أولو الألبابِ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ .

يَعنى بذلك جل ثناؤُه أن الرَّاسخين فى العلمِ يقولون : آمَنّا بما تشابَهَ من آيِ كتابِ اللَّهِ ، وإنه هو[2] والمُحْكَمُ من / آيِه من تنزيلِ ربِّنا ووَحْيِه . ويقولون أيضًا : ١٨٧/٣

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠١/٢ (٣٢١٩) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣.

﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ يعنى أنهم يقولون - رغبةً منهم إلى ربِّهم فى أن يَصْرِفَ عنهم ما ابْتُلِىَ به الذين زاغَتْ قلوبُهم من اتِّباعِ متشابهِ آيِ القرآنِ ؛ ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه الذى لا يعلمُه غيرُ اللَّهِ - : يا ربَّنا ، لا تجعلْنا مثلَ هؤلاء الذين زاغَتْ قلوبُهم عن الحقِّ ، فصَدُّوا عن سبيلِك ؛ ﴿ لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا ﴾ : لا تُمِلْها فتَصْرِفَها عن هُداك ، ﴿ بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ له ، فوفَّقْتَنا للإيمانِ بمُحكَمِ كتابِك ومتشابِهِه ، ﴿ وَهَبْ لَنَا ﴾ يا ربَّنا ، ﴿ مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ يعنى : من عندِك رحمةً . يعنى بذلك : هَبْ لنا من عندِك توفيقًا وثباتًا للذى نحن عليه مِن الإقرارِ بمُحْكَمِ كتابِك ومتشابِهِه ، ﴿ إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴾ يعنى : إنَّك أنت المُعْطِى عبادَك التوفيقَ والسدادَ للثباتِ على دينِك ، وتصديقِ كتابِك ورسلِك .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ . أى : لا تُمِلْ قلوبَنا وإن مِلْنا بأحداثِنا[1] ، ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾[2] .

وفى مدحِ اللَّهِ جل ثناؤُه هؤلاء القومَ بما مدَحهم به - مِن رغبتِهم إليه فى ألا يُزِيغَ قلوبَهم ، وأن يُعْطِيَهم رحمةً منه ؛ معونةً لهم للثباتِ على ما هم عليه من حسنِ البصيرةِ بالحقِّ الذى[3] هم عليه مُقِيمون - ما أبان عن خطأِ قولِ الجهَلةِ من القَدَريَّةِ : إنَّ إزاغةَ اللَّهِ قلبَ مَن أَزاغَ قلبَه مِن عبادِه عن طاعتِه ، وإمالتَه[4] له عنها ، جَوْرٌ ؛ لأن

(١) فى م : « بأجسادنا » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/٥٧٧ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠١ (٣٢٢١) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٣) فى ت ٢: « الذين » .

(٤) فى ت ١: « لا بامنه » ، وفى ت ٢: « لا نامنه » ، وفى س : « بامنه » ، وكذا فى ص ولكن غير منقوطة .

ذلك لو كان كما قالوا لكان الذين قالوا : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ بالذمِّ أَوْلَى منهم بالمدحِ ؛ لأن القولَ لو كان كما قالوا ، لكان القومُ إنما سألوا ربَّهم بمسألتِهم[1] إيّاه ألَّا يُزِيغَ قلوبَهم ، ألا يَظْلِمَهم ولا يجورَ عليهم ، وذلك من السائلِ[2] جَهْلٌ ؛ لأن اللَّهَ جل ثناؤُه لا يَظْلِمُ عبادَه ، ولا يجورُ عليهم ، وقد أَعلَمَ عبادَه ذلك ، ونفاه عن نفسِه بقولِه : ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت : ٤٦] . ولا وجْهَ لمسألتِه أن يكونَ بالصفةِ التى قد أخبرَهم أنه بها . وفى فسادِ ما قالوا من ذلك الدليلُ الواضحُ على أنَّ عَدْلًا من اللَّهِ عز وجل إزاغةُ مَن أَزاغ قلبَه من عبادِه عن طاعتِه ، فلذلك استحقَّ المدحَ مَن رَغِب إليه فى أن لا يُزِيغَه ، [٣٨٧/١ظ] لتوجيهِه[3] الرغبةَ إلى أهلِها ، ووضعِه مسألتَه مَوْضِعَها ، مع تظاهرِ الأخبارِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ برغبتِه إلى ربِّه فى ذلك ، مع محلِّه منه وكرامتِه عليه .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وَكيعٌ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بَهْرامَ ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أُمِّ سلَمةَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ قال : « يا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبى على دِينِك » . ثم قرأ : ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾ إلى آخرِ الآيةِ[4] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وَكيعٌ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بَهْرامَ ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن أسماءَ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بنحوِه .

حدَّثنا المثنَّى ، قال : ثنا الحَجّاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا عبدُ الحميدِ بنُ بَهْرامَ

---

(١) فى م ، ت ٢ ، س : « مسألتهم » .

(٢) فى ص : « المسائل » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « لتوجهه » .

(٤) أخرجه أحمد ٢٩٤/٦ (الميمنية) ، وابن أبى حاتم ٢/ ٦٠١ - ٦٠٢ (٣٢٢٢) من طريق وكيع به .

الفَزارِيُّ ، قال : ثنا شهرُ بنُ حَوْشَبٍ ، قال : سمِعْتُ أمَّ سلمةَ تحدِّثُ أن رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُكْثِرُ فى دعائِه أن يقولَ : « اللهمَّ مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبى على دينِك » . قالت : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، وإنَّ القلبَ لَيُقَلَّبُ ؟ قال : « نعم ، ما خلَق اللَّهُ من بشرٍ من بنى آدمَ إلَّا إنَّ[1] قلبَه بين إصْبَعَين مِن أصابِعه ،/ فإن شاء أقامَه ، وإن شاء ١٨٨/٣ أزاغَه ، فنسألُ اللَّهَ ربَّنا ألا يُزِيغَ قلوبَنا بعدَ إذْ هَدَانا ، ونسألُه أن يَهَبَ لنا من لَدُنْه رحمةً ، إنه هو الوهّابُ » . قالت : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، ألا تُعَلِّمُنى دعوةً أدعو بها لنفسِى ؟ قال : « بلى[2] ، قولى : اللهمَّ ربَّ النبيِّ محمدٍ ، اغفِرْ لى ذنبى ، وأَذْهِبْ غيظَ قلبى ، وأَجِرْنى من مُضِلَّاتِ الفِتَنِ »[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ منصورٍ الطُّوسيُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ الزُّبيريُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن الأعمشِ ، عن أبى سفيانَ ، عن جابرٍ ، قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أن يقولَ : « يا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلبى على دينِك » . فقال له بعضُ أهلِه : تَخافُ علينا وقد آمنَّا بك وبما جِئْتَ به ؟ قال : « إنَّ القلبَ بين إصْبَعَين مِن أصَابعِ الرحمنِ تبارَك وتعالى ، يقولُ بهما[4] هكذا » . وحرَّك أبو أحمدَ إصْبَعَيْه . قال أبو جعفرٍ : وإنَّ الطُّوسيَّ[5] وسَق[6] بين إصْبَعَيْه[7] .

---

(١) فى م ، ومعجم الطبرانى : « و » .

(٢) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « قال » .

(٣) أخرجه الطبرانى ٣٣٨/٢٣ (٧٨٥) من طريق حجاج بن المنهال به . وأخرجه أحمد ٣٠١/٦ ، ٣٠٢ (الميمنية) ، وعبد بن حميد (١٥٣٢ - منتخب) ، وابن مردويه - كما فى تفسير ابن كثير ١٠/٢ - من طريق عبد الحميد بن بهرام به . وأخرجه ابن أبى شيبة ٢٠٩/١٠ ، ٢١٠ ، وأحمد ٣١٥/٦ (الميمنية) ، والترمذى (٣٥٢٢) ، والطبرانى ٣٣٤/٢٣ (٧٧٢) من طريق شهر بن حوشب به .

(٤) فى م : « به » .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « أبا الطوسى » .

(٦) الوسْق : ضم الشىء إلى الشىء . اللسان (و س ق) .

(٧) أخرجه أبو يعلى (٢٣١٨) ، والبيهقى فى الشعب (٧٥٦) من طريق سفيان به .

حدَّثني سعيدُ بنُ يحيى الأُمويُّ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، قال : ثنا الأعمشُ ، عن أبي سفيانَ ، عن أنسٍ ، قال : كان رسولُ اللَّهِ ﷺ كثيرًا ما يقولُ : « يا مُقَلِّبَ القُلوبِ ثَبِّتْ قلبي على دينِك » . قلنا : يا رسولَ اللَّهِ ، قد آمنَّا بك ، وصدَّقْنا بما جئتَ به ، فتخافُ علينا ؟ قال : « نعم ، إنَّ القُلوبَ بين إصْبَعَين من أصابعِ اللَّهِ ، يُقَلِّبُها[1] تبارَك وتعالى »[2] .

حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكَمِ ، قال : ثنا بشرُ بنُ بكرٍ ، وحدَّثني عليُّ ابنُ سهلٍ ، قال : ثنا [3]أيوبُ بنُ بشرٍ ، جميعًا[3] عن ابنِ جابرٍ ، قال : سمِعْتُ بُسْرَ[4] بنَ عُبيدِ اللَّهِ ، قال : سمِعْتُ أبا إدريسَ الخَوْلانيَّ يقولُ : سمِعْتُ النَّوَّاسَ بنَ سَمعانَ الكِلابيَّ ، قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « ما مِن قلبٍ إلا بين إصْبَعَين مِن أصابعِ الرحمنِ ، إن شاءَ أقامَه ، وإن شاءَ أزاغَه » . وكان رسولُ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « يا مُقَلِّبَ القلوبِ ثَبِّتْ قلوبَنا على دينِك ، والميزانُ بيدِ الرحمنِ ، يَرْفَعُ أقوامًا ويَخْفِضُ آخَرين إلى يومِ القيامةِ »[5] .

حدَّثني عمرُ بنُ عبدِ الملكِ الطائيُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ عُبيدةَ ، قال : ثنا الجرَّاحُ

---

(١) بعده في ص ، ت ٢ : « الله » .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٠/٢٠٩ ، وفي الإيمان (٥٥) ، وأحمد ١٩/١٦٠ (١٢١٠٧) ، والترمذي (٢١٤٠) ، وأبو يعلى (٣٦٨٧ ، ٣٦٨٨) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢٢٥) ، والحاكم ١/٥٢٦ من طريق أبي معاوية به .

(٣ - ٣) سقط من : س ، وفي ص ، ت ٢ : « بن جميعا » ، وفي ت ١ : « بن » وبعده بياض بمقدار كلمتين .

(٤) في م : « بشر » .

(٥) أخرجه الحاكم ٤/٣٢١ من طريق محمد بن عبد الله بن عبد الحكم به . وأخرجه أيضًا ١/٥٢٥ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢٩٩) من طريق بشر بن بكر به .

وأخرجه أحمد ٢٩/١٧٨ (١٧٦٣٠) ، وابن ماجه (١٩٩) ، والنسائي في الكبرى (٧٧٣٨) ، وابن أبي عاصم في السنة (٢١٩) ، وابن خزيمة في التوحيد (٥٤) ، وابن حبان (٩٤٣) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٧٤١) ، من طريق ابن جابر به .

ابنُ مليحِ البَهْرانيُّ ، عن الزُّبَيْدِيِّ ، عن جُبَيْرٍ[(١)] ، عن سَمُرَةَ بنِ فاتكٍ الأَسَديِّ ، وكان من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « الموازينُ بيدِ اللَّهِ ، يَرْفَعُ قومًا[(٢)] ويضَعُ قومًا[(٢)] ، وقلبُ ابنِ آدمَ بين إصْبَعَين من أصابعِ الرحمنِ ، إذا[(٣)] شاء أزاغَه ، وإذا[(٣)] شاء أقامَه »[(٤)] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا سُوَيدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبَرنا ابنُ المباركِ ، عن حَيْوَةَ بنِ شُرَيحٍ ، قال : أخبَرنى أبو هانئٍ الخَوْلانيُّ ، أنه سمِع أبا عبدِ الرحمنِ الحُبُلِّيَّ يقولُ : سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عمرِو بنِ العاصِ يقولُ : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « إن قلوبَ بنى آدمَ كلَّها بين إصْبَعَين مِن أصابعِ الرحمنِ كقَلْبٍ واحدٍ ، يُصَرِّفُ كيف يَشاءُ[(٥)] » . ثم يقولُ رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اللهمَّ مُصَرِّفَ القلوبِ صَرِّفْ قلوبَنا إلى طاعتِك »[(٦)] .

١٨٩/٣ /حدَّثنا الربيعُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا أسدُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الحميدِ بنُ بَهْرامَ ، قال : ثنا شهرُ بنُ حَوْشَبٍ ، قال : سمِعْتُ أمَّ سلَمةَ تُحَدِّثُ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ كان يُكْثِرُ فى دعائِه أن يقولَ : « اللهمَّ ثَبِّتْ قلبى على دينِك » . قالت : قلتُ :

---

(١) فى م : « جويبر » ، وغير واضحة فى ت ٢. وينظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٠٩.

(٢) فى م : « أقوامًا » .

(٣) فى م : « إن » .

(٤) أخرجه ابن أبى عاصم فى السنة (٢٢٠) ، وفى الآحاد والمثانى (١٠٤١ ، ١٠٤٢) ، والطبرانى (٦٥٥٧) من طريق جبير به .

(٥) فى ص ، ت ١، ت ٢، س: « شاء » .

(٦) أخرجه النسائى فى الكبرى (٧٧٣٩) من طريق عبد اللَّه بن المبارك به . وأخرجه أحمد ١١/ ١٣٠ (٦٥٦٩) ، ومسلم (٢٦٥٤) ، وابن أبى عاصم فى السنة (٢٢٢ ، ٢٣١) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٢٩٨ ، ٧٤٠) من طريق حيوة بن شريح به .

يا رسولَ اللَّهِ ، وإنَّ القلوبَ لَتُقَلَّبُ ؟ قال : « نعم ، ما مِن خلقِ اللَّهِ مِن بنى آدمَ بشرٌ إلا أنَّ قلبَه بين إصْبَعَين من أصابعِ اللَّهِ ، إن شاء أقامَه ، وإن شاء أزاغَه ، فنسألُ اللَّهَ ربَّنا ألا يُزِيغَ قلوبَنا بعد إذ هدانا ، ونسألُه أنْ يَهَبَ لنا من لَدُنْه رحمةً ، إنه هو الوهّابُ[(١)] » .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٩﴾ ﴾ .

يَعنى بذلك جل ثناؤُه أنهم يقولون أيضًا - مع قولِهم : آمنَّا بما تشابَهَ من آيِ[(٢)] كتابِ ربِّنا ؛ كلٌّ[(٣)] المُحْكَمِ والمتشابِهِ الذى فيه من عندِ ربِّنا - : يا ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ .

وهذا من الكلامِ الذى اسْتُغْنِيَ بذكرِ ما ذُكِرَ منه عمّا تُرِك ذكرُه . وذلك أن معنَى الكلامِ : ربَّنا إنَّك جامعُ الناسِ ليومِ القيامةِ ، فاغفِرْ لنا يومئذٍ ، واعفُ عنّا ، فإنك لا تُخْلِفُ وَعْدَكَ أنَّ مَن آمَن بك ، واتَّبع رسولَك ، [١/٣٨٨و] وعمِل بالذى أمرْتَه به فى كتابِك ، أنَّك غافِرُه يومئذٍ .

وإنما هذا من القومِ مسألةٌ ربَّهم أن يُثَبِّتَهم على ما هم عليه من حُسْنِ نُصْرَتِهم[(٤)] بالإيمانِ باللَّهِ ورسولِه ، وما جاءهم به من تنزيلِه ، حتى يَقْبِضَهم على أحسنِ أعمالِهم وإيمانِهم ، فإنه إذا فعَل ذلك بهم وجَب لهم الجنةُ ؛ لأنه قد وعَد مَن فعَل ذلك به من عبادِه[(٥)] أنَّه يُدْخِلُه الجنةَ . فالآيةُ وإن كانت قد خرَجتْ مَخْرَجَ الخبرِ ، فإنَّ تأويلَها من

---

(١) فى ت ١، س : « التواب » . وينظر ما تقدم فى ص ٢٢٩ ، ٢٣٠ .

(٢) بعده فى س : « القرآن » .

(٣) فى س : « كله » .

(٤) كذا فى م ، ت ١ ، ت ٢، س ، وغير منقوطة فى ص ، ولعل الصواب : بصيرتهم .

(٥) فى ص ، ت ١: « عبادته » .

القومِ مسألةٌ ودعاءٌ ورغبةٌ إلى ربِّهم .

وأمّا معنى قولِه : ﴿ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . فإنه : لا شَكَّ فيه .

وقد بيَّنَّا ذلك بالأدلةِ على صحتِه فيما مضَى قبلُ[(١)] .

ومعنى قولِه : ﴿ لِيَوْمٍ ﴾ : في يومٍ . وذلك يومٌ يَجْمَعُ اللَّهُ فيه خلقَه لفصلِ القضاءِ بينهم في موقفِ العَرْضِ والحسابِ .

والميعادُ : المِفْعالُ ، من الوعدِ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ : إنَّ الذين جحَدوا الحقَّ الذى قد عرَفوه من نُبُوَّةِ محمدٍ ﷺ ، من يهودِ بنى إسرائيلَ ومنافِقِيهم ، ومنافِقِى العربِ وكفارِهم ، الذين فى قلوبِهم زَيْغٌ ، فهم يَتَّبِعُون من كتابِ اللَّهِ المتشابِهَ ابتغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه ، ﴿ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ ﴾ . يعنى بذلك أنَّ أموالَهم وأولادَهم لن تُنْجِيَهم من عقوبةِ اللَّهِ إنْ أحلَّها بهم عاجلًا ، فى الدنيا على تكذيبِهم بالحقِّ بعد تَبَيُّنِهم[(٢)] ، واتباعِهم المتشابِهَ طلبَ اللَّبْسِ ، فتَدْفَعَها عنهم ، ولا يُغْنِى [(٣)]ذلك عنهم منها[(٣)] شيئًا ، وهم فى الآخرةِ ﴿ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴾ يعنى بذلك : حَطَبَها .

١٩٠/٣ / **القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾ ﴾ .**

(١) ينظر ما تقدم فى ٢٣١/١ - ٢٣٣ .

(٢) فى م : « تثبيتهم » ، وفى س : « تثبتهم » .

(٣ - ٣) فى ت ٢ : « عنهم من ذلك » .

يعنى بذلك جلّ ثناؤُه : إنَّ الذين كفَروا لن تُغْنِيَ عنهم أموالُهم ولا أولادُهم مِن اللَّهِ شيئًا عندَ حُلولِ عقوبتِنا بهم ، كسُنَّةِ آلِ فرعونَ وعادتِهم[1] ، والذين مِن قبلِهم مِن الأممِ الذين كذَّبوا بآياتِنا ، فأخذْناهم بذنوبِهم ، فأَهْلَكْناهم حينَ كذَّبوا بآياتِنا ، [2]فلم تُغنِ[2] عنهم أموالُهم ولا أولادُهم مِن اللَّهِ شيئًا حينَ جاءَهم بأسُنا ، كالذين عُوجِلُوا بالعقوبةِ على تكذيبِهم ربَّهم مِن قَبلِ آلِ فرعونَ ، مِن قومِ نوحٍ وقومِ هودٍ وقومِ لوطٍ وأمثالِهم .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معناه : كسُنَّتِهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ الحَجّاجِ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ فى قولِه : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ . يقولُ : كسُنَّتِهم[3] .

وقال بعضُهم : معْناه : كعَمَلِهم[4] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشّارٍ ، قال : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، **وحدَّثنى** المثنَّى ، قال : ثنا أبو نُعَيم ، قال : ثنا سفيانُ ، جميعًا عن جُويبرٍ ، عن الضّحّاكِ : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ . قال : كعملِ آلِ فرعونَ[5] .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « دعائهم » . وينظر مجاز القرآن ١/ ٨٧.

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فلن تغن » ، وفى م ، س : « فلن تغنى » ، وأثبتنا ما يناسب السياق .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٩ إلى المصنف .

(٤) فى ت ٢: « كعلمهم » .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٠٣، ٥/ ١٧١٨ عقب الأثر (٣٢٣٠، ٩١٧٧) معلقًا .

حدَّثنا يحيَى بنُ أبي طالبٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا جُويبرٌ ، عن الضَّحّاكِ في قولِه : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ . قال : كعملِ آلِ فرعونَ .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ قال : كأعمالِهم[(١)] ، كفعلِهم ، كتَكْذيبِهم حينَ كذَّبوا الرسلَ . وقرأ قولَ اللَّهِ : ﴿ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ ﴾ [غافر : ٣١] . أن يُصيبَكم مثلُ الَّذى أصابَهم عليه مِن عذابِ اللَّهِ . قال : الدَّأْبُ العملُ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو تُمَيْلةَ يحيَى بنُ واضحٍ ، عن أبي حمزةَ ، عن جابرٍ ، عن عكرمةَ ومجاهدٍ في قولِه : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ . قال : كفعلِ آلِ فرعونَ ، كشَأْنِ آلِ فرعونَ[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ ، قال : ثنا بشرُ بنُ عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضَّحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ ﴾ . قال : كصُنْعِ آلِ فرعونَ[(٣)] .

وقال آخرون : معنى ذلك : كتَكْذيبِ آلِ فرعونَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني موسَى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمّادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ : ذكَر الذين كفَروا / فقال[(٤)] : تكذيبُهم كمثلِ تكذيبِ الذين مِن قبلِهم في الجُحودِ والتَّكذيبِ[(٥)] . ١٩١/٣

(١) سقط من : م .
(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٠٣، ٥/ ١٧١٨ عقب الأثر (٣٢٣٠، ٩١٧٧) معلقًا .
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٠٣، ٥/ ١٧١٨ (٣٢٣٠، ٩١٧٧) من طريق المنجاب به .
(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ : « وأفعال » .
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٠٣ (٣٢٣١) من طريق عمرو به .

وأصلُ الدَّأْبِ مِن : دأَبْتُ فى الأمرِ دأْبًا ، إذا أدْمَنْتَ العملَ والتعبَ فيه . ثم إن العربَ نقَلَت معناه إلى الشأنِ والأمرِ والعادةِ ، كما قال امرُؤُ القيسِ بنُ حُجْرٍ[1] :

وإن شِفائى عَبْرَةٌ مُهَراقةٌ[2] فهل عندَ رسمٍ دارِسٍ مِن مُعَوَّلِ[3]
كدَأْبِك[4] مِن أُمِّ الحُوَيْرِثِ قبلَها وجارتِها أُمِّ الرَّبابِ بمَأْسَلِ

يَعْنى بقولِه : كدأْبِك . كشأْنِك[5] وأمرِك وفعلِك . يقالُ منه : هذا دأْبى ودأْبُك أبدًا . يَعْنى به : فِعْلى وفِعْلُك ، وأمْرِى وأمْرُك ، وشأْنى وشأْنُك . يقالُ منه : دأَبْتُ دُؤُوبًا ودأْبًا . وحُكِى عن العربِ سَماعًا : دأَبْتُ دَأَبًا . مُثقلةً مُحرَّكةَ الهمزةِ ، كما قيل : هذا شَعَرٌ ونَهَرٌ[6] . فتُحرِّكُ ثانيَه ؛ لأنه حرفٌ مِن الحروفِ الستةِ[7] ، فأُلْحِق الدأَبُ إذ كان ثانيه مِن الحروفِ الستةِ ، [١/٣٨٨ظ] كما قال الشاعرُ[8] :

[9]له نَعَلٌ لا تطَّبِى[10][9] الكلبَ ريحُها وإن وُضِعَت[11] بينَ المَجالِسِ[11] شُمَّتِ

وأما قولُه : ﴿ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ . فإنه يعْنى به : واللَّهُ شديدٌ عقابُه لمَن كفَر به وكذَّب رُسلَه ، بعدَ قيامِ الحُجَّةِ عليه .

---

(١) ديوانه ص ٩.
(٢) فى الديوان : « إن سفحتها » .
(٣) معول : قيل : مَبْكًى ، وقيل : مستغاث ، وقيل : مَحْمل ومعْتمَد . اللسان (ع و ل) .
(٤) فى الديوان : « كدينك » .
(٥) فى ص ، ت ٢: « كنابك » ، وفى ت ١: « كفابك » .
(٦) فى م : « بهر » .
(٧) الحروف الستة : هى حروف الحلق .
(٨) هو كثير عزة ، والبيت فى ديوانه (مجموع) ص ٣٢٤.
(٩ - ٩) فى الديوان : « إذا طرحت لم تطب » .
(١٠) طباه يطبوه ويطبيه : إذا دعاه . اللسان (ط ب ى) .
(١١ - ١١) فى الديوان : « فى مجلس القوم » .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١٢﴾ ﴾ .

اختلفتِ القرأةُ فى ذلكَ ؛ فقرأَه بعضُهم : ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ ﴾ بالتاءِ ، على وجهِ الخطابِ للذين كفروا بأنهم سيُغلَبون[١] . واحتجُّوا لاختيارِهم قراءةَ ذلك بالتَّاءِ بقولِه : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ﴾ . قالوا : ففِى ذلك دليلٌ على أن قولَه : ﴿ سَتُغْلَبُونَ ﴾ . كذلك خطابٌ لهم ، وذلك هو قراءةُ عامَّةِ قرأةِ الحجازِ والبصرةِ وبعضِ الكوفيِّينَ . وقد يَجوزُ لِمَن كانت نيَّتُه فى هذه الآيةِ أن المَوْعُودينَ بأن يُغلَبُوا هم الذين أُمِر النبيُّ ﷺ بأن يقولَ ذلك لهم ، أن يَقْرَأَه بالتاءِ والياءِ ؛ لأن الخِطابَ بالوَحْيِ حينَ نزَل لغيرِهم ، فيَكونُ نظيرَ قولِ القائلِ فى الكلامِ : قلتُ للقومِ : إنكم مَغْلُوبون . وقلتُ لهم : إنهم مغلُوبون .

وقد ذُكِر أنّ فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (قُلْ للذين كفروا إن تَنْتَهُوا يُغْفَرْ لكم)[٢] . وهى فى قراءتِنا : ﴿ إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم ﴾ [الأنفال : ٣٨] .

وقرأَتْ ذلكَ جماعةٌ مِن قرأةِ أهلِ الكوفةِ : (سَيُغْلَبون ويُحشَرون) . على معنى : قُلْ لليهودِ : سيُغْلَبُ مُشرِكو العربِ ، ويُحْشَرون إلى جهنمَ . ومَن قرأ ذلك كذلك على هذا التأويلِ ، لمْ يَجُزْ فى قراءَتِه غيرُ الياءِ .

١٩٢/٣ / **والذى نَختارُ مِن القِراءةِ فى ذلك** قراءةُ مَن قرَأَه بالتَّاءِ ، بمعنى : قلْ يا محمدُ للذين كفَروا مِن يهودِ بنى إسرائيلَ ، الذين يَتَّبِعون ما تَشابَه مِن آيِ الكتابِ الذى أنْزَلْتُه إليك ابْتِغاءَ الفتنةِ وابتغاءَ تأويلِه : ﴿ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ

---

(١) هى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وعاصم وابن عامر ، وقرأ حمزة والكسائى بالياء ، وسيأتى . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٣.

(٢) ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ١٩٢.

﴿ٱلۡمِهَادُ﴾ .

وإنما اخْتَرْنا قراءةَ ذلك كذلك ، على قراءتِه بالياءِ ، لدلالةِ قولِه : ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ ءَايَةٞ فِي فِئَتَيۡنِ﴾ . على أنهم بقولِه : ﴿سَتُغۡلَبُونَ﴾ مُخاطَبُون خطابَهم بقولِه : ﴿قَدۡ كَانَ لَكُمۡ﴾ . فكان إلْحاقُ الخطابِ بمثلِه مِن الخطابِ أوْلى مِن الخطابِ بخلافِه مِن الخبرِ عن غائبٍ .

وأخْرَى : أن أبا كُرَيْبٍ **حدَّثنا** ، قال : ثنا يونُسُ بنُ بُكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولَى زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، أو عِكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لمَّا أصابَ رسولُ اللَّهِ ﷺ قريشًا يومَ بدرٍ ، فقدِم المدينةَ ، جمَع يهودَ فى سوقِ بنى قَيْنُقاعَ فقال : « يا مَعْشرَ يَهودَ ، أسْلِمُوا قبلَ أن يُصِيبَكم مثلُ ما أصابَ قريشًا » . فقالوا : يا محمدُ ، لا تَغُرَّنْك نفْسُك أنكَ قَتَلْتَ نفرًا مِن قريشٍ كانوا أغْمارًا لا يَعْرِفُون القِتالَ ، إنك واللَّهِ لو قاتَلْتَنا لعرَفْتَ أنا نحن الناسُ ، وأنك لم تأْتِ[1] مثلَنا . فأنْزَل اللَّهُ عزّ وجلّ فى ذلك مِن قولِهم : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ وَتُحۡشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾ إلى قولِه : ﴿لِّأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾[2] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن عاصمِ بنِ عمرَ بنِ قتادةَ ، قال : لما أصابَ اللَّهُ قريشًا يومَ بدرٍ ، جمَع رسولُ اللَّهِ ﷺ يهودَ فى سوقِ بنى قَيْنُقاعَ حينَ قدِم المدينةَ . ثم ذكَر نحوَ حديثِ أبى كُرَيْبٍ ، عن يونُسَ[3] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : كان مِن أمْرِ بنى

---

(١) فى سنن أبى داود : « تلق » .

(٢) أخرجه أبو داود (٣٠٠١) ، والبيهقى فى الدلائل ١٧٣/٣ ، ١٧٤ من طريق يونس به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٤/٢ (٣٢٣٤) من طريق سلمة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٩/٣ ، ١٠ إلى ابن إسحاق .

قَيْنُقاعَ ، أن رسولَ اللَّهِ ﷺ جمعَهم بسوقِ بنى قَيْنُقاعَ ، ثم قال : « يا معشرَ اليهودِ ، احذَرُوا مِن اللَّهِ مثلَ ما نزَل بقريشٍ مِن النِّقمةِ ، وأسْلِمُوا ، فإنكم قد عرَفْتُم أنى نبىٌّ مُرْسَلٌ ، تجِدُون ذلكَ فى كتابِكم ، وعَهْدِ اللَّهِ إليكم » . فقالوا : يا محمدُ ، إنك تَرَى أنَّا كقومِك[1] ! لا يَغُرَّنَّك أنك لقِيتَ قومًا لا عِلْمَ لهم بالحربِ ، فأصَبْتَ فيهم فُرْصةً ، إنَّا واللَّهِ لئِنْ حارَبْناك لتَعْلَمَنَّ أنَّا نحن الناسُ[2] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولَى آلِ زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ما نزَلَتْ هؤلاء الآياتُ إلا فيهم : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ إلى ﴿لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَـٰرِ﴾[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ . قال فِنْحاصُ اليهودىُّ فى يومِ بدرٍ : لا يَغُرَّنَّ محمدًا أنْ غلَب قريشًا وقتلهم ، إنّ قريشًا لا تُحْسِنُ القتالَ . فنزَلَت هذه الآيةُ : ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾[4] .

قال أبو جعفرٍ : فكلُّ هذه الأخبارِ تُنبِئُ[5] عن أن المخاطَبين بقولِه : ﴿سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ /جَهَنَّمَ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ هم اليهودُ المَقولُ لهم : ١٩٣/٣

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « قومك » .

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٢٩٤ (٤٩٦) ، وسيرة ابن هشام ٤٧/٢ ، وأخرجه المصنف فى تاريخه ٤٧٩/٢ .

(٣) ابن إسحاق ص ٢٩٤ (٤٩٧) ، وسيرة ابن هشام ٤٧/٢ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٥) فى س : « تبين » .

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ﴾ الآية ، وتَدُلُّ على أن قراءةَ ذلك بالتاءِ أَوْلَى مِن قراءتِه بالياءِ .

ومعْنى قولِه : ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾ : وتُجْمَعون فتُجْلَبون[1] ﴿إِلَىٰ جَهَنَّمَ﴾ .

وأما قولُه : ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ : وبئسَ الفِراشُ جهنمُ التى تُحْشَرون إليها .

وكان مجاهدٌ يقولُ كالذى حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ . قال : بئسما مَهَدوا لأنفسِهم[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

[١/٣٨٩و] **القولُ فى تأويلِ قولِه** : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ﴾ .

يَعنى بذلك جلّ ثناؤُه : قُلْ يا محمدُ للذين كفَروا مِن اليهودِ ، الذين بين ظَهْرانَىْ بلدِك : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ ، يعْنى : علامةٌ ودَلالةٌ على صدقِ ما أَقولُ[3] : إنكم ستُغْلَبون . وعِبْرةٌ .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ﴾ : عِبْرةٌ وتفكُّرٌ[4] .

---

(١) فى ت ١ : « فيجلبون » ، وفى س : « فيلجئون » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٤ (٣٢٣٥) .

(٣) بعده فى س : « لكم » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/١٠ إلى المصنف .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه ، إلا أنه قال : ومُتَفَكِّرٌ[1] .

﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . يعني : في فِرْقَتَين وحِزْبَين . والفِئةُ الجماعةُ مِن الناسِ ، ﴿ ٱلْتَقَتَا ﴾ للحربِ ، وإحدَى الفئتين رسولُ اللَّهِ ﷺ ومَن كان معه ممَّن شهِد وَقْعةَ بدرٍ ، والأُخرى مُشْرِكو قريشٍ ، ﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ : جَماعةٌ تُقاتِلُ في طاعةِ اللَّهِ وعلى دينِه ، وهم رسولُ اللَّهِ ﷺ وأصحابُه ، ﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾: وهم مُشْرِكو قريشٍ .

كما حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يُونُسُ بنُ بُكَيْرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثني محمدُ بنُ أبي محمدٍ مولَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ : أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ببدرٍ ، ﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ : فئةُ قريشٍ الكفارُ[2] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ مولَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عكرمةَ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ : محمدٌ ﷺ وأصحابُه ، ﴿ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ : قريشٌ يومَ بدرٍ .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٤/٢ (٣٢٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) ينظر ما تقدم في ص ٢٣٩ ، ٢٤٠ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٠٥/٢ (٣٢٣٧) من طريق سلمة به .

نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . قال : فى محمدٍ وأصحابِه ومُشْرِكى قريشٍ يومَ بدرٍ[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

/ حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيَى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزّاقِ ، قال : أخْبَرَنا الثَّوريُّ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِه : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : ذلك يومُ بدرٍ ، الْتَقَى المسلمون والكفارُ[2] . ١٩٤/٣

ورُفِعَت : ﴿ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ . وقد قيل قبلَ[3] ذلك : ﴿ فِي فِئَتَيْنِ ﴾ . بمعنى : إحداهما تقاتلُ فى سبيلِ اللَّهِ . على الابتداءِ ، كما قال الشاعرُ[4] :

فكنتُ كذِى رِجْلَين رِجْلٌ صَحيحةٌ ... ورِجْلٌ رَمَى فيها الزَّمانُ فشَلَّتِ

وكما قال ابنُ مُفَرِّغٍ[5] :

فكنتُ كذِى رِجْلَيْن رِجْلٌ صَحيحةٌ ... ورِجْلٌ بها رَيْبٌ مِن الحَدَثانِ

فأمَّا التى صحَّتْ فأَزْدُ شَنُوءةٍ ... وأمَّا التى شَلَّتْ فأَزْدُ عُمَانِ

وكذلك تَفْعَلُ العربُ فى كلِّ مُكَرَّرٍ على نظيرٍ له قد تقدَّمه ، إذا كان مع المُكَرَّرِ

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٤٩ .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٧، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٠٥ (٣٢٣٩) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) سقط من : ص ، ت ١، ت ٢، س .

(٤) هو كثير عزة ، والبيت فى ديوانه (مجموع) ص ٩٩.

(٥) البيتان للنجاشى الحارثى فى الوحشيات ص ١١٣، والنوادر ص ١٠، والخزانة ٢/ ٣٨٦.

خبرٌ ، تَرُدُّه على إعرابِ الأولِ مرةً ، وتَسْتَأْنِفُه ثانيةً بالرفعِ ، وتَنْصِبُه فى التامِّ مِن الفعلِ والناقصِ ، وقد جُرَّ ذلك كلُّه ، فخُفِض على الردِّ على أولِ الكلامِ ، كأنه[1] يعنى إذا خفَض ذلك :[2] فكنتُ كذى رِجْلَين : كذِى رجلٍ صحيحةٍ ورجلٍ سقيمةٍ . وكذلك الخفضُ فى قولِه : ﴿ فِئَةٌ ﴾ جائزٌ على الردِّ على قولِه : ﴿ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾ : فى فئةٍ تُقاتِلُ فى سبيلِ اللَّهِ .

وهذا وإن كان جائزًا فى العربيةِ ، فلا أَسْتَجِيزُ القراءةَ به ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن القرأةِ علَى خلافِه . ولو كان قولُه : ﴿ فِئَةٌ ﴾ جاء نصبًا كان جائزًا أيضًا على قولِه : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِي فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ﴾ : مُخْتلِفتَين .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ .

اختلَفَت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأَتْه قرأةُ أهلِ المدينةِ : (تَرَوْنَهم) بالتاءِ[3] ، بمعنى : قد كان لكم أيُّها اليهودُ آيةٌ فى فئتَيْن الْتَقَتا ، فئةٌ تُقاتِلُ فى سبيلِ اللَّهِ والأخرى كافرةٌ ، تَرَوْن المشركين مِثْلَىِ المسلمين رأْىَ العينِ . يُرِيدُ بذلك عِظَتَهم ، يقولُ : إن لكم عِبْرةً أيُّها اليهودُ فيما رأيْتُم مِن قلةِ عددِ المسلمينَ وكثرةِ عددِ المشركينَ ، وظَفَرِ هؤلاء مع قلةِ عددِهم ، بهؤلاء مع كثرةِ عددِهم .

وقرَأ ذلك عامَّةُ قرأةِ الكوفةِ والبصرةِ وبعضُ المكِّيِّين : ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾ بالياءِ ، بمعْنى : يَرَى المسلمون الذين يُقاتِلون فى سبيلِ اللَّهِ الجماعةَ الكافرةَ مِثْلَىِ المسلمينَ فى القَدْرِ . فتأويلُ الآيةِ على قراءتِهم : قد كان لكم يا مَعشرَ اليهودِ عِبْرةٌ

---

(١) فى ص : « لأنه » .

(٢) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « يعنى » .

(٣) وهى قراءة نافع ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وابن عامر والكسائى وحمزة بالياء ، وحكى أبان عن عاصم بالتاء كالوجه الأول . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠١ .

ومُتَفَكَّرٌ فى فئتين / الْتَقَتا ، فئةٌ تُقاتِلُ فى سبيلِ اللَّهِ ، وأُخْرى كافرةٌ ، يَرَى هؤلاء ١٩٥/٣ المسلمونَ[(١)] مع قلةِ عددِهم هؤلاء المشركينَ[(٢)] فى كثرةِ عددِهم .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ تأويلِ قراءةِ مَن قرَأ ذلك بالياءِ ؟ وأىُّ الفئتَيْن رأَتْ صاحبتَها مثلَيْها ، الفئةُ المسلمةُ هى التى رأَتِ المشركةَ مثلَيْها ، أم المشركةُ هى التى رأَتِ المسلمةَ كذلك ، أم غيرُهما[(٣)] رأَتْ إحداهما كذلك ؟

قيل : **اختلَف أهلُ التأويلِ فى ذلك ؛ فقال بعضُهم** : الفئةُ التى رأَتِ الأُخْرى مثلَىْ أنفسِها [٣٨٩/١ظ] الفئةُ المسلمةُ ، رأَتْ عددَ الفئةِ المشركةِ مثلَىْ عددِ الفئةِ المسلمةِ ، قلَّلها اللَّهُ عزّ وجلّ فى أعينِها حتى رأَتْها مِثْلَىْ عددِ أنفسِها ، ثم قلَّلها فى حالٍ أُخْرى فرأَتْها[(٤)] مثلَ عددِ أنفسِها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا موسَى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ ، فى خبرٍ ذكَره عن مُرَّةَ الهَمْدانىِّ ، عن ابنِ مسعودٍ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ . قال : هذا يومُ بدرٍ . قال عبدُ اللَّهِ بنُ مسعودٍ : وقد نظَرْنا إلى المشركينَ ، فرأَيْناهم يُضْعِفون علينا ، ثم نظَرْنا إليهم فما رأَيْناهم يَزيدُون علينا رجلًا واحدًا ، وذلك قولُ اللَّهِ عزّ وجلّ : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣: «المسلمين».

(٢) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «المشركون».

(٣) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «غيرها».

(٤) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س: «رأتها».

﴿أَعْيُنِهِمْ﴾(١) [الأنفال : ٤٤] .

فمعْنى الآيةِ على هذا التأويلِ : قد كان لكم يا مَعشرَ اليهودِ آيةٌ فى فئتين التقَتا ؛ إحداهما مسلمةٌ والأُخرى كافرةٌ ، كثيرٌ عددُ الكافرةِ ، قليلٌ عددُ المسلمةِ ، تَرَى الفئةُ القليلُ عددُها الكثيرَ عددُها أمثالًا(٢) ، إنما(٣) تَكْثُرُها مِن العددِ بمِثْلٍ واحدٍ ، فهم يَرَوْنَهم مِثْلَيْهم . فيكونُ أحدُ المِثْلَيْن عندَ ذلك العددَ الذى هو مثلُ عددِ الفئةِ التى رأَتْهم ، والمثلُ الآخرُ الضِّعْفَ الزائدَ على عددِهم . فهذا أحدُ معْنيَي التَّقليلِ الذى أخْبَرَ اللَّهُ عزّ وجلّ المؤمنينَ أنه قلَّلهم فى أعينِهم .

والمعنى الآخرُ منه : التَّقليلُ الثانى على ما قاله ابنُ مسعودٍ ، وهو أن أراهم عددَ المشركين مثلَ عددِهم لا يَزِيدُون عليهم ، فذلك التقليلُ الثانى الذى قال اللَّهُ جلّ ثناؤُه : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ .

وقال آخَرون مِن أهلِ هذه المَقالةِ : إن الذين رأَوْا المشركين مثلى أنفسِهم هم المسلمون ، غيرَ أن المسلمين رَأَوْهم على ما كانوا به مِن عددِهم ، لم يُقلَّلوا فى أعينِهم ، ولكنَّ اللَّهَ أيَّدَهم بنصرِه . قالوا : ولذلك قال اللَّهُ عز وجل لليهودِ : قد كان لكم فيهم عِبْرةٌ . يُخَوِّفُهم بذلك أن يُحِلَّ بهم منهم مثلَ الذى أحَلَّ بأهلِ بدرٍ على أيْدِيهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمّى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٦ (٣٢٤٤) من طريق عمرو بن حماد به ، دون ذكر مرة الهمدانى .

(٢) بعده فى م : « لها » .

(٣) سقط من : م .

﴿ سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ ﴾ . أُنْزِلَت فى التَّخْفيفِ يومَ بدرٍ ، فإنَّ[1] المؤمنين كانوا يومَئذٍ ثلاثَمائةٍ وثلاثةَ عشَرَ رجلًا ، وكان المشركونَ مثلَيْهم ،/ فأنْزَل اللَّهُ عزّ وجلّ : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ وكان المشركون ستةً وعشرين وستَّمائةٍ ، فأيَّد اللَّهُ المؤمنين ، فكان هذا الذى فى التَّخْفيفِ على المؤمنين[2] . ١٩٦/٣

وهذه الروايةُ خِلافُ ما تَظاهَرَت به الأخبارُ عن عِدَّةِ المشركين يومَ بدرٍ ، وذلك أن الناسَ إنما اخْتَلَفوا فى عددِهم على وجهين ؛ **فقال بعضُهم** : كان عددُهم ألفًا . **وقال بعضُهم** : ما بينَ التسعِمائةِ إلى الألفِ .

ذكرُ مَن قال : كان عددُهم ألفًا

حدَّثنى هارونُ بنُ إسحاقَ الهَمْدانىُّ ، قال : ثنا مُصْعَبُ بنُ المِقْدامِ ، قال : ثنا إسرائيلُ ، قال : ثنا أبو إسحاقَ ، عن حارثةَ ، عن علىٍّ ، قال : سار رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى بدرٍ ، فسبَقْنا المشركين إليها ، فوجَدْنا فيها رَجُلين ، منهم رجلٌ مِن قريشٍ ، ومولًى لعُقْبةَ بنِ أبى مُعَيْطٍ ، فأما القرشىُّ فانْفَلَت ، وأما مولَى عُقْبةَ فأخَذْناه ، فجعَلْنا نَقولُ : كم القومُ ؟ فيقولُ : هم واللَّهِ كثيرٌ ، شديدٌ بأسُهم . فجعَل المسلمون إذا قال ذلك ضرَبوه[3] ، حتى انْتَهَوْا به إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فقال له : « كم القومُ ؟ » . فقال : هم واللَّهِ كثيرٌ ، شديدٌ بأسُهم . فجهَد النبىُّ ﷺ[4] أن يُخْبِرَه كم هم فأبَى ، ثم إن رسولَ اللَّهِ ﷺ سأَله : « كم يَنْحَرُون مِن الجُزُرِ ؟ » . قال : عشرةً كلَّ يومٍ . قال

---

(١) فى النسخ : « كأن » . وهو تصحيف . والمثبت هو الصواب .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٥) عن محمد بن سعد به مقتصرا على قوله : كان هذا فى التخفيف على المؤمنين .

(٣) فى النسخ : « صدقوه » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٤) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، ومصنف ابن أبى شيبة : « على » .

رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القومُ ألفٌ »[(١)] .

حدَّثني أبو سعيدِ بنُ[(٢)] يُوشَعَ البغداديُّ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، عن إسرائيلَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن أبي عُبيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : أسَرْنا رجلًا منهم - يعني مِن المشركين - يومَ بدرٍ ، فقلْنا : كم كنتم ؟ قال : ألفًا .

ذكرُ مَن قال : كان عددُهم ما بينَ التسعِمائةِ إلى الألفِ

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : ثنى يزيدُ بنُ رُومانَ ، عن عروةَ بنِ الزبيرِ ، قال : بَعث النبيُّ ﷺ نفرًا مِن أصحابِه إلى ماءِ بدرٍ يلْتَمِسون الخبرَ له عليه ، فأصابُوا رَاوِيةً مِن قريشٍ فيها أسْلَمُ غلامُ بني الحَجَّاجِ ، وعَرِيضٌ أبو يَسارٍ غلامُ بني العاصِ ، فأتَوْا بهما رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ لهما : « كمِ القومُ ؟ » . قالا : كثيرٌ . قال : « ما عِدَّتُهم ؟ » . قالا : لا نَدْرِي . قال : « كم يَنْحَرُون كلَّ يومٍ ؟ » . قالا : يومًا تسعًا ، ويومًا عشرًا . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القومُ ما بينَ التسعِمائةِ إلى الألفِ »[(٣)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَـٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ . ذلكم يومُ بدرٍ ، ألفُ المشركون [١/٣٩٠و] أو قارَبُوا ، وكان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثَمائةٍ وبضعةَ عشَرَ رجلًا[(٤)] .

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢/ ٤٢٤. وأخرجه أحمد ٢/٢٥٩ (٩٤٨) ، وابن أبى شيبة ١٤/ ٣٦٢، والبزار (٧١٩) من طرق عن إسرائيل به .

(٢) فى ت ١: « أن » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٦١٦ ، ٦١٧ ، أخرجه المصنف فى تاريخه ٢/ ٤٣٦، ٤٣٧ .

(٤) أخرجه المصنف فى تاريخه ٢/٤٣٣ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيَى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ ﴾ إلى قولِه : ﴿ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ . قال : يُضْعِفون عليهم ، فقتَلوا منهم سبعين وأسَروا سبعينَ يومَ بدرٍ [(١)] .

/ حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ . قال : كان ذلك يومَ بدرٍ ، كان المشركون تسعَمائةٍ وخمسين ، وكان أصحابُ محمدٍ ﷺ ثلاثَمائةٍ وثلاثةَ عشَرَ [(٢)] . ١٩٧/٣

حدَّثنى القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : كان أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ ثلاثَمائةٍ وبضعةَ عشَرَ ، والمشركون ما بينَ التسعِمائةِ إلى الألفِ .

فكلُّ هؤلاء الذين ذكَرْنا مُخالِفون القولَ الذى روَيْناه عن ابنِ عباسٍ فى عددِ المشركين يومَ بدرٍ . فإذ كان ما قاله مَن حكَيْناه - ممَّن ذكَر أن عددَهم كان زائدًا على التسعِمائةِ - فالتأويلُ الأولُ الذى قلْناه ، على الروايةِ التى روَيْنا عن ابنِ مسعودٍ ، أولَى بتأويلِ الآيةِ .

وقال آخرون : كان عددُ المشركين زائدًا على التسعِمائةِ ، فرأَى المسلمون عددَهم على غيرِ ما كانوا به مِن العددِ . وقالوا : أَرَى اللَّهُ المسلمين عددَ المشركين قليلًا ، آيةً للمسلمين . قالوا : وإنما عنَى اللَّهُ عزَّ وجلَّ بقولِه : ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ ﴾

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٦، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٠٦ (٣٢٤٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٠٥ (٣٢٣٨) من طريق ابن أبى جعفر به .

المخاطَبين بقولِه : ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ﴾ . قالوا : وهم اليهودُ ، غيرَ أنه رجَع مِن المخاطَبةِ إلى الخبرِ عن الغائبِ ؛ لأنه أمْرٌ مِن اللهِ جلّ ثناؤُه لنبيِّه ﷺ أن يَقولَ ذلك لهم ، فحَسُن أن يُخاطِبَ مَرَّةً ، ويُخْبِرَ عنهم على وجهِ الخبرِ مرةً[1] أخرى ، كما قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس : ٢٢] .

وقالوا : فإن قال لنا قائلٌ : فكيف قيل : ﴿ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ﴾ وقد علِمْتُم أن المشركينَ كانوا يومَئذٍ ثلاثةَ أمثالِ المسلمين ؟ . قلْنا لهم : كما يقولُ القائلُ وعندَه عبدٌ : أحْتاجَ إلى مثلِه . فأَنت[2] مُحتاجٌ إليه وإلى مثلِه . ثم يقولُ : أَحْتاجُ إلى مِثلَيْه . فيَكونُ ذلك خبرًا عن حاجتِه إلى مثلِه ، وإلى مثلَىْ ذلك المثلِ . وكما يقولُ الرجلُ : معى ألفٌ ، وأحْتاجُ إلى مثلَيْه . وهو مُحتاجٌ إلى ثلاثةٍ .. فلمَّا نوَى أن يَكونَ الألفُ داخلًا فى معْنى المثلِ ، صار المثلُ اثنين[3] ، والاثنان ثلاثةً . قال[4] : ومثلُه فى الكلامِ : أَراكم مثلَكم . (5كأنه قال : أراكم 5) ضِعْفَكم ، و : أَراكم مثلَيْكم . يعنى : أَراكم ضِعْفَيْكم[6] . قالوا : فهذا على معْنى ثلاثةِ أمثالِهم[7] .

وقال آخَرون : بل معنى ذلك أن اللهَ أَرَى الفئةَ الكافرةَ عددَ الفئةِ المسلمةِ مثلَىْ عددِهم .

---

(١) سقط من : س ، وفى ص : « عن عانه » غير منقوطة ، وفى ت ١، ت ٢، ت ٣: « عن غاية » .

(٢) فى م : « فأنا » .

(٣) فى النسخ : « أشرف » . والمثبت من معانى القرآن للفراء ١/ ١٩٤.

(٤) أى : الفراء ، وينظر الموضع السابق من معانى القرآن .

(٥ - ٥) فى النسخ : « كما يقال إن لكم » . والمثبت كما فى معانى القرآن .

(٦) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « ضعفكم » .

(٧) قال القرطبى فى تفسيره ٤/ ٢٧: وهو بعيد غير معروف فى اللغة ، قال الزجاج : وهذا باب الغلط ، فيه غلط فى جميع المقاييس ؛ لأنا إنما نعقل مثل الشىء مساويا له ، ونعقل مثليه ما يساويه مرتين .

وهذا أيضًا خلافُ ما دلَّ عليه ظاهرُ التنزيلِ ؛ لأن اللَّهَ جل ثناؤُه قال فى كتابِه : ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ﴾ [الأنفال : ٤٤] . فأخبَرَ أن كُلًّا مِن[1] الطائفتَيْنِ قليلٌ عددُها فى مرأَى الأُخرى .

وقرَأ آخَرون ذلك : (تُرَوْنَهم) بضمِّ التاءِ ، بمعنى : يُرِيكُموهم اللَّهُ مثلَيْهم[2] .

وأَوْلَى هذه القراءاتِ بالصوابِ قراءةُ مَن قرَأ : ﴿يَرَوْنَهُم﴾ بالياءِ ، بمعنى : وأخرى كافرةٌ ، يَرَاهم المسلمون مثلَيْهم ، يعنى : مِثْلَى عددِ المسلمين ؛ لتقليلِ اللَّهِ إياهم فى أعينِهم فى حالٍ ، فكان حَزْرُهم إياهم / كذلك ، ثم قلَّلَهم فى أعينِهم عن التَّقْليلِ الأولِ ، فحزَرُوهم مثْلَ[3] عددِ المسلمين ، ثم تَقْليلًا ثالثًا ، فحزَرُوهم أقلَّ مِن عددِ المسلمين .

١٩٨/٣

كما **حدَّثنى** [4]ابنُ بَزِيعٍ[4] البغداديُّ ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ منصورٍ ، عن إسرائيلَ ، عن أبى إسحاقَ ، عن أبى عُبيدةَ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : لقد قُلِّلوا فى أعينِنا يومَ بدرٍ حتى قلْتُ لرجلٍ إلى جَنْبى : تَرَاهم سبعين ؟ قال : أَرَاهم مائةً . قال : فأَسَرْنا رجلًا منهم ، فقلْنا : كم كنتم ؟ قال : ألفًا[5] .

وقد رُوِى عن قتادةَ أنه كان يقولُ : لو كانَت (تَرَوْنَهم) ، لكانت « مِثْلَيْكم » .

---

(١) سقط من : ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ .

(٢) فى ص ، س : « مثلهم » ، وفى ت ٢ : « مثليكم » . وبضم التاء قراءة ابن عباس وطلحة . ينظر المحتسب ١/ ١٥٤، والبحر المحيط ٣٩٤/٢ .

(٣) فى النسخ : « مثلى » . والمثبت هو الصواب .

(٤ - ٤) فى النسخ : « أبو سعيد » . وسيأتى على الصواب فى تفسير الآية (٤٤) من سورة الأنفال ، ٦٦/٢٦، ٤٩/٢٧ من المطبوع .

(٥) أخرجه البيهقى فى الدلائل ٦٧/٣ من طريق إسحاق بن منصور به ، وابن سعد فى الطبقات ٢٢/٢ ، وابن أبى شيبة ٣٧٤/١٤ من طريق إسرائيل به ، وعند ابن سعد ببعضه ، وأخرجه أيضًا ابن سعد ٢١/٢ من طريق أبى إسحاق به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٨٩/٣ إلى أبى الشيخ وابن مردويه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنى عبدُ الرحمنِ بنُ أبي حمادٍ ، عن ابنِ المباركِ[(١)] ، عن معمرٍ ، عن قتادةَ بذلك .

ففى الخبرَيْن اللذين روَيْنا عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، ما أبان عن اختلافِ حَزْرِ المسلمين يومَئذٍ عددَ المشركين في الأوقاتِ المختلفةِ ، فأخْبَرَ اللَّهُ عز وجل - عمّا كان مِن اختلافِ أحوالِ عددِهم عندَ[(٢)] المسلمين - اليهودَ على ما كان به عندَهم ، مع علمِ اليهودِ بمبلغِ عددِ الفئتين ، إعلامًا منه لهم أنه مُؤَيِّدُ[(٣)] المؤمنين بنصرِه ؛ لئلا يَغْتَرُّوا بعددِهم[(٤)] وبأسِهم ، وليَحْذَروا منه أن يُحِلَّ بهم مِن العقوبةِ على أيدِى المؤمنين ، مثلَ الذى أحَلَّ بأهلِ الشركِ به مِن قريشٍ على أيدِيهم ببدرِهم[(٥)] .

وأما قولُه : ﴿ رَأْيَ ٱلْعَيْنِ ﴾ . فإنه مَصْدرُ « رأيتُه » ، يُقالُ : رأيْتُه رأْيًا ورُؤْيةً ، ورأيتُ فى المنامِ رُؤْيَا حسنةً . غيرَ مُجرْاةٍ ، يقالُ : هو منى رَأْيَ العينِ ، ورأْيُ العينِ ، بالنصبِ والرفعِ ، يُرادُ به[(٦)] : حيثُ يَقَعُ عليه بَصَرِى ، وهو مِن الرائى مثلُه ، والقومُ رِئاءٌ[(٧)] : إذا جلَسوا حيث يَرَى بعضُهم بعضًا .

فمعنى ذلك : يرَوْنَهم - حيثُ تَلْحَقُهم أبصارُهم وتَراهم عيونُهم - مثلَيْهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُۚ إِنَّ [١/٣٩٠ظ] فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿١٣﴾ ﴾ .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المسرك » ، وفى م : « المعرك » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « عرم » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « عزم » ، وفى س : « عدد » .

(٣) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يؤيد » .

(٤) فى ت ١ ، س : « بعدوهم » .

(٥) فى س : « بعدوهم » .

(٦) سقط من : ص ، م ، ت٢ ، ت٣ .

(٧) سقط من : ت ١ ، س ، وفى م : « رأوا » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « رأى » .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ ﴾ : يقوِّى ، ﴿ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ﴾ مِن قولِ القائلِ : قد أيَّدْتُ فلانًا بكذا . إذا قوَّيْتَه وأعَنْتَه ، فأنا أُؤَيِّدُه تأْييدًا . وفَعَلْتُ منه : إدْتُه ، فأنا أَئِيدُه أيْدًا . ومنه قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ﴾ [ص : ١٧] يعنى : ذا القوةِ .

وتأويلُ الكلامِ : قد كان لكم آيةٌ – يا مَعْشَرَ اليهودِ ، فى فئتين الْتَقَتا ؛ إحداهما تُقاتِلُ فى سبيلِ اللَّهِ ، وأخرى كافرةٌ ، تَراهم المسلمةُ مثلَيْهم رأىَ أعينِهم ، فأيَّدْنا المسلمةَ وهم قليلٌ عددُهم ، على الكافرةِ وهم كثيرٌ عددُهم ، حتى ظَفِروا بهم – مُعْتَبَرٌ ومُتَفَكَّرٌ[(١)] ، واللَّهُ يُقَوِّى بنصرِه مَن يَشاءُ .

وقال جل ثناؤُه : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ ﴾ . يعنى : إن فيما فعَلْنا بهؤلاء الذين وصَفْنا أمرَهم ، مِن تأييدِنا الفئةَ المسلمةَ مع قلةِ عددِها ، على الفئةِ الكافرةِ مع كثرةِ عددِها ، ﴿ لَعِبْرَةً ﴾ يعنى : لمُتَفكَّرًا ومُتَّعظًا لمن عقَل وادَّكَر فأبْصَر الحقَّ .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ . يقولُ : لقد كان لهم فى هؤلاء عبرةٌ وتفكُّرٌ ، أيَّدهم[(٢)] اللَّهُ ونصَرهم على عدوِّهم .

/حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[(٣)] . ١٩٩/٣

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ ﴾ .

---

(١) هذا تفسير قوله : « آية » المتقدم فى أول كلامه .

(٢) فى س : « فعزهم » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

يعنى تعالى ذكرُه : (١) زُيِّن للناسِ (١) مَحَبةُ ما يَشْتَهُون مِن النساءِ والبَنِينَ وسائرِ ما عَدَّ . وإنما أراد بذلك تَوْبيخَ اليهودِ الذين آثَرُوا الدنيا وحُبَّ الرِّياسةِ فيها ، على اتِّباعِ محمدٍ ﷺ ، بعدَ علمِهم بصدقِه .

وكان الحسنُ يقولُ : مَن زَيَّنها ؟ ما أحدٌ أشدُّ لها ذَمًّا مِن خالقِها .

حدَّثنى بذلك أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعَيمٍ ، قال : ثنا أبو الأَشْهَبِ [٢] عنه [٣] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن أبى بكرِ بنِ حفصِ بنِ [٤] عمرَ ابنِ سعدٍ ، قال : قال عمرُ : لما نزَلت ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ ﴾ ، قلتُ : الآن يا ربِّ حينَ زيَّنتَها لنا . فنزَلَت : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ الآية [٥] .

وأما القَناطيرُ فإنها جمعُ القِنْطارِ .

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى مَبلَغِ القِنْطارِ ؛ فقال بعضُهم : هو ألفٌ ومائتا أُوقِيَّةٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى حَصِينٍ ، عن سالمِ بنِ أبى الجَعْدِ ، عن مُعاذِ بنِ جبلٍ ، قال : القِنطارُ ألفٌ ومائتا أُوقِيَّةٍ [٦] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا أبو بكرِ بنُ عَيَّاشٍ ، قال : ثنا أبو حَصِينٍ ، عن سالمِ

(١ - ١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ومن الناس » .

(٢) فى النسخ : « الأشعث » . والمثبت من مصدر التخريج ، وينظر تهذيب الكمال ٢٢/٥ - ٢٥ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٧/٢ (٣٢٤٩) من طريق أبى نعيم به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٠/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) فى س : « عن » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٦/٢ (٣٢٤٧) من طريق جرير به .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

ابنِ أبي الجَعْدِ ، عن معاذٍ مثلَه[١] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرَنا ، يعني حفصَ بنَ مَيْسَرةَ ، عن أبي مَرْوانَ ، عن أبي طَيْبةَ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : القِنْطارُ ألفٌ ومائتا أُوقيةٍ[٢] .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا القاسمُ بنُ مالكٍ المُزَنيُّ ، قال : أخبَرَني العَلاءُ بنُ المسيبِ ، عن عاصمِ بنِ أبي النَّجُودِ ، قال : القِنْطارُ ألفٌ ومائتا أُوقيةٍ[٣] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهْديٍّ ، قال : ثنا حمادُ بنُ زيدٍ ، عن عاصمِ بنِ بَهْدَلَةَ ، عن أبي صالحٍ ، عن أبي هريرةَ مثلَه[٤] .

حدَّثني زكريا بنُ يحيى الضَّريرُ[٥] ، قال : ثنا شَبَابةُ ، قال : ثنا مَخْلَدُ بنُ عبدِ الواحدِ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن عطاءِ بنِ أبي مَيْمونةَ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيْشٍ ، عن أُبيِّ بنِ كعبٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القِنْطارُ ألفُ أُوقيةٍ ومائتا أُوقِيةٍ »[٦] .

وقال آخرون : القِنْطارُ ألفُ دينارٍ ومائتا دينارٍ .

/ذكرُ مَن قال ذلك

٢٠٠/٣

حدَّثنا عِمْرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا يونُسُ ، عن الحسنِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « القِنْطارُ ألفٌ ومائتا دينارٍ »[٧] .

---

(١) أخرجه الدارمي ٢/ ٤٦٨، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٠٨، ٣/ ٩٠٦ (٣٢٥٤، ٥٠٥٥) ، والبيهقي ٧/ ٢٣٣، من طريق أبي بكر بن عياش به .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١١ إلى المصنف .

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٣٥٢.

(٤) أخرجه البيهقي ٧/ ٢٣٣ من طريق حماد بن زيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١١ إلى عبد بن حميد .

(٥) في النسخ : « الصديق » . وينظر تاريخ بغداد ٨/ ٤٥٧ ، وتفسير ابن كثير ٢/ ١٥ .

(٦) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٥ عن المصنف ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١٠ إلى المصنف .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١٠ إلى المصنف .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا يونُسُ ، عن الحسنِ ، قال : القِنْطارُ ألفٌ ومائتا دينارٍ[١] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : حدَّثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : القِنْطارُ ألفٌ ومائتا دينارٍ ، ومِن الفضةِ ألفٌ ومائتا مِثْقالٍ[٢] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ ، قال : أخْبَرَنا عُبيدُ بنُ سُلَيْمانَ ، قال : سمِعْتُ الضَّحاكَ بنَ مُزاحِمٍ يقولُ : ﴿ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ : يعنى المالَ الكثيرَ مِن الذهبِ والفضةِ ، والقِنْطارُ ألفٌ ومائتا دينارٍ ، ومِن الفِضةِ ألفٌ ومائتا مِثْقالٍ[٣] .

وقال آخرون : القِنْطارُ اثنا عشَرَ ألفَ درهمٍ ، أو ألفُ دينارٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني عليُّ بنُ داودَ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثني مُعاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : القنطارُ اثنا عشَرَ ألفَ درهمٍ ، أو ألفُ دينارٍ[٤] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عَوْنٍ ، قال : أخْبَرَنا هُشَيْمٌ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحاكِ ، قال : القِنْطارُ ألفُ دينارٍ ، ومِن الوَرِقِ اثنا عشَرَ ألفَ درهمٍ[٥] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٠٩، ٣/ ٩٠٧ (٣٢٦٣ ، ٥٠٥٩) من طريق يزيد به .

(٢) ذكره البيهقى ٧/ ٢٣٣ عن عطية العوفى معلقا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١١ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١١ إلى المصنف .

(٤) أخرجه البيهقى ٧/ ٢٣٣ من طريق أبى صالح به .

(٥) ذكره فى المحرر الوجيز ٢/ ٣٥٣ عن الضحاك .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، [١/٣٩١و] أن القِنطارَ اثنا عشَرَ ألفًا[1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : أخبَرَنا عوفٌ ، عن الحسنِ : القِنْطارُ اثنا عشَرَ ألفًا .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا[2] عوفٌ ، عن الحسنِ : اثنا عشَرَ ألفًا .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ بمثلِه .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبَرَنا هُشَيمٌ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ ، قال : القِنْطارُ ألفُ دينارٍ ، دِيَةُ أحدِكم[3] .

وقال آخرون : هو ثمانون ألفًا مِن الدَّراهمِ ، أو مائةُ رَطْلٍ مِن الذهبِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ومحمدُ بنُ المُثَنَّى ، قالا : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، عن سليمانَ التَّيْمِيِّ ، عن قتادةَ ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ ، قال : القِنْطارُ ثمانون ألفًا[3] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبَرَنا هُشَيْمٌ ، عن عليِّ بنِ زيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيبِ ، قال : القِنْطارُ ثمانون ألفًا[4] .

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٠٩، ٣/ ٩٠٧ عقب الأثر (٣٢٦٠، ٥٠٦١) معلقًا .

(٢) بعده في ص ، ت ٢، ت ٣: « قال أخبرنا » . وهنا سقط في هذا الإسناد ، وشيخ ابن بشار في مثل هذا الإسناد إما أن يكون حماد بن مسعدة ، أو ابن أبي عدى ، أو يحيى بن سعيد ، أو هوذة ، أو محمد بن جعفر ، أو عبد الأعلى ، أو عثمان بن عمر . ينظر ١/ ٥٩، ٢٢٦ ، ٤٥٥ ، ٢/ ٥٢١ ، ٤/ ٣٠١ ، ٤١٥ ، ١٥/ ٢٦٤.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٠٨، ٣/ ٩٠٦ (٣٢٥٧، ٥٠٥٦) من طريق يحيى بن سعيد به . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١١ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه الدارمي ٢/ ٤٦٧ من طريق هشيم ، بلفظ : أربعون ألفا .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ ، قال : كنا نُحَدَّثُ أن القِنْطارَ مائةُ رَطْلٍ مِن ذهبٍ ، أو ثمانون ألفًا مِن الوَرِقِ[(١)] .

٢٠١/٣ /**حدَّثنا** الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ ، قال : القِنْطارُ مائةُ رَطْلٍ مِن ذهبٍ ، أو ثمانون ألفَ درهمٍ مِن وَرِقٍ[(٢)] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن إسماعيلَ ، عن أبى صالحٍ ، قال : القنطارُ مائةُ رَطْلٍ[(٣)] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : القِنْطارُ يَكونُ مائةَ رَطْلٍ ، وهو ثمانيةُ آلافِ مِثْقالٍ[(٤)] .

وقال آخرون : القِنْطارُ سبعون ألفًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ . قال : القِنْطارُ سبعون ألفَ دينارٍ[(٥)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٣.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٠٨، ٣/ ٩٠٧ (٣٢٥٨ ، ٥٠٦٠) من طريق سفيان به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٠٨، ٣/ ٩٠٧، عقب الأثر (٣٢٥٨، ٥٠٦٠) من طريق عمرو به .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢٤٩، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٠٩/٢ (٣٢٦٢) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا عمرُ بنُ حَوْشَبٍ ، قال : سمِعْتُ عطاءَ الخُراسانيَّ ، قال : سُئِل ابنُ عمرَ عن القِنْطارِ ، فقال : سبعون ألفًا[١] .

وقال آخرون : هى مِلءُ مَسْكِ[٢] ثَوْرٍ ذهبًا .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا سالمُ بنُ نوحٍ ، قال : ثنا سعيدٌ الجُرَيْرىُّ ، عن أبى نَضْرةَ ، قال : ملءُ مَسْكِ ثَوْرٍ ذهبًا[٣] .

حدَّثنى أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا أبو الأَشْهَبِ[٤] ، عن أبى نَضْرةَ : مِلءُ مَسْكِ ثَوْرٍ ذهبًا[٥] .

وقال آخرون : هو المالُ الكثيرُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ ، قال : القناطيرُ المُقَنطرَةُ المالُ الكثيرُ بعضُه على بعضٍ[٦] .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٣. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٠٩، ٣/٩٠٧ (٣٢٦١، ٥٠٥٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) المَسْك : الجلد . اللسان (م س ك) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٠٨، ٣/٩٠٦ (٣٢٥٩، ٥٠٥٧) ، والبيهقى ٧/٢٣٣ من طريق الجريرى ، عن أبى نضرة ، عن أبى سعيد الخدرى .

(٤) فى النسخ : « الأشعث » . وينظر ما تقدم فى ص ٢٥٤.

(٥) أخرجه الدارمى ٢/٤٦٧ من طريق أبى الأشهب به .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/١١ إلى المصنف .

وقد ذكَر بعضُ أهلِ العلمِ بكلامِ العربِ[(١)] أن العربَ لا تَحُدُّ القِنْطارَ بمقدارٍ معلومٍ مِن الوزنِ ، ولكنها تقولُ : هو قدرُ وزنٍ[(٢)] .

وقد يَنْبَغِى أن يَكونَ ذلك كذلك ؛ لأن ذلك لو كان مَحْدودًا قدْرُه عندَها ، لم يكنْ بينَ مُتَقَدِّمى أهلِ التأويلِ فيه كلُّ هذا الاخْتِلافِ .

فالصوابُ فى ذلك أن يُقالَ : هو المالُ الكثيرُ . كما قال الربيعُ بنُ أنسٍ ، ولا يُحَدُّ قدْرُ وزنِه بحَدٍّ على / تَعَنُّفٍ[(٣)] ، وقد قيل ما قيل مما روَيْنا . ٢٠٢/٣

وأمَّا المُقَنْطَرةُ فهى المُضَعَّفةُ ، وكأن القناطيرَ ثلاثةٌ ، والمُقَنْطرةَ تسعةٌ . وهو كما قال الربيعُ بنُ أنسٍ : المالُ الكثيرُ بعضُه على بعضٍ .

كما **حدَّثنا** بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ﴾ : والمقنطرةُ : المالُ الكثيرُ بعضُه على بعضٍ .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعْتُ أبا مُعاذٍ ، قال : أخْبَرَنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعْتُ الضَّحاكَ فى قولِه : ﴿وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ﴾ : يعنى المالَ الكثيرَ مِن الذهبِ والفضةِ[(٤)] .

وقال آخَرون : معنَى المقنطرةِ : المَضْروبةُ دَراهمَ أو دَنانيرَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أَسْباطُ ، عن السديِّ : أما قولُه :

---

(١) يعنى أبا عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ٨٨.

(٢) فى م : « ووزن » .

(٣) كذا فى النسخ ، ولعلها : « تعسف » .

(٤) تقدم فى ص ٢٥٦ .

﴿ ٱلْمُقَنطَرَةِ ﴾ فيقولُ : المَضْروبةُ حتى صارت دَنانيرَ أو دراهمَ[(1)] .

وقد رُوِى عن النبيِّ ﷺ فى قولِه : ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾ [النساء : ٢٠] ، خبرٌ لو صحَّ سندُه لم نَعْدُه إلى غيرِه ، وذلك ما حدَّثنا به ابنُ[(2)] عبدِ الرحيم[(2)] البَرْقيُّ ، قال : ثنى عمرُو بنُ أبى سَلَمةَ ، قال : ثنا زُهَيرُ بنُ محمدٍ ، قال : ثنى أبانُ بنُ أبى عَيَّاشٍ وحُمَيدٌ الطويلُ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن رسولِ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا ﴾ . قال : « ألفا مِئِينَ[(3)] » . يعنى ألفين[(4)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى معنَى : ﴿ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : هى الرَّاعيةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن حَبيبِ بنِ أبى ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ : ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قال : الراعيةُ التى تَرْعَى[(5)] .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : [١/٣٩١ظ] ثنا سفيانُ ، عن حَبيبٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ مثلَه .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٠٩ (٣٢٦٥) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) فى النسخ : « عبد الرحمن » . والمثبت كما تقدم فى ١/ ٦٣، وتفسير ابن أبى حاتم .

(٣) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « ومين » ، وفى الموضع الأول من تفسير ابن أبى حاتم : « ألف دينار » ، وفى الموضع الثانى : « ألفا دينار » ، وفى المستدرك : « ألفا أوقية » . وفى الدر المنثور : « ومائتين » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٠٨، ٣/٩٠٦ (٣٢٥٦، ٥٠٥٣) عن أحمد بن عبد الرحيم به ، والحاكم ٢/١٧٨ من طريق عمرو بن أبى سلمة به .

(٥) تفسير سفيان ص ٧٥. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦١٠ (٣٢٦٩) من طريق وكيع وأبى نعيم به .

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا أبو نُعَيْمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن حَبيبٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ مثلَه .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا سفيانُ ، عن حَبيبِ بنِ أبي ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ : هي الراعيةُ ، يعني السائمةَ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن طلحةَ القَنَّادِ ، قال : سمِعْتُ عبدَ اللَّهِ بنَ عبدِ الرحمنِ بنِ أَبْزَى يقولُ : الراعيةُ[(٢)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قال : الراعيةُ[(٣)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ ، عن الحسنِ : ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ : المُسَرَّحةُ في الرَّعْيِ .

٢٠٣/٣ /حُدِّثْتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قوله : ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قال : الخيلُ الراعيةُ[(٤)] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن ليثٍ ، عن مُجاهدٍ أنه كان يقولُ : الخيلُ الراعيةُ .

وقال آخرون : المُسَوَّمةُ الحِسانُ .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٧.

(٢) ينظر تغليق التعليق ٤/ ١٨٨، وذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٠١ عقب الأثر (٣٢٦٩) عن عبد الله ابن عبد الرحمن بن أبزى معلقا .

(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره ٢/ ١٦ عن المصنف . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ١١ إلى المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦١٠ عقب الأثر (٣٢٦٩) من طريق ابن أبي جعفر به .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشَّارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن حَبيبٍ ، قال : قال مُجاهدٌ : المسومةُ المُطَهَّمةُ[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا الثوريُّ ، عن حَبيبِ بنِ أبي ثابتٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قال : المُطَهَّمةُ الحِسانُ[2] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ في قولِه : ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قال : المُطَهَّمةُ حُسْنًا[3] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ مثلَه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن حَبيبٍ ، عن مُجاهدٍ : المُطَهَّمةُ[4] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا أبو عبدِ الرحمنِ المُقْرِئُ ، قال : ثنا سعيدُ بنُ أبي أيوبَ ، عن بَشيرِ[5] بنِ أبي عمرٍو الخَوْلانيِّ ، قال : سألْتُ عكرمةَ عن ﴿وَٱلْخَيْلِ

---

(١) المطهم من الناس والخيل : الحسن التام ، كل شيء منه على حدته ، فهو بارع الجمال . اللسان (ط هـ م) .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٧.

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٤٩. ومن طريقه أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦١٠ (٣٢٧٠) .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦١٠ (٣٢٧١) من طريق أبي نعيم ووكيع به .

(٥) في النسخ : « بشر » . والصواب ما أثبتنا ، وينظر تهذيب الكمال ٤/ ١٧١.

﴿ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ . قال : تَسويمُها حُسْنُها[(١)] .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخْبَرَني سعيدُ بنُ أبي أيوبَ ، عن بَشيرِ[(٢)] بنِ أبي عمرٍو الخَوْلانيِّ ، قال : سمِعْتُ عكرمةَ يقولُ : ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ . قال : تسويمُها الحُسْنُ .

حدَّثني موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ : الرائعةُ .

وقد حدَّثني بهذا الحديثِ عن عمرِو بنِ حمادٍ غيرُ موسى ، قال : الراعيةُ[(٣)] .

وقال آخرون : الخيلُ المسوَّمةُ : المُعْلَمةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني عليُّ بنُ داودَ ، قال : ثنا أبو صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ ، يعني : المُعْلَمةَ[(٤)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ ، وسِيماها شِيَتُها .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمرٌ ، عن قَتادةَ في قولِه : ﴿وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ﴾ . قال : شِيَةُ الخيلِ في وُجوهِها[(٥)] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف ، وعبد بن حميد .

(٢) في النسخ : « بشر » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١٠/٢ عقب الأثر (٣٢٦٩) من طريق عمرو به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ١١/٢ إلى المصنف .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١١٧/١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦١١/٢ (٣٢٧٢) عن الحسن بن يحيى به .

وقال غيرُهم : المسوَّمةُ المُعَدَّةُ للجهادِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ . قال : المُعَدَّةُ للجهادِ .

قال أبو جعفرٍ : أوْلَى هذه الأقوالِ بالصوابِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ ﴾ المُعْلَمةُ بالشِّياتِ الحسانِ الرائعةُ حُسْنًا مَن رآها ؛ لأن التسويمَ فى كلامِ العربِ هو الإعلامُ ، فالخيلُ الحِسانُ مُعلَمةٌ بإعلامِ اللهِ إياها بالحسنِ مِن ألوانِها وشِيَاتِها وهيئاتِها ، وهى المُطَهَّمةُ أيضًا . ومِن ذلك قولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ فى صفةِ الخيلِ[(١)] :

وضُمْرٍ[(٢)] كالقِداحِ[(٣)] مُسوَّماتٍ عليها مَعْشَرٌ أَشْباهُ جِنٍّ[(٢)]

يعنى بالمسوَّماتِ : المُعْلَماتِ . وقولُ لَبيدٍ[(٤)] :

وغَداةَ قاعِ القُرْنَتَين[(٥)] أَتَيْتَهم[(٦)] زُجَلًا[(٧)] يَلُوحُ خِلالَها التَّسْويمُ

فمعنى تأويلِ مَن تأوَّل ذلك المُطَهَّمةَ ، والمُعْلمةَ ، والرائعةَ ، واحدٌ .

---

(١) ديوانه ص ١٢٨.

(٢ - ٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « بسمر » ، وفى س : « شيم » . والمثبت من الديوان .

(٣) القداح ، جمع قِدْح : السهم قبل أن يراش وينصل . القاموس المحيط (ق د ح) .

(٤) شرح ديوان لبيد ص ١٣٣.

(٥) قال فى شرح الديوان : القرنتين موضع . وقال ياقوت : يوم القرنتين كانت فيه وقعة لغطفان على بنى عامر . معجم البلدان ٤/ ٧٠. ولكن لبيدا يفخر به ، فلعله كان لبنى عامر .

(٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « أتيتهم » ، وفى رواية الديوان : « أتتهم » .

(٧) فى الديوان : « زهوا » . وزُجَلًا : جماعات . اللسان (ز ج ل) .

وأما قولُ مَن تأوَّله بمعنى الراعيةِ ، فإنه ذهَب إلى قولِ القائلِ : أَسَمْتُ الماشيةَ ، فأنا أُسِيمُها إسامةً . إذا أرْعَيْتَها الكَلأَ والعُشْبَ ، كما قال اللَّهُ عز وجل : ﴿ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل : ١٠] . بمعنى تُرْعُون . ومنه قولُ الأخطلِ[1] :

مثلِ [2]ابنِ بَزْعةَ[2] أو كآخَرَ مِثْلِه   أَوْلَى لك[3] ابنَ مُسِيمةِ الأجْمالِ

يعنى بذلك : راعيةَ الأجْمالِ .

فإذا أُرِيد أن الماشيةَ هى التى رعَتْ ، قيل : سامَتِ الماشيةُ تَسومُ سَوْمًا . ولذلك قيل : إبلٌ سائمةٌ . بمعنى : راعية ، [4]غيرَ أنه غيرُ[4] مُسْتَفيضٍ فى كلامِهم : سوَّمْتُ الماشيةَ . بمعنى : أرْعَيْتُها ، وإنما يُقالُ إذا أُرِيد ذلك : أَسَمْتُها . فإذ كان ذلك كذلك ، فتوجيهُ تأويلِ المسوَّمةِ إلى أنها المُعْلَمةُ بما وصَفْنا مِن المعانى التى تقَدَّم ذكرُناها أصَحُّ .

وأما الذى قاله ابنُ زيدٍ مِن أنها المُعَدَّةُ فى سبيلِ اللَّهِ ، فتأويلٌ مِن معنى المسوَّمةِ [٣٩٢/١و] بمَعْزِلٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ﴾ .

٢٠٥/٣ / فالأنْعامُ جمعُ نَعَمٍ ، وهى الأزْواجُ الثَّمانيةُ التى ذكَرها فى كتابِه[5] ، مِن الضَّأْنِ والمَعْزِ والبقرِ والإبلِ . وأمَّا الحَرْثُ فهو الزَّرْعُ .

وتأويلُ الكلامِ : زُيِّن للناسِ حبُّ الشَّهواتِ مِن النساءِ ، ومِن البنينَ ، ومِن كذا

---

(١) شرح ديوانه ص ٢٤٩.

(٢ - ٢) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « ابن برعة » ، وفى س : « أبى برعة » .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤ - ٤) سقط من : ت ٢ ، ت ٣ ، س ، وفى م ، ت ١ : « أنه » .

(٥) يشير إلى الآيات ١٤٢ - ١٤٤ من سورة « الأنعام » .

و[(١)] كذا ، ومِن الأنعامِ والحَرْثِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ جميعَ ما ذَكَر فى هذه الآيةِ مِن النساءِ والبنينَ ، والقَناطيرِ المقنطرةِ مِن الذهبِ والفضةِ ، والخيلِ المسوَّمةِ ، والأنعامِ والحرثِ ، فكنَى بقولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ عن جميعِهن ، وهذا يَدُلُّ على أن « ذلك » يَشْتَمِلُ على الأشياءِ الكثيرةِ المختلفةِ المعانى ، ويُكْنَى به عن جميعِ ذلك .

وأما قولُه : ﴿ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . فإنه خبرٌ مِن اللَّهِ عن أن ذلك كلَّه مما يَسْتَمْتِعُ به فى الدنيا أهلُها أحْياءً ، فيَتَبَلَّغون به فيها ، ويَجْعَلونه وُصْلةً[(٢)] فى معايِشِهم ، وسببًا لقَضاءِ شَهواتِهم ، التى زُيِّن لهم حبُّها[(٣)] فى عاجلِ دنياهم ، دونَ أن يَكونَ عُدَّةً لمَعادِهم ، وقُرْبةً لهم إلى ربِّهم ، إلا ما أُسْلِك فى سبيلِه ، وأُنْفِق منه فيما أمرَ به .

وأما قولُه : ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ . فإنه يعنى بذلك جل ثناؤُه : وعندَ اللَّهِ حُسْنُ المآبِ ، يعنى : حسنُ المَرْجِعِ .

كما **حدَّثنى** موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أَسْباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ . يقولُ : حسنُ المُنْقَلبِ ، وهى الجنةُ[(٤)] .

وهو مصدرٌ على مثالِ مَفْعَلٍ ، مِن قولِ القائلِ : آبَ الرجلُ إلينا ، إذا رجَع ، فهو يَئُوبُ إيابًا وأَوْبةً وأَيْبةً ومَآبًا . غيرَ أن موضعَ الفاءِ منها مَهْموزٌ ، والعينُ مُبْدَلةٌ مِن الواوِ

---

(١) بعده فى م ، ت ١ ، س : « من » .

(٢) الوُصْلةُ : الذريعة . اللسان (و ص ل) .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « حملها » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦١٢ (٣٢٧٨) من طريق عمرو بن حماد به .

إلى[(١)] الألفِ بحركتِها[(٢)] إلى الفتحِ ، فلما كان حظُّها الحركةَ إلى الفتحِ ، وكانت حركتُها مَنْقولةً إلى الحرفِ الذى قبلَها - وهو فاءُ الفعلِ - انْقَلَبت فصارَت ألفًا ، كما قيل : قال . فصارَت عينُ الفعلِ ألفًا ؛ لأن حظَّها الفتحُ . والمآبُ مثلُ المَقالِ والمَعادِ والمَحالِ ، كلُّ ذلك مَفْعَلٌ ، مَنْقولةٌ حركةُ عينِه إلى فائِه ، فَمُصَيَّرةٌ[(٣)] واوُه أو ياؤُه ألفًا ؛ لفتحةِ ما قبلَها .

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ وقد علِمْتَ ما عندَه يومَئذٍ مِن أليمِ العذابِ وشديدِ العقابِ ؟

قيل : إن ذلك معنىٌّ به خاصٌّ مِن الناسِ ، ومعنى[(٤)] ذلك : واللَّهُ عندَه حسنُ المآبِ للذين اتَّقَوْا ربَّهم ، وقد أنْبأْنا عن ذلك فى هذه الآيةِ التى تَلِيها .

فإن قال : وما حسنُ المآبِ ؟ قيل : هو[(٥)] ما وصَفه به جل ثناؤُه ، وهو المَرْجِعُ إلى جناتٍ تَجْرِى مِن تحتِها الأنهارُ ، مُخَلَّدًا فيها ، وإلى أزواجٍ مُطَهَّرةٍ ، ورِضْوانٍ مِن اللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿١٥﴾ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه : قلْ يا محمدُ للناسِ الذين زُيِّن لهم حبُّ الشَّهواتِ مِن النساءِ

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « التى » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « تحركها » .

(٣) فى م : « فتصير » ، وفى س : « فصيرت » .

(٤) فى ت ١ ، س : « يعنى » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « يقى » ، وغير منقوطة فى ص .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « و » .

٢٠٦/٢

والبنينَ ، وسائرِ ما ذكَر ربُّنا / جل ثناؤه : ﴿ أَؤُنَبِّئُكُم ﴾ : أَأُخْبِرُكم وأُعْلِمُكم ، ﴿ بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ يعنى : بخيرٍ وأفضلَ لكم ، ﴿ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ يعنى : مما زُيِّن لكم فى الدنيا حُبُّ شهوتِه مِن النساءِ والبنينَ والقناطيرِ المقنطرةِ مِن الذهبِ والفضةِ ، وأنواعِ الأموالِ ، التى هى مَتاعُ الدنيا .

ثم اخْتَلَف أهلُ العربيةِ فى المَوضعِ الذى تَناهَى إليه الاستفهامُ مِن هذا الكلامِ ؛ فقال بعضُهم : تَناهَى ذلك عندَ قولِه : ﴿ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ ثم ابتدأ الخبرَ عما للذين اتَّقوا عند ربِّهم ، فقيل : ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ فلذلك رفَع الجناتِ .

ومَن قال هذا القولَ لم يُجِزْ فى قولِه : ﴿ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ إلا الرفعَ ، وذلك أنه خبرٌ مبتدأٌ ، غيرُ مَردودٍ على قولِه : ﴿ بِخَيْرٍ ﴾ . فيكونُ الخفضُ فيه جائزًا . وهو وإن كان خبرًا مبتدأً عندَهم ، ففيه إبانةٌ عن معنى « الخير » الذى أمَر اللَّهُ عز وجل نبيَّه ﷺ أن يَقولَ للناسِ : أَؤُنَبِّئُكم به . و« الجنات » على هذا القولِ مرفوعةٌ باللامِ التى فى قولِه : ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ .

وقال آخَرون منهم بنحوٍ مِن هذا القولِ ، إلا أنهم قالوا : إن جعَلْتَ اللامَ التى فى قولِه : ﴿ لِلَّذِينَ ﴾ مِن صلةِ الإنباءِ ، جاز فى « الجنات » الخفضُ والرفعُ ؛ الخفضُ على الردِّ على « الخير » ، والرفعُ على أن يَكونَ قولُه : ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ ﴾ خبرَ مبتدأٍ . على ما قد بيَّنَّاه قبلُ .

وقال آخَرون : بل مُنْتَهَى الاسْتِفهامِ قولُه : ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ ثم ابْتَدَأ : ﴿ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ . وقالوا : تأويلُ الكلامِ : ﴿ قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ . ثم كأنه قيل : ماذا لهم ؟ أو ما ذاك ؟ أو على أنه يقالُ : ماذا لهم ؟ أو ما ذاك ؟ فقال : هو ﴿ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ الآية .

وأولى هذه الأقوالِ عندى بالصوابِ قولُ مَن جعَل الاستفهامَ مُتناهِيًا عندَ قولِه : ﴿ بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ﴾ . والخبرَ بعدَه مبتدأً عمَّن له الجناتُ بقولِه : ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ ﴾ . فيَكونُ مَخْرَجُ ذلك مَخْرَجَ الخبرِ ، وهو إبانةٌ عن معنى « الخير » الذى قال : أَؤُنَبِّئُكم[1] به ؟ فلا يَكونُ بالكلامِ حينَئذٍ حاجةٌ إلى ضميرٍ .

قال [١/٣٩٢ظ] أبو جعفرٍ محمدُ بنُ جَريرٍ الطبريُّ : وأما قولُه : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ . فمنصوبٌ على القطعِ .

ومعنى قولِه : ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ ﴾ : للذين خافوا اللَّهَ فأطاعوه ، بأداءِ فَرائضِه ، واجْتِنابِ مَعاصِيه ، ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ يعنى بذلك : لهم جناتٌ تَجْرِى مِن تحتِها الأنهارُ عندَ ربِّهم .

والجناتُ البساتينُ ، وقد بيَّنا ذلك بالشواهدِ فيما مضَى ، وأن قولَه : ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾ . يعنى به : مِن تحتِ الأشْجارِ . وأن الخلودَ فيها دَوامُ البقاءِ فيها ، وأن الأزواجَ المُطَهَّرةَ هن نساءُ الجنةِ اللَّواتى طُهِّرْنَ مِن كلِّ أذًى يَكونُ بنساءِ أهلِ الدنيا ، مِن الحيضِ والمنىِّ والبولِ والنِّفاسِ ، وما أشْبَهَ ذلك مِن الأذى ، بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[2] .

وقولُه : ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . يعنى : ورضا اللَّهِ . وهو مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : رضِى اللَّهُ عن فلانٍ ، فهو يَرْضَى عنه رِضًا ، منقوصٌ ، ورِضْوانًا ورُضْوانًا ومَرْضاةً . فأما الرُّضْوانُ بضمِّ الراءِ فهو لغةُ قيسٍ ، وبه كان عاصمٌ يَقْرأُ[3] .

---

(١) فى ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ : « أنبئكم » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٤٠٦ - ٤٠٨ ، ٤١٩ - ٤٢٢ .

(٣) فى رواية أبى بكر عنه ، وروى حفص عنه بالكسر كقراءة الباقين . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٢ .

وإنما ذكَر اللَّهُ جل ثناؤه فيما ذكَر للذين اتَّقَوْا عندَه مِن الخيرِ رِضْوانَه ؛ لأن رِضْوانَه أعلى منازلِ كرامةِ أهلِ الجنةِ .

/كما حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثني أبو أحمدَ الزُّبَيْرِيُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن محمدِ بنِ المُنكَدِرِ ، عن جابرِ بنِ عبدِ اللَّهِ ، قال : إذا دخَل أهلُ الجنةِ الجنةَ ، قال اللَّهُ تباركَ وتعالَى : أُعْطِيكم أفضلَ مِن هذا ؟ فيقولون : أَىْ ربَّنا ، أىُّ شىءٍ أفضلُ مِن هذا ؟ قال : رِضْوانِى[(١)] . ٢٠٧/٣

وقولُه : ﴿ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ . يعنى بذلك : واللَّهُ ذو بصرٍ بالذى يَتَّقِيه مِن عبادِه ، فيَخافُه فيُطِيعُه ، ويُؤْثِرُ ما عندَه ، مما ذكَر أنه أعَدَّه للذين اتَّقَوْه على حُبِّ ما زُيِّن له فى عاجلِ الدنيا مِن شَهَواتِ النساءِ والبنينَ وسائرِ ما عدَّد منها تعالى ذِكرُه ، وبالذى لا يَتَّقِيه فيَخافُه ، ولكنه يَعْصِيه ويُطِيعُ الشيطانَ ، ويُؤْثِرُ ما زُيِّن له فى الدنيا مِن حُبِّ شهوةِ النساءِ والبنينَ والأموالِ ، على ما عندَه مِن النَّعيمِ المُقيمِ ، عالمٌ تعالى ذِكرُه بكلِّ فريقٍ منهم ، حتى يُجازِىَ كلَّهم عندَ مَعادِهم إليه جزَاءَهم ؛ المحسنَ بإحسانِه ، والمسىءَ بإساءتِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٦﴾ ﴾ .

ومعنى ذلك : قلْ هل أُنَبِّئُكم بخيرٍ مِن ذلكم ؟ للذين اتَّقَوْا يقولون : ﴿ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ .

وقد يَحْتَمِلُ[(٢)] ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ وجهين مِن الإعرابِ ؛ الخفضُ على الردِّ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٣/٢ (٣٢٨٧) من طريق سفيان به بنحوه ، ومن طريقه مرفوعا أخرجه ابن حبان (٢٦٤٧ - موارد) ، والحاكم ١/ ٨٢، ٨٣ بنحوه .

(٢) بعده فى ص، ت ١، ت ٢،ت ٣، س: « المعنى كذلك » .

على « الذين » الأولى ، والرفعُ على الابْتِداءِ ، إذ كان فى مبتدأ آيةٍ أخرى غيرِ التى فيها « الذين » الأولى ، فيكونُ[1] رفعُها نظيرَ قولِ اللَّهِ عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم ﴾ [التوبة : ١١١] . ثم قال فى مبتدأ الآيةِ التى بعدَها : ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ﴾ [التوبة : ١١٢] . ولو كان جاء ذلك مخفوضًا كان جائزًا .

ومعنى قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ : الذين يقولون : إننا صدَّقنا بك وبنبيِّك ، وما جاء به مِن عندِك ، ﴿ فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ يقولُ : فاسْتُرْ علينا ذنوبَنا[2] بعفوِك عنها ، وتركِك عقوبتَنا عليها ، ﴿ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ : ادْفَعْ عنا عذابَك إيَّانا بالنارِ أن تُعَذِّبَنا بها . وإنما معنى ذلك : لا تُعَذِّبْنا يا ربَّنا بالنارِ . وإنما خَصُّوا المسألةَ بأن يَقِيَهم عذابَ النارِ ؛ لأن مَن زُحْزِح يومَئذٍ عن النارِ ، فقد فاز بالنجاةِ مِن عذابِ النارِ[3] ، وحسُنَ مآبُه .

وأصلُ قولِه : ﴿ وَقِنَا ﴾ . مِن قولِ القائلِ : وقَى اللَّهُ فلانًا كذا ، يُرادُ به : دفَع عنه ، فهو يَقِيه . فإذا سأَل بذلك سائلٌ قال : قِنِى كذا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْمُنفِقِينَ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ : الذين صبَروا فى البأساءِ والضَّرَّاءِ وحينَ البأسِ .

ويعنى بـ ﴿ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ : الذين صدَقوا اللَّهَ فى قولِهم بتحقيقِهم الإقرارَ به وبرسولِه ، وما جاء به مِن عندِه ، بالعملِ بما أمَره به ، والانتهاءِ عما نهاه عنه .

ويعنى بـ ﴿ وَٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ : المُطِيعِين له . وقد أتَيْنا على الإبانةِ عن كلِّ هذه

---

(١) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فى » .
(٢) سقط من : م .
(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الله » .

الحروفِ ومَعانِيها بالشَّواهِدِ على صحةِ ما قلْنا فيها ، وبالإخْبارِ عمَّن قال فيها قولًا ، فيما مضَى بما أغْنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[1] .

وقد كان قتادةُ يقولُ فى ذلك بما حدَّثنا به بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ قولَه : ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلْقَٰنِتِينَ ﴾ : « الصادقين » : قومٌ صدَقَت أفْواهُهم[2] ، واسْتقامَت قلوبُهم وألْسنتُهم ، وصدَقوا فى السرِّ والعَلانيةِ ، و« الصابرين » : قومٌ[3] صبَروا على طاعةِ اللَّهِ ، وصبَروا عن مَحارِمِه ، والقانِتون : هم المُطِيعون للَّهِ[4] .

وأما المُنْفِقون : فهم المُؤْتُونَ زَكَواتِ[5] أموالِهم ، وواضِعوها على ما أمَرهم اللَّهُ بإيتائِها[6] ، والمُنْفِقون أموالَهم فى الوجوهِ التى أذِن اللَّهُ لهم جل ثناؤُه بإنفاقِها فيها .

وأما ﴿ ٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ وسائرُ هذه الحروفِ ، فمخفوضٌ ردًّا على قولِه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ . والخفضُ فى هذه الحروفِ يَدُلُّ على أن قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ ﴾ . خفضٌ ردًّا على قولِه : ﴿ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ ﴾ .

اختَلَف أهلُ التأويلِ فى القومِ الذين هذه الصفةُ صفتُهم ؛ **فقال بعضُهم** : هم المُصَلُّون بالأسْحارِ .

(١) ينظر ما تقدم فى ٢/ ٤٦١، ٤/٣٧٥ وما بعدهما .

(٢) فى س : « أقوالهم » .

(٣) فى ص ، ت ١ : « يوم » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦١٤ (٣٢٩٢، ٣٢٩٤) من طريق يزيد به دون آخره ، وعلق آخره فى ٢/٦١٥ عقب الأثر (٣٢٩٧) .

(٥) فى س : « زكاة » .

(٦) فى م : « بإتيانها » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ : [١/٣٩٣و] هم أهلُ الصلاةِ[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ . قال : يُصَلُّون بالأسْحارِ[2] .

وقال آخَرون : هم المُسْتَغْفِرون .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن حُرَيْثِ بنِ أبى مَطَرٍ ، عن إبراهيمَ بنِ حاطبٍ ، عن أبيه ، قال : سمِعْتُ رجلًا فى السَّحَرِ فى ناحيةِ المسجدِ وهو يقولُ : ربِّ أمَرْتَنى فأطَعْتُك ، وهذا سَحَرٌ فاغْفِرْ لى . فنظَرْتُ فإذا ابنُ مسعودٍ[3] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قال : سألْتُ عبدَ الرحمنِ بنَ يزيدَ بنِ جابرٍ عن قولِ اللَّهِ عز وجل : ﴿ وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ . قال : حدَّثنى سليمانُ بنُ موسى ، قال : ثنا نافعٌ ، أن ابنَ عمرَ كان يُحْيِى الليلَ صَلاةً ، ثم يقولُ : يا نافعُ أسْحَرْنا ؟ فيقولُ : لا . فيُعاوِدُ الصلاةَ ، فإذا قلتُ : نعم . قعَد يَسْتَغْفِرُ ويَدْعُو حتى يُصْبِحَ[4] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٥/٢ عقب الأثر (٣٣٠٠) معلقًا .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ١٨/٢ عن المصنف .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٦/٢ (٣٣٠٢) ، وابن عساكر ٤٨/٣٧ من طريق الوليد بن مسلم به . وينظر مختصر قيام الليل ص ٣٤.

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن بعضِ البَصْريِّين ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : أُمِرْنا أن نَسْتَغْفِرَ بالأَسْحارِ سبعينَ استغفارةً[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسْحاقُ ، قال : ثنا زيدُ بنُ الحُبابِ ، قال : ثنا أبو يعقوبَ الضَّبِّيُّ ، قال : سمِعْتُ جعفرَ بنَ محمدٍ يقولُ : مَن صلَّى مِن الليلِ ، ثم اسْتَغْفَر فى آخرِ الليلِ سبعين مرةً ، كُتِب مِن المستغفرين بالأسحارِ[(٢)] .

وقال آخَرون : هم الذين يَشْهَدون الصبحَ فى جماعةٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

/**حدَّثنى** المثنى ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ مَسْلَمةَ أخو القَعْنَبىِّ ، قال : ثنا يعقوبُ بنُ عبدِ الرحمنِ ، قال : قلتُ لزيدِ بنِ أسْلَمَ : مَن ﴿ٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ ؟ قال : هم الذين يَشْهَدون الصبحَ[(٣)] . ٢٠٩/٣

وأَوْلَى هذه الأقوالِ بتأويلِ قولِه : ﴿ٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾ قولُ مَن قال : هم السائلون ربَّهم أن يَسْتُرَ عليهم فَضيحتَهم بها ؛ ﴿بِٱلْأَسْحَارِ﴾ وهى جمعُ سَحَرٍ . وأظْهَرُ مَعانى ذلك أن تكونَ مَسْأَلتُهم إياه بالدُّعاءِ . وقد يَحْتَمِلُ أن يَكونَ معناه تَعرُّضَهم لمغفرتِه بالعملِ والصلاةِ ، غيرَ أن أظْهَرَ معانيه ما ذكَرْنا مِن الدعاءِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ .

---

(١) عزاه ابن كثير فى تفسيره ١٨/٢ إلى ابن مردويه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١١، ١٢ إلى المصنف وابن مردويه ، بلفظ : أمرنا رسول الله ﷺ به . وينظر مختصر قيام الليل ص ٣٨.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٥/٢ (٣٣٠١) من طريق إسماعيل بن مسلمة به ، وأخرجه ابن أبى شيبة ٤٩٨/١٣ من طريق عقبة بن أبى يزيد القرشى ، عن زيد بن أسلم .

يَعنى بذلك جل ثناؤه : شهِد اللَّهُ أنه لا إلهَ إلا هو ، وشهِدَت الملائكةُ ، وأولو العلمِ .

فالملائكةُ معطوفٌ بهم على اسمِ اللَّهِ ، و ﴿ أَنَّهُۥ﴾ مَفتوحةٌ بـ ﴿ شَهِدَ﴾ .

وكان بعضُ البصريين[1] يَتأوَّلُ قولَه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ : قضَى اللَّهُ ، ويَرْفَعُ الملائكةَ بمعنى : والملائكةُ شهودٌ وأولو العلمِ .

وهكذا قرَأت قرأةُ أهلِ الإسلامِ بفتحِ الألفِ مِن ﴿ أَنَّهُۥ﴾ على ما ذكَرْتُ مِن إعمالِ ﴿ شَهِدَ﴾ فى ﴿ أَنَّهُۥ﴾ الأُولى ، وكسرِ الألفِ مِن ﴿ إِنَّ﴾ الثانيةِ وابتدائِها . سوى أن بعضَ المتأخرين مِن أهلِ العربيةِ كان يَقْرَأُ ذلك جميعًا بفتحِ ألفَيْهما[2] ، بمعنى : شهِد اللَّهُ أنه لا إلهَ إلا هو وأن الدينَ عندَ اللَّهِ الإسلامُ . فعَطف بـ « أن الدينَ » على ﴿ أَنَّهُۥ﴾ الأُولى ، ثم حذَف واوَ العطفِ وهى مُرادةٌ فى الكلامِ . واحْتَجَّ فى ذلك بأن ابنَ عباسٍ قرَأ ذلك : (شهِد اللَّهُ إنه لا إلهَ إلا هو) الآية . ثم قال : (أن الدِّينَ) . بكسرِ « إن » الأولى ، وفتحِ « أن » الثانيةِ بإعمالِ ﴿ شَهِدَ﴾ فيها ، وجعْلِ « إن » الأُولى اعْتِراضًا فى الكلامِ ، غيرَ عاملٍ فيها ﴿ شَهِدَ﴾ ، وأن ابنَ مسعودٍ قرَأ : (شهِد اللهُ أن[3] لا إلهَ إلا هو) بفتحِ « أن » ، وكسرِ « إن » مِن : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ على معنى إعمالِ الشهادةِ فى « أن » الأولى ، و« إن » الثانيةُ مُبْتَدَأَةٌ . فزعَم أنه أراد بقراءتِه إياهما بالفتحِ جمعَ قراءةِ ابنِ عباسٍ وابنِ مسعودٍ . فخالَف بقراءتِه ما قرَأ مِن ذلك على ما وصَفْتُ ، جميعَ قرأةِ أهلِ الإسلامِ المتقدمين

(١) يعنى أبا عبيدة فى مجاز القرآن ١/ ٨٩. وسيردُّ المصنف قوله فيما بعد .

(٢) هو الكسائى ، ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « أنه » . وينظر البحر المحيط ٢/ ٤٠٣ . وعزا السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٢ هذه القراءة إلى أبى بكر بن أبى داود فى المصاحف ، وفى المصاحف ص ٥٩: « أنه » . خطأ .

منهم والمتأخرين ، بدَعْوَى تأويلٍ على ابنِ عباسٍ وابن مسعودٍ ، زعَم أنهما قالاه وقرَأَ به ، وغيرُ معلومٍ ما ادُّعِى عليهما بروايةٍ صحيحةٍ ولا سقيمةٍ . وكفَى شاهدًا على خطأِ قراءةٍ[1] خروجُها مِن قرأةِ[2] أهلِ الإسلامِ . فالصوابُ إذ كان الأمرُ على ما وصَفْنا مِن قراءةِ ذلك ، فتحُ الألفِ مِن « أنه » الأولى ، وكسرُ الألفِ مِن « إن » الثانيةِ ، أعْنِى مِن قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ . ابْتِداءً .

وقد رُوِى عن السُّدىِّ فى تأويلِ ذلك قولٌ كالدالِّ على تصحيحِ ما قرَأ به فى ذلك مَن ذكَرْنا قولَه مِن أهلِ العربيةِ ، فى فتحِ أن مِن قولِه : (أن الدينَ) . وهو ما حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ إلى ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ : فإن اللَّهَ /يَشْهَدُ هو والملائكةُ والعلماءُ مِن الناسِ أن الدينَ عندَ اللَّهِ الإسلامُ[3] . ٢١٠/٣

فهذا التأويلُ يَدُلُّ على أن الشهادةَ إنَّما هى عاملةٌ فى « أن » الثانيةِ ، التى فى قولِه : (أنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإسْلامُ) . فعلى هذا التأويلِ جائزٌ فى « أن »[4] الأُولى وجْهان مِن التأويلِ ؛ **أحدُهما** : أن تكونَ الأولى منصوبةً على وجهِ الشَّرطِ ، بمعنى : شهِد اللَّهُ بأنه واحدٌ . فتكون مَفْتوحةً بمعنى الخفضِ فى مذهبِ بعضِ أهلِ العربيةِ ، وبمعنى النصبِ فى مذهبِ بعضِهم ، والشهادةُ عاملةٌ فى « أن » الثانيةِ ، كأنك قلتَ : شهِد اللَّهُ أن الدينَ عندَ اللَّهِ الإسلامُ ؛ لأنه واحدٌ . ثم تقَدَّم « لأنه واحدٌ » ، فتفتَحُها على ذلك التأويلِ .

---

(١) فى م : « قراءته » .

(٢) فى م : « قراءة » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦١٦، ٦١٧ (٣٣٠٤، ٣٣٠٨) من طريق عمرو به .

(٤) كتب فوقها فى ص : « فى » ، وفى ت ٢، س : « أن فى » .

والوجهُ الثانى : أن تكونَ « إن » الأولى مَكْسورةً بمعنى الابتداءِ ؛ لأنها مُعْتَرَضٌ بها ، والشهادةُ واقعةٌ على « أن » الثانيةِ . فيَكونُ [١/٣٩٣ظ] معنى الكلامِ : شهِد اللَّهُ - فإنه لا إلهَ إلا هو - والملائكةُ أن الدينَ عندَ اللَّهِ الإسلامُ . كقولِ القائلِ : أَشْهَدُ - فإنى مُحِقٌّ - أنك مما تُعابُ به بَرِئٌ . فـ « إن » الأولى مَكسورةٌ ؛ لأنها مُعْتَرِضَةٌ ، والشهادةُ واقعةٌ على « أن » الثانيةِ .

وأما قولُه : ﴿ قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِۚ ﴾ . فإنه بمعنَى أنه الذى يَلِى العَدْلَ بينَ خلقِه .

والقِسْطُ هو العدْلُ ، مِن قولِهم : هو مُقْسِطٌ ، وقد أقْسَط ، إذا عدَل .

ونُصِب ﴿ قَآئِمَۢا ﴾ على القطعِ .

وكان بعضُ نحويى أهلِ البصرةِ يَزْعُمُ أنه حالٌ مِن « هو » التى فى : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾ .

وكان بعضُ نحويى الكوفةِ يَزْعُمُ أنه حالٌ مِن اسمِ « اللَّه » الذى مع قولِه : ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾ فكان معناه : شهِد اللَّهُ القائمُ[(٢)] بالقِسْطِ أنه لا إله إلا هو . وقد ذُكِر أنها فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ كذلك : (وأولو العلمِ القائمُ بالقِسْطِ) ثم حُذِفَت الألفُ واللامُ مِن القائمِ[(٣)] ، فصار نكرةً ، وهو نعتٌ لمعرفةٍ فنُصِب .

وأولى القولين بالصوابِ فى ذلك عندى قولُ مَن جعَله قَطْعًا على أنه مِن نعتِ اللَّهِ جل ثناؤُه ؛ لأن الملائكةَ وأُولى العلمِ مَعْطُوفون عليه ، فكذلك الصحيحُ أن يكونَ قولُه : ﴿ قَآئِمَۢا ﴾ حالًا منه .

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فإنه نفْىٌ أن يَكونَ

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « العالم » .
(٢) ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٢٠٠ .
(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « القسط » .

شيءٌ يَسْتَحِقُّ العُبودَةَ غيرَ الواحدِ الذي لا شَريكَ له في مُلْكِه .

ويعني بـ « العزيز » : الذي لا يَمْتَنِعُ عليه شيءٌ أراده ، ولا يَنْتَصِرُ منه أحدٌ عاقَبَه أو انْتَقَم منه ، « الحكيم » في تدبيرِه ، فلا يَدْخُلُه خَلَلٌ .

وإنما عنَى جل ثناؤُه بهذه الآيةِ نَفْيَ ما أضافَت النصارَى الذين حاجُّوا رسولَ اللَّهِ ﷺ في عيسى مِن البُنُوَّةِ ، وما نسَب إليه سائرُ أهلِ الشركِ مِن أنَّ له شَريكًا ، واتخاذِهم دونَه أربابًا ، فأخْبَرَهم اللَّهُ عن نفسِه ، أنه الخالقُ كلَّ ما سواه ، وأنه ربُّ كلِّ ما اتَّخَذه كلُّ كافرٍ وكلُّ مشركٍ ربًّا دونَه ، وأن ذلك مما يَشْهَدُ به هو وملائكتُه وأهلُ العلمِ به مِن خلقِه ، فبدَأ جل ثناؤُه بنفسِه تَعْظيمًا لنفسِه ، وتَنْزيهًا لها عما نسَب الذين ذكَرْنا أمرَهم مِن أهلِ الشركِ به ما نسَبوا إليها ، كما سنَّ لعبادِه أن يَبْدَءوا في أمورِهم بذكرِه قبلَ ذِكْرِ غيرِه ، مُؤَدِّبًا خلقَه بذلك .

والمرادُ مِن الكلامِ الخبرُ عن شهادةِ مَن ارْتَضاهم مِن[1] خلقِه فقدَّموه ؛ مِن ملائكتِه وعُلماءِ عبادِه ، فأعْلَمَهم أن ملائكتَه - التي يُعَظِّمُها العابدون غيرَه مِن أهلِ الشركِ ، ويَعْبُدُها[2] الكثيرُ منهم - وأهلَ العلمِ منهم ، / مُنْكِرون ما هم عليه مُقِيمون ٢١١/٣ من كُفْرِهم ، وقولِهم في عيسى ، وقولَ مَن اتَّخَذ ربًّا غيرَه مِن سائرِ الخلقِ ، فقال : شهِدتِ الملائكةُ وأولو العلمِ أنّه لا إلهَ إلا هو ، وأن كلَّ مَن اتَّخَذ ربًّا دونَ اللَّهِ فهو كاذِبٌ . احتِجاجًا منه لنبيِّه عليه السلامُ ، على الذين حاجُّوه مِن وفدِ نَجْرانَ في عيسى .

واعتُرِض بذكرِ اللَّهِ وصفتِه ، على ما بيَّنْتُ[3] ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ

---

(١) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يعبده » .

(٣) في م : « نبينه » ، وفي س : « بينه » .

أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]. افتتاحًا باسمِه الكلامَ، فكذلك افتتَح باسمِه والثناءِ على نفسِه الشهادةَ بما وصَفنا من نَفْيِ الألوهةِ عن غيرِه، وتَكْذيبِ أهلِ الشركِ به.

فأما ما قال الذى وصَفْنا قولَه مِن أنّه عنَى بقولِه: ﴿شَهِدَ﴾ : قَضَى. فمِمَّا لا يُعرَفُ فى لغةِ العربِ ولا العَجَمِ؛ لأن الشهادةَ معنًى، والقضاءَ غيرُها.

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك رُوِى عن بعضِ المتقدِّمِين القولُ فى ذلك.

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ، قال: ثنا سَلَمةُ، عن ابنِ إسحاقَ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ : بخلافِ ما قالوا، يعنى بخلافِ ما قال وَفْدُ نَجْرانَ مِن النصارَى، ﴿قَآئِمَۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ أى: بالعدلِ[1].

حدَّثنى المثنى، قال: ثنا أبو حُذَيفةَ، قال: ثنا شِبْلٌ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ، عن مجاهدٍ: ﴿بِٱلْقِسْطِ﴾ : بالعدلِ.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾.

ومعنى الدِّينِ فى هذا الموضعِ: الطاعةُ والذِّلَّةُ، من قولِ الشاعرِ[2]:

ويوم الحَزْنِ إذْ حَشَدَت مَعَدٌّ وكان الناسُ إلا نحنُ دِينَا

يعنى بذلك: مُطِيعينَ على وَجْهِ الذُّلِّ. ومنه قولُ القُطَامِيِّ[3]:

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٦/٢ (٣٣٠٥) من طريق سلمة، عن ابن إسحاق قوله، مقتصرًا على: بخلاف ما قالوا.

(٢) أنشده الفراء فى معانى القرآن ٨١/٣ عن المفضل، والشطر الثانى منه فى اللسان (د ى ن).

(٣) ديوانه ص ٥٨.

كانت نَوَارُ[1] تَدِينُك الأَدْيانا

يَعْنى : تُذِلُّكَ . وقولُ الأعشَى ميمونِ بنِ قَيسٍ[2] :

هو دانَ الرِّبابَ إذْ كَرِهوا الدِّيـ ـنَ دِرَاكًا بِغَزْوةٍ وَصِيالِ

/ يَعنى بقولِه[3] : دانَ . ذَلَّل ، وبقولِه : كرِهوا الدِّينَ . الطاعةَ . ٢١٢/٣

وكذلك الإسلامُ ، وهو الانْقِيادُ بالتَّذَلُّلِ والخشوعِ ، والفعلُ منه « أسلَم » ، بمعْنى : دخَل فى السِّلْمِ ، كما يقالُ : أقحَط القومُ . إذا دخَلوا فى القَحْطِ ، وأربَعوا ، إذا دخَلوا فى الربيعِ ، فكذلك : أسلَموا ، إذا دخَلوا فى السِّلْمِ ، وهو الانْقِيادُ بالخضوعِ وتَرْكُ المُمَانَعةِ .

فإذْ كان ذلك كذلك ، فتأويلُ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ . إنّ الطاعةَ للهِ[4] - التى هى الطاعةُ له[4] عندَه - [5]الطاعةُ له[5] ، وإقرارُ الألسنِ والقلوبِ له بالعُبودَةِ والذِّلَّةِ ، وانقيادُها له بالطاعةِ فيما أمَر ونهَى ، وتَذَلُّلُها له بذلك ، من غيرِ استكبارٍ عليه ، ولا انحرافٍ عنه ، دونَ إشراكِ غيرِه مِن خَلْقِه معه فى العبودةِ والألوهَةِ .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ

---

(١) فى الديوان : « جنوب » ، وفى نسخة منه : « ظلوم » .

(٢) تقدم فى ٣٠١/٣ .

(٣) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « إن » .

(٤) سقط من : م .

(٥ - ٥) زيادة من : م .

عِنـدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ : والإسلامُ شهادةُ [١/٣٩٤و] أن لا إلهَ إلا اللَّهُ ، والإقرارُ بما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، وهو دينُ اللَّهِ الذى شرَع لنفسِه ، وبعَث به رُسُلَه ، ودلَّ عليه أولياءَه ، لا يَقْبَلُ غيرَه ، ولا يَجْزِى إلا به[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : ثنا أبو العاليةِ فى قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِنـدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ . قال : الإسلامُ الإخلاصُ للَّهِ وحدَه ، وعبادتُه لاشريكَ له ، وإقامُ الصلاةِ ، وإيتاءُ الزكاةِ ، وسائرُ الفرائضِ لهذا تَبَعٌ[(٢)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَسْلَمْنَا ﴾ [الحجرات : ١٤] . قال : دخَلنا فى السِّلْمِ ، وترَكنا الحربَ[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِنـدَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ : أىْ ما أنت عليه يا محمدُ مِن التوحيدِ للربِّ والتَّصْديقِ للرسلِ[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ﴾ .

يَعنى بذلك جلّ ثناؤه : وما اختَلف الذين أُوتُوا الإنجيلَ - وهو الكتابُ الذى ذكَره اللَّهُ فى هذه الآيةِ - فى أمرِ عيسى ، وافترائِهم على اللَّهِ فيما قالُوه فيه مِن الأقوالِ التى كَثُر بها اختلافُهم بينَهم ، وتَشتَّتَتْ بها كلمتُهم ، وبايَن بها بعضُهم بعضًا ،

---

(١) عزاه السيوطى فى الدرالمنثور ١٢/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦١٧، ٦١٨ (٢٣١٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) سيأتى هذا الأثر فى تفسير سورة الحجرات بأطول مما هنا .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

حتى استحلَّ بها بعضُهم دماءَ بعضٍ ، ﴿ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾ يعنى : إلا مِن بعدِ ما عَلِموا الحقَّ فيما اختلَفوا فيه مِن أمْرِه ، وأيقَنوا أنهم فيما يقولون فيه مِن عظيمِ الفِرْيةِ مُبْطلون ، فأخبرَ اللَّهُ عبادَه أنهم أتَوْا ما أتَوْا مِن الباطلِ ، وقالوا ماقالُوا مِن القولِ الذى هو كفرٌ باللَّهِ ، على علمٍ منهم بخطأً ما قالوه ، وأنهم لم يقولوا ذلك جهلًا منهم بخَطئِه ، ولكنّهم قالُوه واختَلَفوا فيه الاختلافَ الذى هم عليه ؛ تَعَدِّيًا من بعضِهم على بعضٍ ، وطلبَ الرياساتِ والملكِ والسلطانِ .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾ . قال : قال أبو العاليةِ /إلا من بعدِ ما جاءهم الكتابُ والعلمُ ﴿ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾ يقولُ : بَغْيًا على الدنيا ، وطلبَ مُلْكِها وسُلطانِها ، فقَتَل بعضُهم بعضًا على الدنيا ، مِن بعدِ ما كانوا علماءَ الناسِ[(١)] . ٢١٣/٣

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن ابنِ عمرَ أنه كان يُكْثِرُ تلاوةَ هذه الآيةِ : ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ ﴾ . يقولُ : بَغْيًا على الدنيا ، وطلبَ مُلْكِها وسُلطانِها ، من قِبَلِها واللَّهِ[(٢)] أُتِينا ، ما كان علينا مَن يكونُ علينا[(٣)] ، بعدَ أن يأخُذَ فينا كتابَ اللَّهِ وسنةَ نَبيِّه ! ولكنَّا أُتِينا مِن قِبَلِها .

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٨/٢ (٣٣١٦، ٣٣١٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) بعده فى م : « ما » .

(٣) سقط من : م .

الربيعِ ، قال : إنّ موسى لمَّا حضَره الموتُ دَعا سبعينَ حَبْرًا مِن أحبارِ بنى إسرائيلَ ، فاستَودَعهم التوراةَ ، وجعَلهم أُمَناءَ عليه ، كلَّ حَبْرٍ جُزءًا منه ، واستَخلَف موسى يوشعَ بنَ نونٍ ، فلما مضَى القرنُ الأوَّلُ ومضَى الثانى ومضَى الثالثُ ، وقَعَت الفُرقةُ بينَهم ؛ وهم الذين أُوتوا العلمَ مِن أبناء أولئك السبعينَ ، حتى أَهْرَاقوا بينَهم الدماءَ ، ووَقَع الشرُّ والاختلافُ ، وكان ذلك كلُّه مِن قِبَلِ الذين أُوتوا العلمَ بَغْيًا بينَهم على الدنيا ، طلبًا لسلطانِها ومُلْكِها وخزائنها وزُخْرفِها ، فسَلَّط اللَّهُ عليهم جَبابِرتَهم ، فقال اللَّهُ : ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ . إلى قوله : ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1] .

فقولُ[2] الربيعِ بنِ أنسٍ هذا يدُلُّ على أنه كان عندَه أنه معنىٌّ بقولِه : ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾ اليهودُ مِن بنى إسرائيلَ ، دونَ النصارَى منهم ومن غيرِهم .

وكان غيرُه يُوَجِّهُ ذلك إلى أن المعنىَّ به النصارى[3] الذين أُوتوا الإنجيلَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ : الذى جاءك ، أىْ أنّ اللَّهَ الواحدُ الذى ليس له شريكٌ ، ﴿بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ . يَعنى بذلك النصارَى[4] .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٢/٢ إلى المصنف ، إلى قوله : جبابرتهم .

(٢) فى النسخ : « يقول » . والصواب ما أثبتنا .

(٣) بعده فى س : « منهم » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٧/١ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) ﴾ .

يَعنى بذلك جل ثناؤُه : ومَن يَجحَدْ حُجَجَ اللَّهِ وأعلامَه التى نصَبها ذِكرَى لمن عَقَل ، وأدلةً لمن اعتبَر وتَذكَّر ، فإنّ اللَّهَ مُحصٍ عليه أعمالَه التى كان يعمَلُها فى الدنيا ، فمُجازِيه بها فى الآخرةِ ، فإنه جلّ ثناؤه سريعُ الحسابِ ، يَعنى : سريعُ الإحصاءِ . وإنما معْنى ذلك ، أنه حافظٌ على كلِّ عاملٍ عَمَلَه ، لا حاجةَ به إلى عَقْدٍ ، كما يَعْقِدُه خلقُه بأَكُفِّهم ، أو يعونَه بقلوبِهم ، ولكنه يحفَظُ ذلك عليهم بغيرِ كُلْفةٍ ولا مَئونةٍ ، ولا معاناةٍ لِما يُعانيه غيرُه مِن الحُسّابِ .

وبنحوِ الذى قُلنا فى معنَى : ﴿ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ . كان مجاهدٌ يقولُ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزّ وجلّ : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ . قال : إحصاؤُه عليهم .

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ : [٣٩٤/١ظ] إحصاؤُه[(١)] .

/القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ﴾[(٢)] . ٢١٤/٣

يَعنى بذلك جلّ ثناؤه : فإن حاجَّك يا محمدُ النَّفَرُ مِن نصارَى أهلِ نَجْرانَ فى أمرِ عيسى صلواتُ اللَّهِ عليه ، فخاصَمُوك فيه بالباطلِ ، فقُلْ : انقَدْتُ للَّهِ وحدَه ،

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦١٩/٢ (٣٣٢٠) من طريق أبى حذيفة به .

(٢) فى م ، س : « اتبعن » . وبإثبات الياء ، قرأ نافع وأبو عمرو فى الوصل ، ووقف أبو عمرو بغير ياء ، واختلف عن نافع فى الوقف ، وقرأ الباقون وصلا ووقفا بغير ياء . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٢٢.

بلسانِى وقلبِى وجميعِ جَوارحِى .

وإنما خصَّ جلّ ذكرُه بأمرِه بأن يقولَ : ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ ﴾ . لأن الوَجْهَ أكرمُ جَوارحِ ابنِ آدمَ عليه ، وفيه بهاؤُه وتَعْظيمُه ، فإذا خضَع وجهُه لشىءٍ[1] ، فقد خضَع له الذى هو دونَه فى الكرامةِ عليه مِن جَوارحِ بدنِه .

وأمَّا قولُه : ﴿وَمَنِ ٱتَّبَعَنِّ﴾ . فإنه يَعنى : وأسلَم مَن اتَّبَعنى أيضًا وجهَه للَّهِ معِى ، و ﴿ مَنِ ﴾ معطوفٌ بها على التاءِ فى ﴿ أَسْلَمْتُ ﴾ .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ ﴾ أىْ : بما يأتُونك به مِن الباطلِ مِن قولِهم : خلَقنا ، وفعَلنا ، وجعَلنا ، وأمَرنا . فإنما هى شُبَهٌ باطِلةٌ ، قد عرَفوا ما فيها مِن الحقِّ ، ﴿ فَإِنْ حَآجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِّ ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ﴾ .

يَعنى بذلك جلّ ثناؤه : ﴿ وَقُل ﴾ يا محمدُ ﴿ لِّلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ من اليهودِ والنصارَى ، ﴿ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ﴾ الذين لا كتابَ لهم من مشركى العربِ : ﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ ﴾ ؟ يقولُ : قل لهم : هل أفرَدْتم التوحيدَ ، وأخلَصتُم العبادةَ والألوهةَ لربِّ العالمينَ ، دونَ سائرِ الأندادِ والأشراكِ[3] التى تُشْرِكونها معه فى عبادتِكم إيَّاهم ، وإقرارِكم بربوبيتِهم ، وأنتم تعلَمون أنه لا ربَّ غيرُه ،

---

(١) فى ص ، ت ١ : « بشىء » .

(٢) ينظر سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٧.

(٣) الأشراك : جمع شريك . تهذيب اللغة ١٠/ ١٧.

ولا إلهَ سواه ؟ ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا ﴾ . يقولُ : فإن انقادُوا لإفرادِ الوحدانيةِ للَّهِ ، وإخلاصِ العبادةِ والألوهةِ له ، ﴿ فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾ ، يَعنى : فقد أصابُوا سبيلَ الحقِّ ، وسلَكوا مَحَجَّةَ الرُّشْدِ .

فإن قال قائلٌ : وكيفَ قيل : ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾ عَقِيبَ الاستفهامِ ؟ وهل يجوزُ على هذا فى الكلامِ أن يقالَ لرجلٍ : هل تقومُ ؟ فإن تَقُمْ أُكرِمْك ؟ .

قيل : ذلك جائزٌ إذا كان الكلامُ مُرادًا به الأمرُ ، وإن خرَج مَخْرَجَ الاستفهامِ ، كما قال جلّ ثناؤه : ﴿ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ [المائدة : ٩١] . يَعنى : انتَهُوا . وكما قال جلّ ثناؤه مُخْبِرًا عن الحَوارِيِّين أنهم قالوا لعيسى : ﴿ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ السَّمَآءِ ﴾ [المائدة : ١١٢] . وإنما هو مسألةٌ ، كما يقولُ الرجلُ : هل أنت كافٌّ عَنَّا ؟ بمعنى : اكفُفْ عنَّا . وكما يقولُ الرجلُ للرجلِ : أين أين ؟ بمعنَى : أقِمْ فلا تَبْرَحْ . ولذلك جُوزِى فى الاستفهامِ كما جُوزِى فى الأمرِ فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (هل أدُلُّكم على تجارةٍ تنجيكم من عذابٍ أليم * آمِنوا)[1] . ففَسَّرها بالأمرِ[2] ، وهى فى قراءتِنا على الخبرِ ، فالمُجازاةُ فى قراءتِنا على قولِه : ﴿ هَلْ أَدُلُّكُمْ ﴾ . وفى قراءةِ عبدِ اللَّهِ على قولِه : (آمِنُوا) على الأمرِ ؛ لأنه هو التفسيرُ .

و[3] بنحوِ معنَى[3] ما قلنا فى ذلك قال بعضُ أهلِ التأويلِ .

---

(١) من الآية ١٠ ، ١١ من سورة الصف ، وهذه القراءة ذكرها الفراء فى معانى القرآن ٢٠٢/١ وأبو حيان فى البحر المحيط ٢٦٣/٨ وهى قراءة شاذة لمخالفتها رسم المصحف .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بالأمن » .

(٣ - ٣) فى س : « بمعنى » .

٢١٥/٣ / حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْأُمِّيِّنَ ﴾ الذين لا كتابَ لهم : ﴿ ءَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا ﴾ . الآية[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَٰبَ وَالْأُمِّيِّنَ ﴾ . قال : الأُمِّيُّون الذين لا يَكْتُبون[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ (٢٠) ﴾ .

يَعنى جلّ ثناؤه بقولِه : ﴿ وَإِن تَوَلَّوْا ﴾ : وإن أدبَروا مُعْرِضين عمَّا تَدْعوهم إليه مِن الإسلامِ ، وإخلاصِ التوحيدِ للّهِ ربِّ العالمين ، فإنما أنت رسولٌ مُبَلِّغٌ ، وليس عليك غيرُ إبلاغِ الرسالةِ إلى مَن أرسَلتُك إليه مِن خلقِى ، وأداءِ ما كلَّفْتُك مِن طاعتى ، ﴿ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ . يَعنى بذلك : واللّهُ ذو علمٍ بمن يَقبَلُ مِن عبادِه ما أرسَلتُك به إليه ، فيُطِيعُك[3] بالإسلامِ ، وبمَن يتولَّى منهم عنه مُعْرِضًا ، فيَرُدُّ عليك ما أرسَلتُك به إليه ، فيَعْصِيك بإبائِه الإسلامَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ .

يَعنى بذلك جلّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ ﴾ . أىْ : يَجْحَدون

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٧، ٥٧٨.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٢٠ (٣٣٢٧) من طريق ابن جريج به .

(٣) فى ص ، س : « فيعطيك » .

حُجَجَ اللَّهِ وأعلامَه ، فيُكَذِّبون بها مِن أهلِ الكتابَين ؛ التوراةِ والإنجيلِ .

كما حدَّثنى ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ ، قال : ثم جمَع أهلَ الكتابَين جميعًا ، وذكَر ما أحدَثوا وابتَدَعوا ، مِن اليهودِ والنصارَى ، فقال : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٍّ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ ﴾[1] [آل عمران : ٢٦] .

وأما قولُه : ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٍّ ﴾ . فإنه يَعنى بذلك أنهم كانوا يَقْتُلون رُسُلَ اللَّهِ الذين كانوا يُرْسَلون إليهم بالنَّهْى عما يَأْتون مِن معاصِى اللَّهِ ، وركوبِ ما كانوا يَرْكَبونه مِن الأمورِ التى قد تَقَدَّم اللَّهُ إليهم فى كتبِهم بالزَّجْرِ عنها ، نحوَ زكريا وابنِه يحيى وما أشبَهَهما مِن أنبياءِ اللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .

اختَلَفت [١/٣٩٥و] القَرَأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأه عامَّةُ أهلِ المدينةِ والحجازِ والبصرةِ والكوفةِ وسائرُ قرأةِ الأمصارِ : ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ ﴾ . بمعْنى القتلِ .

وقرَأه بعضُ المُتَأَخِّرين مِن قرأةِ الكوفةِ : (وَيُقَاتِلُونَ)[2] . بمعنى القتالِ ، تأوُّلًا منه قراءةَ عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، وادَّعى أن ذلك فى مصحفِ عبدِ اللَّهِ : (وقاتَلوا)[3] ، فقَرَأ الذى وَصَفنا أمرَه مِن القرأةِ بذلك التأويلِ : (ويُقَاتِلُونَ) .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٨.

(٢) هى قراءة حمزة ، وقرأ الباقون بالوجه الأول . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٣.

(٣) المصاحف لابن أبى داود ص ٥٩ وهى قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة .

٢١٦/٣ / والصوابُ مِن القراءةِ فى ذلك عندَنا[١] قراءةُ مَن قرَأه : ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ﴾ ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن القَرَأَةِ عليه به ، مع مجىءِ التأويلِ مِن أهلِ التأويلِ بأنّ ذلك تأويلُه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مَعْقِلِ بنِ أبى مِسكينٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٍّ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : كان الوَحْىُ يأتى إلى بنى إسرائيلَ فيُذَكِّرون قومَهم[٢] - ولم يكنْ يأتيهم كتابٌ - فيُقْتَلون ، فيقومُ رجالٌ ممن اتَّبعهم وصَدَّقهم فيُذَكِّرون قومَهم ، فيُقْتَلون ، فهم الذين يأمُرون بالقسطِ من الناسِ[٣] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَيَقۡتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيۡرِ حَقٍّ وَيَقۡتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡقِسۡطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : هؤلاء أهلُ الكتابِ ، كان[٤] أتباعُ الأنبياءِ يَنْهَونَهم ويُذَكِّرونهم ، فيَقْتُلونهم[٥] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ فى

---

(١) القراءتان متواترتان ، فكلتاهما صواب .

(٢) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير ابن أبى حاتم والدر المنثور .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٠ بنحوه .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢١/٢ (٣٣٣٤) ، وفيه : عن ابن أبى نجيح عن مجاهد عن معقل . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٣/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « كانوا » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢١/٢ (٣٣٣٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : كان ناسٌ مِن بنى إسرائيلَ ممّن لم يَقْرَأ الكتابَ ، كان الوحْىُ يأتى إليهم ، فيُذَكِّرون قومَهم ، فيُقْتَلون على ذلك ، فهم الذين يأمُرون بالقسطِ مِن الناسِ .

حدَّثنى أبو عُبيدِ الوَصَّابىُّ[1] محمدُ بنُ حفصٍ[2] ، قال : ثنا ابنُ حِمْيرٍ[3] ، قال : ثنا أبو الحسنِ مولَى بنى أسدٍ ، عن مكحولٍ ، عن قَبِيصةَ بنِ ذُؤيبٍ الخُزَاعىِّ ، عن أبى عُبيدةَ بنِ الجَرَّاحِ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ الناسِ أشدُّ عذابًا يومَ القيامةِ ؟ قال : « رَجلٌ قتَل نَبيًّا ، أو رجلٌ أمَر بالمُنْكرِ ونهَى عن المعروفِ » . ثم قرَأ رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَ[4] يَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . إلى أن انتهَى إلى : ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ . ثم قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا أبا عُبَيدةَ ، قتَلت بنو إسرائيلَ ثلاثةً وأربعين نبيًّا مِن أولِ النهارِ ، فى ساعةٍ واحدةٍ ، فقام مائةُ رجلٍ واثنا عشَرَ رجلًا مِن عُبَّادِ بنى إسرائيلَ ، فأمَروا مَن قتَلهم بالمعروفِ ، ونَهَوهم عنِ المنكرِ ، فَقُتِلوا جميعًا مِن آخرِ النهارِ فى ذلك اليومِ ، وهم الذين ذكَر اللَّهُ عزَّ وجلَّ »[5] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : إنّ الذين يكفُرون بآياتِ اللَّهِ ، ويقتُلون النَّبيِّين بغيرِ حقٍّ ، ويقتُلون آمِريهم بالعدلِ فى أمرِ اللَّهِ ونَهْيِه ، الذين يَنْهَوْنهم عن قتلِ أنبياءِ اللَّهِ

(١) فى النسخ : « الوصافى » .

(٢) فى النسخ : « جعفر » .

(٣) فى النسخ : « حميد » .

(٤) فى النسخ : « الذين » .

(٥) أخرجه البزار فى مسنده (١٢٨٥) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٢٠ (٣٣٣٢) ، والبغوى فى تفسيره ٢/ ٢٠ ، ٢١ من طريق محمد بن حمير به ،

وركوبِ معاصِيه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۝٢١ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٢ ﴾ .

٢١٧/٣ / يَعنى بقولِه جلّ ثناؤه : ﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ : فأخبِرْهم يا محمدُ ، وأعلِمْهم أن لهم عندَ اللَّهِ عذابًا مُؤلِمًا لهم ، وهو المُوجِعُ .

وأما قولُه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾ . فإنه يَعنى بقولِه : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ﴾ : الذين يكفُرون بآياتِ اللَّهِ . ومعْنى ذلك : إنّ الذين ذكَرناهم هم الذين حَبِطَت أعمالُهم . يَعنى : بطَلت أعمالُهم فى الدنيا والآخرةِ . فأما قولُه : ﴿ فِى ٱلدُّنْيَا ﴾ . فلم يَنالُوا بها مَحْمَدَةً ولا ثناءً مِن الناسِ ؛ لأنهم كانوا على ضَلالٍ وباطلٍ ، ولم يَرْفَعِ اللَّهُ لهم بها ذِكْرًا ، بل لعَنهم وهتَك أستارَهم[1] ، وأبدَى ما كانوا يُخْفُون مِن قبائحِ أعمالِهم ، على ألسُنِ أنبيائِه ورسلِه فى كُتُبِه التى أنزَلها عليهم ، فأبقَى لهم ما بقِيت الدنيا مَذَمَّةً ، فذلك حُبوطُها فى الدنيا . وأما فى الآخرةِ ؛ فإنه أعَدَّ لهم فيها مِن العقابِ ما وصَف فى كتابِه ، وأعلَم عبادَه أن أعمالَهم تصيرُ بُورًا لا ثوابَ لها ؛ لأنها كانت كُفْرًا باللَّهِ ، فجَزاءُ أهلِها الخلودُ فى الجحيمِ .

وأما قولُه : ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴾ . فإنه يَعنى : وما لهؤلاء القومِ مِن ناصِرٍ يَنْصُرُهم مِن اللَّهِ ، إذا هو انتقَم منهم بما سَلَف مِن إجرامِهم واجترائِهم عليه ، فيَسْتَنقِذَهم منه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ

---

(١) فى س : « أسرارهم » .

كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ .

يَعنى بذلك جلّ ثناؤُه : ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾ يا محمدُ ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ . يقولُ : الذين أُعْطُوا حظًّا من الكتابِ ، ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ .

واختلف أهلُ التأويلِ فى الكتابِ الذى عنَى اللَّهُ بقولِه : ﴿ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ ؛ فقال بعضُهم : هو التوراةُ ، دعاهم إلى الرّضا بما فيها ، إذ كانت الفِرَقُ المُنْتَحِلةُ الكتبَ تُقِرُّ بها وبما فيها ، أنها كانت أحكامَ اللَّهِ قبلَ أن يُنْسَخَ منها ما نُسِخ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا يونسُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : ثنى سعيدُ بنُ جُبَيرٍ وعكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ [١/٣٩٥ظ] بيتَ المِدْرَاسِ على جماعةٍ مِن يهودَ ، فدَعاهم إلى اللَّهِ ، فقال له[(١)] نُعَيمُ[(٢)] بنُ عمرٍو والحارثُ بنُ زيدٍ : على أىِّ دِينٍ أنت يا محمدُ ؟ فقال : « على مِلَّةِ إبراهيمَ ودينِه » . فقالا : فإن إبراهيمَ كان يهوديًّا . فقال لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَهَلُمُّوا إلى التوارةِ ، فَهِى بيننا وبينَكم » . فأبَيا[(٣)] عليه ، فأنزَل اللَّهُ عزّ وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴾[(٤)] .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « لهم » . وكتب فوقها فى ص : « ط » . علامة أنها خطأ .

(٢) وكذا ورد اسمه فى أسباب النزول ، وتفسير البغوى ، وفى تفسير ابن أبى حاتم ٢/٦٢٢ (٣٣٤٠) ، وسيرة ابن هشام ،والدر المنثور : « نعمان » .

(٣) فى م : « فأبوا » .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٥٢ ، وذكره الزيلعى فى تخريج الكشاف ١/١٧٩ ، ١٨٠ عن المصنف ، وينظر أسباب النزول للواحدى ص ٧٠ ، وتفسير البغوى ٢/ ٢١ ، ٢٢ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/١٤ إلى ابن المنذر .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ مولى آلِ زيدٍ ، عن / سعيدِ بنِ جبيرٍ أو عِكْرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : دخَل رسولُ اللَّهِ ﷺ بيتَ المِدْرَاسِ ، فذكَر نحوَه ، إلا أنه قال : فقال لهما رسولُ اللَّهِ ﷺ : « فَهَلُمَّا إلى التَّوارةِ » . وقال أيضًا : فأنزَل اللَّهُ فيهما : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ . وسائرُ الحديثِ مثلُ حديثِ أبى كُرَيبٍ[1] .

٢١٨/٣

وقال بعضُهم : بل ذلك كتابُ اللَّهِ الذى أنزَله على محمدٍ ، وإنما دُعِيَت طائفةٌ منهم إلى رسولِ اللهِ ﷺ لِيَحْكُمَ بينَهم بالحقِّ ، فأبَتْ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ : أولئك أعداءُ اللَّهِ اليهودُ ، دُعُوا إلى كتابِ اللَّهِ ليَحكُمَ بينَهم ، وإلى نبيِّه ليَحكُمَ بينَهم ، وهم يَجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ[2] ، ثم تَوَلَّوا عنه وهم مُعْرِضون[3] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ الآية . قال : هم اليهودُ ، دُعُوا إلى كتابِ اللَّهِ وإلى نبيِّه ، وهم يَجِدونه مكتوبًا عندَهم ، ثم يَتَوَلَّون وهم مُعْرِضون[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٢/٢ (٣٣٤٠) من طريق سلمة به عن عكرمة مرسلا .

(٢) بعده فى م : « والإنجيل » .

(٣) أخرج ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٢/٢ (٣٣٤٢) من طريق يزيد به قوله : ﴿ وهم معرضون ﴾ . قال : عن كتاب اللَّه .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٢٢، ٦٢٣ (٣٣٤٣) من طريق ابن أبى جعفر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٤/٢ إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ قولَه : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ . قال : كان أهلُ الكتابِ يُدْعَون إلى كتابِ اللَّهِ ليَحكُمَ بينَهم بالحقِّ يكونُ ، وفى الحدودِ ، وكان النبىُّ ﷺ يَدْعُوهم إلى الإسلامِ فيَتَولَّون عن ذلك[1] .

وأولى الأقوالِ فى تأويلِ ذلك عندى بالصوابِ أن يُقالَ : إن اللَّهَ جل ثناؤه أخبَر عن طائفةٍ من اليهودِ الذين كانوا بينَ ظَهْرانَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ فى عهدِه ، ممن قد أُوتِى عِلْمًا بالتوراةِ ، أنهم دُعُوا إلى كتابِ اللَّهِ الذى كانوا يُقِرُّون به[2] أنه من عندِ اللَّهِ - وهو[3] التوراةُ - فى بعضِ ما تَنازَعوا فيه هم ورسولُ اللَّهِ ﷺ ، وقد يجوزُ أن يكونَ تَنازُعُهم الذى كانوا تَنازَعوا فيه ، ثم دُعُوا إلى حُكْمِ التوراةِ فيه ، فامتَنَعوا من الإجابةِ إليه - كان أمْرَ محمدٍ ﷺ وأمرَ نُبوَّتِه ، ويجوزُ أن يكونَ ذلك كان أمرَ إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ ودينَه ، ويجوزُ أن يكونَ ذلك ما دُعُوا إليه من أمرِ الإسلامِ والإقرارِ به ، ويجوزُ أن يكونَ ذلك كان فى حَدٍّ ، فإن كلَّ ذلك مما قد كانوا نازَعوا فيه رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فَدَعاهم فيه إلى حُكْمِ التوراةِ ، فأَبَى الإجابةَ فيه وكَتَمه بعضُهم .

ولا دلالةَ فى الآيةِ على أىِّ[4] ذلك كان [5]مِن أىٍّ[5] ، فيجوزَ أن يقالَ[6] : هو

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٤ إلى المصنف .

(٢) سقط من : م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س .

(٣) بعده فى م : « فى » .

(٤) فى النسخ : « أن » . وهو تعبير للمصنف تقدم مرارا ، ينظر مثلا ١/ ٥٥٦، ٢/ ٤٣٩.

(٥ - ٥) فى م : « ممن أبى » .

(٦) فى س : « يكون » .

هذا دونَ هذا . ولا حاجةَ بنا إلى معرفةِ ذلك ؛ لأن المعنى الذى دُعوا إليه[(١)] ، هو مما كان فرضًا عليهم الإجابةُ إليه فى دينِهم ، فامتَنَعوا منه ، فأخبرَ اللَّهُ جل ثناؤه عنهم بردِّتِهم ، وتكذيبِهم بما فى كتابِهم ،/ وجُحودِهم ما قد أَخَذ عليهم عُهودَهم ومَواثيقَهم بإقامتِه والعملِ به ، فلن يَعْدُوا أن يكونوا فى تَكْذيبِهم محمدًا ﷺ وما جاء به من الحقِّ ، مِثْلَهم فى تكذيبِهم موسى وما جاء به ، وهم يَتولَّونه ويُقِرُّون به . ٢١٩/٣

ومعنى قولِه : ﴿ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ : ثم يَسْتدبِرُ عن كتابِ اللَّهِ الذى دَعا إلى حُكْمِه ، مُعْرِضًا عنه مُنْصرِفًا ، وهو بحقيقتِه وحجتِه عالِمٌ .

وإنما قُلنا : إن ذلك الكتابَ هو[(٢)] التوراةُ ؛ لأنهم كانوا بالقرآنِ مُكَذِّبِين ، وبالتوراةِ بزَعْمِهم مُصَدِّقِين ، فكانت الحجةُ عليهم بتَكذيبِهم بما هم به فى زَعْمِهم مُقِرُّون ، أبلغَ ، وللعُذْرِ أقطعَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بقولِه : ﴿ بِأَنَّهُمْ قَالُوا ﴾ : بأن هؤلاء الذين دُعوا إلى كتابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بينَهم بالحقِّ فيما نازَعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ ، إنما أبَوُا الإجابةَ إلى[(٣)] حُكْمِ التوراةِ وما فيها من الحقِّ ، من أجلِ قولِهم : ﴿ لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴾ . وهى أربعون يومًا ، وهن الأيامُ التى عبَدوا فيها العِجْلَ ، ثم يُخْرِجُنا منها ربُّنا ، اغْتِرارًا منهم بما كانوا يفترون ، يعنى : بما كانوا يَخْتَلِقون من الأكاذيبِ والأباطيلِ ، فى ادِّعائِهم أنهم أبناءُ اللَّهِ وأحِبَّاؤُه ، وأن اللَّهَ قد وَعَد أباهم يعقوبَ أن لا يُدْخِلَ أحدًا مِن ولدِه

---

(١) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جملته » .

(٢) سقط من : ت ١ ، س .

(٣) فى م : « فى » .

النارَ إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ ، فأكْذَبهم اللَّهُ على ذلك كُلِّه مِن أقوالِهم ، وأخبَر نَبِيَّه محمدًا ﷺ أنهم هم أهلُ النارِ ، هم فيها خالدون ، دونَ المؤمنين باللَّهِ ورسلِه وما جاءوا به من عندِه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، [١/٣٩٦و] عن قتادةَ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ . قالوا : لن تَمَسَّنا النارُ إلا تَحِلَّةَ القَسَمِ التى نَصَبْنا فيها العِجْلَ ، ثم يَنْقطِعُ القَسَمُ والعذابُ عَنَّا ، قال اللَّهُ عزّ وجلّ : ﴿ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ أى قالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ [المائدة : ١٨] (١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾ الآية . قال : قالوا : لن نُعَذَّبَ فى النارِ إلا أربعين يومًا . قال : يعنى اليهودَ . قال : وقال قتادةُ مثلَه . وقال : هى الأيامُ التى نصَبوا فيها العِجْلَ ، يقولُ اللَّهُ عزّ وجلّ : ﴿ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ حينَ قالوا : ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ (٢) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال مجاهدٌ قولَه : ﴿ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴾ . قال : غرَّهم قولُهم : ﴿ لَن

---

(١) تقدم فى ٢/١٧١ ، ١٧٢ .

(٢) أخرج آخره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٢٣ (٣٣٤٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ﴾[(١)] .

٢٢٠/٣ / القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ ﴾ : فأىَّ حالٍ يكونُ حالُ هؤلاء القومِ الذين قالوا هذا القولَ ، وفعَلوا ما فعَلوا ، من إعْراضِهم عن كتابِ اللَّهِ ، واغترارِهم بربِّهم ، وافترائِهم الكذبَ ؟ وذلك من اللَّهِ عز وجل وعيدٌ لهم شديدٌ ، وتَهديدٌ غَليظٌ .

وإنما يعنى بقولِه : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ ﴾ الآية : فما أعظمَ ما يَلْقَون مِن عقوبةِ اللَّهِ وتَنْكيلِه بهم ، إذا جمَعهم ليومٍ يُوَفَّى كلُّ عاملٍ جزاءَ عملِه على قَدْرِ استحقاقِه ، غيرَ مظلومٍ فيه ! لأنه لا يُعاقَبُ فيه إلا على ما اجترَم ، ولا يُؤاخَذُ إلا بما عمِل ، يُجْزَى المحسنُ بإحسانِه ، والمُسِيءُ بإساءتِه ، لا يخافُ أحدٌ مِن خلقِه يومَئذٍ منه[(٢)] ظُلْمًا ولا هَضْمًا .

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَٰهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . ولم يُقَلْ : فى يومٍ لاريبَ فيه ؟

قيل : لمُخالَفةِ معنَى[(٣)] اللامِ فى هذا الموضعِ معنَى « فى » ، وذلك أنه لو كان مكانَ اللامِ « فى » لكان معنى الكلامِ : فكيف إذا جمَعناهم فى يومِ القيامةِ ، ماذا يكونُ لهم مِن العذابِ والعقابِ ؟ وليس ذلك المعنى فى دخولِ اللامِ ، ولكنَّ معناه مع اللامِ : فكيفَ إذا جمَعناهم لِما يَحْدُثُ فى يومٍ لاريبَ فيه ، ولِما يكونُ فى ذلك

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٣/٢ (٣٣٤٧) من طريق حجاج به . وفيه عن ابن جريج ، عن خالد بن الحارث ، عن مجاهد .

(٢) سقط من م ، ت ٢، ت ٣، س .

(٣) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « بمعنى » .

اليومِ من فَصْلِ اللَّهِ القضاءَ بينَ خَلْقِه ، ماذا لهم حينَئذٍ من العقابِ وأليمِ العذابِ ؟ فمع اللامِ فى : ﴿ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ نيةُ[1] فعلٍ ، وخبرٌ مطلوبٌ ، قد تُرِك ذكرُه اجتِزاءً[2] بدَلالةِ دخولِ اللامِ فى « اليومِ » عليه منه ، وليس ذلك مع « فى » ؛ فلذلك اخْتِيرَت اللامُ ، فأُدْخِلت فى « اليومِ » دونَ « فى » .

وأمَّا تأويلُ قولِه : ﴿ لَّا رَيْبَ فِيهِ ﴾ . فإنه : لاشكَّ فى مَجيئِه .

وقد دلَّلْنا على أنه كذلك بالأدلةِ الكافيةِ ، مع ذكرِ مَن قال ذلك فى تأويلِه ، فيما مضَى ، بما أغنَى عن إعادتِه[3] .

وعَنَى بقولِه : ﴿ وَوُفِّيَتْ ﴾ : وَوَفَّى اللَّهُ ، ﴿ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ ﴾ . يعنى : ما عَمِلت مِن خيرٍ وشرٍّ ، ﴿ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾ . يعنى أنه لا يَبْخَسُ المحْسِنَ جزاءَ إحسانِه ، ولا يُعاقِبُ مُسيئًا بغيرِ جُرْمِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ ﴾ .

أما تأويلُ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ ﴾ . فإنه : قُلْ يا محمدُ : يا أللَّهُ .

واختلَف أهلُ العربيةِ فى نَصْبِ ميمِ ﴿ ٱللَّهُمَّ ﴾ وهو مُنادًى ، وحكمُ المنادى المفردِ غيرِ المضافِ الرفعُ ، وفى دخولِ الميمِ فيه ، وهو فى الأصلِ « اللَّهُ » بغيرِ ميمٍ ؛ فقال بعضُهم : إنما زِيدَت فيه الـميمان[4] ؛ لأنه لا يُنادَى بـ «يا » ، كما يُنادَى الأسماءُ التى لا أَلِف فيها [5]ولا لامَ[5] ، وذلك أن الأسماءَ التى لا أَلِفَ ولا لامَ فيها ، تُنادَى بـ

---

(١) فى س : « فيه منه » .

(٢) فى م : « أخيرًا » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/٢٣١ - ٢٣٣ .

(٤) فى س : « الميمات » .

(٥ - ٥) سقط من : م .

٢٢١/٣ « يا » ، كقولِ القائلِ : يازيدُ ، وياعمرُو . / قال : فجُعِلت الميمُ فيه خَلَفًا مِن « يا » ، كما قالوا : فمٌ ودمٌ[1] وهمٌ وزُرْقُمٌ[2] وسُتْهُمٌ[3] ، وما أشْبَهَ ذلك من الأسماءِ والنعوتِ التي يُحْذَفُ منها الحرفُ ، ثم يُبْدلُ مكانَه ميمٌ . قال : فكذلك حُذِفَتْ مِن « اللهمَّ » « يا » التي يُنَادَى بها الأسماءُ التي على ماوَصَفْنا ، وجُعِلت الميمُ خلفًا منها مما[4] في آخرِ الاسمِ[5] .

وأنكَر ذلك مِن قولِهم آخَرون[6] ، وقالوا : قد سمِعنا العربَ تُنادِى « اللهمَّ » بـ « يا » كما تُنادِيه ولا ميمَ فيه . قالوا : فلو كان الذى قال هذا القولَ مُصيبًا فى دَعْواه ، لم تدخِلْه العربُ « يا » ، وقد جاءوا بالخَلَفِ منها . وأنْشَدوا فى ذلك سماعًا مِن العربِ[7] :

وما عليْكِ أن تَقُولى كُلَّما
[8]صلَّيْتِ أوْ كَبَّرْتِ[8] يا [9]اللَّهمَّ ما[9]
ارْدُدْ علينا[10] شيخَنا[11] مُسَلَّما

(١) كذا وردت هذه الكلمة فى هذا الموضع ، وستأتى على الصواب بعد ذلك : « ابنم » .

(٢) كذا فى النسخ ، ومعانى القرآن للفراء ١/ ٢٠٣، ولم نجد هذه الكلمة والتى قبلها فيما زيدت فيه الميم آخرا . وينظر شرح تصريف المازنى لابن جنى ١/ ١٥١، والمزهر للسيوطى ٢/ ٢٥٧.

الزرقم : الشديد الزرق ، للمذكر والمؤنث . التاج (زرق) .

(٣) الستهم : العظيم الاست . اللسان (س ت هـ) .

(٤) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣.

(٥) وهذا رأى الخليل ، نقله عنه سيبويه فى الكتاب ٢/ ١٩٦.

(٦) هو قول الفراء ، ينظر معانى القرآن ١/ ٢٠٣.

(٧) معانى القرآن ١/ ٢٠٣، واللسان (أ ل هـ) ، والخزانة ٢/ ٢٩٦.

(٨ - ٨) فى معانى القرآن ، واللسان : « صليت أو سبحت » ، وفى الخزانة : « سبحت أو صليت » .

(٩ - ٩) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س ، واللسان : « ألِلّهُمّا » .

(١٠) فى م : « إلينا » .

(١١) الشيخ هنا : الأب أو الزوج .

ويُرْوَى : سَبَّحتِ أو كَبَّرتِ . قالوا : ولم نرَ العربَ زادَتْ مِثْلَ هذه الميمِ إلا مُخَففةً فى نَواقصِ الأسماءِ ، مِثْلَ(١ الفم وابنم ١) وهم . قالوا : ونحن نرَى أنها كلمةٌ ضُمَّ إليها « أُمَّ » ، بمعنى : يا أَللَّهُ أُمَّنا بخيرٍ ، فكَثُرت فى الكلامِ فاختَلَطت به . قالوا : فالضـمةُ(٢) التى فى الهاءِ مِن همزةِ « أم » لمَّا تُركت انْتقلت إلى ما قبلَها . قالوا : ونرَى أن قولَ العربِ : هَلُمَّ إلينا مِثْلُها ، إنما كانت(٣) « هَلُمَّ » : « هل » ، ضُمَّ إليها « أُمَّ » فتُرِكَت على نصبِها . قالوا : ومِن العربِ مَن يقولُ إذا طرَح الميمَ : يا أَللَّهُ اغْفِرْ لى ، ويا اللَّهُ اغْفِرْ لى ، بهمزِ(٤) الألفِ مِن « اللَّهِ » مرةً ، ووَصْلِها أُخرَى . فمَن حذَفها أجراها على أصلِها ؛ لأنها ألفٌ ولامٌ ، مثلُ الألفِ واللامِ اللتين تَدْخُلان فى الأسماءِ المعارفِ زائِدَتين ، ومَن (٥ هَمَزها تَوَهَّم أنها مِن الحرفِ ٥) ، إذ كانت لا تَسْقُطُ منه ، وأنْشَدُوا فى همزِ الألفِ منها(٦) :

مُبارَكٌ هُوَّ ومَنْ سَمَّاهُ
على اسْمِكَ اللَّهُمَّ يا أَللَّهُ

[٣٩٦/١ظ] قالوا : وقد كَثُرَت « اللهمَّ » فى الكلامِ حتى خُفِّفَت ميمُها فى بعضِ اللغاتِ . وأنْشُدوا(٧) :

(١ - ١) فى م : « فم ودم » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فالهمزة » .

(٣) فى م : « كان » .

(٤) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بهمزة » .

(٥ - ٥) فى ص ، ت ١ ، س : « وصلها وحذف الهمزة وتوهم أنها من الحروف » ، ومثله فى ت ٢ ، ت ٣ ، إلا أن فيهما : « وصله » بدلا من : « وصلها » .

(٦) الرجز فى معانى القرآن للفراء ١/ ٢٠٤ ، واللسان (أ ل هـ) .

(٧) كذا أنشده الفراء فى معانى القرآن ١/ ٢٠٤ ، وهو للأعشى فى ديوانه ص ٢٨٣ ، والشطر الثانى فيه كالرواية الآتية .

كـحَـلْـفَـةٍ مِـنْ أبـى رِيـاحٍ يَـسْـمَـعُـهـا اللَّـهُـمَ[1] الـكُـبـارُ

/ والرواةُ تُنْشِدُ ذلك[2] : ٢٢٢/٣

* يَسْمَعُها لاهُهُ الكُبارُ *

وقد أنْشَده بعضُهم[3] :

* يَسْمَعُها اللَّهُ [4]واللَّهُ كُبارُ[4] *

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ .

يعنى بذلك : يا مالكَ المُلْكِ ، يا مَن له مُلكُ الدنيا والآخرةِ خالصًا دونَ غيرِه .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ ابنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ قولَه : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ﴾ . أى : ربَّ العبادِ المَلِكَ[5] ، لا يَقْضِى فيهم غيرُك[6] .

وأما قولُه : ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ . فإنه يعنى : تُعْطِى المُلْكَ مَن تشاءُ ، فتُمَلِّكُه وتُسَلِّطُه على مَن[7] تَشاءُ .

---

(١) فى م : « لاهم » .

(٢) وهى رواية الديوان كما تقدم .

(٣) هو الكسائى كما قال الفراء .

(٤ - ٤) فى النسخ : « والكبار » . والمثبت من معانى القرآن .

(٥) فى سيرة ابن هشام : « والملك » .

(٦) فى سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٨: « غيره » .

(٧) فى ص : « ما » .

وقولُه : ﴿ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ . (١) يعنى : وتنزِعُ الملكَ ممن تشاءُ (١) أن تَنزِعَه منه ، فترَكَ ذِكْرَ : أن تَنزِعَه منه ؛ اكتفاءً بدلالةِ قولِه : ﴿ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ عليه ، كما يُقالُ : خُذْ ما شئتَ ، وكُنْ فيما شئتَ . يرادُ : خُذْ ماشئتَ أن تأخذَه ، وكُنْ فيما شئتَ أن تكونَ فيه ، وكما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴾ [الانفطار : ٨] يعنى : فى أىِّ صورةٍ شاء أن يُركِّبَك فيها رَكَّبَك .

وقيل : إن هذه الآيةَ نَزَلت على رسولِ اللَّهِ ﷺ جوابًا لمسألتِه ربَّه أن يجعَلَ مُلكَ فارسَ والرومِ لأمتِه .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : وذُكِرَ لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ سأل ربَّه جل ثناؤُه أن يَجْعَلَ له مُلكَ فارسَ والرومِ فى أمتِه ، فأنزَل اللَّهُ عز جل : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ إلى ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (٢) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِرَ لنا - واللَّهُ أعلمُ - أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ سأل ربَّه عز وجل أن يَجعَلَ مُلكَ فارسَ والرومِ فى أمتِه . ثم ذكَر مثلَه (٣) .

ورُوِى عن مجاهدٍ أنه كان يقولُ :معنى المُلكِ فى هذا الموضعِ النُّبوةُ .

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، س .

(٢) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ٧٠ ، ٧١ من طريق سعيد به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٢٤ (٣٣٥٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

ذِكْرُ الروايةِ عنه بذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾ . قال : النُّبوةُ[1] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه : ﴿ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ ﴾ بإعطائِه المُلكَ والسُّلطانَ ، وبسطِ القدرةِ له ، ﴿ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾ بسَلْبِك مُلْكَه ، وتَسْليطِ عدوِّه عليه ، ﴿ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ﴾ أى : كلُّ ذلك بيدِك وإليك ، لا يقدِرُ على ذلك أحدٌ ؛ لأنك / على كلِّ شىءٍ قديرٌ ، دونَ سائرِ خلقِك ، ودونَ مَن اتَّخذَه المشركون مِن أهلِ الكتابِ والأُمِّيينَ مِن العربِ إلهًا وربًّا يَعبُدونه مِن دونِك ، كالمسيحِ والأندادِ التى اتَّخذَها الأُمِّيُّون ربًّا . ٢٢٣/٣

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ قولَه : ﴿ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾ الآية . أى : إن ذلك بيدِك لا إلى غيرِك ، ﴿ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ أى : لا يَقْدِرُ على هذا غيرُك بسلطانِك وقدرتِك[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤُه : ﴿ تُولِجُ ﴾ : تُدْخِلُ . يُقالُ منه : قد ولَج فلانٌ منزلَه ، إذا

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٨٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٨.

دخَله ، فهو يَلِجُه وَلْجًا ووُلوجًا ولِجَةً . و أوْلجْتُه أنا إذا أدْخَلتَه .

ويعنى بقولِه : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ ﴾ : تُدْخِلُ مانَقَصْتَ مِن ساعاتِ الليلِ فى ساعاتِ النهارِ ، فتزيدُ مِن نُقصانِ هذا فى زِيادةِ هذا ، ﴿ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ ﴾ : وتُدْخِلُ ما نقَصتَ[1] مِن ساعاتِ النهارِ فى ساعاتِ الليلِ ، فتَزيدُ فى ساعاتِ الليلِ ما نقَصتَ مِن[2] ساعاتِ النهارِ .

كما حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ ﴾ : حتى يكونَ الليلُ خمسَ عشْرَةَ ساعةً ، والنهارُ تِسعَ ساعاتٍ ، وتُدْخِلُ النهارَ فى الليلِ ، حتى يكونَ النهارُ خمسَ عشرةَ ساعةً ، والليلُ تِسعَ ساعاتٍ[3] .

حدَّثنى المُثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا حفصُ بنُ[4] عمرَ ، عن الحكَمِ بنِ أبانٍ ، عن عِكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ما نقَص مِن النهارِ يَجْعَلُه فى الليلِ ، وما نقَص مِن الليلِ يَجْعَلُه فى النهارِ[5] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيۡلِ ﴾ . قال : ما يَنْقُصُ مِن أحدِهما[6] فى الآخرِ ، متعاقبان[7] أو يَتَعاقبان - شكَّ أبو عاصمٍ - ذلك مِن

---

(١) فى ت ١: « نقصته » .

(٢) فى ت ١: « فى » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٢٥ (٣٣٥٩) من طريق عمرو به .

(٤) فى النسخ : « عن » . وتقدم فى ١/ ٤١٥ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٥ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن أبى حاتم ، وهو عند ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٢٥ (٣٣٥٨) من طريق حفص بن عمر ، عن الحكم ، عن عكرمة قوله .

(٦) بعده فى م : « يدخل » .

(٧) فى ص ، ت ١: « متعقبان » ، وفى ت ٢: « متعقبات » .

الساعاتِ[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ : ما يَنْقُصُ مِن أحدِهما فى الآخرِ ، يَتَعاقبان ذلك مِن الساعاتِ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ قولَه : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى [١/٣٩٧و] ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ : نُقْصانُ الليلِ فى زيادةِ النهارِ ، ونُقصانُ النهارِ فى زيادةِ الليلِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ . قال : هو نُقْصانُ أحدِهما فى الآخرِ[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ . قال : يَأخذُ الليلُ مِن النهارِ ، ويَأخذُ النهارُ مِن الليلِ . يقولُ : نقصانُ الليلِ فى زيادةِ النهارِ ، ونقصانُ النهارِ فى زيادةِ الليلِ .

٢٢٤/٣ /حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ ، قال : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ﴾ . يعنى أنه يَأْخذُ أحدُهما مِن الآخرِ ، فيكونُ الليلُ أحيانًا أطولَ مِن النهارِ ، والنهارُ أحيانًا

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٠ بنحوه .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٧.

أطولَ مِن الليلِ[(١)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿تُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۖ﴾ . قال : هذا طويلٌ وهذا قصيرٌ ، أخَذ مِن هذا فأوْلَجه في هذا ، حتى صار هذا طويلًا وهذا قصيرًا .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾ .

اختَلف أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : تأويلُ ذلك أنه يُخرِجُ الشيءَ الحيَّ مِن النُّطفةِ الميِّتةِ ، ويُخرِجُ النُّطفةَ المَيِّتةَ مِن الشيءِ الحيِّ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني أبو السائبِ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن إبراهيمَ ، عن عبدِ اللَّهِ في قولِه : ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾ . قال : هي النُّطفةُ تَخْرجُ مِن الرجلِ وهي مَيِّتةٌ وهو حيٌّ ، ويَخْرجُ الرجلُ منها حيًّا وهي مَيِّتةٌ[(٢)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ عز وجل : ﴿وَتُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَتُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّۖ﴾ . قال : الناسُ الأحياءُ مِن النُّطَفِ والنُّطَفُ مَيتةٌ ، ويُخْرِجُها مِن الناسِ الأحياءِ والأنعامِ[(٣)] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٥ إلى عبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٢٦، ٦٢٧ (٣٣٦٤، ٣٣٦٨) من طريق الأعمش به بنحوه ، وهو فى تفسير سفيان ص ٧٦ عن الأعمش عن إبراهيم قوله .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٢٧ (٣٣٦٩) من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد ، وزاد فى آخره : والنبات كذلك أيضا . وأشار ابن أبي حاتم إلى أنه ليس عند ورقاء وشبل ذكر النبات . وينظر تفسير مجاهد ص ٢٥٠، ٢٥١.

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سلَمةَ بنِ نُبَيطٍ ، عن الضَّحاكِ فى قولِه : ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ ، فذكَر نحوَه[(١)] .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ . فالنُّطفةُ مَيتةٌ تكونُ ، [(٢)]تَخرُجُ مِن[(٢)] إنسانٍ حىٍّ ، ويَخرُجُ إنسانٌ حىٌّ مِن نطفةٍ ميتةٍ[(٣)] .

حدَّثني محمدُ بنُ [(٤)]عمرَ بنِ علىِّ بنِ[(٤)] عطاءٍ المُقَدَّمىُّ ، قال : ثنا أشْعَثُ السِّجِسْتانىُّ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ فى قولِه : ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ . قال : تُخرِجُ النُّطفةَ مِن الرجلِ ، والرجلَ مِن النطفةِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ . قال : تُخرِجُ الحىَّ مِن هذه النطفةِ المَيتةِ ، وتُخرِجُ هذه النطفةَ المَيتةَ مِن الحىِّ[(٥)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَتُخْرِجُ/ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ الآية . ٢٢٥/٣

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٢٦، ٦٢٧ معلقًا عقب الأثر (٣٣٦٤، ٣٣٦٨) .

(٢ - ٢) فى ص، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « يخرج منها » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٧/٢ عقب الأثر (٣٣٦٨) من طريق عمرو به .

(٤ - ٤) فى ص ، ت١ ، س : « عمرو بن على عن » ، وفى م ، ت٢ ، ت٣ : « عمرو ، وابن على عن » . وتقدم على الصواب .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٧.

قال : الناسُ الأحياءُ مِن النُّطفِ ، والنُّطفُ مَيتةٌ مِن الناسِ الأحياءِ ، ومِن الأنعامِ والنَّبْتِ كذلك . قال ابنُ جُريجٍ : وسمِعتُ يزيدَ بنَ عُوَيْمِرٍ يُخْبرُ عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : إخراجُه النطفةَ مِن الإنسانِ ، وإخراجُه الإنسانَ مِن النطفةِ[(١)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ قال : النطفةُ مَيتةٌ فتُخْرِجُ منها أحياءً ، ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ : تُخْرِجُ النطفَ مِن هؤلاءِ الأحياءِ ، والحبُّ مَيتٌ تُخْرِجُ منه حيًّا ، ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ : تُخْرِجُ مِن هذا الحبِّ[(٢)] الحيِّ حبًّا مَيتًا .

وقال آخَرون : معنى ذلك أنه يُخْرِجُ النخلةَ مِن النواةِ ، والنواةَ مِن النخلةِ ، والسُّنْبلَ مِن الحبِّ ، والحبَّ مِن السُّنْبُلِ ، والبَيْضَ مِن الدجاجِ ، والدجاجَ مِن البيضِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا أبو تُمَيلةَ ، قال : ثنا عُبَيدُ[(٣)] اللَّهِ ، عن عِكرمةَ قولَه : ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ . قال : هي البيضةُ تَخرُجُ مِن الحيِّ وهي مَيتةٌ ، ثم يَخرُجُ منها الحيُّ[(٤)] .

حدَّثني المُثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا حفصُ بنُ عمرَ ، عن الحكمِ بنِ

---

(١) ينظر ما تقدم تخريجه عن مجاهد في ص ٣٠٧ . وقول سعيد ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٢٦، ٦٢٧، عقب الأثر (٣٣٦٤، ٣٣٦٨) معلقًا .

(٢) سقط من : م .

(٣) في النسخ : « عبد » . والمثبت من مصدر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ١٩/ ٨٠.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٢٧، ٦٢٨ (٣٣٦٦، ٣٣٧١) من طريق أبي تميلة به .

أبانٍ ، عن عِكرمةَ فى قولِه : ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ . قال : النخلةُ مِن النواةِ ، والنواةُ مِن النخلةِ ، والحبةُ مِن السُّنْبُلةِ ، والسُّنْبُلةُ مِن الحبَّةِ[(1)] .

وقال آخرون : معنى ذلك أنه يُخرِجُ المؤمنَ مِن الكافرِ ، والكافرَ مِن المؤمنِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ [١/٣٩٧ظ] مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ ، يعنى : المؤمنَ مِن الكافرِ ، والكافرَ مِن المؤمنِ ، والمؤمنُ عبدٌ حىُّ الفؤادِ ، والكافرُ عبدٌ مَيِّتُ الفؤادِ[(2)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمرٌ ، قال : قال الحسنُ فى قولِه : ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ . قال : يُخرِجُ المؤمنَ مِن الكافرِ ، ويُخرِجُ الكافرَ مِن المؤمنِ[(3)] .

حدَّثنا عِمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ [(4)] بنُ سعيدٍ ، عن عمرٍو [(4)] ، عن الحسنِ قرَأ : ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ . قال : تُخرِجُ المؤمنَ مِن الكافرِ ، وتُخرِجُ الكافرَ مِن المؤمنِ .

حدَّثنى حُميدُ بنُ مَسْعَدَةَ ، قال : ثنا بشرُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا سليمانُ التيمىُّ ، عن أبى عثمانَ ، عن سلمانَ ، أو عن ابنِ مسعودٍ - وأكبرُ[(5)] ظنِّى أنه عن سلمانَ -

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٥ إلى المصنف .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٥ إلى المصنف وأبى الشيخ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٧.

(٤ - ٤) فى النسخ : «عن سعيد بن عمرو» .

(٥) فى س : «أكثر» .

قال : إن اللَّهَ عز وجل خَمَّر طينةَ آدمَ أربعينَ ليلةً - أو قال : أربعينَ يومًا - ثم قال [(١] بيدِه فيه [١)] ، فخرَج كلُّ طَيِّبٍ فى يمينِه ، وخرَج كلُّ خَبيثٍ فى يدِه الأُخرَى ،/ ثم خلَط بينهما . [(٢] وقال : [٢)] فمِن ثَمَّ يُخرجُ [(٣)] الحيَّ مِن الميتِ ، ويُخرِجُ الميتَ مِن الحيِّ [(٤)] .

٢٢٦/٣

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن الزهريِّ ، أن النبيَّ ﷺ دخَل على بعضِ نسائِه ، فإذا بامرأةٍ حَسَنةِ النعمةِ [(٥)] ، فقال : « مَن هذه ؟ » قالت : إحدى خَالاتِك . قال : « إن خَالاتِى بهذه البلدةِ لغَرائبُ ، وأىُّ خالاتِى هذه ؟ » قالت : خالدةُ [(٦)] ابنةُ الأسودِ بنِ عبدِ يَغُوثَ . قال : « سُبحانَ الذى يُخْرِجُ الحَىَّ مِن المَيتِ ! » وكانت امرأةً صالحةً ، وكان أبوها كافرًا [(٧)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفىُّ ، قال : ثنا عبَّادُ بنُ منصورٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ . قال : هل عَلِمتم أن الكافرَ يَلِدُ مؤمنًا ، وأن المؤمنَ يَلِدُ كافرًا ؟ فقال : هو كذلك .

(١ - ١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بعده فيه » ، وفى س : « بعده » .

(٢ - ٢) فى م ، وتفسير ابن أبى حاتم : « ثم خلق منها آدم » ، وليست فى بقية مصادر التخريج .

(٣) بعده فى ت ٢ ، ت ٣ : « قال » .

(٤) بعده فى م ، وتفسير ابن أبى حاتم : « يخرج المؤمن من الكافر ، ويخرج الكافر من المؤمن » .

والأثر أخرجه الآجرى فى الشريعة ٨٥٤/٢ (٤٣١ ، ٤٣٢) ، وأبو الشيخ فى العظمة ص ٣٦٩ (١٠١٨) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات ص (٧١٧) من طريق سليمان التيمى عن أبى عثمان عن سلمان وحده .

وأخرجه ابن أبى حاتم أيضا فى تفسيره ٦٢٧/٢ (٣٣٦٧) من طريق سليمان به كلفظ المطبوعة .

(٥) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « النغمة » ، وفى مصادر التخريج : « الهيئة » .

(٦) فى النسخ : « خلدة » بدون ألف .

(٧) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٧ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٦/٢ (٣٣٦٢) عن الحسن بن يحيى به . وأخرجه ابن سعد ٨/ ٢٤٨ ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٦/٢ (٣٣٦٠) من طريق معمر به نحوه وعند ابن أبى حاتم عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله . وينظر الإصابة ٥/ ٥٩٧ .

وأَوْلَى التأويلاتِ التي ذَكَرْناها في هذه الآيةِ بالصوابِ تأويلُ مَن قال : يُخرِجُ الإنسانَ الحيَّ[1] والأنعامَ والبهائمَ الأحياءَ مِن النُّطفِ الميَتةِ ، وذلك إخراجُ الحيِّ مِن الميِّتِ ، ويُخرِجُ النُّطفةَ الميَتةَ مِن الإنسانِ الحيِّ والأنعامِ والبهائمِ الأحياءِ ، وذلك إخراجُ الميِّتِ مِن الحيِّ . وذلك أن كلَّ حيٍّ فارَقه شيءٌ مِن جسدِه ، فذلك الذي فارَقه منه مَيتٌ ، فالنُّطفةُ مَيتةٌ لمُفارقتِها جسدَ مَن خرَجت منه ، ثم يُنْشِئُ اللَّهُ منها إنسانًا حيًّا وبهائمَ وأنعامًا أحياءَ ، وكذلك حُكْمُ كلِّ شيءٍ حيٍّ زايَله شيءٌ منه ، فالذي زايَله منه مَيتٌ . وذلك هو نَظيرُ قولِه : ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨] .

وأما تأويلُ مَن تأوَّله بمعنى الحبَّةِ مِن السُّنبلةِ ،والسُّنبلةِ مِن الحبةِ ، والبَيضةِ مِن الدَّجاجةِ ، والدَّجاجةِ مِن البيضةِ ، والمؤمنِ مِن الكافرِ ،والكافرِ مِن المؤمنِ ، فإن ذلك وإن كان له وجهٌ مفهومٌ ، فليس ذلك الأغلبَ الظاهرَ في استعمالِ الناسِ في الكلامِ . وتوجيهُ معاني كتابِ اللَّهِ عز وجل إلى الظاهرِ المُسْتَعملِ في الناسِ ، أَوْلَى من توجيهِها إلى الخفيِّ القليلِ في الاستعمالِ .

واختلَفتِ القرأةُ في قراءةِ ذلك ؛ فقرأته جماعةٌ منهم : ﴿وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ ، بالتشديدِ وتثقيلِ الياءِ مِن « الميِّت »[2] ، بمعنى أنه يُخرِجُ الشيءَ الحيَّ مِن الشيءِ الذي قد مات ومما لم يَمُتْ .

وقرأت جماعةٌ أخرى منهم : (تُخْرِجُ الحيَّ منَ المَيْتِ وتُخْرِجُ المَيْتَ من الحيِّ) بتخفيفِ الياءِ مِن « المَيْت » ، بمعنى أنه يُخرِجُ الشيءَ الحيَّ مِن الشيءِ الذي قد مات ،

---

(١) سقط من : ت ١ .

(٢) وهي قراءة نافع وعاصم - في رواية حفص - وحمزة والكسائي ، وقرأ ابن كثير وعاصم - في رواية أبي بكر - وأبو عمرو وابن عامر ، بالتخفيف ، وسيذكره المصنف . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٤.

دونَ الشيءِ الذى لم يَمُتْ ، ويُخرِجُ الشيءَ المَيتَ دونَ الشيءِ الذى لم يَمُتْ مِن الشيءِ الحيِّ .

وذلك أن الميِّتَ مُثقلَ الياءِ عندَ العربِ ، ما لم يَمُتْ وسيموتُ ، وما قد مات . وأما الميْتُ مُخفَّفًا[1] ، فهو الذى قد مات ، فإذا أرادوا النعتَ قالوا : إنك مائتٌ غدًا ، وإنهم مائِتون . وكذلك كلُّ مالم يَكُنْ بعدُ ، فإنه يَخْرُجُ على هذا المثالِ الاسمُ منه . يقالُ : هو الجائدُ بنفسه ، والطائبةُ نفسُه بذلك . وإذا أُرِيد معنى الاسمِ قيل : هو الجوادُ بنفسِه ، والطيبةُ نفسُه .

فإذ كان ذلك كذلك ، **فأَوْلَى القراءتين فى هذه الآيةِ بالصوابِ**[2] قراءةُ مَن شدَّدَ الياءَ مِن « الميِّتِ » ؛ لأن اللَّهَ جلَّ ثناؤه يُخرِجُ الحيَّ مِن / النطفةِ التى قد فارقت الرجلَ ، فصارت مَيِّتةً ، وسيُخرجُه منها بعدَ أن تُفارِقَه وهى فى صُلبِ الرجلِ ، ويُخرِجُ المَيِّتَ من الحيِّ ؛ النطفةَ التى تصيرُ بخروجِها مِن الرجلِ الحيِّ مَيِّتًا ، وهى قبلَ خروجِها منه حيةٌ ، فالتشديدُ أبلغُ فى المدحِ وأكملُ فى الثناءِ . ٢٢٧/٣

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه أنه يُعطِى مَن يشاءُ مِن خلقِه ، فيَجودُ عليه بغيرِ محاسبةٍ منه لـمَن أعطاه ؛ لأنه لا يخافُ دخولَ انتقاصٍ فى خزائنِه ، ولا الفناءَ على ما بيدِه .

كما **حدَّثنى** المُثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . قال : يُخرِجُ الرزقَ مِن عندِه بغيرِ حسابٍ ، لا يخافُ أن يَنْقُصَ ما عندَه تبارك وتعالى[3] .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مخفف » ، وفى س : « فيخفف » .

(٢) كلتا القراءتين صواب .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٨/٢ (٣٣٧٣) من طريق ابن أبى جعفر به نحوه .

[٣٩٨/١و] فتأويلُ الآيةِ إذنْ : اللهمَّ يا مالكَ الملكِ ، تُؤتى الملكَ مَن تشاءُ ، وتَنزِعُ الملكَ ممن تشاءُ ، وتُعِزُّ مَن تشاءُ ، وتُذِلُّ مَن تشاءُ ، بيدِك الخيرُ ، إنك على كلِّ شيءٍ قديرٌ ، دونَ مَن ادَّعَى المُلْحِدون أنه لهم إلهٌ وربٌّ ، وعبَدوه دونَك ، أو[1] اتَّخذوه شريكًا معَك ، أو أنه لك ولدٌ . وبيدِك القدرةُ التى تفعلُ هذه الأشياءَ ، وتَقْدِرُ بها على كلِّ شيءٍ ، تُولِجُ الليلَ فى النهارِ ، وتُولِجُ النهارَ فى الليلِ ، فتَنْقُصُ مِن هذا وتَزيدُ فى هذا ، وتَنْقُصُ مِن هذا [2]وتَزيدُ[2] فى هذا ، وتُخرِجُ من مَيِّتٍ حيًّا ، ومن حيٍّ مَيِّتًا ، وتَرْزُقُ مَن تَشاءُ بغيرِ حسابٍ مِن خلقِك ، لا يَقْدِرُ على ذلك أحدٌ سواك ، ولا يَستطيعُه غيرُك .

كما حدَّثنى ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ﴾ . أى : بتلك القدرةِ ، يعنى بالقدرةِ التى تُؤتِى الملكَ بها مَن تَشاءُ وتَنزِعُه[3] ممن تَشاءُ ، وتَرْزُقُ مَن تشاءُ بغيرِ حسابٍ ، لا يَقْدِرُ على ذلك غيرُك ، ولا يَصْنَعُه إلا أنت . أى : فإن كُنْتُ سَلَّطتُ عيسى على الأشياءِ التى بها يَزْعُمون أنه إلهٌ ؛ مِن إحياءِ الموتى ، وإبراءِ الأسْقامِ ، والخَلْقِ للطيرِ مِن الطينِ ، والخَبَرِ عن الغيوبِ ؛ [4]لأجعلَه آيةً[4] للناسِ ، وتصديقًا له فى نبوَّتِه التى بعَثتُه بها إلى قومِه ، فإن مِن سلطانى وقدرتِى ما لم أُعْطِه ؛ تمليكَ[5] الملوكِ ، [6]وأمرَ النبوةِ ووَضعَها[6] حيثُ

(١) فى م ، ت ٢، ت ٣: « و » .

(٢ - ٢) فى ص : « فتزيد » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، س : « تنزعها » .

(٤ - ٤) فى ص ، م ، ت ٢، س : « لتجعله » ، وفى س ، ت ١ : « ليجعله » ، وغير منقوطة فى ص ، والمثبت من سيرة ابن هشام ، وبعده فيها أيضًا : « به » .

(٥) فى م : « كتمليك » ، والمثبت موافق لما فى سيرة ابن هشام .

(٦ - ٦) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « بأمر النبوة ووصفها » .

شئتُ ، وإيلاجَ الليلِ فى النهارِ والنهارِ فى الليلِ ، وإخراجَ الحىِّ مِن الميِّتِ والميِّتِ مِن الحىِّ ، ورزقَ مَن شِئتُ مِن برٍّ أو فاجرٍ بغيرِ حسابٍ ، فكلُّ ذلك لم أُسَلِّطْ عيسى عليه ، ولم أُمَلِّكْه إياه ، فلم[1] يَكُنْ لهم فى ذلك عبرةٌ وبيِّنةٌ أن[2] لو كان إلهًا لكان ذلك كلُّه إليه ، وهو فى علمِهم يَهرُبُ مِن الملوكِ ، وينتقِلُ منهم فى البلادِ مِن[3] بلدٍ إلى بلدٍ[4] !

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ .

/ وهذا نهىٌ مِن اللَّهِ عز وجل المؤمنين أن يَتَّخِذوا الكفارَ أعوانًا وأنصارًا وظهورًا ، ولذلك كسَر ﴿يَتَّخِذِ﴾ ؛ لأنه فى مَوضعِ جزمٍ بالنهيِ ، ولكنه كسَر الذالَ منه للساكنِ الذى لقِيَه وهى ساكنةٌ . ٢٢٨/٣

ومعنى ذلك : لاتَتَّخِذوا أيها المؤمنون الكفارَ ظَهْرًا وأنصارًا ، تُوالونهم على دينِهم ، وتُظاهِرونهم على المسلمين مِن دونِ المؤمنين ، وتَدُلُّونهم على عوراتِهم ، فإنه مَن يَفْعَلْ ذلك ﴿ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ ﴾ ، يعنى بذلك : فقد برِئَ مِن اللَّه ، وبَرِئَ اللَّهُ منه ، بارتدادِه عن دينِه ، ودخولِه فى الكفرِ ، ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ : إلا أن تَكُونوا فى سُلطانِهم فتخافوهم على أنفسِكم ، فتُظْهِروا لهم الوَلايةَ بألسنتِكم ، وتُضْمِروا لهم العداوةَ ، ولا تُشايعوهم[5] على ما هم عليه مِن الكفرِ ، ولا

---

(١) فى سيرة ابن هشام : « أفلم » وفى نسخة منها كالمثبت .

(٢) فى م : « إذ » .

(٣) فى ص ، ت ١ : « ومن » ، وفى س : « أو من » .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٧٨/١ .

(٥) فى ت ٢ ، ت ٣ : « تتابعوهم » ، وفى س : « تسابقوهم » .

تُعِينوهم على مُسْلمٍ بفِعلٍ .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . قال : نهَى اللَّهُ سبحانه المؤمنين أن يُلاطِفوا الكفارَ ، أو يتَّخِذوهم وَليجةً مِن دونِ المؤمنين ، إلا أن يكونَ الكفارُ عليهم ظاهرين ، فيُظْهِروا لهم اللطفَ ، ويُخالِفوهم فى الدينِ ، وذلك قولُه : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن عِكْرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان الحَجَّاجُ بنُ عمرٍو ، حليفُ كعبِ بنِ الأشرفِ ، وابنُ أبى الحُقَيقِ ، وقيسُ بنُ زيدٍ ، قد بطَنُوا[(٢)] بنفرٍ مِن الأنصارِ ليَفْتِنوهم عن دينِهم ، فقال رِفاعةُ بنُ المُنْذرِ بنِ زَنْبَرٍ[(٣)] ، وعبدُ اللَّهِ بنُ جُبَيرٍ ، وسعدُ بنُ خَيثمةَ ، لأولئك النفرِ : اجْتَنِبُوا هؤلاء اليهودَ ، واحْذَروا لُزومَهم ومُباطنتَهم ، لا يَفْتِنوكم عن دينِكم . فأبَى أولئك النفرُ إلا مُباطنتَهم ولُزومَهم ، فأنزل اللَّهُ عزّ وجلّ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم ٦٢٨/٢ (٣٣٧٥) من طريق عبد الله بن صالح به..

(٢) بطن فلان بفلان : إذا كان خاصا به داخلا فى أمره . اللسان (ب ط ن) .

(٣) سقط من : س ، وغير منقوطة فى ص ، ت ١ ، وفى م : « زبير » ، وفى ت ٢ ، ت ٣ : « زهير » . وينظر المؤتلف والمختلف ٣/ ١١٤٠ ، وتبصير المنتبه لابن حجر ص ٦٤٠ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٧٧) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن على محمد بن أبى محمد قوله . وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٧٢ ، ٧٣ عن ابن عباس ولم يسنده .

حدَّثنا محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، قال : ثنا عبادُ بنُ منصورٍ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ . يقولُ : لا يَتَّخذِ المؤمنُ كافرًا وليًّا مِن دونِ المؤمنينَ .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ . إلى : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ : أمّا ﴿ أَوْلِيَآءَ ﴾ ، فيواليهم في دينِهم ، ويُظْهِرُهم على عورةِ المؤمنينَ ، فمن فعَل هذا فهو مُشرِكٌ ، فقد برِئ اللَّهُ منه ، إلا أن يَتَّقِيَ منهم تُقاةً ، فهو يُظْهِرُ الوَلايةَ لهم في دينِهم والبراءةَ مِن المؤمنينَ[(1)] .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا قَبيصةُ بنُ عُقْبةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عمّن حدَّثه عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ . قال : التُّقاةُ التَّكلُّمُ باللسانِ وقلبُه مُطْمئنٌّ بالإيمانِ[(2)] .

حدَّثني المُثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا حفصُ بنُ عمرَ ، قال : ثنا الحكمُ بنُ أبانٍ ، عن عكرمةَ في قولِه : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ . قال : مالم يُهرِقْ دَمَ مسلمٍ ، وما لم يَسْتَحِلَّ مالَه[(3)] .

/ حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، [١/٣٩٨ظ] عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ : إلا مُصانعةً في الدنيا ومُخالقةً[(4)] . ٣/٢٢٩

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٧٦، ٣٣٧٨، ٣٣٧٩) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٨٢) من طريق سفيان ، عن ابن عباس بنحوه .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٢٩/٢ (٣٣٨٠) من طريق حفص به .

(٤) غير منقوطة في ص ، وفي ت ١: « مخالفة » . وخالقه مخالقة : إذا عاشره على أخلاقه . التاج (خ ل ق) .

والأثر في تفسير مجاهد ص ٢٥١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٠/٢ (٣٣٨٥) ، من طريق ابن أبي نجيح به . وليس في تفسير مجاهد : ومخالقة .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿ لَا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ إلى : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ . قال : قال أبو العاليةِ : التَّقِيَّةُ باللسانِ ، وليس بالعملِ[(١)] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبَرنا عُبيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحّاكَ يقولُ في قولِه : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ . قال : التَّقِيةُ باللسانِ ، مَن حُمِل على أمرٍ يَتَكلَّمُ به وهو للهِ معصيةٌ ، فتكَلَّم مَخافةً على نفسِه وقلبُه مُطْمئنٌّ بالإيمانِ ، فلا إثمَ عليه ، إنما التَّقيةُ باللسانِ[(٢)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمِّي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ : فالتَّقيةُ باللسانِ ، مَن حُمِل على أمرٍ يَتَكلَّمُ به وهو معصيةٌ للهِ ، فيَتكلمُ به مخافةَ الناسِ وقلبُه مُطمئنٌّ بالإيمانِ ، فإن ذلك لايضرُّه ، إنما التقيةُ باللسانِ[(٣)] .

وقال آخرون : معنى[(٤)] ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ : إلا أن يكونَ بينك وبينه قرابةٌ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ لَا يَتَّخِذِ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٠ (٣٣٨٣) من طريق ابن أبي جعفر به .
(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٠ عقب الأثر (٣٣٨٤) معلقًا .
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٢٩ (٣٣٨١) عن محمد بن سعد به .
(٤) بعده في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ذلك » .

ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إلى : ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً[(1)]﴾ : نهَى اللَّهُ المؤمنينَ أن يُوادُّوا الكفارَ ، أو يَتولَّوهم دونَ المؤمنين ، وقال اللَّهُ : ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً[(1)]﴾ ، الرَّحِمُ مِن المشركينَ ، مِن غيرِ أن يَتولَّوهم فى دينِهم ، إلا أن يَصِلَ رحمًا له فى المشركين .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾ . قال : لا يَحِلُّ لمؤمنٍ أن يَتخِذَ كافرًا وليًّا فى دينِه ، وقولُه : ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ . قال : أن يكونَ بينَك وبينَه قرابةٌ ، فتَصِلَه لذلك[(2)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفىُّ ، قال ثنا عبَّادُ بنُ منصورٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ . قال : صاحِبْهم فى الدنيا معروفًا ، الرَّحِمَ[(3)] وغيرَه ، فأمَّا فى الدِّينِ فلا .

وهذا الذى قاله قتادةُ تأويلٌ له وجهٌ ، وليس بالوجهِ الذى يَدُلُّ عليه ظاهرُ الآيةِ : إلَّا أن تتقوا [(4)]من الكافرين[(4)] تُقاةً . فالأغلبُ مِن معانى هذا الكلامِ : إلا أن تَخافوا منهم مَخافةً . فالتَّقيَّةُ التى ذكَرها اللَّهُ فى هذه الآيةِ إنما هى تَقِيةٌ مِن الكفارِ لا مِن غيرِهم . ووَجَّهَه قتادةُ إلى أن تأويلَه : إلا أن تَتَّقوا اللَّهَ مِن أجلِ القَرابةِ التى بينكم وبينهم تُقاةً ، فتَصِلون رَحِمَها . وليس ذلك الغالبَ على معنَى الكلامِ ، والتأويلُ فى القرآنِ على الأغلبِ الظاهرِ مِن معروفِ كلامِ العربِ ، المستعملِ فيهم .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٣: « تقية » . قراءة ، وسيذكرها المصنف بعد قليل .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٨. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٣٠ (٣٣٨٦) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « والرحم » .

(٤ - ٤) فى س : « منهم » .

وقد اختلفت القَرَأَةُ في قراءةِ قولِه : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ ؛ فقرأ ذلك عامَّةُ قَرَأةِ الأمصارِ ﴿ إِلَّآ / أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ على تقديرِ فُعَلَةٍ مثل : تُخَمَةٍ ، وتُؤَدَةٍ ، وتُكَأَةٍ ، مِن « اتَّقَيْت » . ٢٣٠/٣

وقرأ ذلك آخرون : (إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا منهم تَقِيَّةً) . على مثالِ فَعيلَةٍ[1] .

والقراءةُ التي هي القراءةُ عندَنا قراءةُ مَن قرأها : ﴿ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ﴾ ؛ لثبوتِ حُجَّةِ ذلك بأنه القراءةُ الصحيحةُ ، بالنقلِ المُستفيضِ الذي يَمْتنِعُ معه[2] الخطأُ .

القولُ في تأويلِ قولِه عزّ وجلّ : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ ﴾ .

يَعنى تعالى ذِكْرُه بذلك : ويُخَوِّفُكم اللَّهُ مِن نفسِه أن تَرْكَبوا معاصِيَه ، أو تُوالُوا أعداءَه ، [3]فإلى اللَّهِ[3] مَرْجِعُكم ومصيرُكم بعدَ مماتِكم ، ويومُ حشرِكم لموقفِ الحسابِ . يَعنى بذلك : متى صِرْتُم إليه وقد خالَفْتُم ما أمرَكم به ، وأَتَيْتُم مانهاكم عنه مِن اتخاذِ الكافرينَ أولياءَ مِن دونِ المؤمنين نالكم مِن عقابِ ربِّكم مالا قِبَلَ لكم به . يقولُ : فاتَّقُوه واحْذَروه أن ينالكم ذلك منه ، فإنه شديدُ العقابِ .

القولُ في تأويلِ قولِه عزّ وجلّ : ﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ .

---

(١) وهي رواية المفضل عن عاصم ، وبها قرأ يعقوب – وهو من العشرة – ووافقه الحسن ، وقرأ الباقون بالوجه الأول . ينظر البحر المحيط ٢/ ٤٢٤، وإتحاف فضلاء البشر ص ١٠٤.

(٢) في النسخ : « منه » . وهو تصحيف . والصواب ما أثبت .

(٣ - ٣) في ص ، ت ١، س : « فإن اللَّه » ، وفي م : « فإن اللَّه » .

يَعنى بذلك جلّ ثناؤه : قل يا محمدُ للذين أمَرْتُهم ألّا يتَّخِذوا الكافرين أولياءَ مِن دونِ المؤمنين : ﴿ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ ﴾ مِن مُوالاةِ الكفارِ فتُسِرُّوه[1] ، أو تُبْدوا ذلكم مِن نفوسِكم بألسنتِكم وأفعالِكم فتُظْهِروه ، ﴿ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ﴾ ، فلا يَخفَى عليه . يقولُ : فلا تُضْمِرُوا لهم مودَّةً ولا تُظْهِرُوا لهم مُوالاةً ، فيَنالَكم مِن عُقوبةِ ربِّكم ما لا طاقةَ لكم به ؛ لأنه يعلمُ سِرَّكم وعَلانيتَكم ، فلا يَخْفَى عليه شىءٌ منه ، وهو مُحْصِيه عليكم ، حتى يُجازيَكم عليه بالإحسانِ إحسانًا ، وبالسيئةِ مثلَها .

كما حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : أخبرهم أنه يَعْلَمُ ما أسَرُّوا مِن ذلك وما أعلنوا ، فقال[2] : ﴿ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ ﴾[3] .

وأمَّا قولُه : ﴿ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ فإنه[4] يَعنى أنه إذا[5] كان لا يَخْفَى عليه شىءٌ هو فى سماءٍ أو أرضٍ أو حيثُ كان ، فكيف يَخْفَى عليه - أيُّها القومُ الذين يَتَّخِذون الكافرين أولياءَ مِن دونِ [١/٣٩٩و] المؤمنين - ما فى صدورِكم مِن المَيْلِ إليهم بالمودةِ والمحبةِ ، أو ما تُبْدُونه لهم بالمعونةِ فعلًا وقولًا ؟

وأمَّا قولُه : ﴿ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ فإنه يعنى : واللَّهُ قديرٌ على مُعاجَلتِكم بالعقوبةِ[6] على مُوالاتِكم إياهم ، ومُظاهرتِكموهم على المؤمنين ، وعلى ما يشاءُ مِن الأمورِ كلِّها ، لا يَتعذَّرُ عليه شىءٌ أراده ، ولا يَمْتَنِعُ عليه شىءٌ طلَبه .

---

(١) فى س : « فتستروه » .

(٢) فى ص ، ت ١ ،ت ٢ ،ت ٣ ، س : « قال » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٣١ (٣٣٨٩) من طريق عمرو به .

(٤) فى ت ١ ، س : « فإنما » .

(٥) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « إذ » .

(٦) فى ص ، ت١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « والعقوبة » .

القولُ في تأويلِ قولِه عزّ وجلّ : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ .

٢٣١/٣ / يَعنى بذلك جلّ ثناؤُه : ويُحَذِّرُكم اللّهُ نَفْسَه فى يومِ تَجِدُ كلُّ نفسٍ ما عمِلت مِن خيرٍ مُحْضَرًا مُوفَّرًا ، ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًا ﴾ . يَعنى : غايةً بعيدةً ، فإنَّ مصيرَكم أيها القومُ يومئذٍ إليه ، فاحْذَرُوه على أنفسِكم مِن ذنوبِكم .

وكان قتادةُ يقولُ فى معنَى قولِه : ﴿ مُّحْضَرًا ﴾ . ما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ﴾ . يقولُ : مُوَفَّرًا[(١)] .

وقد زعَم بعضُ[(٢)] أهلِ العربيةِ أن معنَى ذلك : واذْكُرْ[(٣)] يومَ تَجِدُ . وقال: إن ذلك إنما جاء كذلك ؛ لأن القرآنَ إنما نزَل للأمرِ والذِّكْرِ ، كأنه قيل لهم : اذْكُروا كذا وكذا ؛ لأنه فى القرآنِ فى غيرِ موضعٍ : واتَّقُوا يومَ كذا ، وحينَ كذا .

وأما ﴿ مَّا ﴾ التى مع ﴿ عَمِلَتْ ﴾ فبمعنَى « الذى » ، ولا يجوزُ أن تكونَ جزاءً ، لوقوعِ ﴿ تَجِدُ ﴾ عليه[(٤)] .

وأمَّا قولُه : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ ﴾ . فإنه معطوفٌ على قولِه : ﴿ مَّا ﴾ الأُولَى ، و ﴿ عَمِلَتْ ﴾ صِلَةٌ بمعنَى الرفعِ ، لمَّا[(٥)] قيل : ﴿ تَوَدُّ ﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣١/٢ (٣٣٩٢) من طريق يزيد به .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س .

(٤) الوقوع : التعدى .

(٥) فى النسخ : « كما » . والمثبت ما يقتضيه السياق . وينظر معانى القرآن للفراء ٢٠٦/١ .

فتأويلُ الكلامِ : يومَ تَجِدُ كلُّ نفسٍ الذى عمِلت مِن خيرٍ مُحضرًا ، والذى عمِلت مِن سُوءٍ تَوَدُّ لو أن بينَها وبينَه أمدًا .

والأمدُ[١] الغايةُ التى يُنْتَهَى إليها ، ومنه قولُ الطِّرِمَّاحِ[٢] :

كُلُّ حيٍّ مُسْتَكْمِلٌ عِدَّةَ العُمْـ ـرِ ومُودٍ[٣] إذا انْقَضَى أَمَدُهْ[٤]

يَعنى : غايةُ أجلِه .

وقد حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ قولَه : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ ﴾ : مكانًا بعيدًا[٥] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ : ﴿ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ ﴾ . قال : أجلًا[٦] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفىُّ ، قال : ثنا عبَّادُ بنُ منصورٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ ﴾ . قال : يَسُرُّ أحدَهم ألا يَلْقَى عملَه ذاك أبدًا ، يكونُ ذلك مُناه ، وأما فى الدنيا فقد كانت خطيئتُه يَسْتَلِذُّها[٧] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

يقولُ جلَّ ثناؤُه : ويُحذِّرُكم اللَّهُ نفسَه أن تُسْخِطُوها عليكم برُكوبِكم ما

(١) فى ص : « فإن » .
(٢) ديوانه ص ١٩٧.
(٣) مودٍ : هالك .
(٤) فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س : « أجله » ، وفى الديوان : « عدده » .
(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٢/٢ (٣٣٩٧) من طريق عمرو به .
(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٧/٢ إلى المصنف .
(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣١/٢ (٣٣٩٤) من طريق أبى بكر الحنفى به .

يُسْخِطُه عليكم ، فتوافُوه[١] يومَ تجِدُ كلُّ نفسٍ ما عمِلت من خيرٍ محضرًا ، وما عمِلت من سوءٍ تودُّ لو أن بينَها وبينَه أمدًا بعيدًا ، وهو عليكم ساخطٌ ، فيَنالَكم مِن أليمِ عقابِه ما لا قِبَلَ لكم به .

ثم أخبَر عزَّ وجلَّ أنه رءوفٌ بعبادِه رحيمٌ بهم ، ومِن رأفتِه بهم تَحذِيرُه إيَّاهم نفسَه ، وتخويفُهم عقوبتَه ، ونَهيُه إيَّاهم عما نهاهم عنه مِن معاصِيه .

كما حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، عن ابنِ عُيينةَ ، عن عمْرٍو ، عن[٢] / الحسنِ في قولِه : ﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ . قال[٣] : مِن رأفتِه بهم أن حذَّرهم نفسَه[٤] . ٢٣٢/٣

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٣١) ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ في السببِ الذي أُنزِلتْ هذه الآيةُ فيه ؛ **فقال بعضُهم :** أُنزِلت في قومٍ قالوا على عهدِ النبيِّ ﷺ : إنَّا نُحِبُّ ربَّنا . فأمَر اللَّهُ جلَّ وعزَّ نبيَّه محمدًا ﷺ أن يقولَ لهم : إن كُنتم صادِقين فيما تَقولون فاتَّبِعوني ، فإنَّ ذلك علامةُ صِدْقِكم فيما قُلْتُم مِن ذلك .

---

(١) في م : « فتوافونه » .

(٢) في النسخ : « بن » . والمثبت من مصادر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٢٣.

(٣) بعده في ص ، ت ١، ت ٢، س : « هو » .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١١٨/١ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٢/٢ (٣٣٩٨) من طريق الفضيل بن عياض ، عن الحسن .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن بكرِ ابنِ الأسودِ ، قال : سمِعتُ الحسنَ يقولُ : قال قومٌ على عهدِ النبيِّ ﷺ : يا محمدُ ، إنَّا نُحِبُّ ربَّنا . فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ . فجعَل اتِّباعَ نبيِّه محمدٍ ﷺ عَلَمًا لحبِّه ، وعذابَ مَن خالَفه[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عليُّ بنُ الهَيْثمِ ، قال : ثنا عبدُ الوهَّابِ ، عن أبي عُبَيدةَ ، قال : سمِعتُ الحسنَ يقولُ : قال أقوامٌ على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ : يا محمدُ ، إنَّا لنُحِبُّ ربَّنا . فأَنزَل اللَّهُ جلَّ وعزَّ بذلك قرآنًا : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ، فجعَل اللَّهُ اتِّباعَ نبيِّه محمدٍ ﷺ عَلَمًا لحبِّه ، وعذابِ مَن خالَفه[(٢)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ قولَه : ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ . قال : كان قومٌ يَزْعُمون أنهم يُحِبُّون اللَّهَ ، يقولُون : إنَّا نُحِبُّ ربَّنا . فأمَرَهم اللَّهُ أن يَتَّبِعوا [١/٣٩٩ظ] محمدًا ﷺ ، وجعَل اتِّباعَ محمدٍ عَلَمًا لحبِّه[(٣)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سِنانٍ[(٤)] ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، قال : ثنا عبَّادُ بنُ منصورٍ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ﴾ الآية . قال : إنَّ أقوامًا كانُوا على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ يَزْعُمون أنهم يُحِبُّون اللَّهَ ، فأراد اللَّهُ أن يَجعلَ لقولِهم تصديقًا

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/١٧ إلى المصنف .

(٢) أخرجه الآجري في الشريعة (٢٥٤) من طريق عبد الوهاب به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/١٧ إلى ابن المنذر .

(٣) عزاه في الدر المنثور ٢/١٧ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) في النسخ : « سفيان » . وتقدم في ص ٣٢٣ .

مِن عملٍ ، فقال : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ الآية . كان اتِّباعُ محمدٍ ﷺ تصديقًا لقولِهم[١] .

وقال آخرون : بل هذا أمرٌ مِن اللَّهِ نبيَّه محمدًا ﷺ أن يقولَ لوفدِ نَجْرانَ الذين قَدِموا عليه مِن النصارَى ، إنْ كان الذى يقولونه فى عيسى مِن عظيمِ القولِ إنما يقولُونه تعظيمًا للَّهِ وحبًّا له ، فاتَّبِعوا محمدًا ﷺ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

٢٣٣/٣ / **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبَيرِ : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ﴾ أى : إنْ كان هذا مِن قولِكم - يَعنى فى عيسى - حبًّا للَّهِ وتعظيمًا له ﴿ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ أى : ما مضَى مِن كفرِكم ، ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[٢] .

قال أبو جعفرٍ : وأَوْلَى القولينِ بتأويلِ الآيةِ قولُ محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ ؛ لأنه لم يَجْرِ لغيرِ وفدِ نَجْرانَ فى هذه السورةِ ولا قَبْلَ هذه الآيةِ ذِكْرُ قومٍ ادَّعَوا أنهم يُحِبُّون اللَّهَ ولا أنهم يُعَظِّمونه ، فيكونَ قولُه : ﴿ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى ﴾ جوابًا لقولِهم على ما قاله الحسنُ .

وأمَّا ما روَى الحسنُ فى ذلك مما قد ذكَرْناه ، فلا خبرَ به عندَنا يَصِحُّ فيَجوزَ أن يُقالَ : إن ذلك كذلك . وإن لم يكن فى السورةِ دَلالةٌ على أنه كما قال ، إلا أن يكونَ الحسنُ أراد بالقومِ الذين ذكَر أنهم قالوا ذلك على عهدِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وَفْدَ نَجْرانَ مِن النصارَى ، فيكونَ ذلك مِن قولِه نَظِيرَ إخبارِنا .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٣/٢ (٣٤٠٢) من طريق أبى بكر الحنفى .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٨/١ ، ٥٧٩ .

فإذا لم يكنْ بذلك خبرٌ على ما قُلنا ، ولا فى الآيةِ دليلٌ على ما وصَفْنا ، فأوْلَى الأمورِ بنا أن نُلْحِقَ تأويلَه بالذى عليه الدَّلالةُ مِن آيِ السورةِ ، وذلك هو ما وَصَفْنا ؛ لأن ما قبلَ هذه الآيةِ مِن مُبْتَدأِ هذه السورةِ وما بعدَها خبرٌ عنهم ، واحْتِجاجٌ مِن اللَّهِ لنبيِّه محمدٍ ﷺ ، ودليلٌ على بُطولِ قولِهم فى المسيحِ . فالواجبُ أن تكونَ هى أيضًا مَصْروفةَ المعنى إلى نحوِ ما قبلَها ومعنَى ما بعدَها .

فإذْ كان الأمرُ على ما وَصَفْنا ، فتَأويلُ الآيةِ : قلْ يا محمدُ للوفدِ مِن نصارَى نَجْرانَ : إن كُنتُم تَزْعُمُون أنكم تُحِبُّون اللَّهَ ، وأنكم تُعَظِّمون المسيحَ ، وتقولون فيه ما تقولون ، حُبًّا منكم ربَّكم ، فحَقِّقُوا قولَكم الذى تقولونه ، إن كُنتم صادِقِين ، باتِّباعِكم إيایَ ، فإنكم تعلمون أنى للَّهِ رسولٌ إليكم ، كما كان عيسى رسولًا إلى مَن أُرْسِلَ إليه ، فإنه إن اتَّبعتُمونى وصدَّقْتُمونى على ما آتيْتُكم به مِن عندِ اللَّهِ ، يَغْفِرْ لكم ذُنوبَكم ، فيَصْفحُ لكم عن العقوبةِ عليها ، ويَعفو لكم عمَّا مضَى منها ، فإنه غفورٌ لذنوبِ عبادِه المؤمنين ، رحيمٌ بهم وبغيرِهم مِن خلقِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : قل يا محمدُ لهؤلاءِ الوفدِ مِن نصارَى نَجْرانَ : أَطِيعُوا اللَّهَ والرسولَ محمدًا ، فإنكم قد عَلِمتم يقينًا أنه رسُولِى إلى خلقِى ، ابْتَعثْتُه بالحقِّ ، تَجِدونه مكتوبًا عندَكم فى الإنجيلِ ، فإن تولَّوْا فاستدْبَروا عمَّا دَعوتَهم إليه مِن ذلك وأعْرَضُوا عنه ، فأعْلِمْهم أن اللَّهَ لا يُحِبُّ مَن كفَر ، بجَحْدِ ما عَرَف مِن الحقِّ وأنكَره بعدَ علمِه ، وأنهم منهم بجُحودِهم نُبوَّتَك وإنكارِهم الحقَّ الذى أنت عليه ، بعد علمِهم بصِحَّةِ أمرِك وحقيقةِ نُبوَّتِك .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ﴾ : فأنتم تعرِفُونه - يعنى الوفدَ مِن نصارَى نجرانَ - وتجِدونه فى كتابِكم ، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ على كفرِهم ، ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴾[1] .

٢٣٤/٣ / القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : إن اللهَ اجْتبَى آدمَ ونوحًا ، واختارَهما لدينِهما ، وآلَ إبراهيمَ وآلَ عِمرانَ لدينِهم الذى كانوا عليه ؛ لأنهم كانوا أهلَ الإسلامِ . فأخْبَرَ اللهُ عزَّ وجلَّ أنه اختار دينَ مَن ذكَرْنا على سائرِ الأديانِ التى خالَفَتْه . وإنما عنَى بـ « آلِ إبراهيمَ وآلِ عِمرانَ » المؤمنين .

وقد دَلَّلْنا على أن آلَ الرجلِ أتْباعُه وقومُه ومَن هو على دينِه .

وبالذى قلنا فى ذلك رُوِىَ القولُ عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقولُه .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ . قال : هم المؤمنون مِن آلِ إبراهيمَ وآلِ عِمرانَ وآلِ ياسينَ وآلِ محمدٍ ، يقولُ اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ [آل عمران : ٦٨] . وهم المؤمنون[2] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٩.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٥/٢ (٣٤١٤)، من طريق عبد الله بن صالح به دون آخره .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ : رجلانِ نبيّانِ اصْطَفاهما اللهُ على العالمِين .

[١/٤٠٠و] حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ . قال : ذكَر اللهُ أهلَ بيتَيْنِ صالحَيْنِ ، ورَجُليْن صالحَيْنِ ، ففضَّلهم على العالَمِين ، فكان محمدٌ ﷺ مِن آلِ إبراهيمَ[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفىُّ ، قال : ثنا عَبّادٌ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . قال : فَضَّلَهم اللهُ على العالمينَ بالنبوّةِ على الناسِ كلِّهم ، كانوا هم الأنبياءَ الأتْقِياءَ المُصْطَفَيْنَ[(٢)] لربِّهم[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ذُرِّيَّةًۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

يعنى بذلك أن اللهَ اصْطَفى آلَ إبراهيمَ وآلَ عِمرانَ ذُرِّيةً بعضُها من بعضٍ . فالذُّرِّيةُ منصوبةٌ على القطعِ مِن « آلِ إبراهيمَ وآلِ عمرانَ » ؛ لأن « الذُّرِّيةَ » نكرةٌ ، و« آلَ عِمرانَ » مَعْرِفةٌ .

ولو قيلَ : نُصِبَتْ على تكريرِ « الاصْطِفاءِ » . لكان صوابًا ؛ (٤)لأن المعنى(٤) :

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١١٨/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٥/٢ (٣٤١٣) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) فى م ، س : « المطيعين » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٤/٢ (٣٤١١) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « لمعنى » .

اصطفى ذُرِّيةً بعضُها مِن بعضٍ .

وإنما جعَل بعضَهم مِن بعضٍ فى المُوالاةِ فى الدينِ ، والمؤازَرَةِ على الإسلامِ والحقِّ ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٧١] . وقال فى مَوْضِعٍ آخرَ : ﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ﴾ [التوبة : ٦٧] . يعْنى : أنَّ دينَهم واحدٌ ، وطريقَتَهم واحدةٌ ، فكذلك قولُه : ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ . إنما معناه : ذُرِّيةً دِينُ بعضِها دِينُ بعضٍ ، وكَلِمَتُهم واحدةٌ ، ومِلَّتُهم واحدةٌ فى توحيدِ اللهِ وطاعتِه .

٢٣٥/٣ / كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ذُرِّيَّةَۢ بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ . يقولُ : فى النيةِ والعملِ والإخلاصِ والتوحيدِ له[(١)] .

وقولُه : ﴿ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ . يعنى بذلك : واللهُ ذو سَمْعٍ لقولِ امرأةِ عِمرانَ ، وذو عِلْمٍ بما تُضْمِرُه فى نفسِها ، إذ نَذَرتْ له ما فى بطنِها مُحَرَّرًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ ﴾ .

يعنى [(٢)] بذلك بقولِه جلَّ ثناؤُه : واللهُ سميعٌ عليمٌ [(٢)] ﴿إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ﴾ . فـ ﴿إِذْ﴾ مِن صِلَةِ ﴿سَمِيعٌ﴾ . وأما امرأةُ عِمرانَ ، فهى أُمُّ مَريمَ ابنةِ عِمرانَ أُمِّ عيسى ابنِ مريمَ ، صلواتُ اللهِ عليه ، وكان اسمُها ، فيما ذُكِرَ لنا ، حَنَّةَ ابنةَ فاقوذَ[(٣)] ابنِ قبيلٍ[(٤)] .

كذلك حدَّثنا به محمدُ بنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمَةُ ، عن ابنِ إسحاقَ فى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٣٥ (٣٤١٨) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٢ - ٢) فى النسخ : « بقوله جل ثناؤه » . والمثبت هو ما جرت عليه عادة المصنف فى تفسيره ، وسيأتى فى ص ٣٩٢.

(٣) فى ص ، ت ١، ت ٢: « قابود » .

(٤) فى م فى هذا الموضع والموضع بعده : « قتيل » .

نَسَبِه[1] . وقال غيرُ ابنِ حُميدٍ : ابنةُ فاقودَ - بالدالِ - ابنِ قبيلٍ .

فأما زوجُها ، فإنه عِمرانُ بنُ ياشهمَ[2] بنِ أمونَ بنِ منشا بنِ حزقيا بنِ أحزيقَ[3] ابنِ يوثمَ[4] بنِ عزاريا[5] بنِ أمصيا بنِ ياوشَ بنِ أحزيهو[6] بنِ يارمَ[7] بنِ يهفاشاطَ[8] ابنِ أيشا[9] بنِ أبيا[10] بنِ رحبعمَ بنِ سليمانَ بنِ داودَ بنِ أيشا .

كذلك حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ في نسبِه[11] .

وأما قولُه : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . فإن معناه : إنى جَعَلتُ لك يا ربِّ نذرًا ؛ أن لك الذى فى بطنى مُحرَّرًا لعبادتِك . يعنى بذلك : حَبَستُه على خدمتِك وخدمةِ قُدُسِك فى الكَنيسةِ ، عَتِيقةً مِن خِدمةِ كلِّ شيءٍ سواك ، مُفرَّغةً لك خاصَّةً .

ونصب ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ على الحالِ [12]مِمّا فى الصفةِ مِن ذِكْرِ[12] « الذى » .

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٥٨٦، وينظر البداية والنهاية ٢/ ٤١٨.

(٢) فى ت ١، ت ٢، س، والبداية والنهاية : « باشم » .

(٣) فى النسخ : « أحريق » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٤) فى تاريخ المصنف : « يوثام » ، وفى البداية والنهاية : « موثم » ، وأثبتناه بالثاء ليوافق ما فيهما .

(٥) فى تاريخ المصنف : « عزريا » .

(٦) فى النسخ : « أحريهو » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٧) فى النسخ : « يارم » ، والمثبت من تاريخ المصنف والبداية والنهاية .

(٨) فى تاريخ الطبرى : « يهشافاظ » .

(٩) فى م : « أشا » ، وفى تاريخ الطبرى : « أسا » ، وفى البداية والنهاية : « أيش » .

(١٠) فى النسخ : « أبان » . والمثبت من تاريخ المصنف .

(١١) أخرجه المصنف فى تاريخه ١/ ٥٨٥، ٥٨٦ . وينظر البداية والنهاية ٢/ ٤١٧ .

(١٢ - ١٢) فى م : « من ما التى بمعنى » .

﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ ﴾ . أى : فتقبلْ منى ما نَذَرْتُ لك يا ربِّ ﴿ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ . يعنى : إنك أنت يا ربِّ السميعُ لما أقولُ وأدْعُو ، العليمُ لما أنْوِى فى نفسِى وأُرِيدُ ، لا يَخْفَى عليك سِرُّ أمْرِى وعلانيتُه .

وكان سببَ نذرِ حَنَّةَ ابنةِ فاقوذَ[1] امرأةِ عِمرانَ ، الذى ذكَره اللهُ فى هذه الآيةِ ، فيما بَلَغَنا ، ما حدَّثنا به ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمَةُ ، قال : حدثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : تَزَوَّج زكريا وعمرانُ أُختَين ، فكانت أمُّ يحيى عندَ زكريا ، وكانت أمُّ مريمَ عندَ عِمرانَ ، فهلَك عِمرانُ وأمُّ مريمَ حاملٌ بمريمَ ، فهى جَنينٌ فى بطنِها . قال : وكانت فيما يَزْعُمون قد أُمْسِك عنها الولدُ حتى أَسَنَّتْ ، وكانوا أهلَ بيتٍ مِن اللهِ جلَّ ثناؤُه بمكانٍ ، فبينا هى فى ظلِّ شجرةٍ ، نَظَرتْ إلى طائرٍ يُطْعِمُ فَرْخًا له ، فتحَرَّكتْ نفسُها للولدِ ، فدَعَتِ اللهَ أن يَهَبَ لها ولدًا ، فحمَلَتْ بمريمَ ، وهلَك عِمرانُ ، فلمَّا عَرَفتْ أن فى بطنِها جنينًا ، جعَلته للهِ نَذيرةً . والنَّذيرةُ أن تُعَبِّدَه للهِ، فتجعَلَه حبسًا فى الكنيسةِ ، لا يُنْتفعُ به بشىءٍ مِن أمورِ الدنيا .

٢٣٦/٣ / حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ ابنِ الزُّبيرِ ، قال : ثم ذكَر امرأةَ عِمرانَ وقولَها : ﴿ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا﴾ أى : نَذَرْتُه ، تقولُ : جعَلتُه عتيقًا لعبادةِ اللهِ ، لا يُنْتفَعُ به بشىءٍ مِن أُمورِ الدنيا ، ﴿ فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[2] .

حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ الطُّفاوىُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ رَبيعةَ ، قال : ثنا النَّضْرُ بنُ عربىٍّ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ . قال : خادمًا للبِيعةِ[3] .

---

(١) فى ص : « قاقود » .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٩.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٦/٢ (٣٤٢٣) من طريق النضر بن عربى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٨/٢ إلى عبد بن حميد .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، عن النَّضرِ بنِ عربيٍّ ، عن مُجاهدٍ ، قال : خادمًا للكَنِيسةِ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نوحٍ ، قال : أخبَرنا إسماعيلُ ، عن الشَّعْبيِّ في قولِه : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : فرَّغْتُه للعبادةِ[1] .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبَرنا [١/ ٤٠٠ظ] إسماعيلُ ابنُ أبي خالدٍ ، عن الشعبيِّ ، في قولِه : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : جَعَلْتُه في الكَنيسةِ ، وفرَّغْتُه للعبادةِ[1] .

حدَّثني المُثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عَوْنٍ ، قال : أخبرنا هُشيمٌ ، عن إسماعيلَ ، عن الشعبيِّ نحوَه .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : للكَنيسةِ[2] يَخْدِمُها .

حدَّثني المُثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن خُصَيفٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : خالصًا لا يُخالِطُه شيءٌ مِن أمرِ الدنيا[3] .

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٣٦ عقب الأثر (٣٤٢٢) معلقًا .

(٢) في ص ، ت ١: « الكنيسة » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٣٦ (٣٤٢٢) من طريق وكيع به .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن عمرٍو ، عن عطاءٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : للبِيعةِ والكَنيسةِ[1] .

حدَّثني المُثنى ، قال : ثنا الحِمَّانيُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن سالمٍ ، عن سعيدٍ : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : مُحَرَّرًا للعبادةِ[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ الآية : كانت امرأةُ عِمرانَ حرَّرتْ للهِ ما فى بطنِها ، وكانوا إنما يُحَرِّرون الذكورَ ، وكان المحرَّرُ إذا حُرِّر جُعِلَ فى الكَنيسةِ[3] لا يَبْرَحُها ، يقومُ عليها ويَكْنُسُها[4] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : نَذَرتْ ولدَها للكَنيسةِ[5] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ . قال : وذلك أن امرأةَ عِمرانَ حَمَلَت ، فظَنَّت أن ما فى بطنِها غلامٌ ،

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٩ إلى عبد بن حميد ، ولفظه : جعلته لله والكنيسة ، فلا يحال بينه وبين العبادة .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ص ٣٤٤ (تراجم النساء) من طريق شريك به ، بلفظ : للعبادة لا يشغله عنها .

(٣) بعده فى ص ، ت ١: « أن » .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٩ إلى المصنف وعبد بن حميد مطولًا .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١١٨، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ص ٣٤٧ (تراجم النساء) .

فوَهَبَتْه للهِ مُحررًا ، لا يَعْملُ فى الدنيا[(١)] .

حدَّثنى المُثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : كانت /امرأةُ عِمرانَ حَرَّرتْ للهِ ما فى بطنِها . قال : وكانوا إنما يُحرِّرون الذُّكورَ ، فكان المحرَّرُ إذا حُرِّر جُعِلَ فى الكَنيسةِ لا يَبْرَحُها ، يقومُ عليها ويَكْنُسُها[(٢)] . ٢٣٧/٣

حُدِّثْتُ عن الحُسينِ بنِ الفَرَجِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبَرنا عُبَيدٌ ، قال : سَمِعتُ الضحاكَ فى قولِه : ﴿ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . قال : جَعَلتْ ولدَها للهِ وللذين يَدْرُسون الكتابَ ويَتَعلَّمونه[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن القاسمِ بنِ أبى بَزَّةَ ، أنه أخبره عن عِكرمةَ ، وأبى بكرٍ ، عن عِكرمةَ ، أن امرأةَ عِمرانَ كانت عجوزًا عاقرًا تُسَمَّى حَنَّةَ ، وكانت لا تَلِدُ ، فجَعَلتْ تَغْبِطُ النِّساءَ لأولادِهن ، فقالت : اللهمَّ إنَّ علىَّ نذرًا شُكْرًا ، إن رَزَقْتَنى ولدًا أن أتَصَدَّقَ به على بيتِ المَقْدسِ ، فيكونَ مِن سَدَنَتِه وخُدَّامِه . قال : وقولُه : ﴿ نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ : إنها لَلحُرَّةُ ابنةُ الحرائرِ ﴿ مُحَرَّرًا ﴾ للكَنيسةِ يَخْدِمُها[(٤)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفىُّ ، عن عَبَّادِ بنِ منصورٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ ﴾ الآية كلَّها . قال : نَذَرتْ ما فى بطنِها ، ثم سَيَّبَتْها .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٦/٢ عقب الأثر (٣٤٢٢) من طريق عمرو به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٦/٢ عقب الأثر (٣٤٢٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر مطولًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا ﴾ : فلما وَضَعَتْ حَنَّةُ النَّذِيرةَ . ولذلك أنَّثَ ، ولو كانت الهاءُ عائدةً على ﴿مَا﴾ ، التى فى قولِه : ﴿إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا ﴾ . لكان الكلامُ : فلما وَضَعته قالت : ربِّ إنى وَضَعتُه أُنثَى .

ومعنى قولِه : ﴿ وَضَعَتْهَا ﴾ : ولَدَتْها . يُقالُ منه : وَضَعَت المرأةُ تَضَعُ وَضْعًا . ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ أى : ولَدتُ النَّذيرةَ أُنثى . ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ .

واختَلَف القَرأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقَرأَته عامةُ القَرأَةِ : ﴿وَضَعَتْ﴾[1] . خبرًا مِن اللهِ عزَّ وجلَّ عن نفسِه أنه العالِمُ بما وَضَعَتْ ، مِن غيرِ قيلِها : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ .

وقرَأ ذلك بعضُ المتقدِّمين : (واللَّهُ أعلمُ بما وضَعْتُ)[2] . على وجهِ الخبرِ بذلك عن أمِّ مريمَ أنها هى القائلةُ : واللهُ أعلمُ بما ولدتُ ، منى .

وأولى القراءتَين بالصوابِ ما نَقَلَتْه الحُجةُ مُستَفيضَةً فيها قراءتُه بينَها ، لا يَتَدافعون صحتَها ، وذلك قراءةُ مَن قرَأ : ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ . ولا يُعْتَرَضُ بالشاذِّ عنها عليها[3] .

فتأويلُ الكلامِ إذن : واللهُ أعلمُ مِن كلِّ خَلْقِه بما وَضَعتْ . ثم رجَع جلَّ ذِكْرُه إلى الخبرِ عن قولِها ، وأنها قالت - اعتذارًا إلى ربِّها مما كانت نَذَرتْ

---

(١) وهى قراءة نافع وابن كثير وحفص عن عاصم وأبى عمرو وحمزة والكسائى . ينظر حجة القراءات ص ١٦٠.

(٢) وهى قراءة أبى بكر عن عاصم ، وابن عامر . المصدر السابق .

(٣) القراءتان متواترتان ، لا شذوذ فى إحداهما .

فى حَمْلِها فحرَّرَتْه لخدمةِ ربِّها -: ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ ؛ لأن الذكرَ أقوى على الخدمةِ وأقْوَمُ بها ، وأن الأُنثى لا تَصْلُحُ فى بعضِ الأحوالِ لدُخولِ القُدْسِ ، والقيامِ بخدمةِ الكَنيسةِ ؛ لِمَا يَعْتريها مِن الحَيْضِ والنِّفاسِ . ﴿ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾ .

/ كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ . أى : لِمَا جعَلْتُها له محرَّرةً[1] نذِيرةً[2] . ٢٣٨/٣

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : ثنى ابنُ إسحاقَ : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ : لأن الذكرَ هو أقوى على ذلك مِن الأنثى .

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يَزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَيْسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ : كانت المرأةُ لا يُستَطاعُ[3] أن يُصْنَعَ بها ذلك - يعنى أن تُحَرَّرَ للكَنيسةِ فتُجعلَ فيها ، تَقُومُ عليها وتَكْنُسُها ، فلا تَبْرَحُها - مما يُصِيبُها مِن الحَيْضِ والأَذَى ، فعندَ ذلك قالت : ﴿ وَلَيْسَ [١/٤٠١و] ٱلذَّكَرُ كَٱلْأُنثَىٰ ﴾ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَآ أُنثَىٰ ﴾ : وإنما كانوا يُحرِّرون الغِلْمانَ ، قالتْ[4] :

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « محررا لك » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٧٩/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٢٠/٢ (٣٤١٩ - تحقيق الدكتور حكمت بشير ياسين) من طريق عبد الرحمن بن سلمة ، عن ابن إسحاق قوله بزيادة المتن الآتى .

(٣) فى ص : « تستطاع » ، وفى م : « يستطيع » .

(٤) فى النسخ : « قال » ، والمثبت من مصدرى التخريج .

﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾[(١)] .

حدَّثني المُثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : كانت امرأةُ عِمرانَ حَرَّرتْ للهِ ما في بطنِها ، وكانت على رجاءٍ أن يَهَبَ لها غُلامًا ؛ لأن المرأةَ لا تَستطيعُ ذلك - يعني القيامَ على الكنيسةِ لا تَبْرَحُها وتَكْنُسُها - لما يُصِيبُها مِن الأَذَى[(٢)] .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ ، أن امرأةَ عِمرانَ ظَنَّتْ أن ما في بطنِها غلامٌ ، فوهَبَته للهِ ، فلمَّا وَضَعتْ إذا هي جاريةٌ ، فقالت تَعْتَذِرُ إلى اللهِ : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ ﴾ - ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ تقولُ : إنما يُحرَّرُ الغِلمانُ . يقولُ اللهُ : ﴿ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ ﴾ . فقالت[(٣)] : ﴿ إِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ ﴾[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ ، أنه أخبَره عن عِكرمةَ ، وأبي بكرٍ ، عن عِكرمةَ : ﴿ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ﴾ يعني : في المَحيضِ ، ولا يَنْبغِي لامرأةٍ أن تكونَ مع الرجالِ . أُمُّها تقولُ ذلك[(٥)] .

---

(١) تقدم تخريجه في ص ٣٣٤ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٧ (٣٤٢٧) من طريق ابن أبي جعفر به مختصرا .

(٣) في ص : « فقال » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٧ (٣٤٢٥) من طريق عمرو به ، مختصرا . بلفظ : فلما وضعت إذا هي جارية ، فقالت تعتذر إلى الله : ﴿ رب إني وضعتها أنثى ﴾ .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٣٧ (٣٤٢٨) من طريق ابن جريج به نحوه مطولًا ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/١٩ إلى ابن المنذر .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

تعنى بقولِها : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا ﴾ : وإنى أجْعَلُ مَعاذَها ومَعاذَ ذُرِّيتِها مِن الشيطانِ الرجيمِ بك .

وأصلُ المَعاذِ المَوئِلُ والمَلْجأُ والمَعْقِلُ .

فاسْتَجاب اللهُ لها ، فأعاذَها اللهُ وذُرِّيتَها مِن الشيطانِ الرجيمِ ، فلم يَجْعلْ له عليها سبيلًا .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا عَبْدةُ بنُ سليمانَ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن يزيدَ ابنِ عبدِ اللهِ بنِ قُسَيطٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ما مِن نَفْسٍ مَوْلُودٍ يُولَدُ إلا والشيطانُ يَنالُ منه تلك الطَّعْنَةَ ، وبها[1] يَسْتَهِلُّ الصَّبِيُّ ، إلا ما كان مِن مريمَ ابنةِ عِمرانَ ، فإنها لَمَّا / وَضَعَتْها قالت : رَبِّ إنِّى أُعيذُها بك وذُرِّيَّتَها من الشيطانِ الرجيمِ . فضُرِبَ دُونَها حِجابٌ ، فطعَن فيه »[2] . ٢٣٩/٣

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن يزيدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ قُسَيطٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كُلُّ مَوْلُودٍ مِن وَلَدِ آدَمَ له طَعْنَةٌ مِن الشيطانِ ، وبها يَسْتَهِلُّ الصَّبِيُّ ، إلا ما كان مِن مريمَ ابنةِ عِمرانَ وولدِها ، فإنّ أمَّها قالت حين وضعتْها : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ . فضُرِبَ دُونَهما حِجابٌ ، فطعَن

---

(١) فى ص : « لها » .

(٢) أخرجه الحاكم ٥٩٤/٢ من طريق يزيد بن عبد الله ، عن أبيه ، عن أبى هريرة ، وينظر تهذيب الكمال ١٧٧/٣٢ .

فى الحجابِ » .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، عن يزيدَ بنِ عبدِ اللهِ بنِ قُسَيطٍ ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ بنحوِه .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا هارونُ بنُ المُغيرةِ ، عن عمرٍو ، عن شُعَيبِ ابنِ خالدٍ ، عن الزُّهْرِيِّ[1] ، عن سعيدِ بنِ المُسيَّبِ ، قال : سمِعتُ أبا هريرةَ يقولُ : سمِعتُ النبيَّ ﷺ يقولُ : « ما مِن بنى آدمَ مولودٌ يُولَدُ إلا قد مَسَّه الشيطانُ حينَ يُولَدُ ، فيَسْتَهِلُّ صَارِخًا بمَسِّه إياه ، غيرَ مريمَ وابنِها » . فقال أبو هريرةَ : اقرءوا إن شئتُم : ﴿ إِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[2] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنى ابنُ أبى ذئبٍ ، عن عَجْلانَ مَوْلَى المُشْمَعِلِّ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كلُّ مولودٍ يُولَدُ مِن بنى آدمَ يَمَسُّه الشيطانُ بإِصْبَعِه ، إلا مريمَ وابنَها »[3] .

حدَّثنى أحمدُ بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ وَهْبٍ ، قال : ثنى عمِّى عبدُ اللهِ بنُ وَهْبٍ ، قال : أخبرنى عمرُو بنُ الحارثِ ، أن أبا يُونسَ سُليمًا[4] مولى أبى هريرةَ ، حدَّثه عن

---

(١) فى م : « الزبير » . وينظر تهذيب الكمال ١٢/ ٥٢١.

(٢) أخرجه البخارى (٣٤٣١) ، ومسلم (٢٣٦٦/١٤٦) ، والبغوى فى تفسيره ٢/ ٣٠ من طريق شعيب بن أبى حمزة عن الزهرى به .

(٣) أخرجه أحمد ٢٦٣/١٣، ٢٧٨ ، ٧/١٤ (٧٨٧٩، ٧٩٠٢، ٨٢٥٤) من طريق ابن أبى ذئب به .

(٤) فى م : « سليمان » ، وفى ت ١: « سلمان » . وينظر تهذيب الكمال ١١/ ٣٤٣.

أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ قال : « كلُّ بنى آدمَ يَمَسُّه الشيطانُ يومَ وَلَدَتْه أُمُّه ، إلا مريمَ وابْنَها »[1] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبرنى عمرٌو[2] ، أن أبا يُونسَ حدَّثه ، عن أبى هريرةَ ، عن رسولِ اللهِ ﷺ مثلَه .

حدَّثنى الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرنا مَعْمرٌ ، عن الزهريِّ ، عن ابنِ المُسيَّبِ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ما مِن مَوْلُودٍ يُولَدُ إلا يَمَسُّه الشيطانُ ، فيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِن مَسَّةِ الشيطانِ ، إلا مريمَ وابنَها » . ثم يقولُ أبو هريرةَ : اقرءوا إن شئتم : ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[3] .

حدَّثنى المُثنى ، قال : ثنا الحِمَّانىُّ ، قال : ثنا قَيْسٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبى صالحٍ ، عن أبى هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « ما مِن مولودٍ يُولَدُ إلا وقد عَصَره الشيطانُ / عَصْرَةً أو عَصْرَتَيْنِ ، إلا عيسى ابنَ مريمَ ومريمَ » . ٢٤٠/٣ ثم قرأ رسولُ اللهِ ﷺ : ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾[4] .

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٦٦)، وابن حبان (٦٢٣٤) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١/١٤ (مخطوط) من طريق ابن وهب به .

(٢) فى النسخ : « عمران » . وتقدم فى الإسناد قبله ، وينظر ما تقدم فى ٤٠٦/٢، ٥٥٥ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١١٩/١، ومن طريق أحمد (٧٧٠٩) ، والبخارى (٤٥٤٨) ، ومسلم ١٤٦/ (٢٣٦٦) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٨/٢ (٣٤٣٢) ، وأخرجه ابن أبى شيبة ٣٨٥/١١، وأحمد (٧١٨٢) ، ومسلم ١٤٦/(٢٣٦٦) ، وابن حبان (٦٢٣٥) من طريق معمر به .

(٤) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢٧/٢ عن المصنف .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا هارونُ بنُ المُغيرةِ ، عن عمرِو بنِ أبى قيسٍ ، عن سِماكٍ ، عن عِكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ما وُلِدَ مولودٌ إلا وقد اسْتَهَلَّ ، غيرَ المَسيحِ ابنِ مريمَ ، لم يُسَلَّطْ عليه الشيطانُ ولم يَنْهَزْه[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزاقِ ، [٤٠١/١ظ] قال : أخبرنا المُنذِرُ بنُ النُّعمانِ الأفْطَسُ ، أنه سمِع وهبَ بنَ مُنبِّهٍ يقولُ : لما وُلِدَ عيسى ، أتت الشياطينُ إبليسَ ، فقالوا : أصْبحتِ الأصنامُ قد نُكِسَتْ رءوسُها . فقال : هذا فى حادثٍ حدَث . فقال : مكانَكم . فطار حتى جاء خافِقَيِ الأرضِ ، فلم يَجِدْ شيئًا ، ثم جاء البحارَ ، فلم يَجِدْ شيئًا ، ثم طار أيضًا ، فوجَد عيسى قد وُلِدَ عندَ مِذْوَدِ[(٢)] حمارٍ ، وإذا الملائكةُ قد حَفَّت حولَه ، فرجَع إليهم فقال : إن نبيًّا قد وُلِدَ البارحةَ ، ما حَمَلَت أُنثى قَطُّ ولا وَضَعت إلا أنا بحَضْرتِها إلا هذه ، فأْيَسُوا أن تُعْبَدَ الأصنامُ بعدَ هذه الليلةِ ، ولكن ائْتوا بنى آدمَ مِن قبَلِ الخِفَّةِ والعَجَلةِ[(٣)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِنِّىٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ : وذُكِرَ لنا أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ : « كلُّ بنى آدمَ طعَن الشيطانُ فى جَنْبِه ، إلا عيسى ابنَ مريمَ وأُمَّه ، جُعِلَ بينَهما وبينَه حِجابٌ ، فأصابت الطَّعْنَةُ الحِجابَ ، ولم يَنْفُذْ إليهما شىءٌ » . وذُكِرَ لنا

(١) ذكره السيوطى فى الدر المنثور ١٩/٢ وعزاه إلى المصنف .

(٢) المذود : معلف الدابة .

(٣) أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره ١١٩/١ عن المنذر بن النعمان به ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣١/١٤ (مخطوط) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٩/٢ إلى ابن المنذر .

أنهما كانا لا يُصِيبان الذنوبَ كما يُصِيبُها سائرُ بنى آدمَ . وذُكِرَ لنا أن عيسى كان يَمشِى على البحرِ كما يَمشِى على البرِّ ، مما أعطاه اللهُ تعالى مِن اليقينِ والإخلاصِ »[1] .

حدَّثنى المُثنى ، قال : حدثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾ قال : إن نبيَّ اللهِ ﷺ قال : « كلُّ آدمىٍّ طعَن الشيطانُ فى جَنْبِه ، غيرَ عيسى وأُمِّه ، كانا لا يُصِيبان الذُّنُوبَ كما يُصِيبُها بَنُو آدمَ » . قال : « وقال عيسى ﷺ فيما يُثْنِى على ربِّه : وأعاذَنى وأُمِّى مِن الشيطانِ الرجيمِ ، فلم يكُنْ له علينا سبيلٌ »[2] .

حدَّثنا الربيعُ بنُ سليمانَ ، قال : ثنا شُعيبُ بنُ الليثِ ، قال : ثنا الليثُ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرمزَ أنه قال : قال أبو هريرةَ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كلُّ بنى آدمَ يَطْعُنُ الشيطانُ فى جَنْبِه حينَ تَلِدُه أُمُّه ، إلا عيسَى ابنَ مريمَ ، ذهَب يَطْعُنُ فطعَن فى الحجابِ »[3] .

حدَّثنا الربيعُ ، قال : ثنا شُعَيبٌ ، قال : أخبرنا الليثُ ، عن جعفرِ بنِ ربيعةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ هُرْمُزَ أنه قال : قال أبو هريرةَ : أرأيتَ هذه الصَّرخةَ التى يَصْرُخُها

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٩ إلى المصنف وابن المنذر . وأخرج آخره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٣٨ (٣٤٣٦) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ١٩، ٢٠ إلى المصنف .

(٣) أخرجه الحميدى (١٠٤٢) ، وأحمد ٤٥١/١٦ (١٠٧٧٣) ، والبغوى فى تفسيره ٢/ ٣٠ من طريق عبد الرحمن بن هرمز به .

الصبيُّ حين تَلِدُه أُمُّه ؟ فإنها منها .

حدَّثني أحمدُ بنُ الفرَجِ ، قال : ثنا بَقِيةُ بنُ الوليدِ ، قال : ثنا الزُّبَيدىُّ ، عن الزُّهرىِّ ، عن أبى سلمةَ ، عن أبى هريرةَ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « ما مِن بنى آدمَ مَوْلُودٌ إلا يَمَسُّه الشَّيطانُ حينَ يُولَدُ يَسْتَهِلُّ صارخًا »[(١)] .

٢٤١/٣ / القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ .

يعنى بذلك [(٢)]أن اللهَ[(٢)] جلَّ ثناؤُه تقبَّل مَريمَ مِن أُمِّها حَنَّةَ ؛ تَحريرَها[(٣)] إياها للكَنيسةِ وخِدْمتَها وخِدْمةَ ربِّها ، بقَبولٍ حَسنٍ .

والقَبولُ ، مصدرٌ : مِن قَبِلَها ربُّها . فأخْرَج المصدرَ على غيرِ لفظِ الفِعلِ . ولو كان على لفظِه لكان : فتَقبَّلها ربُّها تَقبُّلًا حَسَنًا . وقد تَفْعلُ العربُ ذلك كثيرًا ؛ أن يَأْتوا بالمصادرِ على أصولِ الأفعالِ ، وإن اختَلَفَتْ أَلْفاظُها فى الأفعالِ بالزيادةِ ، وذلك كقولِهم : تَكلَّم فلانٌ كلامًا . ولو أُخرِج المصدرُ على الفعلِ لَقيلَ : تَكلَّم فلانٌ تكلُّمًا . ومنه قولُه : ﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ . ولم يَقلْ : إنْباتًا حَسَنًا .

وذُكِرَ عن أبى عمرِو بنِ العلاءِ[(٤)] ، أنه قال : لم نَسْمَعِ العربَ تَضُمُّ القافَ فى « قَبُولٍ » ، وكان القِياسُ الضمَّ ؛ لأَنه مَصْدرٌ مثلُ الدُّخُولِ والـخُرُوجِ . قال : ولم أَسْمَعْ بحرفٍ آخرَ فى كلامِ العربِ يُشْبِهُه .

حُدِّثْتُ بذلك عن أبى عبيدٍ ، قال : أخبرنى اليَزيدىُّ ، عن أبى عمرٍو .

---

(١) أخرجه أبو يعلى (٥٩٧١) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٤/ ٣٠، ٣١ (مخطوط) ، من طريق الزهرى به نحوه ، وذكره الحافظ فى الفتح ٦/ ٤٦٩ عن الزبيدى به ، ووقع فى الفتح « السدى » بدل « الزبيدى » .

(٢ - ٢) سقط من : م ، س .

(٣) فى ص ، م : « بتحريرها » .

(٤) ينظر اللسان (ق ب ل) .

وأما قولُه : ﴿ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ . فإن معناه : وأنبتها ربُّها فى غِذائِه ورزقِه نباتًا حَسَنًا حتى تَـمَّتْ فكَمَلَتِ امرأةً بالغةً تامةً .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ . قال : تَقَبَّل مِن أُمِّها ما أرادت بها للكَنيسةِ ، وأجرَها فيها ، ﴿ وَأَنۢبَتَهَا ﴾ قال : نَبتت فى غذاءِ اللهِ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ ﴾ .

اختلفت القَرأَةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ ؛ فقرَأَته عامةُ قَرأَةِ أهلِ الحجازِ والمدينةِ والبصرةِ : (وكفَلها) مُخفَّفَةَ الفاءِ[(٢)] ، بمعنى : ضَمَّها زكريا إليه . اعتبارًا بقولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] .

وقرأ ذلك عامةُ قَرأَةِ الكوفيين : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ ﴾[(٣)] . بمعنى : وكَفَّلها اللهُ زكريا .

وأَوْلَى القراءتين بالصوابِ فى ذلك عندى قراءةُ مَن قرَأ : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ . مُشَدَّدةَ الفاءِ[(٤)] ، بمعنى : وكَفَّلَها اللهُ زكريا . بمعنى : وضمَّها اللهُ إليه . لأن زكريا أيضًا ضَمَّها إليه بإيجابِ اللهِ له ضَمَّها إليه ، بالقُرْعَةِ التى أَخْرَجها اللهُ له ، والآيةِ التى أظْهَرها لخصومِه فيها ، فجعَله بها أَوْلَى منهم ، إذ قرَع فيها مَن شاحَّه[(٥)] فيها . وذلك أنه بلَغنا أن زكريا وخُصُومَه فى مريمَ إذ تَنازَعوا فيها ، أَيُّهم تكونُ عندَه ، تساهَموا

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٠ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو وابن عامر . ينظر حجة القراءات ص ١٦١ .

(٣) وهى قراءة عاصم وحمزة والكسائى . المصدر السابق .

(٤) كلتا القراءتين صواب .

(٥) قَرَع أصحابه : إذا كانت له القُرعة دونهم .

=

بِقِدَاحِهِم ، فرَمَوْا[1] بها فى نهرِ الأُرْدُنِّ ، **فقال بعضُ أهلِ العلمِ** : ارْتَزَّ[2] قِدْحُ زكريا ، فقام فلم يَجْرِ به الماءُ ، وجرى [٤٠٢/١و] بقِداحِ الآخرين الماءُ ، فجعَل اللهُ ذلك لزكريا عَلَمًا[3] أنه أحقُّ المُتنازِعين فيها بها[3] .

٢٤٢/٣ /**وقال آخرون** : بل صعِد[4] قِدْحُ زكريا فى النهرِ ، وانْحَدَرت قِداحُ الآخرين مع جِرْيَةِ الماءِ و[5] ذَهَبت ، فكان ذلك له علَمًا مِن اللهِ فى أنه أوْلَى القومِ بها .

وأىُّ الأمْرَيْن كان مِن ذلك ، فلا شكَّ أن ذلك كان قضاءً مِن اللهِ بها لزكريا على خصومِه بأنه أوْلاهم بها . وإذا كان ذلك كذلك ، فإنما ضَمَّها زكريا إلى نفسِه بضَمِّ اللهِ إياها إليه ، بقضائِه له بها على خُصومِه عندَ تَشاحِّهم فيها ، واخْتِصامِهم فى أَوْلاهم بها .

وإذا كان ذلك كذلك ، كان بيِّنًا أن أوْلَى القِراءتَين بالصوابِ ما اخْتَرْنا مِن تَشْديدِ ﴿ كَفَّلَهَا ﴾ .

وأما ما اعْتَلَّ به القارئون ذلك بتَخْفيفِ الفاءِ مِن قولِ اللهِ : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] . وأن ذلك مُوجِبٌ صِحَّةَ اختيارِهم التَّخفيفَ فى قولِه : ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ ، فحُجةٌ دالةٌ على ضَعْفِ احْتيالِ[6] المُحتجِّ بها ، وذلك أنه غيرُ مُمْتَنِعٍ ذو

= وشاحه فيها : مثل قولهم : تشاحًا على الأمر . أى تنازعاه . وفلان يُشاحُّ على فلان . أى يضنُّ به . تاج العروس (ش ح ح ، ق ر ع) .

(١) فى م ، ت ١ : « رموا » .

(٢) فى م : « رتب » . وارْتَزّ : من رزَّ الشيءَ فى الأرض وفى الحائط يَرُزُّه رَزًّا فارتزّ : أثبته فثَبَت . وأما رتب فمن : رتب الشيء ، أى : ثبت فلم يتحرك . اللسان (ر ت ب ، ر ز ز) .

(٣) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ .

(٤) فى ص : « صاعد » . ولعل صوابها : اصاعد .

(٥) فى ص كلمة غير واضحة ، وفى ت ١ ، ت ٢ : « هى » .

(٦) فى م : « اختيار » .

عقلٍ مِن أن يقولَ قائلٌ : كفَّل فلانٌ فلانًا فكَفَله فلانٌ . فكذلك القولُ فى ذلك : أَلْقَى القومُ أقلامَهم أيُّهم يَكْفُلُ مريمَ بتَكْفيلِ اللهِ إياه بقضائِه الذى يَقْضِى بينَهم فيها ، عندَ إلقائِهم الأقلامَ .

وكذلك اختَلَفتِ القَرَأةُ فى قراءةِ ﴿ زَكَرِيَّآ ﴾ ؛ فقَرَأتْه عامةُ قرأةِ المدينةِ بالمدِّ ، وقَرَأتْه عامةُ قَرأةِ الكوفةِ بالقَصْرِ[1] . وهما لُغَتان مَعْروفتان وقراءتان مُسْتَفِيضتان فى قرأةِ المسلمين ، وليس فى القراءةِ بإحداهما خِلافٌ لمعنى القراءةِ الأُخْرَى ، فبأيَّتِهما قرَأ القارئُ فهو مُصِيبٌ .

غيرَ أن الصوابَ عندَنا إذا مُدَّ « زكريا » ، أن يُنْصَبَ بغيرِ تنوينٍ ؛ لأنه اسمٌ مِن أسماءِ العَجَمِ لا يُجْرَى[2] ، ولأن قِراءتَنا فى ﴿ وَكَفَّلَهَا ﴾ بالتشديدِ وتَثْقيلِ الفاءِ ، فـ « زكرياءُ » مَنصوبٌ بالفعلِ الواقعِ عليه .

وفى « زكريا » لغةٌ ثالثةٌ لا تَجوزُ القراءةُ بها ؛ لخلافِها مصاحفَ المسلمين ، وهو « زَكَرِىٌّ » ، بحذفِ المَدَّةِ والياءِ الساكنةِ ، تُشَبِّهُه العربُ بالمنسوبِ من الأسماءِ ، فتُنَوِّنُه وتُجْرِيه فى أنواعِ الإعرابِ مَجارِىَ ياءِ النِّسبةِ .

فتأويلُ الكلامِ : وضَمَّها اللهُ إلى زكريا . مِن قولِ الشاعرِ[3] :

* فَهْوَ لِضُلَّالِ الهَوَامِ[4] كافِلُ *

(١) قرأ حفص وحمزة والكسائى وخلف بالقصر من غير همز فى جميع القرآن ، ووافقهم الحسن والأعمش ، والباقون بالهمز والمد . إتحاف فضلاء البشر ص ١٠٤.

(٢) لا يجرى . أى : لا يصرف . مصطلحات النحو الكوفى ص ٩٨.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ١٤ .

(٤) هوامى الإبل : ضوالُّها . وقال أبو عبيدة : الهوامى : الإبل المهملة بلا راع ، وقد هَمَت تَهْمى فهى هامية ؛ إذا ذهبت على وجهها . وكل ذاهب وجار من حيوان أو ماء فهو هامٍ . النهاية ٥/ ٢٧٦، واللسان (هـ م ى) .

يرادُ به[(١)] : لما ضَلَّ مِن مُتفرِّقِ النَّعَمِ ومُنْتَشِرِه ضامٌّ إلى نفسِه وجامِعٌ .

وقد رُوِى :

* فهْوَ لِضُلَّالِ الهَوافِى[(٢)] كَافِلُ *

بمعنى أنه لما نَدَّ فهرَب مِن النَّعَمِ ضَامٌّ . مِن قولِهم : هَفَا الظَّلِيمُ . إذا أسْرَع الطيرانَ .

يقالُ منه للرجلِ : ما لك تَكْفُلُ كلَّ ضالَّةٍ ؟ يعنى به : تَضُمُّها إليك وتأْخُذُها .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكْرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ الطُّفاوِىُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ رَبيعةَ ، عن النَّضْرِ ابنِ عربىٍّ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ [آل عمران : ٤٤] . قال : أَلْقَوا أقلامَهم ، فجَرَت بها الجِرْيَةُ ، إلا قلمَ زكريا اصَّاعَدَ[(٣)] ، فكَفَلها زكريا[(٤)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : / ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ قال : ضَمَّها إليه . قال : أَلْقَوا أقلامَهم ، يقولُ : عِصِيَّهم . قال : فأَلْقَوْها تلقاءَ جِرْيَةِ الماءِ ، فاستَقْبَلَت عصا زكريا جِرْيَةَ الماءِ ، فقرَعَهم[(٥)] . ٢٤٣/٣

(١) فى م : « أنه » .

(٢) الهوافى : الإبل الضوال ، واحدتها هافية ، من : هَفَا الشىءُ يهفو . إذا ذهب . وهفا الطائر ، إذا طار . والريح ، إذا هبت . اللسان (هـ ف و) .

(٣) فى النسخ : « صاعدا » . ولا يستقيم المعنى إلا بما أثبتناه ، وينظر ما تقدم فى ص ٣٤٦.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٤٩ (٣٥٠٣) ، من طريق النضر به نحوه .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٣٩، ٦٥٠ (٣٤٣٩، ٣٥٠٧) من طريق ابن أبى جعفر به .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ فانطَلَقَتْ بها أمُّها فى خِرَقِها - يعنى أمَّ مريمَ بمريمَ - حينَ وَلَدتْها إلى المحرابِ - وقال بعضُهم : انْطَلَقتْ حين بَلَغتْ إلى المحرابِ - وكان الذين يَكتُبون التوراةَ إذا جاءوا إليهم بإنسانٍ يُحَرِّرونه[1] ، اقْتَرعوا عليه أيُّهم يَأْخُذُه فيُعَلِّمُه . وكان زكريا أفْضَلَهم يومَئذٍ ، وكان نَبِيَّهم[2] ، وكانت خالةُ[3] مريمَ تحتَه ، فلما أَتَوا بها اقْتَرعوا عليها ، وقال لهم زكريا : أنا أحَقُّكم بها تَحتى أُختُها[4] . فأبَوْا ، فخَرَجوا إلى نهرِ الأُرْدُنِّ ، فألقَوْا أقلامَهم التى يَكْتُبون بها أيُّهم يقومُ قَلَمُه فيَكْفُلُها . فجرَتِ الأقلامُ وقام قلمُ زكريا على قُرنَتِه[5] ، كأنه فى طينٍ ، فأخَذ الجاريةَ ، وذلك قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ . فجعَلَها زكريا معه فى بيتِه ، وهو المحرابُ[6] .

حدَّثنا بشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ . يقولُ : ضَمَّها إليه .

---

(١) وفى ص : « يجرنونه » ، وفى م ، ت ٢: « يجربونه » ، وفى ت ١: « يحرمونه » . والمثبت من تاريخ دمشق .

(٢) فى م ، ت ٢، وسنن البيهقى : « بينهم » .

(٣) فى تفسير ابن أبى حاتم وسنن البيهقى وتاريخ دمشق : « أخت » . قال ابن كثير فى البداية والنهاية ٢/ ٤٢١ : وكان زكريا نبيهم فى ذلك الزمان ، قد أراد أن يستبد بها دونهم - يعنى : بمريم - من أجل أن زوجته أختُها أو خالتُها ، على القولين . وينظر ص ٣٣٢ .

(٤) فى م : « خالتها » .

(٥) القُرْنة : حدُّ السيف والنصل . المحيط (ق ر ن) . والمقصود بها هنا حد القلم .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٣٩/٢ (٣٤٤٠، ٣٤٤٢) من طريق عمرو بن حماد به ، من قوله : كان زكريا ...

وأخرجه البيهقى ١٠/ ٢٨٦، ٢٨٧، وابن عساكر فى تاريخه (ص ٣٤٨ - تراجم النساء) من طريق عمرو ابن حماد ، عن أسباط ، عن السدى ، بإسناده المعروف ، من قوله : كان الذين يكتبون ... فأخذ الجارية .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ في قولِه : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ . قال: سَهَمَهُم[1] بقلمِه[2] .

حدَّثني المُثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجِيحٍ ، عن مُجاهِدٍ نحوَه .

حدَّثني المُثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، قال : كانت مريمُ ابنةَ سَيِّدِهم وإمامِهم . قال : فتَشاحَّ عليها أحبارُهم ، فاقْتَرعوا فيها بسهامِهم أيُّهم يَكْفُلُها . قال قتادةُ : وكان زكريا زوجَ أختِها فكَفَلَها ، وكانت عندَه وحَضَنَها[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن القاسمِ بنِ أبي بَزَّةَ ، أنه أخبَره عن عكرمةَ ، وأبي بكرٍ ، عن عِكْرِمةَ ، قال : ثم خَرَجت بها - يعنى أمَّ مريمَ بمريمَ - في خِرَقِها تَحْمِلُها إلى بني الكاهنِ بنِ هارونَ ، أخِي موسى ابنِ عمرانَ . قال : وهم يومَئذٍ يَلُون مِن بيتِ المَقدسِ ما يَلى الحَجَبَةُ مِن الكعبةِ ، فقالت لهم : دونَكم هذه النذيرةَ ، فإني حَرَّرْتُها ، وهي ابنتي ، ولا يَدْخُلُ الكنيسةَ حائضٌ ، وأنا لا أرُدُّها إلى بيتي . فقالوا : هذه [١/٤٠٢ظ] ابنةُ إمامِنا . وكان عِمرانُ

---

(١) سهَم فلانًا سهمًا : قَرَعه في المساهمة . يقال : ساهَمَه فسَهَمَه : باراه ولاعبه فغَلَبه . الوسيط (س هـ م) .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥١ - ومن طريق البيهقي ٢٨٧/١٠، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٤٨، ٣٤٩- تراجم النساء) ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٩/٢ (٣٤٣٨) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٢ إلى ابن أبي إياس وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرج آخره عبد الرزاق في تفسيره ١٢١/١ عن معمر ، عن قتادة ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/ ٦٥٠ (٣٥١٠) من طريق شيبان ، عن قتادة دون آخره ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٠/٢ إلى عبد بن حميد . وفيه : زوج خالتها .

يَؤُمُّهم فى الصلاةِ ، وصاحبَ قُرْبانِهم[1] . فقال زكريا : ادْفَعوها إلىَّ ، فإن خالتَها عندى . قالوا : لا تَطِيبُ أنفسُنا ، هى ابنةُ إمامِنا . فذلك حينَ اقْتَرَعوا ، فاقْتَرَعوا بأقلامِهم عليها - بالأقلامِ التى يَكْتُبون بها التوراةَ - فقَرَعهم زكريا فكَفَلَها[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : أخبرنى يَعْلَى بنُ مسلمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : جعَلها زكريا معه فى مِحرابِه . قال اللهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ . قال حَجاجٌ : قال ابنُ جُريجٍ : الكاهنُ فى كلامِهم العَالِمُ[3] .

/ **حدَّثنا** ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ : بعدَ أبيها وأمِّها ، يُذكِّرُها باليُتْمِ ، ثم قَصَّ خبرَها وخبرَ زكريا[4] . ٢٤٤/٣

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا الحِمَّانىُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن عطاءٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قولَه : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ . قال : كانت عندَه .

حدَّثنى علىُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن يَعْلى بنِ مسلمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ قولَه : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ ، قال : جعَلها زكريا معه فى مِحْرابِه .

---

(١) مكانها بياض بقدر كلمتين فى ص ، ت ١ ، ت ٢.

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٣٣٨ .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٠ إلى المصنف دون قول ابن جريج .

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٧٩، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٣٩ (٣٤٤١) من طريق سلمة عن ابن إسحاق قوله .

حدَّثني محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، عن عَبَّادٍ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا ﴾ : وتَقارَعها القومُ ، فقرَع زكريا ، فكَفَلَها زكريا[1] .

وقال آخرون : بل كان زكريا بعدَ ولادةِ حَنَّةَ ابنتَها مريمَ ، كَفَلها بغيرِ اقْتِراعٍ ولا اسْتِهامٍ عليها ، ولا مُنازَعةِ أحدٍ إياه فيها ، وإنما كَفَلها لأن أُمَّها ماتَت بعدَ موتِ أبيها وهي طِفْلةٌ ، وعندَ زكريا خالتُها أيشاعُ[2] ابنةُ فاقوذَ . وقد قيل : إن اسمَ أمِّ يحيى خالةِ عيسى : أشْيَعُ .

حدَّثنا بذلك القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : أخبرَني وَهْبُ بنُ سليمانَ ، عن شُعيبٍ الجَبَئِيِّ[3] ، أن اسمَ أمِّ يحيى : أشْيَعُ[4] .

فضَمَّها إلى خالتِها أمِّ يحيى ، فكانت إليهم ومعهم ، حتى إذا بلَغَتْ أدْخَلوها الكَنيسةَ ، لنَذْرِ أمِّها التي نَذَرَتْ فيها .

قالوا : والاقتراعُ فيها بالأقلامِ إنما كان بعدَ ذلك بمدةٍ طويلةٍ ؛ لشدَّةٍ أصابَتْهم ، ضَعُفَ زكريا عن حَمْلِ مُؤْنَتِها ، فتَدافَعوا حَمْلَ مُؤْنتِها ، لا رغبةً منهم ، ولا تَنافُسًا عليها وعلى احتمالِ مُؤْنتِها .

وسنذكُرُ قصَّتَها على قولِ مَن قال ذلك إذا بلَغْنا إليها إن شاء اللهُ تعالى .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٣٨/٢ (٣٤٣٧) من طريق أبي بكر الحنفي به .

(٢) في ص ، ت ١ : « الاسباع » وفي ت ٢ : « الاشياع » ، وفي تاريخ الطبري ١/ ٥٨٥ : « الأشباع » ، وفي البداية والنهاية ٢/ ٤١٣، ٤١٨ : « أشياع » . والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق ٧٩/١٨ مخطوط .

(٣) في ص : « الحباى » ، وفي م ، ت ٢ : « الحيانى » . وينظر الأنساب ٢/ ١٧، والإكمال ٣/ ٦٥.

(٤) في ص ، ت ٢ : « أسبع » ، وفي العلل : « الأشبع » . والأثر أخرجه أحمد في العلل (رواية عبد الله) ١/ ١٠٠ (٤٠٤) عن حجاج به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٢/٢ إلى المصنف وابن أبي حاتم .

حدَّثنا بذلك ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقَ[1] .

فعلى هذا التأويلِ تَصِحُّ قراءةُ مَن قرَأ : (وكفَلها زكريا) . بتَخفيفِ الفاءِ ، لو صحَّ التأويلُ ، غيرَ أن القولَ مُتظاهِرٌ من أهلِ التأويلِ بالقولِ الأولِ . أن استهامَ القومِ فيها كان قبلَ كَفالةِ زكريا إياها ، وأن زكريا إنما كفَلها بإخراجِ سَهْمِه منها فالجًا[2] على سهامِ خُصومِه فيها ، فلذلك كانت قراءتُه بالتشديدِ عندَنا أوْلَى مِن قراءتِه بالتخفيفِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : أن زكريا كان كلَّما دخَل عليها المحرابَ بعدَ إدخالِه إياها المحرابَ ، وجَد عندَها رزقًا من اللهِ لغِذائِها .

فقيل : إن ذلك الرزقَ الذى كان يَجِدُه زكريا عندَها ، فاكهةُ الشتاءِ فى الصيفِ ، وفاكهةُ الصيفِ فى الشتاءِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا الحسنُ بنُ عطيةَ ، عن شَريكٍ ، عن عطاءٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ قال : وجَد عندَها عِنَبًا فى مِكْتَلٍ[3] فى غيرِ حينِه[4] .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٠.

(٢) فَلَج : ظَفِر وفاز . القاموس المحيط (ف ل ج) .

(٣) المِكْتَل ، والمكتلة : الزنبيل الذى يحمل فيه التمر والعنب . والزنبيل : الوعاء يحمل فيه . اللسان (ك ت ل) ، (ز ب ل) .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٤٠ من طريق شريك به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٠ =

٣/٢٤٥ / حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن عمرٍو ، عن عطاءٍ ، عن سعيدٍ في قولِه : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : العِنَبُ في غيرِ حِينِه[(١)] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هشيمٌ ، قال : أخبرَنا مُغِيرةُ ، عن إبراهيمَ في قولِه : ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : فاكهةٌ في غيرِ حينِها[(٢)] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبرَنا أبو إسحاقَ الكوفيُّ ، عن الضحاكِ أنه كان يَجِدُ عندَها فاكهةَ الصيفِ في الشتاءِ ، وفاكهةَ الشتاءِ في الصيفِ . يعني في قولِه : ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن سَلَمةَ بنِ نُبَيطٍ ، عن الضَّحاكِ مثلَه .

حدَّثني الـمُثنَّى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : [(٣)]أخبرَنا هُشَيمٌ ، عن بعضِ أشياخِه ، عن الضحاكِ مثلَه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال[(٣)] : ثنا الحسينُ[(٤)] ، قال : أخبرَنا هُشَيمٌ ، قال : أخبرَنا جُوَيبرٌ ، عن الضحاكِ مثلَه .

حدَّثنا يعقوبُ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبرَنا مَن سمِع الحكمَ بنَ عُتَيبةَ يحدِّثُ عن مجاهدٍ قال : كان يَجِدُ عندَها العِنَبَ في غيرِ حِينِه .

= إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥١ من طريق عطاء به .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٠/٢ عقب الأثر (٣٤٤٦) معلقًا .

(٣ - ٣) في س : « ثنا أسباط » .

(٤) في ت ٢: « الحسن » .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ ، قال : عِنبًا وجَده زكريا عندَ مريمَ في غيرِ زمانِه[1] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ نحوَه .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا النَّضْرُ بنُ عَرَبيٍّ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : فاكهةُ الصيفِ في الشتاءِ ، وفاكهةُ الشتاءِ في الصيفِ[2] .

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : كُنَّا نُحَدَّثُ أنها كانت تُؤْتَى بفاكهةِ [١/٤٠٣و] الشتاءِ في الصيفِ ، وفاكهةِ الصيفِ في الشتاءِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : وجَد عندَها ثمرةً في غيرِ زمانِها[3] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٥٢ - تراجم النساء) من طريق ابن أبي نجيح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٠ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٢٠ إلى المصنف ، وينظر تفسير ابن أبي حاتم ٢/ ٦٤٠ (٣٤٤٥) .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٠ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٥٢ - تراجم النساء) .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : جعَل زكريا دونَها عليها سبعةَ أبوابٍ ، فكان يَدْخُلُ عليها فيَجِدُ عندَها فاكهةَ الشتاءِ في الصيفِ ، وفاكهةَ الصيفِ في الشتاءِ[(١)] .

حدَّثني موسى بنُ[(٢)] عبدِ الرحمنِ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ ، قال : جعَلها زكريا معه في بيتٍ - وهو المِحْرابُ - فكان يدخُلُ عليها في الشتاءِ ، فيَجِدُ عندَها فاكهةَ الصيفِ ، ويدخُلُ في الصيفِ ، فيَجِدُ عندَها فاكهةَ الشتاءِ[(٣)] .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ[(٤)] ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبرَنا عُبَيدٌ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ في قولِه : ﴿ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : كان يَجِدُ عندَها فاكهةَ الصيفِ في الشتاءِ .

٣/٢٤٦ / حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : أخبرَني (٥) يَعْلى بنُ (٥) مسلمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ﴾ . قال : وجَد عندَها ثمارَ الجنةِ ، فاكهةَ الصيفِ في الشتاءِ ، وفاكهةَ الشتاءِ في الصيفِ[(٦)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٠ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) في ت ١ : « قال حدثنا » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٠ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق عمرو بن حماد به .

(٤) بعده في ت ١ : « قال حدثني حجاج عن ابن جريج » .

(٥ - ٥) في س : « يعني ابن » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢٠ إلى المصنف .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : ثنى بعضُ أهلِ العلمِ أن زكريا كان يَجِدُ عندَها ثمرةَ الشتاءِ فى الصيفِ ، وثمرةَ الصيفِ فى الشتاءِ[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنَفيُّ ، عن عَبَّادٍ ، عن الحسنِ ، قال : كان زكريا إذا دخَل عليها - يعنى على مريمَ المِحْرابَ - وجَد عندَها رِزْقًا مِن السماءِ من اللهِ ، ليس من عندِ الناسِ . وقالوا : لو أن زكريا كان يَعْلَمُ أن ذلك الرزقَ من عندِه لم يَسْألْها عنه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أن زكريا كان إذا دخَل إليها المِحْرابَ وجَد عندَها من الرزقِ فضلًا عما كان يأتيها به الذى كان يَمُونُها فى تلك الأيامِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : كَفَلها زكريا[2] بعدَ هَلاكِ أمِّها ، فضَمَّها إلى خالتِها أمِّ يحيى ، حتى إذا بلَغَت ، أدخَلوها الكنيسةَ ، لنَذْرِ أمِّها الذى نَذَرَت فيها ، فجعَلَت تَنْبُتُ وتَزِيدُ . قال : ثم أصابَت بنى إسرائيلَ أَزْمَةٌ ، وهى على ذلك مِن حالِها ، حتى ضَعُف زكريا عن حَمْلِها ، فخَرَج على بنى إسرائيلَ ، فقال : يا بنى إسرائيلَ ، أتعلَمون ، واللهِ لقد ضَعُفتُ عن حَمْلِ ابنةِ عمرانَ . فقالوا : ونحن لقد جُهِدْنا ، وأصابَنا من هذه السَّنةِ ما أصابَكم . فتَدافَعوها بينَهم ، وهم لا يَرَون لهم من حَمْلِها بُدًّا ، حتى تَقارَعوا بالأقلامِ ، فخَرَج السهمُ

---

(١) ينظر التبيان ٢/ ٤٤٧.

(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

بحَمْلِها على رجلٍ من بنى إسرائيلَ نَجّارٍ ، يقالُ له : جُرَيجٌ . قال : فعَرَفَت مريمُ فى وَجْهِه شِدَّةَ مَئُونَةِ ذلك عليه ، فكانت تقولُ له : يا جُرَيجُ ، أحسِنْ باللهِ الظَّنَّ ، فإن اللهَ سيَرْزُقُنا . فجَعَل جُرَيجٌ يُرْزَقُ بمَكانِها ، فيأتيها كلَّ يومٍ من كَسْبِه بما يُصْلِحُها ، فإذا أدخَلَه عليها وهى فى الكَنيسةِ ، أنْماه اللهُ وكَثَّره ، فيَدْخُلُ عليها زكريا فيرَى عندَها فَضْلاً من الرزقِ ، وليس بقَدْرِ ما يأتيها به جُرَيجٌ ، فيقولُ : يا مريمُ أنَّى لكِ هذا؟ فتقولُ : هو من عندِ اللهِ ، إن اللهَ يرزقُ مَن يشاءُ بغيرِ حسابٍ[(١)] .

وأما المحرابُ ، فهو مُقَدَّمُ[(٢)] كلِّ مجلسٍ ومُصَلًّى ، وهو سيدُ المجالسِ وأشرفُها وأكرمُها ، وكذلك هو مِن المساجدِ ، ومنه قولُ عَدِىِّ بنِ زيدٍ[(٣)] :

كَدُمَى[(٤)] العَاجِ فى المَحاريبِ أو كالـ ـبَيْضِ فى الرَّوْضِ زَهْرُه[(٥)] مُسْتَنيرُ[(٦)]

والمَحاريبُ جمعُ مِحرابٍ ، وقد يُجمَعُ على[(٧)] مَحارِبَ .

٢٤٧/٣ / القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : ﴿ قَالَ ﴾ زكريا : ﴿ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾ ؟ من أىِّ

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٨٠/١ بنحوه مختصرا ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٤٩ تراجم النساء) من طريق إسحاق بن بشر ، عن محمد بن إسحاق ، عن يزيد بن عبد الله الليثى بنحوه .

(٢) بعده فى ص ، ت ٢: « على » .

(٣) الاختيارين للأخفش الأصغر ص ٧٠٤.

(٤) الدمى : الصور ، واحدتها دُمْيَة .

(٥) سقط من : ص ، ت ٢، وفى الاختيارين : « زهوه » .

(٦) بعده فى ص : « وهو مشتق » ، وبعده فى ت ٢: « وهو مشتق متسر » .

(٧) زيادة من : م .

وَجْهٍ لك هذا الذى أرَى عندَكِ من الرزقِ ؟ قالت مريمُ مُجِيبةً له : ﴿ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ . تعنى أن اللهَ هو الذى رزَقَها ذلك ، فَساقَه إليها وأعْطاها .

وإنما كان زكريا يقولُ ذلك لها ؛ لأنه كان - فيما ذُكِر لنا - يُغْلِقُ عليها سبعةَ أبوابٍ ، ويَخْرُجُ ثم يدخُلُ عليها ، فيَجِدُ عندَها فاكهةَ الشتاءِ فى الصيفِ ، وفاكهةَ الصيفِ فى الشتاءِ ، فكان يَعْجَبُ مما يرَى مِن ذلك ، ويقولُ لها تَعَجُّبًا مما يرَى : أنَّى لكِ هذا ؟ فتقولُ : مِن عندِ اللهِ .

حدَّثنى بذلك المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ[1] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : ثنى بعضُ أهلِ العلمِ . فذَكَر نحوَه .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِۖ ﴾ . قال : فإنه وَجَد عندَها الفاكهةَ الغَضَّةَ حينَ لا تُوجَدُ الفاكهةُ عندَ أحدٍ ، فكان زكريا يقولُ : يا مريمُ أنَّى لكِ هذا[2] ؟

وأما قولُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ . فخبرٌ من اللهِ أنه يسوقُ إلى مَن يشاءُ مِن خَلْقِه رِزْقَه بغيرِ إحصاءٍ ولا عددٍ يُحاسِبُ عليه عبدَه ؛ لأنَّه جلَّ ثناؤه لا يَنْقُصُ سَوْقُه ذلك إليه كذلك خَزائنَه ، ولا يَزيدُ إعطاؤُه إياه ومُحاسَبَتُه

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٤٠ عقب الأثر (٣٤٤٦) من طريق ابن أبى جعفر به .
(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٤٠ (٣٤٤٩) عن محمد بن سعد به .

[١/٤٠٣ظ] عليه فى مُلْكِه وفيما لَديه شيئًا ، ولا يَعْزُبُ عنه علمُ ما يَرْزُقُه . وإنما يُحاسبُ مَن يُعْطِى ما يُعْطِيه ، مَن يَخْشَى النُّقصانَ من مُلْكِه[(١)] ، بخُروجِ ما خرَج من عندِه بغيرِ حسابٍ معروفٍ ، ومَن كان جاهلاً بما يُعْطى على غيرِ حسابٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴿٣٨﴾ ﴾ .

أما قولُه : ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ﴾ . فمعناه : عندَ ذلك - أى : عندَ رؤيةِ زكريا ما رأى عندَ مريمَ مِن رزقِ اللهِ الذى رَزَقها ، وفَضْلِه الذى آتاها من غيرِ تَسَبُّبِ أحدٍ من الآدَميِّين فى ذلك لها ، ومُعايَنَتِه عندَها الثمرةَ الرَّطْبةَ التى لا تكونُ فى حينِ رؤيتِه إياها عندَها فى الأرضِ - طَمِع [(٢)]فى الولدِ[(٢)] ، مع كِبَرِ سِنِّه ، من المرأةِ العاقرِ ، فرَجَا أن يَرْزُقَه اللهُ منها الولدَ مع الحالِ التى هما بها ، كما رزَق مريمَ على تَخَلِّيها من الناسِ ما رَزَقها ؛ من ثمرةِ الصيفِ فى الشتاءِ ، وثمرةِ الشتاءِ فى الصيفِ ، وإن لم يكنْ مثلُه مما جَرَتْ بوجودِه - فى مثلِ ذلك الحينِ - العاداتُ فى الأرضِ ، بل المعروفُ فى الناسِ غيرُ ذلك ، كما أن ولادةَ العاقرِ غيرُ الأمرِ الجاريةِ به العاداتُ فى الناسِ ، فرَغِب إلى اللهِ جلَّ ثناؤه فى الولدِ ، وسأَله ذُرِّيَّةً طيبةً ، وذلك أن أهلَ بيتِ زكريا - فيما ذُكِر لنا - كانوا قد انقَرَضوا فى ذلك الوقتِ .

كما حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : فلمَّا رأى زكريا مِن حالِها ذلك / - يعنى فاكهةَ الصيفِ فى الشتاءِ ، وفاكهةَ الشتاءِ فى الصيفِ - قال : إن رَبًّا أعطاها هذا فى غيرِ حِينِه ، لَقادرٌ على أن يرزُقَنى ذُرِّيَّةً طيبةً . ٣/٢٤٨

(١) بعده فى ص : « ودخول » وبعده بياض بقدر كلمتين . ولعل سياقه هكذا « ودخول النفاد عليه بخروج ...» .

(٢ - ٢) فى ص : « بالولد » .

ورَغِب فى الولدِ ، فقام فصلَّى ، ثم دعا ربَّه سِرًّا ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ۝٤ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ۝٥ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ [مريم : ٤ - ٦] . وقال[1] : ﴿ رَبِّ هَبْ لِى مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ۖ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ . وقال : ﴿ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[2] [الأنبياء : ٨٩] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : أخبرَنى يَعْلَى بنُ مسلمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : فلما رأى ذلك زكريا - يعنى فاكهةَ الصيفِ فى الشتاءِ ، وفاكهةَ الشتاءِ فى الصيفِ عندَ مريمَ - قال : إن الذى يأتى بهذا مريمَ فى غيرِ زمانِه ، قادرٌ أن يرزُقَنى وَلَدًا . قال اللهُ عزّ وجلّ : ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ ۖ ﴾ . قال : فذلك حينَ دَعا[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن أبى بكرٍ ، عن عِكْرِمةَ ، قال : فدَخَل المِحْرابَ ، وغَلَّق الأبوابَ ، وناجَى ربَّه ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ إلى قولِه : ﴿ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ . ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ الآية [آل عمران : ٣٩] .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : حدثنى بعضُ أهلِ

---

(١) النسخ : « قوله » . والمثبت من تفسير ابن أبى حاتم .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٤١ (٣٤٥٠) من طريق عمرو به مختصرًا .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٠ إلى المصنف .

العلمِ ، قال : فدَعا زكريا عندَ ذلك بعدَ ما أسَنَّ ،ولا ولدَ له ، وقد انْقَرض أهلُ بيتِه ، فقال : ﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَآءِ ﴾ . ثم شَكا إلى رَبِّه ، فقال : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾ إلى ﴿وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾ . ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ ﴾ الآية .

وأما قولُه : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ . فإنه يعنى بالذُّرِّيَّةِ النَّسلَ ، وبالطَّيبةِ المُباركةَ .

كما حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً ﴾ . يقولُ : مباركةً[(١)] .

وأما قولُه : ﴿ مِن لَّدُنكَ ﴾ . فإنه يعنى : مِن عندِك .

وأما الذُّرِّيةُ ، فإنها جَمْعٌ ، وقد تكونُ فى معنى واحدٍ[(٢)] ، وهى فى هذا الموضعِ واحدٌ[(٢)] . وذلك أن اللهَ عزَّ وجلَّ قال فى موضعٍ آخرَ مُخْبِرًا عن دعاءِ زكريا : ﴿ فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ [مريم : ٥] .ولم يَقُلْ : أولياءَ . فدلَّ على أنه سأل واحدًا ، وإنما أنَّثَ ﴿ طَيِّبَةً ﴾ لتأنيثِ الذُّرِّيةِ ، كما قال الشاعرُ[(٣)] :

أبوك خَليفةٌ وَلَدَتْه أُخرى وأنت خَليفةٌ ذاكَ الكَمالُ

فقال : وَلَدَتْه أُخرَى . فأنَّث وهو ذكرٌ ؛ لتأنيثِ لفظِ « الخليفةِ » ، كما قال الآخرُ[(٤)] :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤١/٢ (٣٤٥١) من طريق عمرو به .

(٢) فى م : « الواحد » .

(٣) معانى القرآن للفراء ١/ ٢٠٨، واللسان (ف ل ح ، خ ل ف).

(٤) معانى القرآن للفراء ١/ ٢٠٨، واللسان (س ك ت) .

/فما[1] تَزْدَرِى[2] مِن حَيَّةٍ جَبَلِيَّةٍ سُكاتٍ[3] إذا ما عَضَّ ليس بأدْرَدَا[4] ٢٤٩/٣

فأنَّثَ الجَبَلِيَّةَ لتأْنيثِ لفظِ الحيَّةِ ، ثم رجَع إلى المعنى فقال : إذا ما عَضَّ ؛ لأنه كان أراد حَيَّةً ذَكَرًا . وإنما يجوزُ هذا فيما لم يَقَعْ عليه « فلانٌ » من الأسماءِ ، كالدَّابةِ والذُّرِّيةِ والخَليفةِ ، فأما إذا سُمِّى رجلٌ بشيءٍ من ذلك ، فكان فى معنى « فلانٍ » لم يَجُزْ تأنيثُ فعلِه ولا نَعْتِه .

وأما قولُه : ﴿ إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ﴾ . فإن معناه : إنك سامعُ الدعاءَ . غيرَ أن ﴿ سَمِيعُ ﴾ أمْدَحُ ، وهو بمعنى : ذو سَمْعٍ له .

وقد زعَم بعضُ نحويِّى البصرةِ أن معناه : إنك تَسْمَعُ ما تُدْعَى به .

فتأويلُ الآيةِ : فعندَ ذلك دعا زكريا رَبَّه فقال : ربِّ هَبْ لى من عندِك ولدًا مبارَكًا ، إنك ذو سمعٍ دُعاءَ مَن دَعاك .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ .

اختلَفت القَرَأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأته عامةُ قَرَأةِ أهلِ المدينةِ ، وبعضُ أهلِ الكوفةِ والبصرةِ : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ على التأنيثِ بالتاءِ[5] ، يرادُ بها جمعُ[6] الملائكةِ . وكذلك تَفعَلُ العربُ فى جماعةِ [٤٠٤/١و] الذُّكورِ إذا تَقدَّمَت أفعالُها ، أنَّثَت أفعالَها ، ولاسيما الأسماءُ التى فى ألفاظِها التأنيثُ ، كقولِهم : جاءَت الطَّلْحاتُ .

---

(١) فى النسخ : « كما » . والمثبت من مصدرى التخريج .

(٢) فى م ، ت ١ ، س : « يزدرى » .

(٣) فى م : « سكاب » ، وفى س : « سكان » . وحية سكات وسَكُوت : إذا لم يشعر به الملسوع حتى يلسعه . اللسان (س ك ت) .

(٤) الأدرد : الذى ليس فى فمه سنٌّ . واللسان (درد) .

(٥) وهى قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبى عمرو وابن عامر . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥ .

(٦) فى ص ، س : « جميع » .

وقد قرأ ذلك جماعةٌ من أهلِ الكوفةِ بالياءِ[(١)] ، بمعنى : فَناداه جبريلُ . فذَكَّروه للتأويلِ ، كما قد ذكَرنا آنفًا أنهم يُؤنِّثون فعلَ الذَّكرِ لِلَّفظِ ، فكذلك يذكِّرون فعلَ المؤنثِ أيضًا لِلَّفظِ .

واعتبَروا ذلك فيما أرَى بقراءةٍ يُذكَرُ أنها قراءةُ عبدِ اللهِ بنِ مسعودٍ .

وهو ما حدَّثني به المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ بنُ الحَجَّاجِ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ابنُ أبى حَمَّادٍ ، أن قراءةَ ابنِ مسعودٍ : (فَنَاداهُ جِبْرِيلُ وهو قَائِمٌ يُصَلِّى فى المِحْرَابِ)[(٢)] .

وكذلك تَأوَّلَ قولَه : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ . جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[(٣)] : وهو جبريلُ - أو : قالت الملائكة : وهو جبريلُ : - ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾[(٤)] .

فإن قال قائلٌ : وكيف جاز أن يقالَ على هذا التأويلِ : ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ والملائكةُ جمعٌ لا واحدٌ ؟

قيل : ذلك جائزٌ فى كلامِ العربِ ، بأن تُخْبِرَ عن الواحدِ ، بمذهبِ الجمعِ ، كما يقالُ فى الكلامِ : خَرَج فلانٌ على بغالِ البُرُدِ . وإنما رَكِب بغلًا واحدًا ، ورَكِب

(١) وهى قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٤٠٠ ، وينظر البحر المحيط ٢/ ٤٤٦.

(٣) فى ص ، ت ١: « فناداه الملائكة » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٤١ (٣٤٥٣) من طريق عمرو بن حماد به .

السُّفُنَ . وإنما رَكِب سفينةً واحدةً ، وكما يقالُ : ممن سمِعْتَ / هذا الخبرَ ؟ فيقالُ : ٢٥٠/٣ من الناسِ . وإنما سَمِعه من رجلٍ واحدٍ . وقد قيل : إن منه قولَه : ﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ ﴾ [آل عمران : ١٧٣] . والقائلُ كان فيما ذُكِر واحدًا ، وقولَه : ﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ ﴾ [الروم : ٣٣] . والناسُ بمعنَى واحدٍ ، وذلك جائزٌ عندَهم فيما لم يُقْصَدْ فيه قَصْدُ واحدٍ .

وإنما الصوابُ من القولِ عندى فى قراءةِ ذلك أنهما قراءتان معروفتان - أعنى التاءَ والياءَ - فبأيَّتِهما قرَأ القارئُ فمُصِيبٌ ؛ وذلك أنه لا اختلافَ فى معنى ذلك باختلافِ القراءتَين ، وهما جميعًا فَصِيحتان عندَ العربِ ، وذلك أن الملائكةَ إن كان مُرادًا بها جبريلُ ، كما رُوِى عن عبدِ اللهِ ، فإن التأنيثَ فى فعلِها فصيحٌ فى كلامِ العربِ ، لِلَفْظِها إن تَقدَّمَها الفعلُ ، وجائزٌ فيه التذكيرُ لمعناها ، وإن كان مُرادًا بها جمعُ الملائكةِ ، فجائزٌ فى فعلِها التأنيثُ وهو[1] قبلَها لِلَفْظِها ، وذلك أن العربَ إذا قدَّمَت على الكثيرِ مِن الجماعةِ فعْلَها أنَّثَته ، فقالت : قالت النساءُ . وجائزٌ التذكيرُ فى فعلِها بناءً على الواحدِ إذا تقَدَّم فعلُه ، فيقالُ : قال الرجالُ .

وأما الصوابُ من القولِ فى تأويلِه ، فأنْ يقالَ : إن اللهَ جلَّ ثناؤه أخبرَ أن الملائكةَ نادَته ، والظاهرُ من ذلك أنها جماعةٌ من الملائكةِ دونَ الواحدِ ، وجبريلُ واحدٌ ، فلن يجوزَ أن يُحْمَلَ تأويلُ القرآنِ إلا على الأظهرِ الأكثرِ من الكلامِ المُستعمَلِ فى أَلْسُنِ العربِ دونَ الأقلِّ ، ما وُجِد إلى ذلك سبيلٌ ، ولم تَضْطَرَّنا حاجةٌ إلى صَرْفِ ذلك إلى أنه بمعنَى واحدٍ ، فيُحْتاجَ له إلى طَلَبِ المَخْرَجِ بالخَفِيِّ من الكلامِ والمعانى .

وبما قُلنا فى ذلك من التأويلِ قال جماعةٌ من أهلِ العلمِ ؛ منهم قتادةُ والربيعُ ابنُ

(١) بعده فى م : « من » .

أنسٍ وعِكْرِمةُ ومجاهدٌ وجماعةٌ غيرُهم ، وقد ذكَرنا ما قالوا من ذلك فيما مَضَى .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ .

وتأويلُ قولِه : ﴿ وَهُوَ قَآئِمٌ ﴾ : فنادَته الملائكةُ في حالِ قِيامِه مُصلِّيًا . فقولُه : ﴿ وَهُوَ قَآئِمٌ ﴾ خبرٌ عن وقتِ نداءِ الملائكةِ زكريا .

وقولُه : ﴿ يُصَلِّي ﴾ . في موضعِ نصبٍ على الحالِ من « القيامِ » ، وهو رَفْعٌ بالياءِ .

وأما المِحْرابُ ، فقد بيَّنا معناه وأنه مُقَدَّمُ المسجدِ[1] .

واختلَفت القَرَأةُ في قراءةِ قولِه : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ ؛ فقرَأته عامةُ القَرَأةِ : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ ﴾ بفتحِ الألفِ من ﴿ أَنَّ ﴾[2] ، بوقوعِ النداءِ عليها ، بمعنى : فنادَته الملائكةُ بذلك .

وقرَأه بعضُ قَرَأةِ أهلِ الكوفةِ : (إن اللهَ يبَشِّرُكَ) بكَسْرِ الألفِ[3] ، بمعنى : قالت الملائكةُ : إن اللهَ يُبَشِّرُكَ . لأن النداءَ قولٌ ، وذكَروا أنها في قراءةِ عبدِ اللهِ : (فَنادَته الملائكةُ وهو قائمٌ يُصَلِّي في المِحْرابِ : يا زكريا إن اللهَ يُبَشِّرُك)[4] . قالوا : وإذا بَطَل النداءُ أن يكونَ عاملًا في قولِه : (يا زكريا) . فباطلٌ أيضًا أن يكونَ عامِلًا في « إنَّ » .

والصوابُ مِن القراءةِ في ذلك عندَنا[5] : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ بفتحِ ﴿ أَنَّ ﴾ ، بوقوعِ النداءِ عليه ، بمعنى : فَنادَته الملائكةُ بذلك .

---

(١) ينظر ما تقدم في ص ٣٥٨ .

(٢) قرأ بها عاصم والكسائي وأبو عمرو ونافع وابن كثير . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥.

(٣) قرأ بها حمزة وابن عامر . المصدر السابق .

(٤) ينظر المصاحف لابن أبي داود ص ٥٩ .

(٥) كلتا القراءتين صواب متواتر .

وليست العِلَّةُ التى اعتلَّ بها القارِئون بكسرِ « إن » ، مِن أنَّ عبدَ اللهِ كان يقرَؤُها كذلك ، [١]فقرَءُوها كذلك[١] ؛ وذلك أنَّ عبدَ اللهِ إن كان قرَأ ذلك كذلك ، فإنما قرَأها - بزَعْمِهم - وقد اعترَض [٢]بـ(يا[٢] زكريا) بين (إن) ، وبينَ قولِه / ﴿ فَنَادَتْهُ ﴾ ٢٥١/٣ وإذا اعترِض به بينَهما ، فإن العربَ تُعْمِلُ حينَئذٍ النداءَ فى « أن » ، وتُبْطِلُه عنها . أما الإبطالُ ؛ فلأنَّه[٣] بَطَل عن العملِ فى المُنادَى قبلَه ، فأسْلَكوا الذى بعدَه مَسْلكَه فى بُطولِ عملِه . وأمّا الإعمالُ ؛ فلأنَّ النداءَ فعلٌ واقعٌ[٤] كسائرِ الأفعالِ .

وأمّا قراءتُنا ، فليس نداءُ زكريّا بـ(يا زكريا) مُعْتَرَضًا به بينَ ﴿أَنَّ﴾ وبينَ قولِه : ﴿ فَنَادَتْهُ ﴾ ، وإذْ لم يكنْ ذلك بينَهما ، فالكلامُ الفصيحُ من كلامِ العربِ إذا[٥] نصَبَت بقولِ : ناديت . اسمَ المنادى وأوقَعوه عليه ، أن يوقِعوه كذلك على « أن » بعدَه ، وإن كان جائزًا إبطالُ عملِه . فقولُه : ﴿فَنَادَتْهُ ﴾ قد وقَع [٤٠٤/١ظ] على مَكْنِيِّ « زكريّا » ، فكذلك الصوابُ أن يكونَ واقعًا على ﴿ أَنَّ ﴾ وعامِلًا فيها ، مع أن ذلك هو القراءةُ المُستفيضةُ فى قرأة أمصارِ الإسلامِ ، ولا يُعترَضُ بالشاذِّ على الجماعةِ التى تجىءُ مَجِىءَ الحُجَّةِ[٦] .

وأما قولُه : ﴿ يُبَشِّرُكَ ﴾ . فإن القَرَأَةَ اختلَفت فى قراءتِه ؛ فقرَأته عامةُ قَرَأةِ أهلِ المدينةِ والبصرةِ : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ بتَشْديدِ الشينِ وضَمِّ الياءِ[٧] ، على وَجْهِ

(١ - ١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س . ولعل صواب السياق أن يكون بعدها : لهم بعلة .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١، س : « بهذا » ، وفى ت ٢: « بهتا » .

(٣) فى م : « فإنه » .

(٤) فى ص ، ت ١، ت ٢، س: « رافع » . والفعل الواقع هو الفعل المتعدى .

(٥) فى م : « إذ » .

(٦) تقدم أن القراءتين متواترتان .

(٧) قرأ بها نافع وابن عامر وعاصم وابن كثير وأبو عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٥، ٢٠٦.

تَبْشيرِ اللهِ زكريّا بالولدِ ، من قولِ الناسِ : بَشَّرتُ فلانًا البُشْرَى بكذا وكذا . أى : أَتَتْه بِشاراتُ البُشَراءِ[1] بذلك .

وقرَأ ذلك جماعةٌ مِن قَرَأةِ الكوفةِ وغيرُهم : (إنَّ اللَّهَ يَبْشُرُكَ) بفَتْحِ الياءِ وضَمِّ الشينِ وتَخْفيفِها[2] ، بمعنَى أن اللهَ يَسُرُّكَ بولدٍ يَهَبُهُ لك ، من قولِ الشاعرِ[3] :

بَشَرْتُ عِيالى إذْ رأيتُ صَحِيفةً أَتَتْكَ مِن الحَجّاجِ يُتْلَى كِتابُها

وقد قيل : إنَّ « بَشَرْتُ » لغةُ أهلِ تِهامةَ مِن كِنانةَ وغيرِهم مِن قريشٍ ، وأنهم يقولون : بَشَرْتُ فلانًا بكذا ، فأنا أبشُرُه بَشْرًا . و : هل أنتَ باشِرٌ بكذا ؟ ويُنشَدُ لهم البيتُ فى ذلك[4] :

وإذا رأيتَ الباهِشِين[5] إلى العُلا غُبْرًا أَكُفُّهُمُ بِقاعٍ مُمْحِلِ

فَأَعِنْهُمُ وابْشُرْ بمَا بَشَرُوا به وإذا هُمُ نَزَلوا بِضَنْكٍ فانْزِلِ

فإذا صارُوا إلى الأمرِ ، فالكلامُ الصحيحُ مِن كلامِهم[6] بلا ألفٍ[6] فيقالُ : ابشُرْ فلانًا بكذا . ولا يَكادُون يقولون : بَشُرْه بكذَا . ولا : أبشِرْه .

وقد رُوِى عن حُمَيدِ بنِ قيسٍ أنه كان يقرأُ : (يُبْشِرُكَ) بضَمِّ الياءِ ، وكَسْرِ الشينِ وتَخْفِيفِها[7] .

---

(١) النسخ : « البشرى » ، والمثبت من معانى القرآن للفراء ١/ ٢١٢ .

(٢) وهى قراءة حمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

(٣) معانى القرآن للفراء ١/ ٢١٢.

(٤) البيت لعبد قيس بن خفاف البرجمى ، وهو فى معانى القرآن للفراء ١/ ٢١٢. والمفضليات ص ٣٨٥، والأصمعيات ص ٢٣٠ .

(٥) فى ص ، ت ١، ت ٢، س: « الناهشين » . والبَهْش : المسارعة إلى أخذ الشىء . تاج العروس (ب هـ ش) .

(٦ - ٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢، ت٣، س : « بالألف » .

(٧) مختصر الشواذ لابن خالويه ص ٢٦.

6 > Û

وقد حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ أبى حَمَّادٍ ، عن مُعاذٍ الكُوفيِّ ، قال : مَن قرَأ : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ ﴾ [التوبة : ٢١] . مُثَقَّلَةً ، فإنه من البِشارةِ . ومَن قرَأ : (يَبْشُرُهم) . مُخَفَّفَةً بنَصْبِ الياءِ ، فإنه من السرورِ يَسُرُّهم[1] .

والقراءةُ التى هى القراءةُ عندَنا فى ذلك ضَمُّ الياءِ وتشديدُ الشينِ ، بمعنى التَّبْشيرِ ؛ لأن ذلك هى اللغةُ السائرةُ والكلامُ المُستفيضُ المعروفُ فى الناسِ ، مع أنَّ جميعَ قرأةِ الأمصارِ مُجْمِعون فى قراءةِ : ﴿ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾ [الحجر : ٥٤] . على التشديدِ .

والصوابُ فى سائرِ ما فى القرآنِ مِن نظائرِه أن يكونَ مثلَه فى التشديدِ وضَمِّ الياءِ .

٢٥٢/٣ / وأما ما رُوى عن معاذٍ الكُوفيِّ مِن الفرقِ بينَ معنَى التخفيفِ والتشديدِ فى ذلك ، فلم نَجِدْ أهلَ العلمِ بكلامِ العربِ يَعْرِفونه مِن وجهٍ صحيحٍ ، فلا معنَى لما حُكِى مِن ذلك عنه ، وقد قال جريرُ بنُ عطيةَ[2] :

يا بِشْرُ حُقَّ لوجهِكَ[3] التَّبْشِيرُ هَلاَّ غَضِبتَ لنَا وأنت أميرُ

فقد عُلِم أنه أراد بقولِه : التبشيرُ . الجمالَ والنَّضارةَ والسرورَ . فقال : التبشيرُ . ولم يقلْ : البِشْرُ . فقد بيَّن ذلك أن معنَى التخفيفِ والتثقيلِ فى ذلك واحدٌ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ ﴾ . قال : شافَهَتْه[4] الملائكةُ بذلك[5] .

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف.

(٢) ديوانه ٣٦٦/١ .

(٣) فى م : « لبشرك » .

(٤) فى ص ، ت٢ : « سا » وبعده بياض بقدر نصف كلمة ، وفى م ، ت٣ : « بشرته » ، وفى ت١ : « قال » ، وفى س : « ثنا بذا » ، والمثبت مما سيأتى فى ص ٣٨٦ ، وهى كذلك فى تفسير عبد الرزاق .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١٢٠/١ .

وأما قولُه : ﴿ بِيَحْيَىٰ ﴾ . فإنه اسمٌ أَصلُه[1] « يَفْعَلُ » ، مِن قولِ القائلِ : حَيِيَ فلانٌ فهو يَحْيَا ، وذلك إذا عاش . فـ « يَحْيى » « يَفْعَلُ » ، من قولِهم : حَيِيَ . وقيل : إن اللهَ جلَّ ثناؤُه سمّاه بذلك لأنه يُتأوَّلُ اسمُه : أحياه بالإيمانِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ . يقولُ : عبدٌ أحياه اللهُ بالإيمانِ[2] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ . قال : إنَّما سُمِّي يَحْيَى[3] لأن اللهَ أحياه بالإيمانِ[4] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ .

يعني بذلك[5] جلَّ ثناؤُه : إن اللهَ يُبَشِّرُك يا زكريا بيحيى ابنًا لك ، مصدِّقًا بكلمةٍ مِن اللهِ . يعْنى : بعيسى ابنِ مريمَ .

ونُصِب قولُه : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ على القطعِ مِن « يحيَى » ؛ لأنَّ ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ نعتٌ له وهو نكرةٌ ، و« يحيَى » غيرُ نكرةٍ .

وبنحوِ ما قلنا في ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ الطُّفاويُّ ، قال : ثنا محمدُ بنُ ربيعةَ ، قال : ثنا

(١) في م : « صلة » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤١ (٣٤٥٥) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) بعده في ص ، ت٢ : « قال » .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٢ (٣٤٥٧) من طريق عبد الله بن أبي جعفر به .

(٥) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بقوله » .

النَّضْرُ بنُ عَرَبيٍّ ، عن مجاهدٍ ، قال : قالت امرأةُ زكريا لمريمَ : إنى أَجِدُ الذى فى بطنى يَتَحَرَّكُ للذى فى بطنِك . قال : فوضَعت امرأةُ زكريا يحيَى ، ومريمُ عيسى ؛ ولذا قال : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : يحيَى مُصَدِّقٌ بعيسى[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن الرَّقاشىِّ فى قولِ اللهِ : ﴿ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : مُصَدِّقًا بعيسى ابنِ مريمَ[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه[3] .

حدَّثنا ابنُ بَشّارٍ ، قال : ثنا سليمانُ ، قال : ثنا أبو هِلالٍ ، قال : ثنا قَتادةُ فى قولِه : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : مُصَدِّقًا بعيسى .

/ حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : مُصَدِّقٌ بعيسى ابنِ مريمَ ، وعلى سُنَّتِه[4] ومِنهاجِه . ٢٥٣/٣

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيَى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . يعْنى : بعيسى ابنِ مريمَ[5] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : مصدقًا بعيسى ابنِ مريمَ . يقولُ : على

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٢/٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) معلقا .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥١ .

(٤) فى م : « سننه » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١٢٠/١ ، ومن طريقه ابن عساكر ١٧٥/٦٤ .

سَنَنِه[(١)] ومنهاجِه .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا [١/٤٠٥و] إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : كان أوَّلَ رجلٍ صدَّقَ عيسى ، وهو كلمةٌ مِن اللهِ ورُوحٌ[(٢)] .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ : يُصَدِّقُ بعيسى[(٣)] .

حُدِّثت عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبَرنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعت الضحاكَ يقولُ في قولِه : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ : كان يحيى أولَ مَن صدَّق بعيسى ، وشهِد أنه كلمةٌ مِن اللهِ ، وكان يحيى ابنَ خالةِ عيسى ، وكان أكبرَ مِن عيسى[(٤)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيلَ ، عن سِماكٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : عيسى ابنُ مريمَ هو الكلمةُ مِن اللهِ ، اسمُه المسيحُ[(٥)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : أخبَرني حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ قولَه : ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : كان عيسى ويحيى ابنَيْ خالةٍ ، وكانت أمُّ يحيَى تقولُ لمريمَ : إني أَجِدُ الذي في بطني يَسْجُدُ للذي في

---

(١) السَّنَن : الطريقة . اللسان (س ن ن) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) من طريق عمرو بن حماد به .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٢١ إلى المصنف .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٢ (٣٤٥٨) من طريق وكيع به .

بطنِك ، فذلك تصديقُه بعيسى ، سجودُه[(١)] في بطنِ أمِّه ، وهو أولُ من صدَّق بعيسى وكلمةِ عيسى ، ويحيَى أكبرُ مِن عيسى[(٢)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمِّى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : الكلمةُ[(٣)] التى صدَّق بها عيسى[(٤)] .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ ، قال : لقِيتْ أمُّ يحيى أمَّ عيسى ، وهذه حاملٌ بيحيى وهذه حاملٌ بعيسى ، فقالت امرأةُ زكريا : يا مريمُ ، أُشْعِرْتُ أنى حُبْلى . قالت مريمُ : أُشْعِرْتُ أنى أيضًا حُبْلى . قالت امرأةُ زكريا : فإنى وجَدت ما فى بطنى يَسْجُدُ لما فى بطنِكِ . فذلك قولُه : ﴿ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾[(٥)] .

حدَّثني محمدُ بنُ بَشّارٍ[(٦)] ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنَفىُّ ، عن عبّادٍ ، عن الحسنِ فى قولِ اللهِ : ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : مُصدِّقًا بعيسى ابنِ مريمَ[(٧)] .

وقد زعَم بعضُ أهلِ العلمِ بلغاتِ العربِ مِن أهلِ البصرةِ[(٨)] ، أن معنَى قولِه :

---

(١) فى تفسير ابن كثير : « تصديقه له » .

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٣٠/٢ عن ابن جريج ، عن ابن عباس ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٣) سقط من : س ، وفى ص ، ت ١ ، ت٢ : « كلمة » .

(٤) ينظر تفسير ابن كثير ٣٠/٢ .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢١/٢ إلى المصنف .

(٦) فى م : « سنان » .

(٧) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٢/٢ عقب الأثر (٣٤٥٨) معلقا .

(٨) هو أبو عبيدة فى مجاز القرآن ٩١/١ .

٢٥٤/٣ ﴿ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ : / بكتابٍ مِن اللهِ . مِن قولِ العربِ : أنشَدنى فلانٌ كلمةَ كذا . يُرادُ به قصيدةَ كذا . جهلًا منه بتأويلِ الكلمةِ ، واجتراءً على ترجمةِ القرآنِ برأيِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ .

يَعْنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ : وشريفًا فى العلمِ والعبادةِ .

ونصِب « السيدُ » عطفًا على قولِه : ﴿ مُصَدِّقًا ﴾ .

وتأويلُ الكلامِ ، أنّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بيحيى مصدِّقا بهذا وسيِّدًا .

والسيِّدُ الفَيْعِلُ[(١)] ، مِن قولِ القائلِ : ساد يَسُودُ .

كما حدثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ : إى واللهِ ، لَسيِّدٌ فى العبادةِ والحِلْمِ والعلمِ والوَرَعِ[(٢)] .

حدثنا ابنُ بَشّارٍ ، قال : ثنا سليمانُ[(٣)] ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، قال : ثنا قتادةُ فى قولِه : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السيِّدُ - لا أَعْلَمُه إلا قال -: فى العلمِ والعبادةِ[(٣)] .

حُدِّثت عن عمّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ ، قال : السيِّدُ الحليمُ[(٤)] .

حدثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن شَريكٍ ، عن سالمٍ الأفْطَسِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : الحليمُ[(٥)] .

---

(١) فى ت ١، س : « الفعيل » .

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٠٤/٢ .

(٣) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤٠٤/٢ ، والقرطبى فى تفسيره ٧٧/٤ ، وابن كثير فى تفسيره ٣٠/٢ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٢/٢ عقب الأثر (٣٤٥٩) معلقا .

(٥) أخرجه ابن أبى شيبة فى مصنفه ٣٣٧/٨، ٥٦٢/١١، وابن عساكر فى تاريخه ١٧٦/٦٤ من طريق وكيع به .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمّانىُّ ، قال : ثنا شَريكٌ ، عن سالمٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ قال : السيدُ التقِىُّ[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السيّدُ الكريمُ على اللهِ[2] .

حدثنى الـمُثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، قال : زعَم الرَّقاشىُّ أن السيدَ الكريمُ على اللهِ[3] .

حدثنى الـمُثنَّى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عَوْنٍ ، قال : أخبَرنا هُشيمٌ ، عن جُوَيبرٍ ، عن الضحاكِ فى قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ قال : السيدُ الحليمُ التقىُّ[4] .

حدِّثت عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبرَنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعت الضحّاكَ يقُولُ فى قولِه : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : يقولُ : تقيًّا حليمًا[5] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مَهدىٍّ ، عن سفيانَ فى قولِه : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : حليمًا تقيًّا[6] .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٦/٦٤ من طرق عن شريك به بألفاظ مختلفة .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٦/٦٤ من طريق ابن أبى نجيح به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٣/٢ (٣٤٦٢) من طريق ابن أبى نجيح ، عن الرقاشى .

(٤) أخرجه الخرائطى فى المنتقى (٢٦٦) من طريق هشيم به .

(٥) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٨/٦٤ من طريق جويبر ، عن الضحاك .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٩/٦٤ من طريق سعيد بن عبد الرحمن ، عن سفيان .

حدثني يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وَهْبٍ ، عن ابنِ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السيدُ الشريفُ[١] .

حدثني سعيدُ بنُ عمرٍو السَّكُونيُّ[٢] ، قال : ثنا بَقِيّةُ بنُ الوليدِ ، عن عبدِ الملكِ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السيدُ الفقيهُ العالمُ[١] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عَمِّي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : يقولُ : حليمًا تقيًّا[٣] .

٣/٢٥٥ / حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حَجّاجٌ ، عن أبي بكرٍ ، عن عِكْرِمةَ : ﴿ وَسَيِّدًا ﴾ . قال : السيدُ الذي لا يَغْلِبُه الغضبُ[٤] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٣٩ ﴾ .

يعني بذلك مُمْتَنِعًا مِن جِماعِ النساءِ ، مِن قولِ القائلِ : حَصِرْتُ مِن كذا أحْصَرُ . إذا امْتَنَع منه ، ومنه قولُهم : حَصِر فلانٌ في قراءتِه . إذا امتنَع مِن القراءةِ فلم يَقْدِرْ عليها ، وكذلك حَصْرُ العدوِّ : حَبْسُهم الناسَ ومَنْعُهم إياهم التصرُّفَ . ولذلك قيل للذي لا يُخْرِجُ مع نُدَمائِه[٦] شيئًا : حَصُورٌ . كما قال الأخطلُ[٧] :

---

(١) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/٤٠٤ .

(٢) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س : « السكرى » . وينظر تهذيب الكمال ١١/١٧.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٢ (٣٤٥٩) عن محمد بن سعد به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٢ (٣٤٦٠) ، والخرائطي في المنتقى (٢٦٥) ، وابن عساكر في تاريخه ٦٤/١٧٧، ١٧٨من طريق أبي بكر الهذلي به .

(٥) الندماء : جمع نديم ، وهو الجالس على الشراب . اللسان (ن د م) .

(٦) شرح ديوانه ص ٧٩ .

وَشارِبٍ مُرْبحٍ[(١)] بالكـأْسِ نادَمَنِى   لا بـالحَصُـورِ ولا فيهـا بسَـوَّارِ[(٢)]

[٤٠٥/١ظ] ويُرْوَى : بسَآرِ[(٣)] . ويقالُ أيضًا للذى لا يُخْرِجُ سرَّه ويَكْتُمُه : حَصُورٌ . لأنه يَمْنَعُ سِرَّه أن يَظْهَرَ ، كما قال جريرٌ[(٤)] :

ولقد تَسَقَّطَنِى[(٥)] الوُشاةُ فصادَفوا   حَصِرًا بسرِّكِ يا أُمَيْمُ ضَنِينَا

وأصلُ جميعِ ذلك واحدٌ ، وهو المنعُ والحبسُ .

وبمثلِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ خلَفٍ ، قال : ثنا حمادُ بنُ شُعَيبٍ ، عن عاصمٍ ، عن زِرٍّ ، عن عبدِ اللهِ فى قولِه : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ ، قال : (٦) الحَصورُ الذى لا يأتى النساءَ (٦) .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ أنه قال : ثنى ابنُ العاصِ أنه سمِع رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « كلُّ بنى آدمَ يأتى يومَ القيامةِ وله ذنْبٌ ، إلا ما كان مِن يَحيى بنِ زكريَّا » . قال : ثم دلَّى رسولُ

---

(١) فى ص ، ت ١، ت٢ : « مرجح » ، وفى س : « مزجج » .

(٢) السَّوَّار : الذى تسور الخمر فى رأسه سريعًا . تاج العروس (س و ر) .

(٣) اسم فاعل على غير قياس عن : سأر وأسأر . وأسأر منه شيئًا : أبقاه وأفضله . التاج (س أ ر) .

(٤) ديوانه ٣٨٧/١ .

(٥) فى ص ، ت ١، ت٢، ت٣: « تساقطنى » ، وفى س : « ساقطنى » . وتَسَقَّطَنى : طلب الوشاة سَقَطَه . التاج (س ق ط) .

(٦ - ٦) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣، وفى ص بياض بقدر كلمة .

والأثر أخرجه البيهقى ٨٣/٧ - ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٥/٦٤- من طريق عاصم به .

اللهِ ﷺ يدَه إلى الأرضِ ، فأخَذ عُويدًا صغيرًا ، ثم قال : « وذلك أنه لم يَكُنْ له ما للرجالِ إلا مثلَ هذا العودِ ، وبذلك سمّاه اللهُ سيّدًا وحَصورًا »[(١)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبرَنا أنسُ بنُ عِياضٍ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، قال : سمِعت سعيدَ بنَ المسيَّبِ يقولُ : ليس أحدٌ إلا يَلْقَى اللهَ يومَ القيامةِ ذا ذنْبٍ ، إلا يحيى بنُ زكريا ، كان حَصورًا معه مثلُ الهُدْبةِ .

حدَّثنا أحمدُ بنُ الوَليدِ القرشيُّ ، قال : [(٢)]ثنا محمدُ[(٣)] بنُ جعفرٍ ، قال[(٢)] : ثنا شعبةُ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ ، قال : [(٢)]قال ابنُ العاصِ - إمّا عبدُ اللَّهِ وإمّا أبوه -: ما أحدٌ يَلْقَى اللهَ إلا وهو ذو ذنبٍ ، / إلا يحيى بنُ زكريَّا . قال : وقال سعيدُ بنُ المسيَّبِ[(٢)] : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصُورُ الذى لا يَغْشَى[(٤)] النساءَ ، ولم يَكُنْ ما معه إلا مثلُ هُدْبةِ الثوبِ[(٥)] . ٣/٢٥٦

حدَّثني سعيدُ بنُ عمرٍو السَّكُونيُّ ، قال : ثنا بقيةُ بنُ الوليدِ ، عن عبدِ الملكِ ، عن يحيى بنِ سعيدٍ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ في قولِه : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصُورُ الذى لا يشتهي النساءَ . ثم ضرَب بيدِه إلى الأرضِ ، فأخَذ نواةً فقال : ما كان معه إلا مثلُ هذه .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في العلل (١٩١٣) من طريق سلمة به ، وأخرجه الحاكم ٢/ ٣٧٣، وابن عساكر في تاريخه ١٧٤/٦٤ من طريق ابن إسحاق به .

(٢ - ٢) سقط من : س .

(٣) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عمر » . وتقدم على الصواب في ٤٨٩/٣ .

(٤) في س : « يشتهي » .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١١/ ٥٦١، ٥٦٢، وأحمد في الزهد ص ٩٠، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٤٣/٢ (٣٤٦٥) من طريق يحيى بن سعيد به نحوه .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، قال : الحَصُورُ الذى لا يأْتى النساءَ[1] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن عطاءٍ ، عن سعيدٍ مثلَه[2] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا حَكّامٌ ، عن عمرٍو ، عن عطاءٍ ، عن سعيدٍ مثلَه .

حدَّثنى عبدُ الرحمنِ بنُ الأسودِ ، قال : ثنا محمدُ بنُ رَبيعةَ ، قال : ثنا النَّضْرُ بن عَربيٍّ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الذى لا يأْتى النساءَ[3] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : الحَصُورُ الذى[4] لا يَقْرَبُ النساءَ[5] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، قال : زعَم الرَّقاشىُّ : الحَصُورُ الذى لا يَقْرَبُ النساءَ .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عَونٍ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، عن جُوَيبرٍ ، عن الضحّاكِ : الحَصُورُ الذى لا يُولَدُ له ، وليس له ماءٌ[6] .

حُدِّثت عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال سمِعت أبا مُعاذٍ ، قال : أخبَرنا عُبيدُ بنُ

---

(١) تفسير سفيان ص ٧٦، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٧/٦٤ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٢ عن عطاء به .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٨/٦٤ من طريق سفيان ، عن رجل ، عن مجاهد .

(٤) سقط من : ص ، م .

(٥) تفسير مجاهد ص ٢٥١، ومن طريقه البيهقى ٨٣/٧، وابن عساكر فى تاريخه ١٧٧/٦٤ .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٦٨) من طريق جويبر به .

سليمانَ ، قال : سمِعت الضحّاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : هو الذى لا ماءَ له .

(١) حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ(٢) ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ : كنا نُحَدَّثُ أن الحَصورَ الذى لا يَقْرَبُ النساءَ .

حدَّثنا ابنُ بَشّارٍ ، قال(١) : ثنا سليمانُ ، قال : ثنا أبو هلالٍ ، قال : ثنا قتادةُ فى قولِه : ﴿ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصُورُ الذى لا يأْتى النساءَ .

حُدِّثتُ عن عمارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ مثلَه .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا معمرٌ ، عن قتادةَ مثلَه(٣) .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن قابوسَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الحَصورُ الذى لا يُنْزِلُ الماءَ(٤) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وَهْبٍ ، عن ابنِ زيدٍ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصُورُ الذى لا يأْتى النساءَ .

٢٥٧/٣ /حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عَمْرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ :

(١ - ١) سقط من : س .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت٢ ، ت ٣ : « سويد » . وهو إسناد دائر .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١٢٠/١ ، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٥/٦٤ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٣/٢ (٣٤٦٧) ، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١٧٥/٦٤ من طريق جرير به .

﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الحَصورُ الذى لا يُريدُ النساءَ .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنَانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفىُّ ، عن عبَّادٍ ، عن الحسنِ : ﴿ وَحَصُورًا ﴾ . قال : الذى[(١)] لا يَقْرَبُ النساءَ[(٢)] .

وأمَّا قولُه : ﴿ وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ . فإنه يعْنى : رسولًا لربِّه إلى قومِه ، يُنبِئُهم عنه بأمرِه ونهيِه ، وحلالِه وحرامِه ، ويُبَلِّغُهم عنه ما أَرْسَله به إليهم .

ويَعنى بقولِه : ﴿ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ : مِن أنبيائِه الصالحين .

وقد دلَّلْنا فيما مضَى على معنى « النبوَّةِ » وما أصلُها ، بشواهدِ ذلك والأدلةِ الدالَّةِ على الصحيحِ مِن القولِ فيه بما أغْنَى عن إعادته[(٣)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ .

يعنى أن زكريًّا قال إذ نادته الملائكةُ ﴿ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾ - : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَـٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ . يعنى : مَن بلَغ مِن السِّنِّ ما بلَغتُ لم يُولَدْ له ، ﴿ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ والعاقرُ مِن النساءِ التى لا تَلِدُ . يقالُ منه : امرأةٌ عاقرٌ ، ورجلٌ عاقرٌ . كما قال عامرُ ابنُ الطُّفَيْلِ[(٤)] :

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢.
(٢) ينظر التبيان ٢/ ٤٥٢.
وقال القاضى فى الشفا ١/ ١١٦ : اعلم أن ثناء الله على يحيى بأنه حصور ليس كما قال بعضهم : إنه كان هَيُوبا ، أولا ذكَر له ، بل قد أنكر هذا حذاق المفسرين ونقاد العلماء ، وقالوا : هذه نقيصة وعيب ولا تليق بالأنبياء ، وإنما معناه أنه معصوم من الذنوب ، أى : لا يأتيها ، كأنه حصر عنها ... وينظر تفسير ابن كثير ٢/ ٣١.
(٣) ينظر ما تقدم فى ٢/ ٣٠، ٣١.
(٤) مجاز القرآن ١/ ٩٢.

[٤٠٦/١و] لَبِئْسَ الفتى إن كنتُ أعورَ عاقرًا جبَانًا فما عُذْرِى لَدَى كلِّ مَحْضَرِ

وأمَّا « الكِبَرُ » فمصدرُ : كبِر فلانٌ فهو يَكْبَرُ كِبَرًا .

وقيل : ﴿ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ ﴾ . وقد قال فى موضعٍ آخرَ : ﴿ قَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ ﴾ [مريم : ٨] ؛ لأنّ ما بلَغك فقد بلَغتَه ، وإنما معناه : قد كَبِرْتُ . وهو كقولِ القائلِ : قد بلَغنِى الجَهدُ . بمعنَى : إنى فى جَهْدٍ .

فإن قال قائلٌ : وكيف قال زكريا ، وهو نبىُّ اللهِ : ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾ . وقد بشَّرتْه الملائكةُ بما بشَّرتْه به عن أمرِ اللهِ إيَّاها به ؟ أشَكَّ فى صدقِهم ؟ فذلك ما لا يجوزُ أن يُوصَفَ به أهلُ الإيمانِ باللهِ ، فكيف الأنبياءُ والمرسَلون ؟ أم كان ذلك منه استنكارًا لقدرةِ ربِّه ، فذلك أعظمُ فى البَلِيَّةِ ؟

قيل : كان ذلك منه ﷺ على غيرِ ما ظَننتَ ، بل كان قِيلُه ما قال مِن ذلك كما حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عَمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : لمَّا سمِع النداءَ - يعْنى زكريا لمَّا سمِع نداءَ الملائكةِ بالبِشارةِ [٣٩٠/١ظ] بيحيَى - جاءه الشيطانُ فقال له : يا زكريا ، إن الصوتَ الذى سمِعتَ ليس هو مِن اللهِ ، إنما هو مِن الشيطانِ يَسْخَرُ بك ، ولو كان مِن اللهِ أوحاه إليك كما يُوحِى إليك فى غيرِه مِن / الأمرِ . فشكَّ مكانَه وقال : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴾ ذَكَرٌ ؟ يقولُ : مِن أينَ ﴿ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ﴾[(١)] ؟ ٢٥٨/٣

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن أبى بكرٍ ، عن عِكْرمةَ ، قال : فأتاه الشيطانُ ، فأراد أن يُكَدِّرَ[(٢)] عليه نعمةَ ربِّه ، فقال : هل تَدرِى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٧٣) من طريق عمرو به .

(٢) فى ت ٢، ت ٣: « يكذب » .

مَن ناداك ؟ قال : نعم ، نادَتْنى[1] ملائكةُ ربِّى . قال : بل ذلك الشيطانُ ، لو كان هذا[2] مِن ربِّك لأخفاه إليك كما أخفيتَ نداءَك . فقال : ﴿ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾[3] .

فكان قولُه ما قال مِن ذلك ، ومراجعتُه ربَّه فيما راجَعَ فيه بقولِه : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴾ . للوسوسةِ التى خالطَت قلبَه مِن الشيطانِ ، حتى خَيَّلت إليه أن النداءَ الذى سمِعه كان نداءً مِن غيرِ الملائكةِ فقال : ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ ﴾ . مُسْتَثْبِتًا فى أمرِه ، ليَتَقَرَّرَ عندَه بآيةٍ ، يُرِيه اللهُ فى ذلك أنه بشارةٌ مِن اللهِ على ألسنِ ملائكتِه ، ولذلك قال : ﴿ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾ .

وقد يجوزُ أن يكونَ قِيلُه ذلك مسألةً منه ربَّه : مِن أىِّ وجهٍ يكونُ الولدُ الذى بُشِّر به ، أمِن زوجتِه ؟ فهى عاقرٌ ، أم مِن غيرِها مِن النساءِ ؟ فيكونُ ذلك على غيرِ الوجهِ الذى قاله عكرمةُ والسُّدِّىُّ ومَن قال مثلَ قولِهما .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿٤٠﴾ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ ﴾ : أىْ هو : ما وصَف به نفسَه أنه هيِّنٌ عليه أن يَخْلُقَ ولدًا مِن الكبيرِ الذى قد يئِس من الولدِ ، ومِن العاقرِ التى لا يُرْجَى مِن مثلِها الولادةُ ، كما خلَقك يا زكريا مِن قبلِ خلقِ الولدِ منك ولم تكُ شيئًا ؛ لأنه اللهُ الذى لا يَتَعَذَّرُ عليه خلقُ شىءٍ أراده ، ولا يمتنعُ عليه فعلُ شىءٍ شاءه ؛ لأن قدرتَه القدرةُ التى لا يُشْبِهُها قدرةٌ .

كما حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عَمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال :

(١) فى م ، ت ١ ، س : « نادانى » .

(٢) فى س : « نداء » .

(٣) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٤٠٨ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٢ إلى المصنف .

﴿ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴾[1] ، ﴿ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾ [مريم : ٩] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾ .

يعْنى بذلك جلّ ثناؤه - خبرًا عن زكريا - : قال زكريا : ربِّ إن كان هذا النداءُ الذى نُودِيتُه ، والصوتُ الذى سمِعتُه صوتَ ملائكتِك ، وبشارةً منك لى ، فاجعلْ لى ﴿ ءَايَةً ﴾ ، يقولُ : علامةً أن ذلك كذلك ؛ ليَزُولَ عنّى ما قد وَسْوَس إلىَّ الشيطانُ فألقاه فى قلبِى ، مِن أن ذلك صوتُ غيرِ الملائكةِ ، وبشارةٌ مِن [2]عندِ غيرِك[2] .

كما حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عَمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً ﴾ قال : قال[3] - يعْنى زكريا - : ياربِّ ، فإن كان هذا الصوتُ منك فاجعلْ لى آيةً[4] .

وقد دَلَّلْنا فيما مضَى على معنى « الآيةِ » وأنها العلامةُ ، بما أغْنَى عن إعادتِه[5] .

٢٥٩/٣ / وقد اخْتَلف أهلُ العربيةِ فى سببِ تركِ العربِ همزَها ، ومِن شأنِها همزُ كلِّ ياءٍ جاءت بعدَ ألفٍ ساكنةٍ ؛ فقال بعضُهم : تُرِك همزُها لأنها كانت « أَيَّةً » ، فثقُل عليهم التشديدُ ، فأبْدَلوه ألفًا ؛ لانفتاحِ ما قبلَ التشديدِ ، كما قالوا : أَيْما فلانٌ فأخزاه اللهُ .

وقال آخَرون منهم : بل هى « فاعلةٌ » منقوصةٌ . فسُئِلوا ، فقيل لهم : فما بالُ العربِ تُصَغِّرُها « أُيَيَّةً » ، ولم يقولوا : « أُوَيَّةً » ؟ فقالوا : قيل ذلك كما قيل فى

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٤/٢ (٣٤٧٣) من طريق عمرو به .

(٢ - ٢) فى س : « عندك » .

(٣) سقط من : س .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٥/٢ (٣٤٧٥) من طريق عمرو به .

(٥) ينظر ما تقدم فى ١٠٤/١ .

فاطمةَ : هذه فُطَيمةُ . فقيل لهم : فإنهم إنما[1] يُصَغِّرون « فاعلةً » على « فُعَيْلةٍ » ، إذا كان اسمًا فى معنَى فلانٍ وفلانةَ ، فأمَّا فى غيرِ ذلك ، فليس مِن تصغيرِهم « فاعلة » على « فُعَيْلَةٍ » .

وقال آخَرون : إنه « فَعْلَةٌ » ، صُيِّرت ياؤُها الأُولى ألِفًا كما فُعِل بـ « حاجةٍ » و « قامةٍ » . فقيل لهم : إنما تَفْعَلُ العربُ ذلك فى أولادِ الثلاثةِ[2] .

وقال مَن أنكَر ذلك مِن قِيلِهم : لو كان كما قالوا لقِيل فى نواةٍ : « نايَةٌ » . وفى حياةٍ : « حايَةٌ » .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ .

فعاقَبه[3] اللهُ عز وجل - فيما ذُكِر لنا - بمسألتِه الآيةَ ، بعدَ مشافهةِ الملائكةِ إيَّاه بالبِشارةِ ، فجعَل آيتَه على تحْقِيقِ[4] ما سمِع مِن البشارةِ مِن الملائكةِ بيحيى أنه مِن عندِ اللهِ ، آيةً مِن نفسِه ، جمَع تعالى ذكرُه بها العلامةَ التى سألها ربَّه ، على ما يُبَيِّنُ له حقيقةَ البِشارةِ أنها مِن عندِ اللهِ ، وتمحيصًا له من هَفْوتِه ، [١/٤٠٦ظ] وخطأَ قِيلِه ومسألتِه .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ

---

(١) سقط من : م .

(٢) أولاد الثلاثة وبنات الثلاثة : الاسم الثلاثى . وينظر الكتاب لسيبويه ٣/ ٤٢٦، وشرح المفصل لابن يعيش ٥/ ١٢٢، واللسان (أ ى ا) .

(٣) فى س : « فعاتبه » .

(٤) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « تخصيص » .

ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ : إنما عُوقِب بذلك لأن الملائكةَ شافَهَتْه مُشافهةً بذلك فبشَّرته بيحيى ، فسأل الآيةَ بعدَ كلامِ الملائكةِ إيَّاه ، فأُخذ عليه بلسانِه ، فجعَل لا يَقْدِرُ على الكلامِ إلا ما أوْمأ وأشار ، فقال اللهُ تعالى ذِكرُه كما تَسْمَعون : ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ . قال : شافَهَتْه الملائكةُ ، فقال : ﴿ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ . يقولُ : إلا إيماءً ، وكانت عقوبةً عُوقِب بها ، إذ سأَل الآيةَ معَ مشافهةِ الملائكةِ إيَّاه بما بشَّرتْه به[١] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ فى قولِه : ﴿ رَبِّ اجْعَل لِّي ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ . قال : ذُكِر لنا - واللهُ أعلمُ - أنه عُوقِب لأن الملائكةَ شافَهَتْه مُشافهةً فبشَّرَتْه بيحيى ، فسأل الآيةَ بعدُ فأُخِذ بلسانِه[٢] .

حُدِّثتُ عن عَمّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ، قال : ذُكِر لنا - واللهُ أعلمُ - أنه عُوقِب لأن الملائكةَ شافَهَتْه فبشَّرَتْه بيحيى ، قالت : ﴿ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ ﴾ . / فسأَل بعدَ كلامِ الملائكةِ إيَّاه الآيةَ ، فأُخِذ عليه لسانُه ، فجعَل لا يَقْدِرُ على الكلامِ ﴿ إِلَّا رَمْزًا ﴾ يقولُ : يُومِئُ إيماءً . ٣/٢٦٠

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٤٥ (٣٤٧٨) عن الحسن به ، وتقدم أوله فى ص ٣٦٩ .

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٤١٠.

حدَّثني أبو عُبيدٍ الوَصَّابيُّ[(١)] ، قال : ثنا محمدُ بنُ حِمْيَرٍ ، قال : ثنا صفوانُ بنُ عَمرٍو ، عن [(٢)] جُبيرِ بنِ نُفَيْرٍ [(٢)] في قولِه : ﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّىٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ . قال : رَبَا لسانُه في فيهِ حتى ملأه ، ثم أطْلَقه اللهُ بعدَ ثلاثٍ[(٣)] .

وإنما اخْتارت القَرَأةُ النصبَ في قولِه : ﴿ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ﴾ . لأن معنى الكلامِ : قال : آيتُك ألا تُكَلِّمَ الناسَ فيما يُستَقْبَلُ ثلاثةَ أيامٍ . فكانت « أن » هي التي تَصْحَبُ الاستقبالَ[(٤)] دونَ التي تَصْحَبُ الأسماءَ ، فتَنْصِبُها ، ولو كان المعنى فيه : آيتُك أنك لا تُكَلِّمُ الناسَ ثلاثةَ أيامٍ . أي : أنك على هذه الحالِ ثلاثةَ أيامٍ - كان وجهُ الكلامِ الرفعَ ؛ لأن « أن » كانت تكونُ[(٥)] حينئذٍ بمعنى الثقيلةِ خُفِّفت ، ولكن لم يكنْ ذلك جائزًا ؛ لِما وصَفتُ من أن ذلك بالمعنى الآخرِ .

وأمَّا الرمزُ ، فإن الأغلبَ مِن معانيه عندَ العربِ الإيماءُ بالشفتَينِ ، وقد يُسْتَعْمَلُ في الإيماءِ بالحاجِبَينِ والعينَينِ أحيانًا ، وذلك غيرُ كثيرٍ فيهم ، وقد يُقالُ للخَفِيِّ من الكلامِ الذي هو مثلُ الهَمْسِ بخفضِ الصوتِ : الرمزُ . ومنه قولُ جُؤَيَّةَ بنِ عائذٍ[(٦)] :

---

(١) في ص : « الوضافي » ، وفي م : « الرصافي » ، وفي ت ١، س : « الوصافي » . وتقدم في ص ٢٩١.

(٢ - ٢) في م : « جويبر بن نصير » .

(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٦ (٣٤٨٢) معلقا عن صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن بن جبير ابن نفير ، وستأتي رواية صفوان بن عمرو ، عن عبد الرحمن ، عن أبيه في تفسير الآية (٧٤) من سورة الفرقان ، وتفسير الآية (١٠) من سورة الأحقاف .

(٤) في س : « الأفعال » . ويقصد بالاستقبال أفعال المضارعة إشارة إلى الدلالة الزمانية . مصطلحات النحو الكوفي ص ٧٤ .

(٥) سقط من : س .

(٦) في م ، ت ١: « عابد » . وينظر بغية الوعاة ١/ ٤٩٠. والبيت في التبيان للطوسي ٢/٤٥٥، والمحرر الوجيز ٢/ ٤١١.

وكان تَكَلُّمُ[1] الأبطالَ رَمْزًا وهَمْهَمةٌ[2] لَهُمْ مِثْلَ الهَدِيرِ[3]

يُقالُ منه : رمَز فلانٌ فهو يَرْمُزُ ، ويَرْمِزُ رَمْزًا ، ويَتَرَمَّزُ تَرَمُّزًا . ويُقالُ : ضرَبه ضربةً فارْتَمَزَ منها . أى : اضْطَرب للموتِ ، قال الشاعرُ[4] :

* خَرَرْتُ مِنها لقَفاىَ أَرْتَمِزْ *

وقد اختَلف أهلُ التأويلِ فى المعنى الذى عنَى اللهُ عز وجل به فى إخبارِه عن زكريا مِن قولِه : ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ . وأىَّ معانى الرمزِ عنَى بذلك ؛ فقال بعضُهم : عنَى بذلك : آيتُك ألَّا تُكلِّمَ الناسَ ثلاثةَ أيامٍ إلا تحريكًا بالشفتين ، مِن غيرِ أن تَرْمُزَ بلسانِك الكلامَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا جابرُ بنُ نُوحٍ ، عن النَّضْرِ بنِ عَرَبىٍّ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ إِلَّا رَمْزًا ﴾ . قال : تحريكُ الشفتين[5] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ ثَلَـٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ . قال : إيماؤُه بشفتَيْه[6] .

٢٦١/٣ / حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن

---

(١) فى م : « يكلم » .

(٢) فى مصدرى التخريج : « وغمغمة » .

(٣) فى مصدرى التخريج : « الهرير » . والهدير : تردد صوت البعير فى حنجرته ، والهرير : صوت الكلب ، وهو دون النباح من قلة صبره على البرد . اللسان (هـ د ر ، هـ ر ر) .

(٤) هو صائد الضَّبِّ ، وهذا عجز بيت صدره : ثم اعتمدت فجبَذتُ جَبْذةً . والبيت فى اللسان (ق ن ز) ، وعجزه فى اللسان (ر م ز) .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٦/٢ (٣٤٨٠) من طريق النضر بن عربى به نحوه .

(٦) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٢/١٩ من طريق ابن أبى نجيح به .

مجاهدٍ مثلَه .

وقال آخرون : بل عنَى اللهُ بذلك الإيماءَ والإشارةَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سلَمةَ بنِ نُبَيْطٍ ، عن الضحَّاكِ : ﴿ إِلَّا رَمْزًاۗ ﴾ . قال : الإشارةُ[1] .

حُدِّثتُ عن الحسينِ بنِ الفَرَجِ ، قال : سمِعتُ أبا مُعاذٍ ، قال : أخبرَنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ الضحَّاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ إِلَّا رَمْزًاۗ ﴾ . قال : الرمزُ أن يُشِيرَ بيدِه أو رأسِه ولا يَتَكلَّمَ[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمِّى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِلَّا رَمْزًاۗ ﴾ . قال : الرمزُ : أن أُخِذ بلسانِه ، فجعَل يُكلِّمُ الناسَ بيدِه[2] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ : ﴿ إِلَّا رَمْزًاۗ ﴾ . قال : والرمزُ الإشارةُ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۖ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ ﴾ الآية . قال : جعَل آيتَه ألا يُكلِّمَ الناسَ ثلاثةَ أيامٍ إلا رمزًا ، إلا أنه يَذْكُرُ اللهَ ، والرمزُ الإشارةُ ، يُشِيرُ إليهم .

---

(١) تفسير سفيان ص ٧٧، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٢/١٩ من طريق سلمة بن نبيط به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/٢ إلى المصنف .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يَحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِلَّا رَمْزًا ﴾ : إلا إيماءً[١] .

حُدِّثتُ عن عمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[٢] .

حدَّثني موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ إِلَّا رَمْزًا ﴾ . يقولُ : إشارةً[٣] .

[١/٤٠٧و] حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال عبدُ اللهِ بنُ كَثيرٍ : ﴿ إِلَّا رَمْزًا ﴾ : إلا إشارةً[٤] .

حدَّثني محمدُ بنُ[٥] سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنَفيُّ ، عن عبَّادٍ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا ﴾ . قال : أُمْسِكَ بلسانِه ، فجعَل يُومِئُ بيدِه إلى قومِه أن سبِّحوا بُكرةً وعَشِيًّا[٦] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٤١﴾ ﴾ .

يعني بذلك : قال اللهُ جل ثناؤُه لزكريا : يا زكريا ، آيتُك ألَّا تُكلِّمَ الناسَ ثلاثةَ أيامٍ إلا رمزًا بغيرِ خَرَسٍ ، ولا عاهةٍ ، ولا مرضٍ ، واذكرْ ربَّك كثيرًا ، فإنك لا تُمْنَعُ ذكرَه ، ولا يُحَالُ بينكَ[٧] وبينَ تسبيحِه وغيرِ ذلك مِن ذكرِه .

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٣٨٦ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٦/٢ عقب الأثر (٣٤٨١) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٦/٢ عقب الأثر (٣٤٨١) من طريق عمرو به .

(٤) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٤١١.

(٥) بعده فى ص ، ت ١، ت ٢، س : « عمر بن » .

(٦) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٤١١.

(٧) بعده فى ص ، ت ١، ت ٢، س : « وبينه » .

وقد حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن أبى مَعْشَرٍ ، عن محمدِ بنِ كعبٍ ، قال : لو كان اللهُ رَخَّص لأحدٍ فى تركِ الذِّكرِ ، لرخَّص لزكريا حيثُ قال : ﴿ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًاۗ وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا ﴾ أيضًا[1] .

/ وأمَّا قولُه : ﴿ وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ ﴾ . فإنه يعنى : عظِّمْ ربَّك بعبادتِه بالعشىِّ ، ٢٦٢/٣ والعشىُّ : مِن حينِ تَزولُ الشمسُ إلى أن تَغِيبَ ، كما قال الشاعرُ[2] :

فلا الظِّلَّ مِن بَرْدِ الضُّحى تَسْتَطِيعُهُ ... ولا الفَىْءَ مِن بردِ العشىِّ تَذُوقُ

فالفىءُ إنما تَبْتَدِئُ أَوْبَتُه من عندِ زوالِ الشمسِ ، وتَتَناهَى بمَغِيبِها .

وأمَّا الإبكارُ ، فإنه مصدرٌ مِن قولِ القائلِ : أبْكَر فلانٌ فى حاجةٍ ، فهو يُبْكِرُ إبكارًا . وذلك إذا خرَج فيها من بينِ مطلَعِ الفجرِ إلى وقتِ الضحى ، فذلك إبكارٌ . يقالُ فيه : أبْكَر[3] فلانٌ ، وبكَر يَبْكُرُ بُكُورًا ، فمِن الإبكارِ قولُ عمرَ بنِ أبى ربيعةَ[4] :

* أَمِنْ آلِ نُعْمٍ أنتَ غادٍ فمُبْكِرُ *

ومِن البُكُورِ قولُ جريرٍ[5] :

ألا بكَرَتْ سلمى فجدَّ بُكورُها ... وشقَّ العصا بعدَ اجتماعٍ أميرُها

---

(١) أخرجه أبو نعيم فى الحلية ٣/ ٢١٥، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٤٦ (٣٤٨٤) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ١٩/٥٢ من طريق أبى معشر به .

(٢) هو حميد بن ثور الهلالى ، والبيت فى ديوانه ص ٤٠.

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بكر » .

(٤) شرح ديوانه ص ٩٢، وهو صدر بيت عجزه :

« غَداةَ غدٍ أم رائحٌ فمُهَجِّر »

(٥) ديوانه ٢/ ٨٩٠.

ويقالُ من ذلك : بكَر النخلُ يَبْكُرُ بُكورًا ، وأبْكر يُبْكِرُ إبكارًا ، والباكورُ مِن الفواكهِ : أوَّلُها إدراكًا .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴾ . قال : الإبكارُ أوَّلُ الفجرِ ، والعشيُّ ميلُ الشمسِ حتى تَغِيبَ[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه : واللهُ سميعٌ عليمٌ إذ قالت امرأة عمران ربِّ إنى نذرتُ لك ما فى بطنى مُحررًا ، وإذ قالت الملائكةُ يا مريمُ إنَّ اللهَ اصطفاكِ .

ومعنى قولِه : ﴿ ٱصْطَفَىٰكِ ﴾ : اختَارَكِ واجْتَباكِ لطاعتِه وما خصَّكِ به مِن كرامتِه .

وقولُه : ﴿ وَطَهَّرَكِ ﴾ . يعنى : طهَّر دِينَك مِن الرِّيَبِ والأَدْناسِ التى فى أديانِ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٤٦، ٦٤٧ (٣٤٨٦، ٣٤٨٧) ، من طريق ابن أبى نجيح به ، وأخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٩/ ٥٢ من طريق أبى يحيى ، عن مجاهد ، وهو فى تفسير مجاهد ص ٢٥٢ مقتصرًا على تفسير العشى .

نساءِ بنى آدمَ ، ﴿ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ يعنى : اختارَكِ على نساءِ العالمين فى زمانِك بطاعتِك إياه ، ففضَّلكِ عليهم .

/كما رُوِى عن رسولِ اللهِ ﷺ أنه قال : « خيرُ نسائِها مريمُ بنتُ عمرانَ ، وخيرُ نسائِها خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ » يعنى بقولِه : « خيرُ نسائِها » : خيرُ نساءِ أهلِ الجنةِ . ٢٦٣/٣

حدَّثنى بذلك الحسينُ بنُ علىٍّ الصُّدائىُّ ، قال : ثنا مُحاضِرُ بنُ المُوَرِّعِ ، قال : ثنا هشامُ بنُ عُروةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللهِ بنِ جعفرٍ ، قال : سمِعتُ عليًّا بالعراقِ يقولُ : سمِعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقولُ : « خيرُ نسائِها مريمُ بنتُ عِمرانَ ، وخيرُ نسائِها خديجةُ »[(١)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : ثنى المُنْذِرُ بنُ عبدِ اللهِ الحِزامىُّ ، عن هشامِ بنِ عُروةَ ، عن أبيه ، عن عبدِ اللهِ بنِ جعفرِ بنِ أبى طالبٍ ، أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « خيرُ نساءِ الجنةِ مريمُ بنتُ عِمرانَ ، وخيرُ نساءِ الجنةِ خديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ »[(٢)] .

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ :

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٨٣- تراجم النساء) من طريق محاضر بن المورع به ، وأخرجه عبد الرزاق (١٤٠٠٦) ، وابن أبى شيبة ١٣٤/١٢ ، وأحمد ٧٠/٢ ، ٢٥٣ ، ٣٣٨ ، ٣٨٧ (٦٤٠ ، ٩٣٨ ، ١١٠٩ ، ١٢١٢) ، والبخارى (٣٤٣٢ ، ٣٨١٥) ، ومسلم (٢٤٣٠) ، والترمذى (٣٨٧٧) ، والبزار (٤٦٧ ، ٤٦٨) ، وأبو يعلى (٥٢٢) ، والبغوى (٣٩٥٤) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٧٠- ٣٧٣ - تراجم النساء) من طريق هشام بن عروة به .

(٢) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه (ص ٣٧٣ - تراجم النساء) من طريق يونس ، به ، وفيه : المنذر بن عبيد ، وفيه : عن جعفر عبد الله بن جعفر ، عن على .

ذُكِر لنا أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ : « حَسْبُكَ[(١)] بمريمَ بنتِ عمرانَ ، وامرأةِ فرعونَ ، وخديجةَ بنتِ خُوَيْلِدٍ ، وفاطمةَ بنتِ محمدٍ مِن نساءِ العالَمِين »[(٢)] . قال قتادةُ : ذُكِر لنا أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ : « خيرُ نساءٍ ركِبْنَ الإبلَ صوالحُ نساءِ قريشٍ ؛ أحْناهُ على ولدٍ في صِغَرِه ، وأرْعاه على زوجٍ في ذاتِ يدِه »[(٣)] . قال قتادةُ : وذُكِر لنا أنه كان يقولُ : « لو علِمتُ أن مريمَ ركِبت الإبلَ ما فضَّلتُ عليها أحدًا » .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال : كان أبو هريرةَ يُحدِّثُ أن النبيَّ ﷺ قال : « خيرُ نساءٍ ركِبْنَ الإبلَ صالِحُ[(٤)] نساءِ قريشٍ ؛ أحْناه على ولدٍ ، وأرْعاه لِزَوْجٍ في ذاتِ يدِه » . قال أبو هريرةَ : ولم تَرْكَبْ مريمُ بعيرًا قط[(٥)] .

[٤٠٧/١ظ] حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه قولَه : ﴿ وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال : كان ثابتٌ البُنانيُّ يُحدِّثُ عن أنسِ بنِ مالكٍ أن رسولَ اللهِ ﷺ قال : « خيرُ

---

(١) بعده في س : « من نساء الدنيا » .

(٢) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٩١٩) ، والترمذى (٣٨٧٨) ، وأحمد ١٣٥/٣ (١٢٤١٤) موصولًا من حديث أنس .

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة ١٧٤/١٢، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٣٣) ، وابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٨١- تراجم النساء) موصولًا من حديث أبي هريرة .

(٤) في ص ، م ، ت ١، ت ٢: « صلح » .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٠، والبخارى (٣٤٣٤) ، ومسلم (٢٠١/ ٢٥٢٧) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٤/٢ (٣٤٨٨) من طريق الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبي هريرة مرفوعا .

نساءِ العالَـمِينَ أربعٌ ، مريمُ بنتُ عمرانَ ، وآسيةُ بنتُ مُزَاحِمٍ امرأةُ فرعونَ ، وخديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، وفاطمةُ بنتُ محمدٍ »[١] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا آدمُ العَسْقَلانيُّ ، قال : ثنا شُعبةُ ، قال : ثنا عَمرُو بنُ مُرَّةَ ، قال : سمِعتُ مُرَّةَ الهَمْدَانيَّ يُحَدِّثُ عن أبي موسى الأشعريِّ ، قال : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « كمَل مِن الرجالِ كثيرٌ ، ولم يَكْمُلْ مِن النساءِ إلا مريمُ ، وآسِيَةُ امرأةُ فرعونَ ، وخديجةُ بنتُ خُوَيْلِدٍ ، وفاطمةُ بنتُ محمدٍ »[٢] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو الأسودِ المِصريُّ ، قال : ثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن عُمارَةَ ابنِ غَزِيَّةَ ، عن محمدِ / بنِ [٣]عبدِ اللهِ[٣] بنِ عَمرِو بنِ عثمانَ ، أن فاطمةَ بنتَ حسينِ ابنِ عليٍّ حدَّثته ، أن فاطمةَ بنتَ رسولِ اللهِ ﷺ قالت : دخَل رسولُ اللهِ ﷺ يومًا وأنا عندَ عائشةَ ، فناجاني فبكَيتُ ، ثم ناجاني فضحِكتُ ، فسألتني عائشةُ عن ذلك ، فقلتُ : لقد عجِلتِ ، أُخْبِرُكِ بسرِّ رسولِ اللهِ ﷺ ؟! فترَكَتْني ، فلمَّا تُوُفِّي رسولُ اللهِ ﷺ ، سألتها عائشةُ ، فقالت : نعم ، ناجاني فقال : « جبريلُ كان يُعارِضُ القُرآنَ كلَّ عامٍ مَرةً ، وإنه قد عارض القرآنَ مرتين ، وإنه ليس مِن نبيٍّ إلا عُمِّر نصفَ عُمْرِ الذي كان قبله ، وإن عيسى أخي كان عمرُه عشرين ومائةَ سنةٍ ، وهذه

٢٦٤/٣

(١) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٧٨- تراجم النساء) من طريق أبي جعفر به ، وأخرجه الخطيب في تاريخ بغداد ٤٠٤/٩، وابن عساكر ص ٣٧٧، ٣٧٨ من طريق أبي جعفر عن محمد بن سعيد عن ثابت به .

(٢) أخرجه البخارى (٣٤٣٣، ٣٧٦٩) من طريق آدم به ، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٢٨/١٢، وأحمد ٣٩٤/٤، ٤٠٩ (الميمنية) ، والبخارى (٣٤١١، ٥٤١٨) ، ومسلم (٢٤٣١) ، وابن ماجه (٣٢٨٠) ، والترمذى (١٨٣٤) ، والطحاوى فى المشكل (١٥٠) ، وابن حبان (٧١١٤) ، والطبرانى ٢٣/ (١٠٦) ، والبغوى (٣٩٦٢) من طريق شعبة به .

(٣ - ٣) فى النسخ : « عبد الرحمن » . والمثبت من مصادر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ٥١٦/٢٥.

لى سِتُّون ، وأحْسَبُنى ميِّتًا فى عامى هذا ، وإنه لم تُرْزَأْ امرأةٌ من نساءِ العالمين بمثلِ ما رُزِئْتِ ، ولا تكونى دونَ امرأةٍ صبرًا » . قالت : فبكَيتُ ، ثم قال : « أنْتِ سيدةُ نساءِ أهلِ الجنةِ إلا مريمَ البَتُولَ » . فتُوُفِّى عامَه ذلك[1] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو الأسودِ ، قال : ثنا ابنُ لَهِيعَةَ ، عن عَمرِو بنِ الحارثِ ، أن أبا زيادٍ الحِمْيَرِىَّ حدَّثه أنه سمِع عمارَ بنَ سعدٍ يقولُ : قال رسولُ اللهِ ﷺ : « فُضِّلت خديجةُ على نساءِ أُمَّتى ، كما فُضِّلت مريمُ على نساءِ العالمين »[2] .

وبمثلِ الذى قلنا فى معنى قولِه : ﴿ وَطَهَّـرَكِ ﴾ - أنه : وطهَّرَ دِينَكِ مِن الدَّنَسِ والرِّيَبِ - قال مجاهدٌ .

حدَّثنى محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللهِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّـرَكِ ﴾ قال : جعَلك طيبةً إيمانًا[3] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى الحَجَّاجُ ، عن ابنِ جُرَيجٍ : ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ قال : ذلك للعالمين يومَئذٍ[4] .

---

(١) أخرجه ابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٢٩٦٥، ٢٩٧٠) ، والدولابى فى الذرية الطاهرة (١٩٤) ، والطحاوى فى المشكل (١٤٦، ١٩٣٧) ، والطبرانى ٤١٧/٢٢، ٤١٨ (١٠٣١) ، والبيهقى فى الدلائل ٧/ ١٦٥، والخطيب فى الكفاية ٣٣١/١، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٤٨١/٤٧ من طريق ابن غزية به .

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤١٦/٢ عن المصنف ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٣/٢ إلى المصنف .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٢، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٧/٢ (٣٤٨٩) .

(٤) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٤١٥/٢ ، والقرطبى فى تفسيره ٨٢/٤ .

وكانت الملائكةُ - فيما ذكَر ابنُ إسحاقَ - تقولُ ذلك لمريمَ شِفاهًا .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سَلمةُ ، قال : ثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : كانت مريمُ حَبيسًا فى الكنيسةِ ، ومعها فى الكنيسةِ غلامٌ اسمُه يوسفُ ، وقد كان أمُّـه وأبوه [٣٩٢/١و] جعَلاه نذيرًا حَبيسًا ، فكانا فى الكنيسةِ جميعًا ، وكانت مريمُ إذا نفِد ماؤها وماءُ يوسفَ ، أخَذا قُلتيهما ، فانطلقا إلى المفازةِ التى فيها الماءُ الذى يَسْتَعْذِبان منه ، فيملآن قُلَّتيهما ، ثم يرجِعان[1] إلى الكنيسةِ ، والملائكةُ فى ذلك مقبلةٌ على مريمَ : ﴿ يَـٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . فإذا سمِع ذلك زكريا ، قال : إن لابنةِ عمرانَ لشأنًا[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ وَٱسْجُدِى وَٱرْكَعِى مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه - خبرًا عن قِيلِ ملائكتِه لمريمَ - : ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ : أخْلِصى الطاعةَ لربِّك وحدَه .

وقد دلَّلْنا على معنى « القُنوتِ » بشواهدِه فيما مضَى قبلُ ، والاختلافُ بينَ أهلِ التأويلِ فيه فى هذا الموضعِ نحوُ اختلافِهم فيه هنالك[3] .

وسَنَذْكُرُ قولَ بعضِهم أيضًا فى هذا الموضعِ ؛ **فقال بعضُهم** : معنى ﴿ ٱقْنُتِى ﴾ : أطيلى الركودَ[4] .

---

(١) بعده فى ص ، ت ٢: « بها » .

(٢) أخرجه المصنف فى تاريخه ٥٩٣/١ مختصرًا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٣، ٢٤ إلى المصنف .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٤٦١/٢، ٤٦٤.

(٤) فى س ، ت ٢: « الركوع » .

٢٦٥/٣

/ ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ قال : أَطِيلى الركودَ . يعنى القنوتَ[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ : ﴿ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ قال : قال مجاهدٌ : أَطِيلى الركودَ فى الصلاةِ . يعنى القنوتَ .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ إدريسَ ، عن لَيثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : لمَّا قيل لها : ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ . قامت حتى ورِم كعباها[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثناعبدُ اللهِ بنُ إدريسَ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : لمَّا قيل لها : ﴿ يَٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ قامت حتى ورِمت قدماها[3] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا الثوريُّ ، عن ابنِ أبى ليلى ، عن مجاهدٍ : ﴿ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ . قال : أطيلى الركودَ[4] .

حُدِّثتُ عن عمّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ يَٰمَرْيَمُ

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٦٩ - تراجم النساء) من طريق ابن أبى نجيح به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٨/٢ (٣٤٩٤) من طريق ابن إدريس به . وأخرجه ابن أبى الدنيا فى التهجد وقيام الليل (٢١٨) من طريق ابن إدريس ، عن أبيه ، عن مجاهد .

(٣) أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٦٨- تراجم النساء) من طريق ابن إدريس به نحوه .

(٤) تفسير سفيان ص ٧٧، وتفسير عبد الرزاق ١٢٠/١، ومن طريق سفيان ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٦٨ - تراجم النساء) وعندهم : عن ابن أبى ليلى ، عن الحكم ، عن مجاهد ، وأخرجه أبو نعيم فى الحلية ٢٩٨/٣ من طريق سفيان به بدون ذكر الحكم .

﴿ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : القنوتُ الركودُ ، يقولُ : قومى لربِّك فى الصلاةِ . يقولُ : اركُدى لربِّك ، أى : انتصِبى [١/٤٠٨و] له فى الصلاةِ ، ﴿وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن سفيانَ ، عن لَيثٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : كانت تصلِّى حتى تَرِمَ قدماها[(٢)] .

حدَّثنى ابنُ البَرْقِيِّ ، قال : ثنا عَمْرٌو ، قال : ثنا الأَوْزَاعِيُّ : ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : كانت تقومُ حتى يَسِيلَ القَيحُ مِن قدَميها[(٣)] .

وقال آخَرون : معناه : أَخْلِصى لربِّك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحِمَّانىُّ ، قال : ثنا ابنُ المُبارَكِ ، عن شَرِيكٍ ، عن سالمٍ ، عن سعيدٍ : ﴿يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ﴾ قال : أَخْلِصى لربِّك[(٤)] .

وقال آخَرون : معناه : أطيعى ربَّك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/٤١٧ بنحوه .

(٢) تفسير الثورى ص ٧٧، ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق (ص ٣٦٨- تراجم النساء) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٤٨ (٣٤٩٦، ٣٤٩٧) من طريق الوليد ، عن الأوزاعى بنحوه .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٤ إلى المصنف .

قتادةَ فى قولِه : ﴿ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ قال : أطيعى ربَّك[١] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عَمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ : أطيعى ربَّكِ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا محمدُ بنُ حَربٍ ، قال : ثنا ابنُ لَهيعَةَ ، عن درَّاجٍ ، عن / أبى الهَيْثَمِ ، عن أبى سعيدٍ الخُدْرىِّ ، عن النبىِّ ﷺ قال : « كُلُّ حرفٍ يُذْكَرُ فيه القنوتُ مِن القرآنِ ، فهو طاعةٌ للهِ »[٢] .

٢٦٦/٣

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنَفىُّ ، عن عبَّادِ بنِ منصورٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ يَـٰمَرْيَمُ ٱقْنُتِى لِرَبِّكِ ﴾ . قال : يقولُ : اعبُدى ربَّك[٣] .

قال أبو جعفرٍ : وقد بيَّنَّا أيضًا معنى « الركوعِ » و « السجودِ » بالأدلَّةِ الدالَّةِ على صحتِه ، وأنهما بمعنى الخشوعِ للهِ ، والخضوعِ له بالطاعةِ والعبودةِ[٤] .

فتأويلُ الآيةِ إذن : يا مريمُ أخلِصى عبادةَ ربِّك لوجهِه خالصًا ، واخشَعى لطاعتِه وعبادتِه ، مع مَن خشَع له مِن خلْقِه ، شكرًا له على ما أكرَمكِ به مِن الاصطفاءِ والتطهيرِ مِن الأدناسِ ، والتفضيلِ على نساءِ عالَمِ دهرِك .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ .

يعنى جل ثناؤُه بقولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ : الأخبارَ التى أخبَر بها عبادَه عن امرأةِ عمرانَ وابنتِها مريمَ ، وزكريا وابنِه يحيى ، وسائرِ ما قصَّ فى الآياتِ مِن قولِه :

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢١.

(٢) تقدم تخريجه فى ٣٨٢/٤ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٤٨/٢ (٣٤٩٥) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/ ٦١٣، ٧١٤، ٧١٥.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا ﴾ [آل عمران : ٣٣] . ثم جمَع جميعَ ذلك تعالى ذكرُه بقولِه ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ . فقال : هذه الأنباءُ ﴿ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ ﴾ . أى : مِن أخبارِ الغيبِ . ويعنى بـ « الغيبِ » ، أنها مِن خفيِّ أخبارِ القومِ التى لم تَطَّلِعْ أنت يا محمدُ عليها ولا قومُك ، ولم يَعْلَمْها إلا قليلٌ مِن أحبارِ أهلِ الكتابَين ورُهبانِهم .

ثم أخْبَر تعالى ذكرُه نبيَّه محمدًا ﷺ أنه أوْحَى ذلك إليه حُجَّةً على نبوَّتِه ، وتحقيقًا لصدقِه ، وقطعًا منه به عذرَ مُنْكِرِى رسالتِه مِن كفَّارِ أهلِ الكتابَين الذين يعلَمون أن محمدًا لم يَصِلْ إلى علمِ هذه الأنباءِ معَ خفائِها ، ولم يُدْرِكْ معرفتَها معَ خمولِها[1] عندَ أهلِها ، إلا بـإعلامِ اللهِ ذلك إيَّاه ، إذ كان معلومًا عندَهم أن محمدًا ﷺ أُمِّىٌّ لا يَكْتُبُ فيقرأَ الكتبَ ، فيَصِلَ إلى علمِ ذلك مِن قِبَلِ الكتبِ ، ولا صاحَبَ أهلَ الكتبِ فيأخُذَ علمَه مِن قِبَلِهم .

وأمَّا « الغيبُ » فمصدرٌ مِن قولِ القائلِ : غاب فلانٌ عن كذا ، فهو يَغِيبُ عنه غَيْبًا وغَيْبَةً .

وأمَّا قولُه : ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ . فإن تأويلَه : نُنَزِّلُه إليك .

وأصلُ الإيحاءِ إلقاءُ المُوحِى إلى المُوحَى إليه ، وذلك قد يكونُ بكتابٍ ، وإشارةٍ وإيماءٍ ، وبإلهامٍ ، وبرسالةٍ ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ [النحل : ٦٨] بمعنى : ألقَى ذلك إليها فألهَمها . وكما قال : ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى ٱلْحَوَارِيِّـۧنَ ﴾ [المائدة : ١١١] بمعنى : ألقيتُ إليهم عِلمَ ذلك إلهامًا ، وكما قال الراجزُ[2] :

---

(١) فى س : « شمولها » .

(٢) هو العجاج ، والرجز فى ديوانه ص ٢٦٦ .

أَوْحَــى[(١)] لهــا القَــرارَ فاسْتَقَــرَّتِ

٢٦٧/٣ / بمعنى : ألقَى إليها ذلك أمرًا . وكما قال جلّ ثناؤه : ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم : ١١] بمعنى : فألقى ذلك إليهم إيماءً[(٢)] .

والأصلُ فيه ما وصَفتُ مِن إلقاءِ ذلك إليهم ، وقد يكونُ إلقاؤُه ذلك إليهم إيماءً ، ويكونُ بكتابٍ ، ومِن ذلك قولُه : ﴿ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ ﴾ [الأنعام : ١٢١] : يُلْقُون إليهم ذلك وسوسةً . وقولُه : ﴿ وَأُوحِىَ إِلَىَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾ [الأنعام : ١٩] : أُلْقِي إليَّ بمجيءِ جبريلَ عليه السلامُ به إليَّ مِن عندِ اللهِ عزّ وجلّ .

وأمّا الوحيُ ، فهو الواقعُ مِن المُوحِي إلى المُوحَى إليه ، ولذلك سمَّت العربُ الخَطَّ والكتابَ وحيًا ؛ لأنه واقعٌ فيما كُتِب ثابتٌ فيه ، كما قال كعبُ بنُ زُهيرٍ[(٣)] :

أَتى العُجْمَ والآفاقَ منه قَصائِدٌ بَقِينَ بَقاءَ الوَحْيِ فى الحَجَرِ الأَصَمّ

يعنى به الكتابَ الثابتَ فى الحَجَرِ . وقد يقالُ فى الكتابِ خاصّةً إذا كتَبه الكاتبُ : « وَحَى » ، بغيرِ ألفٍ ، ومنه قولُ رُؤْبَةَ[(٤)] :

كأنــه بَعْــدَ رِيــاحٍ تَدْهَمُــهْ

ومُرْثَعِنَّاتِ الدُّجُونِ[(٥)] تَثِمُهْ[(٦)]

---

(١) فى الديوان : « وحى » .

(٢) فى النسخ : « أيضًا » . والمثبت هو الصواب .

(٣) ديوانه ص ٦٤.

(٤) ديوانه ص ١٤٩.

(٥) مرثعنات الدجون : المطر الكثير الدائم . اللسان (ر ث ع ن ، د ج ن) .

(٦) الوَثْم : الضرب . اللسان (و ث م) .

إنجيلُ أحبارٍ[(١)] وَحى مُنَمْنِمُهْ[(٢)]

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

يعنى جل ثناؤه بقولِه : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ﴾ : وما كنتَ يا محمدُ عندَهم فتعْلَمَ ما نُعَلِّمُكَه مِن أخبارِهم التى لم تَشْهَدْها ، ولكنك إنما تُعَلَّمُ ذلك فتُدْرِكُ معرفته بتعريفِناكَه .

ومعنى قولِه :﴿ لَدَيْهِمْ ﴾ : عندَهم .

ومعنى قولِه : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ ﴾ : حينَ يُلْقون أقلامَهم .

وأمَّا « أقلامُهم » فسهامُهم التى اسْتَهَم بها المستهِمون مِن بنى إسرائيلَ على كَفَالةِ مريمَ ، على ما قد بيَّنَّا قبلُ فى قولِه : ﴿ وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾[(٣)] [آل عمران : ٣٧] .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا هشامٌ ، عن[(٤)] عمرٍو ، عن[(٥)] سعيدٍ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ ﴾ . يعنى محمدًا [١/٤٠٨ظ] ﷺ[(٦)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يُلْقُونَ أَقْلَـٰمَهُمْ ﴾ : زكريا وأصحابُه اسْتَهَموا بأقلامِهم

(١) فى ص ، س : « توراة » .

(٢) النَّمْنَمَة : خطوط متقاربة قصار شبه ما تُنَمْنِم الريح دُقاق التراب ، وكتاب مُنَمْنَم : مُنَقَّش . اللسان (ن م م) .

(٣) تقدم فى ص ٣٤٥ ، ٣٤٦ .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « بن » . وسيأتى على الصواب فى ٣١٨/٥، ١٨١/٩، ٨٠/١١ .

(٥) فى س : « بن » .

(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢٤/٢ إلى المصنف .

على مريمَ حينَ دخَلت عليهم[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ / أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ : كانت مريمُ ابنةَ إمامِهم وسيِّدِهم ، فتشاحَّ عليها بنو إسرائيلَ ، فاقْترعوا فيها بسهامِهم أيُّهم يَكْفُلُها ، فقرَعهم زكريا ، وكان زوجَ أختِها ، فكفَلها زكريا ، يقولُ : ضمَّها إليه[(٢)] .

٢٦٨/٣

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ ﴾ . قال : تساهَموا على مريمَ أيُّهم يَكْفُلُها ، فقرَعهم زكريا[(٣)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمِّي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ : وإن مريمَ لمَّا وُضِعت في المسجدِ ، اقْترع عليها أهلُ المُصلَّى وهم يكتُبون الوحيَ ، فاقْترعوا بأقلامِهم أيُّهم يَكْفُلُها ، فقال اللهُ عز وجل لمحمدٍ ﷺ : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾[(٤)] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٢، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ دمشق (ص ٣٤٨، ٣٤٩- تراجم النساء).
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٠ (٣٥١٠) من طريق شيبان ، عن قتادة .
(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢١، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٩ (٣٥٠٢) عن الحسن بن يحيى به .
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٤٩ (٣٥٠١) عن محمد بن سعد به .

حُدِّثْتُ عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا مُعاذٍ ، قال : أخبرَنا عُبَيْدٌ ، قال : سمِعتُ الضحَّاكَ يقولُ في قولِه : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ : اقْتَرعوا بأقلامِهم أيُّهم يَكْفُلُ مريمَ ، فقرَعهم زكريا .

حدَّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنَفِيُّ ، عن عبَّادٍ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾ . قال : حيثُ اقترَعوا على مريمَ ، وكان غيبًا عن محمدٍ ﷺ حين أخبرَه اللهُ .

وإنما قيل : ﴿ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ ﴾ . لأن إلقاءَ المستهمين أقلامَهم على مريمَ إنما كان لِيَنْظُروا أيُّهم أَوْلَى بكفالتِها وأحقُّ . ففي قولِه عز وجل : ﴿ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ ﴾ . دَلالةٌ على محذوفٍ مِن الكلامِ ، وهو : لِينظُروا أيُّهم يَكْفُلُ ، ولِيَتَبَيَّنوا ذلك ويَعْلَموه .

فإن ظنَّ ظانٌّ أن الواجبَ في ﴿ أَيُّهُمْ ﴾ النصبُ ، إذ كان ذلك معناه ، فقد ظنَّ خطأً ، وذلك أن النظرَ والتبيُّنَ والعلمَ مع « أيّ » يَقْتَضِي استفهامًا واستخبارًا ، وحظُّ « أي » في الاستخبارِ الابتداءُ ، وبُطولُ عمَلِ المسألةِ والاستخبارِ عنه . وذلك أن معنى قولِ القائلِ : لأَنْظُرَنَّ أيُّهم قام : لأَسْتَخْبِرَنَّ الناسَ أيُّهم قام . وكذلك قولُهم : لأَعْلَمَنَّ .

وقد دَلَّلْنا فيما مضَى قبلُ أن معنى « يَكْفُلُ » : يَضُمُّ ، بما أَغْنَى عن إعادتِه في هذا الموضعِ[1] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ (٤٤) ﴾ .

---

(١) ينظر ما تقدم في ص ٣٤٥ وما بعدها .

يعنى بذلك جل ثناؤه : وما كنتَ يا محمدُ عندَ قومِ مريمَ إذ يَخْتَصِمون فيها أيُّهم أحقُّ بها وأَوْلَى . وذلك مِن اللهِ عزّ وجلّ وإن كان خطابًا لنبيِّه ﷺ ، فتوبيخٌ منه عزّ وجلّ للمكذِّبين به مِن أهلِ الكتابَين . يقولُ : كيف يَشُكُّ أهلُ الكفرِ بك منهم وأنت تُنبِئُهم هذه الأنباءَ ولم تَشْهَدْهم[(١)] ، ولم تكنْ معَهم يومَ فعَلوا هذه الأمورَ ، ولستَ ممّن قرَأ الكتبَ فعلِم نبأَهم ، ولا جالَس أهلَها فسمِع خبرَهم .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبَيْرِ : ﴿ وَمَا كُنتَ / لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ أى : ما كنتَ معَهم إذ يختصِمون فيها . يُخْبِرُه بخفىِّ ما كتَموا منه مِن العلمِ عندَهم ؛ لتحقيقِ نبوَّتِه ، والحُجَّةِ عليهم لما يأتيهم به ممّا أخفَوْا منه[(٢)] .

٢٦٩/٣

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤه : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ : وما كنتَ لديهم إذ يَخْتَصِمون ، وما كنتَ لديهم أيضًا إذ قالت الملائكةُ : يا مريمُ إنَّ اللهَ يُبشِّرُك . والتبشيرُ : إخبارُ المرءِ بما يَسُرُّه من خيرٍ .

وقولُه : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . يعنى : برسالةٍ مِن اللهِ وخبرٍ مِن عندِه . وهو مِن قولِ القائلِ : ألقى فلانٌ إلىَّ كلمةً سرَّنى بها . بمعنى : أخبرَنى خبرًا فرِحتُ به . كما قال جل ثناؤه : ﴿ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ ﴾ [النساء : ١٧١] يعنى : بُشْرَى اللهِ مريمَ بعيسى ألقاها إليها .

---

(١) فى م : « تشهدها » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٨١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٠/٢ (٣٥١١) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

فتأويلُ الكلامِ : وما كنتَ يا محمدُ عندَ القومِ إذ قالت الملائكةُ لمريمَ : يا مريمُ إن اللهَ يُبَشِّرُكِ ببُشْرَى مِن عندِه ، هى ولدٌ لكِ اسمُه المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ .

وقد قال قومٌ - وهو قولُ قتادةَ - : إن الكلمةَ التى قال اللهُ عزّ وجلّ : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . هو قولُه : « كُنْ » .

حدَّثنا بذلك الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ قال : قولُه : « كنْ »[1] .

فسمَّاه اللهُ عزَّ وجلَّ كلمتَه لأنه كان عن كلمتِه ، كما يقالُ لِما قدَّر اللهُ مِن شيءٍ : هذا قدرُ اللهِ وقضاؤُه . يعنى به : هذا عن قدرِ اللهِ وقضائه حدَث . وكما قال جلّ ثناؤُه : ﴿ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [النساء : ٤٧، والأحزاب : ٣٧] يعنى به : ما أَمَر اللهُ به ، وهو المأمورُ الذى كان عن أمرِ اللهِ عزَّ وجلَّ .

وقال آخَرون : بل هى اسمٌ لعيسى ، سمَّاه اللهُ بها كما سمَّى سائرَ خلقِه بما شاء مِن الأسماءِ .

ورُوِى عن ابنِ عباسٍ أنه قال : الكلمةُ هى عيسى .

حدَّثنا ابنُ وَكِيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن إسرائيلَ ، عن سِمَاكٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . قال : عيسى هو الكلمةُ مِن اللهِ[2] .

وأقربُ الوجوهِ إلى الصوابِ عندى القولُ [١/٤٠٩و] الأوّلُ ، وهو أن الملائكةَ بشَّرت مريمَ بعيسى عن اللهِ عز وجلَّ برسالتِه وكلمتِه التى أمَرها أن تُلْقِيَها إليها ، أن

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٧٧ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥١ (٣٥١٤) من طريق سماك به نحوه .

اللهَ خالقٌ منها وَلدًا مِن غيرِ بَعْلٍ ولا فَحْلٍ ؛ ولذلك قال عز وجل : ﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ ﴾ . فذكَّر ، ولم يقلْ : اسمُها . فيُؤَنِّث ، و« الكلمةُ » مونثةٌ ؛ لأن الكلمةَ غيرُ مقصودٍ بها قصدُ الاسمِ الذى هو بمعنى « فلانٍ » ، وإنما هى بمعنى البِشارةِ ، فذُكِّرت كنايتُها كما تُذَكَّرُ كنايةُ « الذُّرِّيَّةِ » و« الدابَّةِ » و« الألقابِ » ، على ما قد بيَّنَّاه قبلُ فيما مضَى[1] .

٢٧٠/٣ / فتأويلُ ذلك كما قلنا آنفًا مِن أن معنى ذلك : إن اللهَ يُبَشِّرُكِ ببُشْرَى . ثم بيَّنَ عن البُشرى أنها ولدٌ اسمُه المسيحُ .

وقد زعَم بعضُ نحويِّى البصرةِ أنه إنما ذكَّر فقال : ﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ ﴾ . وقد قال : ﴿ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ . والكلمةُ عندَه هى عيسى ؛ لأنه فى المعنى كذلك ، كما قال جلّ ثناؤُه : ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ ﴾ [الزمر : ٥٦] ثم قال : ﴿ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا ﴾ [الزمر : ٥٩] وكما يقالُ : ذو الثُّدَيَّةِ[2] . لأن يدَه كانت قصيرةً قريبةً من ثَديَيْه ، فجعَلها كأن اسمَها ثُدَيَّةٌ ، ولولا ذلك لم تَدْخُلِ الهاءُ فى التصغيرِ .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ نحوَ قولِ مَن ذكَرنا مِن نحويِّى البصرةِ ، فى أن الهاءَ مِن ذِكرِ «الكلمةِ» ، وخالفه فى المعنى الذى مِن أجلِه ذُكِّر قولُه : ﴿ ٱسْمُهُ ﴾ . و«الكلمةُ» متقدمةٌ قبلَه ، فزعَم أنه إنما قيل : ﴿ ٱسْمُهُ ﴾ . وقد قُدِّمت « الكلمةُ » ، ولم يقلِ : « اسمُها » . لأن مِن شأنِ العربِ أن تَفْعَلَ ذلك فيما كان مِن النُّعوتِ والألقابِ والأسماءِ التى لم تُوضَعْ لتعريفِ المُسَمَّى به ؛ كفلانٍ وفلانٍ ، وذلك مثلُ الذُّرِّيَّةِ والخليفةِ والدابَّةِ ، ولذلك جاز عندَه أن يقالَ : ذريةً طيبةً ، وذُرِّيَّةً طيبًا . ولم

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/ ٣٣٢، ٣٣٣، وفى ص ٣٦٣، ٣٦٤ من هذا الجزء.

(٢) فى س : « اليدين » . وينظر مسند الطيالسى (١٦٠) ، وسنن أبى داود السجستانى (٤٧٧٠) . قال ابن الأثير فى النهاية ١/ ٢٠٨: ويُروى ذو اليُدَيَّة بالياء بدل الثاء ، تصغير اليد ، وهى مؤنثة .

يَجُزْ أن يقالَ : طلحةُ أقبلَت ، ومغيرةُ قامت .

وأنكر بعضُهم اعتلالَ مَن اعتَلَّ فى ذلك بذى الثُّدَيَّةِ ، وقالوا : إنَّما أُدخِلت الهاءُ فى ذى الثُّدَيَّةِ لأنه أُريد بذلكَ القطعةُ من الثَّدْيِ ، كما قيل : كنَّا فى لحمةٍ ونَبيذةٍ . يُرادُ به القطعةُ منه .

وهذا القولُ نحوُ قولِنا الذى قلناه فى ذلك .

وأمَّا قولُه : ﴿ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ﴾ . فإنه جل ثناؤُه أنبأ عبادَه عن نِسبةِ عيسى ، وأنه ابنُ أمِّه مريمَ ، ونفَى بذلك عنه ما أضاف إليه المُلْحِدون فى اللهِ جل ثناؤُه مِن النصارى ، مِن إضافتِهم بُنُوَّتَه إلى اللهِ عزّ وجلّ ، وما قرَفت[1] أمَّه به المُفْتَرِيةُ عليها مِن اليهودِ .

كما حدَّثنى به ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ أى : هكذا كان أمرُه ، لا ما يقولون فيه[2] .

وأمَّا « المسيحُ » ، فإنه فَعِيلٌ ، صُرِف مِن مفعولٍ إلى فعيلٍ . وإنما هو ممسوحٌ ، يعنى : مسَحه اللهُ فطهَّره مِن الذنوبِ . ولذلك قال إبراهيمُ : المسيحُ الصدِّيقُ .

وقال آخرون : مُسِح بالبركةِ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ مثلَه[3] .

---

(١) فى م : « قذفت » ، وفى س : « فرقت » . وقرفت : اتهمت ورمت . تاج العروس (ق ر ف) .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٨٠/١ .

(٣) تفسير سفيان ص ٧٧، ٧٨ - ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٣٥٩/٤٧ - وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥١/٢ (٣٥١٦) ، وابن عساكر ٣٥٩/٤٧ من طريق وكيع به .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا ابنُ المُبارَكِ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن إبراهيمَ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ البَرْقيِّ ، قال : ثنا عَمرُو بنُ أبى سلَمةَ ، قال : قال سعيدٌ : إنما سُمِّى المسيحَ لأنه مُسِح بالبركةِ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ وَجِيهًا ﴾ : ذا وجهٍ ومنزلةٍ عاليةٍ عندَ اللهِ وشرَفٍ وكَرامةٍ . ومنه يقالُ للرجلِ الذى يَشْرُفُ وتُعَظِّمُه الملوكُ والناسُ : وجيهٌ . يقالُ منه : ما كان فلانٌ وجيهًا ، ولقد وَجُهَ وَجاهةً ، وإن له لوَجهًا عندَ السلطانِ وجَاهًا ووَجاهةً . و « الجاهُ » مقلوبٌ ، قُلِبت واوُه مِن أوَّلِه إلى موضعِ العينِ منه ، فقيل : جاه . وإنما هو /وجهٌ ، « وفَعَلَ » مِن الجاهِ : جاهَ يَجُوهُ ، مسموعٌ مِن العربِ : أخافُ أن يَجُوهَنى بأكثرَ مِن هذا . بمعنَى : أن يَسْتَقْبِلَنى فى وجهِى بأعظمَ منه . ٢٧١/٣

وأمَّا نصبُ « الوَجيهِ » فعلَى القطعِ مِن « عيسى » ؛ لأن « عيسى » معرفةٌ ، و« وجيه » نَكِرةٌ ، وهو مِن نعتِه ، ولو كان مخفوضًا على الرَّدِّ على « الكلمةِ » كان جائزًا .

وبما[2] قلنا مِن أنّ تأويلَ ذلك : وجيهًا فى الدنيا والآخرةِ عندَ اللهِ . قال -فيما بلَغنا- محمدُ بنُ جعفرٍ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ وَجِيهًا ﴾ قال : وجيهًا فى الدنيا والآخرةِ عندَ اللّهِ[3] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٥ إلى المصنف .

(٢) فى م : « كما » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/٥٨٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥١ (٣٥١٩) من طريق سلمة ، عن =

وأمَّا قولُه : ﴿ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ . فإنه يَعنى أنه ممّن يُقَرِّبُه اللَّهُ يومَ القيامةِ ، فيُسْكِنُه فى جِوارِه ويُدْنِيه منه .

كما حدَّثنا بِشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ . يقولُ : مِن المُقَرَّبِين عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ[1] .

حُدِّثت عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾ . يقولُ : مِن المُقَرَّبِين عندَ اللَّهِ يومَ القيامةِ[2] .

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ .

أمَّا قولُه : [١/٤٠٩ظ] ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ ﴾ . فإنّ معْناه أن اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بكلمةٍ منه اسمُه المسيحُ عيسى ابنُ مريمَ ، وجيهًا عندَ اللَّهِ ، ومُكَلِّمًا الناسَ فى المهدِ . فـ ﴿ يُكَلِّمُ ﴾ وإن كان مرفوعًا ؛ لأنه فى صورةِ « يَفْعَل » بالسلامةِ من العواملِ فيه ، فإنه فى موضعِ نصبٍ ، وهو نظيرُ قولِ الشاعرِ[3] :

= ابن إسحاق قوله .

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٢ عقب الأثر (٣٥٢٠) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٢ (٣٥٢٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) البيت فى معانى القرآن للفراء ١/٢١٣، وأمالى ابن الشجرى ٢/١٦٧، ولسان العرب (ك هـ ل ، ع ش ى)، وخزانة الأدب ٥/١٤٠ - ١٤٣.

بِتُّ أُعَشِّيها بعَضْبٍ[١] باتِرِ يَقْصِدُ في أَسْوُقِها وجائِرِ

وأمّا « المَهْدُ » فإنه يَعنى به مَضْجَعَ الصبيِّ في رَضاعِه .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ ﴾ قال : مَضْجَعُ الصَّبيِّ في رَضَاعِه[٢] .

وأمّا قولُه : ﴿ وَكَهْلًا ﴾ . فإنه : ومُحْتَنِكًا فوقَ الغُلُومةِ ودونَ الشيخوخةِ ، يقالُ منه : رجُلٌ كَهْلٌ ، وامرأةٌ كَهْلَةٌ . كما قال الراجزُ[٣] :

٢٧٢/٣ /ولَا أعُودُ بعدَها كَرِيًّا

أُمارِسُ الكَهْلَةَ وَالصَّبِيًّا

وإنما عَنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ : ويُكَلِّمُ الناسَ طفلًا في المهدِ - دَلالةً على براءةِ أمِّه مما [٤]قَرفها به[٤] المُفتَرون عليها ، وحجةً له على نُبُوَّتِه - وبالغًا كبيرًا بعدَ احتناكِه ، بوحيِ اللّهِ الذى يُوحيه إليه ، وأمرِه ونهيِه ، وما يُنزِلُ[٥] عليه مِن كتابِه ، وإنما أخبَر اللّهُ عزَّ وجلَّ عبادَه بذلك مِن أمرِ المسيحِ ، وأنه كذلك كان ، وإن كان الغالبُ مِن أمرِ الناسِ أنهم يتكلَّمون كُهولًا وشُيوخًا ، احتجاجًا به على القائلينَ فيه - مِن أهلِ الكفرِ باللّهِ مِن النصارى - الباطلَ ، وأنه

---

(١) العَضْب : السيف . تاج العروس (ع ض ب) .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٥ إلى المصنف ، وابن المنذر .

(٣) هو عذافر الكِندى ، والرجز فى أمالى القالى ٢/ ٢١٥ ، وسمط اللآلى ٢/٨٣٦ ، واللسان (ك هـ ل ، أ م م ، ك ر ى) .

(٤ - ٤) فى س : « رمى بها » ، وفى م : « قذفها به » .

(٥) فى م : « تقول » ، وفى س : « يعول » .

كان فى معاناةِ[(١)] أشياءَ ، مولودًا طفلًا ثم كهْلًا ، يَتَقَلَّبُ فى الأحداثِ ، ويَتَغَيَّرُ بمرورِ الأزمنةِ عليه والأيامِ ، مِن صِغَرٍ إلى كبرٍ ، ومِن حالٍ إلى حالٍ ، وأنه لو كان كما قال الملحِدون فيه ، كان ذلك غيرَ جائزٍ عليه ، فكذَّب بذلك ما قاله الوفدُ مِن أهلِ نَجرانَ ، الذين حاجُّوا رسولَ اللّهِ ﷺ فيه ، واحتَجَّ به عليهم لنبيِّه محمدٍ ﷺ ، وأعلَمَهم أنه كان كسائرِ بنى آدمَ ، إلا ما خصَّه اللّهُ به مِن الكَرامةِ التى أبانَه[(٢)] بها منهم .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ : يُخْبِرُهم بحالاتِه التى يَتَقَلَّبُ بها فى عُمُرِه ، كتَقَلُّبِ بنى آدمَ فى أعمارِهم صِغارًا وكِبارًا ، إلا أنّ اللّهَ خصَّه بالكلامِ فى مهدِه آيةً لنبوَّتِه ، وتعريفًا للعبادِ مواقعَ قدرتِه[(٣)] .

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ يقولُ : يُكَلِّمُهم صغيرًا وكبيرًا[(٤)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ قال : يُكَلِّمُهم صغيرًا وكبيرًا[(٥)] .

---

(١) فى ص ، ت ٢ ، س : « معاينة » .

(٢) فى س : « أناله » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٠ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٥٣ (٣٥٢٧) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٢٥ ، إلى المصنف ، وعبد بن حميد .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٥٢ عقب الأثر (٣٥٢٣) من طريق أبى جعفر به .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ قال : الكَهْلُ الحليمُ[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : كلَّمهم صغيرًا وكبيرًا وكهلًا . وقال ابنُ جريجٍ ، وقال مجاهدٌ : الكَهْلُ الحليمُ .

حدَّثني محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، عن عبّادٍ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ قال : كلَّمهم فى المَهْدِ صَبِيًّا ، وكلَّمهم كبيرًا[2] .

وقال آخرون : معنَى قولِه : ﴿ وَكَهْلًا ﴾ : أنه سيُكَلِّمُهم إذا ظهَر .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : سمِعتُه ، يعنى ابنَ زيدٍ ، يقولُ فى قولِه : ﴿ وَيُكَلِّمُ / ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ . قال : قد كلَّمهم عيسى فى المَهْدِ ، وسيُكَلِّمُهم إذا قتَل الدجالَ ، وهو يومَئذٍ كَهْلٌ[3] .

٢٧٣/٣

ونصَب ﴿ وَكَهْلًا ﴾ عطفًا على موضعِ : ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ ﴾ .

وأما قولُه : ﴿ وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ . فإنه يَعْنى : مِن عِدادِهم وأوليائِهم ؛ لأن أهلَ الصلاحِ بعضُهم مِن بعضٍ فى الدِّينِ والفَضْلِ .

---

(١) أخرجه الفريابى - كما فى التغليق ٤/٣٥-، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٢ (٣٥٢٥) من طريق ابن أبى نجيح به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٢ (٣٥٢٣) من طريق أبى بكر الحنفى .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٢٥ إلى المصنف .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ ﴾ .

يَعْنى بذلك جلَّ ثناؤُه : قالت مريمُ - إذْ قالت لها الملائكةُ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ﴾ - : ﴿ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ ﴾ مِن أىِّ وَجْهٍ يَكُونُ لى ولَدٌ ؟ أمِن قِبَلِ زوجٍ أتزَوَّجُه وبعْلٍ أنكِحُه ؟ أو تبتَدِئُ فيَّ خَلْقَه مِن غيرِ بَعْلٍ ولا فَحْلٍ ، ومن غيرِ أن يمسَّنى بَشرٌ ؟ فقال اللّهُ لها : ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ . يعنى : هكذا يَخْلُقُ اللّهُ منكِ ولدًا لك مِن غيرِ أن يَمَسَّكِ بَشرٌ ، فيَجعَلُه آيةً للناسِ وعِبرةً ، فإنه يَخْلُقُ ما يَشاءُ ، ويَصْنَعُ ما يُريدُ ، فيُعْطِى الولَدَ مَن يَشاءُ مِن غيرِ فَحْلٍ ومِن فَحْلٍ ، ويَحرِمُ ذلك مَن يَشاءُ مِن النساءِ وإن كانت ذاتَ بَعْلٍ ؛ لأنه لا يَتعَذَّرُ عليه خَلْقُ شىءٍ أراد خَلْقَه ، إنما هو أن يَأْمُرَ إذا أراد شيئًا ما أراد ، فيَقُولَ له : كُنْ . فيَكُونَ ما شاء مما يَشاءُ وكيفَ شاء .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبَيرِ : ﴿ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ : يَصْنَعُ ما أراد ، ويَخْلُقُ ما يَشاءُ ، مِن بشرٍ أو غيرِ بشرٍ[1] ، ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا [١/٤١٠و] فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن[2] ﴾ مما يَشاءُ ، وكيف يَشاءُ ، فيَكُونُ ما أراد[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴿٤٨﴾ ﴾ .

اختلَفت القرأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ الحِجازِ والمدينةِ وبعضُ قرأةِ الكوفيِّين : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ﴾ بالياءِ[4] ، ردًّا على قولِه : ﴿ كَذَٰلِكِ ٱللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ .

---

(١) بعده فى النسخ : « أى » . والمثبت من مصادر التخريج .

(٢) بعده فى النسخ : « فيكون » .

(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٥٣ (٣٥٢٩، ٣٥٣٠) من طريق سلمة عن ابن إسحاق .

(٤) وهى قراءة نافع وعاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ فألحقوا الخبرَ فى قولِه : ﴿وَيُعَلِّمُهُ﴾ بنظيرِ الخبرِ فى قولِه : ﴿ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾ . وقولِه : ﴿ فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ .

وقرَأ ذلك عامةُ قرأةِ الكوفيِّين وبعضُ البصريِّين : (وَنُعَلِّمُهُ) بالنونِ[1] ، عطفًا به على قولِه : ﴿ نُوحِيهِ إِلَيْكَ ﴾ كأنه قال : ذلك مِن أنباءِ الغيبِ نوحِيه إليك ، ونُعَلِّمُه الكتابَ . وقالوا : ما بعدَ ﴿ نُوحِيهِ ﴾ فى صِلتِه إلى قولِه : ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ . ثم عطَف بقولِه : (ونُعَلِّمُه) عليه .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندَنا أنهما قراءتان مختلِفتان غيرُ مختلفتَى المعانى ، فبأيتِهما قرَأ القارئُ فهو / مصيبٌ الصوابَ فى ذلك ؛ لاتفاقِ مَعْنَيَيِ القراءتين فى أنه خبرٌ عن اللَّهِ بأنه يُعَلِّمُ عيسى الكتابَ وما ذكَر أنه يُعلِّمُه .

وهذا ابتداءُ خبرٍ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ لمريمَ ما هو فاعلٌ بالولدِ الذى بشَّرها به مِن الكرامةِ ورِفعةِ المنزلةِ والفضيلةِ ، فقال : كذلكِ اللَّهُ يَخْلُقُ منكِ ولدًا مِن غيرِ فَحلٍ ولا بَعلٍ فيُعَلِّمُه الكتابَ ، وهو الخطُّ الذى يخطُّه بيدِه ، والحكمةَ ، وهى السنةُ التى نوحِيها إليه فى غيرِ كتابٍ ، والتوراةَ ، وهى التوراةُ التى أُنْزِلت على موسى ، كانت فيهم مِن عهدِ موسى ، والإنجيلَ ، إنجيلُ عيسى ولم يكنْ قبلَه ، ولكنَّ اللَّهَ أخبَر مريمَ قبلَ خلقِ عيسى أنه مُوحيه إليه ، وإنما أخبرَها بذلك ، فسمّاه لها ؛ لأنها قد كانت علِمت فيما نزَل مِن الكتبِ أن اللَّهَ باعثٌ نبيًّا يُوحِى إليه كتابًا اسمُه الإنجيلُ ، فأخبرَها اللَّهُ عزَّ وجلَّ أن ذلك النبىَّ ﷺ الذى سمِعتْ بصفتِه الذى وعَد أنبياءَه مِن قَبلُ أنه مُنزِّلٌ عليه الكتابَ الذى سُمِّى إنجيلًا ، هو الولدُ الذى وهبَه لها وبشَّرها به .

---

(١) وبها قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وحمزة والكسائى . المصدر السابق .

وبنحوِ ما قلنا في ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيجٍ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . قال : بيدِه[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ قال : الحكمةُ السنةُ[(٢)] .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ . قال : الحكمةُ السنةُ ، ﴿ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ . قال : كان عيسى يَقْرأُ التوراةَ والإنجيلَ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ . قال : الحكمةُ السنةُ .

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بن الزُّبيرِ ، قال : أخبرَها - يعني أخبرَ اللّهُ مريمَ - ما يُريدُ به ، فقال : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ ﴾ التي كانت فيهم مِن عهدِ موسى ، ﴿ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ ، كتابًا آخرَ أحدَثه إليه لم يَكُنْ عندَهم علمُه إلا ذِكْرُه أنه كائنٌ مِن الأنبياءِ قبلَه[(٤)] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢٥/٢ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٤/٢ عقب الأثر (٣٥٣٣) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٤/٢ (٣٥٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به مختصرا .

(٤) سيرة ابن هشام ٥٨١/١ ، وفيه : بعده . مكان : قبله .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ .

٢٧٥/٣ / يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَرَسُولًا ﴾ : (١) ونَجْعَلُه رسولًا (١) إلى بنى إسرائيلَ . فترك ذكرُ « ونجعَلُه » ؛ لدَلالةِ الكلامِ عليه ، كما قال الشاعرُ (٢) :

ورأيت زوجَكِ فى الوَغَى مُتَقَلِّدًا سيفًا ورُمْحًا

وقولُه : ﴿ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ . بمعنى : ونَجْعَلُه رسولًا إلى بنى إسرائيلَ بأنه (٣) نبيِّى وبشيرى ونذيرى (٣) ، وحجَّتى على صدقِى فى (٤) ذلك ﴿ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ . يعنى : بعلامةٍ مِن ربِّكم تُحَقِّقُ قولى ، وتُصَدِّقُ خبرى أنى رسولٌ مِن ربِّكم إليكم .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ أَنِّي قَدۡ جِئۡتُكُم بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ . أى : يُحَقِّقُ بها نبوَّتى ، وأنى رسولٌ منه إليكم (٥) .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : ورسولًا إلى بنى إسرائيلَ أنى قد جِئتُكم بآيةٍ مِن ربِّكم ، ثم بيَّن عن الآيةِ ما هى ، فقال : ﴿ أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ ﴾ .

(١ - ١) سقط من : ص ، ت ٢، ت ٣، س .

(٢) تقدم فى ١٤٠/١ .

(٣ - ٣) فى م : « نبى وبشير ونذير » .

(٤) فى النسخ : « على » . والصواب ما أثبت .

(٥) سيرة ابن هشام ٥٨١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٤/٢ (٣٥٣٨، ٣٥٣٩) من طريق سلمة عن ابن إسحاق قوله .

فتأويلُ الكلامِ : ورسولًا إلى بنى إسرائيلَ بأنى قد جئْتُكم بآيةٍ مِن ربِّكم بأن أخْلُقَ لكم مِن الطينِ كهيئةِ الطيرِ .

والطيرُ جمعُ طائرٍ .

واختلَفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأه بعضُ أهلِ الحجازِ : (كهيئةِ الطائرِ فأَنْفُخُ فيه فيَكُونُ طائرًا) . على التوحيدِ[(١)] .

وقرَأه آخرون : ﴿ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا ﴾ ، على الجماعِ فيهما[(٢)] .

وأعجبُ القراءاتِ إلىَّ فى ذلك قراءةُ مَن قرَأ : ﴿ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا ﴾ . على الجِماعِ فيهما جميعًا ؛ لأن ذلك كان مِن صفةِ عيسى أنه يَفْعَلُ ذلك بإذنِ اللّهِ ، وأنه الموافقُ لخطِّ المصحفِ . واتِّباعُ خطِّ المصحفِ مع صحةِ المعنى واستِفاضةِ القراءةِ به ، أعجبُ إلىَّ مِن خلافِ المُصحفِ .

وكان خلقُ عيسى [١/٤١٠ظ] ما كان يَخْلُقُ مِن الطيرِ كما **حدَّثنا** ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، قال : ثنا ابنُ إسحاقَ ، أن عيسى صلواتُ اللّهِ عليه جلَس يومًا مع غِلمانٍ مِن الكُتّابِ ، فأخَذ طينًا ، ثم قال : أَجْعَلُ لكم مِن هذا الطينِ طائرًا ؟ قالوا : وتَستطيعُ ذلك ؟! قال : نعم بإذن ربى . ثم هيَّأَه حتى إذا جعَله فى هيئةِ الطائرِ نفَخ فيه ، ثم قال : كن طائرًا بإذنِ اللّهِ . فخرَج يَطِيرُ بينَ كفَّيْهِ ، فخرَج الغلمانُ بذلك مِن أمرِه ، فذكَروه لمعلِّمِهم ، فأفشَوه فى الناسِ ، وتَرَعْرَعَ ، فهمَّت به بنو إسرائيلَ ، فلمّا خافت أمُّه عليه ، حُمَيِّرٍ على حُميِّرٍ لها ، ثم خرَجت به هاربةً[(٣)] .

---

(١) وهى قراءة نافع . السبعة لابن مجاهد ص ٢٠٦ .

(٢) فى النسخ : « كليهما » . والصواب ما أثبت .

وبالجماع فيهما قرأ باقى السابعة غير نافع . المصدر السابق .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/٢ إلى المصنف .

وذُكِر أنه لمّا أراد أن يَخْلُقَ الطيرَ من الطينِ سألهم : أىُّ الطيرِ أشدُّ خلقًا ؟ فقيل له : الخُفّاشُ .

٢٧٦/٣ / كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قوله : ﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ . قال : أىُّ الطيرِ أشدُّ خلقًا ؟ قالوا : الخُفاشُ ، إنما هو لحمٌ . قال : ففعَل[1] .

فإن قال قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ فَأَنفُخُ فِيهِ ﴾ وقد قيل : ﴿ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ ﴾ ؟

قيل : لأن معنى الكلام : فأنفُخُ فى الطيرِ . ولو كان ذلك : فأنفُخ فيها . كان صحيحًا جائزًا ، كما قال فى المائدةِ : ﴿ فَتَنفُخُ فِيهَا ﴾ [المائدة : ١١٠] . يريدُ : فتَنْفُخُ فى الهيئةِ .

وقد ذُكِر أن ذلك فى إحدى القراءتين : (فأنْفُخُها) بغير « فى »[2] . وقد تَفْعَلُ العربُ مثلَ ذلك ، فتقولُ : رُبَّ ليلةٍ قد بتُّها ، وبتُّ فيها . قال الشاعرُ[3] :

ما شُقَّ جَيْبٌ ولا قامَتْكَ نائحةٌ ولا بكَتْكَ جِيادٌ عندَ أسْلابِ

بمعنَى : ولا قامت عليك . وكما قال آخرُ :

إحدَى بَنى عَيِّذِ اللّهِ[4] اسْتَمَرَّ بها حُلْوُ العُصارةِ حتى يُنْفَخَ الصُّورُ

القولُ فى تأويلِ قوله : ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ .

يَعنى بقولِه: ﴿ وَأُبْرِئُ ﴾: وأَشْفِى. يُقالُ منه: أبْرَأ اللّهُ المريضَ (٥) من مرضِه (٥) .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٢/٢ إلى المصنف .

(٢) ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٢١٤. وقال أبو حيان فى البحر المحيط ٢/ ٤٦٦: هى قراءة شاذة نقلها الفراء .

(٣) ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٢١٤، والأغانى ١٨/ ٢٨٧.

(٤) بنو عيِّذ اللّه : حى من اليمن . تاج العروس (ع و ذ) .

(٥ - ٥) زيادة يستقيم بها السياق .

إذا شفاه منه ، فهو يُبْرِئُه إبراءً ، وبرَأ المريضُ فهو يَبْرأُ بَرْءًا . وقد يقالُ أيضًا : بَرِئَ المريضُ فهو يَبْرَأُ ، لغتانِ معْروفتانِ .

واختلَف أهلُ التأويلِ في معنَى الأكْمَهِ ؛ فقال بعضُهم : هو الذى لا يُبْصِرُ بالليلِ ويُبْصِرُ بالنهارِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ . قال : الأكمهُ الذى يُبْصِرُ بالنهارِ ولا يُبْصِرُ بالليلِ ، فهو يتَكَمَّهُ[1] .

حدثني المثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وقال آخرون : هو الأعمى الذى ولَدتْه أمُّه كذلك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ ، قال : كُنا نُحَدَّثُ أن الأكمهَ الذى وُلِد وهو أعمَى ، مضمومَ[2] العَينينِ[3] .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قَتادةَ

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٥ (٣٥٤٤) من طريق أبى عاصم به ، وأخرجه الفريابى - كما فى التعليق ٤/٣٥- من طريق ابن أبى نجيح به .

(٢) كذا فى النسخ ، ولعلها : « مغموم » . وكل مغطى فإن العرب تسميه مغمومًا . ينظر ما تقدم فى ١/ ٦٩٨.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٥ عقب أثر (٣٥٤٢) معلقا بنحوه .

فى قولِه : ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ ﴾ قال : كُنا نُحدَّثُ أن الأكمهَ الذى وُلِد وهو أعمَى ، مضمومَ العينينِ .

حُدِّثتُ عن المِنجابِ ، قال : ثنا بشرُ بنُ[1] عُمارةَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : الأكمهُ الذى يُولَد وهو أعمَى[2] .

٢٧٧/٣ / وقال آخرون : بل هو الأعمَى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ : هو الأعمَى[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : الأعمَى[4] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ قال : الأكْمَهُ الأعمَى[5] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنفىُّ ، عن عبّادِ بنِ منصورٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ قال : الأعمَى[6] .

---

(١) فى النسخ : « عن » ، وهو إسناد دائر ، وينظر ما تقدم فى ١/ ١٢١ .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٥٥ (٣٥٤٢) من طريق المنجاب به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٥٥ عقب الأثر (٣٥٤٢) من طريق عمرو به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٥٥ (٣٥٤٢، ٣٥٤٣) من طريقين ، عن ابن عباس .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢١.

(٦) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٥٥ عقب الأثر (٣٥٤٢) معلقا .

وقال آخرون : هو الأعمشُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا حَفْصُ بنُ عمرَ ، عن الحكَمِ بنِ أَبَانٍ ، عن عِكْرمةَ في قولِه : ﴿ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ ﴾ قال : الأعمشُ[1] .

والمعروفُ عندَ العربِ مِن معنَى الكَمَهِ العمَى ، يُقالُ منه : كَمِهَت عينُه ، فهي تَكمَهُ كمَهًا ، وكمَّهْتُها[2] أنا ، إذا أعميتَها ، كما قال سويدُ بنُ أبي كاهلٍ[3] :

[4]كمَّهَتْ عَيْنَيه[4] حتى ابْيضَّتا فهْو يَلْحَى نَفْسَهُ لمَّا نَزَعْ

ومنه قولُ رؤبةَ[5] :

هَرَّجْتُ[6] فارْتَدَّ ارْتِدادَ الأكمَهِ

في غائلاتِ[7] الحائِرِ[8] المُتَهْتِهِ[9]

وإنما أخبرَ اللّهُ عزَّ وجلَّ عن عيسى صلواتُ اللّهِ عليه أنه يَقُولُ ذلك لبني إسرائيلَ ؛ احتجاجًا منه بهذه العِبَرِ والآياتِ عليهم في نبوَّتِه ، وذلك أن الكَمَهَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٥٥ (٣٥٤٥) ، وابن الأنباري في الأضداد ص ٣٧٨ من طريق حفص بن عمر به .

(٢) في م : « أكميتها » .

(٣) الأضداد لابن الأنباري ص ٣٧٨، والمفضليات ص ٢٠٠، وشرح اختيار المفضل ٢/ ٩١٠، واللسان (ك م هـ) .

(٤ - ٤) في م ، ت ١، ت ٣: « كيهتْ عيناه » .

(٥) ديوانه ص ١٦٦.

(٦) هرجت : صِحْت به .

(٧) في س ، ت ١، ت ٣: « عاملات » . والغائلات : المهلكات الدواهي .

(٨) في الديوان : « الخائب » .

(٩) المتهته : المتردد في الباطل .

والبَرَصَ لا علاجَ لهما فيَقْدرَ على إبرائِه ذو طبٍّ بعلاجٍ[(١)] ، فكان ذلك مِن أدلتِه على صِدقِ قيلِه : إنه للّهِ رسولٌ ؛ لأنه مِن المعجزاتِ ، مع سائرِ الآياتِ التى / أعطاه اللّهُ إياها دَلالةً على نبوَّتِه .

٢٧٨/٣

فأمَّا ما قال عكرمةُ ، مِن أن الكَمَهَ العَمَشُ ، وما قاله مجاهدٌ مِن أنه سوءُ البصرِ بالليلِ ، فلا معنَى لهما ؛ لأن اللّهَ لا يَحتَجُّ على خلقِه بحجةٍ تَكُونُ لهم السبيلُ إلى معارضتِه فيها ، ولو كان مما احْتَجَّ به عيسى على بنى إسرائيلَ فى نبوّتِه أنه يُبْرِئُ الأعْمَشَ ، أو الذى يبصِرُ بالنهارِ ولا يبصرُ بالليلِ ، لقَدَروا على معارضتِه بأن [٤١١/١و] يَقُولوا : وما فى هذا لك مِن الحُجةِ ، وفينا خَلْقٌ ممن يُعَالِجُ ذلك وليسوا للّهِ أنبياءَ ولا رسلًا ؟ ففى ذلك دَلالةٌ بيِّنَةٌ على صحةِ ما قلنا مِن أن الأكمَهَ هو الأعمَى الذى لا يُبْصِرُ شيئًا ، لا ليلًا ولا نهارًا ، وهو بما قال قتادةُ مِن أنه المولودُ كذلك أشبهُ ؛ لأن عِلاجَ مثلِ ذلك لا يدَّعيه أحدٌ مِن البشرِ إلا مَن أعطاه اللّهُ مثلَ الذى أعطَى عيسى ، وكذلك علاجُ الأبرصِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

وكان إحياءُ عيسى الموتَى بدعاءِ اللّهِ ، يَدْعُو لهم ، فيَسْتَجيبُ له .

كما **حدَّثنى** محمدُ بنُ سَهلِ بنِ عَسْكَرٍ ، قال : ثنا إسماعيلُ بنُ عبدِ الكريمِ ، قال : ثنى عبدُ الصمدِ بنُ مَعْقِلٍ أنه سمِع وَهْبَ بنَ مُنَبِّهٍ يقولُ : لمَّا صار عيسى ابنَ اثْنَتَىْ عَشْرَةَ سنةً ، أَوْحَى اللّهُ إلى أمِّه وهى بأرضِ مصرَ ، وكانت هرَبت مِن قومِها حينَ ولَدته إلى أرضِ مصرَ : أن اطلُعِى به إلى الشامِ . ففعَلت الذى أُمِرت به ، فلم

---

(١) فى س : « يعالج » .

تَزَلْ بالشامِ حتى كان ابنَ ثلاثين سنةً ، وكانت نبوَّتُه ثلاثَ سنينَ ، ثم رفَعه اللَّهُ إليه .
قال : وزعَم وَهْبٌ أنه ربما اجتمَع على عيسى مِن المرضَى فى الجماعةِ الواحدةِ خمسون ألفًا ، مَن أطاق منهم أن يَبْلُغَه بلَغه ، ومَن لم يُطِقْ منهم ذلك أتاه عيسى يَمْشِى إليه ، وإنما كان يُداوِيهم بالدعاءِ إلى اللَّهِ[1] .

وأما قولُه : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ ﴾ . فإنه يَعْنى : وأُخبِرُكم بما تأْكلون مما لم أُعايِنْه وأُشاهِدْه معكم[2] فى وقتِ أكلِكُموه ، ﴿ وَمَا تَدَّخِرُونَ ﴾ . يعْنى بذلك : وما تَرْفَعونه فتُخَبِّئُونه ولا تَأْكُلُونه . يُعْلِمُهم أن مِن حُجَّتِه أيضًا على نبوّتِه - مع المعجزاتِ التى أعلَمهم أنه يأتى بها حُجّةً على نُبوَّتِه وصدقِه فى خبَرِه أن اللَّهَ أرسلَه إليهم ؛ مِن خلقِ الطيرِ مِن الطينِ ، وإبراءِ الأَكْمَهِ والأبرصِ ، وإحياءِ الموتَى بإذنِ اللَّهِ ، التى لا يُطِيقُها أحدٌ مِن البشرِ إلا مَن أعطاه اللَّهُ ذلك ؛ عَلَمًا له على صدقِه ، وآيةً له على حقيقةِ قولِه ، مِن أنبيائِه ورسلِه ، ومَن أحبَّ مِن خلقِه - إنباءَه عن الغيبِ الذى لا سبيلَ لأحدٍ مِن البشرِ الذين سبيلُهم سبيلُه ، عليه .

فإن قال قائلٌ : وما كان فى قولِه لهم : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ مِن الحجةِ له على صدقِه ، وقد رأَينا المتنجِّمةَ والمُتَكَهنةَ تخبرُ بذلك كثيرًا فتصيبُ ؟

قيل : إن المُتَنَجِّمَ والمُتَكَهِّنَ معلومٌ منهما عندَ مَن يُخْبرانِه[3] بذلك أنهما يُنَبِّئانِ به عن استخراجٍ له ببعضِ الأسبابِ المؤديةِ إلى علمِه ، ولم يَكُنْ ذلك كذلك مِن عيسى صلواتُ اللَّهِ عليه ، ومِن سائرِ أنبياءِ اللَّهِ ورسُلِه ، وإنما كان عيسى يُخْبِرُ به عن

---

(١) أخرجه المصنف فى تاريخه ٥٩٨/١ .

(٢) فى س : « منكم » .

(٣) فى النسخ : « يخبره » . والسياق يقتضى ما أثبت .

غيرِ استخراجٍ ولا طلبٍ لمعرفتِه باحتيالٍ ، ولكن ابتدَاءً بإعلامِ اللّهِ إياه ، مِن غيرِ أصلٍ تقدَّم ذلك احْتَذَاه ، أو بنَى عليه أو فزِع إليه ، كما يَفْزَعُ المتنجّمُ إلى حسابِه ، والمتكهِّنُ إلى رَئِيِّه ، فذلك هو الفصلُ بينَ عِلمِ الأنبياءِ بالغيوبِ وإخبارِهم عنها ، وبينَ علمِ سائرِ المتكذِّبةِ على اللّهِ ، أو المدَّعيةِ علمَ[1] ذلك .

٢٧٩/٣ / كما حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : لما بلَغ عيسى تسعَ سنينَ أو عَشْرًا أو نحوَ ذلك ، أدْخَلَتْه أمُّه الكُتَّابَ ، فيما يَزْعُمون ، فكان عندَ رجلٍ مِن المُكْتِبِينَ يُعَلِّمُه كما يُعَلِّمُ الغِلمانَ ، فلا يَذْهَبُ يُعَلِّمُه شيئًا مما يُعَلِّمُه الغلمانَ إلا بَدَره إلى علمِه قبلَ أن يُعَلِّمَه إياه ، فيَقُولُ : ألا تَعْجَبون لابنِ هذه الأرملةِ ، ما أذْهبُ أُعَلِّمُه شيئًا إلا وجَدتُه أعلمَ به منّى[2] .

حدَّثنى موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىّ : لـمّا كَبِر عيسى أسلَمته أمُّه يَتَعَلَّمُ التَّوْراةَ ، فكان يَلْعَبُ مع الغِلمانِ ، غِلمانِ القريةِ التى كان فيها ، فيُحَدِّثُ الغلمانَ بما يَصْنَعُ آباؤُهم[2] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبَرنا إسماعيلُ بنُ سالمٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ فى قولِه : ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ قال : كان عيسى ابنُ مريمَ إذْ كان فى الكُتّابِ يُخْبِرُهم بما يَأْكُلون فى بُيوتِهم وما يَدَّخِرون .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبَرنا إسماعيلُ بنُ سالمٍ ، قال : سمِعتُ سعيدَ بنَ جبيرٍ يقولُ : ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « على » .

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٤٣٣ .

تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : إنّ عيسى ابنَ مريمَ كان يَقولُ للغلامِ في الكُتّابِ : يا فلانُ ، إنْ أهْلُك قد خبَّئوا لك كذا وكذا مِن الطعامِ ، فتُطْعِمُنى منه ؟[(١)]

فهكذا فِعْلُ الأنبياءِ وحُجَجُها ، إنما تأْتى بما أتتْ به مِن الحُجَجِ بما قد يُوصَلُ إليه ببعضِ الحِيَلِ ، على غيرِ الوجهِ الذى يأْتى به غيرُها ، بل مِن الوجهِ الذى يَعْلَمُ الخَلْقُ أنه لا يُوصَلُ إليه مِن ذلك الوجهِ بحيلةٍ إلا مِن قِبَلِ اللّهِ .

وبنحوِ ما قلنا فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللّهِ : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ قال : بما أكَلْتم البارحةَ ، وما خبَّأْتم منه . عيسى ابنُ مريمَ يَقولُه[(٢)] .

حدَّثني المُثَنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا [١/٤١١ظ] القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال عطاءُ بنُ أبى رباحٍ ، يعنى قولَه : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور (٤٩٩ - تفسير) عن هشيم به ، وأخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٥٦/٢ (٣٥٥٠) من طريق إسماعيل به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٣، ومن طريقه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٦٥٦/٢ (٣٥٤٦، ٣٥٤٩) .

﴿تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ قال : الطعامُ والشيءُ يَدَّخِرونه فى بيوتِهم ، غَيْبًا عَلَّمه اللَّهُ إياه[(١)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : حدَّثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ قال : ﴿مَا تَأْكُلُونَ﴾ : ما أكلتم البارحةَ مِن طعامٍ وما خبَّأتم منه .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ ، قال : كان - يَعْنى عيسى ابنَ مريمَ - يُحَدِّثُ الغِلمانَ وهو معهم فى الكُتّابِ بما يَصْنَعُ آباؤُهم ، وبما يَرْفَعون لهم ، وبما يَأْكُلون ، / ويَقُولُ للغلامِ : انْطَلِقْ فقد رفَع لك أهلُك كذا وكذا ، وهم يَأْكُلون كذا وكذا . فيَنْطَلِقُ الصبىُّ ، فيَبْكِى على أهلِه حتى يُعْطُوه ذلك الشىءَ ، فيَقُولون له : مَن أخبَرك بهذا ؟ فيَقُولُ : عيسى . فذلك قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ فحبَسوا صبيانَهم عنه ، وقالوا : لا تَلْعَبوا مع هذا الساحرِ . فجمَعوهم فى بيتٍ ، فجاء عيسى يَطْلُبُهم ، فقالوا : ليس هم هٰهنا . فقال : ما فى هذا البيتِ ؟ فقالوا : خنازيرُ . قال عيسى : كذلك يَكُونون ، ففتَحوا عنهم فإذا هم خنازيرُ ، فذلك قولُه : ﴿عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ﴾ [المائدة : ٧٨][(٢)] .

٢٨٠/٣

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنَفىُّ ، عن عبّادٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ . قال : ما تُخَبِّئُون ، مخافةَ الذى يُمسِكُ [(٣)]أن يُخْلِفَه[(٣)] .

---

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٤٣٣.

(٢) ذكره الثعلبى فى قصص الأنبياء ص ٣٤٩، والبغوى فى تفسيره ص ٤٠، ٤١.

(٣ - ٣) فى م : « أن لا يخلفه شىء » .

وقال آخرون : إنما عنَى بقولِه : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ : ما تأْكُلون مِن المائدةِ التى تَنْزِلُ عليكم ، وما تدَّخِرون منها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ : فكان القومُ لـمّا سألُوا المائدةَ ، فكانت خِوانًا[1] يُنْزِلُ عليه أينما كانوا ثمرًا مِن ثمارِ الجنةِ ، فأَمَر القومَ ألا يَخُونُوا فيه ولا يُخَبِّئوا ولا يَدَّخِروا لغدٍ . بلاءٌ ابتلاهم اللَّهُ به ، فكانوا إذا فعَلوا مِن ذلك شيئًا أنبأَهم به عيسى ابنُ مريمَ ، فقال : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ﴾ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ ﴾ قال : أُنَبِّئُكم بما تأْكُلون مِن المائدةِ وما تَدَّخِرون منها . قال : وكان أخَذ عليهم فى المائدةِ حينَ نزَلت ، أن يأْكُلوا ولا يَدَّخِروا . فادَّخَروا وخانوا ، فجُعِلوا خنازيرَ حينَ ادَّخَروا وخانوا ، فذلك قولُه : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة : ١١٥] .

قال ابنُ يحيى : قال عبدُ الرزاقِ : قال معمرٌ ، عن قتادةَ ، عن خِلاسِ بنِ عمرٍو ، عن عمارِ بنِ ياسرٍ[2] .

وأصلُ ﴿ تَدَّخِرُونَ ﴾ مِن الفعلِ « تَفْتَعِلون » ، مِن قولِ القائلِ : ذخَرت

---

(١) فى م : « جرابا » .

(٢) بعده فى م : « ذلك » .

والأثر فى تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢١، ١٢٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٥٦ (٣٥٤٧، ٣٥٤٨) عن الحسن به ، وأخرجه الترمذى (٣٠٦١) من طريق قتادة عن خلاس بن عمرو ، عن عمار بن ياسر عن النبى ﷺ بنحوه .

الشيءَ. بالذال، فأنا أَذْخَرُه، ثم قيل: يَدَّخِرُ. كما قيل: يَدَّكِرُ. مِن. ذَكَرْتُ الشيءَ. يُرادُ به يَذْتَخِرُ، فلما اجتمَعت الذالُ والتاءُ وهما مُتقارِبتا المخرجِ، ثَقُل إظهارُهما على اللسانِ، فأُدْغِمت إحداهما فى الأخرى، وصُيِّرَتا دالًا مشدَّدةً، صيَّروها عَدْلًا بين الذالِ والتاءِ، ومِن العربِ مَن يُغَلِّبُ الذالَ على التاءِ، فيُدْغِمُ التاءَ فى الذالِ، فيَقُولُ: وما تَذَّخِرون، وهو مُذَّخَرٌ لك، وهو مُذَّكِرٌ. واللغةُ التى بها القراءةُ الأُولى، وذلك إدغامُ الذالِ فى التاءِ، وإبدالُهما دالًا مشددةً، لا يَجُوزُ القراءةُ بغيرِها؛ لتظاهرِ النقلِ مِن القرأةِ بها، وهى اللغةُ الجُودَى، كما قال زُهيرٌ[1]:

٢٨١/٣ / [2]إن الكريمَ[2] الذى يُعْطِيكَ نائلَهُ عَفْوًا وَيُظْلَمُ أحيانا فَيَظَّلِمُ

يُروى بالظاءِ، يريدُ: فيَفْتَعِلُ. مِن الظلمِ، ويُرْوى بالطاءِ أيضًا.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩)﴾.

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه: إنَّ فى خَلْقى مِن الطينِ الطيرَ بإذنِ اللّهِ، وفى إبرائى الأَكْمَهَ والأبرصَ، وإحيائى الموتى، وإنبائى إيّاكم بما تأْكُلون وما تدَّخرون فى بيوتِكم، ابتداءً مِن غيرِ حسابٍ وتَنْجِيمٍ، ولا كهانةٍ وعرافةٍ - لعبرةً لكم ومتفكَّرًا تتفكَّرون فى ذلك، فتَعْتَبِرون به أنى محقٌّ فى قولى لكم: إنى رسولٌ مِن ربِّكم إليكم. وتَعْلَمون به أنى فيما أدْعُوكم إليه مِن أمرِ اللّهِ ونهيِه صادقٌ. ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾. يعنى: إن كنتم مُصَدِّقين حُجَجَ اللّهِ وآياتِه، مُقِرِّين بتوحيدِه، ونبيِّه موسى والتوراةِ التى جاءَكم بها.

القولُ فى تأويلِ قولِه: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم

---

(١) شرح ديوانه ص ١٥٢.

(٢ - ٢) فى الديوان: «هو الجواد».

بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْۚ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : وبأنى قد جئتُكم بآيةٍ مِن ربِّكم ، وجئتُكم مصدِّقًا لِما بينَ يَدَىَّ مِن التوراةِ . ولذلك نصَب ﴿ مُصَدِّقًا﴾ على الحالِ مِن ﴿ جِئْتُكُم ﴾ . والذى يَدُلُّ على أنه نُصِب على قولِه : ﴿ وَجِئْتُكُم ﴾ دونَ العطفِ على قولِه : ﴿ وَجِيهًا ﴾ قولُه : ﴿ لِمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ ولو كان عطْفًا على قولِه : ﴿وَجِيهًا ﴾ ، لكان الكلامُ : ومصدِّقًا لما بينَ يديْه مِن التَّوْراةِ ، ولِيُحِلَّ لكم بعضَ الذى حُرِّم عليكم .

وإنما قيل : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ . لأن عيسى صلواتُ اللَّهِ عليه كان مؤمنًا بالتوراةِ مقِرًّا بها ، وأنها مِن عندِ اللَّهِ ، وكذلك الأنبياءُ ، كلُّهم يُصَدِّقون بكلِّ ما كان قبلَهم من كتبِ اللَّهِ ورسلِه ، [٤١٢/١و] وإن اختلَف بعضُ شرائعِ أحكامِهم ؛ لمخالفةِ اللهِ بينهم فى ذلك ، مع أنَّ عيسى كان - فيما بلَغَنا - عاملًا بالتوراةِ لم يخالفْ شيئًا مِن أحكامِها ، إلا ما خفَّف اللَّهُ عن أهلِها فى الإنجيلِ ممَّا كان مشدَّدًا عليهم فيها .

كما حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ الكريمِ ، قال : ثنى عبدُ الصمدِ بنُ مَعقِلٍ ، أنه سمِع وَهْبَ بنَ مُنبِّهٍ يقولُ : إن عيسى كان على شريعةِ موسى ، صلَّى اللَّهُ عليهما وسلَّم ، وكان يَسْبِتُ ويَسْتَقبِلُ بيتَ المقدسِ ، فقال لبنى إسرائيلَ : إنى لم أدْعُكم إلى خلافِ حرفٍ مما فى التوراةِ ، إلا لأُحِلَّ لكم بعضَ الذى حُرِّم عليكم ، وأَضَعَ عنكم مِن الآصارِ[1] .

حدَّثنى بِشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٥/٢ إلى المصنف .

يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ : كان الذى جاء به عيسى أَلْيَنَ مما جاء به موسى ، وكان قد حُرِّم عليهم فيما جاء به موسى لحومُ الإبلِ والثُّروبُ [(١)] ، وأشياءُ مِن الطيرِ والحِيتانِ [(٢)] .

حدَّثني المُثَنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ فى قولِه : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : كان الذى جاء به عيسى أَلْيَنَ مما جاء به موسى . قال : وكان حُرِّم عليهم فيما جاء به موسى مِن التوراةِ لحومُ الإبلِ والثُّروبُ ، فأحَلَّها لهم على لسانِ عيسى - وحُرِّمَت عليهم الشحومُ ، وأُحِلَّت لهم فيما جاء به عيسى - وفى أشياءَ مِن السمكِ ، وفى أشياءَ مِن الطيرِ ، مما لا صِيصِيَةَ [(٣)] له ، وفى أشياءَ حرَّمها عليهم ، وشدَّدها عليهم ، فجاءَهم عيسى بالتَّخفيفِ منه فى الإنجيلِ ، فكان الذى جاء به عيسى أَلْيَنَ مِن الذى جاء به موسى صلواتُ اللهِ عليه [(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ قولَه : ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : لحومُ الإبلِ والشحومُ ، لمَّا بُعِث عيسى أحَلَّها لهم ، وبُعِث إلى اليهودِ فاخْتَلَفوا وتفرَّقوا [(٥)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزُّبيرِ : ﴿ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ﴾ . أى : لِما سبَقَنى منها ،

---

(١) الثُّروب : جمع الثَّرْب ، وهو شحم رقيق يُغَشِّى الكَرِش والأمعاء ، وقيل : هو الشحم المبسوط على الأمعاء والمصارين .تاج العروس (ث ر ب) .

(٢) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٤٣٥.

(٣) فى ت ٢، س : « صيصة » . والصِّيصِيَة : شوكة الديك التى فى رجليه . تاج العروس (ص ى ص) .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٥٧، ٦٥٨ (٣٥٥٧) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

(٥) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٤٣٥.

﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ . أى : أُخْبِرُكم أنه كان حرامًا عليكم فترَكْتُموه ، ثم أُحِلُّه لكم تَخْفيفًا عنكم ، فتُصِيبون يُسْرَه ، وتَخْرُجون مِن تِباعَتِه[1] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنفىُّ ، عن عبَّادٍ ، عن الحسن : ﴿ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ﴾ قال : كان حُرِّم عليهم أشياءُ ، فجاءَهم عيسى ليُحِلَّ لهم الذى حُرِّم عليهم ، يَبْتَغِى بذلك شُكْرَهم[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ .

يعنى بذلك : وجئتُكم بحُجَّةٍ وعِبْرةٍ مِن ربِّكم ، تَعْلَمون بها حقيقةَ ما أقولُ لكم .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ قال : ما بيَّن لهم عيسى مِن الأشياءِ كلِّها ، وما أعْطاه ربُّه[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهِدٍ : ﴿ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ : ما بيَّن لهم عيسى مِن الأشياءِ كلِّها .

ويعنى بقولِه : ﴿ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ : مِن عندِ ربِّكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ۝٥٠ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ

---

(١) التبعة والتباعة . ما فيه إثم يُتبع به . يقال : ما عليه من الله فى هذا تبعة ولا تباعة . ينظر تاج العروس (ت ب ع) .

والأثر فى سيرة ابن هشام ٥٨١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٧/٢ (٣٥٥٥) من طريق سلمة عن ابن إسحاق قوله .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٧/٢ (٣٥٥٦) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٣، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٨/٢ (٣٥٥٨) .

فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ .

يعنى بذلك : وجئتُكم بآيةٍ مِن ربِّكم تَعْلَمون بها يقينًا صدقى فيما أقولُ ، فاتَّقُوا اللَّهَ يا معْشَرَ بنى إسرائيلَ فيما أمَرَكم به ونهاكم عنه فى كتابِه الذى أنْزَله على موسى ، فأوْفُوا بعهدِه الذى عاهَدْتُموه فيه ، وأطِيعونى/ فيما دعَوْتُكم إليه مِن تَصْدِيقى فيما أرْسَلَنى به إليكم ربى وربُّكم ، فاعْبُدوه ، فإنه بذلك أرْسَلَنى إليكم ، وبإحْلالِ بعضِ ما كان مُحَرَّمًا عليكم فى كتابِكم ، وذلك هو الطريقُ القَويمُ ، والهَدْىُ المتينُ الذى لا اعْوِجاجَ فيه . ٢٨٣/٣

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سَلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ ﴾ : تبَرِّيًا مِن الذى يَقولون فيه - يعنى : ما يَقولُ فيه النصارى - واحْتِجاجًا لربِّه عليهم . ﴿ فَٱعْبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ أى : هذا الذى قد حمَلْتُكم عليه وجئْتُكم به[1] .

واختَلَفَ القَرَأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ ﴾ ؛ فقرأته عامةُ قرَأَةِ الأمصارِ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُۚ ﴾ بكسرِ ألفِ ﴿إِنَّ﴾ . على ابتداءِ الخبرِ .

وقرَأَه بعضُهم : (أَنَّ اللّهَ رَبِّى وَرَبُّكُم) . بفتحِ ألفِ (أنَّ)[2] ، بتأويلِ : وجئتكم بآيةٍ مِن ربِّكم أن اللّهَ ربى وربُّكم . على ردِّ « أن » على « الآيةِ » ، والإبدالِ منها .

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٨١/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٥٨/٢ (٣٥٦٠، ٣٥٦٢) ، من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) قال ابن خالويه فى مختصر الشواذ ص ٢٧: بالفتح ، الأخفش عن بعض القراء . وينظر المحرر الوجيز لابن عطية ٤٣٦/٢، والبحر المحيط ٤٦٩/٢.

والصوابُ مِن القراءةِ عندَنا ما عليه قَرأَةُ الأمصارِ، وذلك كسرُ ألفِ ﴿إِنَّ﴾. على الابتداءِ؛ لإجماعِ الحُجَّةِ مِن القرأةِ على صحةِ ذلك، وما اجْتَمَعَت عليه فحُجَّةٌ، وما انْفَرَد به المنفَرِدُ عنها فرأْيٌ، ولا يُعْتَرَضُ بالرأيِ على الحُجَّةِ.

وهذه الآيةُ، وإن كان ظاهرُها خبرًا، ففيه الحجةُ البالغةُ مِن اللهِ لرسولِه محمدٍ ﷺ، على الوفدِ الذين حاجُّوه مِن أهلِ نَجْرانَ، بإخبارِ اللهِ عزَّ وجلَّ عن أن عيسى كان بريئًا مما نسَبه إليه مَن نسَبه إلى غيرِ الذى وصَف به نفسَه، مِن أنه للّهِ عبدٌ كسائرِ عبيدِه مِن أهلِ الأرضِ، إلا ما كان اللهُ جلَّ ثناؤُه [١/٤١٢ظ] خصَّه به مِن النبوةِ والحُجَجِ التى آتاه دليلًا على صدقِه - كما آتى[(١)] سائرَ المرسَلين غيرِه مِن الأعلامِ والأدلةِ على صدقِهم - [(٢)]وحُجَّةً على نبوتِه[(٢)].

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ (٥٢)﴾.

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤُه: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ﴾: فلمَّا وجَد عيسى منهم الكفرَ.

و «الإحساسُ» هو الوجودُ، ومنه قولُ اللّهِ عزَّ وجلَّ: ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ﴾ [مريم: ٩٨].

فأما «الحسُّ» بغيرِ ألفٍ، فهو: الإفناءُ والقتلُ، ومنه قولُه: ﴿إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. و«الحَسُّ» أيضًا: العطفُ والرِّقةُ. ومنه قولُ

---

(١) فى ص، ت ١، ت ٢، س: «أن».

(٢ - ٢) فى م: «الحجة على نبوتهم».

الكُمَيْتِ[١] :

هل مَن بكَى الدارَ راجٍ أن تَحِسَّ له أو يُبْكِيَ الدارَ ماءُ العَبْرَةِ الخَضِلُ[٢]

يعنى بقولِه : أن تحسَّ له : أن تَرِقَّ له .

فتأويلُ الكلامِ : فلمَّا وجَد عيسى مِن بنى إسرائيلَ الذين أرْسَله اللَّهُ إليهم ، جحودًا لنبوتِه ، وتكذيبًا / لقولِه ، وصدًّا عمّا دعاهم إليه مِن أمرِ اللهِ ، قال : ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ يعنى بذلك : قال عيسى : مَن أعْوانى على المكذِّبين بحجةِ اللهِ ، والمُوَلِّين عن دينِه ، والجاحِدِين نبوةَ نبيِّه ، إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ؟

٢٨٤/٣

ويعنى بقولِه : ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ : مع اللهِ .

وإنما حَسُن أن يُقالَ : ﴿إِلَى ٱللَّهِ﴾ . بمعنى : مع اللهِ ؛ لأن مِن شأنِ العربِ إذا ضمُّوا الشيءَ إلى غيرِه ، ثم أرادوا الخبرَ عنهما بضمِّ أحدِهما مع الآخرِ إذا ضُمَّ إليه ، جعَلوا مكانَ « مع » « إلى » أحيانًا ، وأحيانًا تُخْبِرُ عنهما بـ « مع » ، فتقولُ : الذَّوْدُ[٣] إلى الذودِ إبلٌ . بمعنى : إذا ضمَمْتَ الذَّوْدَ إلى الذودِ صارت إبلًا . فأما إذا كان الشيءُ مع الشيءِ لم يَقُولوه بـ « إلى » ، ولم يَجْعَلوا مكانَ « مع » « إلى » ، غيرُ جائزٍ أن يُقالَ : قدِم فلانٌ وإليه مالٌ . بمعنى : ومعه مالٌ .

وبمثلِ ما قلْنا فى تأويلِ قولِه : ﴿مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ قال جماعةٌ

---

(١) شعر الكميت بن زيد الأسدى ١٢/٢ .

(٢) الخضل : كل شيء نَدٍ يَتَرَشَّش من نداه فهو خضل ، وقد خضل الثوبَ دمعُه : بلَّه . اللسان (خ ض ل) .

(٣) الذَّوْد : ثلاثة أبعرة إلى التسعة . وقيل : إلى العشرة . وقيل : من ثلاث إلى خمس عشرة . وقيل : من ثلاث إلى العشرين وفويق ذلك . وقيل : ما بين الثلاث إلى الثلاثين أو مابين الثنتين إلى التسع . تاج العروس (ذ و د) .

مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ قولَه : ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ يقولُ : مع اللهِ[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ يقولُ : مع اللهِ[1] .

وأما سببُ استِنْصارِ عيسى عليه السلامُ مَن استَنْصَرَ مِن الحَوارِيِّين ، فإنَّ بينَ أهلِ العلمِ فيه اختلافًا ؛ **فقال بعضُهم** : كان سببَ ذلك ما **حدَّثنى** به موسى ابنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : لمَّا بعَث اللهُ عيسى ، فأمَرَه بالدعوةِ ، نفَته بنو إسرائيلَ وأخْرَجوه ، فخرَج هو وأمُّه يَسِيحون فى الأرضِ ، فنزَل فى قريةٍ على رجلٍ ، فضافَهم وأحْسَن إليهم ، وكان لتلك المدينةِ ملكٌ جبارٌ مُعْتَدٍ ، فجاء ذلك الرجلُ يومًا وقد وقَع عليه هَمٌّ وحُزْنٌ ، فدخَل منزلَه ومَرْيَمُ عندَ امرأتِه ، فقالت مريمُ لها : ما شأنُ زوجِك ؟ أراه حَزينًا ! قالت : لا تَسْألى . قالت : أخْبِرينى لعل اللهَ يُفَرِّجُ كُرْبتَه . قالت : فإن لنا مَلِكًا يَجْعَلُ على كلِّ رجلٍ منا يومًا يُطْعِمُه هو وجنودَه ، ويَسْقِيهم مِن الخمرِ ، فإن لم يَفْعَلْ عاقَبَه ، وإنه قد بلَغت نَوبتُه اليومَ الذى يُرِيدُ أن يَصْنَعَ له فيه ، وليس لذلك عندَنا سَعَةٌ . قالت : فقولى له : لا يَهْتَمَّ ، فإنى آمُرُ ابنى فيَدْعُو له فيُكْفَى ذلك . قالت مريمُ لعيسى فى ذلك ، قال عيسى : يا أُمَّهْ ، إنى إن فعَلْتُ كان فى ذلك شَرٌّ . قالت : فلا تُبالِ ، فإنه قد أحْسَن إلينا وأكْرَمَنا . قال عيسى : فقولى له : إذا اقْتَرَب ذلك ،

---

(١) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٤٣٧.

فاملَأْ قُدورَك وخَوابِيَك[1] ماءً، ثم أَعْلِمْنى[2]. فلمَّا مَلأَهن أعْلَمه، فدعا اللَّهَ، فتحَوَّل ما فى القدورِ لحمًا ومَرَقًا وخبزًا، وما فى الخَوابى[3] خمرًا، لم يَرَ الناسُ مثلَه قطُّ، وآتاه طعامًا[3]، فلمَّا جاء المَلِكُ أكَل، فلما شرِب الخمرَ سأَل : مِن أين هذا الخمرُ؟ قال له : هى مِن أرضِ كذا وكذا. قال المَلِكُ : فإن خمرى أُوتَى بها مِن تلك الأرضِ، فليس هى مثلَ هذه. قال : هى مِن أرضٍ أُخرى. فلما خلَّط على المَلِكِ، اشْتَدَّ عليه، قال : فأنا أُخْبِرُك، عندى غلامٌ لا يَسْأَلُ اللهَ شيئًا إلا أعطاه إياه، وإنه دعا اللهَ، فجعَل الماءَ خمرًا. قال الملكُ، وكان له ابنٌ يريدُ أن يَسْتَخْلِفَه، فمات قبلَ ذلك بأيامٍ، وكان أحبَّ الخلقِ إليه، فقال : إن رجلًا دعا اللَّهَ حتى / جعَل الماءَ خمرًا، لَيُسْتَجابَنَّ له حتى يُحْيِىَ ابنى. فدعا عيسى فكلَّمه، فسأَله أن يَدْعُوَ اللهَ فيُحْيِىَ ابنَه، فقال عيسى : لا تَفْعَلْ، فإنه إن عاش كان شرًّا. فقال الملكُ : لا أُبالى أليس أراه؟ فلا أُبالى ما كان. فقال عيسى عليه السلامُ : فإن أحْيَيْتُه تَتْرُكونى أنا وأمى نَذْهَبُ أينَما شِئْنا؟ قال الملكُ : نعم. فدعا اللهَ، فعاش الغلامُ. فلمَّا رآه أهلُ مَمْلكتِه قد عاش، تَنادَوْا بالسِّلاحِ. وقالوا : أَكَلَنا هذا، حتى إذا دنا موتُه يريدُ أن يَسْتَخْلِفَ ابنَه، فيأْكُلَنا كما أكَلَنا أبوه! فاقْتَتَلوا. وذهَب عيسى وأمُّه، وصحِبهما يَهوديٌّ، وكان مع اليهوديِّ رَغيفان، ومع عيسى رغيفٌ، فقال له عيسى : شارِكْنى. فقال اليهوديُّ : نعم. فلما رأَى أنه

٢٨٥/٣

(١) الخَوَابى، جمع خابية، وهى الجرَّة الكبيرة، تركوا همزتها كما تركوا همزة البَرِيَّة، والذُّرية تخفيفا لكثرة الاستعمال. تاج العروس (خ ب أ).

(٢) بعده فى ص، م، ت ١، س : « قال ».

(٣ - ٣) سقط من : ت ١، س.

ليس مع عيسى إلا رغيفٌ نَدِم . فلمَّا ناما جعَل اليهوديُّ يرِيدُ أن يَأْكُلَ الرغيفَ ، فلما أكَل لُقْمةً قال له عيسى : ما تَصْنَعُ ؟ فيقولُ : لا شيءَ . فيَطْرَحُها ، حتى فرَغ مِن الرغيفِ كلِّه . فلما أصْبَحا قال له عيسى : هَلُمَّ طعامَك . فجاء برغيفٍ ، فقال له عيسى : أين الرغيفُ الآخرُ ؟ قال : ما كان معى إلا واحدٌ . فسكَت عنه عيسى . فانْطَلَقوا ، فمرُّوا براعى غنمٍ ، فنادَى عيسى : يا صاحبَ الغنمِ ، [١/٤١٣و] أَجْزِرْنا شاةً مِن غنمِك . قال : نعم ، أرْسِلْ صاحبَك يَأْخُذْها . فأرْسَل عيسى اليهوديَّ ، فجاء بالشاةِ ، فذبَحوها وشوَوْها ، ثم قال لليهوديِّ : كلْ ولا تَكْسِرْ عظمًا . فأكَلا ، فلما شبِعوا قذَف عيسى العظامَ فى الجلدِ ، ثم ضرَبها بعصاه ، وقال : قومى بإذنِ اللهِ . فقامت الشاةُ تَثْغُو[(١)] ، فقال : يا صاحبَ الغنمِ ، خُذْ شاتَك . فقال له الراعى : مَن أنت ؟ قال : أنا عيسى ابنُ مريمَ . قال : أنت الساحرُ ! وفرَّ منه . قال عيسى لليهوديِّ : بالذى أحيا هذه الشاةَ بعدَ ما أكَلْناها ، كم كان معك رغيفًا ؟ فحلَف ما كان معه إلا رغيفٌ واحدٌ . فمرُّوا بصاحبِ بقرٍ ، فنادَى عيسى ، فقال : يا صاحبَ البقرِ ، أجْزِرْنا مِن بقرِك هذه عِجْلًا . قال : ابْعَثْ صاحبَك يَأْخُذْه . قال : انْطَلِقْ يا يهوديُّ فجِئْ به . فانْطَلَق فجاء به . فذبَحه وشوَاه ، وصاحبُ البقرِ يَنْظُرُ ، فقال له عيسى : كُلْ ولا تَكْسِرْ عظمًا . فلمَّا فرَغوا قذَف العِظامَ فى الجلدِ ، ثم ضرَبه بعصاه ، وقال : قُمْ بإذنِ اللهِ . فقام وله خُوارٌ . قال : خُذْ عجلَك . قال : ومَن أنت ؟ قال : أنا عيسى . قال : أنت السَّحَّارُ ! ثم فرَّ منه . قال اليهوديُّ : يا عيسى أحْيَيْتَه بعدَ ما أكَلْناه ! قال عيسى : فبالذى أحْيَا الشاةَ بعدَ ما أكَلْناها ، والعجلَ بعدَ ما أكَلْناه ، كم كان معك رغيفًا ؟ فحلَف

(١) الثُّغاء : صوت الشاء والمعز وما شاكلها ، وقد ثَغا يثغو وثَغَت تَثْغو ثُغاء : أى صاحت . اللسان (ث غ و) .

باللّهِ ما كان معه إلا رغيفٌ واحدٌ. فانْطَلَقا حتى نزَلا قريةً، فنزَل اليهوديُّ أعلاها، وعيسى فى أسفلِها، وأخَذ اليهوديُّ عصا مثلَ عصا عيسى[(١)]، وقال: أنا الآن أُحْيِى الموتى. وكان مَلِكُ تلك المدينةِ مريضًا شديدَ المرضِ، فانْطَلَق اليهوديُّ يُنادِى: مَن يَبْتَغِى طبيبًا. حتى أتى مَلِكَ تلك القريةِ، فأُخْبِر بوَجَعِه، فقال: أدْخِلونى عليه، فأنا أُبْرِئُه، وإن رأَيْتُموه قد مات فأنا أُحْيِيه. فقيل له: إن وجَعَ الملكِ قد أعْيا الأطِباءَ قبلَك، ليس مِن طبيبٍ يُداوِيه ولا يُفِيءُ[(٢)] دواؤُه شيئًا إلا أُمِر به فصُلِب. قال: أَدْخِلونى عليه، فإنى سأُبْرِئُه. فأُدْخِل عليه، فأخَذ برِجْلِ المَلِكِ، فضرَبه بعصاه حتى مات، فجعَل يَضْرِبُه بعصاهُ وهو ميتٌ، ويقولُ: قُمْ بإذنِ اللّهِ. فأُخِذ ليُصْلَبَ، فبلَغ عيسى، فأقْبَل إليه، وقد رُفِع على الخشبةِ، فقال: أرأيْتُم إن أَحْيَيْتُ لكم صاحبَكم أتتْرُكون لى صاحبى؟ قالوا: نعم. فأحْيا اللهُ المَلِكَ لعيسى، فقام وأُنْزِل اليهوديُّ، فقال اليهوديُّ[(٣)]: يا عيسى، أنت أعْظَمُ الناسِ علىَّ مِنَّةً، واللهِ لا أُفارِقُك أبدًا[(٤)].

٢٨٦/٣ قال عيسى - فيما حدَّثنا / به محمدُ بنُ الحسينِ بنِ موسى، قال: ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ قال: ثنا أسْباطُ، عن السُّدِّىِّ - لليهودىِّ: أَنْشُدُك بالذى أحْيَا الشاةَ والعِجلَ بعدَ ما أكَلْناهما، وأحْيَا هذا بعدَ ما مات، وأنْزَلَك مِن الجِذْعِ بعدَ ما رُفِعْتَ[(٥)] عليه لتُصْلَبَ، كم كان معك رغيفًا؟ قال: فحلَف بهذا كلِّه، ما كان معه

(١) فى س: «موسى».

(٢) فى مصدر التخريج: «يغنى». وأصل الفَىْء: الرجوع، وقيده بعضهم بالرجوع إلى حالة حسنة. تاج العروس (ف ى أ).

(٣) سقط من: ص، م، ت ١، ت ٣، س.

(٤) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ٣٩٦/٤٧، ٣٩٧ من طريق عمرو بن حماد، عن أسباط، عن السدى، عن أبى مالك، وعن أبى صالح، عن ابن عباس.

(٥) فى ص، ت ٢: «رفعك».

إلا رغيفٌ واحدٌ . قال : لا بأسَ . فانْطَلَقا حتى مرَّا على كَنْزٍ قد حفَرَتْه السِّباعُ والدوابُّ ، فقال اليهوديُّ : يا عيسى ، لِمَن[1] هذا المالُ ؟ قال عيسى : دَعْه ، فإن له أهلًا يَهلِكون عليه . فجعَلَت نفسُ اليهوديِّ تَطَلَّعُ إلى المالِ ، ويَكْرَه أن يَعْصِيَ عيسى ، فانْطَلَق مع عيسى ، ومرَّ بالمالِ أربعةُ نفرٍ . فلمَّا رأَوْه اجْتَمَعوا عليه ، فقال اثنان لصاحِبَيْهما : انْطَلِقا فابْتاعا لنا طعامًا وشرابًا ودوابَّ نَحْمِلُ عليها هذا المالَ . فانْطَلَق الرجلان فابْتاعا دوابَّ وطعامًا وشرابًا ، وقال أحدُهما لصاحبِه : هل لك أن نَجْعَلَ لصاحبَيْنا في طعامِهما سُمًّا ، فإذا أكَلا ماتا ، فكان المالُ بيني وبينَك ؟ فقال الآخَرُ : نعم . ففعَلا ، وقال الآخَران : إذا ما أَتَيَانا بالطعامِ ، فلْيَقُمْ كلُّ واحدٍ إلى صاحبِه فيَقْتُله ، فيكونَ الطعامُ والدوابُّ بيني وبينَك . فلما جاءا بطعامِهما قاما فقتَلاهما ، ثم قعَدا على الطعامِ ، فأكَلا منه فماتا ، وأُعْلِم ذلك عيسى ، فقال لليهوديِّ : أخْرِجْه حتى نَقْتَسِمَه . فأخْرَجه ، فقسَمه عيسى بينَ ثلاثةٍ ، فقال اليهوديُّ : يا عيسى ، اتَّقِ اللهَ ولا تَظْلِمْنى ، فإنما هو أنا وأنت ، ما هذه الثلاثةُ ؟ قال له عيسى : هذا لى ، وهذا لك ، وهذا الثلُثُ لصاحبِ الرغيفِ . قال اليهوديُّ : فإن أخْبَرْتُك بصاحبِ الرَّغيفِ تُعْطِينى هذا المالَ ؟ فقال عيسى : نعم . قال : أنا هو . قال عيسى : خُذْ حظى وحظَّك وحظَّ صاحبِ الرغيفِ ، فهو حظُّك مِن الدنيا والآخرةِ . فلمَّا حمَله مشَى به شيئًا ، فخُسِف به ، وانْطَلَق عيسى ابنُ مريمَ ، فمرَّ بالحَوارِيِّين وهم يَصْطادون السمكَ ، فقال : ما تَصْنَعون ؟ فقالوا : نَصْطادُ السمكَ . فقال : أفلا تَمْشون حتى نَصْطادَ الناسَ ؟ قالوا : ومَن أنت ؟ قال : أنا عيسى ابنُ مريمَ . فآمَنوا به ، وانْطَلَقوا معه ، فذلك قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

(١) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، س .

حدَّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، عن عبادِ بنِ منصورٍ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾ الآية . قال : اسْتَنْصَر فنصَره الحَوارِيون ، وظهَر عليهم[1] .

وقال آخرون : كان سبب اسْتِنْصارِ عيسى مَن اسْتَنْصَر ؛ لأن مَن اسْتَنْصَر الحَوارِيين عليه كانوا أرادوا قتلَه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ قال : كفروا وأرادُوا قتلَه ، فذلك حينَ اسْتَنْصَر قومَه ، قال : ﴿ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾[2] .

والأنصارُ جمعُ نَصِيرٍ ، كما الأشْرافُ جمعُ شَرِيفٍ ، والأشهادُ جمعُ شَهيدٍ .

٢٨٧/٣ / وأما « الحَوارِيُّون » ، فإن أهلَ [١/٤١٣ظ] التأويلِ اختلَفوا في السببِ الذي مِن أجلِه سُمُّوا حَوارِيِّين ؛ فقال بعضُهم : سُمُّوا بذلك لبياضِ ثيابِهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عُبيدٍ المُحارِبيُّ ، قال : مما روَى أبي ، قال : ثنا قيسُ بنُ الرَّبيعِ ، عن مَيْسرةَ ، عن المِنْهالِ بنِ عمرٍو ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : إنما سُمُّوا الحواريين لبياضِ ثيابِهم[3] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٩/٢ (٣٥٦٧) من طريق أبي بكر الحنفي به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٩/٢ (٣٥٦٤) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج قوله . وعزاه السيوطي أيضا في الدر المنثور ٣٥/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٩/٢ (٣٥٦٨) من طريق ميسرة به من قول ابن عباس .

وقال آخَرون : سُمُّوا بذلك لأنهم كانوا قَصَّارِين يُبَيِّضون الثيابَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن أبي أَرْطاةَ ، قال : الحواريُّون الغسَّالون الذين يَحورُون الثيابَ ؛ يَغْسِلونها[(١)] .

وقال آخَرون : هم خاصةُ الأنبياءِ وصَفْوتُهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن رَوْحِ بنِ القاسمِ ، أن قتادةَ ذكَر رجلًا مِن أصحابِ النبيِّ ﷺ ، فقال : كان مِن الحواريِّين . فقيل له : مَن الحَوارِيُّون ؟ قال : الذين تصْلُحُ لهم الخِلافةُ[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن المِنْجابِ [(٣)] بنِ الحارثِ [(٣)] قال : ثنا بِشرُ بنُ [(٤)] عُمارةَ ، عن أبي رَوْقٍ ، عن الضحاكِ في قولِه : ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ [المائدة : ١١٢] . قال : أصْفِياءُ الأنبياءِ[(٥)] .

وأشبهُ الأقوالِ التي ذكَرْنا في مَعنى الحواريِّين قولُ مَن قال : سُمُّوا بذلك لبياضِ ثيابِهم ، ولأنهم كانوا غسَّالين .

وذلك أن الحَوَرَ عندَ العربِ شدةُ البياضِ ، ولذلك سُمِّيَ الحُوَّارَى مِن

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٣ من طريق ورقاء ، عن ابن أبي أرطاة .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٥٩/٢ (٣٥٧٠) من طريق ابن علية به مختصرًا .

(٣ - ٣) في النسخ : « قال ثنا الحسين » . وهو إسناد دائر لا ذكر للحسين فيه .

(٤) في م ، ت ١، س : « عن » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٠/٢ (٣٥٧٢) من طريق المنجاب به .

الطعامِ : حُوَّارَى ؛ لشدةِ بياضِه ، ومنه قيل للرجلِ الشديدِ البياضِ مُقْلةِ العينَيْن : أحورُ . وللمرأةِ : حوراءُ .

وقد يَجوزُ أن يكونَ حواريُّو عيسى كانوا سُمُّوا بالذى ذكَرْنا مِن تبييضِهم الثيابَ ، وأنهم كانوا قَصَّارِين ، فعُرِفوا بصحبةِ عيسى ، واختيارِه إيَّاهم لنفسِه أصحابًا وأنصارًا ، فجرَى ذلك الاسمُ لهم ، واستُعْمِل حتى صار كلُّ خاصةٍ للرجلِ مِن أصحابِه وأنصارِه حَوَارِيَّه ، ولذلك قال النبيُّ ﷺ : « لكلِّ[1] نبيٍّ حَوارِيٌّ ، وحَوارِيَّ الزبيرُ »[2] . يعنى خاصتَه ، وقد تُسَمِّى العربُ النساءَ اللَّواتى مَساكنُهن القرَى والأمصارُ « حَوَارِيَّاتٍ » ، وإنما سُمِّينَ بذلك لغلبةِ البياضِ عليهن ، ومن ذلك قولُ أبى جَلْدَةَ اليَشْكُرِىِّ[3] :

فقلْ للحَوارِيَّاتِ[4] يَبْكِين غيرَنا ولا تَبْكِنا إلا الكلابُ النَّوابِحُ

ويعْنى بقولِه : ﴿ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ ﴾ : قال هؤلاء الذين صفتُهم ما ذكَرْنا مِن تبْيِيضِهم الثيابَ : ﴿ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾: / صدَّقْنا باللهِ ، واشْهَد أنت يا عيسى بأننا مسلمُون . ٢٨٨/٣

وهذا خبرٌ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ أن الإسلامَ دينُه الذى ابْتَعَث به عيسى والأنبياءَ قبلَه ، لا النصرانيةَ ولا اليهوديةَ ، وتَبْرِئَةٌ مِن اللهِ لعيسى ممَّن انْتَحَل النصرانيةَ ، ودان بها ، كما برَّأ إبراهيمَ مِن سائرِ الأديانِ غيرِ الإسلامِ ، وذلك احْتِجاجٌ مِن اللّهِ تعالَى ذكرُه لنبيِّه ﷺ على وفدِ نَجْرانَ .

---

(١) فى ص ، ت ٢، س : « إن لكل » وهو لفظ بعض الروايات .

(٢) أخرجه أحمد ٢٠٠/٢٢، ٢٠١ (١٤٢٩٧) ، والبخارى (٢٨٤٧، ٣٧١٩، ٤١١٣، ٧٢٦١)، ومسلم (٢٤١٥) من حديث جابر .

(٣) البيت فى الوحشيات ص ٢٩، والمؤتلف والمختلف للآمدى ص ١٠٧، ولسان العرب (ح و ر) .

(٤) فى الوحشيات ، والمؤتلف والمختلف : « لنساء المِصر » .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ ابنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ ﴾ والعُدْوانَ ﴿ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ ﴾ وهذا قولُهم الذى أصابُوا به الفضلَ مِن ربِّهم ، ﴿ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ لا كما يقولُ هؤلاء الذين يُحاجُّونك فيه - يعنى وفدَ نصارَى نَجْرانَ[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللهِ عزَّ وجلَّ عن الحَوارِيِّين أنهم قالوا : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا ﴾ أى : صدَّقْنا ﴿ بِمَآ أَنزَلْتَ ﴾ يعنى : بما أنْزلتَ على نبيِّك عيسى مِن كتابِك ، ﴿ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ ﴾ يعنى بذلك : صِرْنا أتباعَ عيسى ، على دينِك الذى ابْتَعَثْتَه به ، وأعوانَه على الحقِّ الذى أرْسَلْتَه به إلى عبادِك .

وقولُه : ﴿ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ يقولُ : فأَثْبِتْ أسماءَنا مع أسماءِ الذين شهِدُوا بالحقِّ ، وأقَرُّوا لك بالتوحيدِ ، وصدَّقوا رُسُلَك ، واتَّبعوا أمرَك ونهيَك ، فاجْعَلْنا فى عِدادِهم ومعهم ، فيما تُكْرِمُهم به مِن كَرامتِك ، وأَحِلَّنا مَحَلَّهم ، ولا تَجْعَلْنا ممَّن كفَر بك ، وصدَّ عن سبيلِك ، وخالَف أمرَك ونهيَك .

يُعَرِّفُ خلقَه جلَّ ثناؤُه بذلك سبيلَ الذين رضِىَ أقوالَهم وأفعالَهم ، ليَحْتَذوا طريقَهم ، ويَتَّبِعُوا مِنْهاجَهم ، فيَصِلوا إلى مثلِ الذى وصَلوا إليه مِن درجاتِ كرامتِه ، ويُكَذِّبُ بذلك الذين انْتَحَلوا مِن المِلَلِ غيرَ الحَنيفيَّةِ المسلمةِ ، فى دَعْواهم على أنبياءِ اللهِ ، أنهم كانوا على غيرِها ، ويَحْتَجُّ به على الوفدِ الذين حاجُّوا رسولَ اللهِ ﷺ مِن

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٥٨، ٦٦٠ (٣٥٦٣، ٣٥٧٤، ٣٥٧٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

أهلِ نَجْرانَ ، بأنَّ قِيلَ مَن رضِيَ اللهُ عنه مِن أتْباعِ عيسى ، كان خلافَ قِيلِهم ، ومِنْهاجَهم غيرُ مِنْهاجِهم .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سَلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ . أى : هكذا كان قولُهم وإيمانُهم[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ .

يعْنى بذلك جلَّ ثناؤُه : ومكَر الذين كفَروا مِن بنى إسرائيلَ . وهم الذين ذكَر اللَّهُ أن عيسى أحَسَّ منهم الكفرَ .

وكان مكرُهم الذى وصَفَهم اللَّهُ به مُواطَأةَ بعضِهم بعضًا على الفَتْكِ بعيسى وقتلِه ، وذلك أن عيسى صلواتُ اللَّهِ عليه بعدَ إخْراجِ قومِه إيَّاه وأمَّه مِن بينِ أظهُرِهم ، عاد إليهم ، فيما حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ثم إن عيسى [١/٤١٤و] سار بهم ، يعْنى بالحَوارِيِّين/ ٣/٢٨٩ الذين كانوا يَصْطادون السمكَ ، فآمَنوا به واتَّبَعوه إذ دعاهم ، حتى أتَى بنى إسرائيلَ ليلًا فصاح فيهم ، فذلك قولُه : ﴿ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ﴾ الآية [الصف : ١٤] .

وأما مكرُ اللهِ بهم ، فإنه - فيما ذكَر السُّدِّىُّ - إلقاؤُه شَبَهَ عيسى على بعضِ أتْباعِه ، حتى قتَله الماكِرون بعيسى ، وهم يَحْسَبونه عيسى ، وقد رفَع اللهُ عزَّ وجلَّ عيسى قبلَ ذلك .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٦٠ (٣٥٧٦) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

كما حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ثم إن بني إسرائيلَ حصَروا عيسى وتسعةَ عشَرَ رجلًا مِن الحَوارِيِّين في بيتٍ ، فقال عيسى لأصحابِه : مَن يَأْخُذْ صُورتي فيُقْتَلَ وله الجنةُ ؟ فأخَذها رجلٌ منهم ، وصُعِد بعيسى إلى السماءِ ، فذلك قولُه : ﴿ وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ . فلمَّا خرَج الحَوارِيُّون أبْصَروهم تسعةَ عشرَ ، فأخْبَروهم أن عيسى قد صُعِد به إلى السماءِ ، فجعَلوا يَعُدُّون القومَ ، فيَجِدُونهم يَنْقُصون رجلًا مِن العِدَّةِ ، ويَرَوْن صورةَ عيسى فيهم ، فشكُّوا فيه ، وعلى ذلك قتَلوا الرجلَ ، وهم يُرَوْنَ أنه عيسى ، وصلَبوه ، فذلك قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ [النساء : ١٥٧] .

وقد يَحْتَمِلُ أن يكونَ معنى مَكْرِ اللَّهِ بهم اسْتِدْراجَه إياهم ؛ ليَبْلُغَ الكتابُ أجلَه ، كما قد بيَّنا ذلك في قولِ اللَّهِ : ﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ ﴾ [البقرة : ١٥] (١) .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ .

يعني بذلك جلَّ ثناؤُه : ومكَر اللهُ بالقومِ الذين حاوَلوا قتلَ عيسى مع كفرِهم باللهِ ، وتكذيبِهم عيسى فيما أتاهم به مِن عندِ ربِّهم ، إذ قال اللَّهُ جل ثناؤُه : إني مُتَوَفِّيك . فـ ﴿ إِذْ ﴾ صلةٌ مِن قولِه : ﴿ وَمَكَرَ اللَّهُ ﴾ يعني : ومكَر اللَّهُ بهم حينَ قال اللَّهُ لعيسى : إني مُتوفِّيك ورافِعُك إلى فتوَفَّاه ورفَعه إليه .

ثم اختَلَف أهلُ التأويلِ في معنَى « الوفاةِ » التي ذكَرها اللَّهُ عزَّ وجلَّ في هذه الآيةِ ؛ فقال بعضُهم : هي وفاةُ نومٍ . وكان معنَى الكلامِ على مَذْهبِهم : إني مُنِيمُك

---

(١) ينظر ما تقدم في ١/٣١٢ - ٣١٨ .

ورافعُك فى نومِك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قال : يعنى وفاةَ المَنامِ ؛ رفَعه اللَّهُ فى مَنامِه . قال الحسنُ : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ لليهودِ : « إن عيسَى لم يَمُتْ ، وإنه راجعٌ إليكم قبلَ يومِ القيامةِ »[1] .

وقال آخَرون : معنى ذلك : إنى قابضُك مِن الأرضِ فرافِعُك إلىَّ . قالوا : ومعنَى الوفاةِ القبضُ . / كما يُقالُ : تَوفَّيْتُ مِن فلانٍ ما لىَ عليه . بمعنى : قبَضْتُه واسْتَوْفَيْتُه . قالوا : فمعنَى قولِه : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ . أى : قابضُك مِن الأرضِ حيًّا إلى جِوارِى ، وآخِذُك إلى ما عندِى بغيرِ موتٍ ، ورافعُك مِن بينِ المشركين وأهلِ الكفرِ بك .

٢٩٠/٣

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا علىُّ بنُ سهلٍ ، قال : ثنا ضَمْرةُ بنُ ربيعةَ ، عن ابنِ شَوْذَبٍ ، عن مَطَرٍ الوَرَّاقِ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قال : مُتوفِّيك مِن الدنيا ، وليس بوفاةِ موتٍ[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعمرٌ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (بتحقيق حكمت بشير ياسين) ٢٩٦/٢ (٦٤٢) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به ، عن الحسن قوله . وينظر تفسير ابن كثير ٣٨/٢.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره (بتحقيق حكمت بشير ياسين) ٢٩٦/٢ (٦٤١) ، وأبو نعيم فى الحلية ١٣٠/٦من طريق ضمرة به .

الحسنِ فى قولِه : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . قال : مُتَوَفِّيك مِن الأرضِ[١] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قولَه : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ . قال : فرَفْعُه إياه إليه تَوَفِّيه إياه ، وتَطْهيرُه مِن الذين كفرُوا[٢] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، أن كعبَ الأحْبارِ قال : ما كان اللَّهُ عزَّ وجلَّ لِيُمِيتَ عيسى ابنَ مريمَ ، إنما بعَثه اللَّهُ داعيًا ومُبَشِّرًا يَدْعو إليه وحدَه ، فلما رأَى عيسى قِلَّةَ مَن اتَّبعه ، وكثرةَ مَن كذَّبه ، شكَا ذلك إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، فأَوْحَى اللَّهُ إليه : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ . وليس مَن رفَعْتُه عندى ميِّتا ، وإنى سأَبْعَثُك على الأعورِ الدجالِ ، فتَقْتُلُه ، ثم تَعِيشُ بعدَ ذلك أربعًا وعشرين سنةً ، ثم أُمِيتُك مِيتةَ الحيِّ . قال كعبُ الأحبارِ : وذلك يُصَدِّقُ حديثَ رسولِ اللَّهِ ﷺ حيثُ قال : « كيف تَهْلِكُ أمةٌ أنا فى أوَّلِها ، وعيسى فى آخرِها ؟ »[٣] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ . أَىْ : قابضُك .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ إِنِّي

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٦١ (٣٥٨٢) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٦٢ (٣٥٨٦) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج ببعضه .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٦ إلى المصنف ، والمرفوع أخرجه ابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥/ ٣٩٤، ٣٩٥ من حديث ابن عباس .

مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ . قال : ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ قابضُك . قال : و ﴿ مُتَوَفِّيكَ ﴾ و﴿وَرَافِعُكَ﴾ واحدٌ . قال : ولم يَمُتْ بعدُ حتى يَقْتُلَ الدجالَ ، وسيَموتُ . وقرَأ قولَ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ﴾ . قال : رفَعه اللهُ إليه قبلَ أن يكونَ كهْلًا . قال : وينْزِلُ كَهْلًا[1] .

حدَّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنَفيُّ ، عن عبادٍ ، عن الحسنِ ، في قولِ اللهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ الآية كلَّها . قال : رفَعه اللهُ إليه ، فهو عندَه في السماءِ[2] .

وقال آخرون : معنى ذلك : إنِّى مُتَوَفِّيك وفاةَ موتٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنّى ، قال : ثنا عبدُ اللهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ ﴾ . يقولُ : إنى مُميتُك[3] .

٢٩١/٣ /حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عمَّن لا يَتَّهِمُ ، عن وهبِ ابنِ مُنَبِّهٍ اليمانيِّ أنه قال : توَفَّى اللهُ عيسى ابنَ مريمَ ثلاثَ ساعاتٍ [١/٤١٤ظ] مِن النهارِ ، حتى رفَعه إليه[4] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، قال : والنصارَى يَزْعُمون

---

(١) ذكره الطوسى في التبيان ٢/ ٤٧٨، والقرطبى فى تفسيره ٤/ ١٠٠.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢/٦٦١ (٣٥٨٤) من طريق أبي بكر الحنفى به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢/٦٦١ (٣٥٨٠) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٣٦ إلى ابن المنذر .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم فى تفسيره ٢/٦٦١ (٣٥٨١) من طريق سلمة به .

أنه توَفَّاه سبعَ ساعاتٍ مِن النهارِ ، ثم أحْياه اللَّهُ[1] .

وقال آخرون : معنى ذلك : إذْ قال اللَّهُ : يا عيسى إنى رافعُك إلىَّ ومُطَهِّرُك مِن الذين كفَروا ، ومُتَوَفِّيك بعدَ إنْزالى إياك إلى الدنيا . وقالوا[2] : هذا مِن المُقَدَّمِ الذى معْناه التأخيرُ ، والمُؤَخَّرِ الذى معناه التقديمُ .

قال أبو جعفرٍ : وأولَى هذه الأقوالِ بالصحةِ عندَنا قولُ مَن قال : معنى ذلك : إنى قابضُك مِن الأرضِ ورافعُك إلىَّ . لتَواتُرِ الأخْبارِ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « يَنْزِلُ عيسى ابنُ مريمَ ، فيَقْتُلُ الدجالَ ، ثم يَمْكُثُ فى الأرضِ - مدةً ذكَرَها ، [3]اخْتَلَف الرواةُ[3] فى مَبلَغِها - ثم يموتُ ، فيُصَلِّى عليه المسلمون ويَدْفِنونه » .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ مسلمٍ الزهرىِّ ، عن حَنْظلةَ بنِ علىٍّ الأسْلَمىِّ ، عن أبى هريرةَ قال : سمِعْتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « لَيُهْبِطَنَّ اللَّهُ عيسى ابنَ مريمَ حَكَمًا عَدْلًا ، وإمامًا مُقْسِطًا ، يَكْسِرُ الصَّليبَ ، ويَقْتُلُ الخِنْزيرَ ، ويَضَعُ الجزيةَ ، ويُفِيضُ المالَ حتى لا يَجِدَ مَن يَأْخُذُه ، ولَيَسْلُكَنَّ الرَّوْحاءَ حاجًّا أو معتمرًا ، أو لَيُثَنِّيَنَّ[4] بهما جميعًا »[5] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن الحسنِ بنِ دينارٍ ، عن

---

(١) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢/ ٣٨.

(٢) فى م : « قال » .

(٣ - ٣) فى م : « اختلفت الرواية » .

(٤) فى م : « يدين » . وينظر مصادر التخريج الآتية .

(٥) أخرجه عبد الرزاق (٢٠٨٤٢) ، والحميدى (١٠٠٥) ، وأحمد ١٢/ ٢١٧، ١٣/ ١٠٩، ٢٨٠، ٢٨١، ١٦/ ٣٨٧، ٥٧١ (٧٢٧٣، ٧٩٠٣، ٧٦٨١، ١٠٦٦١، ١٠٩٧٤) ، ومسلم (١٢٥٢) ، وابن حبان (٦٨٢٠) ، والبيهقى ٥/ ٢، والبغوى (٤٢٧٨) من طريق الزهرى به ..

قتادةَ ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ آدمَ ، عن أبي هريرةَ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « الأنبياءُ إخوةٌ لِعَلَّاتٍ ، أُمَّهاتُهم شَتَّى ، ودينُهم واحدٌ ، وأنا أَوْلَى الناسِ بعيسى ابنِ مريمَ ؛ لم يَكُنْ بيني وبينَه نبيٌّ ، وإنه خَليفتى على أُمَّتى ، وإنه نازلٌ ، فإذا رأيْتُموه فاعْرِفوه ، فإنه رجلٌ مَرْبوعُ الخَلْقِ إلى الحُمْرَةِ والبَياضِ ، سَبْطُ الشعَرِ كأن شعَرَه يَقْطُرُ ، وإن لم يُصِبه بَلَلٌ ، بينَ مُمَصَّرَتين [(1)] ، يَدُقُّ الصليبَ ، ويَقْتُلُ الخِنْزيرَ ، ويَفِيضُ المالُ ، ويُقاتِلُ الناسَ على الإسلامِ حتى يُهْلِكَ اللَّهُ فى زمانِه المِلَلَ كلَّها ، ويُهْلِكُ اللَّهُ فى زمانِه مَسيحَ الضَّلالةِ الكذَّابَ الدجالَ ، وتَقَعُ فى الأرضِ الأَمَنةُ ، حتى تَرْتَعَ الأسودُ مع الإبلِ ، والنُّمرُ مع البقرِ ، والذئابُ مع الغنَمِ ، وتَلْعَبَ الغِلمانُ بالحيَّاتِ ، لا يَضُرُّ بعضُهم بعضًا ، فيَثْبُتُ فى الأرضِ أربعين سنةً ، ثم يُتَوَفَّى ، ويُصَلِّى المسلمون عليه ويَدْفِنُونه » [(2)] .

قال أبو جعفرٍ : ومعلومٌ أنه لو كان قد أماته اللَّهُ عزَّ وجلَّ لم يَكُنْ بالذى يُميتُه مِيتةً أُخرَى ، فيَجْمَعَ عليه مِيتَتَيْن ؛ لأن اللَّهَ عزَّ وجلَّ إنما أخْبَرَ عبادَه أنه يَخْلُقُهم ثم يُميتُهم ، ثم يُحْيِيهم ، كما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ اللَّهُ الَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ ﴾ [الروم : ٤٠] .

٢٩٢/٣ / فتأويلُ الآيةِ إذن : قال اللَّهُ لعيسى : يا عيسى إنى قابِضُك مِن الأرضِ ، ورافعُك إلىَّ ، ومُطَهِّرُك من الذين كفَروا فجحَدوا نبوَّتَك .

وهذا الخبرُ وإن كان مخرجُه مخرجَ خبرٍ ، فإن فيه مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ احتجاجًا على الذين حاجُّوا رسولَ اللَّهِ ﷺ فى عيسى مِن وفدِ نَجْرانَ ، بأن عيسى لم يُقْتَلْ ولم

---

(١) الممصرة من الثياب : التى فيها صفرة خفيفة . النهاية ٤/ ٣٣٦.

(٢) أخرجه أحمد ١٥/ ١٥٣، ١٥٤ (٩٢٧٠) ، وأبو داود (٤٣٢٤) ، وابن حبان (٦٨٢١) ، والحاكم ٥٩٥/٢ من طريق قتادة به ، وسيأتى من طريق سعيد بن أبى عروبة عن قتادة به فى ٦٧٤/٧ .

يُصْلَبْ ، كما زعَموا ، وأنهم واليهودَ - الذين أقرُّوا بذلك ، وادَّعَوْا على عيسى - كَذَبةٌ في دَعواهم وزعمِهم .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ثم أخبَرَهم - يعني الوفدَ مِن نَجْرانَ - وردَّ عليهم فيما أخبَروا هم[(١)] واليهودُ[(٢)] بصلبِه ، كيف رفَعه وطهَّره منهم ، فقال : ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾[(٣)] .

﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ . فإنه يعني : مُنَظِّفُك فمُخَلِّصُك ممَّن كفَر بك وجحَد ما جئتَهم به مِن الحقِّ ، مِن اليهودِ وسائرِ المِلَلِ غيرِها .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ . قال : إذ همُّوا منك بما همُّوا[(٤)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، عن عبادٍ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ . قال : طهَّره مِن اليهودِ والنصارى والمجوسِ ، ومِن كفارِ قومِه[(٥)] .

القولُ في تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ

---

(١) سقط من : ص ، ت ٢، س .

(٢) في ص ، ت ٢: « لليهود » .

(٣) سيرة ابن هشام في ١/ ٥٨٢.

(٤) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٢/٢ (٣٥٨٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٦٢/٢ (٣٥٨٧) من طريق أبي بكر الحنفي به .

يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : وجاعلُ الذين اتَّبعوك على مِنْهاجِك ومِلَّتِك مِن الإسلامِ وفِطْرتِه ، فوقَ الذين جحَدوا نبوَّتَك ، وخالَفوا بسبيلِهم جميعَ أهلِ المللِ ، فكذَّبوا بما جئتَ به ، وصدُّوا عن الإقرارِ به ، فمُصَيِّرُهم فوقَهم ظاهِرين عليهم .

كما حدَّثنا بشرُ بنُ مُعاذٍ ، قال : ثنا يَزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ : هم أهلُ الإسلامِ الذين اتَّبعوه على فطْرتِه وملتِه وسُنَّتِه ، فلا يزالون ظاهِرين على مَن ناوَأهم إلى يومِ القيامةِ[1] .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ . ثم ذكَر نحوَه[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ ، ثم ذكَر نحوَه .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ ، قال : ناصرُ مَن اتَّبَعك على الإسلامِ ، على الذين كفَروا إلى يومِ القيامةِ[3] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فىتفسيره ٢/ ٦٦٢، ٦٦٣ (٣٥٨٩، ٣٥٩٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٢/٢ (٣٥٨٨) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج بنحوه .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ[(1)] ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ وَجَاعِلُ / ٱلَّذِينَ [١/٤١٥و] ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ : أما ﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ ﴾ ، فيُقالُ : هم المؤمنون . [(2)]ويقال : بل[(2)] هم الرُّومُ[(3)] . ٢٩٣/٣

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، عن عبادٍ ، عن الحسنِ : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ قال : جعَل الذين اتَّبعوه فوقَ الذين كفَروا إلى يومِ القيامةِ . قال : المسلمون مِن فوقِهم ، وجعَلهم أعلى ممَّن ترَك الإسلامَ إلى يومِ القيامةِ[(4)] .

وقال آخرون : معنَى ذلك : وجاعلُ الذين اتَّبعوك مِن النصارى فوقَ اليهودِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ . قال : الذين كفَروا مِن بنى إسرائيلَ ، ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ ﴾ قال : الذين آمَنوا به مِن بنى إسرائيلَ وغيرِهم ﴿ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ النصارى فوقَ اليهودِ إلى يومِ القيامةِ . قال : فليس بلدٌ فيه أحدٌ مِن النصارى إلا وهم فوقَ يهودَ فى شرقٍ ولا غربٍ ، هم فى البُلْدانِ كلِّها مُسْتَذَلُّون[(5)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ

---

(١) فى ص : « الفضل » .

(٢ - ٢) فى م : « وليس » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٢/٢ (٣٥٩٠) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٣/٢ (٣٥٩٣) من طريق آخر عن الحسن بنحوه .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

يعْنى بذلك جلَّ ثناؤه : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ ﴾ : ثم إلى اللهِ أيُّها المختلِفون فى عيسى ﴿ مَرْجِعُكُمْ ﴾ . يعنى : مَصيرُكم يومَ القيامةِ . ﴿ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ﴾ . يقولُ : فأَقْضِى حينَئذٍ بينَ جميعِكم فى أمرِ عيسى بالحقِّ ﴿ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ مِن أمرِه .

وهذا مِن الكلامِ الذى صُرِف مِن الخبرِ عن الغائبِ إلى المُخاطَبةِ ، وذلك أنَّ قولَه : ﴿ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ ﴾ . إنما قُصِد به الخبرُ عن مُتَّبِعى عيسى والكافِرين به .

وتأويلُ الكلامِ : وجاعلُ الذين اتَّبَعوك فوقَ الذين كفَروا إلى يومِ القيامةِ ، ثم إلىَّ مَرْجِعُ الفريقَيْن ؛ الذين اتَّبَعوك والذين كفَروا بك ، فأَحْكُمُ بينَهم فيما كانوا فيه يَخْتَلِفون . ولكن ردُّ الكلامَ إلى الخطابِ لسبوقِ[1] القولِ ، على سبيلِ ما ذكَرْنا مِنَ الكلامِ الذى يَخْرُجُ على وجهِ الحكايةِ ، كما قال : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِي ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ ﴾ [يونس : ٢٢] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ : فأما الذين جحَدوا نبوَّتَك يا عيسى ، وخالَفوا مِلَّتَك ، وكذَّبوا بما جئتَهم به مِن الحقِّ ، وقالوا فيك الباطلَ ، وأضافوك إلى غيرِ الذى يَنْبَغِى أن يُضِيفوك إليه ، مِن اليهودِ والنصارَى ، وسائرِ أصنافِ الأدْيانِ ، فإنى أُعَذِّبُهم عذابًا شديدًا ، أمَّا فى الدنيا فبالقتلِ والسِّباءِ والذِّلَّةِ

(١) فى م ، ت ١ : « لسوق » .

والمَسْكَنةِ ، وأما فى الآخِرةِ فبنارِ جهنمَ خالِدين فيها أبدًا . ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّصِرِينَ﴾ . يقولُ : وما لهم مِن عذابِ اللَّهِ مانعٌ ، ولا عن أليمِ عقابِه لهم دافعٌ ، بقوةٍ ولا شَفاعةٍ ؛ لأنه العزيزُ ذو الانتقامِ .

/ وأما قولُه : ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ . فإنه يعْنى تعالى ذكرُه : وأما الذين آمَنوا بك يا عيسى - يقولُ : صدَّقوك - فأقَرُّوا بنبوَّتِك وبما جئتَهم به مِن الحقِّ مِن عندِى ، ودانُوا بالإسلامِ الذى بعَثْتُك به ، وعمِلوا بما فرَضْتُ مِن فَرائضِى على لسانِك ، وشرَعْتُ مِن شَرائعى ، وسنَنْتُ مِن سُنَنى . ٢٩٤/٣

كما حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ . يقولُ : أدُّوا فَرائضِى[(١)] .

﴿فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ﴾ يقولُ : فيُعْطِيهم جزاءَ أعمالِهم الصالحةِ كامِلًا ، لا يُبْخَسون منه شيئًا ولا يُنْقَصُونه .

وأما قولُه : ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . فإنه يعْنى : واللهُ لا يُحِبُّ مَن ظلَم غيرَه حقًّا له ، أو وضَع شيئًا فى غيرِ موضعِه .

فنفَى جلَّ ثناؤُه عن نفسِه بذلك أن يَظْلِمَ عبادَه ، فيُجازِىَ المسىءَ ممَّن كفَر جزاءَ المحسنين ممَّن آمَن به ، أو يُجازِىَ المحسِنَ ممَّن آمَن به واتَّبَع أمرَه ، وانْتَهى عما نهاه عنه فأطاعَه ، جزاءَ المُسيئين ممَّن كفَر به ، وكذَّب رسلَه ، وخالَف أمرَه ونهيَه ، فقال : إنى لا أُحِبُّ الظالمين ، فكيف أَظْلِمُ خَلْقى ؟

وهذا القولُ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه وإن كان خرَج مَخرجَ الخبرِ ، فإنه[(٢)] وعيدٌ منه

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٧ إلى المصنف .

(٢) فى م : « كأنه » .

للكافرين به وبرسلِه ، ووعدٌ منه للمؤمنينَ به وبرسلِه ؛ لأنه أعْلَمَ الفريقين جميعًا أنه لا يَبْخَسُ هذا المؤمنَ حقَّه ولا يَظْلِمُ كرامتَه فيضَعَها فى من كفَر به وخالَف أمرَه ونهيَه ، فيكونَ لها بوضعِها فى غيرِ أهلِها ظالمًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ .

يعْنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ : هذه الأنْباءُ التى أنْبأَ بها نبيَّه عن عيسى وأمِّه مريمَ ، وأمِّها حَنَّةَ ، وزكريا وابنِه يحيَى ، وما قصَّ مِن أمرِ الحَوارِيِّين واليهودِ مِن بنى إسرائيلَ - نتلوها عليك يا محمدُ . يقولُ : نَقْرَؤُها عليك يا محمدُ ، على لسانِ جبريلَ بوحْيِناها إليك . ﴿ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ ﴾ . يقولُ : مِن العِبَرِ والحُجَجِ على مَن حاجَّك مِن وفدِ نَصارَى نَجْرانَ ويهودِ بنى إسرائيلَ ، الذين كذَّبوك وكذَّبوا ما جئتَهم به مِن الحقِّ مِن عندِى . ﴿ وَٱلذِّكْرِ ﴾ . يعنى : والقرآنِ ﴿ ٱلْحَكِيمِ ﴾ . [٤١٥/١ظ] يعنى ذا الحِكْمةِ الفاصلةِ بينَ الحقِّ والباطلِ ، وبينَك وبينَ ناسبِى المسيحِ إلى غيرِ نسَبِه .

كما **حدَّثنا** ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ : القاطعِ الفاصلِ الحقِّ ، الذى لم يَخْلِطْه الباطلُ ، من الخبرِ عن عيسى ، وعما اخْتَلَفوا فيه مِن أمرِه ، فلا تَقْبَلَنَّ خبرًا غيرَه (١) .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهَيْرٍ ، عن جُوَيْبِرٍ ، عن الضحاكِ : ﴿ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْأَيَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴾ قال : القرآنُ (٢) .

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٦٥ (٣٦٠٥) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٧ إلى المصنف .

حدَّثنى المثنَّى ،قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَٱلذِّكۡرِ ﴾ . يقولُ : القرآنُ الحكيمُ الذى قد كمَل فى حكمتِه[1] .

/ **القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ﴾ .** ٢٩٥/٣

يعْنى جلَّ ثناؤُه : إن شَبَهَ عيسى فى خَلْقِى إياه مِن غيرِ فَحْلٍ - فأخبِرْ به يا محمدُ الوفدَ مِن نصارَى نَجْرانَ - عندِى كشَبَهِ آدمَ ، الذى خلَقْتُه مِن ترابٍ ، ثم قلتُ له : كنْ . فكان ، مِن غيرِ فَحْلٍ ، ولا ذكَرٍ ، ولا أُنثى . يقولُ : فليس خَلْقى عيسى مِن أمِّه ، مِن غيرِ فحلٍ ،بأعْجَبَ مِن خَلْقِى آدمَ مِن غيرِ ذكَرٍ ولا أُنثى ، فكان لحمًا ، يقولُ : وأَمْرى إذ أمَرْتُه أن يكونَ فكان ، فكذلك خَلْقِى عيسى ، أمَرْتُه أن يكونَ فكان .

وذكَر أهلُ التأويلِ أن اللَّهَ عزَّ وجلَّ أنْزَل هذه الآيةَ احْتِجاجًا لنبيِّه ﷺ على الوفدِ مِن نصارَى نَجْرانَ الذين حاجُّوه فى عيسى .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جَريرٌ[2] ، عن مُغيرةَ ، عن عامرٍ ، قال : كان أهلُ نَجْرانَ أعظمَ قومٍ مِن النصارَى فى عيسى قولًا ، فكانوا يُجادِلون النبيَّ ﷺ ، فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ هذه الآيةَ فى سورةِ آلِ عِمْرانَ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ إلى قولِه : ﴿ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى

---

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٤٤٧، وأبو حيان فى البحر المحيط ٢/ ٤٧٦.

(٢) فى س : « جويبر » . وينظر تهذيب الكمال ٤/ ٥٤٠.

ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴾[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . وذلك أن رَهْطًا مِن أهلِ نَجْرانَ ، قَدِموا على محمدٍ ﷺ ، وكان فيهمُ السيدُ والعاقِبُ ، فقالوا لمحمدٍ : ما شأْنُك تَذْكُرُ صاحبَنا ؟ فقال : « مَن هو ؟ » . قالوا : عيسى ، تَزْعُمُ أنه عبدُ اللَّهِ . فقال محمدٌ : « أجلْ ، إنه عبدُ اللَّهِ » . قالوا له : فهل رأيْتَ مَثَلَ عيسى ، أو أُنْبِئْتَ به ؟ ثم خرَجُوا مِن عندِه ، فجاءه جبريلُ عليه السلامُ بأمرِ ربِّنا السميعِ العليمِ ، فقال : قلْ لهم إذا أتَوْك : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ : ذُكِر لنا أن سيِّدَىْ أهلِ نَجْرانَ وأُسْقُفَّيْهم السيدَ والعاقبَ ، لقِيا نبيَّ اللَّهِ ﷺ فسأَلاه عن عيسى ؟ فقالا : كلُّ آدميٍّ له أبٌ ، فما شأنُ عيسى لا أبَ له ؟ فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ فيه هذه الآيةَ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[(٣)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ١٢/ ٩٨، ١٤/ ٥٤٩ من طريق جرير به مختصرًا ، وأخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥٠٠ - تفسير) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٦٧ (٣٦١٦) من طريق مغيرة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٩ إلى عبد بن حميد وأبى نعيم .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٦٥ (٣٦٠٦) عن محمد بن سعد به .

(٣) عزاه السيوطى فىالدر المنثور ٢/ ٣٧ إلى المصنف .

السُّدِّيِّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ : لمَّا بُعِث رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وسمِع به أهلُ نـجْرانَ ، أتاه منهم أربعةُ نفرٍ مِن خِيارِهم ؛ منهم العاقبُ ، والسيدُ ، ومَاسَرْجِسُ ، وماريحزُ[1] ، فسألُوه ما يقولُ / في عيسى ؟ فقال : « هو عبدُ اللَّهِ ورُوحُه وكلمتُه » . قالوا هم : لا ، ولكنه هو اللَّهُ ، نزَل مِن مُلْكِه ، فدخَل في جوفِ مَرْيَمَ ، ثم خرَج منها ، فأرانا قدرتَه وأمْرَه ، فهل رأيْتَ قطُّ إنسانًا خُلِق مِن غيرِ أبٍ ؟ فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[2] .

٢٩٦/٣

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، عن عكرمةَ قولَه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . قال : نزَلَت في العاقبِ والسيدِ مِن أهلِ نَجْرانَ ، وهما نَصْرانيَّان[3] .

قال ابنُ جُرَيْجٍ : بلَغَنا أن نصارَى أهلِ نَـجْرانَ قدِم وفدُهم على النبيِّ ﷺ ، فيهم السيدُ والعاقبُ ، وهما يومَئذٍ سيدا أهلِ نَجْرانَ ، فقالوا : يا محمدُ ، فيم تَشْتُمُ صاحبَنا ؟ قال : « مَن صاحبُكما ؟ » . قالا : عيسى ابنُ مريمَ ، تَزْعُمُ أنه عبدٌ . قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أجلْ ، إنه عبدُ اللَّهِ وكلمتُه ألْقاها إلى مريمَ [4]وروحٌ منه[4] » . فغضِبوا وقالوا : إن كنتَ صادقًا ، فأرِنا عبدًا يُحْيِي المَوْتَى ، ويُبْرِئُ الأَكْمَهَ ، ويَخْلُقُ

---

(١) في ت ١، س : « مار بحر » ، وفي م : « ماريجز » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٣٧/٢ إلى المصنف .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ت ٢.

مِن الطِّينِ كهيئةِ الطيرِ ، فيَنْفُخُ فيه - الآيةَ - لكنه اللَّهُ . فسكَت حتى أتاه جبريلُ ، فقال : يا محمدُ : ﴿لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ١٧، ٧٢] الآية . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « يا جبريلُ ، إنهم سألونى أن أُخبِرَهم بمَثَلِ عيسى » . قال جبريلُ : مَثَلُ عيسى كمثلِ آدمَ خلَقه مِن ترابٍ ، [٤١٦/١و] ثم قال له : كُنْ . فيكونُ . فلمَّا أصْبَحوا عادوا ، فقرَأ عليهم الآياتِ(١) .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ﴾ فاسمَعْ ﴿كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٥٩ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ . فإن قالوا : خُلِق عيسى مِن غيرِ ذكَرٍ . فقد خلَقْتُ آدمَ مِن ترابٍ بتلك القُدْرةِ ، مِن غيرِ أنثى ولا ذكَرٍ ، فكان كما كان عيسى لحمًا ودمًا وشعَرًا وبَشَرًا ، فليس خَلْقُ عيسى مِن غيرِ ذكَرٍ بأعجَبَ مِن هذا(٢) .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ﴾ . قال : أتَى نَجْرانيَّان إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقالا له : هل علِمْتَ أن أحدًا وُلِد مِن غيرِ ذكرٍ فيكونَ عيسى كذلك ؟ قال : فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ ، أكان لآدمَ أبٌ أو أمٌّ ! كما خلَقْتُ هذا فى

---

(١) عزاه السيوطى فى الدرالمنثور ٢/ ٣٧، ٣٨ إلى المصنف وابن المنذر .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٥/٢ (٣٦٠٧) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

بطنِ هذه .

فإن قال قائلٌ : فكيفَ قال : ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ ﴾ . و « آدمُ » معرفةٌ ، والمَعارِفُ لا تُوصَلُ ؟

قيل : إن قولَه : ﴿ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ﴾ . غيرُ صلةٍ لآدمَ ، وإنما هو بيانٌ عن أمرِه ، على وجهِ التفسيرِ عن المَثَلِ الذى ضرَبه ، وكيف كان .

وأما قولُه : ﴿ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . فإنما قال : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . وقد ابْتَدَأ الخبرَ عن خَلْقِ آدمَ ، وذلك خبرٌ عن أمرٍ قد تقضَّى ، وقد أَخْرَج الخبرَ عنه مُخْرَجَ الخبرِ عمَّا قد مضَى ، فقال جلَّ ثناؤه : ﴿ خَلَقَهُۥ / مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ . لأنه ٢٩٧/٣ بمعنى الإعلامِ مِن اللَّهِ نبيَّه أن تَكْوينَه الأشياءَ بقولِه : ﴿ كُن ﴾ . ثم قال : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . خبرًا مُبْتَدَأً ، وقد تَناهَى الخبرُ عن أمرِ آدمَ عندَ قولِه : ﴿ كُن ﴾ .

فتأويلُ الكلامِ إذنْ : إن مثلَ عيسى عند اللهِ كمثلِ آدمَ خلَقه من ترابٍ ثم قال له : كنْ . واعْلَمْ يا محمدُ أنَّ ما قال له ربُّك : كنْ . فهو كائنٌ .

فلما كان فى قولِه : ﴿ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن ﴾ . دَلالةٌ على أن الكلامَ يُرادُ به إعلامُ نبيِّ اللَّهِ ﷺ وسائرِ خلقِه أنه كائنٌ ما كوَّنه ابْتِداءً مِن غيرِ أصلٍ ولا أولٍ ولا عُنْصُرٍ ، اسْتُغْنِى بدَلالةِ الكلامِ على المعنى ، وقيل : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ . فعطَف بالمستقبلِ على الماضِى ، على ذلك المعنى .

وقد قال بعضُ أهلِ العربيةِ : ﴿ فَيَكُونُ ﴾ رُفِعَ على الابْتداءِ ، ومعناه : كُنْ فكان . فكأنه قال : فإذا هو كائنٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : الذى أنبأتُك به مِن خبرِ عيسى ، وأنَّ مَثَلَه كمثَلِ آدمَ خلَقه مِن ترابٍ ، ثم قال له ربُّه : ﴿كُن﴾ . هو ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ يقولُ : هو الخبرُ الذى هو مِن عندِ ربِّك ، ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ يعنى : فلا تَكُنْ مِن الشاكِّين فى أن ذلك كذلك .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ يعنى : فلا تكنْ فى شكٍّ مِن عيسى أنه كمثَلِ آدمَ عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، وكلمةُ اللَّهِ ورُوحُه (١) .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ . يقولُ : فلا تكنْ فى شكٍّ مما قصَصْنا عليك أن عيسى عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، وكلمةٌ منه ورُوحٌ ، وأن مَثَلَه عندَ اللَّهِ كمثَلِ آدمَ خلَقه مِن ترابٍ ، ثم قال له : ﴿كُن﴾ فيَكونُ .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ : ما جاءَك مِن الخبرِ عن عيسى . ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ ، أىْ : قد جاءَك الحقُّ مِن ربِّك فلا تَمْتَرِ فيه (٢) .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ . قال : والـمُمْتَرُون الشاكُّون .

والمِرْيةُ والشكُّ والرَّيْبُ واحدٌ سواءٌ ، كهيئةِ ما تقولُ : أَعْطِنى ، وناوِلْنى ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٨/٢ إلى المصنف .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٦/٢ (٣٦١٠، ٣٦١٢) من طريق عبد الله بن إدريس وسلمة ، عن ابن إسحاق قوله .

وهَلُمَّ . فهذا مختلِفٌ فى الكلامِ ، وهو واحدٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ ﴾ : فمَن جادَلك يا محمدُ فى المسيحِ عيسى ابنِ مريمَ .

والهاءُ / فى قولِه : ﴿ فِيهِ ﴾ عائدةٌ على ذكرِ « عيسى » ، وجائزٌ أن تكونَ عائدةً على « الحقِّ » الذى قال تعالى ذكرُه : ﴿ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ﴾ . ٢٩٨/٣

ويعنى بقولِه : ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ : مِن بعدِ ما جاءَك مِن العلمِ الذى قد بيَّنْتُه لك فى عيسى أنه عبدُ اللَّهِ ، ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ ﴾ : هَلُمُّوا ، فلْنَدْعُ ﴿ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ ﴾ يقولُ : ثم نَلْتَعِنْ .

يقالُ فى الكلامِ : ما له ؟ بهَلَه اللَّهُ ! أىْ : لعَنه اللَّهُ . وما له ؟ عليه بُهْلةُ اللَّهِ ! يُرِيدُ اللعنَ . وقال لَبِيدٌ ، وذكَر قومًا هلكوا ، فقال[1] :

* نظَر الدهرُ إليهم فابْتَهَلْ *

يعنى : دعا عليهم بالهلاكِ .

﴿ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ منا ومنكم فى أنه[2] عيسى .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَمَنْ

---

(١) شرح ديوان لبيد ص ١٩٧ ، وعجز البيت : فى قروم سادة من قومه

(٢) فى م : « آية » .

﴿حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ : أى فى عيسى [١/٤١٦ظ] أنه عبدُ اللَّهِ ورسولُه ، مِن كلمةِ اللَّهِ ورُوحِه ، ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ﴾ إلى قولِه : ﴿عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ ابنِ الزبيرِ : ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ : أى : مِن بعدِ ما قصَصْتُ عليك مِن خبرِه ، وكيفَ كان أمرُه ، ﴿فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ﴾ الآية[(٢)] .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾ . يقولُ : مَن حاجَّك فى عيسى مِن بعدِ ما جاءَك فيه مِن العلمِ[(٣)] .

حدَّثنا يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ . قال : منا ومنكم .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : وثنى ابنُ لَهيعةَ ، عن سليمانَ بنِ زيادٍ الحضْرميِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ الحارثِ بنِ جَزْءٍ الزُّبَيدىِّ ، أنه سمِع النبيَّ ﷺ يقولُ : « ليت بينى وبينَ أهلِ نجرانَ حجابًا ، فَلا أراهم ولا يَرَوْنى » . مِن شدةِ ما كانوا يُمارُون النبيَّ ﷺ[(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٦٦ (٣٦١٣) من طريق شيبان عن قتادة نحوه .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٦٦ (٣٦١٤) من طريق ابن إدريس عن ابن إسحاق قوله .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٦٦ عقب الأثر (٣٦١٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن عبد الحكم فى فتوح مصر ص ٣٠١ والبزار (٣٧٨٦) من طريق ابن لهيعة به .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٣﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤُه : إن هذا الذى أنبأتُك به يا محمدُ مِن أمرِ عيسى ، فقصَصْتُه عليك مِن أنبائِه ، وأنه عبدِى ورسُولى ، وكلِمتى أَلْقَيْتُها إلى مريمَ ، ورُوحٌ منى ، لَهو القَصَصُ والنبأُ الحقُّ ، فاعْلَمْ ذلك ، واعْلَمْ أنه ليس للخَلْقِ معبودٌ يَسْتَوْجِبُ عليهم العبادةَ بمُلْكِه إياهم ، إلا معبودُك الذى تَعْبُدُه ، وهو اللَّهُ العزيزُ الحكيمُ .

ويعنى بقولِه : ﴿ ٱلْعَزِيزُ ﴾ : العزيزُ فى انتقامِه ممَّن عصاه ، وخالَف أمْرَه ، وادَّعَى معه إلهًا غيرَه ، أو عبَدَ ربًّا سواه ، ﴿ ٱلْحَكِيمُ ﴾ فى تدبيرِه ، لا يَدْخُلُ ما دبَّرَه وَهَنٌ ، ولا يَلْحَقُه خَلَلٌ .

﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ ﴾ . يعنى : فإن أدْبَر / هؤلاء الذين حاجُّوك فى عيسى عما جاءَك مِن الحقِّ مِن عندِ ربِّك ، فى عيسى وغيرِه مِن سائرِ ما آتاك اللَّهُ مِن الهُدَى والبَيانِ ، فأعْرَضوا عنه ، ولم يَقْبَلوه ، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ . يقولُ : فإن اللَّهَ ذو علمٍ بالذين يَعْصُون ربَّهم ، ويَعْمَلون فى أرضِه وبلادِه بما نهاهم عنه ، وذلك هو إفسادُهم . يقولُ تعالى ذِكرُه : فهو عالمٌ بهم وبأعمالِهم ، يُحْصِيها عليهم ويَحْفَظُها ، حتى يُجازِيَهم عليها جَزاءَهم . ٢٩٩/٣

وبنحوِ ما قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّۚ ﴾ : أىْ : إن هذا الذى جئتُ به مِن الخبرِ عن

عيسى ، ﴿ لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ مِن أمرِه[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ : إن هذا الذى قلنا فى عيسى ﴿ لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾[(٢)] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ . قال : إن هذا القصصَ الحقُّ فى عيسى ، ما يَنْبَغى لعيسى أن يَتَعَدَّى هذا ولا يُجاوِزَه[(٣)] ؛ أن يَتَعَدَّى أن يكونَ كلمةَ اللَّهِ أَلْقاها إلى مريمَ ، ورُوحًا منه ، وعبدَ اللَّهِ ورسولَه[(٤)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ : إن هذا الذى قلنا فى عيسى هو الحقُّ ، ﴿ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ الآية[(٥)] .

فلمَّا فصَل جل ثناؤُه بينَ نبيِّه محمدٍ ﷺ وبينَ الوفدِ مِن نصارَى نَجْرانَ بالقضاءِ الفاصلِ والحُكْمِ العادلِ ، [(٦)] وأمرَه[(٦)] - إن هم تولَّوْا عما دَعاهم إليه مِن الإقْرارِ بوَحْدانيةِ اللَّهِ ، وأنه لا ولدَ له ولا صاحبةَ ، وأن عيسى عبدُه ورسولُه ، وأبَوْا إلا الجَدَلَ[(٧)] والخُصومةَ - أن يَدْعُوَهم إلى المُلاعَنةِ ، ففعَل ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلمَّا

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٣.

(٢) المحرر الوجيز ٢/ ٤٥٣ بنحوه .

(٣) فى ت ٢، ت ٣: « يتجاوزه » .

(٤) المحرر الوجيز ٢/ ٤٥٣.

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٦٨ (٣٦٢٤) عن محمد بن سعد .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ ، والصواب : أمره . بحذف الواو .

(٧) فى س : « الجدال » .

فعَل ذلك رسولُ اللَّهِ ﷺ انْخَزَلوا[(١)] فامْتَنَعُوا مِن المُلاعَنةِ ، ودعَوْا إلى المُصالَحةِ .

كالذى حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن مُغيرةَ ، عن عامرٍ ، قال : فأُمِر - يعنى النبىَّ ﷺ - بمُلاعنتِهم - يعنى بمُلاعنةِ أهلِ نَجْرانَ - بقولِه : ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ الآية . فتواعَدوا أن يُلاعِنوه ، وواعَدوه الغدَ ، فانْطَلَقوا إلى السيدِ والعاقبِ ، و[(٢)]كانا أعقلَهم[(٢)] فتابَعاهم ، فانْطَلَقوا إلى رجلٍ منهم عاقلٍ ، فذكَروا له ما فارَقوا عليه رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقال : ما صنَعْتُم ! وندَّمَهم ، وقال لهم : إن كان نبيًّا ، ثم دعا عليكم ، لا يُغْضِبُه اللَّهُ فيكم أبدًا ، ولئن كان مَلِكًا ، فظهَر عليكم لا يَسْتَبْقِيكم[(٣)] أبدًا . قالوا : فكيف لنا وقد واعَدَنا ؟ فقال لهم : إذا غدَوْتُم إليه ، فعرَض عليكم الذى فارَقْتُموه عليه ، فقولوا : نَعوذُ باللَّهِ . فإن دعاكم أيضًا ، فقولوا[(٤)] : نَعوذُ باللَّهِ . ولعلَّه أن يُعْفِيَكم مِن ذلك . فلما غدَوْا ، غدا النبىُّ ﷺ مُحْتَضِنًا حسَنًا ، آخِذًا بيدِ الحسينِ ، وفاطمةُ تَمْشِى خلفَه ، فدَعاهم إلى الذى فارَقُوه عليه بالأمسِ ، [١/٤١٧و] فقالوا : نَعوذُ باللَّهِ . ثم دعاهم ، فقالوا : نَعوذُ باللَّهِ . مِرارًا ، قال : « فإن أبَيْتُم فأسْلِمُوا ، ولكم ما للمُسْلِمين ، وعلَيْكم ما علَى المسْلِمين كما قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، فإن أبَيْتُم فأعْطُوا الجِزْيَةَ عن يدٍ وأنتم صاغرون كما قال اللَّهُ عزَّ / وجلَّ » . قالوا : ما نَمْلِكُ إلا أنفسَنا . قال : « فإن أبَيْتُم فإنى أَنْبِذُ إليكم على سواءٍ كما قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ » . قالوا : مالنا طاقةٌ بحربِ العربِ ، ولكن نُؤَدِّى الجزيةَ . قال : فجعَل عليهم فى كلِّ سنةٍ ألفَىْ[(٥)] حُلَّةٍ ؛ ألفًا فى رجبٍ ، وألفًا فى صَفَرٍ . فقال

٣٠٠/٣

(١) فى س : « انجذبوا » .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « كان أعقلهما » ، وفى س : « كانا أعقلهما » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، س : « يسبقنكم » .

(٤) بعده فى م : « له » .

(٥) فى س : « ألف ألف » .

النبيُّ ﷺ : « لَقَد أتانىَ البَشيرُ بهَلَكةِ أهلِ نَجْرانَ ، حتى الطيرُ على الشجرِ - أو العَصافيرُ على الشجرِ - لو تَمُّوا على الملاعنةِ »[(١)] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، قال : فقلتُ للمغيرةِ : إن الناسَ يَرْوُون فى حديثِ أهلِ نَجْرانَ أن عليًّا كان معهم[(٢)] . فقال : أما الشعبىُّ فلم يَذْكُرْه ، فلا أدْرِى لسُوءِ رأيِ بنى أميةَ فى علىٍّ ، أو لم يَكُنْ فى الحديثِ .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ إلى قوله : ﴿ فَقُولُوا ٱشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ : فدعاهم إلى النَّصَفِ[(٣)] ، وقطَع عنهم الحُجَّةَ ، فلما أتَى رسولَ اللَّهِ ﷺ الخبرُ مِن اللَّهِ عنه ، والفصلُ مِن القَضاءِ بينَه وبينَهم ، وأمَره بما أمَره به مِن ملاعنتِهم ، [(٤)]إن ردُّوا[(٤)] عليه ، دعاهم إلى ذلك ، فقالوا : يا أبا القاسمِ ، دَعْنا نَنْظُرْ فى أمرِنا ، ثم نَأْتِيك بما[(٥)] نُريدُ أن نَفْعَلَ فيما دعَوْتَنا إليه . فانْصَرَفوا عنه ، ثم خلَوْا بالعاقبِ ، وكان ذا رأيِهم ، فقالوا : يا عبدَ المسيحِ ، ما تَرَى ؟ قال : واللَّهِ يا معشرَ النصارى ، لقد عرَفْتُم أن محمدًا لنبىٌّ مرسَلٌ ، ولقد جاءَكم بالفصلِ مِن خبرِ صاحبِكم ، ولقد علِمْتُم ما لاعَن قومٌ نبيًّا قطُّ ، فبقِى كبيرُهم ، ولا نبَت صغيرُهم ، وإنه للاستئصالُ منكم إن فعَلْتُم ، فإن كنتم قد أبَيْتُم إلا إلْفَ دينِكم ، والإقامةَ على ما أنتم عليه مِن القولِ فى صاحبِكم ، فوادِعوا الرجلَ ، ثم انْصَرِفوا إلى بلادِكم حتى يُرِيَكم زمَنٌ رأيَه . فأتَوْا رسولَ اللَّهِ ﷺ فقالوا : يا أبا القاسمِ ، قد رأَيْنا ألا نُلاعِنَك ، وأن نَتْرُكَك على

---

(١) تقدم تخريجه فى ص ٤٥٩، ٤٦٠ .

(٢) أى : كان مع النبى ﷺ وفاطمة والحسن والحسين ، كما سيأتى .

(٣) النصف ، الاسم من الإنصاف ، وهو أن تعطيه من الحق كالذى تستحقه لنفسك . التاج (ن ص ف) .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ٢، ت ٣: « أوردوا » ، وفى ت ١، س : « إذ ردوا » .

(٥) فى ص ، ت ٢: « فما » .

دينِك ، ونَرْجِعَ على دينِنا ، ولكن ابْعَثْ معنا رجلًا مِن أصحابِك تَرْضاه لنا ، يَحْكُمْ بينَنا فى أشياءَ قد اخْتَلَفْنا فيها مِن أموالِنا ، فإنكم عندَنا رِضًى [١] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا عيسى بنُ فَرْقَدٍ ، عن أبى الجارودِ ، عن زيدِ بنِ علىٍّ فى قولِه : ﴿ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾ الآية . قال : كان النبىُّ ﷺ وعلىٌّ وفاطمةُ والحسنُ والحسينُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ الآية ، فأخَذ - يعنى النبىَّ ﷺ - بيدِ الحسنِ والحسينِ وفاطمةَ ، وقال لعلىٍّ : « اتْبَعْنا » . فخرَج معهم ، فلم يَخْرُجْ يومَئذٍ النصارى ، وقالوا : إنا نَخافُ أن يكونَ هذا هو النبىَّ [٢] ، وليس دعوةُ النبىِّ كغيرِها . فتخَلَّفوا عنه يومَئذٍ ، فقال النبىُّ ﷺ : « لو خرَجوا لَاحْتَرَقوا » . فصالَحوه على صلحٍ ، على أن له عليهم ثمانين ألفًا ، فما عجزَت الدَّراهمُ ففى العُروضِ ؛ الحُلَّةُ بأربعين ، وعلى أن له عليهم ثلاثًا وثلاثين درعًا ، وثلاثًا وثلاثين بعيرًا ، وأربعةً وثلاثين فرسًا غازيةً كلَّ سنةٍ ، وأن رسولَ اللَّهِ ﷺ ضامنٌ لها حتى نُؤَدِّيَها إليهم [٣] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِر لنا أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ دعا وفدًا مِن وفدِ نَجْرانَ مِن النصارى ، وهم الذين حاجُّوه فى عيسى ، فنكَصوا عن ذلك ، وخافوا . /وذُكِر لنا أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « والذى نفسُ محمدٍ بيدِه ، إن كان العذابُ لقد تَدَلَّى على أهلِ نَجْرانَ ، ولو فعَلوا لَاسْتُؤْصِلوا عن ٣٠١/٣

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٣، ٥٨٤.

(٢) بعده فى النسخ : « صلى اللَّه عليه وسلم » ، وليس فى تفسير ابن أبى حاتم ، والنصارى أيضا لا تقوله .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٦٧ (٣٦١٨) من طريق أحمد بن المفضل به مختصرًا .

جَديدِ[(١)] الأرضِ »[(٢)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾ . قال : بلَغنا أن النبىَّ ﷺ خرَج ليُداعىَ[(٣)] أهلَ نَجْرانَ ، فلمَّا رأوْه خرَج ، هابوا وفرِقوا ، فرجَعوا . قال معمرٌ : قال قتادةُ : لمَّا أراد النبىُّ ﷺ [(٤)]أن يُباهِلَ[(٤)] أهلَ نَجْرانَ أخَذ بيدِ حسنٍ وحسينٍ، وقال لفاطمةَ : « اتْبعينا » . فلما رأى ذلك أعداءُ اللَّهِ رجَعوا[(٥)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا معمرٌ ، عن عبدِ الكريمِ الجَزَرىِّ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لو خرَج الذين يُباهِلون النبىَّ ﷺ لَرجَعوا لا يَجِدون أهلًا ولا مالًا[(٦)] .

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا زكريا بنُ[(٧)] عَدِىٍّ ، قال : ثنا عُبيدُ اللَّهِ بنُ عمرٍو ، عن عبدِ الكَريمِ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه[(٨)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « والذى نفسى بيدِه ، لو لاعَنُونى ما حال الحولُ وبحَضْرتِهم منهم أحدٌ إلا أهلَك اللَّهُ [١/٤١٧ظ] الكاذبين » .

---

(١) جديد الأرض : وجهها . اللسان (ج د د) .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٣٩/٢ إلى المصنف .

(٣) فى م : « ليلاعن » .

(٤ - ٤) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير عبد الرزاق .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٢.

(٦) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٣، ومن طريقه البخارى (٤٩٥٨) مختصرًا ، والترمذى (٣٣٤٨) ، والنسائى فى الكبرى (١١٦٨٥) ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٨/٢ (٣٦٢٠) من طريق الحسن بن يحيى به .

(٧) فى النسخ : « عن » ، وسيأتى على الصواب فى ٥٩١/١٠ ، ٥٦١/١١ .

(٨) أخرجه البزار (٢١٨٩- كشف) من طريق زكريا بن عدى به ، وأخرجه أحمد ٩٩/٤ (٢٢٢٦) ، =

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثنا ابنُ زيدٍ ، قال : قيل لرسولِ اللَّهِ ﷺ : لو لاعَنْتَ القومَ ، بمَن كنتَ تأتى حينَ قلتَ : ﴿ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ ﴾ ؟ قال : « حسنٌ وحسينٌ » .

حدَّثني محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا [١]أبو بكرٍ[١] الحنفيُّ ، قال : ثنا المنذرُ بنُ ثعلبةَ ، قال : ثنا عِلْباءُ بنُ أحمرَ اليَشْكُرِيُّ ، قال : لمَّا نزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ ﴾ الآية . قال[٢] : أرْسَل رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى [٣]عليٍّ وفاطمةَ وابنَيْهما[٣] الحسنِ والحسينِ ، ودعا اليهودَ ليُلاعنَهم ، فقال شابٌّ مِن اليهودِ : ويْحَكم ، أليس عهدُكم بالأمسِ[٤] إخوانَكم الذين مُسِخوا قِرَدةً وخَنازيرَ ! لا تُلاعِنوا . فانْتَهوا[٥] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لأهلِ الكتابِ ، وهم أهلُ التوراةِ والإنجيلِ : ﴿ تَعَالَوْا۟ ﴾ : هَلُمُّوا ﴿ إِلَىٰ / كَلِمَةٍ سَوَآءٍ ﴾ . يعنى : إلى كلمةٍ عَدْلٍ ٣٠٢/٣

= والنسائى (١١٠٦١ - كبرى) ، وأبو يعلى (٢٦٠٤) من طريق عبيد الله به ، وأخرجه أحمد ٩٨/٤ (٢٢٢٥) من طريق عبد الكريم به .

(١ - ١) فى ص ، ت ١: « أبو كريب » .

(٢) سقط من : م ، ت ٢، ت ٣، س .

(٣ - ٣) فى س : « فاطمة وابنها » .

(٤) بعده فى س : « من » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٣٩، ٤٠ إلى المصنف .

بينَنا وبينَكم . والكلمةُ العَدْلُ هى أن نُوَحِّدَ[(١)] اللَّهَ فلا نَعْبُدَ[(٢)] غيرَه ، ونَبْرَأَ[(٣)] مِن كلِّ معبودٍ سواه ، فلا نُشْرِكَ[(٤)] به شيئًا .

وقولُه : ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ . يقولُ : ولا يَدِينُ بعضُنا لبعضٍ بالطاعةِ فيما أمَر به مِن مَعاصِى اللَّهِ ، ويُعَظِّمُه بالسجودِ له ، كما يَسْجُدُ لربِّه ، ﴿ فَإِن تَوَلَّوْا ﴾ . يقولُ : فإن أعْرَضوا عما دعَوْتَهم إليه مِن الكلمةِ السواءِ التى أمَرْتُك بدعائِهم إليها ، فلم يُجِيبوك إليها ، ﴿ فَقُولُوا ﴾ أيها المؤمنون[(٥)] للمُتَوَلِّين عن ذلك : ﴿ اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ .

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى مَن نزَلَت فيه هذه الآيةُ ؛ فقال بعضُهم : نزَلَت فى يهودِ بنى إسرائيلَ الذين كانوا حوالَىْ مدينةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِر لنا أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ دعا يهودَ أهلِ المدينةِ إلى الكلمةِ السَّواءِ ، وهم الذين حاجُّوا فى إبراهيمَ[(٦)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : ذُكِر لنا أن نبىَّ اللَّهِ ﷺ دعا اليهودَ إلى الكلمةِ[(٧)] السَّواءِ[(٦)] .

---

(١) فى ص ، ت ١ : « يوحد » ، وفى س : « توحد » .
(٢) فى ص ، ت ١ : « يعبد » .
(٣) فى ص : « تتبرأ » ، وفى ت ١ : « يبرأ » . وفى س : « تبرأ » .
(٤) فى ت ١ : « يشرك » ، وفى س : « تشرك » .
(٥) بعده فى س : « فقولوا » .
(٦) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٠ إلى المصنف .
(٧) فى ص ، م ، ت ٢ ، ت ٣ : « كلمة » .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ ، قال : بلَغَنا أن النبىَّ ﷺ دعا يهودَ أهلِ المدينةِ إلى ذلك ، فأبَوْا عليه ، فجاهَدَهم . قال : دعاهم إلى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية[1] .

وقال آخرون : بل نَزَلَت فى الوفدِ مِن نصارَى نَجْرانَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ جعفرِ بنِ الزبيرِ: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية إلى قولِه : ﴿ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . قال : فدعاهم إلى النَّصَفِ ، وقطَع عنهم الحُجَّةَ . يعنى وفدَ نَجْرانَ[2] .

حدَّثنا موسى ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسْباطُ ،عن السدىِّ ، قال : ثم دعاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ - يعنى الوفدَ مِن نصارَى نَجْرانَ - فقال : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ الآية[3] .

حدَّثنى يونُسُ ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثنا ابنُ زيدٍ ، قال : قال - يعنى جلّ ثناؤُه - :﴿ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ﴾ فى عيسى - على ما قد بيَّنّاه فيما مضَى[4] - قال : فأبَوْا - يعنى الوفدَ مِن نَجْرانَ - فقال : ادْعُهم إلى أيْسَرَ مِن هذا ، قُلْ :

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٩/٢ (٣٦٢٨) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج بنحوه .

(٢) سيرة ابن هشام ١/ ٥٨٣، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٠/٢ (٣٦٣١) من طريق سلمة عن ابن إسحاق قوله .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٠/٢ إلى المصنف .

(٤) ينظر الأثر المتقدم فى ص ٤٦٢، ٤٦٣.

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ . فقَرأ حتى بلَغ ﴿ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ ﴾ ، فأبَوْا أن يَقْبَلوا هذا ولا الآخرَ .

وإنما قلنا : عنَى بقولِه : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ أهلَ الكتابَيْن ؛ لأنهما جميعًا مِن أهلِ الكتابِ ، ولم يَخْصُصْ جلّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ بعضًا دونَ بعضٍ ، فليس بأن يَكونَ مُوَجَّهًا ذلك إلى أنه / مقصودٌ به أهلُ التوراةِ بأولى منه بأن يَكونَ مُوَجَّهًا إلى أنه مقصودٌ به أهلُ الإنْجيلِ ، ولا أهلُ الإنجيلِ بأولى أن يكونوا مَقْصودين به دونَ غيرِهم مِن أهلِ التوراةِ . وإذ لم يَكُنْ أحدُ الفريقين بذلك بأولى مِن الآخَرِ ؛ لأنه لا دَلالةَ على أنه المخصوصُ بذلك من الآخرِ ، ولا أثرَ صحيحٌ ، فالواجبُ أن يكونَ كلُّ كتابيٍّ معنيًّا به ؛ لأن إفرادَ العبادةِ للَّهِ وحدَه ، وإخلاصَ التوحيدِ له ، واجبٌ على كلِّ مأمورٍ مَنْهيٍّ[(١)] مِن خَلْقِ اللَّهِ ، واسمُ[(٢)] أهلِ الكتابِ يلزَمُ[(٣)] أهلَ التوراةِ وأهلَ الإنجيلِ ، فكان معلومًا بذلك أنه عُنِى به الفريقان جميعًا .

٣٠٣/٣

وأما تأويلُ قولِه : ﴿ تَعَالَوۡاْ ﴾ . فإنه : أقْبِلوا وهَلُمُّوا . وإنما هو « تَفاعَلوا » ، مِن العلوِّ ، فكأن القائلَ لصاحبِه : تعالَ إليَّ . قائلٌ[(٤)] : تَفاعَل . مِن العُلُوِّ ، كما يقالُ : تَدانَ منى . من الدُّنُوِّ ، وتَقارَبْ منى . مِن القربِ .

وقولُه : ﴿ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ ﴾ فإنها الكلمةُ العَدْلُ . والسواءُ مِن نعتِ « الكلمةِ » .

وقد اخْتَلَف أهلُ العربيةِ فى وجهِ إتْباعِ ﴿ سَوَآءِۭ ﴾ فى الإعرابِ « الكلمة » ،

---

(١) بعده فى س : « عنه » .

(٢) سقط من : م ، وفى ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س : « أنتم » ، وهو غير واضح فى ت٢ والصواب ما أثبتنا .

(٣) فى م : « يعم » .

(٤) فى م : « فإنه » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فإنك » .

وهو اسمٌ لا صفةٌ ؛ فقال بعضُ نحويى البصرةِ : جُرَّ ﴿ سَوَآءٍ ﴾ ؛ لأنها مِن صفةِ الكلمةِ ، وهى العدلُ ، وأراد مُسْتَوِيةً . قال : ولو أراد اسْتِواءً كان النصبُ ، وإن شاء أن يَجْعَلَها على الاستواءِ ويَجُرَّ جاز ، ويَجْعَلَه مِن صفةِ الكلمةِ ، مثلَ الخَلْقِ ؛ لأن الخلقَ هو المخلوقُ ، والخلقُ قد يكونُ صفةً واسمًا ، ويَجْعَلُ الاستواءَ مثلَ المُسْتَوِى ، قال عزَّ وجلَّ : [٤١٨/١و] ﴿ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ ﴾ [الحج : ٢٥] . لأن السَّواءَ للآخِرِ ، وهو اسمٌ ليس بصفةٍ ، فيُجْرَى على الأولِ ، وذلك إذا أراد به الاسْتِواءَ ، فإن أراد به مُسْتَوِيًا جاز أن يُجْرَى على الأولِ . والرفعُ فى ذا المعنى جيِّدٌ ؛ لأنها لا تُغَيَّرُ عن حالِها ، ولا تُثَنَّى ، ولا تُجْمَعُ ، ولا تُؤَنَّثُ ، فأشْبَهَت الأسماءَ التى هى مثلُ عَدْلٍ ورِضًى وجُنُبٍ ، وما أشْبَهَ . ذلك ، وقالوا - (أن نجعلَهم كالذين آمنوا وعمِلوا الصالحات سواءٌ محياهم ومماتُهم)[1] - : فالسواءُ للمَحْيا ، والمماتُ بهذا[2] المبتدأُ .

وإن شئْتَ أجْرَيْتَه على الأولِ ، وجعَلْتَه صفةً مُقَدَّمةً ، كأنها مِن سببِ الأولِ ، فجَرَت عليه ، وذلك إذا جعَلْتَه فى معنى مُسْتَوٍ . والرفعُ وجهُ الكلامِ كما فسَّرْتُ لك .

وقال بعضُ نحويى الكوفةِ : ﴿ سَوَآءٍ ﴾ : مصدرٌ وُضِع مَوْضِعَ الفعلِ[3] ، يعنى موضعَ مُتَساويةٍ ومتساوٍ ؛ فمرةً يَأْتى على الفعلِ ، ومرةً على المصدرِ ، وقد يقالُ فى ﴿ سَوَآءٍ ﴾ بمعنى عَدْلٍ : سِوًى وسُوًى . كما قال جل ثناؤُه : ﴿ مَكَانًا سُوًى ﴾ [طه : ٥٨] . وسُوًى يُرادُ به عدْلٌ ونَصَفٌ بينَنا وبينَك . وقد رُوِى عن ابنِ مسعودٍ أنه كان

(١) تأتى هذه القراءة عند تفسير الآية ٢١ من سورة الجاثية .

(٢) فى س : « فهذا » .

(٣) يعنى بالفعل هنا الوصف المشتق مثل فاعل ومفعول . ينظر مصطلحات النحو الكوفى ص ٥٢ .

يَقْرَأُ ذلك : (إلى كلمةٍ عَدْلٍ بيننا وبينَكم)[١] .

وبمثلِ الذى قلْنا فى تأويلِ قوله : ﴿ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ [٢] وأن[٢] السواءَ هو العدلُ ، قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ ﴾ : عَدْل بيننا وبينَكم ، ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ الآية[٣] .

حدَّثنى المثنى : قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ قُلْ / يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا ﴾ . بمثلِه[٤] . ٣٠٤/٣

وقال آخرون : هو قولُ لا إلهَ إلا اللَّهُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : قال أبو العاليةِ : كلمةُ السواءِ لا إلهَ إلا اللَّهُ[٥] .

---

(١) هذا قول الفراء فى معانى القرآن ١/ ٢٢٠ ونسب هذه القراءة إلى ابن مسعود . وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٤٥٤.

(٢ - ٢) فى م : « بأن » ، وفى ت ١ ، س : « فإن » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٠ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) فى ص ، ت ١ : « الآية » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٧٠ (٣٦٣٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٦٩/٢ (٣٦٢٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

وأما قولُه : ﴿ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ . فإن « أن » فى موضعِ خفضٍ ، على معنى : تعالَوْا إلى ألَّا نَعْبُدَ إلَّا اللَّهَ .

وقد بيَّنا معنى « العبادةِ » فى كلامِ العربِ فيما مضَى ، ودلَّلْنا على الصحيحِ مِن معانِيه بما أغنى عن إعادتِه[1] .

وأما قولُه : ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا ﴾ . فإن اتخاذَ بعضِهم بعضًا[2] ما كان بطاعةِ الأَتْباعِ الرؤساءَ فيما أمَروهم به مِن مَعاصِى اللَّهِ ، وتَرْكِهم ما نَهَوْهم عنه مِن طاعةِ اللَّهِ ، كما قال جل ثناؤُه : ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓاْ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ﴾ [التوبة : ٣١] .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جُرَيْجٍ : ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ، يقولُ : لا يُطِعْ بعضُنا بعضًا فى معصيةِ اللَّهِ ، ويقالُ : إنّ تلك الربوبيةَ أن يُطِيعَ الناسُ سادتَهم وقادتَهم فى غيرِ عبادةٍ ، وإنْ لم يُصَلُّوا لهم[3] .

وقال آخَرون : اتخاذُ بعضِهم بعضًا أربابًا سجودُ بعضِهم لبعضٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا حفصُ بنُ عمرَ[4] ، عن الحكمِ بنِ

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/ ١٥٩، ١٦٠.

(٢) بعده فى م : « هو » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٠ إلى المصنف ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٧٠ (٣٦٣٤) من طريق ابن ثور عن ابن جريج مقتصرًا على آخره .

(٤) فى س : « عمرو » .

أبانٍ ، عن عكرمةَ فى قولِه : ﴿ وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : سجودُ بعضِهم لبعضٍ[(١)] .

وأما قولُه : ﴿ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ . فإنه يعْنى : فإن تولَّى الذين تَدْعُونهم إلى الكلمةِ السواءِ عنها وكفَروا ، فقولوا أنتم أيُّها المؤمنون لهم : اشْهَدوا علينا بأنَّا بما تولَّيتُم عنه ؛ مِن توحيدِ اللَّهِ ، وإخلاصِ العُبودةِ له ، وأنه الإلهُ الذى لاشَريكَ له ، ﴿ مُسْلِمُونَ ﴾ ، يعنى : خاضِعون للَّهِ به ، مُتذَلِّلون له بالإقرارِ بذلك ، بقلوبِنا وألسنتِنا .

وقد بيَّنا معنَى « الإسلامِ » فيما مضَى ، ودلَّلْنا عليه بما أغْنَى عن إعادتِه[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) ﴾ .

قال أبو جعفرٍ : يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ : يا أهلَ التوراةِ والإنجيلِ . ﴿ لِمَ تُحَآجُّونَ ﴾ : لم تُجادِلون ﴿ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ ، وتُخاصِمون فيه ؟ يعْنى : فى إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ صلواتُ اللَّهِ عليه .

٣٠٥/٣ وكان / حِجاجُهم فيه ادِّعاءَ كلِّ فريقٍ مِن أهلِ هذين الكتابين أنه كان منهم ، وأنه كان يَدِينُ دينَ أهلِ نِحْلتِه[(٣)] ، فعابَهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ بادِّعائِهم ذلك ، ودلَّ على مُناقضتِهم ودَعْواهم ، فقال : وكيف تَدَّعون أنه كان على ملَّتِكم ودينِكم ، و[(٤)] دينُكم إما يهوديةٌ [١/٤١٨ظ] أو نصرانيةٌ ، واليهوديُّ منكم يَزْعُمُ أن دينَه إقامةُ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٧٠ (٣٦٣٥) من طريق حفص بن عمر به .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٢/٤٣٢ .

(٣) فى س : « ملته » .

(٤) بعده فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « أما » ، وبعده فى س : « ما » .

التوراةِ والعملُ بما فيها ، والنصرانيُّ منكم يَزْعُمُ أن دينَه إقامةُ الإنجيلِ وما فيه ، وهذان[(١)] كتابان لم يَنْزِلا إلا بعدَ حينٍ مِن مَهْلِكِ إبراهيمَ ووفاتِه ، فكيف يَكونُ منكم[(٢)] ؟ فما[(٣)] وجهُ اخْتِصامِكم فيه ، وادِّعائِكم أنه منكم ، والأمرُ فيه على ما قد علِمْتُم ؟

وقيل : نزَلَت هذه الآيةُ فى اختصامِ اليهودِ والنصارَى فى إبراهيمَ ، وادِّعاءِ كلِّ فريقٍ منهم أنه كان منهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيْبٍ ، قال : ثنا يونُسُ بنُ بُكيرٍ ، قال : ثنى محمدُ بنُ إسحاقَ ، وحدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : ثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : اجْتَمَعَت نصارَى نَجْرانَ وأحْبارُ يهودَ عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، فتنازَعُوا عندَه ، فقالت الأحبارُ : ما كان إبراهيمُ إلّا يهوديًّا . وقالت النصارَى : ما كان إبراهيمُ إلا نصرانيًّا . فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾ . قالت النصارى : كان نصرانيًّا . وقالت اليهودُ : كان يهوديًّا . فأخْبَرَهم اللَّهُ أن التوارةَ والإنجيلَ [(٤)]إنما أُنْزِلا[(٤)] مِن بعدِه ، وبعدَه كانت اليهوديةُ والنصرانيةُ[(٥)] .

---

(١) فى ص ، ت ١ : « هذا » .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « منهم » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أما » .

(٤ - ٤) فى م : « ما أنزلا إلا » .

(٥) سيرة ابن هشام ٥٥٣/١ ، وأخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٨٤/٥ من طريق يونس بن بكير به بأطول مما هنا .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ . يقولُ : لم تُحاجُّون فى إبراهيمَ وتَزْعُمون أنه كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ، ﴿ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ ﴾ - فكانت اليهوديةُ بعدَ التوراةِ ، وكانت النصرانيةُ بعدَ الإنجيلِ - ﴿ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[1] ؟

وقال آخرون : بل نزَلَت هذه الآيةُ فى دَعْوَى اليهودِ إبراهيمَ أنه منهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ دَعا يهودَ أهلِ المدينةِ إلى كلمةِ السواءِ ، وهم الذين حاجُّوا فى إبراهيمَ ، [2]وزعَمُوا أنه مات[2] يهوديًّا ، فأكْذَبَهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، ونفاهم منه ، فقال : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾[3] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[4] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٢/ ٤٥٦ ، والبحر المحيط ٢/ ٤٨٢ .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

﴿إِبْرَاهِيمَ﴾ . قال : اليهودُ[(١)] ، برَّأه[(٢)] اللَّهُ عزَّ وجلَّ منهم[(٣)] حينَ ادَّعَى كلُّ أمةٍ أنه منهم ، وألْحَق به المؤمنين مَن كان مِن أهلِ الحَنيفيةِ[(٤)] .

حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

/وأما قولُه : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ . فإنه يعْنى : ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ : أفلا[(٥)] تَفْقَهون[(٦)] خطأَ قِيلِكم : إنّ إبراهيمَ كان يهوديًّا أو نصرانيًّا ، وقد علِمْتُم أن اليهوديةَ والنصرانيةَ حدَثَت مِن بعدِ مَهْلِكِه بحينٍ ؟ ٣٠٦/٣

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤُه : هاأنتم[(٧)] القومُ الذين خاصَمْتُم وجادَلْتُم ﴿فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ مِن أَمرِ دينِكم الذى وجدتُموه فى كُتبِكم ، وأتتكم به رسلُ اللَّهِ من عندِه ، ومن غيرِ ذلك ممّا أوتيتُموه وثبَتت عندَكم صحَّتُه ، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ﴾ يقولُ : فلم تجادلَون وتُخاصمُون ﴿فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ ، يعنى : فى[(٨)] الذى لا علمَ

---

(١) بعده فى م ، ومصدرى التخريج : « والنصارى » . والمصنف إنما ذكر هذا الأثر والأثر قبله فى ذكر من قال : إن الآية نزلت فى اليهود ، وعلى إثباتها لا يكون فرق بين هذا القول والقول قبله .

(٢) فى ص ، ت ٢، ت ٣، س : « برأهم » .

(٣) فى ص ، ت ٢، ت ٣، س : « منه » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧١/٢ (٣٦٣٨) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدرالمنثور ٤١/٢ إلى عبد بن حميد .

(٥) سقط من : ص، م ، ت ١، س .

(٦) سقط من : س ، وفى ص : « تتفقهون » .

(٧) بعده فى م : « هؤلاء » .

(٨) سقط من : م .

لكم به مِن أمرِ إبراهيمَ ودينِه ، ولم تَجِدُوه فى كتبِ اللَّهِ ، ولا أتتْكم به أنبياؤُكم ، ولا شاهَدْتُموه فتعْلَموه .

كما حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ : أمّا الذى لهم به علمٌ ، فما حُرِّم عليهم وما أُمِروا به ، وأمّا الذى ليس لهم به علمٌ ، فشأنُ إبراهيمَ[1] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ . يقولُ : فيما شهِدتُم ، ورأيتُم ، وعاينتُم ، ﴿فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ﴾ ، فيما لم تُشاهِدوا ، ولم ترَوا ، ولم تُعايِنوا ، ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[3] .

وقولُه : ﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . يقولُ : واللَّهُ يعلَمُ ما غاب عنكم فلم تُشاهِدُوه ولم ترَوْه ، ولم تأْتِكم به رسلُه ، مِن أمرِ إبراهيمَ وغيرِه مِن الأمورِ ومما تُجادِلون فيه ؛ لأنه لا يَغِيبُ عنه شىءٌ ، ولا يعزُبُ عنه علمُ شىءٍ فى السماواتِ ولا فى الأرضِ ، وأنتم لا تعلَمُون مِن ذلك إلا ما عايَنتُم فشاهَدتم ، أو أدْرَكتم علمَه بالإخبارِ والسَّماعِ .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٢/٢ (٣٦٤٣، ٣٦٤٦) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٢/٢ (٣٦٤٢) من طريق ابن أبى جعفر به من قول أبى العالية .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾ .

وهذا تكذيبٌ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ [١/٤١٩و] دَعْوَى الذين جادَلُوا فى إبراهيمَ ومِلَّتِه مِن اليهودِ والنصارَى ، وادَّعَوْا أنه كان على ملتِهم ، وتَبْرِئةٌ[1] لهم منه ، وأنهم لدينِه مُخالِفون ، وقَضاءٌ منه[2] عزَّ وجلَّ لأهلِ الإسلامِ ولأمةِ محمدٍ ﷺ أنهم هم أهلُ دينِه ، وعلى مِنْهاجِه وشَرائعِه ، دونَ سائرِ أهلِ المللِ والأَدْيانِ غيرِهم .

يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ما كان إبراهيمُ يهوديًّا ولا نصْرانيًّا ، ولا[3] كان مِن المشركين الذين يعبُدون الأوثانَ والأصنامَ ، أو[4] مخلوقًا دونَ خالقِه الذى هو إلهُ الخلقِ / وبارئُهم ، ﴿ وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا ﴾ . يعنى : متَّبِعًا أمرَ اللَّهِ وطاعتَه ، مستقيمًا على محجَّةِ الهُدَى التى أُمِر[5] بلزومِها ، ﴿ مُّسْلِمًا ﴾ . يعنى : خاشعًا للَّهِ بقلبِه ، مُتذلِّلًا له بجَوارحِه ، مُذعِنًا لما فرَض عليه وأَلْزَمه مِن أحكامِه . ٣٠٧/٣

وقد بيَّنا اختلافَ أهلِ التأويلِ فى معنَى الحنيفِ فيما مضَى ، ودلَّلْنا على القولِ الذى هو أولَى بالصحةِ مِن أقوالِهم ، بما أغْنى عن إعادتِه [6] فى هذا الموضعِ [6] .

وبنحوِ ما قُلنا فى ذلك مِن التأويلِ قال أهلُ التأويلِ .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، س : « تنزيه » . وكتب فوقها فى ص : « ط » .

(٢) فى س : « لله » .

(٣) فى م ، ت ١ ، س : « لكن كان حنيفا مسلما وما » .

(٤) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أن » .

(٥) بعده فى ت ٢ ، ت ٣ : « الله » .

(٦ - ٦) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، س . وينظر ما تقدم فى ٥٩١/٢ - ٥٩٤ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني إسحاقُ بنُ شاهينِ الواسطيُّ ، قال : ثنا خالدُ بنُ عبدِ اللَّهِ ، عن داودَ ، عن عامرٍ ، قال : قالت اليهودُ : إبراهيمُ على دينِنا . وقالت النصارى : هو على دينِنا . فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا﴾ الآية . فأكْذَبَهم اللَّهُ ، وأدْحَض حُجّتَهم . يعنى اليهودَ الذين ادَّعَوْا أن إبراهيمَ مات يهوديًّا[1] .

حدَّثنا الـمُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[2] .

حدَّثني يونُسُ بنُ عبدِ الأعْلَى ، قال : أخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخْبَرَني يعقوبُ ابنُ عبدِ الرحمنِ الزهريُّ ، عن موسى بنِ عُقْبةَ ، عن سالمِ بنِ عبدِ اللَّهِ - لا أُراه إلا يُحَدِّثُه عن أبيه - أن زيدَ بنَ عمرِو بنِ نُفَيلٍ خرَج إلى الشامِ يسألُ عن الدينِ ويَتْبَعُه ، فلقِي عالمًا مِن اليهودِ ، فسأله عن دينِه ، وقال : إنى لعلِّى أن أدِينَ دينَكم ، فأخبِرْنى عن دينِكم . فقال له اليهوديُّ : إنك لن تَكونَ على دينِنا حتى تأخُذَ بنصيبِك مِن غضبِ اللَّهِ . قال زيدٌ : ما أفِرُّ إلا مِن غضبِ اللَّهِ ، ولا أحمِلُ مِن غضبِ اللَّهِ شيئًا أبدًا ، وأنا[3] أستطيعُ ، فهل تَدُلُّنى على دينٍ ليس فيه هذا ؟ قال : ما أعلَمُه إلا أن يكونَ[4] حَنيفًا . قال : وما الحنيفُ ؟ قال : دينُ إبراهيمَ ، لم يَكُ يهوديًّا ولا نصرانيًّا ، وكان لا يعبُدُ إلا اللَّهَ . فخرَج مِن عندِه ، فلقِي عالمًا مِن النصارَى ، فسأله عن دينِه ،

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤١/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٣/٢ (٣٦٤٩) من طريق ابن أبى جعفر به من قول أبى العالية .

(٣) بعده فى م ، ت ١، س : « لا » .

(٤) فى م ، ت ١: « تكون » ..

فقال : إنِّى لعلِّى أن أدِينَ دينَكم ، فأخبِرْنى عن دينِكم . قال : إنك لن تَكونَ على دينِنا حتى تأخُذَ بنصيبِك مِن لعنةِ اللَّهِ . قال : لا أحتمِلُ مِن لعنةِ اللَّهِ شيئًا ، ولا مِن غضبِ اللَّهِ شيئًا أبدًا ، وأنا (١) أستطيعُ ، فهل تَدُلُّنى على دينٍ ليس فيه هذا ؟ فقال له (٢) نحوَ ما (٢) قاله اليهودىُّ : لا أعلَمُه إلا أن يكونَ (٣) حَنيفًا . فخرَج مِن عندِهم (٤) وقد رضِى الذى أخبراه والذى اتَّفَقا عليه مِن شأنِ إبراهيمَ ، (٥) فلم يزلْ رافعًا يديْه إلى اللَّهِ (٥) ، وقال : اللَّهمَّ إنى أُشْهِدُك أنى على دينِ إبراهيمَ (٦) .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤُه : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ (٦٨) ﴾ .

يعْنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ ﴾ : إن أحقَّ الناسِ بإبراهيمَ ونُصْرتِه ووِلايتِه ، ﴿ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ ﴾ ، يعنى : الذين سلَكوا طريقَه ومنهاجَه ، فوحَّدوا اللَّهَ مخلِصينَ له الدينَ ، وسنُّوا سنّتَه (٧) ، وشرَعوا شرائعَه ، وكانوا للَّهِ حُنفاءَ

---

(١) بعده فى م ، ت١ ، س : « لا » .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « نحو مما » ، وفى م : « نحوا مما » .

(٣) فى م ، ت١ : « تكون » .

(٤) فى م : « عنده » .

(٥ - ٥) فى صحيح البخارى : « فلما برز رفع يديه » . وفى تاريخ دمشق : « فلما توفى رفع يديه » .

(٦) أخرجه البخارى (٣٨٢٧) ، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٥٠٣/١٩ من طريق موسى بن عقبة به .

وبعده فى ص : « يتلوه القول فى تأويل قوله عز وجل ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ﴾ . والحمد لله على (؟!) محمد وآله وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم ، رب يسر ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان ، قال : حدثنا محمد بن جرير الطبرى » .

وبعده فى ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بسم الله الرحمن الرحيم ، أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان ، قال : حدثنا محمد بن جرير الطبرى » ويظهر من هذا أن الراوى للقسم المقبل من التفسير رجل آخر غير أبى محمد الفرغانى وينظر ترجمتهما فى ١/ ٣٧، ٣٩ من المقدمة .

(٧) فى م : « سننه » .

مسلمين ، غيرَ مشركين به ، ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ يعنى محمدًا ﷺ ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ ، / يعنى : والذين صدَّقوا محمدًا وبما جاءَهم به مِن عندِ اللَّهِ ، ﴿ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ ، يقولُ : واللَّهُ ناصرُ المؤمنين بمحمدٍ ، المُصدِّقِين له فى نبوَّتِه وفيما جاءَهم[1] به مِن عندِه ، على مَن خالَفهم مِن أهلِ المللِ والأديانِ .

٣٠٨/٣

وبمثلِ الذى قلْنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ . يقولُ : الذين اتَّبَعوه على ملتِه وسنتِه ومنهاجِه وفطرتِه ، ﴿ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ وهو نبيُّ اللَّهِ محمدٌ ، ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ معه ، وهم المؤمنون الذين صدَّقوا نبيَّ اللَّهِ واتَّبَعوه . كان محمدٌ رسولُ اللَّهِ ﷺ والذين معه مِن المؤمنين أولَى الناسِ بإبراهيمَ[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى وجابرُ بنُ الكُرْدىِّ والحسنُ بنُ أبى يحيى المَقْدسىُّ ، قالوا : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبيه ، عن أبى الضُّحَى ، عن مَسْروقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن لكلِّ نبىٍّ وُلاةً مِن النَّبِيِّين ، وإن

(١) فى س : « جاء » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٧٤، ٦٧٥ (٣٦٥٨، ٣٦٥٩، ٣٦٦١) من طريق ابن أبى جعفر به .

وَلِيِّىَ [١/٤١٩ظ] منهم أبى[(١)] وخليلُ ربِّى » . ثم قرأ : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ الفضلُ بنُ دُكينٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبيه ، عن أبى الضُّحى ، عن عبدِ اللَّهِ ، أُرَاه قال : عن النبىِّ ﷺ . فذكَر نحوَه[(٣)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى مُعاويةُ بنُ صالحٍ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : يقولُ اللَّهُ سبحانَه : ﴿ إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ ﴾ وهم المؤمنون[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .

يعْنى بقولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَدَّت ﴾ : تمَنَّت ، ﴿ طَّآئِفَةٌ ﴾ يعنى : جماعةٌ ، ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، وهم أهلُ التوراةِ مِن اليهودِ ، وأهلُ الإنجيلِ مِن النصارَى ، ﴿ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ ﴾ ، يقولُ : لو يَصُدُّونكم أيُّها المؤمنونَ عن الإسلامِ ، ويَرُدُّونكم عنه إلى ما هم عليه مِن الكفرِ ، فيُهْلِكونكم بذلك .

والإضلالُ فى هذا الموضعِ الإهلاكُ ، مِن قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا

---

(١) بعده فى س : « بكر » .

(٢) أخرجه البزار فى مسنده (١٩٧٣) عن محمد بن المثنى به ، وأخرجه الترمذى (٢٩٩٥) ، والطحاوى فى مشكل الآثار (١٠٠٩) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره (تحقيق حكمت بشير ياسين) ٣٢٦/٢، ٣٢٧ (٧٣١) ٣٢٦/٢، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢١/٦ من طريق أبى أحمد به، وأخرجه الحاكم ٢٩٢/٢، ٥٥٣ من طريق سفيان به .

(٣) أخرجه الترمذى عقب (٢٩٩٥) من طريق أبى نعيم به ، وأخرجه أحمد ٣٤٨/٦ (٣٨٠٠) ، ١٦٧/٧ (٤٠٨٨) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٤/٢ (٣٦٥٦) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٧٩، وابن عساكر فى تاريخ دمشق ٢٢١/٦ من طريق سفيان به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٤/٢ (٣٦٥٧) ، من طريق عبد الله بن صالح به .

ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴾ [السجدة : ١٠] . يعنى : إذا هلكْنا . ومنه قولُ الأخْطَلِ فى هجاءِ جَريرٍ[1] :

كنتَ القَذَى فى موجِ أكْدَرَ مُزْبِدٍ قذَف الأَتِيُّ به فضَلَّ ضَلالَا

يعنى : هلَك هَلاكًا . وقولُ نابغةِ بنى ذُبْيانَ[2] :

٣٠٩/٣ / فآبَ مُضِلُّوه بعَيْنٍ جَلِيَّةٍ[3] وغُودِر بالجَوْلانِ[4] حَزْمٌ ونائلُ

يعنى : مُهْلِكوه .

﴿ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ ﴾ : وما يُهْلِكون - بما يَفْعَلون مِن محاولتِهم صدَّكم عن دينِكم - أحدًا غيرَ أنفسِهم . يعنى بـ ﴿ أَنفُسَهُمْ ﴾ تُبَّاعَهم[5] وأشياعَهم على ملتِهم وأديانِهم . وإنما أهْلَكوا أنفسَهم وتُبَّاعَهم[5] بما حاوَلوا مِن ذلك ؛ لاسْتِيجابِهم مِن اللهِ بفعلِهم ذلك سخَطَه ، واسْتحقاقِهم به غضبَه ولعنتَه ؛ لكفرِهم باللهِ ، ونقضِهم الميثاقَ الذى أخذ اللهُ[6] عليهم فى كتابِهم ، فى اتِّباعِ محمدٍ ﷺ وتصديقِه ، والإقرارِ بنبوَّتِه . ثم أخْبَر جلَّ ثناؤُه عنهم أنهم يفعَلون ما يفعَلون ، مِن مُحاولةِ صدِّ المؤمنين عن الهدى إلى الضلالةِ والرَّدَى ، على جهلٍ منهم بما اللهُ بهم مُحِلٌّ مِن عقوبتِه ، ومُدَّخِرٌ لهم مِن أليمِ عذابِه ، فقال تعالى ذكرُه : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ أنهم لا يُضِلُّون إلا أنفسَهم ، [7]فى محاولتِهم[7] إضْلالَكم أيُّها المؤمنون .

---

(١) تقدم تخريجه فى ٤١٦/٢ .

(٢) ديوانه ص ١١٩.

(٣) جلية الأمر : حقيقته . اللسان (ج ل ى) والبيت فيه .

(٤) الجولان : جبل من نواحى دمشق ، من عمل حوران . معجم البلدان ٢/ ١٥٩.

(٥) فى م : « أتباعهم » .

(٦) سقط من : ص ، ت ٢، ت ٣.

(٧ - ٧) فى م : « بمحاولتهم » .

ومعنى قولِه : ﴿ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾ : وما يَدْرُون ولا يَعْلَمون .

وقد بيّنّا تأويلَ ذلك بشواهدِه في غيرِ[(١)] هذا الموضعِ ، فأغْنَى ذلك عن إعادتِه[(٢)] .

القولُ في تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ ، مِن اليهودِ والنصارَى ، ﴿ لِمَ تَكْفُرُونَ ﴾ . يقولُ : لمَ تَجْحدون ، ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ . يعنى : بما فى كتابِ اللَّهِ الذى أنْزَله إليكم على ألسنِ أنبيائِكم مِن آيِه وأدلَّتِه . ﴿ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ أنه حقٌّ مِن عندِ ربِّكم !

وإنما هذا مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ تَوبيخٌ لأهلِ الكتابَيْن على كفرِهم بمحمدٍ ﷺ وجُحودِهم نبوَّتَه ، وهم يَجِدونه فى كتبِهم ، مع شهادتِهم أنّ ما فى كتبِهم حقٌّ ، وأنه مِن عندِ اللَّهِ .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ﴾ . يقولُ : تَشْهَدون أن نعتَ محمدٍ نبيِّ اللَّهِ ﷺ فى كتابِكم ، ثم تَكْفُرون به وتُنْكِرونه ولا تُؤْمِنون به ، وأنتم تَجِدونه مكتوبًا عندَكم فى التوراةِ والإنجيلِ ، النبيَّ الأُميَّ الذى يُؤْمِنُ باللَّهِ وكلماتِه[(٣)] .

---

(١) سقط من : ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣.

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٨٥، ٢٨٦.

(٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة =

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ . يقولُ : تَشْهَدون أن نعتَ محمدٍ فى كتابِكم ، ثم تَكْفُرون به ولا تُؤْمِنون به ، وأنتم تَجِدونه عندَكم فى التوراةِ والإنجيلِ ؛ النبيَّ الأميَّ[(١)] .

حدَّثنى محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ : آياتُ اللَّهِ : محمدٌ ، وأما ﴿ تَشۡهَدُونَ ﴾ : فيَشْهَدون[(٢)] أنه الحقُّ يَجِدونه[(٣)] مكتوبًا عندَهم[(٤)] .

٣/٣١٠ / [(٥)] حدَّثنا القاسمُ ، قال[(٥)] : حدَّثنا الحسينُ ، قال : ثنا حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ قولَه : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمۡ تَشۡهَدُونَ ﴾ أن الدينَ عندَ اللَّهِ الإسلامُ ، ليس للَّهِ دينٌ غيرُه[(٦)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ .

يعْنى بذلك جلَّ ثناؤُه : يا أهلَ التوراةِ والإنجيلِ ، ﴿ لِمَ تَلۡبِسُونَ ﴾ . يقولُ : لِمَ تَخْلِطُون ﴿ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ . وكان خَلْطُهم الحقَّ بالباطلِ إظهارَهم بألسنتِهم مِن

= والإنجيل ﴾ الآية ١٥٧ من سورة الأعراف .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٤٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٧٦، ٦٧٧ (٣٦٦٩) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) فى ت ١، س ، وتفسير ابن أبى حاتم : « فتشهدون » .

(٣) فى ت ١، س : « تجدونه » .

(٤) فى س : « عندكم » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٧٦ (٣٦٦٦، ٣٦٦٨) من طريق أحمد به .

(٥ - ٥) سقط من النسخ ، وتقدم هذا الإسناد كثيرًا ، وسيأتى على الصواب بعد قليل .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٧٧ (٣٦٧٢) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

التصديقِ بمحمدٍ ﷺ وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، غيرَ الذى فى قلوبِهم مِن اليهوديةِ والنَّصْرانيةِ .

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، عن ابنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال عبدُ اللَّهِ بنُ الصَّيْفِ ، وعدىُّ بنُ زيدٍ ، والحارثُ بنُ عوفٍ ، بعضُهم لبعضٍ : تعالَوْا [١/٤٢٠و] نؤمنْ بما أُنْزِل على محمدٍ وأصحابِه غُدْوةً ، ونكفُرْ به عَشيَّةً ، حتى نَلبِسَ عليهم دينَهم ، لعلَّهم يصنَعون كما نصنَعُ ، فيَرْجِعُوا عن دينِهم . فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ فيهم : ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ يَـٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَـٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَـٰطِلِ ﴾ . يقولُ : لِمَ تَلْبِسُون اليهوديةَ والنصرانيّةَ بالإسلامِ ، وقد علِمْتُم أن دينَ اللَّهِ الذى لا يقبَلُ غيرَه الإسلامُ ، ولا يَجْزِى إلا به[(٢)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بمثلِه ، إلا أنه قال : الذى لا يَقبَلُ مِن أحدٍ غيرَه الإسلامُ . ولم يقُلْ[(٣)] : ولا يَجْزِى [(٤)]إلا به[(٤)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ قولَه :

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٥٣، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٧٧، ٦٧٨ (٣٦٧٥) من طريق سلمة عن محمد بن إسحاق عن محمد بن أبى محمد قوله . وعزاه السيوطى أيضا فى الدر المنثور ٢/ ٤٢ إلى ابن إسحاق وابن المنذر ، وفيه : عبد اللَّه بن الضيف . بالضاد المعجمة ، وهو رواية فى اسمه .

(٢) فى ص ، ت ١: «للذى» ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : «يقبل» .

(٤ - ٤) فى ص : «الآية» .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٧٧ (٣٦٧٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ : الإسلامَ باليهوديةِ والنصرانيةِ[١] .

وقال آخرون فى ذلك بما حدَّثنى به يونُسُ ، قال : أَخْبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ ﴾ . قال : الحقُّ : التوراةُ التى أنْزَل اللَّهُ على موسى ، والباطلُ : الذى كتَبُوه بأَيديهم[٢] .

قال أبو جعفرٍ : وقد بيَّنَّا معنى « اللَّبْسِ » فيما مضَى بما أغْنَى عن إعادتِه[٣] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : ولِمَ تَكْتُمون يا أهلَ الكتابِ الحقَّ ؟ والحقُّ الذى كتَموه : ما فى كتبِهم مِن نعتِ محمدٍ ﷺ ومبعثِه ونبوَّتِه .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ : كتَموا شأنَ محمدٍ وهم يَجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ ، يَأْمُرُهم بالمعروفِ ويَنْهاهم عن المنكرِ[٤] .

٣١١/٣ / حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴾ . يقولُ : يَكْتُمون شأنَ محمدٍ ﷺ ، وهم يَجِدونه مكتوبًا عندَهم فى التوراةِ والإنجيلِ ، يَأْمُرُهم بالمعروفِ ويَنْهاهم عن المنكرِ[٥] .

---

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٤٦٣.

(٢) المصدر السابق ٢/ ٣٦٢.

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/٦٠٥ - ٦٠٧ .

(٤) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٧٨ عقب الأثر (٣٦٧٦) معلقًا .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٧٨ عقب الأثر (٣٦٧٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

حدَّثني القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ﴾ : الإسلامَ ، وأمرَ محمدٍ ﷺ ، ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ﷺ ، وأن الدينَ الإسلامُ[1] .

وأما قولُه : ﴿وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ . فإنه يعنى به : وأنتم تَعْلَمون أن الذى تَكْتُمونه مِن الحقِّ حقٌّ ، وأنه مِن عندِ اللَّهِ .

وهذا القولُ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ خبرٌ عن تَعَمُّدِ أهلِ الكتابِ الكفرَ به ، وكتمانِهم ما قد علِموا مِن نبوةِ محمدٍ ﷺ ووجَدوه فى كتبِهم ، وجاءَتهم به أنبياؤُهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى صفةِ المعنى الذى أمَرَت به هذه الطائفةُ مَن أمَرَت به ، مِن الإيمانِ وَجْهَ النهارِ وكفرِ[2] آخرَه ؛ **فقال بعضُهم** : كان ذلك أمرًا منهم إياهم بتصديقِ النبىِّ ﷺ فى نبوتِه ، وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، وأنه حقٌّ فى الظاهرِ ، مِن غيرِ تصديقِه فى ذلك بالعزمِ واعتقادِ القلوبِ على ذلك ، وبالكفرِ به ، وجُحودِ ذلك كلِّه فى آخرِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓا۟ ءَاخِرَهُۥ﴾ . فقال بعضُهم لبعضٍ : أَعْطُوهم الرضا بدينِهم أولَ النهارِ ، واكْفُروا آخرَه ، فإنه أجدرُ

(١) ذكره ابن عطية فى المحرر الوجيز ٢/ ٤٦٣.

(٢) فى م : « الكفر » .

أن يُصَدِّقوكم ، ويَعْلَموا أنكم قد رأيتم فيهم ما تَكْرَهون ، وهو أجدرُ أن يَرْجِعوا عن دينِهم[(١)] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا مُعَلَّى بنُ أسدٍ ، قال : ثنا خالدٌ ، عن حُصينٍ ، عن أبي مالكٍ في قولِه : ﴿ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ ﴾ . قال : قالت اليهودُ : آمِنوا معَهم أولَ النهارِ ، واكْفُروا آخرَه لعلهم يَرْجِعون معَكم[(٢)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السُّديِّ : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكْفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : كان أحْبارُ قُرى عربيَّةَ[(٣)] اثْنَىْ عشَرَ حبرًا ، فقالوا لبعضِهم : ادْخُلوا في دينِ محمدٍ أولَ النهارِ وقولوا : نَشْهَدُ أن محمدًا حقٌّ صادقٌ . فإذا كان آخرُ النهارِ فاكْفُروا وقولوا : إنا رجَعْنا إلى علمائِنا وأحْبارِنا فسأَلْناهم ، فحدَّثونا أن محمدًا كاذبٌ ، وأنكم لستم على شيءٍ ، وقد رجَعْنا إلى دينِنا فهو أعجبُ إلينا مِن / دينِكم . لعلهم يَشُكُّون ؛ يقولون : هؤلاء كانوا معَنا أولَ النهارِ ، فما بالُهم ؟ فأخْبَرَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ رسولَه ﷺ بذلك[(٤)] .

٣١٢/٣

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن حُصينٍ ، عن أبي مالكٍ الغِفاريِّ ، قال : قالت اليهودُ بعضُهم لبعضٍ : أسْلِموا أولَ النهارِ وارْتَدُّوا آخرَه

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٣، بأطول منه ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٩/٢ (٣٦٨٢) عن الحسن به بعضه .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٢ - تفسير) عن خالد به ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٧٩/٢ (٣٦٨١) من طريق السدي ، عن أبي مالك نحوه .

(٣) قرى عربية : قرى بالحجاز معروفة . معجم ما استعجم ٣/ ٩٢٩، ٩٣٠.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٤٢، ٤٣ إلى المصنف . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (تحقيق حكمت بشير ياسين) ٣٣٧/٢ (٧٦٤) من طريق أحمد بن المفضل به . قال : كان أحبار قرى عربية اثنى عشر حبرًا .

لعلهم يَرْجِعون . فأطلَع اللَّهُ [١/٤٢٠ظ] على سرِّهم ، فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ .

وقال آخرون : بل الذى أمَرَت[١] به مِن الإيمانِ الصلاةُ ، وحضورُها معهم أولَ النهارِ ، وبتركِ[٢] ذلك آخرَه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ : يهودُ تقولُه ، صلَّت مع محمدٍ صلاةَ الصبحِ ، وكفَروا آخرَ النهارِ ؛ مَكْرًا منهم ، ليُرُوا الناسَ أن قد بَدَت لهم منه الضلالةُ بعدَ أن كانوا اتَّبَعوه[٣] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ بمثلِه .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ الآية : وذلك أن طائفةً مِن اليهودِ قالوا : إذا لقِيتُم أصحابَ محمدٍ ﷺ أولَ النهارِ فآمِنوا ، وإذا كان آخرَه فصلُّوا صلاتَكم ، لعلهم يقولون : هؤلاء أهلُ الكتابِ ، وهم أعلمُ منا . لعلهم ينقلبون عن دينِهم ، ولا تُؤْمِنوا إلا لمن تبِع دينَكم[٤] .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أمرته » .

(٢) فى م ، س : « ترك » ، وفى ت ٢ : « نترك » .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٣ ، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٧٩/٢ (٣٦٨٤) .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ (٣٦٨٦ ، ٣٦٨٩) عن محمد بن سعد به دون قوله : =

فتأويلُ الكلامِ إذن : ﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ . يعنى : مِن اليهودِ الذين يَقْرَءون التوراةَ : ﴿ ءَامِنُوا ﴾ : صَدِّقوا ، ﴿ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ ، وذلك ما جاءهم به محمدٌ ﷺ مِن الدينِ الحقِّ وشَرائعِه وسننِه ، ﴿ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ . يعنى : أوَّل النهارِ .

وسُمِّى أولُه وجهًا له ؛ لأنه أحسنُه ، وأولُ ما يُواجِهُ الناظرَ فيراه منه ، كما يقالُ لأولِ الثوبِ : وجهُه . وكما قال ربيعُ بنُ زِيادٍ[(١)] :

مَن كان مَسْرُورًا بمَقْتَلِ مالكٍ فَلْيَأْتِ نِسوتَنا بوَجْهِ نهارِ

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك قال جماعةٌ مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

٣١٣/٣ /حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ : أوَّلَ النهارِ[(٢)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ : ﴿ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ : أولَ النهارِ ، ﴿ وَٱكْفُرُوٓا ءَاخِرَهُۥ ﴾ . يقولُ : آخرَ النهارِ[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن

= ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ .

(١) البيت فى مجاز القرآن ١/ ٩٧، وحماسة أبى تمام ١/ ٤٩٤.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٣ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٧٩ عقب الأثر (٣٦٨٣) من طريق ابن أبى جعفر به بنحوه مقتصرًا على الجزء الأول ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٣ إلى المصنف .

مُجاهدٍ : ﴿ ءَامِنُوا بِالَّذِيَ أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ ﴾ . قال : قالوا[1] : صلُّوا معهم الصبحَ ، ولا تُصَلُّوا معهم آخرَ النهارِ ، لعلكم تَسْتَزِلُّونهم بذلك .

وأما قولُه : ﴿ وَاكْفُرُوا ءَاخِرَهُ ﴾ . فإنه يعنى به أنهم قالوا : واجْحَدوا ما صدَّقْتُم به مِن دينِهم فى وجهِ النهارِ ، فى آخرِ النهارِ ، ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . يعنى بذلك : لعلهم يَرْجِعُون عن دينِهم معكم ويَدَعُونه .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . يقولُ : لعلهم يَدَعُون دينَهم ، ويَرْجِعون إلى الذى أنتم عليه[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : لعلهم ينقلِبون عن دينِهم[4] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ : لعلهم يَشُكُّون[5] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن

---

(١) فى النسخ ، « قال » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٨٩) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٩٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ (٣٦٨٩) عن محمد بن سعد به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٠/٢ عقب الأثر (٣٦٨٩) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

مُجاهِدٍ قولَه : ﴿ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ . قال : يرجِعون عن دينِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : ولا تُصَدِّقوا إلا مَن تبع دينَكم فكان يهوديًّا .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ عن قولِ الطائفةِ الذين قالوا لإخوانِهم مِن اليهودِ : ﴿ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ ﴾ .

واللامُ التى فى قولِه : ﴿ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ . نظيرةُ اللامِ التى فى قولِه : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم ﴾ [النمل : ٧٢] . بمعنى : ردِفَكم[1] .

وبنحوِ ما قلنا فى تأويلِ ذلك ، قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ : هذا قولُ بعضِهم لبعضٍ[2] .

٣١٤/٣ / حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ مثلَه[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ . قال : لا تُؤْمِنوا إلا لمَن تبِع اليهوديةَ[3] .

---

(١) بعده فى م : « بعض الذى تستعجلون » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٨١ (٣٦٩٢) من طريق أحمد بن مفضل به .

حدَّثني يونُسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ . قال : لا تُؤْمِنوا إلا لمَن آمَن بدينِكم [1] ؛ من خالَفه ، فلا تُؤْمِنوا به .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ .

اختَلَف أهلُ التأويلِ في تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : قولُه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ . اعتراضٌ [2] به في وسطِ الكلامِ ، خبرًا [3] مِن اللَّهِ عن أن البيانَ بيانُه ، والهدَى هداه . قالوا : وسائرُ الكلامِ بعدَ ذلك [١/٤٢١و] مُتَّصلٌ بالكلامِ الأولِ ، خبرًا [3] عن قِيلِ اليهودِ بعضِها لبعضٍ . فمعنى الكلامِ عندَهم : ولا تُؤْمِنوا إلا لمَن تبِع دينَكم ، ولا تُؤْمِنوا أن يُؤْتَى أحدٌ مثلَ ما أوتيتُم ، أو أن يُحاجُّوكم عندَ ربِّكم . أيْ : ولا تُؤْمِنوا أن يُحاجَّكم أحدٌ عندَ ربِّكم . ثم قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّه ﷺ : قل يا محمدُ : إن الفضلَ بيدِ اللَّهِ يُؤْتِيه مَن يَشاءُ ، وإن الهدَى هدَى اللَّهِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ في قولِه : ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ : حسدًا مِن يهودَ أن تكونَ

---

(١) بعده في م : « لا » .

(٢) في م : « اعترض » .

(٣) في م : « خبر » .

النبوةُ فى غيرِهم ، وإرادةَ أن يُتَّبَعوا[(١)] على دينِهم[(٢)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

وقال آخرون : تأويلُ ذلك : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ : ﴿ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ ﴾ : إن البيانَ بيانُ اللَّهِ . ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ ﴾ ، قالوا : ومعناه : لا يُؤْتَى أحدٌ مِن الأممِ ﴿ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ ، كما قال : ﴿ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّوا۟ ﴾ [النساء : ١٧٦] . بمعنى : لا تَضِلُّون . وكقولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [الشعراء : ٢٠٠، ٢٠١] . بمعنى : ألا يؤمنوا . ﴿ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ يقولُ : مثلَ ما أُوتِيتَ أنت يا محمدُ وأُمَّتُك مِن الإسلامِ والهدَى ، ﴿ أَوْ[(٣)] يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ . قالوا : ومعنى ﴿ أَوْ ﴾ : إلا . أىْ : إلا أن يُحاجُّوكم . يعنى : إلا أن يُجادِلوكم عندَ ربِّكم ، عندَ[(٤)] ما فعَل بهم ربُّكم[(٥)] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدىِّ : قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ لمحمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ . يقولُ : مثلَ ما أُوتِيتُم يا أمةَ محمدٍ . ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ ،

---

(١) فى س : « ينقلبوا » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨١/٢ (٣٦٩٧) .

(٣) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « أن » .

(٤) سقط من : ت٢، وفى س : « بمعنى » .

(٥) فى س : « وبكم » .

يقولُ[1] اليهودُ : فعَل اللَّهُ بنا[2] كذا وكذا مِن الكرامةِ ، حتى أنْزَل علينا المنَّ والسَّلْوَى . فإن الذى أعْطَيْتُكم[3] أفضلُ ، فقولوا : ﴿ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ الآية[4] .

فعلى هذا التأويلِ جميعُ هذا الكلامِ مِن اللَّهِ [5]نبيِّه محمدًا[5] ﷺ أن يقولَه / لليهودِ ، وهو مُتلاصِقٌ[6] بعضُه ببعضٍ لا اعْتراضَ فيه . والهُدَى الثانى ردٌّ على الهُدَى الأولِ ، و ﴿ أَن ﴾ فى موضعِ رفعٍ على أنه خبرٌ عن الهدَى . ٣١٥/٣

وقال آخرون : بل هذا أمرٌ مِن اللَّهِ نبيَّه أن يقولَه لليهودِ . وقالوا : تأويلُه : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ : ﴿ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ ﴾ مِن الناسِ ﴿ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ . يقولُ : مثلَ الذى أُوتِيتُموه أنتم يا معشرَ اليهودِ مِن كتابِ اللَّهِ ، ومثلَ نبيِّكم ، لا تَحْسُدوا المؤمنين على ما أعْطَيْتُهم مثلَ الذى أعْطَيْتُكم مِن فضلى ، فإن الفضلَ بيدى أُوتِيه مَن أشاءُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ . يقولُ : لمَّا أنْزَل اللَّهُ كتابًا مثلَ كتابِكم ، وبعَث نبيًّا مثلَ نبيِّكم ، حسَدْتُموهم على ذلك ، ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ الآية[7] .

---

(١) فى م ، س : « تقول » .

(٢) فى س : « بكم » .

(٣) فى س : « أعطيكم » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم مفرقا فى تفسيره ٦٨١/٢ (٣٦٩٦) ، ٦٨٢/٢ (٣٦٩٨) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٥ - ٥) فى م : « لنبيه محمد » .

(٦) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « مثل » .

(٧) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٢/٢ عقب الأثر (٣٧٠٠) معلقا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ،عن الربيعِ مثلَه[١] .

وقال آخرون : بل[٢] تأويلُ ذلك : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ : ﴿ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ أنتم يا معشرَ اليهودِ مِن كتابِ اللَّهِ . قالوا : وهذا آخِرُ القولِ الذي أمَر اللَّهُ به نبيَّنا محمدًا ﷺ أن يقولَه لليهودِ مِن هذه الآيةِ . قالوا : وقولُه : ﴿ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ ﴾ . مردودٌ على قولِه : ﴿ وَلَا تُؤْمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ﴾ .

وتأويلُ الكلامِ على قولِ أهلِ هذه المَقالةِ : ولاتُؤْمِنوا إلا لمَن تبِع دينَكم فتتْرُكوا الحقَّ ، أن يُحاجُّوكم به عندَ ربِّكم مَن اتَّبعْتم دينَه ، فأخبَرْتُموه[٣] أنه مُحِقٌّ ، وأنكم تجِدون نعتَه في[٤] كتابِكم . فيكونُ حينَئذٍ قولُه : ﴿ أَوْ[٥] يُحَآجُّوكُمْ ﴾ . مردودًا على جوابِ نهيٍ[٦] متروكٍ على قولِ هؤلاء .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ ﴾ . يقولُ : هذا الأمرُ الذي أنتم عليه ، ﴿ أَن يُؤْتَىٰٓ أَحَدٌ مِّثْلَ مَآ أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ ﴾ . قال : قال بعضُهم لبعضٍ : لا تُخبِروهم بما بيَّنَ اللَّهُ لكم في كتابِه ليُحاجُّوكم . قال : ليُخاصِموكم به

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٢/٢ (٣٧٠٠) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٢) سقط من : ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

(٣) في ص ، م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « فاخترتموه » .

(٤) في س : « من » .

(٥) في ص ، ت ١: « أن » .

(٦) في ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « النهي » .

عندَ ربِّكم ، ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ .

(١)قال أبو جعفرٍ : وأولى الأقوالِ في ذلك بالصوابِ أن يكونَ قوله : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾(١) مُعْتَرِضًا(٢) به ، وسائرُ الكلامِ مُتَّسِقًا(٣) على سياقٍ واحدٍ .

فيكونُ تأويلُه حينَئذٍ : ولا تُؤْمِنوا إلا لمن تبع(٤) دينَكم ، ولا تُؤْمِنوا أن يُؤْتَى أحدٌ مثلَ ما أُوتيتُم . بمعنى : لا يُؤْتَى أحدٌ مثلَ(٥) ما أُوتيتُم ، ﴿أَوْ(٦) يُحَآجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ﴾ بمعنى : أو أن يُحاجَّكم(٧) عندَ ربِّكم أحدٌ بإيمانِكم ؛ لأنكم أكْرَمُ على اللَّهِ منهم ، بما فضَّلكم به عليهم .

فيكونُ الكلامُ كلُّه خبرًا عن قولِ الطائفةِ التى قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ءَامِنُوا۟ بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَجْهَ ٱلنَّهَارِ﴾ . سوى قولِه : ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ . ثم يكونُ الكلامُ(٨) مُبتدأً بتكذيبِهم فى قولِهم(٩) : ﴿قُلْ﴾ يا محمدُ للقائلين ماقالوا ، مِن الطائفةِ التى وصَفْتُ لك قولَها لتُبَّاعِها مِن اليهودِ : ﴿إِنَّ ٱلْهُدَىٰ هُدَى ٱللَّهِ﴾ . إن التوفيقَ توفيقُ اللَّهِ ، / والبيانَ بيانُه ، وإن الفضلَ بيدِه يُؤْتِيه مَن يَشاءُ ، لا ما تَمَنَّيْتُموه أنتم يا معشرَ اليهودِ . ٣١٦/٣

(١ - ١) سقط من النسخ ، واستظهرناه من عادة المصنف فى تفسيره ، ويؤيده ما سيأتى .

(٢) فى م : « معترض » .

(٣) فى م : « متسق » .

(٤) فى م : « اتبع » .

(٥) فى م : « بمثل » .

(٦) فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « أن » .

(٧) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يحاجوكم » .

(٨) بعده فى س : « متنه » .

(٩) فى س : « قوله » .

وإنما اخترْنا ذلك مِن سائرِ الأقوالِ التى ذكَرْناها ؛ لأنه أصحُّها [١/٤٢١ظ] معنًى ، وأحسنُها استقامةً على معنى كلامِ العربِ ، وأشدُّها اتساقًا على نَظْمِ الكلامِ وسياقِه ، وماعدا ذلك مِن القولِ فانتزاعٌ يَبْعُدُ مِن الصحةِ ، على اسْتِكراهٍ شديدٍ للكلامِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : ﴿ قُلْ ﴾ يا محمدُ لهؤلاء اليهودِ الذين وصَفْتُ[(١)] قولَهم لأوليائِهم : ﴿ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ ﴾ . إن[(٢)] التوفيقَ للإيمانِ والهدايةَ للإسلامِ بيدِ اللَّهِ ، وإليه دونَكم ودونَ سائرِ خلقِه ، ﴿ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ ، من خلقِه ، يعنى : يُعْطِيه مَن أراد مِن عبادِه . تَكْذيبًا مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ لهم فى قولِهم لتُبَّاعِهم : لا يُؤْتَى أحدٌ[(٣)] مثلَ ما أُوتِيتم . فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّه ﷺ : قلْ لهم : ليس ذلك إليكم ، إنما هو إلى اللَّهِ الذى بيدِه الأشياءُ كلُّها ، وإليه الفضلُ وبيدِه ، يُعْطِيه مَن يَشاءُ . ﴿ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ . يعنى : واللَّهُ ذو سَعَةٍ بفضلِه على مَن يَشاءُ أن يَتَفضَّلَ عليه . ﴿ عَلِيمٌ ﴾ : ذو علمٍ بمَن هو منهم للفضلِ أهلٌ .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سويدُ بنُ نصرٍ ، قال : أخبَرَنا ابنُ المُبارَكِ قراءةً ، عن ابنِ جريجٍ فى قولِه : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ﴾ . قال : الإسـلامُ[(٤)] .

(١) بعده فى س : « لك » .
(٢) فى س : « أى » .
(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .
(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٣/٢ إلى المصنف .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ ﴾ : « يفتعِل » ، مِن قولِ القائلِ : خصَصْتُ فلانًا بكذا ، أَخُصُّه به .

وأما « رحمتُه » فى هذا الموضعِ ، فالإسلامُ والقرآنُ ، مع النبوةِ .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ ﴾ . قال : النبوةُ ، يختصُّ[1] بها مَن يَشاءُ[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ ﴾ . قال : يختصُّ بالنبوةِ مَن يشاءُ[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا سويدٌ ، قال : أخبَرَنا ابنُ المُبارَكِ قراءةً ، عن ابنِ جريجٍ : ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۗ ﴾ . قال : القرآنُ والإسلامُ .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ،عن ابنِ جريجٍ مثلَه .

﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ . يقولُ : ذو فضلٍ يتفضَّلُ به على مَن أحبَّ وشاء مِن خلْقِه . ثم وصَف فضلَه بالعِظَمِ[4] ، فقال : فضلُه عظيمٌ ؛ لأنه غيرُ

---

(١) فى م : « يخص » .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٢/٢ (٣٧٠٢) .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فىتفسيره ٦٨٢/٢ عقب الأثر (٣٧٠٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى ت ١، س : « بالعظيم » .

مُشْبهِه[١] فى عِظَمِ موقعِه - ممَّن أفْضَلَه[٢] عليه[٣] - إفضالُ خلقِه ، ولا يُقارِبُه فى جَلالةِ خَطَرِه ولا يُدانِيه .

٣١٧/٣ /**القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤُه** : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ ﴾ .

وهذا خبرٌ مِن اللَّهِ عزَّ وجل أن مِن أهلِ الكتابِ - وهم اليهودُ مِن بنى إسرائيلَ - أهلَ أمانةٍ يُؤَدُّونها ولا يَخُونُونها ، ومنهم الخائنُ أمانتَه ، الفاجرُ فى يمينِه ، المُسْتَحِلُّ .

فإن قال قائلٌ : وما وجهُ إخبارِ اللَّهِ عز وجل بذلك نبيَّه ﷺ ، وقد علِمْتَ أن الناسَ لم يَزالُوا كذلك ، منهم المُؤَدِّى أمانتَه والخائنُها ؟

قيل : إنما أراد جلَّ وعزَّ بإخبارِه المؤمنين خبرَهم - على ما بيَّنه فى كتابِه بهذه الآياتِ - تحذيرَهم أن يأْتَمِنوهم على أموالِهم ، وتَخْويفَهم الاغْتِرارَ بهم ؛ لاسْتِحْلالِ كثيرٍ منهم أموالَ المؤمنين .

فتأويلُ الكلامِ : ومِن أهلِ الكتابِ الذى إن تأْمَنْه يا محمدُ على عظيمٍ مِن المالِ كثيرٍ يُؤَدِّه إليك ، ولا يَخُنْك فيه ، ومنهم الذى إن تأْمَنْه على دينارٍ يَخُنْك فيه ، فلا يُؤَدِّه إليك إلا أن تُلِحَّ عليه بالتَّقاضِى والمطالبةِ .

والباءُ فى قولِه : ﴿ بِدِينَارٍ ﴾ . و« علَى » يَتَعاقَبان فى هذا الموضِعِ ، هذا كما يقالُ : مرَرْتُ به ، ومرَرْتُ عليه .

واختَلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًاۗ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : إلا ما دُمْتَ له مُتَقاضِيًا .

---

(١) فى م : « مشبه » .
(٢) فى ت ١ : « فضله » .
(٣) بعده فى ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « من » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ : إلا ما طلَبْتَه واتَّبعْتَه[1] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخبَرنا مَعْمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ . قال : تَقْتَضِيه إياه[2] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ فى قولِه : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ . قال : مُواكِظًا[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ مثلَه .

وقال آخَرون : معنى ذلك : إلا ما دُمْتَ[4] قائمًا على رأسِهِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ الـمُفَضَّلِ ، قال : ثنا أَسْباطُ ، عن

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٣/٢ عقب الأثر (٣٧٠٨) معلقًا .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٣.

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ : « مواكصا » ، وفى م ، وتفسير مجاهد ، ومطبوعة الدر المنثور : « مواظبا » ، والمثبت من تفسير ابن أبى حاتم ، ونسخة مخطوطة من الدر المنثور ، وهو صواب ما فى النسخ الأولى عندنا ، وواكظ وواظب بمعنى ، ينظر النهاية ٢٢٠/٥، والتاج (و ك ظ) ، ونص أن قول مجاهد : مواكظا .

والأثر فى تفسير مجاهد ص ٢٥٤، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره (تحقيق حكمت بشير ياسين) ٣٤٧/٢ (٨٠٤) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) بعده فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « عليه » .

السديّ قولَه : ﴿ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ﴾ . يقولُ : يَعْتَرِفُ بأمانتِه ما دُمْتَ قائمًا على رأسِه ، فإذا قُمْتَ ثم جئتَ تَطْلُبُه ، كافَرَك[1] الذى يُؤَدِّى والذى يَجْحَدُ[2] .

وأولى القَولَين بتأويلِ الآيةِ قولُ مَن قال : معنى ذلك : إلا ما دُمْتَ عليه قائمًا بالمطالبةِ والاقْتِضاءِ . مِن/ قولِهم : قام فلانٌ بحقى على فلانٍ[3] حتى اسْتَخْرَجَه لى . أىْ : عمِل فى تخليصِه ، وسعَى فى استخراجِه منه حتى اسْتَخْرَجَه ؛ لأن اللَّهَ عز وجل إنما وصَفَهم باستحلالِهم أموالَ الأُمِّيِّين ، وأن منهم مَن لا يَقْضِى ما عليه إلا بالاقْتِضاءِ الشديدِ والمُطالَبةِ ، وليس القيامُ على رأسِ الذى عليه الدَّيْنُ بمُوجِبٍ له النُّقْلَةَ عما هو عليه مِن اسْتِحلالِ ما هو له مُسْتَحِلٌّ ، ولكن قد يَكونُ - مع استحلالِه الذَّهابَ بما عليه لربِّ الحقِّ - إلى اسْتِخْراجِه السبيلُ بالاقتضاءِ والمحاكمةِ والمُخاصَمةِ ، فذلك الاقْتِضاءُ هو قيامُ ربِّ المالِ باسْتِخراجِ حقِّه ممَّن هو عليه .

٣١٨/٣

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه أن مَن اسْتَحَلَّ الخِيانةَ مِن اليهودِ ، وجُحودَ حقوقِ العربىِّ التى هى له عليه ، فلم يُؤَدِّ ما ائْتَمَنه العربىُّ عليه إليه إلا ما دام له مُتَقاضِيًا مُطالِبًا ، مِن أجلِ أنه يقولُ : لا حرَجَ علينا فيما أصَبْنا مِن أموالِ العربِ ولا إثمَ ؛ لأنهم على غيرِ الحقِّ ، وأنهم مُشْرِكون .

واختَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم نحوَ قولِنا فيه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قَتادةَ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟

---

(١) كافره حقَّه : جحده . اللسان (ك . ف . ر) .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٣/٢ (٣٧٠٩) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٣) بعده فى س : « إلى سنة » .

لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ الآية . قالت اليهودُ : ليس علينا فيما أصَبْنا مِن أموالِ العربِ سبيلٌ[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخْبَرَنا مَعْمرٌ ، عن قَتادةَ فى قولِه : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ . قال : ليس علينا فى المشركين سبيلٌ . يَعْنون مَن ليس مِن أهلِ الكتابِ[(٢)] .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ . قال : يُقالُ له : ما بالُك لا تُؤَدِّى أمانتَك ؟ فيقولُ : ليس علينا حرَجٌ فى أموالِ العربِ ، قد أحلَّها اللَّهُ لنا[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا يَعقوبُ القُمِّىُّ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ : لمَّا نزَلَت : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾ . قال : قال النبىُّ ﷺ : « كذَب أعداءُ اللَّهِ ، ما مِن شىءٍ كان فى الجاهليةِ إلا وهو تحتَ قدَمىَّ ، إلا الأمانةُ ، فإنها مُؤَدَّاةٌ إلى البَرِّ والفاجرِ »[(٤)] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا هشامُ بنُ عُبيدِ اللَّهِ ، عن يعقوبَ القُمِّىِّ ، عن جعفرٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، قال : لما قالت اليهودُ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٤ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٣، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٨٥ (٣٧١٥) عن الحسن بن يحيى به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٨٤ (٣٧١٣) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٨٤ (٣٧١٢) من طريق يعقوب القمى به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٤ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ ﴾ : يعْنون أخذَ أموالِهم ، قال رسولُ اللهِ ﷺ . ثم ذكَر نحوَه ، إلا أنه قال : « إلا وهو تحتَ قدَمَيَّ هاتين ، إلا الأمانةُ ، فإنها مُؤدَّاةٌ » . ولم يَزِدْ على ذلك .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : /﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ ﴾ : وذلك أن أهلَ الكتابِ كانوا يقولون : ليس علينا جُناحٌ فيما أصَبْنا مِن هؤلاء ؛ لأنهم أُمِّيُّون . فذلك قولُه : ﴿ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ ﴾ . إلى آخرِ الآيةِ .

٣١٩/٣

وقال آخَرون فى ذلك ما حدَّثنا به القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُواْ لَيۡسَ عَلَيۡنَا فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٞ ﴾ . قال : بايَع اليهودَ رجالٌ مِن المسلمين فى الجاهليةِ ، فلما أسلَموا تَقاضَوهم ثمنَ بُيوعِهم ، فقالوا : ليس لكم علينا أمانةٌ ، ولا قضاءَ لكم عندَنا ؛ لأنكم ترَكتم دينَكم الذى كنتم عليه . قال : وادَّعَوا أنهم وجَدوا ذلك فى كتابِهم ، فقال اللهُ عز وجل : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا سفيانُ ، عن أبى إسحاقَ ، عن صَعْصَعةَ ، قال : قلتُ لابنِ عباسٍ : [(٢)]إنا نغزُو[(٢)] أهلَ الكتابِ ، فنُصيبُ من ثمارِهم ؟

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٤/٢ (٣٧١٤) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٤/٢ إلى ابن المنذر .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أنا تمن » ، وفى س : « إناقن » ، وفى الأموال وتفسير ابن أبى حاتم : « إنا نسير فى أرض » . وصواب ما فى النسخ الأخرى : إنا نمر بأهل الكتاب . لما أخرجه أبو عبيد فى الأموال (٤١٤) من طريق آخر ، عن ابن عباس : إنا نمر بأهل الذمة ...

قال : وتقولون كما قال أهلُ الكتابِ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّـنَ سَبِيلٌ ﴾[1] !

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أَخْبَرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أَخْبَرَنا مَعْمرٌ ، عن أبى إسحاقَ الهمْدانيِّ ، عن صعصعةَ ، أن رجلاً سأَل ابنَ عباسٍ ، فقال : إنا نُصيبُ فى العُرْفِ[2] أو العَذْقِ - الشكُّ مِن الحسنِ - مِن أموالِ أهلِ الذِّمَّةِ الدَّجاجةَ والشاةَ . فقال ابنُ عباسٍ : فتقولون ماذا ؟ قال : نقولُ : ليس علينا بذلك بأسٌ . قال : هذا كما قال أهلُ الكتابِ : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّـنَ سَبِيلٌ ﴾ . إنهم إذا أدَّوُا الجزيةَ لم تَحِلَّ لكم أموالُهم إلا بطِيبِ أنفسِهم[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤه أن القائلين منهم : ليس علينا فى أموالِ الأُمِّيِّين مِن العربِ حَرَجٌ أن نَخْتانَهم إياه . يقولون - بقِيلِهم : إن اللَّهَ جلّ ثناؤه أحَلَّ لنا ذلك ، فلا حرجَ علينا فى خيانتِهم إياه ، وتركِ قضائِهم - الكذبَ على اللَّهِ ، عامِدِينَ الإثمَ بقيلِ الكذبِ على اللَّهِ ، أنه أحلَّ ذلك لهم ، وذلك قولُه عز وجل : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ .

كما حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسْباطُ ، عن السديِّ : فيقولُ على اللَّهِ الكذبَ وهو يَعْلَمُ - يعنى الذى يقولُ منهم - إذا قيل له : ما لَكَ لا تُؤَدِّى

---

(١) أخرجه أبو عبيد فى الأموال ص ١٩٧ (٤١٥) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٤/٢ (٣٧١١) من طريق سفيان الثورى به .

(٢) فى ت ٣: « العرب » ، وفى تفسير عبد الرزاق ، والدر المنثور : « الغزو » . والعُرْفُ : ضرب من النخل فى كلام أهل البحرين ، تسمى البُرْشُوم . التاج (ع ر ف) . ويدل على صواب ما فى النسخ أنه قال: أو العذق . والعذق النخلة ، وقيل : النخلة بحملها .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٣، وأخرجه ابن زنجويه فى الأموال (٦٢٤) ، والبيهقى ١٩٨/٩ من طريق أبى إسحاق به . ووقع عند البيهقى زيد بن صعصعة . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٤/٢ إلى ابن المنذر .

أمانتَك ؟ - : ليس علينا حرَجٌ في أموالِ العربِ ، قد أحَلَّها اللَّهُ لنا[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيْجٍ : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : يعنى ادِّعاءَهم أنهم وجَدوا في كتابِهم قولَهم : ﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾[(٢)] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾ .

وهذا إخبارٌ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ [(٣)]عمَّـا لمن[(٣)] أدَّى أمانتَه إلى مَن ائْتَمَنه عليها ؛ اتِّقاءَ اللَّهِ ومُراقبتَه ، عندَه[(٤)] ، فقال/ جل ثناؤُه : ليس الأمرُ كما يقولُ هؤلاءِ الكاذِبون ٣٢٠/٣ على اللَّهِ مِن اليهودِ ، مِن أنه ليس عليهم في أموالِ الأميين حرَجٌ ولا إثمٌ . ثم قال : ﴿ بَلَىٰ ﴾ . ولكن ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ ﴾ يعنى : ولكن الذى أوْفَى بعهدِه . وذلك وصيتُه إيَّاهم التى أوْصاهم بها في التوراةِ ، مِن الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ وما جاءَهم به . والهاءُ في قولِه : ﴿ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ ﴾ . عائدةٌ على اسمِ « اللَّهِ » في قولِه : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ﴾ . يقولُ : بلى مَن أوْفَى بعهدِ اللَّهِ الذى عاهَدَه في كتابِه ، فآمَنَ بمحمدٍ ﷺ وصدَّق به وبما جاءَ به مِن اللَّهِ ، مِن أداءِ الأمانةِ إلى مَن ائْتَمَنه عليها ، وغيرِ ذلك مِن أمرِ اللَّهِ ونهيِه ، ﴿ وَٱتَّقَىٰ ﴾ . يقولُ : واتَّقَى ما نهاه اللَّهُ عنه من الكفرِ به ، وسائرِ مَعاصيه التى حرَّمها عليه ، فاجْتَنَب ذلك ؛ مُراقبةَ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٨٥/٢ (٣٧١٦) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) تقدم تخريجه فى ص ٥١٢ .

(٣ - ٣) فى م : « عمن » .

(٤) فى م : « وعيده » . وسياق الكلام : « وهذا إخبار من اللَّه عز وجل عما عنده لمن أدى أمانته إلى من ائتمنه عليها ؛ اتقاء اللَّه ومراقبته » .

وعيدِ اللَّهِ ، وخوفَ عقابِه ، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ . يعنى : فإن اللَّهَ يُحِبُّ الذين يَتَّقونه ، فيَخافون عقابَه ، ويَحْذَرون عذابَه ، فيَجْتَنِبون ما نهاهم عنه وحرَّمه عليهم ، ويُطِيعونه فيما أمَرَهم به .

وقد رُوِى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يقولُ : هو اتِّقاءُ الشركِ .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنا معاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ بَلَىٰ مَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ وَٱتَّقَىٰ ﴾ . يقولُ : اتَّقَى الشركَ ، ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ . يقولُ : الذين يتَّقُون الشركَ[(١)] .

وقد بيَّنَّا اختلافَ أهلِ التأويلِ فى ذلك ، والصوابَ مِن القولِ فيه بالأدلةِ الدالةِ عليه فيما مضَى مِن كتابِنا ، بما فيه الكفايةُ عن إعادتِه[(٢)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه : إن الذين يَسْتَبْدِلون بترْكِهم عهدَ اللَّهِ الذى عهِد إليهم ، ووصيتَه التى أَوْصاهم بها فى الكتبِ التى أنْزَلها اللَّهُ إلى أنبيائِه ، باتِّباعِ محمدٍ وتصديقِه ، والإقرارِ به ، وما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، وبأَيمانِهم الكاذبةِ التى يَسْتَحِلُّون بها ما حرَّم اللَّهُ عليهم مِن أموالِ الناسِ التى ائتُمِنوا عليها ، ﴿ ثَمَنًا ﴾ . يعنى : عِوَضًا وبَدَلًا ، [(٣)] ﴿ قَلِيلًا ﴾ . يقولُ[(٣)] : خَسيسًا مِن عَرَضِ الدنيا وحُطامِها ، ﴿ أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ﴾ . يقولُ : فإن الذين يَفْعَلون ذلك لا حظَّ لهم فى خَيْراتِ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٤، إلى المصنف .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٣٧، ٢٣٨، ٣٨٦.

(٣ - ٣) سقط من : م .

الآخرةِ ، ولا نَصيبَ لهم مِن نعيمِ الجنةِ ، وما أَعَدَّ اللَّهُ لأهلِها فيها دونَ غيرِها .

وقد بيَّنَّا اختلافَ أهلِ التأويلِ فيما مضَى فى معنى « الخَلاقِ » ، ودلَّلْنا على أَوْلَى أقوالِهم فى ذلك بالصوابِ بما فيه الكفايةُ[1] .

وأما قولُه : ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ ﴾ . فإنه يعنى : ولا يُكَلِّمُهم اللَّهُ بما يَسُرُّهم ، ﴿ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ ﴾ يقولُ : ولا يَعْطِفُ عليهم بخيرٍ ؛ مَقْتًا مِن اللَّهِ لهم[2] . كقولِ القائلِ لآخرَ : انْظُرْ إلىَّ نظَرَ اللَّهُ إليك . بمعنى : تعَطَّفْ علىَّ تعطَّف اللَّهُ عليك بخيرٍ ورحمةٍ . وكما يقالُ للرجلِ : لا سمِعَ اللَّهُ لك دعاءَك . يُرادُ : لا اسْتَجاب اللَّهُ لك . واللهُ لا يَخْفَى عليه خافيةٌ ، وكما قال الشاعرُ[3] :

٣٢١/٣ /دعَوْتُ اللَّهَ حتى خِفْتُ ألَّا يَكونَ اللَّهُ يَسْمَعُ ما أَقولُ

وقولُه : ﴿ وَلَا يُزَكِّيهِمْ ﴾ . يعنى : ولا يُطَهِّرُهم مِن دَنَسِ ذنوبِهم وكفرِهم ، ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . يعنى : ولهم عذابٌ مُوجِعٌ .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى السببِ الذى مِن أجلِه أُنْزِلَت هذه الآيةُ ، ومَن عُنِى بها ؟ فقال بعضُهم : نزَلَت فى أحْبارٍ مِن أحْبارِ اليهودِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال: ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن عكرمةَ ، قال : نزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ فى أبى رافعٍ ، وكِنانةَ بنِ أبى الحُقَيْقِ ، وكعبِ بنِ الأشرفِ ، وحُيَىِّ

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٢/٣٦٥ - ٣٦٧ .

(٢) أى لا ينظر إليهم نظر رحمة . فالنظر هنا على حقيقته ، صفة لله جل وعز كما يليق به سبحانه .

(٣) هو شمير - ويقال : سمير - بن الحارث الضبى ، والبيت فى النوادر ص ١٢٤، والأضداد ص ١٣٧.

ابنِ أَخْطَبَ[1] .

وقال آخَرون : بل نزَلَت فى الأشعثِ بنِ قيسٍ وخَصْمٍ له .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى أبو السائبِ سَلْمُ بنُ جُنادةَ ، قال : ثنا أبو معاويةَ ، عن الأعمشِ ، عن أبى وائلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن حلَف على يمينٍ هو فيها فاجرٌ ليَقْتَطِعَ بها مالَ امرئٍ مسلمٍ ، لقِىَ اللَّهَ وهو عليه غَضْبانُ » . فقال الأشعثُ بنُ قيسٍ : فىَّ واللهِ كان ذلك ، كان بينى وبينَ رجلٍ مِن اليهودِ أرضٌ ، فجَحَدنى ، فقدَّمْتُه إلى النبىِّ ﷺ ، فقال لى رسولُ اللَّهِ ﷺ : « ألك بيِّنَةٌ ؟ » قلتُ : لا . فقال لليهودىِّ : « احْلِفْ » . قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، إذنْ يَحْلِفَ فيَذْهَبَ مالى . فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية[2] .

حدَّثنا مجاهدُ بنُ موسى ، قال : ثنا يزيدُ بنُ هارونَ ، قال : أخْبَرَنا جَريرُ بنُ حازمٍ ، عن عدىِّ بنِ عدىٍّ ، عن رَجاءِ بنِ حَيْوةَ والعُرْسِ[3] ، أنهما حدَّثاه ، عن أبيه عدىِّ بنِ عَميرَةَ[4] ، قال : كان بينَ امرئِ القيسِ[5] ورجلٍ مِن حَضْرَموتَ خُصومةٌ ، فارْتَفَعا إلى النبىِّ ﷺ ، فقال للحضرمىِّ : « بيِّنَتَك وإلَّا فيمينُه » . قال :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٥ إلى المصنف ، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٢ .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥٠٣) ، وأحمد ٦/ ٨١ (٣٥٩٧) ، ٧/ ١٤٠ (٤٠٤٩) ، والبخارى (٢٤١٦ ، ٢٤١٧ ، ٢٦٦٦ ، ٢٦٦٧) ، ومسلم (١٣٨) ، وأبو داود (٣٢٤٣) ، والترمذى (١٢٦٩) ، وابن ماجه (٢٣٢٣) ، وأبو يعلى (٥١٩٧) ، وابن منده (٥٦٦) من طريق أبى معاوية به .

(٣) هو العُرْسُ بن عَميرةَ أخو عدى بن عَميرةَ . وينظر الإصابة ٥/ ٢٦٩ ، ٢٧١ .

(٤) فى ص ، س ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « عمير » .

(٥) هو امرؤ القيس بن عابس بن المنذر ، كان على كردوس يوم اليرموك . ينظر الإصابة ١/ ١١٢ ، ١١٣ .

يا رسولَ اللَّهِ ، إن حلَفَ ذهَبَ بأرضى . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن حلَف على يمينٍ كاذبةٍ ليَقْتَطِعَ بها حقَّ أخيه ، لقِىَ اللَّهَ وهو عليه غَضْبانُ » . فقال امرُؤُ القيسِ : يا رسولَ اللَّهِ ، فما لِمَن ترَكَها وهو يَعْلَمُ أنها حقٌّ ؟ قال : « الجنةُ » . قال : فإنى أُشْهِدُك أنى قد ترَكْتُها . قال جَريرٌ : فكنتُ مع أيوبَ السَّخْتِيانىِّ حينَ سمِعْنا هذا الحديثَ مِن عدىٍّ ، فقال أيوبُ : إن عديًّا قال فى حديثِ العُرْسِ بنِ عَمِيرةَ : فنزَلَت هذه الآيةُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إلى آخرِ الآيةِ . قال جَريرٌ : ولم أحْفَظْ يومَئذٍ من عدىٍّ[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : قال آخَرون : إن الأشعثَ بنَ قيسٍ اختَصَم هو ورجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فى أرضٍ كانت فى يدِه لذلك الرجلِ ، أخَذَها لتعزُّزِه فى الجاهليةِ ، فقال النبىُّ ﷺ : « أَقِمْ بينتَك » . قال الرجلُ : ليس يَشْهَدُ لى أحدٌ على الأشعثِ . قال : « فلك يَمينُه » . [(٢)]فقام الأشعثُ ليَحْلِفَ[(٢)] ، فأنْزَلَ اللَّهُ عز وجل هذه الآيةَ ، فنكَل الأشعثُ ، وقال : إنى أُشْهِدُ اللَّهَ وأُشْهِدُكم أن خَصْمِى صادقٌ . فردَّ إليه أرضَه ، وزاده مِن أرضِ نفسِه زيادةً كثيرةً ؛ مَخافَةَ أن يَبْقَى فى يدِه شىءٌ مِن حقِّه ، فهى لعَقِبِ ذلك الرجلِ بعدَه[(٣)] .

---

(١) أخرجه أبو عبيد فى الأموال (٦٥٧) ، وأحمد ٢٩/٢٥٧(١٧٧١٨) ، والنسائى فى الكبرى (٥٩٩٦) ، من طريق يزيد بن هارون به . وأخرجه أحمد ٢٩/٢٥٤(١٧٧١٦) ، والطبرانى فى الكبير ١٧/١٠٨ (٢٦٥) ، والبيهقى ١٠/٢٥٤، وفى الشعب (٤٨٤٠) من طريق جرير بن حازم به .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « فقام الأشعث فحلف » ، وفى الدر : « فقال الأشعث : نحلف » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدرالمنثور ٢/٤٤ إلى المصنف ، إلى قوله : زيادة كثيرة .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن منصورٍ ، عن شَقيقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : مَن حلَف على يمينٍ يَسْتَحِقُّ بها مالاً ، هو فيها فاجرٌ ، لقِى اللَّهَ ، وهو عليه غَضْبانُ . ثم أنْزَل اللَّهُ تصديقَ ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية ، ثم إن الأشعثَ بنَ قيسٍ خرَج إلينا فقال : ما حدَّثكم أبو عبدِ الرحمنِ ؟ فحدَّثْناه بما قال : فقال : صدَق ، لَفِىَّ أُنْزِلَت ؛ كانت بينى وبين رجلٍ خُصومةٌ فى بئرٍ ، فاخْتَصَمْنا إلى النبىِّ ﷺ ، فقال النبىُّ ﷺ : « شاهِداك أو يمينُه » . فقلت : إذن يَحْلِفَ ولا يُبالىَ . فقال النبىُّ ﷺ : « مَن حلَف على يمينٍ يَسْتَحِقُّ بها مالًا هو فيها فاجرٌ ، لقِى اللَّهَ وهو عليه غضبانُ » . ثم أنْزَل اللَّهُ عز وجل تصديقَ ذلك : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ إلى آخرِ الآيةِ[(١)] .

وقال آخرون بما **حدَّثنا** به محمدُ بنُ المثنَّى ، قال : ثنا عبدُ الوهَّابِ ، قال : أخْبَرَنى داودُ بنُ أبى هندٍ ، عن عامرٍ ، أن رجلًا أقام سِلْعته أولَ النهارِ ، فلما كان آخرُه جاء رجلٌ يُساوِمُه ، فحلَف لقد منَعَها أولَ النهارِ مِن كذا[(٢)] ، ولولا المساءُ ما باعَها به . فأنْزَل اللَّهُ عز وجل : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ المثنَّى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن رجلٍ ، عن

---

(١) أخرجه البخارى (٢٥١٥، ٢٦٦٩) ، ومسلم (٢٢١/ ١٣٨) ، والنسائى فى الكبرى (٥٩٩٣) من طريق جرير به ، كما أخرجه أحمد ٥/ ٢١١ (الميمنية) ، والبخارى (٦٦٥٩، ٧١٨٣) من طريق منصور به .

(٢) بعده فى م ، ت ١: « وكذا » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٤، ٤٥ إلى المصنف .

مجاهدٍ نحوَه[١] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية إلى ﴿ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ : أنزَلهم اللَّهُ بمنزلةِ السَّحرةِ .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، أن عمرانَ بنَ حُصَينٍ كان يقولُ : مَن حلَف على يمينٍ فاجرةٍ يَقْتَطِعُ بها مالَ أخيه ، فلْيَتَبَوَّأْ مقعدَه مِن النارِ . فقال له قائلٌ : شيءٌ سمِعْتَه مِن رسولِ اللَّهِ ﷺ ؟ قال لهم : إنكم لَتجِدون ذلك . ثم قرَأ هذه الآيةَ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ الآية .

حدَّثني موسى بنُ عبدِ الرحمنِ المَسْروقيُّ ، قال : ثنا حسينُ بنُ عليٍّ ، عن زائدةَ ، عن هشامٍ ، قال : قال محمدٌ ، عن[٢] عمرانَ بنِ حُصينٍ : مَن حلَف على يمينٍ مَصْبورةٍ[٣] ، فلْيَتَبَوَّأْ بوجهِه مقعدَه مِن النارِ . ثم قرَأ هذه الآيةَ كلَّها : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[٤] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا ابنُ المباركِ ، عن معمرٍ ، عن الزهريِّ ، عن سعيدِ بنِ المسيَّبِ قال : /إن اليمينَ الفاجِرةَ مِن الكبائرِ . ثم تلا : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾[٥] . ٣٢٣/٣

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٤٥ إلى المصنف .

(٢) فى النسخ : « بن » .

(٣) اليمين المصبورة ، أو يمين الصبر : هى التى يلزم بها صاحبها ويحبس عليها ، وكانت لازمة له من جهة الحكم . ينظر النهاية ٣/ ٨.

(٤) أخرجه أحمد ٤/ ٤٣٦، ٤٤١ (الميمنية) ، وأبو داود (٣٢٤٢) ، والبزار (٣٦١١) ، والطبرانى ١٨/ ١٨٨ (٤٤٦) ، والحاكم ٤/٢٩٤ من طريق هشام به مرفوعًا . وأخرجه الطبرانى ١٨/ ١٨٧ (٤٤٥) من طريق محمد ابن سيرين به .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٤، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٤٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، أن عبدَ اللَّهِ بنَ مسعودٍ كان يقولُ : كنا نَرَى ونحن مع رسولِ اللَّهِ ﷺ أنّ مِن الذنبِ الذى لا يُغفَرُ يمينَ الصَّبرِ ، إذا فَجَر فيها صاحبُها[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جَلَّ ثناؤُه : وإن مِن أهلِ الكتابِ ، وهم اليهودُ الذين كانوا حَوالَىْ مدينةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ على عهْدِه ، من بنى إسرائيل .

والهاءُ والميمُ فى قولِه : ﴿ مِنْهُمْ ﴾ . عائدةٌ على « أهلِ الكتابِ » الذين ذكَرهم فى قولِه : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ﴾ .

وقولُه : ﴿ لَفَرِيقًا ﴾ . يعنى : جماعةً ، ﴿ يَلْوُونَ ﴾ . يعنى : يُحرِّفون ﴿ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ . يعنى : لِتَظُنُّوا أن الذى يُحرِّفونه بكلامِهم من كتابِ اللَّهِ وتنزيلِه . يقولُ اللَّهُ عزَّ وجلَّ : وما ذلك الذى لَوَوْا به ألسنَتَهم فحرَّفوه وأحدَثوه مِن كتابِ اللَّهِ ، ويَزعمُون أنّ مَا لَوَوْا به ألسِنتَهم من التَّحْريفِ والكذبِ والباطلِ ، فألْحَقوه فى كتابِ اللَّهِ ، ﴿ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ . يقولُ : مما أنزَله اللَّهُ على أنبيائِه ، ﴿ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ﴾ . يقولُ : وما ذلكَ الذى لَوَوْا به ألسِنَتَهم فأحْدَثوه ، مما أنزَله اللَّهُ إلى أَحدٍ من أنبيائِه ، ولكنه مما أحدَثوه مِن قِبَلِ أنفُسِهم ، افتراءً على اللَّهِ . يقولُ عزّ وجلّ : ﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ . يعنى بذلك أنهم يتعمَّدُون قِيلَ الكذبِ على اللَّهِ ، والشهادةَ عليه بالباطلِ ، والإلحاقَ

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٦/٢ إلى المصنف .

بكتابِ اللَّهِ ما ليس منه ، طلبًا للرياسةِ والخسيسِ مِن حُطامِ الدنيا .

وبنحوِ ما قلنا في معنى : ﴿ يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ . قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قالَ ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ . قال : يُحرِّفونه[(١)] .

حدثني المثنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شِبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ ﴾ حتى بلَغ : ﴿ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ : هم أعداءُ اللَّهِ اليهودُ ، حرَّفوا كتابَ اللَّهِ ، وابتدَعوا فيه ، وزعَموا أنه مِن عندِ اللَّهِ[(٢)] .

٣٢٤/٣ /حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[(٣)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ ﴾ : وهم اليهودُ ، كانوا يَزيدُون في كتابِ اللَّهِ ما لم يُنْزِلِ اللَّهُ[(٤)] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٤، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٤) . وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٦/٢ إلى الفريابي وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ عقب الأثر (٣٧٣٤) معلقًا .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٦) من طريق ابن أبي جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٨٩/٢ (٣٧٣٣) عن محمد بن سعد به .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ : ﴿ وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُنَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَبِ ﴾ . قال : فريقٌ مِن أهلِ الكتابِ يَلْوُون ألسنَتَهم ، وذلك تحريفُهم إيّاه عن مَوضِعِه[(١)] .

وأصلُ اللَّيِّ الفَتْلُ والقَلْبُ ، مِن قولِ القائلِ : لَوَى فلانٌ يدَ فلانٍ . إذا فَتَلها وقلَبها . ومنه قولُ الشاعرِ[(٢)] :

* لَوَى يَدَهُ اللَّهُ الذى هُوَ غالبُهْ *

يقالُ منه : لَوَى يدَه ولسانَه ، يَلْوِى ليًّا ، و ما لَوَى ظهرَ فلانٍ أحدٌ ، إذا لم يصْرَعْه أحدٌ ، ولم يَفتِلْ ظهْرَه إنسانٌ . و إنه لألْوَى بَعيدُ المستَمَرِّ ، إذا كان شديدَ الخصومَةِ ، صابرًا عليها ، لا يُغلَبُ فيها . قال الشاعرُ[(٣)] :

فلوْ كان فى لَيْلَى شَدًا[(٤)] من خُصُومَةٍ   للَوَّيْتُ أعناقَ الخُصومِ[(٥)] المَلاوِيا

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَبَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّى مِن دُونِ اللَّهِ ﴾ .

يَعنى بذلك جلّ ثناؤُه : وما ينْبَغى لأحدٍ من البشرِ . والبشرُ جمعُ بنى آدمَ ، لا

---

(١) ذكره الطوسى فى التبيان ٢/ ٥٠٨.

(٢) هو فرعان بن الأعرف أبو مُنازل ، والبيت فى عيون الأخبار ٣/ ٨٧، ومعجم الشعراء ص ١٨٩، وشرح ديوان الحماسة ٣/ ١٤٤٥.

(٣) هو قيس بن الملوح (مجنون ليلى) ، والبيت فى الأغانى ٢/ ٣٨، واللسان (ش د ى ، ش ذ ى ، ل و ى) .

(٤) هذا الحرف يروى بالدال المهملة ، وبالذال المعجمة ، والشدا البقية ، والشذا من الأذى . وأكثر الناس على أنه بالدال . اللسان (ش د ى ، ش ذ ى) .

(٥) فى اللسان : « المطى » . وكانت فى أصول الأغانى : « الخصوم » . وغيرها ناشروه كرواية اللسان .

واحدَ له مِن لفظِه ، مثلَ القومِ والخلقِ ، وقد يكون اسمًا لواحدٍ . ﴿ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . يقولُ : أنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ عليه كتابَه ، ﴿ وَٱلْحُكْمَ ﴾ . يعنى : ويُعَلِّمَه فصْلَ الحكمةِ ، ﴿ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ . يقولُ : ويُعْطِيَه النبوَّةَ ، ﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ . يعنى : ثم يدعوَ الناسَ إلى عبادةِ نفْسِه دونَ اللَّهِ ، وقد آتاه اللَّهُ ما آتاه مِن الكتابِ والحكْمِ والنبوَّةِ ، ولكنه إذا آتاه اللَّهُ ذلك ، فإنما يدْعُوهم إلى العلمِ باللهِ ، ويَحدُوهم على معرفةِ شرائعِ دينِه ، وأن يكونوا رؤساءَ فى المعرفةِ بأمرِ اللَّهِ ونَهيِه ، وأَئِمةً فى طاعتِه وعبادَتِه ، بكونِهم مُعلِّمى الناسِ الكتابَ ، وبكونِهم دارِسيه .

/وقيلَ : إنّ هذه الآيةَ نزلتْ فى قومٍ مِن أهلِ الكتابِ قالوا للنبيِّ ﷺ : أتدْعونا إلى عبادَتِك ؟ ٣/٣٢٥

كما حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلَمةُ ، قال : ثنا ابنُ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبى محمدٍ ، عن عِكرمةَ ، أو سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال أبو رافعٍ القُرَظِيُّ حينَ اجتمعت الأحْبارُ من اليهودِ والنصارَى من أهلِ نَجْرانَ ، عندَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ودعاهم إلى الإسلامِ : أتريدُ يا محمدُ أنْ نعبُدَك كما تَعْبدُ النصارَى عيسى ابنَ مريمَ ؟ فقال رجلٌ من أهلِ نجرانَ نَصرانيٌّ ، يُقالُ له الرِّبِّيسُ[1] : أو ذاكَ تريدُ مِنَّا يا محمدُ ، وإليه تدْعونا ؟ أو كما قال ، فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَعاذَ اللَّهِ أنْ نَعْبُدَ غيرَ اللَّهِ ، أو نأْمُرَ بعِبادةِ غيرِه ، ما بذلك بعثَنى ، ولا بذلك أمَرنى » . أو كما قال .

---

(١) فى م ، وتفسير ابن أبى حاتم : « الرئيس » ، وفى س : « الريس » ، وبعده فى سيرة ابن هشام : « ويروى : الريس ، والرئيس » .

والرِّبِّيس : رِبِّيس السامرة ، خذلهم الله تعالى ، وهو كبيرهم ، تبصير المنتبه ٢/ ٦١٧.

فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ فى ذلك مِن قولِهم : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ﴾ الآية ، إلى قولِه : ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[(١)] .

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : ثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : قال [(٢)]أبو رافعٍ[٢)] القُرَظِىُّ . فذكَر نحوَه[(٣)] .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ . يقولُ : ما كان يَنْبَغى لبشرٍ أنْ يؤتيَه اللَّهُ الكتابَ والحُكمَ والنبوَّةَ يأْمُرُ عبادَه أنْ يتخذُوه ربًّا مِن دونِ اللَّهِ .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[(٤)] .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابن جُريجٍ ، قال : كان ناسٌ مِن يهودَ يتعبَّدونَ الناسَ مِن دونِ ربِّهم ، بتحْريفِهم كتابَ اللَّهِ عن موضِعِه ، فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ . ثم يأمرَ الناسَ بغيرِ ما

---

(١) سيرة ابن هشام ١/ ٥٥٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٩٣ (٣٧٥٦) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال محمد بن أبى محمد : وقال أبو نافع .... فذكره .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢، ت ٣، وتفسير ابن أبى حاتم - كما مر -: «أبو نافع» .

(٣) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٥/٣٨٤ من طريق يونس بن بكير به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٩١ (٣٧٤٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

أنزَل اللَّهُ فى كتابِه[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ .

يعنى جلّ ثناؤُه بذلك : ولكن يقولُ لهم : كونوا ربَّانيِّين . فترَك القولَ استغناءً بدلالةِ الكلامِ عليه .

وأما قولُه : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ . فإنَّ أهلَ التأويلِ اختلَفوا فى تأويلِه ؛ فقال بعضُهم : معناه : كونوا حُكماءَ عُلماءَ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن أبى رَزِينٍ : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ . قال : حُكماءَ عُلماءَ[(٢)] .

حدثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا ابنُ يمانٍ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن أبى رَزِينٍ : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ . قال : حُكماءَ علماءَ .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا حَكَّامٌ ، عن عمرٍو ، عن منصورٍ ، عن أبى رَزِينٍ مثلَه .

٣٢٦/٣ /حدثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن أبى رَزِينٍ : ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ : حكماءَ علماءَ[(٣)] .

حدثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، عن عوفٍ ، عن الحسنِ فى قولِه :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩١/٢ (٣٧٤٥) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

(٢) تفسير سفيان ص ٧٨ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥٠٤ - تفسير) عن جرير به بلفظ : فقهاء علماء .

﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ . قال : كونوا فقهاءَ علماءَ[1] .

حدثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ . قال : فقهاءَ[2] .

حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : أخبرَنى القاسمُ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ قال : فقهاءَ .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ . قال : كونوا فقهاءَ علماءَ[1] .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرنا مَعمرٌ ، عن منصورِ بنِ المعتمرِ ، عن أبي رَزِينٍ في قولِه : ﴿ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ ﴾ . قال : علماءَ حكماءَ[3] . قال مَعمرٌ : وقال قتادةُ[4] .

حدثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ،

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٢/٢ عقب الأثر (٣٧٤٩) معلقًا .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١٢٥/١ بلفظ : حلماء علماء . وقال ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩١/٢ عقب الأثر (٣٧٤٧) : وروى عن أبي رزين : علماء حلماء .

(٤) كذا في النسخ ، وينظر المحرر الوجيز ٢/ ٤٨٤، وفي البحر المحيط ٢/ ٥٠٦: والرباني : الحكيم العالم ، قاله قتادة وأبو رزين ... أو العالم الحليم ، قاله قتادة وغيره .

عن السُّدىِّ فى قولِه : ﴿ كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ : أما الرّبانيون فالحكماءُ الفقهاءُ[(١)] .

حدثنى يونسُ ، [(٢)]قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ[(٢)] ، قال : أخبرنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مُجاهدٍ ، قال : الربانيونَ الفقهاءُ العلماءُ ، وهم فوقَ الأحْبارِ[(٣)] .

حدثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ . يقولُ : كونوا حكماءَ فقهاءَ .

حُدثتُ عن المِنجابِ ، قال : ثنا بِشرُ بنُ عمارةَ ، عن أبى حمزةَ الثُّمالىِّ ، عن يحيى بنِ عقيلٍ فى قولِه : ﴿ ٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة : ٤٤، ٦٣] . قال : الفقهاءُ العلماءُ .

حُدثتُ عن المنجابِ ، قال : ثنا بشرٌ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن الضحاكِ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه[(٤)] .

حدثنى ابنُ سنانٍ القزازُ ، قال : ثنا الحسينُ بنُ الحسنِ الأشقرُ ، قال : ثنا أبو كُدَيْنةَ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ كُونُوا رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ . قال : كونوا حُكماءَ فقهاءَ[(٥)] .

---

(١) فى ت ٢: « والفقهاء » .

(٢ - ٢) سقط من ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٤.

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٩٢ (٣٧٤٩) من طريق المنجاب به .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٩١ (٣٧٤٦) من طريق عطاء به ، بلفظ : هم الفقهاء المعلمون .

حُدثتُ عن الحسينِ بنِ الفرجِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبرنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ الضحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿ كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ . يقولُ : كونوا فُقهاءَ علماءَ[1] .

وقال آخرونَ : بل هم الحكماءُ الأتقياءُ .

ذِكرُ مَن قالَ ذلك

/حدثنى يحيى بنُ طلحةَ اليَرْبوعىُّ ، قال : ثنا فُضيلُ بنُ عياضٍ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ قولَه : ﴿ كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ . قال : حُكماءَ أتقياءَ[2] . ٣٢٧/٣

وقال آخرونَ : بل هم ولاةُ الناسِ وقادتُهم .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنى يونسُ بنُ عبدِ الأعلَى ، قال : أخبرنا ابنُ وهبٍ ، قال : سمعتُ ابنَ زيدٍ يقولُ فى قولِه : ﴿ كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ . قال : الرَّبانيون الذين يَرُبُّونَ الناسَ ، ولاةُ هذا الأمرِ ، يَرُبُّونَهم : يلُونَهم . وقرأ : ﴿ لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ ﴾ [المائدة : ٦٣] قال : الربانيون الولاةُ ، والأحبارُ العلماءُ[3] .

قال أبو جعفرٍ : وأَوْلى الأقوالِ عندى بالصوابِ فى الربَّانيِّين ، أنهم جمعُ ربانىٍّ ، وأنَّ الرّبانىَّ المنسوبُ إلى الرَّبَّانِ ، الذى يَرُبُّ الناسَ ، وهو الذى يُصْلِحُ أُمورَهم ، ويَرُبُّها ، ويقومُ بها ، ومنه قولُ علقمةَ بنِ عَبَدَةَ[4] :

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن أبى حاتم وعبد بن حميد .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٢/٢ عقب الأثر (٣٧٤٩) معلقا .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

(٤) تقدم تخريجه فى ١/ ١٤٣.

وكنتَ امْرَأً أَفْضَتْ إليكَ رِبابَتِى وَقَبْلَكَ رَبَّتْنى - فَضِعْتُ - رُبُوبُ

يعنى بقولِه : ربتنى : وَلِىَ أمرى والقيامَ به قبلَك مَن يربُّه و يُصلِحُه ، فلم يُصلِحوه ، ولكنهم أضاعونى فَضِعتُ .

يقالُ منه : ربَّ أمرِى فلانٌ ، فهو يَرُبُّه رَبًّا ، وهو رَابُّه . فإذا أُريدَ به المبالغةُ فى مدْحِه قيل : هو رَبَّانٌ . كما يقالُ : هو نَعْسانٌ . من قولِهم : نَعَس يَنْعُسُ . وأكثرُ ما يجىءُ من الأسماءِ على « فَعْلان » ما كان من الأفعالِ ماضِيه على « فَعِل » مثل قولِهم : هو سكرانُ وعطشانُ وريّانُ ، من : سكِر يَسْكَرُ ، وعطِش يَعْطَشُ ، ورَوِى يرْوَى . وقد يجىءُ مما[1] كان ماضِيه على « فَعَل يَفْعُلُ » ، نحوَ ما قلنا من : نعَس يَنْعُسُ ، و : ربَّ يرُبُّ .

فإذ كان الأمرُ فى ذلك على ما وصَفْنا ، وكان الرَّبانُ ما ذكرنا ، والرَّبَّانىُّ هو المنسوبَ إلى مَن كان بالصِّفةِ التى وصَفْتُ ، وكان العالمُ بالفقهِ[2] والحِكْمةِ مِن المصْلِحين[3] أمورَ الناسِ بتعليمِه إياهم الخيرَ ، ودعائِهم إلى ما فيه مَصلَحتُهم ، وكان كذلك الحكيمُ التقىُّ للهِ ، والوالى الذى يَلِى أمورَ الناسِ ، على المِنْهاجِ الذى وَلِيَه المُقْسِطون مِن المصْلِحين أمورَ الخلقِ بالقيامِ فيهم ، بما فيه صلاحُ عاجِلِهم وآجِلِهم ، وعائدةُ النفْعِ عليهم فى دينِهم ودنياهم ، كانوا جميعًا [4]مُستحقينَ أنَّهم[4] مِمّن دخلَ فى قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ ﴾ .

---

(١) فى ص ، ت١ : « ما » .

(٢) فى ص ، س : « دون الفقه » .

(٣) بعده فى م : « يرب » .

(٤ - ٤) فى ص ، ت١ ، س : « مستحقون أن » .

فالرّبانيون إذنْ هم عمادُ الناسِ فى الفقهِ والعلمِ وأمورِ الدينِ والدنيا ؛ ولذلك قال مجاهدٌ : وهم فوقَ الأحْبارِ . لأنَّ الأحبارَ هم العلماءُ ، والربانىُّ الجامعُ إلى العلمِ والفقهِ البصرَ بالسياسةِ والتدْبيرِ ، والقيامِ بأمورِ الرَّعيةِ ، وما يُصلِحُهم فى دنياهم ودينِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ .

اختلفتِ القرأةُ فى قراءَةِ ذلك ؛ فقرَأه عامَّةُ قرأةِ أهلِ الحجازِ وبعضُ البَصْريين : (بما كنتم تَعْلَمون) . بفتحِ التاءِ وتخفيفِ اللّامِ[1] ، بمعنى : بعلْمِكم الكتابَ ، ودراسَتِكم إياه وقراءتِكم . واعتلُّوا لاختيارِهم قراءةَ ذلك كذلك ، بأنَّ الصوابَ لو كان التشديدَ فى اللّامِ وضمَّ التاءِ ، لكان الصوابُ فى : ﴿ تَدْرُسُونَ ﴾ . بضمِّ التاءِ /وتَشديدِ الراءِ . ٣٢٨/٣

وقرأَ ذلك عامَّةُ قرأةِ الكوفيين : ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . بضمِّ التاءِ من : ﴿ تُعَلِّمُونَ ﴾ وتشديدِ اللّامِ[2] ، بمعنى : بتعليمِكم الناسَ الكتابَ ، ودراستِكم إيَّاه . واعْتلُّوا لاختيارِهم ذلك بأنّ مَن وصَفهم بالتعليمِ فقد وصَفهم بالعلْمِ ، إذ لا يُعلِّمونَ إلا بعدَ عِلْمِهم بما يُعلِّمون .

قالوا : ولا مَوصوفَ بأنه يُعَلِّمُ إلّا وهو موصوفٌ بأنه عالمٌ . قالوا : فأما الموصوفُ بأنه عالمٌ ، فغيرُ مَوصوفٍ بأنه مُعلِّمٌ غيرِه . قالوا : فأوْلى القراءتينِ بالصَّوابِ أبلَغُهما فى مدحِ القومِ ، وذلك وصْفُهم بأنهم كانوا يُعلِّمون الناسَ الكتابَ .

---

(١) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٢) وهى قراءة عاصم وابن عامر وحمزة والكسائى . المصدر السابق .

كما حدَّثني المُثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا يحيى بنُ آدمَ ، عن ابنِ عُيَيْنةَ ، عن حُميدٍ الأعرجِ ، عن مجاهدٍ أنه قرأ : (بما كُنْتُم تَعْلَمُونَ الكِتابَ وبما كُنْتُم تَدْرُسون). مُخفَّفَةً بنصبِ التاءِ[1] ، وقال ابنُ عُيَينةَ : ما عَلَّموه حتى عَلِموه[2] .

وأَوْلَى القراءتَيْن بالصوابِ في ذلك[3] قراءةُ مَن قرأَه بضمِّ التاءِ وتشديدِ اللَّامِ ؛ لأنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ وصَف القومَ بأنهم أهلُ عمادٍ للناسِ في دينِهم ودنياهم ، وأهلُ إصلاحٍ لهم ولأمورِهم ، وتربيةٍ ، يقولُ جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ ﴾ . على ما بيَّنَّا قَبلُ مِن معنى الربانيِّ ، ثم أخبَر تعالى ذِكرُه عنهم أنهم صاروا أهلَ إصلاحِ للناسِ وتربيةٍ لهم ، بتعليمِهم إيَّاهم كتابَ ربِّهم .

ودِراستُهم إيَّاه تلاوتُه . وقد قيل : دِراستُهم الفقهُ .

وأشبهُ التأويلَيْن بالدراسةِ ما قلنا مِن تلاوةِ الكتابِ ؛ لأنه عطفٌ على قولِه : ﴿ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ . والكتابُ هو القرآنُ ، فلأنْ تكونَ الدراسةُ مَعنيًّا بها دراسةُ القرآنِ ، أَوْلَى مِن أنْ يكونَ معنيًّا بها دراسةُ الفقهِ الذي لم يجرِ له ذِكرٌ .

---

(١) كذا قال المصنف ، وقد نص في المحرر الوجيز ٤٨٦/٢ ، والبحر المحيط ٥٠٦/٢ ، أن قراءته بفتح التاء والعين واللام المشددة ، أي : تعلمون .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٢/٢ (٣٧٥١) من طريق يحيى بن آدم به ، قال : ﴿ بما كنتم تعلمون ﴾ : حقيقة ما علموه حتى علموا .

ثم أورد في الأثر (٣٧٥٣) بسند آخر إلى سفيان بن عيينة ، قال : من قرأها ﴿ بما كنتم تعلمون ﴾ قال : يقول : علِموا وعمِلوا ثم علَّموا .

وأورده السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ كالذي عندنا أيضًا سواء ، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) قال أبو حيان في البحر المحيط ٥٠٦/٢ : وتكلموا في ترجيح إحدى القراءتين على الأخرى ، وقد تقدم أني لا أرى شيئًا من هذه التراجيح ؛ لأنها كلها منقولة متواترة قرآنا ، فلا ترجيح في إحدى القراءتين على الأخرى .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : قال يحيى بنُ آدمَ : قال أبو بكر[1] : كان عاصمٌ يقرؤُها : ﴿ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ﴾ . قال : القرآنَ ، ﴿ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾ . قال : الفقهُ[2] .

فمعنى الآيةِ : ولكن يقولُ لهم : كونوا أيها الناسُ سادةَ الناسِ وقادتَهم ، فى أمْرِ دينِهم ودنياهم ، رَبانيِّينَ بتعليمِكم إياهم كتابَ اللَّهِ ، وما فيه من حلالٍ وحرامٍ ، وفرضٍ وندبٍ ، وسائرِ ما حَواه مِن مَعانى أمورِ دينِهم ، وبتلاوتِكم إياه ، ودراستِكموه .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ .

اختلفتِ القرأةُ في قراءةِ قولِه : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ ؛ فقرأتْه عامَّةُ قَرأةِ الحجازِ والمدينةِ : (ولا يأمُرُكُمْ)[3] . على/ وجهِ الابتداءِ مِن اللَّهِ بالخبرِ عن النبيِّ ﷺ أنَّه لا يأمُرُكم أيها الناسُ أنْ تتَّخِذُوا الملائكةَ والنبيِّينَ أرْبابًا . ٣٢٩/٣

واستشْهدَ قارئو ذلك كذلك بقراءةٍ ذكَروها عن ابنِ مسعودٍ[4] أنه كان يَقرؤُها[5] : (وَلَنْ يأمُرَكُم) . فاستدَلُّوا بدخولِ « لنْ » على انقطاعِ الكلامِ عما قبلَه ،

---

(١) فى النسخ : « زكريا » . وتقدم على الصواب فى ٢/٦٢٠ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٤٧ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) وهى قراءة نافع وابن كثير وأبى عمرو والكسائى . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٤) فى س : « عباس » . وينظر قراءة ابن مسعود فى الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٣٥٠، ٣٥١، والمحرر الوجيز ٢/ ٤٨٦، والبحر المحيط ٢/ ٥٠٧.

(٥) بعده فى ص ، ت٢، ت٣: « وهو » ، وبعده فى م ، ت١: « وهى » .

وابتداءِ خبرٍ مستأنفٍ . قالوا : فلمَّا صيَّر مكانَ « لَنْ » فى قراءتنا : ﴿ لَا ﴾ وجبتْ قراءتُه بالرفعِ .

وقرأه بعضُ الكوفيين والبَصْريين ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ بنصبِ الراءِ[1] ، عطفًا على قولِه : ﴿ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ ﴾ . وكان تأويلُه عندَهم : ما كان لبشرٍ أنْ يُؤتيَه اللَّهُ الكتابَ ثم يقولَ للناسِ ، ولا أن يأْمُرَكم ، بمعنى : ولا كان له أن يَأمرَكم أن تتخِذوا الملائكةَ والنبيين أربابًا .

وأوْلى القراءَتيْن بالصوابِ فى ذلك : ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ ﴾ . بالنصبِ على الاتصالِ بالذى قبلَه ، بتأوُّلِ : ما كان لبشرٍ أن يُؤتيَه اللَّهُ الكتابَ والحُكْمَ والنبوةَ ، ثم يقولَ للناسِ كونوا عبادًا لى مِنْ دُونِ اللَّهِ ، ولا أنْ يأمُرَكم أن تتخذوا الملائكةَ والنبيِّين أربابًا . لأنَّ الآيةَ نزلتْ فى سببِ[2] القومِ الذين قالوا لرسولِ اللَّهِ ﷺ : أتريدُ أنْ نَعبُدَك ؟ فأخْبَرهم اللَّهُ جلَّ ثناؤُه أنه ليس لنبيِّه ﷺ أن يدْعُوَ الناسَ إلى عبادةِ نفْسِه ، ولا إلى اتخاذِ الملائكةِ والنبيِّين أربابًا ، و لكن الذى له أن يدْعوَهم إلى أن يكونوا رَبانيِّينَ .

فأما الذى ادَّعَى مَن قرَأ ذلك رفعًا أنه فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ : (ولن يأمرَكم) . استِشْهادًا لصحةِ قراءتِه بالرفعِ ، فذلك خبرٌ غيرُ صحيحٍ سَنَدُه ، وإنما هو خبرٌ رواه حجاجٌ ، عن هارونَ الأعورِ[3] أنّ ذلك فى قراءةِ عبدِ اللَّهِ كذلك ، ولو كان ذلك خبرًا صحيحًا سَندُه ، لم يكنْ فيه لمحتجٍّ حجةٌ ؛ لأنَّ ما كان على صحتِه مِن القراءةِ مِن

---

(١) وهى قراءة عاصم وابن عامر وحمزة . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٣ .

(٢) فى م : « سب » .

(٣) فى م : « لا يجوز » . ورسمه فى باقى النسخ أقرب إلى المثبت . ينظر غاية النهاية ٣٤٨/٢، وتهذيب الكمال ١١٥/٣٠ .

الكتابِ الذى قد جاء به المسلمون وِراثةً عن نبيِّهم ﷺ لا يجوزُ تركُه ، لتأويلٍ على[1] قراءةٍ أضِيفتْ إلى بعضِ الصحابةِ ، بِنقلِ مَن يجوزُ فى نقلِه الخطأُ والسهوُ .

فتأويلُ الآيةِ إذن : وما كان للنبىِّ أنْ يأمُرَ[2] الناسَ أن يَتخذوا الملائكةَ والنبيينَ أربابًا - يعنى بذلك : آلهةً يُعبدون مِن دونِ اللَّهِ - كما ليس له أن يقولَ لهم : كونوا عبادًا لى مِن دونِ اللَّهِ . ثم قال جلَّ ثناؤه نافِيًا عن نبيِّه ﷺ أن يأمرَ عبادَه بذلك : ﴿ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ ﴾ أيها الناسُ ، نَبيُّكم ، بجُحودِ وحْدانيةِ اللَّهِ ، ﴿ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ . يعنى : بعدَ إذْ أنتم له مُنقادُون بالطاعةِ ، مُتذَلِّلونَ له بالعبودةِ . أى : إنَّ ذلك غيرُ كائنٍ منه أبدًا .

وقد حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : ولا يأمرُكم النبىُّ ﷺ أن تتخذوا الملائكةَ والنبيِّين أربابًا[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ .

/يَعنى بذلك جلَّ ثناؤه : واذْكروا يا أهلَ الكتابِ إذ أخَذ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ . ٣٣٠/٣ يعنى : حينَ أخَذ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ . وميثاقُهم : ما وثَّقوا به على أنفُسِهم طاعةَ اللَّهِ فيما أمرَهم ونَهاهم .

وقد بيَّنا أصلَ الميثاقِ باختلافِ أهلِ التأويلِ فيه بما فيه الكفايةُ[4] .

---

(١) فى م : « نحو » .

(٢) بعده فى ص ، ت١، ت٢، ت ٣، س : « كما نهى » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٧ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/ ٤٣٩، ٢/ ٤٦.

﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ . فاختلفتِ القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرَأتْه عامَّةُ قرأةِ الحجازِ والعراقِ : ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾ . بفتحِ اللّامِ مِن : ﴿ لَمَآ ﴾ . إلا أنَّهم اختلفوا فى قراءةِ : ﴿ ءَاتَيْتُكُم ﴾ ؛ فقرَأه بعضُهم : ﴿ ءَاتَيْتُكُم ﴾ . على التوحيدِ ، وقرَأه آخرونَ : (آتَيْناكم) . على الجمعِ[(١)] .

ثم اختلَف أهلُ العربيةِ إذا قُرِئَ ذلك كذلك ؛ فقال بعضُ نَحويِّى البصرةِ : اللامُ التى مع « ما » فى أوَّلِ الكلامِ لامُ الابتداءِ ، نحوَ قولِ القائلِ : لَزيدٌ أفضلُ مِنك . لأن « ما »[(٢)] اسمٌ ، والذى بعدَها صلةٌ لها ، واللامُ التى فى : ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ . لامُ القسمِ ، كأنه قال : واللهِ لتؤمِنُنَّ به . يُؤكِّدُ فى أولِ الكلامِ وفى آخرِه ، كما يقالُ : أمَا[(٣)] واللهِ أن لو جِئْتَنى لكان كذا وكذا . وقد يُسْتَغْنَى عنها ، فوكَّد فى : ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ ﴾ . باللامِ فى آخرِ الكلامِ ، وقد يُستغْنَى عنها ، ويُجعلُ خبرُ : ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ ﴾ مثلُ : لعبدُ اللَّهِ واللهِ لتأْتِيَنَّه . قال : وإنْ شئتَ جعلتَ خبرَ « ما » ﴿ مِّن كِتَٰبٍ ﴾ . يريدُ : لما آتيتكم كتابٌ وحكمةٌ . وتكون ﴿ مِّن ﴾ زائدةً .

وخطَّأ بعضُ نحويِّى الكوفيين ذلك كلَّه ، وقال : اللامُ التى تدخُلُ فى أوائلِ الجزاءِ[(٤)] تُجابُ بجَواباتِ الأيمانِ ، يقالُ : لمن قامَ لآتيَنَّه . و[(٤)] : لمن قامَ ما أحسنَ . فإذا وقَع فى جوابِها « ما » ، و « لا » ، عُلم أن اللامَ ليست بتوكيدٍ للأولى ؛ لأنه يُوضعُ مَوضعَها « ما » و « لا » ، فتكونُ كالأولى ، وهى جوابٌ للأولَى . قال : وأمَّا قولُه :

---

(١) قرأ حمزة وحده بكسر اللام من (لما) . وقرأ الباقون بالفتح ، وقرأ نافع وحده : (آتيناكم) . وقرأ الباقون : ﴿ آتيتكم ﴾ . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤.

(٢) فى ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س : « لما » .

(٣) فى س : « لما » .

(٤ - ٤) فى م : « لا تجاب بما ولا لا ، فلا يقال : لمن قام لا تتبعه ، ولا » .

﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ . بمعنى إسقاط ﴿ مِّن ﴾ غلطٌ ؛ لأنّ « مِن » التى تدخلُ وتخرجُ لا تقعُ مواقعَ الأسماءِ . قال : ولا تقعُ فى الخبرِ أيضًا ، إنما تقعُ فى الجَحْدِ والاستفهامِ والجزاءِ .

وأولى الأقوالِ فى تأويلِ هذه الآيةِ - على قراءةِ مَن قرَأ ذلك بفتحِ اللامِ - **بالصَّوابِ** : أن يكونَ قولُه : ﴿ لَمَآ ﴾ بمعنى : لمهما . وأن تكونَ « ما » حرفَ جزاءٍ أُدخِلتْ عليها اللامُ ، وصُيِّرَ الفعلُ معها على « فَعَلَ » ، ثم أُجيبتْ بما تجابُ به الأيمانُ ، فصارت اللامُ الأولى يَمِينًا ، إذْ تُلُقِّيتْ بجوابِ اليمينِ .

وقرأَ ذلك آخرونَ : (لِمَا آتيتُكم) . بكسرِ اللامِ مِن « لما » ، و ذلك قراءةُ جماعةٍ مِن أهلِ الكوفةِ .

ثم اختلفَ قارئو ذلك كذلك فى تأويلِه ؛ فقال بعضُهم : معناه إذا قُرِئَ كذلك : وإذْ أخذَ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ للذى آتيتُكم . فـ « ما » على هذه القراءةِ بمعنَى « الذى » عندهم . و كان تأويلُ الكلامِ : وإذْ أخذَ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ مِن أجلِ الذى آتاهم مِن كتابٍ وحِكْمةٍ ، ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ ﴾ . يعنى : ثُم إنْ جاءكم رسولٌ ، يَعنى ذِكْرَ محمدٍ فى التوراةِ - ﴿ لتؤمِننَّ به ﴾ . أى : لَيكونَنَّ إيمانُكم به للذى عندَكم فى التوراةِ مِن ذِكرِه .

وقال آخرون منهم : تأويلُ ذلك إذا قُرِئَ بكسرِ اللامِ من (لِما) : وإذْ أخَذ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ للذى آتاهم من الحِكْمةِ . ثم جعَل قولَه : ﴿ لتؤمِننَّ به ﴾ . من الأخْذِ ، أخْذِ الميثاقِ ، كما يقالُ فى الكلامِ : أخذتُ ميثاقَك لَتفعلَنَّ . لأنّ أخْذَ الميثاقِ بمنزلةِ الاستِحْلافِ . فكان تأويلُ الكلامِ عندَ قائلِ هذا القولِ : وإذ استَحْلف اللَّهُ النّبيينَ للذى آتاهم مِن كتابٍ وحكمةٍ ، متى جاءَهم رسولٌ مُصدِّقٌ لما معهم لَيؤمِنُنَّ به ولَينصُرنَّه .

وأوْلى القراءتين فى ذلك بالصوابِ قراءةُ مَن قرَأ : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾ . /بفتحِ اللامِ ؛ لأنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ أخَذ ميثاقَ جميعِ الأنبياءِ بتصْديقِ كلِّ رسولٍ له ابتَعثَه إلى خلْقِه ، فيما ابتَعثَه به إلَيهم ، كان ممن آتاه كتابًا ، أو ممن لم يؤْتِه كتابًا ، وذلك أنه غيرُ جائزٍ وصفُ أحدٍ مِن أنبياءِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ ورسُلِه ، بأنه كان ممن أُبِيحَ له التكذيبُ بأحدٍ مِن رسلِه ؛ فإذ كان ذلك كذلك ، وكان معلومًا أنَّ منهم مَن أُنزِل عليه الكتابُ ، وأنّ منهم مَن لم يَنْزِلْ عليه الكتابُ ، كان بيِّنًا أنَّ قراءةَ مَن قرَأ ذلك : (لِمَا آتَيْتُكُم) . بكسرِ اللامِ ، بمعنى : من أجلِ الذى آتَيْتُكم مِن كتابٍ . لا وجْهَ له مفهومٌ إلا على تأويلٍ بعيدٍ ، وانتزاعٍ عميقٍ .

٣٣١/٣

ثم اختلَف أهلُ التأويلِ فى من أُخِذَ ميثاقُه بالإيمانِ بمن جاءه مِن رُسلِ اللَّهِ مُصدِّقًا لما معه ؛ **فقال بعضُهم** : إنما أخَذ اللَّهُ بذلك ميثاقَ أهلِ الكتابِ دونَ أنبيائِهم . واستَشْهدوا لصحةِ قولِهم بذلك بقولِه : ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ . قالوا : فإنما أمَرَ الذين أُرسلتْ إليهم الرسلُ مِن الأممِ بالإيمانِ برسُلِ اللَّهِ ، ونُصْرتِها على مَن خالفَها ، وأما الرسلُ ، فإنه لا وجْهَ لأمْرِها بنُصْرةِ أحدٍ ؛ لأنها المحتاجةُ إلى المعونةِ على مَن خالفَها مِن كفرةِ بنى آدمَ ، فأما هى ، فإنها لا تُعينُ الكفرةَ على كفرِها ولا تَنْصُرُها . قالوا : وإذا لم يكنْ غيرُها وغيرُ الأُمَمِ الكافرةِ ، فَمن الذى يَنْصُرُ النبىَّ فيؤْخذَ ميثاقُه بنُصْرَتِه ؟

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ . قال : هى خطأٌ مِن الكاتبِ[1] ، وهى فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ : (وإذْ أخَذَ

---

(١) فى تفسير مجاهد والدر المنثور : « الكُتَّاب » . قال أبو حيان فى البحر المحيط ٢/ ٥٠٨ : وهذا لا يصح عنه ؛ =

اللَّهُ مِيثاقَ الَّذِينِ أُوتُوا الكِتابَ)[(١)] .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ . يقولُ : وإذ أخَذَ اللَّهُ ميثاقَ الذين أُوتُوا الكتابَ . وكذلك كان يقرؤُها الربيعُ : (وإذْ أخَذَ اللَّهُ ميثاقَ الذين أوتوا الكتابَ) . إنما هى أهلُ الكتابِ . قال : وكذلك كان يقرؤُها أبىُّ بنُ كعبٍ . قال الربيعُ : ألا تَرى أنه يقولُ : ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ . يقولُ : لتؤمِنُنَّ بمحمدٍ ﷺ ولتنصُرنَّه . قال : هم أهلُ الكتابِ[(٢)] .

وقال آخرون : بل الذين أُخِذَ ميثاقُهم بذلك الأنبياءُ دونَ أُممِها .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنى المثنى وأحمدُ بنُ حازمٍ ، قالا : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن حبيبٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : إنما أَخَذ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ على قومِهم[(٣)] .

= لأن الرواة الثقات نقلوا عنه أنه قرأ النبيين كعبد الله بن كثير وغيره ، وإن صح ذلك عن غيره فهو خطأ مردود بإجماع الصحابة على مصحف عثمان .

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٤ ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى عبد بن حميد والفريابى وابن المنذر .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٣/٢ (٣٧٥٧) ، من طريق أبى نعيم به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن المنذر .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبَرنا مَعْمرٌ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه فى قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ : أنْ يُصدِّقَ بعضُهم بعضًا[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن ابنِ طاوسٍ ، عن أبيه/ فى قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ الآية . قال : أخَذ اللَّهُ ميثاقَ الأُوَلِ مِن الأنبياءِ ليُصَدِّقُنَّ وليُؤْمِنُنَّ بما جاء به الآخِرُ منهم[2] .

٣٣٢/٣

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ هاشمٍ ، قال : أخبرنا سَيْفُ بنُ عمرَ[3] ، عن أبى رَوْقٍ ، عن أبى أيوبَ ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، قال : لم يَبْعَثِ اللَّهُ عزَّ وجلَّ نبيًّا ؛ آدمَ فمنْ بعدَه ، إلا أخَذ عليه العهدَ فى محمدٍ ، لئن بُعِث وهو حيٌّ ، لَيؤْمِنَنَّ به ولَينصُرَنَّه ، ويأمرُه فيأخذُ العهدَ على قومِه ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ الآية[4] .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ ﴾ الآية : هذا ميثاقٌ أخذه اللَّهُ على النبيينَ أن يُصَدِّقَ بعضُهم بعضًا ، وأن يُبلِّغوا كتابَ اللَّهِ ورسالاتِه ، فبَلَّغتِ الأنبياءُ كتابَ اللَّهِ ورسالاتِه إلى قومِهم ، وأخَذ عليهم فيما بَلَّغتْهم رسُلُهم أنْ يؤمِنوا بمحمدٍ ﷺ ،

---

(١) سيأتى تخريجه بتمامه فى ص ٥٤٣ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدرالمنثور ٢/٤٧ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) فى م : « عمرو » . وينظر تهذيب الكمال ١٢/ ٣٢٤.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٤٧ إلى المصنف .

ويُصَدِّقوه وينصُرُوه[(١)] .

حدثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الآية . قال : لم يَبْعثِ اللَّهُ عزَّ وجلَّ نبيًّا قطُّ من لَدنْ نوحٍ إلا أخَذ ميثاقَه لَيؤْمِنَنَّ بمحمدٍ ولَيَنْصُرَنَّه إن خرَج وهو حيٌّ ، وإلا أخَذ على قومِه أن يؤمنوا به ، ولَينصُرُنَّه إن خرَج وهم أحياءٌ[(٢)] .

حدثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا عبدُ الكبيرِ[(٣)] بنُ عبدِ المجيدِ أبو بكرٍ الحنفيُّ ، قال : ثنا عبادُ بنُ منصورٍ ، قال : سألْتُ الحسنَ عن قولِه : ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ﴾ الآية كلَّها . قال : أخَذ اللَّهُ ميثاقَ النبيِّينَ لَيبلِّغَنَّ آخرَكم أولَكم ولا تختلِفوا[(٤)] .

وقال آخرونَ : معنى ذلك أنه أخَذ مِيثاقَ النبيِّينَ وأُمَمِهم ، فاجْتزأَ بذكرِ الأنبياءِ عن ذكرِ أُمَمِها ؛ لأنَّ في ذكرِ أَخْذِ الميثاقِ على المتبوعِ دلالةً على أخْذِه على التُّبَّاعِ ؛ لأنَّ الأُمَمَ تُبَّاعُ الأنبياءِ .

ذِكرُ مَن قالَ ذلك

حدثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، عن محمدِ بنِ أبي محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ثم ذكَر ما أُخِذَ

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٤/٢ (٣٧٦١) ، من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) في س : « الكريم » . وينظر تهذيب الكمال ٢٤٣/١٨.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٧/٢ إلى المصنف .

عليهم - يعنى : على أهلِ الكتابِ - وعلى أنبيائِهم مِن الميثاقِ بتصْديقِه - يعنى : بتصديقِ محمدٍ ﷺ - إذا جاءَهم ، وإقرارِهم به على أنفُسِهم ، فقال : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّۦنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ إلى آخرِ الآيةِ[1] .

حدثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بكيرٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولَى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : ثنى سعيدُ بنُ جُبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه[2] .

وأوْلَى هذه الأقوالِ فى ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : معنى ذلك الخبرُ عن أخْذِ اللَّهِ الميثاقَ مِن أنبيائِه ، بتصديقِ بعضِهم بعضًا ، وأخْذِ الأنبياءِ على أُممِها وتُبَّاعِها الميثاقَ بنحوِ الذى أخَذ عليها رَبُّها ، مِن تَصْدِيقِ /أنبياءِ اللَّهِ ورسلِه بما جاءتها به ؛ لأنَّ الأنبياءَ عليهم السلامُ بذلك أُرسلَتْ إلى أُمَمِها ، ولم يَدَّعِ أحدٌ مِمن صدَّق المرسلينَ أنَّ نبيًّا أُرسِلَ إلى أُمَّةٍ بتكذيبِ أحدٍ مِن أنبياءِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ وحُجَجِه فى عبادِه ، بل كلُّها - وإن كذَّب بعضُ الأُمَمِ بعضَ أنبياءِ اللَّهِ بجحودِها نبوَّتَه - مُقِرةٌ بأنَّ مَن ثبتَتْ صحةُ نُبوَّتِه ، فعليها الدَّيْنونَةُ بتصديقِه ، فذلك ميثاقٌ مُقِرٌّ به جَميعُهم . ولا مَعنى لقولِ مَن زعَم أنّ الميثاقَ إنما أُخِذَ على الأممِ دونَ الأنبياءِ ؛ لأنّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد أخبَر أنه أخَذ ذلك مِن النَّبيينَ ، فسواءٌ قال قائلٌ : لَم يأخذْ ذلك منها ربُّها . أو قال : لم يأمرْها ببلاغِ ما أُرْسِلتْ . وقد نصَّ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنه أمرَها بتبليغِه ؛ لأنهما جميعًا خَبرانِ مِن اللَّهِ عنها ؛ أحدُهما أنه أخَذ منها ، والآخرُ منهما أنه أمرَها ، فإن جازَ الشكُّ فى أحدِهما جازَ فى الآخرِ . وأمَّا ما اسْتَشْهدَ به الربيعُ بنُ أنسٍ ، على أنَّ المعنيَّ بذلك أهلُ

٣٣٣/٣

(١) سيرة ابن هشام ٥٥٥/١ . وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٤/٢، ٦٩٥ (٣٧٦٤) من طريق سلمة ، عن محمد بن إسحاق قوله . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة ٣٨٤/٥ من طريق يونس بن بكير به .

الكتابِ ، مِن قولِه : ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ . فإنَّ ذلك غيرُ شاهدٍ على صحةِ ما قال ؛ لأنَّ الأنبياءَ قد أُمِرَ بعضُها بتصديقِ بعضٍ ، وتصديقُ بعضِها بعضًا نُصْرةٌ مِن بعضِها بعضًا .

ثم اختلَفوا فى الذين عُنوا بقولِه : ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : الذين عُنوا بذلك هم الأنبياءُ ، أُخذتْ مواثيقُهم أن يُصدِّق بعضُهم بعضًا ، وأن ينصرُوه . وقد ذكَرْنا الروايةَ بذلك عمن قالَه .

وقال آخرون : هم أهلُ الكتابِ ، أُمروا بتصْديقِ محمدٍ ﷺ إذا بعثَه اللَّهُ ، وبنُصرَتِه ، وأُخِذ ميثاقُهم فى كتبِهم بذلك . وقد ذكَرنا الروايةَ بذلك أيضًا عمن قالَه .

وقال آخرونَ – مِمن قال : الذين عُنوا بأخْذِ اللَّهِ ميثاقَهم منهم فى هذه الآيةِ هم الأنبياءُ –: قولُه : ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ ﴾ مَعْنِىٌّ به أهلُ الكتابِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرَنا مَعمرٌ ، قال : أخبرَنا ابنُ طاوسٍ ، عن أبيه فى قولِه : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ﴾ . قال : أخَذ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ أن يُصدِّقَ بعضُهم بعضًا ، ثم قال : ﴿ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ . قال : فهذه الآيةُ لأهلِ الكتابِ ، أخَذ اللَّهُ ميثاقَهم أنْ يؤمنوا بمحمدٍ ويُصدِّقوه [(1)] .

(١) تفسير عبد الرزاق ١٢٤/١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٣/٢، ٦٩٤ (٣٧٥٨، ٣٧٦٢) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٧/٢ إلى ابن المنذر مختصرًا .

حدثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنى ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، قال : قال قتادةُ : أخَذ اللَّهُ على النبيين ميثاقَهم أن يُصدِّقَ بعضُهم بعضًا ، وأن يُبلِّغوا كتابَ اللَّهِ ورسالتَه إلى عبادِه ، فبلَّغتِ الأنبياءُ كتابَ اللَّهِ ورسالاتِه إلى قومِهم ، وأخذوا مواثيقَ أهلِ الكتابِ فى كتابِهم فيما بلَّغتْهم رسلُهم أن يؤمنوا بمحمدٍ ﷺ ويُصدِّقوه وينصُروه[(١)] .

وأوْلى الأقوالِ بالصوابِ عندَنا فى تأويلِ هذه الآيةِ أنَّ جميعَ ذلك خبرٌ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ عن أنبيائِه ، أنه أخَذ ميثاقَهم به ، وألْزَمَهم دعاءَ أُمَمِها إليه ، والإقرارَ به ؛ لأنَّ ابتداءَ الآيةِ خبرٌ مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ عن أنبيائِه أنه أخَذ ميثاقَهم ، ثم وصَف الذى أخَذ به ميثاقَهم ، فقال : هو كذا ، وهو كذا .

وإنما قلنا : إنَّ ما أخبرَ اللَّهُ أنه أخَذ به مواثيقَ أنبيائِه مِن ذلك ، قد أخَذَت الأنبياءُ مواثيقَ أُمَمِها به ؛ لأنَّها /أُرْسلتْ لِتدعوَ عبادَ اللَّهِ إلى الدَّيْنونةِ بما أُمِرَت بالدَّيْنونةِ به فى أنفسِها مِن تصديقِ رُسلِ اللَّهِ ، على ما قدَّمنا البيانَ قَبْلُ . ٣٣٤/٣

فتأويلُ الآيةِ : واذْكروا يا معشرَ أهلِ الكتابِ إذْ أخَذ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ ، لَمَهْمَا آتيتُكم أيُّها النَّبيونَ من كتابٍ وحكمةٍ ، ثم جاءكم رسولٌ مِن عندِى مُصدِّقٌ لما معكم ، ﴿ لَتُؤْمِنُنَّ ﴾ به - يقولُ : لَتُصدِّقُنَّه - ﴿ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ﴾ .

وقد قال السُّديُّ فى ذلك بما حدثنا به محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ قولَه : ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾ . يقولُ لليهودِ : أخذتُ ميثاقَ النَّبيينَ بمحمدٍ ﷺ ، وهو الذى ذُكِرَ فى الكتابِ عندَكم[(٢)] .

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/٦٩٣، ٦٩٤ (٣٧٥٩) من طريق أحمد بن المفضل به . وفيه : أخذت ميثاق الناس لمحمد .

فتأويلُ ذلك على قولِ السُّدىِّ الذى ذكرناه : واذْكروا يا معشرَ أهلِ الكتابِ إذْ أخَذَ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ ، لما آتيتُكم أيها اليهودُ مِن كتابٍ وحكمةٍ . وهذا الذى قاله السُّدىُّ ، كان تأويلًا لا وجْهَ غيرُه[1] لو كان التنزيلُ : (بما آتيتُكم) . ولكنَّ التنزيلَ باللَّامِ ﴿ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم ﴾ . وغيرُ جائزٍ فى لغةِ أحدٍ مِن العربِ أن يقالَ : أخَذ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ لما آتيتُكم . بمعنى : بما آتيتُكم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤُه : وإذْ أخذ اللَّهُ ميثاقَ النبيينَ بما ذكَر ، فقال لهم تعالى ذِكرُه : أأقرَرْتُم بالميثاقِ الذى واثَقْتُمونى عليه ، مِن أنكم مَهمَا أتاكم رسولٌ مِن عندى مُصدِّقٌ لما معكم ، لتُؤْمِنُنَّ به ولتَنْصُرُنَّه ؟ ﴿ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ﴾ يقولُ : وأخذْتُم على ما واثَقْتُمونى عليه من الإيمانِ بالرسلِ التى تأتِيكم بتصديقِ ما معكم مِن عندِى ، والقيامِ بنُصْرتِهم - ﴿ إِصْرِى ﴾ . يعنى : عهدِى ووصيَّتى ، وقَبِلتُم فى ذلك مِنِّى ورَضِيتُموه .

والأخْذُ هو القبولُ فى هذا الموضعِ والرِّضا ، مِن قولِهم : أخَذ الوالى عليه البيعةَ . بمعنى : بايعَه ، وقَبِلَ ولايتَه ، ورَضِىَ بها .

وقد بيَّنا معنى « الإصرِ » باختلافِ المختلفينَ فيه ، والصحيحَ مِن القولِ فى ذلك ، فيما مضَى قَبلُ ، بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[2] .

وحُذفتِ الفاءُ من قولِه : ﴿ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ ﴾ . لأنه ابتداءُ كلامٍ ، على نحوِ ما قد بيَّنَّا فى نظائرِه فيما مضَى[3] .

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « له » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ص ١٥٨ - ١٦٣ .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٧٦/٢ .

وأما قولُه : ﴿ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ ﴾ . فإنه يعنى به : قال النبيُّون الذين أخَذ اللَّهُ ميثاقَهم بما ذُكِرَ فى هذه الآيةِ : أقْرَرْنا بما ألزَمْتَنا مِن الإيمانِ برسُلِك الذين تُرسِلُهم مُصدِّقين لما معنا مِن كُتُبِك وبنُصْرَتِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ .

يَعنى بذلك جلّ ثناؤه : قال اللَّهُ : فاشْهدوا أيها النَّبيونَ بما أخذْتُ به ميثاقَكم - من الإيمانِ بتصديقِ رُسُلى التى تأْتِيكم بتصديقِ ما معكم من الكتابِ والحِكمةِ ، ونُصْرتِهم - على أنفسِكم ، وعلى أَتباعِكم مِن الأُمَمِ ، إذ أنتم أخذْتم ميثاقَهم على ذلك ، وأنا معكم من الشاهدين عليكم وعليهم بذلك .

كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ هاشمٍ ، قال : أخبرنا سَيفُ بنُ عمرَ[1] ، عن أبى رَوْقٍ ، عن أبى أيوبَ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ فى قولِه : ﴿ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ ﴾ . يقولُ : فاشْهدوا على أُمَمِكم بذلك ، ﴿ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ عليكم وعليهم[2] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ .

٣/٣٣٥ /يَعنى بذلك جلَّ ثناؤه : فمن أعرَض عن الإيمانِ برُسُلى الذين أرسلْتُهم بتصديقِ ما كانَ مع أنبيائى مِن الكُتبِ والحِكمةِ ، وعن نُصرتِهم ، فأدْبرَ[3] ولم يؤْمِنْ بذلك ، ولمْ يَنْصُرْ ، ونكَث عهدَه وميثاقَه ، ﴿ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ﴾ . يعنى : بعْدَ العهدِ و الميثاقِ الذى أخذَه اللَّهُ عليه[4] ، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴾ . يعنى بذلك أنّ

---

(١) فى م : « عمرو » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٣) فى ص ، ت ١ : « فأدبروا » .

(٤) بعده فى ص ، ت ١ : « به » .

المتولِّين عن الإيمانِ بالرسلِ الذين وصَف اللَّهُ[(١)] أمرَهم ونُصرتَهم ، بعدَ العهدِ والميثاقِ اللذَيْنِ أُخِذَا عليهم بذلك ، ﴿ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ ، يعني بذلك : الخارجون من دينِ اللَّهِ وطاعةِ ربِّهم .

كما حدثنا المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ هاشمٍ ، قال : أخبرنا سَيْفُ بنُ عمرَ ، عن أبى رَوْقٍ ، عن أبى أيوبَ ، عن علىِّ بنِ أبى طالبٍ : ﴿ فمن تولَّى ﴾ عنك يا محمدُ بعدَ هذا العهدِ مِن جميعِ الأممِ ، ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ : هم العاصُونَ فى الكفرِ[(٢)] .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه - قال أبو جعفرٍ : يَعنى الرازىَّ - : ﴿ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ ﴾ . يقولُ : بعدَ العهدِ والميثاقِ، الذى أُخِذَ عليهم ﴿ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ .

حُدِّثْتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، [(٣)]عن أبيه[(٣)] ، عن الربيعِ مثلَه .

وهاتان الآيتان وإنْ كان مَخرَجُ الخبرِ فيهما مِن اللَّهِ عزَّ وجلَّ بما أخبرَ أنه أَشْهَدَ وأخَذ به ميثاقَ مَن أخَذ ميثاقَه به عن أنبيائِه ورُسلِه ؛ فإنه مقصودٌ به إخبارُ مَن كان حوالَىْ مُهاجَرِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن يهودِ بنى إسرائيلَ أيامَ حياتِه ﷺ ، عمَّا للهِ عليهم من العهدِ فى الإيمانِ بنبوَّةِ محمدٍ ﷺ - ومَعنِىٌّ تذكيرُهم ما كان اللَّهُ آخذًا على آبائِهم وأسلافِهم مِن المواثيقِ والعهودِ ، وما كانت أنبياءُ اللَّهِ عرَّفتْهم ، وتقدَّمتْ إليهم فى تصديقِه واتباعِه ونُصرتِه على مَن خالَفَه وكذَّبه - وتعريفُهم ما فى كُتبِ اللَّهِ التى أنزلَها إلى أنبيائِه ، التى ابتَعَثَهم إليهم ، مِن صِفتِه وعلامتِه .

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .
(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٤٨ إلى المصنف .
(٣ - ٣) سقط من النسخ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ .

اختلفتِ القرأةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأته عامَّةُ قَرأةِ الحجازِ من مكةَ والمدينةِ ، وقَرأةِ الكوفةِ : (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِى السَّمٰواتِ والأرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) على وجهِ الخطابِ[١] . وقرَأ ذلك بعضُ أهلِ الحجازِ : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ، بالياء كِلْتَيْهما على وجْهِ الخبرِ عن الغائبِ[٢] . وقرَأ ذلك بعضُ أهلِ البصرةِ : (أفغيرَ دينِ اللهِ يَبْغون) على وجْهِ الخبرِ عن الغائبِ ، (وإليه تُرجعون) بالتاء على وجْهِ المخاطبةِ[٣] .

وأوْلى ذلك بالصوابِ قراءةُ مَن قرَأ : (أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ تَبْغُون) على وجْهِ الخطابِ ، (وإليه تُرْجعون) بالتاءِ ؛ لأنَّ الآيةَ التى قبلَها خطابٌ لهم ، فإتباعُ الخطابِ نَظِيرَه أوْلى من صَرْفِ الكلامِ إلى غيرِ نَظِيره ، وإن كانَ الوجْهُ الآخرُ جائزًا ؛ لما قد ذَكَرْنا فيما مضَى قبلُ ، مِن أنّ الحكايةَ يَخرُجُ الكلامُ معها أحيانًا /على الخطابِ كلِّه ، وأحيانًا على وجْهِ الخبرِ عن الغائبِ ، وأحيانًا بعضُه على الخطابِ ، وبعضُه على الغَيْبةِ ، فقولُه : (تَبْغُونَ)[٤] ، (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) فى هذه الآيةِ من ذلك .

٣٣٦/٣

وتأويلُ الكلامِ[٥] : يا معشرَ أهلِ الكتابِ : (أَفَغَيْرَ دينِ اللَّهِ تَبْغُونَ) يقولُ : أَفَغيرَ

---

(١) هذه قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبى بكر عن عاصم وحمزة والكسائى . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤.

(٢) هذه قراءة حفص عن عاصم . المصدر السابق .

(٣) هذه قراءة أبى عمرو وحده . المصدر السابق .

(٤) فى ص : « يبغون » .

(٥) بعده فى ص ، س ، ت ١ : « أفغير الله » .

طاعةِ اللَّهِ تلتمسونَ وتريدونَ . ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ ، يقولُ : وله خشَع مَن فى السماواتِ والأرضِ ، فخضَع له بالعبودةِ ، وأقرَّ له بإفرادِ الرُّبوبيةِ ، وانقَاد له بإخلاصِ التوحيدِ والألوهةِ . ﴿ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾. يقولُ : أسلَمَ للهِ طائعًا ، مَن كان إسلامُه منهم له طائعًا ، وذلك كالملائكةِ والأنبياءِ والمرسلين ، فإنهم أسلَموا للهِ طائعينَ ، ﴿ وَكَرۡهٗا ﴾ : مَن كان منهم كارِهًا .

واختلفَ أهلُ التأويلِ فى معنى إسلامِ الكارهِ الإسلامَ وصِفَتِه ؛ **فقال بعضُهم** : إسلامُه إقرارُه بأنّ اللَّهَ خالقُه وربُّه ، وإنْ أشرَك معه فى العبادةِ غيرَه .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ[1] : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ . قال : هو كقولِه : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ ﴾[2] [الزمر : ٣٨] .

حدثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا أبو أحمدَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ فى قولِه : (وله أسلمَ مَن فى السماواتِ والأرضِ طوعًا وكرهًا وإليه تُرجعونَ) . قال : كلُّ آدميٍّ قد[3] أقرَّ على نفسِه بأنَّ اللَّهَ ربِّى وأنا عبدُه ، فمَنْ أشرَك فى عبادتِه ، فهذا الذى أسلَم كَرهًا ، ومَن أخلَص للهِ[4] العبودةَ ، فهو الذى أسلمَ

---

(١) بعده فى ت ٢: « عن ابن عباس » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٤٨ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) سقط من : ت ١، س .

(٤) فى ص ، م : « له » .

طوعًا[١] .

وقال آخرونَ : بل إسلامُ الكارهِ منهم كان حينَ أُخِذَ منه[٢] الميثاقُ فأقرَّ به .

ذِكرُ من قال ذلك

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن سفيانَ ، عن الأعمشِ ، عن مجاهدٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ قال : حينَ أخذ الميثاقَ[٣] .

وقال آخرون : عنَى بإسلامِ الكارهِ منهم سجودَ ظلِّه .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنا سَوّارُ[٤] بنُ عبدِ اللَّهِ ، قال : ثنا المعتمرُ بنُ سليمانَ ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ . قال : الطائعُ : المؤمنُ ، وكَرْهًا : ظِلُّ الكافرِ[٥] .

حدثني محمدُ بنُ عَمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ . قال : سجودُ المؤمنِ طائعًا ، وسجودُ الكافرِ وهو كارِهٌ[٦] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٦/٢، ٦٩٧ (٣٧٧٦) من طريق أبي جعفر به .

(٢) سقط من : ت ١، ت ٢، س .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى المصنف .

(٤) في ت ٢: « سويد » . وينظر تهذيب الكمال ١٢/ ٢٣٨، ٢٣٩ .

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٤/٢ إلى أبي الشيخ .

(٦) تفسير مجاهد ص ٢٥٥، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٧/٢ (٣٧٧٧) .

/حدثني المثنى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَكَرْهًا ﴾ . قال : سجودُ المؤمنِ طائعًا ، وسجودُ ظِلِّ الكافرِ وهو كارِهٌ[١] . ‏ ٣٣٧/٣

حدثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كثيرٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : سجودُ وجهِه وظِلِّه طائعًا .

وقال آخرونَ : بل إسلامُه بقلبِه في مشيئةِ اللَّهِ واستقادتِه لأمرِه ، وإنْ أنكَر أُلوهتَه بلسانِه .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن[٢] عامرٍ : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ قال : استقاد كلُّهم له[٣] .

وقال آخرونَ : عنَى بذلك : إسلامَ مَن أسلَم مِن الناسِ كَرْهًا ، حَذَرَ السَّيفِ على نفْسِه .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، قال : ثنا عبادُ بنُ منصورٍ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ الآية [٤٢٧/١ظ] كلّها . فقال : أُكْرِهَ أقوامٌ على الإسلامِ ، وجاء أقوامٌ

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٥، وعزاه السيوطي في الدرالمنثور ٥٣/٤ إلى ابن المنذر .

(٢) في النسخ : « بن » . وجابر هو الجعفي ، وتقدم في ٢٦٦/٤ ، ٢٧٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٦/٢ (٣٧٧٢) من طريق وكيع به .

طائعين[1] .

حدثني الحسنُ بنُ قَزَعَةَ الباهليُّ ، قال : ثنا رَوْحُ بنُ عطاءٍ ، عن مطرٍ الورَّاقِ في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : (وله أسلمَ مَن في السماواتِ والأرضِ طوعًا وكرهًا وإليه تُرْجَعُونَ) . قال : الملائكةُ طَوْعًا ، والأنصارُ طَوْعًا ، وبنو سليمٍ وعبدُ القيسِ طوعًا ، والناسُ كلُّهم كَرْهًا[1] .

وقال آخرون : معنى ذلك أنَّ أهلَ الإيمانِ أسلَموا طوعًا ، وأنَّ الكافرَ أسلَم في حالِ المعاينةِ حينَ لا يَنفَعُه [2]إسلامٌ كَرهًا[2] .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : (أفغيرَ دينِ اللَّه تَبْغُونَ) الآية : فأما المؤمنُ فأسلَم طائعًا ، فنفَعه ذلك وقُبِلَ منه ، وأما الكافرُ فأسلَم كارهًا ، حينَ لا يَنفَعُه ذلك ، ولا يُقْبلُ منه .

حدثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرنا عبدُ الرزَّاقِ ، قال : أخبرنا مَعمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ وَلَهُۥٓ أَسۡلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ طَوۡعٗا وَكَرۡهٗا ﴾ . قال : أما المؤمنُ فأسلَم طائعًا ، وأما الكافرُ فأسلَم حينَ رأَى بأسَ اللَّهِ : ﴿ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ ﴾[3] [غافر : ٨٥] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٨ إلى المصنف .

(٢ - ٢) في ص ، ت ١: «الإسلام» ، وفي ت ٢: «إسلام» .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٥، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٦٩٧ (٣٧٧٨) عن الحسن بن يحيى به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٤٨ إلى عبد بن حميد .

وقال آخرون : معنى ذلك أن[1] عبادةَ الخلقِ للهِ عزَّ وجلَّ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه :/ (أفغيرَ دينِ اللَّهِ تبغُون وله أسلمَ مَن في السَّماواتِ والأرضِ طوعًا وكرهًا) . قال : عِبادتُهم لي أجمعين طَوْعًا وكَرْهًا ، وهو قولُه : ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾[2] [الرعد : ١٥] . ٣٣٨/٣

وأما قولُه : (وإليه تُرجعونَ) . فإنه يعني : وإليه يا معشرَ مَن يَبْتَغِي غيرَ الإسلامِ دِينًا من اليهودِ والنصارى وسائرِ الناسِ (تُرْجَعون)[3] . يقولُ : إليه تَصِيرُون بعدَ مَماتِكم ، فَمُجازِيكم بأعمالِكم ؛ المُحْسِنَ مِنكم بإحسانِه ، والمُسِيءَ بإساءتِـه .

وهذا من اللَّهِ عزَّ وجلَّ تحذيرٌ خَلْقَه أن يَرْجِعَ إليه أحدٌ منهم ، فيَصِيرَ إليه بعدَ وفاتِه على غيرِ ملَّةِ الإسلامِ .

القولُ في تأويلِ قولِه تعالى : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ .

---

(١) في م : « في » .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦٩٦/٢ (٣٧٧٥) من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٨/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) في ت ١ ، ت ٢ ، س : « يرجعون » .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : أفغيرَ دينِ اللَّهِ تَبْغُون يا معشرَ اليهودِ ، وله أسلَم مَن فى السماواتِ والأرضِ طَوْعًا وكَرْهًا ، وإليه تُرْجَعون ، فإن ابتَغَوا غيرَ دينِ اللَّهِ يا محمدُ ، فقُلْ لهم : آمنَّا باللهِ . فترَك ذِكْرَ قولِه : فإن قالوا : نعم . و[1] ذِكرَ قولِه : فإن ابتَغَوا غيرَ دينِ اللَّهِ . لدَلالةِ ما ظهرَ من الكلامِ عليه .

وقولُه : ﴿ قُلْ ءَامَنَّا بِاللَّهِ ﴾ . يعنى به : قل لهم يا محمدُ : صَدَّقنا باللهِ أنه ربُّنا وإلهُنا ، لا إلهَ غيرُه ، ولا نَعبُدُ أحدًا سِواه . ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ﴾ . يقولُ : وقُلْ : وصَدَّقْنا أيضًا بما أُنزِل علينا من وَحْيِه وتنزيلِه ، فأقرَرْنا به . ﴿ وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴾ . يقولُ : وصَدَّقنا أيضًا بما أُنزِل على إبراهيمَ خليلِ اللَّهِ ، وعلى ابْنَيْهِ إسماعيلَ وإسحاقَ ، وابنِ ابنِه يعقوبَ ، وبما أُنزِل على الأسباطِ ، وهم ولدُ يعقوبَ الاثنا عشرَ . وقد بيَّنّا أسماءَهم بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[2] . ﴿ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ﴾ . يقولُ : وصَدَّقنا أيضًا مع ذلك بالذى أنزَل اللَّهُ على موسى وعيسى من الكُتُبِ والوَحْيِ ، وبما أُنزِل على النبيِّين من عندِه .

والذى آتَى اللَّهُ موسى وعيسى – مما أمَر اللَّهُ عزَّ وجلَّ محمدًا بتَصْديقِهما فيه والإيمانِ به – التوراةُ[3] التى آتاها موسى ، والإنجيلُ الذى آتاه عيسى .

﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ ﴾ . يقولُ : لا نُصَدِّقُ بعضَهم ونُكَذِّبُ بعضَهم ، ولا نؤمِنُ ببعضِهم ونكفُرُ ببعضِهم ، كما كفَرَت اليهودُ والنصارى ببعضِ أنبياءِ اللَّهِ ،

---

(١) فى ت ١: « أو » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٢/٥٩٧ – ٥٩٩ .

(٣) فى ص ، ت ١، ت ٢، س : « والتوراة » .

وصَدَّقَت بعضًا ، ولكِنَّا نؤمنُ بجميعِهم ونُصَدِّقُهم .

﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ يعنى : ونحن نَدِينُ للهِ[1] بالإسلامِ ، لا نَدِينُ غيرَه ، بل نَتَبَرَّأُ إليه من كلِّ دِينٍ سوَاه ، ومن كلِّ مِلَّةٍ غيرِه .

ويعنى بقولِه : ﴿ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ : ونحن له مُنْقادون بالطاعةِ ، مُتَذلِّلون بالعبودةِ ، مُقِرُّون له بالأُلوهةِ والرُّبوبيةِ ، وأنه لا إلهَ غيرُه .

وقد ذكَرنا الروايةَ بمعنى ما قلنا فى ذلك فيما مضَى[2] ، وكَرِهنا إعادتَه .

/القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ . ٣٣٩/٣

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : ومَن يَطلُبْ دِينًا غيرَ دينِ الإسلامِ ليدينَ به ، فلن يَقْبَلَ اللَّهُ منه ، ﴿ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾ . يقولُ : من الباخِسين أنفسَهم حظوظَها[3] من رحمةِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ .

وذُكِر أن أهلَ كلِّ مِلَّةٍ ادَّعَوا أنهم هم المسلمون لـمَّا نزَلَت هذه الآيةُ ، فأمَرهم اللَّهُ بالحَجِّ إن كانوا صادِقِين ؛ لأن مِن سُنَّةِ الإسلامِ الحَجَّ ، فامتَنَعوا ، فأدْحَضَ اللَّهُ بذلك حُجَّتَهم .

ذكرُ الخبرِ بذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، قال : زعَم عكرمةُ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ . فقالت المِلَلُ : نحن المسلمون .

---

(١) سقط من : ت ١، س .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٢/٥٩٦، ٥٩٧ .

(٣) فى ت١، س : « حظوظهم » .

فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [آل عمران : ٩٧]. فحجَّ المسلمون وقعَد(١) الكفارُ(٢) .

[٤٢٨/١و] حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا القَعْنَبِىُّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن عِكْرمةَ ، قال : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾ : قالت اليهودُ : فنحن مسلمون(٣) . فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ لنَبيِّه ﷺ يَحُجُّهم(٤) أنَّ : ﴿ لِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٥) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا سفيانُ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن عِكْرمةَ ، قال : لمَّا نزَلت : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا ﴾ . إلى آخرِ الآيةِ ، قالت اليهودُ : فنحن مُسلمون . قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ لنَبيِّه ﷺ : قلْ لهم : إنَّ ﴿ لِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ۚ وَمَن كَفَرَ ﴾ من أهلِ المِلَلِ ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٦) .

وقال آخرون فى هذه الآيةِ بما حدَّثنا به المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى مُعاويةُ ، عن علىٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟

---

(١) فى ت ١، ت ٢: « فقد » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٦٩٩/٢ (٣٧٨٨) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدرالمنثور ٥٧/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) فى م ، ت ١ : « المسلمون » .

(٤) فى ص ، ت ١، س : « فحجهم » .

(٥) أخرجه الشافعى فى الأم ٩٣/٢، وسعيد بن منصور فى سننه (٥٠٦ - تفسير) ، والبيهقى ٣٢٤/٤ عن سفيان به بنحوه .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٦/٣ (٣٨٧٥) عن يونس وابن المقرئ به .

وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة : ٦٢] . فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ بعدَ هذا : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(١) .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٨٩﴾ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى مَن عُنِى بهذه الآيةِ ، وفى مَن نزَلَت ؛ فقال بعضُهم : نزَلَت فى الحارثِ بنِ سُوَيدٍ الأنصاريِّ ، وكان مسلمًا فارتدَّ بعدَ إسلامِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ بَزِيعٍ البَصْرِيُّ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، قال : ثنا داودُ بنُ أبى هندٍ ، عن عِكْرِمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان رجلٌ من الأنصارِ أسلَم ، ثم ارتدَّ ولَحِق بالشركِ ، ثم نَدِم ، فأرسَل إلى قومِه : أرسِلوا إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ ، هل لى مِن توبةٍ ؟ قال : فنزَلَت : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ﴾ ، إلى قولِه : ﴿ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . فأرسَل إليه قومُه فأسلَم(٢) .

---

(١) تقدم تخريجه فى ٢/ ٤٦ .

(٢) أخرجه النسائى (٤٠٧٩) ، وفى الكبرى (١١٠٦٥) عن محمد بن عبد الله به ، وأخرجه ابن حبان (٤٤٧٧) من طريق يزيد بن زريع به .

حدَّثنى ابنُ المثنى ، قال : ثنى عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، عن عِكْرمةَ بنحوِه ، ولم يَرفَعْه إلى ابنِ عباسٍ ، إلا أنه قال : فكتَب إليه قومُه ، فقال : ما كَذَبَنى قومى . فرجَع[1] .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا حكيمُ بنُ جُمَيعٍ ، عن علىِّ بنِ مُسْهِرٍ ، عن داودَ بنِ أبى هندٍ ، عن عِكْرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : ارتدَّ رجلٌ من الأنصارِ . فذكَر نحوَه[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا جعفرُ بنُ سليمانَ ، قال : أخبرَنا حُمَيدٌ الأعرجُ ، عن مجاهدٍ ، قال : جاء الحارثُ بنُ سُويدٍ ، فأسلَم مع النبىِّ ﷺ ، ثم كفَر الحارثُ ، فرجَع إلى قومِه ، فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ فيه القرآنَ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ . إلى : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . قال : فحمَلها إليه رجلٌ من قومِه فقَرأها عليه ، فقال الحارثُ : إنك واللهِ ما عَلِمتُ لَصَدوقٌ ، وإن رسولَ اللَّهِ ﷺ لأَصدقُ مِنك ، وإن اللَّهَ عزَّ وجلَّ لأَصدقُ الثلاثةِ . قال : فرجَع الحارثُ فأسلَم ، فحَسُن إسلامُه[3] .

حدَّثنى موسى بنُ هارونَ ، قال : ثنا عمرٌو ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ ﴾ . قال :

---

(١) سقط من : ت ١، س . وينظر الإصابة ١/ ٥٧٧.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٧٠٠ (٣٧٩٥) من طريق على بن مسهر به ، وأخرجه أحمد بن منيع - كما فى الإتحاف بذيل المطالب ٨/ ٥٤٣- والحاكم ٢/ ١٤٢، ٤/ ٣٦٦، والواحدى فى أسباب النزول ص ٨٣ من طريق داود به ، وأخرجه الواحدى ص ٨٣ من طريق عكرمة به .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٥، وأخرجه مسدد ، كما فى المطالب العالية (٣٩٢٨) - ومن طريقه الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٣ - عن جعفر به .

أُنزِلَت في الحارثِ بنِ سُوَيدٍ الأنصاريِّ ، كفَر بعدَ إيمانِه ، فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ فيه هذه الآياتِ[(١)] ، ثم تاب وأسلَم ، فنَسَخها اللَّهُ عنه ، فقال : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ وَأَصۡلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴾[(٢)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ كَيۡفَ يَهۡدِي ٱللَّهُ قَوۡمٗا كَفَرُواْ بَعۡدَ إِيمَٰنِهِمۡ وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقّٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ﴾ ، قال : رجلٌ من بني عمرِو بنِ عَوفٍ كفَر بعدَ إيمانِه[(٣)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، مثلَه .

/حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : هو رجلٌ من بني عمرِو من عَوفٍ كفَر بعدَ إيمانِه[(٤)] . ٣٤١/٣

قال ابنُ جُرَيجٍ : أخبرَني عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : لَحِق بأرضِ الرومِ فتَنَصَّر ، ثم كتَب إلى قومِه : أرسِلوا ، هل لي من تَوْبةٍ ؟ قال : فحَسِبتُ أنه آمَن ثم رجَع[(٤)] .

---

(١) بعده في ص ، ت ٢ : « ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ » ، وبعده في م ، ت ١ ، ت ٣ ، س : « إلى ﴿ أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ » .

ولعله أراد : « إلى قوله : ﴿ أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة اللَّه والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون ﴾ » . واللَّه أعلم .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) عزاه الحافظ في الإصابة ٥٧٧/١ إلى عبد بن حميد والفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

قال ابنُ جُرَيجٍ: قال عِكْرمةُ: نزَلَت في أبي عامرٍ الرَّاهبِ، والحارثِ بنِ سُويدِ ابنِ [١/٤٢٨ظ] الصَّامتِ، ووَحْوَحِ بنِ الأَسْلتِ[١]، في اثنى عشَرَ رجلاً رجَعوا عن الإسلامِ، ولَحِقوا بقريشٍ، ثم كتبوا إلى أهلِهم: هل لنا من تَوبةٍ؟ فنزَلَت: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ﴾ الآيات[٢].

وقال آخرون: عُنى بهذه الآيةِ أهلُ الكتابِ، وفيهم نزَلَتْ.

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابنِ عباسٍ قولَه: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾: فهم أهلُ الكتابِ، عرَفوا محمدًا ﷺ، ثم كفَروا به[٣].

حدَّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ، قال: ثنا أبو بكرٍ الحنَفىُّ، قال: ثنا عَبَّادُ بنُ منصورٍ، عن الحسنِ فى قولِه: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ الآية كلَّها. قال: اليهودُ والنصارى[٤].

حدَّثنا بِشْرٌ، قال: ثنا يزيدُ، قال: ثنا سعيدٌ، عن قتادةَ، قال: كان الحسنُ يقولُ فى قولِه: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ الآية: هم أهلُ

---

(١) فى ت ١، س: «الأسلب». وهو وحوح (عامر) بن الأسلت بن جشم بن وائل، أخو أبى قيس. ينظر الإصابة ٦/ ٦٠١، وجمهرة أنساب العرب ص ٦٤٥.

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٩ إلى المصنف وابن المنذر.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٦٩٩ (٣٧٩٠) عن محمد بن سعد به.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٤٩ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر.

الكتابِ من اليهودِ والنصارى ، رَأَوْا نَعْتَ[(١)] محمدٍ ﷺ في كتابِهم ، وأَقَرُّوا[(٢)] به ، وشَهِدوا أنه حقٌّ ، فلمَّا بُعِث من غيرِهم حَسَدوا العربَ على ذلك ، فأنكَروه وكفَروا بعدَ إقرارِهم ، حسدًا للعربِ ، حينَ بُعِث من غيرِهم[(٣)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ . قال : هم أهلُ الكتابِ ، كانوا يَجِدون محمدًا ﷺ في كتابِهم ، ويَستَفْتِحون به ، فكفَروا بعدَ إيمانِهم[(٤)] .

قال أبو جعفرٍ : وأشبهُ القولَين بظاهرِ التنزيلِ ما قال الحسنُ ، من أن هذه الآيةَ مَعْنِيٌّ بها أهلُ الكتابِ ، على ما قاله ، غيرَ أن الأخبارَ بالقولِ الآخرِ أكثرُ ، والقائلين به أعلمُ بتأويلِ القرآنِ . وجائزٌ أن يكونَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ أنزَل هذه الآياتِ بسببِ القومِ الذين ذُكِر أنهم كانوا ارتدُّوا عن الإسلامِ ، فجمَع قِصَّتَهم وقصةَ مَن كان سبيلُه سبيلَهم في ارتِدادِه عن الإيمانِ بمحمدٍ ﷺ في هذه الآياتِ . ثم عَرَّف عبادَه سُنَّتَه فيهم ، فيكونُ داخلًا في ذلك كلُّ مَن كان مؤمنًا بمحمدٍ ﷺ قبلَ أن يُبْعَثَ ، ثم كفَر به بعدَ أن بُعِث ، وكلُّ مَن كان كافرًا ثم أسلَم على عهدِه ﷺ ، ثم ارتدَّ وهو حيٌّ عن إسلامِه . فيكونُ مَعْنِيًّا بالآيةِ جميعُ هذيْن الصِّنْفَيْن وغيرُهما ، (٥) ممن كان بمثلِ معناهما (٥) ، بل ذلك كذلك إن شاءَ اللَّهُ .

فتأويلُ الآيةِ إذن : ﴿ كَيْفَ يَهْدِى اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ﴾ . يعنى : كيف يُرْشِدُ اللَّهُ للصوابِ ، ويُوَفِّقُ للإيمانِ ، قومًا جَحَدوا نُبوَّةَ محمدٍ ﷺ ، ﴿ بَعْدَ

---

(١) في ص : « بعث » .

(٢) في ص ، ت ١ : « أقرا » .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٤٩/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١٢٥/١ ، وفيه : « ويستخفون به » .

(٥ - ٥) في ت ١ : « من كان بمعناهما » .

﴿إِيمَٰنِهِمْ﴾ . أي : بعدَ تَصْديقِهم إيّاه ، وإقرارِهم به فيما جاءَهم به من عندِ ربِّه ، ﴿وَشَهِدُوٓاْ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ﴾ . يقولُ : وبعدَ أن أقرُّوا أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ﷺ إلى خَلْقِه حَقًّا . ﴿وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ . يعنى : وجاءهم الحُجَجُ من عندِ اللَّهِ ، والدلائلُ بصحةِ ذلك . ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ . يقولُ : واللهُ لا يُوَفِّقُ[1] للحَقِّ والصوابِ الجماعةَ الظَّلَمَةَ ، وهم الذين بَدَّلوا الحقَّ إلى الباطلِ ، فاختاروا الكفرَ على الإيمانِ .

وقد دلَّلنا فيما مضَى قبلُ على معنى « الظُّلْمِ » ، وأنه وَضْعُ الشيءِ في غيرِ مَوضعِه ، بما أغنَى عن إعادتِه[2] .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُمْ﴾ . يعنى : هؤلاءِ الذين كفَروا بعدَ إيمانِهم ، وبعدَ أن شَهِدوا أن الرسولَ حقٌّ . ﴿جَزَآؤُهُمْ﴾ : ثوابُهم من عملِهم الذى عَمِلوه . ﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ ٱللَّهِ﴾ . يعنى : أن يَحِلَّ[3] بهم من اللَّهِ الإقصاءُ والبُعْدُ ، ومن الملائكةِ والناسِ ما[4] يَسوءُهم من العقابِ . ﴿أَجْمَعِينَ﴾ . يعنى : من جميعِهم ، لا من[5] بعضِ مَن سمَّاه جلَّ ثناؤه من الملائكةِ والناسِ ، ولكن مِن جميعِهم . وإنما جعَل ذلك جلَّ ثناؤه ثوابَ عملِهم ؛ لأن عملَهم كان باللهِ كُفْرًا .

وقد بَيَّنا صفةَ لعنةِ الناسِ الكافرَ فى غيرِ هذا الموضعِ ، بما أغنَى عن إعادتِه[6] .

---

(١) فى ت ١ : « يوقف » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/٥٥٩، ٥٦٠.

(٣) فى ص ، م : « حل » .

(٤ - ٤) فى ص ، م : « إلا مما » ، وفى ت١، ت٣، س : « إلا ما » ، وفى ت٢ : « مما » . والمثبت ما يستقيم به السياق .

(٥) سقط من : م .

(٦) ينظر ما تقدم فى ٢/٢٣٢، ٧٣٣.

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ . يعنى : ماكِثين . ﴿ فيها ﴾ . يعنى : فى عقوبةِ اللهِ . ﴿ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ : لا يُنْقَصون من العذابِ شيئًا فى حالٍ من الأحوالِ ، ولا يُنَفَّسون فيه . ﴿ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾ . يعنى : ولا هم يُنْظَرون لَمعْذِرةٍ يَعْتَذِرون . وذلك كلُّه أَعْنَى[1] الخلودِ فى العقوبةِ فى الآخرةِ .

ثم استثْنَى جلَّ ثناؤه الذين تابُوا من هؤلاء الذين كفَروا بعدَ إيمانِهم ، فقال تعالى ذكرُه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ . يعنى : إلا الذين تابُوا من بعدِ ارتدادِهم عن إيمانِهم ، فراجَعوا الإيمانَ باللهِ وبرسولِه ، وصَدَّقوا بما جاءهم به نبيُّهم ﷺ من عندِ ربِّهم . ﴿ وَأَصْلَحُوا۟ ﴾ . يعنى : وعمِلوا الصالحاتِ من الأعمالِ . ﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ . يعنى : فإن اللهَ لِمن فعَل ذلك بعدَ كفرِه ﴿ غَفُورٌ ﴾ . يعنى : ساترٌ عليه ذنبَه الذى كان منه من الرِّدَّةِ ، فتارِكٌ عقوبتَه عليه ، وفَضِيحتَه به يومَ القيامةِ ، غيرُ مُؤاخِذِه به إذا مات على التوبةِ منه . ﴿ رَّحِيمٌ ﴾ : مُتَعَطِّفٌ عليه بالرحمةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جل ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴿٩٠﴾ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : عنَى اللهُ عزَّ وجلَّ بقولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ ببعضِ أنبيائِه الذين بُعِثوا قبلَ محمدٍ ﷺ بعدَ إيمانِهم ، ﴿ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ بكُفْرِهم بمحمدٍ ﷺ ، ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ عندَ حُضورِ الموتِ ، وحَشْرَجتِه بنفسِه .

---

(١) أعنى الخلود : أشده نصبا وتعبا . وينظر اللسان (ع ن ى) .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنَفيُّ ، قال : ثنا عَبّادُ بنُ منصورٍ ، عن الحسنِ في قولِه : / ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ ، قال : اليهودُ والنصارى لن تُقْبَلَ توبتُهم عندَ الموتِ[1] .

٣٤٣/٣

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ : أولئك أعداءُ اللَّهِ اليهودُ ، كفروا بالإنجيلِ وبعيسى ، ثم ازدادوا كُفْرًا بمحمدٍ ﷺ والفُرْقانِ[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ . قال : ازدادوا كُفْرًا حتى حضَرهم الموتُ ، فلم تُقْبَلْ توبتُهم حينَ حضَرهم الموتُ . قال مَعْمَرٌ : وقال مثلَ ذلك عطاءٌ الخُراسانيُّ[3] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَـٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ . وقال : هم اليهودُ ، كفروا بالإنجيلِ ، ثم ازدادوا كفرًا حينَ بَعَث اللَّهُ محمدًا ﷺ ، فأنكَروه وكذَّبوا به[4] .

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٢/٢ عقب الأثر (٣٨٠٤) معلقًا .

(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٨٤، والبغوي في تفسيره ٢/ ٦٤، ٦٥.

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٥، ١٢٦، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٤) عن الحسن بن يحيى به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠١/٢ (٣٨٠١) من طريق شيبان ، عن قتادة . وعزاه السيوطي في =

وقال آخرون : معنى ذلك : إن الذين كفَروا من أهلِ الكتابِ بمحمدٍ بعدَ إيمانِهم بأنبيائِهم ، ﴿ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ . يعنى : ذُنوبًا ، ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ : مِن ذنوبِهم ، وهم على الكفرِ مُقيمون .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الوهَّابِ ، قال : ثنا داودُ ، عن رُفَيعٍ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا ﴾ : ازدادوا ذُنوبًا وهم كفارٌ ، ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . من تلك الذنوبِ ما كانوا على كفرِهم وضَلالتِهم[(١)] .

حدَّثنا ابنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا ابنُ أبى عدىٍّ ، عن داودَ ، قال : سألتُ أبا العاليةِ ، قال : قلتُ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . قال : إنما هم هؤلاء النصارى واليهودُ الذين كفَروا ، ثم ازدادوا كفرًا بذنوبٍ أصابوها ، فهم يَتوبون منها فى كفرِهم[(٢)] .

حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بَيانٍ السُّكَّرىُّ[(٣)] ، قال : أخبرَنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن داودَ ، قال : سألتُ أبا العاليةِ عن الذين آمَنوا ثم كفَروا ، فذكَر نحوًا منه .

حدَّثنا ابنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا عبدُ الأعلى ، قال : ثنا داودُ ، قال : سألتُ أبا العاليةِ عن هذه الآيةِ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُوا۟ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ . قال : هم اليهودُ والنصارى والمجوسُ ، أصابوا ذُنوبًا فى

= الدر المنثور ٤٩/٢ إلى عبد بن حميد .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٥) من طريق داود به بمعناه .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠١/٢ (٣٧٩٩) من طريق داود بن أبى هند به بمعناه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٤٩/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) فى م : « اليشكرى » . وينظر تهذيب الكمال ٤١٣/١٦ .

كفرِهم ، فأرادوا أن يَتوبوا منها ، ولن يَتوبوا من الكفرِ ، ألا تَرَى أنه يقولُ : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ ؟

حدَّثنا محمدُ بنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن داودَ ، عن أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . قال : تابوا من بعضٍ ولم يَتوبوا من الأصلِ[1] .

حُدِّثتُ عن عَمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن داودَ بنِ أبي هندٍ ، عن أبي العاليةِ قولَه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ﴾ . قال : هم اليهودُ والنصارى ، يُصِيبون الذنوبَ ، فيقولون : نَتوبُ . وهم مُشْرِكون ، قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : لن تُقْبَلَ التوبةُ في الضلالةِ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن الذين كفَروا بعدَ إيمانِهم بأنبيائِهم[2] ، ﴿ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ﴾ . يعني بزيادتِهم الكُفْرَ تمامَهم[3] عليه حتى هَلَكوا وهم عليه مُقِيمون . ﴿ لن تقبل توبتهم ﴾ : لن تَنْفَعَهم توبتُهم الأولى وإيمانُهم ، لكُفْرِهم الآخِرِ ومَوْتِهم .

ذكرُ مَن قال ذلك :

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ[4] قولَه : ﴿ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ﴾ . قال : تَمُّوا[5] على كُفْرِهم . قال ابنُ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٧٠٢ (٣٨٠٣) من طريق أبي عاصم به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٥٠ إلى ابن المنذر وعبد بن حميد .

(٢) في ص : « بإنبائهم » .

(٣) في م ، س : « بما هم » . وتم على الشيء أقام عليه واستمر . التاج (ت م م) .

(٤) في م ، ت ١ : « عكرمة » .

(٥) في ص ، م : « نموا » .

جُرَيجٍ : ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . يقولُ : إيمانُهم أولَ مرةٍ لن يَنْفَعَهم[1] .

وقال آخرون : معنى قولِه : ﴿ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ﴾ : ماتوا كفارًا ، فكان ذلك هو زيادتَهم من كُفْرِهم . وقالوا : معنى : ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ : لن تُقْبَلَ توبتُهم عندَ موتِهم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ ثُمَّ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ : أما : ﴿ ٱزْدَادُواْ كُفْرًا ﴾ ؛ فماتوا وهم كفارٌ ، وأما : ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ ؛ فعندَ موتِه إذا تاب لم تُقْبَلْ تَوْبتُه[2] .

قال أبو جعفرٍ : وأولَى هذه الأقوالِ بالصوابِ فى تأويلِ هذه الآيةِ قولُ مَن قال : عَنى بها اليهودَ . وأن يكونَ تأويلُه : إن الذين كفَروا من اليهودِ بمحمدٍ ﷺ عندَ مَبْعَثِه ، بعدَ إيمانِهم به قبلَ مَبْعَثِه ، ثم ازدادوا كُفْرًا بما أصابوا من الذنوبِ فى كُفرِهم ومُقامِهم على ضَلالتِهم ، لن تُقْبَلَ تَوبتُهم من ذنوبِهم التى أصابوها فى كُفرِهم ، حتى يَتوبوا من كفرِهم بمحمدٍ ﷺ ، ويُراجِعوا التوبةَ منه ، بتَصْديقِ[3] ما جاء به من عندِ اللَّهِ .

وإنما قُلنا : ذلك أولى الأقوالِ فى هذه الآيةِ بالصوابِ ؛ لأن الآياتِ قبلَها وبعدَها فيهم نزَلت ، فأولى أن تكونَ هى فى معنى ما [١/٤٢٩ظ] قبلَها

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٥٠ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٢/ ٧٠١ (٣٨٠٠) من طريق أحمد بن مفضل به بشطره الأول .

(٣) فى ص ، ت٢: « بتصديقه » .

وما بعدَها إذ[١] كانت فى سياقٍ واحدٍ .

وإنما قلنا : معنى ازديادِهم الكفرَ ما أصابوا فى كفرِهم من المعاصى ؛ لأنه جلَّ ثناؤه قال : ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . فكان معلومًا أن معنى قولِه : ﴿ لَّن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ ﴾ . إنما هو مَعْنِىٌّ به : لن تُقْبَلَ توبتُهم مما ازدادوا[٢] من الكفر على كفرِهم بعدَ إيمانِهم ، لا مِن كفرِهم ؛ لأن اللَّهَ تعالى ذكرُه وعَد أن يَقْبَلَ التوبةَ من عبادِه ، فقال : ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ ﴾ [الشورى : ٢٥] . فمُحالٌ أن يقولَ عزَّ وجلَّ : أقْبَلُ ، ولا أقبَلُ . فى شىءٍ واحدٍ . وإذ كان ذلك كذلك - وكان من حُكْمِ اللَّهِ فى عبادِه أنه قابِلٌ توبةَ كلِّ تائبٍ من كلِّ ذنبٍ ، وكان الكفرُ بعدَ الإيمانِ أحدَ تلك الذنوبِ التى وَعَدَ قَبولَ التوبةِ منها بقولِه : ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ - عُلِم أن المعنَى / الذى لا يَقْبَلُ التوبةَ منه غيرُ المعنى الذى يَقْبَلُ التوبةَ منه . وإذ كان ذلك كذلك ، فالذى لا يَقْبَلُ منه التوبةَ هو الازديادُ على الكفرِ بعدَ الكفرِ ، لا يَقْبَلُ اللَّهُ[٣] توبةَ صاحبِه ما أقام على كفرِه ؛ لأن اللَّهَ لا يَقْبَلُ من مُشْرِكٍ عملًا ما أقام على شِرْكِه وضَلالِه ، فأمَّا إن تابَ من شِرْكِه وكفرِه وأصلَح ، فإن اللَّهَ - كما وصَف به نفسَه - غفورٌ رحيمٌ .

٣/٣٤٥

فإن قال قائلٌ : وما يُنكَرُ أن يكونَ معنى ذلك كما قال مَن قال : فلن تُقْبَلَ تَوْبتُهم من كفرِهم عندَ حُضورِ [٤]أجلِه ، و[٥] تَوْبتُه الأولى[٤] ؟

(١) فى ص ، ت ٢ : « إذا » .

(٢) فى ص : « أرادوا » .

(٣) بعده فى ص ، ت ٢، س : « منه » .

(٤ - ٤) لعل صواب السياق : « أجلهم وتوبتهم الأولى » .

(٥) فى ص ، س : « أو » .

قيل : أنكَرنا ذلك لأن التوبةَ من العبدِ غيرُ كائنةٍ إلا فى حالِ حياتِه ، فأما بعدَ مماتِه فلا توبةَ ، وقد وَعَد اللَّهُ عَزَّ وجلَّ عبادَه قَبولَ التوبةِ منهم ما دامتْ أرواحُهم فى أجسادِهم ، ولا خلافَ بينَ جميعِ الحُجَّةِ فى أن كافرًا لو أسلَم قبلَ خُروجِ نفسِه بطَرْفةِ عينٍ ، أن حُكْمَه حكمُ المسلمين فى الصلاةِ عليه والمُوَارَثةِ ، وسائرِ الأحكامِ غيرِهما[1] . فكان معلومًا بذلك أن توبتَه فى تلك الحالِ لو كانت غيرَ مَقْبولةٍ ، لم يَنْتقِلْ حُكْمُه من حكمِ الكفارِ إلى حكمِ أهلِ الإسلامِ ، ولا منزلةَ بينَ الموتِ والحياةِ يجوزُ أن يقالَ : لا يَقْبَلُ اللَّهُ فيها توبةَ الكافرِ . فإذ صَحَّ أنها فى حالِ حياتِه مَقْبولةٌ ، ولا سبيلَ بعدَ المَماتِ إليها ، بطَل قولُ الذى زعَم أنها غيرُ مقبولةٍ عندَ حُضورِ الأجلِ .

وأما قولُ مَن زعَم أن معنى ذلك : التوبةُ التى كانت قبلَ الكفرِ . فقولٌ لا معنًى له ؛ لأن اللَّهَ عزَّ وجلَّ لم يَصِفِ القومَ بإيمانٍ كان منهم بعدَ كُفْرٍ ، ثم كُفْرٍ بعدَ إيمانٍ ، بل إنما وَصَفهم بكُفْرٍ بعدَ إيمانٍ ، فلم يَتَقَدَّمْ ذلك الإيمانَ كفرٌ كان للإيمانِ لهم توبةٌ منه ، فيكونَ تأويلُ ذلك على ما تأوَّله قائلُ ذلك . وتأويلُ القرآنِ على ما كان موجودًا فى ظاهرِ التلاوةِ - إذا لم تكُنْ حُجَّةٌ تدلُّ على باطنٍ خاصٍّ - أولى من غيرِه وإن أمكَن تَوْجيهُه إلى غيرِه .

وأما قولُه : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلضَّآلُّونَ ﴾ . فإنه يعنى بذلك : وهؤلاء الذين كَفروا بعدَ إيمانِهم ثم ازدادوا كُفرًا ، هم الذين[2] ضَلُّوا[3] سبيلَ الحقِّ ، فأخْطَئُوا مَنْهَجَه ، وترَكوا نَصَفَ[4] السبيلِ وهدَى اللَّهِ[5] ، [6]حَيْرةً منهم ، وعمًى عنه[6] .

(١) فى ص ، ت١، س : « غيرها » .

(٢) بعده فى ت ٢: « كفروا » .

(٣) فى ص ، ت ١، س : « أضلوا » .

(٤) فى م : « منصف » . ونصف السبيل عدله وجادته .

(٥) سقط من : ص ، ت ١، ت ٢، س ، وبعده فى م : « الذى » .

(٦ - ٦) فى ص : « خبرهم منهم » ، وفى م : « أخبرهم عنه فعموا عنه » .

وقد بيَّنَّا فيما مضى معنى « الضلالِ » بما فيه الكفايةُ[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ﴾ أى : جحَدوا نُبوَّةَ محمدٍ ﷺ ولم يُصَدِّقوا به وبما جاء به من عندِ اللَّهِ مِن أهلِ كلِّ مِلَّةٍ ؛ يهودِها ونَصاراها ومجوسِها وغيرِهم ، ﴿ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ ﴾ . يعنى : وماتوا على ذلك من جُحودِ نُبوَّتِه وجُحودِ ما جاء به ، ﴿ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ . يقولُ : فلن يُقْبَلَ ممن كان بهذه الصفةِ فى الآخرةِ جَزاءٌ ولا رِشْوةٌ على تَرْكِ عُقوبتِه / على كُفْرِه ، ولا جُعْلٌ على العَفْوِ عنه ، ولو كان له من الذهبِ قَدْرُ ما يملأُ الأرضَ من مَشْرِقِها إلى مَغْرِبِها ، فرَشا وجَزَى[(٢)] على تركِ عقوبتِه ، وفى العفوِ عنه على كفرِه ، عِوَضًا مما اللَّهُ مُحِلٌّ به من عذابِه[(٣)] ؛ لأن الرِّشا إنما يَقْبَلُها مَن كان ذا حاجةٍ إلى ما رُشِىَ[(٤)] ، فأمَّا مَن له الدنيا والآخرةُ ، فكيف يَقْبَلُ الفِدْيةَ وهو خَلَّاقُ كلِّ فِدْيةٍ افتدَى بها مُفْتَدٍ من[(٥)] نفسِه أو غيرِه ؟ ٣٤٦/٣

وقد بَيَّنَّا أن معنى « الفِدْيةِ » : العِوَضُ والجزاءُ من المُفْتَدِى منه ، بما أغنَى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[(٦)] .

ثم أخبرَ عزَّ وجلَّ عما لهم عندَه ، فقال : ﴿ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ ﴾ . يعنى : هؤلاء الذين

---

(١) ينظر ما تقدم فى ١/١٩٧- ١٩٩.

(٢) فى ص ، ت ١ : « جزاء » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « عباده » ، وفى س : « عقابه » .

(٤) فى ت ١ ، س : « رشا » .

(٥) فى م : « عن » .

(٦) ينظر ما تقدم فى ٣/ ١٨٠.

كفَروا وماتوا وهم كفارٌ ، ﴿ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ . يقولُ : لهم عندَ اللهِ فى الآخرةِ عذابٌ مُوجِعٌ ، ﴿ وَمَا لَهُم مِّن نَّصِرِينَ ﴾ . يعنى : وما لهم من قريبٍ ولا حميمٍ ولا صديقٍ يَنْصُرُه فيَسْتَنقِذَه من اللهِ ومن عذابِه ، كما كانوا يَنْصُرونه فى الدنيا على مَن حاوَل أذاه ومَكْروهَه .

وقد حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ثنا أنسُ بنُ مالكٍ ، أن نبيَّ اللهِ ﷺ كان يقولُ : « يُجاءُ بالكافرِ يومَ القيامةِ فيُقالُ له : أرأيتَ لو كان لكَ مِلءُ الأرضِ ذَهَبًا ، أكُنْتَ مُفْتَدِيًا به ؟ فيقولُ : نعم . قال فيُقالُ : لقد سُئِلتَ ما هو أيسَرُ مِن ذلك » . فذلك قولُه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ [١/٤٣٠و] أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ ﴾[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفىُّ ، قال : ثنا عَبَّادٌ ، عن الحسنِ ، قولَه : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ . قال : هو كلُّ كافرٍ[(٢)] .

ونُصِب قولُه : ﴿ ذَهَبًا ﴾ على الخروجِ من المقدارِ الذى قبلَه والتفسيرِ[(٣)] منه ، وهو قولُه : ﴿ مِّلْءُ الْأَرْضِ ﴾ . كقولِ القائلِ : عندى قَدْرُ زِقٍّ سَمْنًا ، وقَدْرُ رَطْلٍ عَسَلًا . فالعسلُ[(٤)] مُبَيِّنٌ[(٥)] به ما[(٦)] ذُكِر من المقدارِ ، وهو نكرةٌ منصوبةٌ على التفسيرِ

(١) أخرجه أحمد ٢١/١٧، ٤٧١ (١٣٢٨٨، ١٤١٠٧) ، وعبد بن حميد (١١٧٩) ، والبخارى (٦٥٣٨) ، ومسلم (٢٨٠٥) ، وأبو يعلى (٢٩٢٦، ٢٩٧٦، ٣٠٢١) ، وابن حبان (٧٣٥١) ، والبيهقى فى البعث (٩١، ٩٢) من طريق سعيد بن أبى عروبة به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٢/٢ (٣٨٠٦) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٣) التفسير : التمييز . وينظر ما تقدم فى ٢٤٣/٢ .

(٤) فى ص، ت ١، ت ٢: « بالعسل » .

(٥) فى ت ١، س: « يبين » . والمبين : المميز . ينظر شرح التسهيل ١/ ٣٧٩.

(٦) فى ص، ت ١، ت ٢، س: « عما » .

للمقدارِ ، والخروجِ منه .

وأما نحويو البصرةِ ، فإنهم زعَموا أنه نَصَب الذهبَ لاشتغالِ[١] الملءِ[٢] بالأرضِ ، ومجيءِ الذهبِ بعدَهما ، فصار نصبُها نظيرَ نصبِ الحالِ ، وذلك أن الحالَ يَجِيءُ بعدَ فعلٍ قد شُغِل بفاعلِه فيُنْصَبُ ، كما يُنْصَبُ المفعولُ الذى يأتى بعدَ الفعلِ الذى قد شُغِل بفاعلِه . قالوا : ونظيرُ قولِه : ﴿ مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا ﴾ . فى نَصْبِ الذهبِ فى الكلامِ : لى مِثْلُك رجلًا . بمعنى : لى مِثْلُك من الرجالِ . وزعَموا أن نَصْبَ الرجلِ لاشتغالِ الإضافةِ بالاسمِ ، فنُصِب كما يُنْصَبُ المفعولُ به ؛ لاشتغالِ[٣] الفعلِ بالفاعلِ .

وأُدخِلَت الواوُ فى قولِه : ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ . لمحذوفٍ من الكلامِ بعدَه ، دلَّ عليه دخولُ الواوِ ، [٤]كالواوِ فى قولِه : ﴿ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ ﴾[٤] [الأنعام : ٧٥] . وتأويلُ الكلامِ : وليكونَ من الموقِنين[٥] أرَيْناه ملكوتَ السماواتِ والأرضِ . فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿ وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ ﴾ . ولو لم يكنْ فى الكلامِ واوٌ لكان الكلامُ صحيحًا ، ولم يكنْ هناك متروكٌ ، وكان : فلن يُقبلَ من أحدِهم ملءُ الأرضِ ذهبًا لو افتدى به .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ

---

(١) فى ت ١ ، س : « لاستعمال » .

(٢) فى ت ٢: « الملل » .

(٣) فى ت ١ ، س : « لاستثقال » .

(٤ - ٤) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢.

(٥) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢: « لمتروك من الكلام دل عليه دخول الواو وتأويل الكلام وليكون من الموقنين » .

﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٩٢﴾ .

/يعنى بذلك جلّ ثناؤه : لن تُدْرِكوا أيُّها المؤمنون البِرَّ ، وهو البِرُّ من اللَّهِ الذى ٣٤٧/٣ يَطْلُبونه منه بطاعتِهم إيّاه ، وعبادتِهم له ، ويَرْجونه منه ، وذلك تَفَضُّلُه عليهم بإدخالِهم جنتَه ، وصَرْفِ عذابِه عنهم . ولذلك قال كثيرٌ من أهلِ التأويلِ : البِرُّ الجنةُ ؛ لأن بِرَّ الرَّبِّ بعبدِه فى الآخرةِ إكرامُه[1] إيَّاه بإدخالِه الجنةَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن شَرِيكٍ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ ، فى قولِه : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ . قال : الجنةُ[2] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا الحِمّانِىُّ ، قال : ثنا شَرِيكٌ ، عن أبى إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ فى قولِه : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ . قال : البِرُّ الجنةُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾ : أما البِرُّ فالجنةُ[3] .

فتأويلُ الكلامِ : لن تَنالوا أيُّها المؤمنون جنةَ ربِّكم ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ . يقولُ : حتى تَتَصَدَّقوا مما تُحِبُّون [4]وتَهْوَوْن[4] أن يكونَ لكم من نَفيسِ أموالِكم .

كما حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿لَن تَنَالُواْ

---

(١) فى م : « وإكرامه » .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ٤٢٤/١٣ عن شريك به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٣/٣ عقب الأثر (٣٨٠٩) من طريق عمرو ، عن أسباط به .

(٤ - ٤) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ : « فتهوون » .

ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . يقولُ : لن تَنالوا (١) بِرَّ ربِّكم (١) حتى تُنْفِقوا مما يُعْجِبُكم ، ومما تَهْوَوْن من أموالِكم (٢) .

حدَّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ ، عن عَبَّادٍ ، عن الحسنِ قولَه : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . قال : من المالِ .

وأما قولُه : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ . فإنه يعنى به : ومهما تُنْفِقوا من شىءٍ فتَتَصَدَّقوا به من أموالِكم ، فإن اللَّهَ تعالى ذكرُه بما يَتَصَدَّقُ به المُتَصَدِّقُ منكم ، فيُنْفِقُه مما يُحِبُّ من مالِه فى سبيلِ اللَّهِ ، وغيرِ ذلك ﴿ عَلِيمٌ ﴾ . يقولُ : هو ذو علمٍ بذلك كلِّه ، لا يَعْزُبُ عنه شىءٌ منه ، حتى يُجازِىَ صاحبَه عليه جزاءَه فى الآخرةِ .

كما حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾ . يقولُ : محفوظٌ لكم ذلك ، اللَّهُ به عليمٌ ، شاكرٌ له (٣) .

وبنحوِ التأويلِ الذى قلنا تأوَّل هذه الآيةَ جماعةٌ من الصحابةِ والتابعين .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . قال : كتَب عمرُ بنُ الخطابِ إلى أبى موسى الأشعرىِّ أن يَبْتاعَ له جاريةً من

(١ - ١) فى ص : «بربكم» ، وفى ت ٢ : «ببركم» ، وفى ت ١ ، س : «بركم» .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥١/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٤/٣ (٣٨١٥) من طريق شيبان ، عن قتادة .

جَلُولاءَ[1] يومَ فُتِحت مدائنُ كسرى ، فى قتالِ سعدِ بنِ أبى وَقَّاصٍ ، فدَعا بها عمرُ بنُ الخطابِ ، فقال : إن اللَّهَ يقولُ : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . فأعتَقها عمرُ . وهى مِثْلُ قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾ [الإنسان : ٨] . ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾[2] [الحشر : ٩] .

٣٤٨/٣ / حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حُذَيفةَ ، قال : ثنا شِبْلٌ ، عن ابنِ أبى نَجِيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه سواءً .

حدَّثنا ابنُ بَشَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى عدىٍّ ، عن حُمَيدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : لمَّا نزَلت هذه الآيةُ : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . أو هذه الآيةُ : ﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ﴾ [البقرة : ٢٤٥/الحديد : ١١] . قال أبو طلحة : يا رسولَ اللَّهِ ، حائِطى الذى بكذا وكذا صَدقةٌ ، ولو استطعتُ أن أجعَلَه سِرًّا لم أجعَلْه علانيةً . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اجْعَلْها فى فُقراءِ أهلِكَ »[3] .

[٤٣٠/١ظ] حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا حَمَّادٌ ، عن ثابتٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : لما نزَلت هذه الآيةُ : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . قال أبو طلحةَ : يا رسولَ اللَّهِ ، إن اللَّهَ يسألُنا من أموالِنا ، اشهَدْ أنِّى قد

---

(١) أى من سبى جلولاء . وجلولاء اسم للوقعة التى كانت بين المسلمين والفرس فى صفر من سنة ست عشرة ، وفيها انتصر المسلمون بعد قتال لم يسمع بمثله ، وقتل من الفرس يومئذ مائة ألف ، حتى جللوا وجه الأرض بالقتلى ، فلذلك سميت جلولاء . ينظر تاريخ المصنف ٢٤/٤ - ٣٤، والبداية والنهاية ٢٠/١٠ - ٢٤ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٥، ٢٥٦، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٠/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه أحمد ١٩١/١٩ ، ١٧٩/٢٠ ، ٢٩٥/٢١ (١٢١٤٤ ، ١٢٧٨١ ، ١٣٧٦٧) ، وعبد بن حميد (١٤١٣) ، والترمذى (٢٩٩٧) ، وأبو يعلى (٣٨٦٥) ، وابن خزيمة (٢٤٥٨، ٢٤٥٩) ، والطحاوى ٢٨٩/٣، ٣٨٦/٤، والدارقطنى ١٩١/٤ من طريق حميد به .

جعَلتُ أرضِى بأَرْيَحا[(١)] للهِ . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « اجعَلها فى قَرابتِك » . فجَعَلها بينَ حسانَ بنِ ثابتٍ وأبىِّ بنِ كعبٍ[(٢)] .

حدَّثنا عمرانُ بنُ موسى ، قال : ثنا عبدُ الوارثِ ، قال : ثنا ليثٌ ، عن ميمونِ بنِ مِهْرانَ ، أن رجلاً سأل أبا ذرٍّ : أىُّ الأعمالِ أفضلُ ؟ قال : الصلاةُ عمادُ الإسلامِ ، والجهادُ سَنامُ العملِ ، والصدقةُ شىءٌ عَجَبٌ[(٣)] . فقال : يا أبا ذرٍّ ، لقد ترَكتَ شيئًا هو أوثَقُ عملى فى نفسى لا أراك ذكَرْتَه . قال : ما هو ؟ قال : الصيامُ . فقال : قُرْبةٌ ، وليس هنا[(٤)] . وتلا هذه الآيةَ : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[(٥)] .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : أخبرَنى داودُ بنُ عبدِ الرحمنِ المكىُّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الرحمنِ بنِ أبى حسينٍ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، قال : لـمَّا نزَلت هذه الآيةُ : ﴿ لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ . جاء زيْدٌ بفرسٍ له ، يقالُ لها : سَبَلٌ[(٦)] . إلى النبىِّ ﷺ ، فقال : تَصَدَّقْ بهذه يا رسولَ اللَّهِ . فأعطاها

---

(١) كذا فى النسخ ، وسنن أبى داود . ويقال أيضًا : بيرحاء . بالمد والقصر ، بفتح الراء وضمها ، مصروف وممنوع . قال الزمخشرى : هو بوزن « فَيْعَلى » من البراح ، وهى الأرض الظاهرة ، وهو اسم مال وموضع بالمدينة . ينظر الفائق ١/ ٩٣، ومشارق الأنوار ١/ ١١٥، ١١٦، والنهاية ١/ ١١٤، وعون المعبود ٢/ ٥٨.

(٢) أخرجه أحمد ٢١/ ٤٣١ (١٤٠٣٦) ، ومسلم ٤٣/(٩٩٨) ، وأبو داود (١٦٨٩) ، والنسائى (٣٦٠٤) ، وابن خزيمة (٢٤٦٠) ، وابن حبان (٧١٨٣) ، والدارقطنى ٤/ ١٩١، والبيهقى ٦/ ١٦٥، ٢٨٥، وفى الشعب (٣٤٢٣) ، وابن عبد البر فى التمهيد ١/ ٢١٦ من طريق حماد بن سلمة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٥٠ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

(٣) فى م : « عجيب » .

(٤) فى ص ، م ، ت١ ، ت ٣: « هناك » . والمثبت موافق لما فى الدر المنثور .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٥٠ إلى المصنف .

(٦) فى م : « سيل » . والمثبت موافق لما فى كتاب الخيل لأبى عبيدة ص ١٧٩. وينظر تاج العروس (س ب ل) .

رسولُ اللَّهِ ﷺ ابنَه أسامةَ بنَ زيدِ بنِ حارثةَ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، إنما أردتُ أن أتصدَّقَ به . فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « قد قُبِلَت صَدَقَتُك »(١) .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبرَنا مَعْمَرٌ ، عن أيوبَ وغيرِه أنها حينَ نزَلَت : ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ . جاء زيدُ بنُ حارثةَ بفرسٍ له كان يُحِبُّها ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، هذه فى سبيلِ اللَّهِ . فحَمَل رسولُ اللَّهِ ﷺ عليها أسامةَ بنَ زيدٍ ، فكأنَّ زيدًا وَجَد فى نفسِه ، فلما رأى ذلك منه النبيُّ ﷺ ، قال : « أمَا إنَّ اللَّهَ قَدْ قَبِلها »(٢) .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه أنه لم يَكُنْ حرَّم على بنى إسرائيلَ - وهم ولَدُ يعقوبَ ابنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ خليلِ الرحمنِ - شيئًا من الأطعمةِ من قبلِ أن تُنزَّلَ التوراةُ ، بل كان ذلك كلُّه لهم حلالًا ، إلَّا ما كان يعقوبُ حرَّمه على نفْسِه ، فإنَّ ولدَه حرَّموه اسْتِنانًا بأبيهم يعقوبَ ، من غيرِ تحريمِ اللَّهِ ذلك عليهم فى وَحْيٍ ، ولا تنزيلٍ ، ولا على لسانِ رسولٍ له إليهم ، مِن قبلِ نزولِ التوراةِ .

ثم اختلف أهلُ التأويلِ فى تحريمِ ذلك عليهم : هل نزَل فى التوراةِ أم لا ؟ فقال بعضُهم : لمَّا أَنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ التوراةَ حرَّم عليهم مِن ذلك ما كانوا يُحرِّمونه قبلَ نزولِها .

---

(١) أخرجه ابن عساكر فى تاريخه ١٩/٣٦٧ من طريق ابن وهب به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٦ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ قولَه : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . قالت اليهودُ : إنما نُحرِّمُ ما حرَّم إسرائيلُ على نفسِه ، وإنما حرَّم إسرائيلُ العُرُوقَ ، كان يأخُذُه عِرْقُ النَّسا[1] ، كان يأخُذُه بالليلِ ، ويترُكُه بالنهارِ ، فحلَف لئِنِ اللَّهُ عافاه منه لا يأكلُ عِرْقًا أبدًا . فحرَّمه اللَّهُ عليهم . ثم قال : ﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ . ما حرَّم هذا عليكم غيرى ؛ ببغيِكم ، فذلك قولُه : ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ ﴾[2] [النساء : ١٦٠] .

فتأويلُ الآيةِ على هذا القولِ : كلُّ الطعامِ كان حِلًّا لبنى إسرائيلَ ، إلا ما حرَّم إسرائيلُ على نفسِه من قبلِ أن تُنزَّلَ التوراةُ ، فإن اللَّهَ حرَّم عليهم من ذلك ما كان إسرائيلُ حرَّمه على نفسِه فى التوراةِ ؛ ببغيِهم على أنفسِهم وظلمِهم لها . قل يا محمدُ : فأْتوا أيُّها اليهودُ - إن أنكَرتم ذلك - بالتوراةِ ، فاتْلُوها إن كنتم /صادقين أنَّ اللَّهَ لم يُحرِّمْ ذلك عليكم فى التوراةِ ، وأنكم إنما تحرِّمونه لتحريمِ ٢/٤

(١) عِرق النسا : وجع يبتدئ من الوَرِك من خَلْف ، وينزل إلى الركبة ، وربما بلغ الكعب ، وكلما طال زمانُه زاد نزولُه ، فربما امتدَّ إلى الأصابع بحسب كثرة مادته وقلَّتها ، ويَهْزُل معه الرِّجل ، والفخِذ ، ويصعب الانكباب وتسوية القامة ، وربما انخلع بسببه طرَف الفَخِذ . ينظر الموجز فى الطب لابن النفيس ص ٢٦٧.

(٢) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٢/٦٢ عن المصنف . وينظر تفسير البغوى ٢/ ٦٨، وتفسير القرطبى ٤/ ١٣٤، ١٣٥.

والعروق المقصودة هى العروق التى تكون فى اللحم ، جمع عِرْق وهو الأجوف الذى يكون فيه الدم ، والعَصَب : غير الأجوف . ينظر تفسير البغوى ٢/ ٦٨، والنهاية ٣/ ٢١٩.

إسرائيلَ إيَّاه على نفسِه .

وقال آخرون : ما كان شيءٌ من ذلك عليهم حرامًا ، ولا حرَّمه اللَّهُ عليهم فى التوراةِ ، وإنما هو شيءٌ حرَّموه على أنفسِهم ، اتِّباعًا لأبيهم ، ثم أَضافوا تحريمَه إلى اللَّهِ ، فكذَّبهم اللَّهُ عزَّ وجلَّ فى إضافتِهم ذلك إليه ، فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ لنبيِّه محمدٍ ﷺ : قل لهم يا محمدُ : إن كنتم صادقين ، فأْتُوا بالتوراةِ فاتْلُوها حتى ننظُرَ هل ذلك فيها أم لا ؟ فيتبيَّنَ[1] كَذِبُهم لمن يَجْهَلُ أمرَهم .

ذكرُ من قال ذلك

حُدِّثت عن الحسينِ بنِ الفَرَجِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ ، قال : أخبَرنا عُبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ الضَّحاكَ يقولُ فى قولِه : ﴿إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ : إسرائيلُ هو يعقوبُ ، أخَذه عِرْقُ النَّسا ، فكان لا يَبِيتُ[2] الليلَ مِن وجَعِه ، وكان لا يُؤْذِيه بالنهارِ ، فحلَف لئن شَفاه اللَّهُ لا يأكُلُ عِرْقًا أبدًا . وذلك قبلَ نزولِ التوراةِ على موسى ، فسأل نبيُّ اللَّهِ ﷺ اليهودَ : ما هذا الذى حرَّم إسرائيلُ على نفسِه ؟ فقالوا : نَزَلتِ التوراةُ بتحريمِ الذى حرَّم إسرائيلُ . فقال اللَّهُ لمحمدٍ ﷺ : [٤٣١/١و] ﴿قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ إلى قولِه : ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ . وكذَبوا وافْتَرَوْا ؛ لم تُنزِّلِ التوراةُ بذلك[3] .

وتأويلُ الآيةِ على هذا القولِ : كلُّ الطعامِ كان حِلًّا لبنى إسرائيلَ من قبلِ أن

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، س : « ليتبين » .

(٢) فى ص ، م : « يثبت » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٠٦، ٧٠٧ (٣٨٢٥) من طريق أبى معاذ به مقتصرًا على آخره .

تُنزَّلَ التوراةُ وبعدَ نزولِها ، إلا ما حرَّم إسرائيلُ على نفسِه من قبلِ أن تُنَزَّلَ التوراةُ . بمعنى : لكنَّ إسرائيلَ حرَّم على نفسِه من قبلِ أن تُنَزَّلَ التوراةُ بعضَ ذلك . وكأنَّ الضحَّاكَ وَجَّه قولَه : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ . إلى الاستثناءِ الذى يُسمِّيه النحْويون الاستثناءَ المنقطعَ .

وقال آخرون : تأويلُ ذلك : كلُّ الطعامِ كان حِلًّا لبنى إسرائيلَ إلا ما حرَّم إسرائيلُ على نفسِه من قبلِ أن تنزَّلَ التوراةُ ، فإنَّ ذلك حرامٌ على ولدِه ، بتحريمِ إسرائيلَ إيَّاه على ولدِه ، من غيرِ أن يكونَ اللَّهُ حرَّمه على إسرائيلَ ولا على ولدِه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ : فإنه حرَّم على نفسِه العروقَ ، وذلك أنه كان يشْتكى عِرقَ النَّسا ، فكان لا ينامُ الليلَ ، فقال : واللَّهِ لئن عافانى اللَّهُ منه لا يأكُلُه لى ولدٌ ، وليس مكتوبًا فى التوراةِ . وسأل محمدٌ ﷺ نفرًا من أهلِ الكتابِ ، فقال : « ما شأنُ هذا حرامًا » ؟ فقالوا : هو حرامٌ علينا من قبلِ الكتابِ . فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ إلى : ﴿ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾[(1)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، قال : قال ابنُ جُريجٍ : قال ابنُ عباسٍ : أخذه - يعنى إسرائيلَ - عِرْقُ النَّسا ، فكان لا يَبِيتُ[(2)] بالليلِ مِن شدةِ

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٦/٣ (٣٧٢٢) عن محمد بن سعد به ، من قوله : سأل محمد ﷺ ...

(٢) فى م ، ت ٢ : « يثبت » .

الوجعِ ، وكان لا يُؤْذيه بالنهارِ ، فحلَف لئن شفاه اللَّهُ لا يأكلُ عرقًا أبدًا . وذلك قبلَ أن تُنزَّلَ التوراةُ ، فقال اليهودُ للنبيِّ ﷺ : نَزَلَتِ/ التوراةُ بتحريمِ الذى حرَّم إسرائيلُ على نفسِه . قال اللَّهُ لمحمدٍ ﷺ : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . وكذَبوا ، ليس فى التوراةِ[(1)] . ٤/٤

قال أبو جعفرٍ : وأولى الأقوالِ فى ذلك عندَنا بالصوابِ[(2)] : قولُ من قال : معنى ذلك : كلُّ الطعامِ كان حِلًّا لبنى إسرائيلَ مِن قبلِ أن تنزَّلَ التوراةُ ، إلَّا ما حرَّم إسرائيلُ على نفسِه ، من غيرِ تحريمِ اللَّهِ ذلك عليه ، فإنه كان حرامًا عليهم بتحريمِ أبيهم إسرائيلَ ذلك عليهم ، من غيرِ أن يُحَرِّمَه اللَّهُ عليهم فى تنزيلٍ ، ولا بوحيٍ قبلَ التوراةِ ، حتى نَزَلَتِ التوراةُ ، فحرَّم اللَّهُ عليهم فيها ما شاء ، وأحلَّ لهم فيها ما أَحبَّ . وهذا قولٌ قالته جماعةٌ من أهلِ التأويلِ ، وهو معنى قولِ ابنِ عباسٍ الذى ذكَرْناه قبلُ .

ذكرُ بعضِ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ كُلُّ الطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ التَّوْرَاةُ ﴾ : وإسرائيلُ هو يعقوبُ ، ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . يقولُ : كلُّ الطعامِ كان حِلًّا لبنى إسرائيلَ مِن قبلِ أن تُنَزَّلَ التوراةُ ، إلا ما حرَّم إسرائيلُ على نفسِه ، فلمّا أنْزَل اللَّهُ التوراةَ حرَّم عليهم فيها [(3)]ما شاء[(3)] ، وأحلَّ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٦/٣ (٣٨٢٣) من طريق ابن جريج عن ابن عباس ببعضه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/٢ إلى ابن المنذر ، مطولاً .

(٢) بعده فى ص ، ت١ ، س : « أن » .

(٣ - ٣) فى ص ، ت ١ ، س : « أشياء » .

لهم ما شاء[١] .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ بنحوِه .

واختلف أهلُ التأويلِ في الذي كان إسرائيلُ حرَّمه على نفسِه ؛ **فقال بعضُهم** : كان الذي حرَّمه إسرائيلُ على نفسِه العُرُوقَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبَرنا أبو بشرٍ ، عن يوسفَ ابنِ ماهَكَ ، قال : جاء أعرابيٌّ إلى ابنِ عباسٍ ، فقال : إنه جعَل امرأتَه عليه حرامًا . قال : ليست عليك بحرامٍ . قال : فقال الأعرابيُّ : ولِمَ ؟ واللَّهُ يقولُ في كتابِه : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ . قال : فضَحِك ابنُ عباسٍ وقال : وما يُدْريك ما كان إسرائيلُ حرَّم على نفسِه ؟ قال : ثم أَقْبَل على القومِ يُحدِّثُهم ، فقال : إسرائيلُ عَرَضتْ له الأَنْساءُ[٢] فأَضْنَتْه ، فجعَل للَّهِ عليه ، إن شفاه اللَّهُ منها لا يَطْعَمُ عِرقًا . قال : فلذلك اليهودُ تَنْزِعُ العروقَ من اللحمِ[٣] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن أبي بشرٍ ، قال : سمِعتُ يوسفَ بنَ ماهَكَ ، يُحدِّثُ أن أعرابيًّا أتَى ابنَ عباسٍ ، فذكَر رجلًا حرَّم امرأتَه ، فقال : إنها ليست بحرامٍ . فقال الأعرابيُّ : أرأيتَ قولَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ كُلُّ

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٦/٣ (٣٨٢١) من طريق شيبان عن قتادة دون أوله .

(٢) الأَنْساء : جمع نَسا . وتقدم تعريف عرق النسا في ص ٥٧٨ .

(٣) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥٠٨ - تفسير) من طريق أبي بشر به نحوه ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥١/٢ إلى عبد بن حميد .

ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ . فقال : إن إسرائيلَ كان به عِرقُ النَّسَا ، فحلَف لئن عافاه اللَّهُ ألا يأكُلَ العروقَ من اللحمِ . وإنها ليست عليك بحرامٍ .

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن سليمانَ التَّيْميِّ ، عن أبي مِجْلَزٍ في قولِه : ﴿ كُلُّ / ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ . قال : إن يعقوبَ أخذه وجعُ عِرقِ النَّسَا ، فجعَل للَّهِ عليه ، أو[(١)] أقسَم ، أو قال : لا يأكُلُه من الدوابِّ . قال : والعروقُ كلُّها تبَعٌ لذلك العرقِ . ٥/٤

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِر لنا أن الذي حرَّم إسرائيلُ على نفسِه ، أن الأَنْساءَ أخَذَتْه ذاتَ ليلةٍ ، فأَسْهَرتْه ، فتألَّى[(٢)] ، إنِ اللَّهُ شفَاه لا يَطعَمُ نَسًا أبدًا . فتَتَبَّعَتْ بنوه العروقَ بعدَ ذلك ، يُخْرِجونها [٤٣١/١ظ] مِن اللحمِ .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن قتادةَ بنحوِه . وزاد فيه : قال : فتألَّى ؛ لئن شفاه اللَّهُ لا يأْكلُ عِرقًا أبدًا . فجعَل بنوه بعدَ ذلك يَتتبَّعون العروقَ فيُخْرِجونها من اللحمِ ، وكان الذي حرَّم على نفسِه مِن قبلِ أن تُنزَّلَ التوراةُ ، العروقَ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ . قال : اشتكَى إسرائيلُ عِرقَ النَّسَا ، فقال : إنِ اللَّهُ شفَاني لأُحَرِّمَنَّ العروقَ . فحرَّمها[(٣)] .

---

(١) في ت ١، ت ٢، س : « أن » .

(٢) أي : حلف .

(٣) تفسير عبد الرزاق ١٢٦/١ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : ثنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا سفيانُ الثوريُّ ، عن حبيبِ بنِ أبي ثابتٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان إسرائيلُ أخَذه عِرقُ النَّسَا ، فكان يَبِيتُ له زُقاءٌ ، فجعَل للَّهِ عليه إن شفاه ألَّا يأكُلَ العروقَ ، فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ . قال سفيانُ : له زُقاءٌ ، يعني : صياحٌ[1] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، في قولِه : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ . قال : كان يشتكي عِرقَ النَّسَا ، فحرَّم العروقَ[2] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ مثلَه .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : حدَّثنا جَريرٌ ، عن منصورٍ ، عن حَبيبِ بنِ أبي ثابتٍ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ﴾ . قال : كان إسرائيلُ يَأخُذُه عِرقُ النَّسَا ، فكان يَبِيتُ وله زُقاءٌ ، فحرَّم على نفسِه أن يأكُلَ عِرقًا .

وقال آخرون : بل الذي كان إسرائيلُ حرَّم على نفسِه لحومُ الإبلِ وألبانُها .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثني حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ كَثيرٍ ، قال : سمِعنا أنه اشتكى شكوى ، فقالوا : إنه عرقُ النَّسَا . فقال :

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٦ .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٦.

ربِّ ، إنَّ أحبَّ الطعامِ إلىَّ لحومُ الإبلِ وألبانُها ، فإن شَفَيْتَنى فإنى أُحرِّمُها علىَّ[(١)] .
قال ابنُ جُريجٍ : وقال عطاءُ بنُ أبى رباحٍ : لحومُ الإبلِ وألبانُها حرَّم إسرائيلُ[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنفىُّ ، قال : ثنا عبَّادٌ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ . قال : كان إسرائيلُ حرَّم على نفسِه لحومَ الإبلِ ، وكانوا يزعُمون أنهم يجِدون فى التوراةِ تحريمَ إسرائيلَ على نفسِه لحومَ الإبلِ ، وإنما كان حرَّم إسرائيلُ على نفسِه لحومَ الإبلِ / قبلَ أن تُنزَّلَ التوراةُ ، فقال اللَّهُ : ﴿فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ . فقال : لا تجدون فى التوراةِ تحريمَ إسرائيلَ على نفسِه ، أىْ[(٣)] لحمَ الإبلِ . ٦/٤

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، قال : ثنا حبيبُ بنُ أبى ثابتٍ ، قال : ثنا سعيدٌ . عن ابنِ عباسٍ ، أن إسرائيلَ أخذه عِرقُ النَّسا ، فكان يَبِيتُ بالليلِ له زُقاءٌ . يعنى : صياحٌ . قال : فجعَل على نفسِه لئن شَفَاه اللَّهُ منه لا يأكُلُه ، يعنى لحومَ الإبلِ . قال : فحرَّمه اليهودُ . وتلا هذه الآيةَ : ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسۡرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ مِن قَبۡلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوۡرَىٰةُۗ قُلۡ فَأۡتُواْ بِٱلتَّوۡرَىٰةِ فَٱتۡلُوهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ . أىْ : إنَّ هذا قبلَ التوراةِ[(٤)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يحيى بنُ عيسى ، عن الأعمشِ ، عن حَبيبٍ ، عن

---

(١) ذكره أبو حيان فى البحر المحيط ٣/٣ عن عبد اللَّه بن كثير .
(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر عن عطاء .
(٣) فى النسخ : « إلا » . وهو ما لا يستقيم مع السياق المذكور فى بقية الأثر قبل هذه اللفظة ، والمثبت ما يستقيم به السياق . وهو صنيع الشيخ شاكر رحمه اللَّه .
(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٥/٣ (٣٨١٨) ، والحاكم ٢/ ٢٩٢، والبيهقى ٨/١٠ من طريق يحيى بن سعيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥١/٢ إلى عبد بن حميد والفريابى وابن المنذر .

سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ فى : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ . قال : حرَّم العروقَ ولحومَ الإبلِ . قال : كان به عِرقُ النَّسَا ، فأكَل مِن لحومِها ، فبات بليلةٍ يَزْقو ، فحلَف ألَّا يأكُلَه أبدًا[1] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن إسرائيلَ ، عن جابرٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ﴾ . قال : حرَّم لحومَ[2] الأنعامِ[3] .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ قولُ ابنِ عباسٍ الذى رواه الأعمشُ ، عن حبيبٍ ، عن سعيدٍ عنه ، أن ذلك العروقُ ولحومُ الإبلِ ؛ لأن اليهودَ مُجْمِعةٌ إلى اليومِ على ذلك من تحريمِهما ، كما كان عليه من ذلك أوائلُها .

وقد رُوى عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بنحوِ ذلك خبرٌ ، وهو ما حدَّثنا به أبو كُريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ بُكيرٍ ، عن عبدِ الحميدِ بنِ بَهْرامَ ، عن شهرِ بنِ حَوْشَبٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، أن عِصابةً من اليهودِ حَضَرتْ رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فقالوا : يا أبا القاسمِ ، أخبِرْنا أيَّ الطعامِ حرَّم إسرائيلُ على نفسِه مِن قبلِ أن تُنزَّلَ التوراةُ ؟ فقال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « أَنْشُدُكم بالَّذى أَنْزَل التوراةَ على موسى ، هل تَعْلَمون أن إسرائيلَ يعقوبَ مَرِض مرضًا شديدًا ، فطال سُقْمُه منه ، فنَذَر للَّهِ نَذْرًا ؛ لئن عافاه اللَّهُ من سُقْمِه ، لَيُحَرِّمَنَّ أحبَّ الطعامِ والشرابِ إليه ، وكان أحبَّ الطعامِ إليهِ لُحْمانُ الإبلِ ، وأحبَّ الشرابِ إليه ألبانُها » ؟ فقالوا : اللَّهمَّ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/‏٧٠٥ (٣٨١٨) من طريق الأعمش به .

(٢) فى ص : « لحم » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/‏٧٠٥ (٣٨٢٠) من طريق وكيع به .

نعم[(١)] .

وأمَّا قولُه : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . فإن معناه : قل يا محمدُ للزاعِمين من اليهودِ أن اللَّهَ حرَّم عليهم فى التوراةِ العروقَ ولحومَ الإبلِ وألبانَها ﴿ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا ﴾ . [٤٣٢/١و] يقولُ : قل لهم : جِيئُوا بالتوراةِ فاتْلُوها ، حتى يتبيَّنَ لمن خفِى عليه كَذِبُهم ، وقيلُهم الباطلَ على اللَّهِ من أمرِهم ، أن ذلك ليس مما أَنْزَلتُه فى التوراةِ ﴿ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾ . يقولُ : إن كنتم محقِّين فى دَعْواكم أن اللَّهَ أَنْزَل تحريمَ ذلك فى التوراةِ ، فأْتُونا بها ، فاتْلُوا تحريمَ ذلك علينا منها .

وإنما ذلك خبرٌ من اللَّهِ عن كَذِبِهم ؛ لأنهم لا يَجِيئُون بذلك أبدًا على صحَّتِه ، فأَعْلَمَ اللَّهُ بكذِبِهم عليه نبيَّه ﷺ ، وجعَل إعلامَه إيَّاه ذلك حجَّةً له عليهم ؛ لأن ذلك /إذ كان يَخْفَى على كثيرٍ من أهلِ ملَّتِهم ، فمحمدٌ ﷺ - وهو أُميٌّ من غيرِ ملَّتِهم ، لولا أن اللَّهَ أَعْلَمَه ذلك بوحيٍ مِن عندِه - كان أَحْرَى ألا يَعْلَمَه ، فكان فى ذلك له ﷺ من أعظمِ الحجَّةِ عليهم بأنه نبيٌّ للَّهِ إليهم ؛ لأن ذلك من أخبارِ أوائلِهم ، كان من خَفِيِّ علومِهم الذى لا يعلَمُه غيرُ خاصَّةٍ منهم ، إلَّا من أَعْلَمَه الذى لا يَخْفَى عليه خافيةٌ ؛ مِن نبيٍّ أو رسولٍ ، أو مَن أَطْلَعه اللَّهُ على علمِه ممَّن شاء مِن خَلْقِه .

٦/٤

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فَمَنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (٩٤) ﴾ .

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٠٤، ٧٠٥ (٣٨١٦) ، والطبرانى فى الكبير (١٣٠١٢) من طريق عبد الحميد بن بهرام به .

يعنى جلَّ ثناؤُه بذلك : فمَن كذَب على اللَّهِ منَّا ومنكم ، مِن بعدِ مجيئِكم بالتوراةِ ، وتلاوتِكم إيَّاها ، وعَدَمِكم ما ادَّعَيْتُم من تحريمِ اللَّهِ العروقَ ولحومَ الإبلِ وألبانَها فيها، ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ يعنى: فمَن فعَل ذلك منهم ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ ﴾. يعنى : فهؤلاء الذين يَفعلون ذلك ﴿ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ . يعنى : فهم الكافرون القائلون على اللَّهِ الباطلَ .

كما حدَّثنا المُثَنَّى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، عن زكريا ، عن الشعْبيِّ : ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ . قال : نَزَلتْ فى اليهودِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلَّ ثناؤُه : ﴿ قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : قل يا محمدُ : صدَق اللَّهُ فيما أَخْبَرنا به من قولِه : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ . وأن اللَّهَ لم يُحرِّمْ على إسرائيلَ ولا على ولدِه العروقَ ولا لحومَ الإبلِ وألبانَها ، وأن ذلك إنما كان شيئًا حرَّمه إسرائيلُ على نفسِه وولدِه بغيرِ تحريمِ اللَّهِ إيَّاه عليهم فى التوراةِ ، وفى كلِّ ما أَخْبَر به عبادَه من خبرٍ ، دونَكم أنتم يا معشرَ اليهودِ الكَذَبةِ فى إضافتِكم تحريمَ ذلك إلى اللَّهِ عليكم فى التوراةِ ، المفتريةِ على اللَّهِ الباطلَ فى دعْوَاكم عليه غيرَ الحقِّ . ﴿ فَٱتَّبِعُوا۟ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ﴾. يقولُ : فإن كنتم أيُّها اليهودُ محقِّين فى دعْوَاكم أنكم على الدينِ الذى ارْتَضاه اللَّهُ لأنبيائِه ورسلِه ، فاتبعُوا ملةَ إبراهيمَ خليلِ اللَّهِ ، فإنكم تعلَمون أنه الحقُّ الذى ارْتَضاه اللَّهُ من خلقِه دينًا ، وابْتَعَث به أنبياءَه ، وذلك الحنيفيَّةُ ، يعنى : الاستقامةَ على الإسلامِ وشرائعِه ، دونَ اليهوديةِ والنصرانيةِ والمُشْرِكةِ .

وقولُه : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ يقولُ : لم يكنْ يُشْرِكُ فى عبادتِه أحدًا من خلقِه ، فكذلك أنتم أيضًا أيها اليهودُ ، فلا يتَّخِذْ بعضُكم بعضًا أربابًا من دونِ اللَّهِ ، تُطيعونهم كطاعةِ إبراهيمَ ربَّه . وأنتم يا معشرَ عَبَدةِ الأوثانِ ، فلا تتَّخذوا الأوثانَ والأصنامَ أربابًا ، ولا تعبُدوا شيئًا من دونِ اللَّهِ ؛ فإن إبراهيمَ خليلَ الرحمنِ كان دينُه إخلاصَ العبادةِ لربِّه وحدَه ، من غيرِ إشراكِ أحدٍ معه فيه ، فكذلك أنتم أيضًا ، فأَخْلِصوا له العبادةَ ، ولا تشركوا معه فى العبادةِ أحدًا ، فإن جميعَكم مُقِرُّون بأن إبراهيمَ كان على حقٍّ وهَدْيٍ مستقيمٍ ، فاتَّبِعوا ما قد أَجْمَع جميعُكم على تَصْويبِه /من ملَّتِه الحنيفيَّةِ ، ودَعُوا ما اخْتَلَفتم فيه من سائرِ المللِ غيرِها ، أيها الأحزابُ ، فإنها بِدَعٌ ابْتَدَعْتُموها ، إلى ما قد أَجْمَعتم عليه أنه حقٌّ ، فإن الذى أَجْمَعتم عليه أنه صوابٌ وحقٌّ من ملةِ إبراهيمَ ، هو الحقُّ الذى ارْتَضَيْتُه ، وابْتَعثتُ به أنبيائى ورسلِى ، وسائرُ ذلك هو الباطلُ الذى لا أقبَلُه من أحدٍ مِن خَلْقى جاءنى به يومَ القيامةِ . ٧/٤

وإنما قال جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ . يعنى به : وما كان من عَدَدِهم وأوليائِهم . وذلك أن المشركين بعضُهم من بعضٍ فى التَّظاهُرِ على كفرِهم ، ونُصْرةِ بعضِهم بعضًا ، فبرَّأ اللَّهُ إبراهيمَ خليلَه أن يكونَ منهم ، أو من[1] نُصَرائِهم وأهلِ ولايتِهم . وإنما عنَى جلَّ ثناؤُه بالمشركين : اليهودَ والنصارى وسائرَ الأديانِ غيرِ الحنيفيَّةِ . قال : لم يكنْ إبراهيمُ من أهلِ هذه الأديانِ المشركةِ ، ولكنه كان حنيفًا مسلمًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ ﴾ .

---

(١) زيادة يقتضيها السياق .

اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : تأويلُه : إن أولَ بيتٍ وُضِع للناسِ يُعْبَدُ اللَّهُ فيه مُبارَكًا وهدًى للعالمين الذى ببكَّةَ . قالوا : وليس هو أولَ بيتٍ وُضِع فى الأرضِ ؛ لأنه قد كانت قبلَه بيوتٌ كثيرةٌ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا هنَّادُ بنُ السَّرِيِّ ، قال : ثنا أبو الأحوصِ ، عن سِماكٍ ، عن خالدِ بنِ عُرْعُرةَ ، قال : قام رجلٌ إلى عليٍّ ، فقال : ألا تُخْبِرُنى عن البيتِ ، أهو أولُ بيتٍ وُضِع فى الأرضِ ؟ فقال : لا ، ولكنَّه أولُ بيتٍ وُضِع [١/٤٣٢ظ] فيه[1] البركةُ ، مَقامُ إبراهيمَ ، ومَن دخَلَه كان آمنًا[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن سِماكٍ ، قال : سمِعتُ خالدَ بنَ عُرْعُرةَ ، قال : سمِعتُ عليًّا وقيل له : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ : هو أولُ بيتٍ كان فى الأرضِ ؟ قال : لا . قال : فأين كان قومُ نوحٍ ، وأين كان قومُ هُودٍ ؟ قال : ولكنه أولُ بيتٍ وُضِع للناسِ مباركًا وهُدًى[2] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، عن أبى رَجاءٍ ، قال : سأَل حفصٌ الحسنَ وأنا أسمَعُ ، عن قولِه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ . قال : هو أولُ مسجدٍ عُبِد اللَّهُ فيه فى الأرضِ .

حدَّثنا عبدُ الجبَّارِ بنُ يحيى الرَّمْلىُّ ، قال : ثنا ضَمْرةُ ، عن ابنِ شَوْذَبٍ ، عن مَطَرٍ

---

(١) فى النسخ : « فى » . والمثبت مما تقدم فى ٢/ ٥٦١ .

(٢) تقدم تخريجه فى ٢/ ٥٦٢، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧١٠ (٣٨٣٩) من طريق سماك به .

فى قولِه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ . قال : قد كانت قبلَه بيوتٌ ، ولكنه أولُ بيتٍ وُضِع للعبادةِ[(١)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحَنفىُّ ، قال : ثنا عبَّادٌ ، عن الحسنِ قولَه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ : يُعبَدُ اللَّهُ فيه ﴿ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾[(١)] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنا الحِمَّانىُّ ، قال : ثنا شَريكٌ ، عن سالمٍ ، عن سعيدٍ ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ قال : وُضِع للعبادةِ . ٨/٤

/وقال آخرون : بل هو أولُ بيتٍ وُضِع للناسِ . ثم اخْتَلَف قائلو ذلك فى صفةِ وضعِه أولَ ؛ فقال بعضُهم : خُلِق قبلَ جميعِ الأَرَضين ، ثم دُحِيَتِ الأَرَضون مِن تحتِه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عُمارةَ الأَسَدىُّ ، قال : ثنا عبيدُ اللَّهِ بنُ موسى ، قال : أخبَرنا شيبانُ ، عن الأعمشِ ، عن بُكيرِ بنِ الأَخْنسِ ، عن مجاهدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ عمرٍو ، قال : خلَق اللَّهُ البيتَ قبلَ الأرضِ بألفَىْ سنةٍ ، وكان - إذ كان عرشُه على الماءِ - زَبْدَةً بيضاءَ ، فدُحيت الأرضُ من تحتِه[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ أبى الشَّواربِ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، قال : ثنا خُصيفٌ ، قال : سمِعتُ مجاهدًا يقولُ : إن أولَ ما خلَق اللَّهُ الكعبةُ ، ثم

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه الحاكم ٢/ ٥١٨، والبيهقى فى دلائل النبوة ٤٤/٢ ، وفى الشعب (٣٩٨٣) من طريق مجاهد به نحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٢/٢ إلى ابن المنذر والطبرانى .

دحَا الأرضَ مِن تحتِها[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ ﴾ : كقولِه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[(٢)] [آل عمران : ١١٠] .

حدَّثني محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ : أمَّا ﴿ أَوَّلَ بَيْتٍ ﴾ فإنه يومَ كانت الأرضُ ماءً ، كان زَبْدَةً على الأرضِ ، فلما خلَق اللَّهُ الأرضَ خلَق البيتَ معها ، فهو أولُ بيتٍ وُضِع في الأرضِ[(٣)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ في قولِه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾. قال : أولُ بيتٍ وضَعه اللَّهُ عزَّ وجلَّ فطاف به آدمُ ومَن بعدَه[(٤)] .

وقال آخرون : موضعُ الكعبةِ موضعُ أولِ بيتٍ وضَعه اللَّهُ في الأرضِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ذُكِر لنا أن البيتَ هَبَط

---

(١) ذكره البغوى في تفسيره بنحوه ٢/ ٧٠.

(٢) أخرجه الأزرقي في أخبار مكة ١/ ٤٠ من طريق آخر ، عن مجاهد ، وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٢/ ٥٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٠٧ (٣٨٢٨) من طريق أحمد بن المفضل به نحوه ، وعنده : على البحر . بدل : على الأرض .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٦، ١٢٧ .

مع آدمَ حينَ هبَط . قال : أُهْبِطُ معك بَيْتى يُطافُ حولَه ، كما يطافُ حولَ عرشى . فطاف حولَه آدمُ ، ومن كان بعدَه من المؤمنين ، حتى إذا[1] كان زمنُ الطُّوفانِ - زمنَ أَغْرَق اللَّهُ قومَ نوحٍ - رفَعه اللَّهُ وطهَّره من أن يُصِيبَه عقوبةُ أهلِ الأرضِ ، فصار معمورًا فى السماءِ ، ثم إن إبراهيمَ تَتَبَّع منه أثرًا بعدَ ذلك ، فبناه على أساسٍ قديمٍ كان قبلَه[2] .

والصوابُ من القولِ فى ذلك ما قال جلَّ ثناؤُه فيه : إن أولَ بيتٍ مباركٍ وهُدًى وُضِع للناسِ للَّذى ببكَّةَ . ومعنى ذلك : إن أولَ بيتٍ وُضِع للناسِ ؛ أى لعبادةِ اللَّهِ فيه ، ﴿ مُبَارَكًا وَهُدًى ﴾ ، يعنى بذلك : ومآبًا لنُسُكِ الناسِكين ، وطَوافِ الطائِفين ، تعظيمًا للَّهِ ، وإجلالًا له ، للَّذى ببكَّةَ ؛ لصحَّةِ الخبرِ بذلك عن رسولِ اللَّهِ ﷺ .

وذلك ما حدَّثنا به محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا ابنُ أبى عَدِىٍّ ، عن شُعْبةَ ، عن سليمانَ ، عن إبراهيمَ التَّيْمِىِّ ، عن أبيه ، عن أبى ذرٍّ ، قال : قلتُ : يا رسولَ اللَّهِ ، أىُّ مسجدٍ وُضِع أوَّلَ ؟ قال : « المسجدُ الحرامُ » . قال : ثم أىٌّ ؟ قال : « المسجدُ الأقْصَى » . قال : كم بينَهما ؟ قال : /« أربعون سنةً »[3] .

٩/٤

فقد بيَّن هذا الخبرُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أن المسجدَ الحرامَ هو أولُ مسجدٍ وضَعه اللَّهُ فى الأرضِ ، على ما قلنا . فأمَّا فى مَوْضِعِه[4] بيتًا بغيرِ معنى بيتٍ للعبادةِ والهُدى والبركةِ ، ففيه من الاختلافِ ما قد ذكَرتُ بعضَه فى هذا الموضعِ ، وبعضَه فى سورةِ

---

(١) فى م : « إذ » .

(٢) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ١٢/١ من طريق معمر ، عن قتادة بنحوه مختصرًا .

(٣) أخرجه ابن حبان (١٥٩٨) من طريق ابن أبى عدى به ، وأخرجه الطيالسى (٤٦٤) ، وأحمد ١٦٠/٥، ١٦٦، ١٦٧ (الميمنية) ، وأبو عوانة ٣٩٢/١ من طريق شعبة به .

(٤) فى م ، ت ٢: « وضعه » . والمثبت هو لفظ المصنف الذى ذكره فى ٢/ ٥٥٢.

« البقرةِ »[(١)] وغيرِها مِن سُورِ القرآنِ ، وبيَّنتُ الصوابَ من القولِ عندَنا فى ذلك ، بما أغنى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ .

وأما قولُه : ﴿ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ . فإنه يعنى : لَلْبيتُ الذى بمُزْدَحَمِ الناسِ ؛ لطوافِهم فى حَجِّهم وعُمَرِهم .

وأصلُ البَكِّ الزَّحْمُ . يقالُ منه : بكَّ فلانٌ فلانًا . إذا زحَمه [(٢)] وصدَمه [(٢)] . فهو يَبُكُّه بَكًّا . وهم يَتَباكُّون فيه . يَعْنى به : يَتَزاحَمون ويَتَصادَمون فيه . فكأنَّ « بكَّةَ » فَعْلَةٌ ، مِن : بكَّ فلانٌ فلانًا : زَحَمه[(٣)] . سُمِّيت البقعةُ بفعلِ المُزْدَحِمِين بها .

فإذ كانت بكَّةُ ما وَصَفْنا ، وكان موضعَ ازْدِحامِ الناسِ حولَ البيتِ ، وكان لا طَوافَ يجوزُ خارجَ المسجدِ ، كان معلومًا بذلك أَنْ يكونَ ما حولَ الكعبةِ مِن [٤٣٣/١و] داخلِ المسجدِ ، وأنَّ ما كان خارجَ المسجدِ فـ « مكةُ » لا « بكةُ » ؛ لأنه لا معنى خارجَه يُوجِبُ على الناسِ التَّباكَّ فيه . وإذ كان ذلك كذلك ، كان بيِّنًا بذلك فسادُ قولِ مَن قال : بكةُ اسمٌ لبطنِ مكةَ . ومكةُ اسمٌ للحَرَمِ[(٤)] .

---

(١) ينظر ما تقدم فى ٥٤٩/٢- ٥٥٦ .

(٢ - ٢) فى ص ، س : « صدمةً أو زحمةً » .

(٣) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « من زحمة » .

(٤) بعده فى ص : « يتلوه ذكر من قال فى ذلك ما قلنا ، من أن بكة موضع مزدحم الناس للطواف . والحمد لله على عونه وإحسانه - وصلى الله على محمد وآله الطاهرين وسلم تسليما . بسم الله الرحمن الرحيم . رب يسر . أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادى قال : حدثنا محمد بن جرير » . وبعده فى ت ١، س : « أخبرنا أبو بكر محمد بن داود بن سليمان البغدادى ، قال : حدثنا محمد بن جرير رحمه الله » .

ذكرُ مَن قال فى ذلك ما قلنا ؛ مِن أن بكَّةَ موضعُ مُزْدَحَمِ الناسِ للطوافِ

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، عن حُصينٍ ، عن أبى مالكٍ الغِفَاريِّ فى قولِه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ . قال : بكَّةُ موضعُ البيتِ ، ومكةُ ما سوى ذلك[1] .

حدَّثني يعقوبُ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبَرنا مغيرةُ ، عن إبراهيمَ مثلَه[2] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا حكَّامٌ ، عن عمرٍو ، عن عطاءٍ ، عن أبى جعفرٍ ، قال : مرَّتِ امرأةٌ بينَ يَدَى رجلٍ وهو يصلِّى وهى تطوفُ بالبيتِ ، فدَفَعها . قال أبو جعفرٍ : إنها بكَّةُ ، يَبُكُّ بعضُها بعضًا[3] .

حدَّثنا ابنُ المُثنَّى ، قال : ثنا عبدُ الصمدِ ، قال : ثنا شعبةُ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن مجاهدٍ ، قال : إنما سُمِّيت بكَّةَ لأن الناسَ يَتَباكُّون فيها ؛ الرجالُ والنساءُ[4] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن حمادٍ ، عن سعيدٍ ، قال : قلتُ : لأىِّ شىءٍ سمِّيت بكَّةَ ؟ قال : لأنهم يَتَباكُّون فيها . قال : يعنى :

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ص ٢٩٠ (القسم الأول من الجزء الرابع) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٩/٣ (٣٨٣٦) ، من طريق حصين به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٣/٢ إلى سعيد بن منصور وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥٠٩ - تفسير) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٩/٣ (٣٨٣٨) من طريق مغيرة به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٠٨/٣ (٣٨٣٢) من طريق عمرو به ، وفيه : بعضهم بعضا .

(٤) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥١٤ - تفسير) ، والبيهقى فى الشعب (٤٠١٦) من طريق شعبة به بلفظ آخر ، وأخرجه ابن أبى شيبة ص ٢٩٠، ٢٩١ (القسم الأول من الجزء الرابع) من طريق الحكم عن مجاهد .

يَزْدَحِمون[1] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن سفيانَ ، عن الأسودِ بنِ قيسٍ ، عن أخيه ، عن ابنِ الزُّبيرِ ، قال : إنما سُمِّيت بكَّةَ لأنهم يأْتونها حُجَّاجًا[2] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا ﴾ : فإن اللَّهَ بكَّ به الناسَ جميعًا ، فيصلِّى النساءُ قُدَّامَ الرجالِ ، ولا يَصْلُحُ ببلدٍ غيرِه[3] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ : « بكَّةُ » ؛ بكَّ الناسُ بعضُهم بعضًا ، الرجالُ والنساءُ يصلِّى بعضُهم بينَ يَدَىْ بعضٍ ، لا يَصْلُحُ ذلك إلا بمكةَ[4] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن فُضيلِ بنِ مرزوقٍ ، عن عطيةَ العَوْفيِّ ، قال : بكَّةُ موضعُ البيتِ ، ومكَّةُ ما حولَها[5] .

١٠/٤ /حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : أخبَرني يحيى بنُ أَزْهَرَ ، عن غالبِ بنِ عُبيدِ اللَّهِ ، أنه سأَل ابنَ شِهابٍ عن بكَّةَ ، قال : بكَّةُ البيتُ والمسجدُ . وسأَله

---

(١) في م : « يتزاحمون » .
والأثر أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ (القسم الأول من الجزء الرابع) عن وكيع به ، وأخرجه سعيد بن منصور (٥١١ - تفسير) من طريق سفيان به ، دون آخره .

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩٠ (القسم الأول من الجزء الرابع) ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٨/٣ (٣٨٣٠) من طريق وكيع به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٠٩/٣ (٣٨٣٣) ، والبيهقي في الشعب (٤٠١٥) من طريق سعيد به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٥٣/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١٢٦/١، ١٢٧ .

(٥) أخرجه ابن أبي شيبة ص ٢٩١ (القسم الأول من الجزء الرابع) عن وكيع به .

عن مكَّةَ ، فقال ابنُ شِهابٍ : مكَّةُ الحرمُ كلُّه[(١)] .

حدَّثنا الحسينُ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبَرنا حجَّاجٌ ، عن عطاءٍ ومجاهدٍ ، قالا : بكَّةُ بكَّ فيها الرجالُ والنساءُ[(٢)] .

حدَّثني عبدُ الجبارِ بنُ يحيى الرَّمْليُّ ، قال : قال ضَمْرةُ بنُ ربيعةَ : بكَّةُ المسجدُ ، ومكَّةُ البيوتُ[(٣)] .

وقال بعضُهم بما حدَّثني به يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جُويبرٌ ، عن الضحَّاكِ فى قولِه : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ . قال : هى مكَّةُ[(٤)] .

وقيل : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ ؛ لأن الطوافَ به مغفرةٌ للذنوبِ .

فأما نصبُ قولِه : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ . فإنه على الخروجِ[(٥)] من قولِه : ﴿ وُضِعَ ﴾ ؛ لأن فى ﴿ وُضِعَ ﴾ ذِكْرًا مِن « البيتِ » هو به مشغولٌ ، وهو معرفةٌ ، و « مبارَكٌ » نكرةٌ لا يَصْلُحُ أن يَتْبَعَه فى الإعرابِ[(٦)] .

وأمَّا على قولِ مَن قال : هو أوَّلُ بيتٍ وُضِع للناسِ - على ما ذَكَرْنا فى ذلك قولَ مَن ذكَرْنا قولَه - فإنه نَصْبٌ على الحالِ من قولِه : ﴿ لَلَّذِى بِبَكَّةَ ﴾ ؛ لأن معنى الكلامِ على قولِهم : إن أوَّلَ بيتٍ وُضِع للناسِ البيتُ

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٣ إلى المصنف .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٠٩ عقب الأثر (٣٨٣٣) عن مجاهد معلقا .

(٣) ذكره الطوسى فى التبيان ٢/ ٥٣٥.

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٣ إلى المصنف .

(٥) الخروج : النصب على الحال . مصطلحات النحو الكوفى ص ٥٩ .

(٦) ينظر ما تقدم فى ص ٥٧٢.

الذى[(١)] ببكّةَ مباركًا . فـ « البيتُ » عندَهم من صفتِه[(٢)] « الذى ببكّةَ » ، و« الذى » بصِلَتِه معرفةٌ ، و « المباركُ » نكرةٌ ، فنُصِب على القطعِ منه فى قولِ بعضِهم ، وعلى الحالِ فى قولِ بعضِهم ، ﴿ وَهُدًى ﴾ فى موضعِ نصبٍ على العطفِ على قولِه : ﴿ مُبَارَكًا ﴾ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ .

اختَلَفت القرَأَةُ فى قراءةِ ذلك ؛ فقرأه قرأةُ الأمصارِ : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ على جِماعِ « آيةٍ » ، بمعنى : فيه علاماتٌ بيِّناتٌ .

وقرأ ذلك ابنُ عباسٍ : (فِيهِ آيةٌ بيِّنةٌ) . يعنى بها : مقامَ إبراهيمَ . يُرادُ بها علامةٌ واحدةٌ[(٣)] .

ثم اختَلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ . وما تلك الآياتُ ؟ **فقال بعضُهم** : مَقامُ إبراهيمَ والـمَشْعرُ[(٤)] ، ونحوُ ذلك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ : مَقامُ إبراهيمَ والمَشْعرُ[(٥)] .

حدَّثنا الحسنُ[(٦)] بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ ومجاهدٍ : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ قالا : مقامُ إبراهيمَ من الآياتِ

---

(١) زيادة لابد منها ليستقيم السياق .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « صفة » .

(٣) ينظر تفسير ابن أبى حاتم ٧١١/٣ (٣٨٤٧) ، والتبيان ٥٣٧/٢ .

(٤) بعده فى م ، ت ٢ : « الحرام » .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٠/٣ (٣٨٤٤) عن محمد بن سعد به .

(٦) فى النسخ : « إسحاق » . وهو خطأ ، وتقدم مرارًا .

البيّناتِ[١] .

وقال آخرون : الآياتُ البيّناتُ مقامُ إبراهيمَ ، ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ ﴾ .

/ذكرُ من قال ذلك

١١/٤

حدَّثني محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، قال : ثنا عَبّادٌ ، عن الحسنِ في قولِه: ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ . قال : مَقامُ إبراهيمَ ، ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ ﴾[٢] .

وقال آخرون : الآياتُ البيّناتُ هو مقامُ إبراهيمَ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ قولَه : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَۖ ﴾ : أما « الآياتُ البيناتُ » فمقامُ إبراهيمَ .

وأما الذين قرَءوا ذلك : (فيه آيةٌ بيّنةٌ)[٣] على التوحيدِ ، فإنهم عَنَوا بالآيةِ البيّنةِ مقامَ إبراهيمَ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ [١/٤٣٣ظ] بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/١٢٧ .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٤ إلى عبد بن حميد .

وقال الزمخشرى : ويجوز أن تذكر فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله ؛ لأن الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والأربعة ، ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات ، كأنه قيل : فيه آيات بينات مقام إبراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما . الكشاف ١/ ٤٤٧.

(٣) وهى قراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة .

أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ . قال : قدَماه فى المَقامِ آيةٌ بيِّنةٌ . يقولُ : ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ ﴾ . قال : هذا شئٌ آخرُ[1] .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن ليثٍ ، عن مجاهدٍ : (فِيهِ آيَةٌ بَيِّنَةٌ مَقامُ إِبْرَاهِيمَ) قال : أثرُ قدميْه فى المقامِ آيةٌ بيِّنةٌ .

وأولى الأقوالِ فى تأويلِ ذلك بالصوابِ قولُ مَن قال : الآياتُ البيِّناتُ منهن مقامُ إبراهيمَ . وهو قولُ قتادةَ ومجاهدٍ ، الذى رَواه معمرٌ عنهما ، فيكونُ الكلامُ مرادًا فيه[2] « منهن » ، فترَك ذِكْرَه اكتفاءً بدَلالةِ الكلامِ عليها .

فإن قال قائلٌ : فهذا المقامُ من الآياتِ البيِّناتِ ، فما سائرُ الآياتِ التى من أجلِها قيل : ﴿ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ ؟

قيل : منهن المقامُ ، ومنهن الحجَرُ ، ومنهن الحَطِيمُ .

وأصحُّ القراءتين فى ذلك قراءةُ من قرأ : ﴿ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ ﴾ . على الجِماعِ ؛ لإجماعِ قرأةِ أمصارِ المسلمين على أن ذلك هو القراءةُ الصحيحةُ دونَ غيرِها .

وأما اختلافُ أهلِ التأويلِ فى تأويلِ : ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ . فقد ذكَرناه فى سورةِ « البقرةِ » ، وبيَّنَّا أولى الأقوالِ بالصوابِ فيه هنالك ، وأنه عندَنا المَقامُ المعروفُ به[3] .

---

(١) تفسير مجاهد ص ٢٥٦، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١١/٣ (٣٨٤٥) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٤/٢ إلى عبد بن حميد والأزرقى وابن المنذر .

(٢) فى م : « فيهن » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٥٢٥/٢- ٥٢٩.

فتأويلُ الآيةِ إذن : إن أوَّلَ بيتٍ وُضِع للناسِ مباركًا وهدًى للعالمين ، للذى ببكَّةَ ، فيه علاماتٌ بيِّناتٌ من قدرةِ اللَّهِ ، وآثارِ خليلِه إبراهيمَ ، منهن أثرُ قدمِ خليلِه إبراهيمَ ﷺ فى الحجَرِ الذى قام عليه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ **فقال بعضُهم** : تأويلُه الخبرُ عن أن كلَّ مَن جرَّ فى الجاهليةِ جَريرةً ، ثم عاذ بالبيتِ ، لم يكنْ بها مأخوذًا .

١٢/٤

/ ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ ﴾ : وهذا كان فى الجاهليةِ ؛ كان الرجلُ لو جَرَّ كلَّ جَريرةٍ على نفسِه ، ثم لَجأ إلى حرَمِ اللَّهِ ، لم يُتناوَلْ ولم يُطلَبْ ، فأما فى الإسلامِ ، فإنه لا يَمنَعُ مِن حدودِ اللَّهِ ؛ مَن سرَق فيه قُطِع ، ومن زنَى فيه أُقيم عليه الحدُّ ، ومن قتَل فيه قُتِل .

وعن قتادةَ أن الحسنَ كان يقولُ : إنَّ الحرَمَ لا يَمنَعُ من حدِّ[1] اللَّهِ ؛ لو أصاب حدًّا فى غيرِ الحرَمِ ، فلجَأ إلى الحرَمِ ، لم يمنَعْه ذلك أن يُقامَ عليه الحدُّ . ورأَى قتادةُ ما قاله الحسنُ[2] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًاۗ ﴾ . قال : كان ذلك فى الجاهليةِ ، فأما اليومَ

---

(١) فى م ، س : « حدود » .

(٢) أخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٣٦٨/١ من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٤/٢ إلى عبد بن حميد ، وابن المنذر .

فإن سرَق فيه أحدٌ قُطِع ، وإن قتَل فيه قُتِل ، ولو قُدِر فيه على المشركين قُتِلوا[(١)] .

حدَّثنا سعيدُ بنُ يحيى الأُمَوىُّ ، قال : ثنا عبدُ السلامِ بنُ حربٍ ، قال : ثنا خُصيفٌ ، عن مجاهدٍ فى الرجلِ يقتُلُ ، ثم يدخُلُ الحرَمَ ، قال : يُؤْخَذُ فيُخرَجُ من الحرَمِ ، ثم يُقامُ عليه الحدُّ . يقولُ : القتلُ .

حدَّثنا محمدُ بنُ المُثَنَّى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، عن شعبةَ ، عن حمادٍ مثلَ قولِ مجاهدٍ .

حدَّثنا أبو كُريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : أخبَرنا هشامٌ ، عن الحسنِ وعطاءٍ ، فى الرجلِ يُصيبُ الحدَّ ، ويَلْجَأُ إلى الحرَمِ : يُخرَجُ من الحرَمِ فيُقامُ عليه الحدُّ .

فتأويلُ الآيةِ على قولِ هؤلاءِ : فيه آياتٌ بيِّناتٌ مقامُ إبراهيمَ ، والذى دخَله من الناسِ كان آمنًا بها فى الجاهليةِ .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن يدخُلْه يكنْ آمِنًا بها . بمعنى الجزاءِ . كنحوِ قولِ القائلِ : مَن قام لى أكرمتُه . بمعنى : مَن يَقُمْ لى أُكرِمْه . وقالوا : هذا أمرٌ كان فى الجاهليةِ ، كان الحرَمُ مَفْزَعَ كلِّ خائفٍ ، ومَلْجَأَ كلِّ جانٍ ؛ لأنه لم يكنْ يُهاجُ به ذو جَريرةٍ ، ولا يَعْرِضُ الرجلُ فيه لقاتلِ أبيه وابنِه بسوءٍ . قالوا : وكذلك هو فى الإسلامِ ؛ لأن الإسلامَ زاده تعظيمًا وتكريمًا .

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١٢٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٢/٣ (٣٨٥١) عن الحسن بن يحيى به . وأخرجه الأزرقى فى أخبار مكة ٣٦٨/١ من طريق معمر ، عن قتادة ومجاهد .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عبدِ الملكِ بنِ أبي الشَّواربِ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، قال : ثنا خُصيفٌ ، قال : ثنا مجاهدٌ ، قال : قال ابنُ عباسٍ : إذا أصاب الرجلُ الحدَّ ؛ قتَل أو سرَق ، فدخَل الحرَمَ ، لم يُبايَعْ ولم يُؤْوَ ، حتى يَتَبرَّمَ فيَخْرُجَ من الحرَمِ ، فيُقامَ عليه الحدُّ . قال : فقلتُ لابنِ عباسٍ : ولكنى لا أرى ذلك ، أرى أن يُؤخَذَ برُمَّتِه[١] ، ثم يُخرَجَ من الحرَمِ ، فيقامَ عليه الحدُّ ، فإن الحرَمَ لا يزيدُه إلا شدةً[٢] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : ثنا عبدُ الملكِ ، عن عطاءٍ ، قال : أخَذ ابنُ الزُّبيرِ سعدًا مولى معاويةَ - وكان في قلعةٍ بالطائفِ - فأَرْسَل إلى ابنِ عباسٍ [٣]مَن يُشاوِرُه فيهم : إنهم لنا عدوٌّ[٤] . فأرسل إليه ابنُ عباسٍ : لو وجَدتُ قاتلَ أبى لم أَعْرِضْ له . قال : فأرسل إليه ابنُ الزُّبيرِ[٣] : ألَا نُخرِجُهم من الحرَمِ ؟ قال : فأرسل إليه ابنُ عباسٍ : أفلا قبلَ أن تُدْخِلَهم الحرَمَ ؟ زاد أبو السائبِ في حديثه : فأَخْرَجهم فصلَبهم ، ولم يُصْغِ[٥] إلى قولِ ابنِ عباسٍ[٦] .

(١) الرُّمَّة : قطعة حبل يُشَدُّ بها الأسير أو القاتل الذى يُقاد إلى القصاص . ينظر اللسان (ر م م) .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٤/٢ دون آخره إلى عبد بن حميد ، وأخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٧٣٠٦، ١٧٣٠٧) ، والأزرقى فى أخبار مكة ٣٦٧/١ من طريق طاوس ، عن ابن عباس بنحوه .

(٣ - ٣) سقط من : ت ٢.

(٤) فى ص ، ت ١، ت٢ ، ت ٣ : « عرق » وفى م : « عين » ، وفى س : « عون » .

(٥) فى ص ، ت ١، ت ٢: « تنطق » ، وفى س : « يحق » .

(٦) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (٩٢٢٥) عن عبد الملك بن جريج به . وعنده : سعدًا مولى عتبة . =

١٣/٤ / حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبَرنا حجَّاجٌ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : من أَحْدَث حدَثًا فى غيرِ الحرَمِ ثم لَجَأ إلى الحرَمِ ، لم يُعرَضْ له ، ولم يُبايَعْ ، ولم يُكلَّمْ ، ولم يُؤْوَ ، حتى يخرُجَ من الحرَمِ ، فإذا خرَج من الحرَمِ أُخِذ فأُقِيم عليه الحدُّ . قال : ومن أَحْدَث فى الحرَمِ حدَثًا أُقِيم عليه الحدُّ[(١)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا إبراهيمُ بنُ إسماعيلَ [٤٣٤/١و] بنِ نصرٍ السُّلَمىُّ ، عن ابنِ أبى حَبيبةَ ، عن داودَ بنِ حُصينٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ أنه قال : مَن أَحْدَث حدَثًا ثم اسْتَجار بالبيتِ ، فهو آمِنٌ ، وليس للمسلمين أن يعاقبوه على شىءٍ إلى أن يَخرُجَ ، فإذا خرَج أقاموا عليه الحدَّ[(٢)] .

حدَّثنى يعقوبُ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : ثنا حجَّاجٌ ، عن عطاءٍ ، عن ابنِ عمرَ ، قال : لو وجَدتُ قاتلَ عمرَ فى الحرمِ ما هِجْتُه[(٣)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : ثنا ليثٌ ، عن عطاءٍ ، أن الوليدَ بنَ عُتْبَةَ أراد أن يُقيمَ الحدَّ فى الحرمِ ، فقال له عُبَيْدُ بنُ عُميرٍ : لا تُقِمْ عليه الحدَّ فى الحرمِ ، إلَّا أن يكونَ أصابه فيه[(٤)] .

= وأصله عند الأزرقى فى أخبار مكة ٣٦٨/١ من طريق ابن جريج به . وعنده : سعدًا مولى عقبة .

(١) سقط من : ص .

والأثر عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٥٥، إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٥/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه عبدالرزاق فى مصنفه (٩٢٢٩) ، والأزرقى فى أخبار مكة ٣٦٩/١ من طريق أبى الزبير عن ابن عمر ، عندهما : « ندهته » ، بدل « هجته » .

(٤) ينظر البحر المحيط ٣/ ١٠.

حدَّثنا أبو كُريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : أخبَرنا مُطَرِّفٌ ، عن عامرٍ ، قال : إذا أصاب الحدَّ ثم هرَب إلى الحرمِ فقد أمِن ، فإذا أصابه فى الحرمِ ، أُقِيم عليه الحدُّ فى الحرمِ[1] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا مُؤَمَّلٌ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن فِرَاسٍ ، عن الشَّعْبيِّ ، قال : مَن أصاب حدًّا فى الحرمِ أُقِيم عليه فى الحرمِ ، ومن أصابه خارجًا من الحرمِ ثم دخَل الحرمَ ، لم يُكلَّمْ ، ولم يُبايعْ ، حتى يخرُجَ من الحرمِ فيُقامَ عليه .

حدَّثنا سعيدُ بنُ يحيى الأُمَويُّ ، قال : ثنا عبدُ السلامِ بنُ حربٍ ، قال : ثنا عطاءُ ابنُ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، وعن عبدِ الملكِ ، عن عطاءِ بنِ أبى رباحٍ ، فى الرجلِ يقتُلُ ، ثم يدخُلُ الحرمَ ، قال : لا يبيعُه أهلُ مكةَ ، ولا يَشْتَرون منه ، ولا يَسْقونه ولا يُطْعِمونه ، ولا يُؤْونه - عدَّ أشياءَ كثيرةً - حتى يخرُجَ من الحرمِ فيُؤْخذَ بذنبِه[2] .

حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ أنَّ الرجلَ إذا أصاب حدًّا ثم دخَل الحرمَ ، أنه لا يُطعَمُ ، ولا يُسْقى ، ولا يُؤْوَى ، ولا يُكلَّمُ ، ولا يُنكَحُ ، ولا يُبايَعُ ، فإذا خرَج منه أُقِيم عليه الحدُّ[3] .

حدَّثنى المُثَنَّى ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، عن

---

(١) أخرجه عبد الرزاق فى مصنفه (١٧٣٠٨) من طريق مطرف ، بنحوه مطولًا .

(٢) ينظر البحر المحيط ٣/ ١٠.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧١١ (٣٨٥٠) من طريق عطاء بن السائب به نحوه .

ابنِ عباسٍ ، قال : إذا أَحْدَث الرجلُ حدَثًا ، ثم دخَل الحرمَ ، لم يُؤْوَ ، ولم يُجالَسْ ، ولم يُبايَعْ ، ولم يُطعَمْ ، ولا يُسْقَ ، حتى يخرُجَ من الحرمِ .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا حجَّاجٌ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن عطاءِ بنِ السائبِ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ مثلَه .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : أمَّا قولُه : ﴿ وَمَن / دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ . فلو أن رجلًا قتَل رجلًا ، ثم أتَى الكعبةَ ، فعاذ بها ، ثم لَقِيَه أخو المقتولِ ، لم يَحِلَّ له أبدًا أن يقتُلَه[1] .

١٤/٤

وقال آخرون : معنى ذلك : ومن دخَله يكنْ آمِنًا من النارِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا عليُّ بنُ مسلمٍ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : أخبَرنا[2] زُرَيْقُ[3] بنُ مسلمٍ المخزوميُّ ، قال : ثنا زيادُ بنُ أبي عَيَّاشٍ[4] ، عن يحيى بنِ جَعْدةَ في قولِه : ﴿ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ﴾ . قال : آمِنًا من النارِ[5] .

وأولى الأقوالِ في ذلك عندَنا بالصوابِ قولُ ابنِ الزُّبيرِ ومجاهدٍ والحسنِ ومَن قال : معنى ذلك : ومَن دخَله مِن غيرِه ممن لَجأ إليه عائذًا به ، كان آمِنًا ما كان فيه ،

(١) ينظر البحر المحيط ٣/ ١٠.

(٢) في ص ، ت ١، ت ٢، س : « هذا أخبرناه » .

(٣) في ص : « رريق » ، وفي م : « رزيق » .

(٤) في ص ، ت ٢ ، ت ٣ : « عياس » ، وفي م ، ت ١، س : « عياض » . والمثبت من تفسير ابن أبي حاتم وتفسير ابن كثير .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧١٢ (٣٨٥٦) من طريق أبي عاصم به ، وذكره ابن كثير في تفسيره ٢/ ٦٦ عن ابن أبي حاتم ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٥٥ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ولكنه يُخرَجُ منه ، فيُقامُ عليه الحدُّ إن كان أصاب ما يَسْتَوجِبُه فى غيرِه ثم لَجأ إليه ، وإن كان أصابه فيه أُقِيم عليه فيه .

فتأويلُ الآيةِ إذن : فيه آياتٌ بيِّناتٌ مَقامُ إبراهيمَ ، ومَن يدخُلْه مِن الناسِ مستجيرًا به ، يكنْ آمِنًا مما استجار منه ما كان فيه ، حتى يُخرَجَ منه .

فإن قال قائلٌ : وما مَنَعك من إقامةِ الحدِّ عليه فيه ؟

قيل : لاتفاقِ جميعِ السلَفِ على أن مَن كانت جَريرتُه فى غيرِه ثم عاذ به فإنه لا يُؤخَذُ بجريرتِه فيه . وإنما اخْتَلفوا فى صفةِ إخراجِه منه لأخْذِه بها ؛ فقال بعضُهم : صفةُ ذلك منعُه المعانىَ التى يُضْطَرُّ مع مَنْعِه وفَقْدِه إلى الخروجِ منه .

وقال آخرون : لا صفةَ لذلك غيرُ إخراجِه منه بما أَمْكَن إخراجُه من المعانى التى تُوصِّلُ إلى إقامةِ حدِّ اللَّهِ عليه معها . فلذلك قلنا : غيرُ جائزٍ إقامةُ الحدِّ عليه فيه إلَّا بعدَ إخراجِه منه . فأمَّا مَن أصاب الحدَّ فيه ، فإنه لا خلافَ بينَ الجميعِ فى أنه يُقامُ عليه فيه الحدُّ ، فكلتا المسألتَيْن أصلٌ مُجمَعٌ على حكمِهما على ما وصَفْنا .

فإن قال لنا قائلٌ : وما دَلالتُك على أن إخراجَ العائذِ بالبيتِ إذا أتاه مستجيرًا به مِن جَريرةٍ جَرَّها ، أو مِن حدٍّ أصابه ، من الحرمِ جائزٌ لإقامةِ الحدِّ عليه ، وأخْذِه بالجريرةِ ، وقد أَقْرَرتَ بأنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ قد جعَل مَن دَخَله آمنًا ، ومعنى الآمنِ غيرُ معنى الخائفِ ، فبما[1] هما فيه مُخْتَلِفانِ ؟

(١) فى م : « فيما » .

قيل : قلنا ذلك لإجماعِ الجميعِ مِن المتقدِّمين والمتأخِّرين من علماءِ الأمةِ على أن إخراجَ العائذِ به مِن جريرةٍ أصابها أو فاحشةٍ أتاها ، وَجَبَتْ عليه بها عقوبةٌ ، منه ببعضِ معانى الإخراجِ ؛ لأخْذِه بما لَزِمَه ، واجبٌ على إمامِ المسلمين وأهلِ الإسلامِ معه .

وإنما اختَلفوا فى السببِ الذى يُخْرَجُ به منه ؛ فقال بعضُهم : السببُ الذى يجوزُ إخراجُه به منه تركُ جميعِ المسلمين مبايعَتَه وإطعامَه وسَقْيَه وإيواءَه وكلامَه ، وما أشْبَهَ ذلك من المعانى التى لا قرارَ للعائذِ به فيه مع بعضِها ، فكيف مع جميعِها !

وقال آخرون منهم : بل إخراجُه لإقامةِ من لَزِمَه [٤٣٤/١ظ] من العقوبةِ واجبٌ ، بكلِّ معانى الإخراجِ .

فلمَّا كان إجماعًا من الجميعِ ، على أن حكمَ اللَّهِ فى من عاذ بالبيتِ ، من حدٍّ أصابه ، أو جَريرةٍ جَرَّها - إخراجُه منه ؛ لإقامةِ ما فرَض اللَّهُ على المؤمنين إقامتَه عليه ، /ثم اختَلفوا فى السببِ الذى يجوزُ إخراجُه به منه - كان اللازمُ لهم ولإمامِهم إخراجَه منه بأىِّ معنًى أمْكَنَهم إخراجُه منه ، حتى يُقيموا عليه الحدَّ الذى لَزِمَه خارجًا منه إذا كان لَجأ إليه مِن خارجٍ ، على ما قد بَيَّنَّا قبلُ .

١٥/٤

وبعدُ ، فإن اللَّهَ عزَّ وجلَّ لم يضعْ حدًّا مِن حدودِه عن أحدٍ من خلقِه ، من أجلِ بقعةٍ وموضعٍ صار إليها مَن لَزِمَه ذلك ، وقد تَظاهَرَتِ الأخبارُ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ أنه قال : « إنى حَرَّمتُ المدينةَ كما حرَّم إبراهيمُ مكَّةَ »[1] . ولا خلافَ بينَ جميعِ الأمةِ ،

---

(١) أخرجه أحمد ٣٧٤/٢٦ (١٦٤٤٦) ، والبخارى (٢١٢٩) ، ومسلم (١٣٦٠) من حديث =

أن عائذًا لو عاذ من عقوبةٍ لَزِمَتْه بحرَمِ النبيِّ ﷺ ، يُؤاخَذُ بالعقوبةِ فيه . ولولا ما ذكَرتُ من إجماعِ السلفِ على أن حرمَ إبراهيمَ لا يقامُ فيه على مَن عاذ به مِن عقوبةٍ لَزِمَتْه حتى يخرُجَ منه ما لَزِمَه[1] ، لكان أحقُّ البقاعِ أن تُؤَدَّى فيه فرائضُ اللَّهِ التى أَلْزَمها عبادَه - مِن قتلٍ أو غيرِه - أعظمَ البقاعِ إلى اللَّهِ ؛ كحرَمِ اللَّهِ ، وحرمِ رسولِه ﷺ ، ولكِنَّا أُمِرْنا بإخراجِ مَن أُمِرنا بإخراجِه من حرمِ اللَّهِ لإقامةِ الحدِّ ؛ لما ذكَرْنا من فعلِ الأمةِ ذلك وِراثةً .

فمعنى الكلامِ إذ كان الأمرُ على ما وَصَفْنا : ومَن دخَله كان آمِنًا ما كان فيه . فإذ كان ذلك كذلك ، فمَن لَجَأ إليه مِن عقوبةٍ لَزِمَتْه عائذًا به ، فهو آمِنٌ ما كان به حتى يَخرُجَ منه ، وإنما يَصيرُ إلى الخوفِ بعدَ الخروجِ أو الإخراجِ منه ، فحينَئذٍ هو غيرُ داخلِه ، ولا هو فيه .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : وفرضٌ واجبٌ للَّهِ على مَن استطاع مِن أهلِ التكليفِ السبيلَ إلى حِجِّ بيتِه الحرامِ ، الحِجُّ إليه .

وقد بيَّنَّا فيما مضى معنى الحجِّ ، ودَلَّلْنا على صحَّةِ ما قلنا من معناه ، بما أغنى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[2] .

واختلف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، وما

= عبد الله بن زيد بن عاصم .

(١) ما لزمه : يعنى ما بقى فيه .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٢/ ٧١١، ٧١٢.

السبيلُ التي يجبُ مع استطاعتِها فرضُ الحجِّ ؟ **فقال بعضُهم** : هي الزادُ والراحلةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، قال : أخبرَنا ابنُ جُريجٍ ، قال : قال عمرُ بنُ الخطابِ رضِي اللَّهُ عنه : ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، قال : الزادُ والراحلةُ[(١)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، قال : أخبرَنا ابنُ جُريجٍ ، قال : قال عمرُو بنُ دينارٍ : الزادُ والراحلةُ[(٢)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن أبي جَنابٍ[(٣)] ، عن الضحَّاكِ ، عن ابنِ عباسٍ في قولِه : ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ قال : الزادُ والبعيرُ[(٤)] .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ : والسبيلُ أن يَصِحَّ بدنُ العبدِ ويكونَ له ثمنُ زادٍ وراحلةٍ من غيرِ أن يُجحَفَ به[(٥)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٩٠ من طريق ابن جريج ، عن عطاء ، عن عمر .

(٢) ذكره ابن عبد البر في الاستذكار ١٢/ ٦١.

(٣) في م ، ت ١: « خباب » ، وفي ت ٢: « حيان » ، وفي س : « حباب » ، وغير منقوطة في ص . وهو أبو جَنَاب الكلبي . ينظر تهذيب الكمال ٣١/ ٢٨٤.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة ٤/ ٩٠ عن وكيع به ، وأخرجه الترمذي (٣٣١٦) من طريق أبي جناب به مطولًا ، وأخرجه البيهقي ٤/ ٣٣١ من طريق عكرمة ، عن ابن عباس .

(٥) أخرجه البيهقي ٤/ ٣٣١ من طريق عبد الله بن صالح به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٥٦ إلى ابن المنذر .

/حدَّثنا خلَّادُ بنُ أَسْلَمَ ، قال : ثنا النَّضْرُ بنُ شُميلٍ ، قال : أخبَرنا إسرائيلُ ، عن أبى عبدِ اللَّهِ البَجَليِّ ، قال : سألتُ سعيدَ بنَ جُبيرٍ عن قولِه : ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ . قال : قال ابنُ عباسٍ : من ملَك ثلاثَمائةِ درهمٍ ، فهو السبيلُ إليه[1] . ١٦/٤

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن إسحاقَ بنِ عثمانَ ، قال : سمِعتُ عطاءً يقولُ : السبيلُ الزادُ والراحلةُ[2] .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : أمَّا ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ فإن ابنَ عباسٍ قال : السبيلُ : راحلةٌ وزادٌ .

حدَّثنى المُثنَّى وأحمدُ بنُ حازمٍ ، قالا : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن محمدِ بنِ سُوقَةَ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ : ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ . قال : الزادُ والراحلةُ[3] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : أخبَرنا الرَّبيعُ بنُ صَبِيحٍ ، عن الحسنِ ، قال : الزادُ والراحلةُ[4] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن منصورٍ ، عن الحسنِ ، قال : قرَأ النبيُّ ﷺ هذه الآيةَ : ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ٩١/٤ من طريق النزال بن عمار ، عن ابن عباس .

(٢) أخرجه ابن أبى شيبة ٩١/٤ من طريق داود عن عطاء .

(٣) أخرجه ابن أبى شيبة ٨٩/٤ من طريق محمد بن سوقة به نحوه .

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة ٩٠/٤ من طريق يونس وهشام ، عن الحسن .

فقال رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما السبيلُ ؟ قال : « الزادُ والراحلةُ »[(١)] .

واعتلَّ قائلو هذه المقالةِ بأخبارٍ رُوِيَتْ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ بنحوِ ما قالوا فى ذلك .

ذكرُ الروايةِ بذلك عن رسولِ اللَّهِ ﷺ

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا إبراهيمُ ابنُ يزيدَ الخُوزىُّ ، قال : سَمِعتُ محمدَ بنَ عَبَّادِ بنِ جعفرٍ ، يحدِّثُ عن ابنِ عمرَ ، قال : قام رجلٌ إلى رسولِ اللَّهِ ﷺ فقال : ما السبيلُ ؟ قال : « الزادُ والراحلةُ »[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن إبراهيمَ الخُوزىِّ ، عن محمدِ بنِ عَبَّادٍ ، عن ابنِ عمرَ ، أن النبىَّ ﷺ قال فى قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾ . قال : « السبيلُ إلى الحجِّ الزادُ والراحلةُ »[(٣)] .

حدَّثنا حُميدُ بنُ مَسْعَدَةَ ، قال : ثنا بشرُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا يونسُ ، وحدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا [١/٤٣٥و] ابنُ عُلَيَّةَ ، عن يونسَ ، عن

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه - كما فى نصب الراية ٨/٣ - من طريق منصور به .

(٢) أخرجه الترمذى (٢٩٩٨) عن عبد بن حميد عن عبد الرزاق به .

(٣) أخرجه البيهقى ٣٢٧/٤، وفى الشعب (٣٩٧٤) من طريق أبى حذيفة به ، وأخرجه الدارقطنى ٢١٧/٢ (١٠) من طريق سفيان به ، وأخرجه الشافعى ٢٨٣/١، ٢٨٤ وابن أبى شيبة ٩٠/٤، وابن ماجه (٢٨٩٦) ، والترمذى (٨١٣) ، وابن عدى ٢٢٨/١، والبيهقى ٣٣٠/٤، والبغوى (١٨٤٧) من طريق إبراهيم بن يزيد به ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٦٠) ، والدارقطنى ٢١٧/٢، ٢١٨ (١١، ١٢) من طريق محمد بن عباد به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٥/٢، ٥٦ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

الحسنِ ، قال : قرأ رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، ما السبيلُ ؟ قال : « الزادُ والراحلةُ »[1] .

حدَّثنا أبو عثمانَ المُقَدَّميُّ والمُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هلالُ بنُ [2]عبدِ اللَّهِ[2] مولى ربيعةَ بنِ عمرِو بنِ مسلمٍ الباهليُّ ، قال : ثنا أبو إسحاقَ ، عن الحارثِ ، عن عليٍّ ، عن النبيِّ ﷺ ، قال : « مَن مَلَك زادًا وراحلةً تُبلِّغُه إلى بيتِ اللَّهِ ، فلم يَحُجَّ ، فلا عليه أن / يموتَ يهوديًّا أو نصرانيًّا ، وذلك أن اللَّهَ عزَّ وجلَّ يقولُ فى كتابِه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ » الآيةَ[3] .

١٧/٤

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، قال : بلَغنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ قال له قائلٌ ، أو رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ ، ما السبيلُ إليه ؟ قال : « مَن وجَد زادًا وراحلةً »[4] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ الحسنِ الترمذيُّ ، قال : ثنا شَاذُّ بنُ فَيَّاضٍ البصريُّ ، قال : ثنا هلالٌ [5]أبو هاشمٍ[5] ، عن أبى إسحاقَ الهَمْدانيِّ ، عن الحارثِ ، عن عليِّ بنِ أبى طالبٍ ، رضِى اللَّهُ عنه ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « مَن مَلَك زادًا وراحلةً فلم

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥١٨ - تفسير) ، وابن أبى شيبة ٤/ ٩٠، والدارقطنى ٢/ ٢١٨، والبيهقى ٤/ ٣٢٧ من طريق يونس به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٥٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢ - ٢) فى ص ، م ، ت ١: « عبيد الله » . وينظر تهذيب الكمال ٣٠/ ٣٤٢.

(٣) أخرجه الترمذى (٨١٢) ، والبيهقى فى الشعب (٣٩٧٨) من طريق مسلم بن إبراهيم به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٥٦ إلى ابن مردويه .

(٤) أخرجه البيهقى ٤/ ٣٣٠ من طريق سعيد به .

(٥ - ٥) فى ص ، م ، ت ١ ، س : « بن هشام » ، وفى ت ٢: « بن إسحاق بن هشام » .

يَحُجَّ ، مات يهوديًّا أو نصرانيًّا ، وذلك أن اللَّهَ يقولُ فى كتابِه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ » الآية[1] .

حدَّثنى أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا حمادُ بنُ سَلَمةَ ، عن قتادةَ وحُميدٍ ، عن الحسنِ ، أن رجلًا قال : يا رسولَ اللَّهِ ، ما السبيلُ إليه ؟ قال : « الزادُ والراحلةُ » .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا الحجَّاجُ بنُ المنْهالِ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن قتادةَ ، عن الحسنِ ، عن النبيِّ ﷺ مثلَه .

وقال آخرون : السبيلُ التى إذا استطاعها المرءُ كان عليه الحجُّ ، الطاقةُ للوصولِ إليه .

قال : وذلك قد يكونُ بالمشيِ وبالركوبِ ، وقد يكونُ مع وجودِهما العجزُ عن الوصولِ إليه ، بامتناعِ الطريقِ مِن العدوِّ الحائلِ ، وبقلةِ الماءِ ، وما أَشْبَه ذلك .

قالوا : فلا بيانَ فى ذلك أبْيَنُ مما بيَّنه اللَّهُ عزَّ وجلَّ ، بأن يكونَ مستطيعًا إليه السبيلَ ؛ وذلك الوصولُ إليه بغيرِ مانعٍ ولا حائلٍ بينَه وبينَه ، وذلك قد يكونُ بالمشيِ وحدَه ، وإن أَعْوَزَه المَرْكَبُ ، وقد يكونُ بالمركَبِ وغيرِ ذلك .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهديٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٥٩) ، وابن مردويه - كما فى تفسير ابن كثير ٢/ ٧٠- من طريق هلال أبى هاشم به .

خالدِ بنِ أبى كَريمةَ ، عن رجلٍ ، عن ابنِ الزُّبيرِ قولَه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : على قَدْرِ القوَّةِ[1] .

حدَّثنا يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبرنا جُوَيبرٌ ، عن الضحَّاكِ فى قولِه : ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : الزادُ والراحلةُ ، فإن كان شابًّا صحيحًا ليس له مالٌ ، فعليه أن يُؤاجِرَ نفسَه بأكلِه وعَقِبِه حتى يقضِىَ حَجَّتَه . فقال له قائلٌ : كلَّف اللَّهُ الناسَ أن يَمْشُوا إلى البيتِ ؟ فقال : لو أن لبعضِهم ميراثًا بمكةَ ، أكان تاركَه ؟ واللَّهِ لَانْطَلَقَ إليه ولو حَبْوًا ، كذلك يجبُ عليه الحجُّ[2] .

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا محمدُ بنُ بكرٍ ، قال : أخبَرنا ابنُ جُريجٍ ، قال : قال عطاءٌ : من وجَد شيئًا يُبلِّغُه فقد وجَد سبيلًا ، كما قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا أبو هانئٍ ، قال : سُئِل[3] عامرٌ عن هذه الآيةِ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : السبيلُ ما يَسَّرَه اللَّهُ .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ٤/ ٩٠ عن ابن مهدى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٥٦ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧١٤ (٣٨٦٣) من طريق جويبر عن الضحاك قال : إن كان فقيرا وهو صحيح شاب ، فليؤاجر نفسه بالأكلة والعقبة حتى يحج .

وقوله : بأكله وعَقِبه : يعنى أن يجعل القاصد للحج - وليس معه نفقة وظهر يبلغه - نفسه أجيرا عند غيره ، مقابل أن يطعمه ويحمله حتى يبلغ حجته ويقضيها .

(٣) فى النسخ : « ثنا سهل بن » . وسيأتى على الصواب فى ص ٦٢٢ .

١٨/٤ / حدَّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، قال : ثنا عبَّادٌ ، عن الحسنِ : مَن وجَد شيئًا يبلِّغُه فقد اسْتَطاعَ إليه سبيلًا[1] .

وقال آخرون : السبيلُ إلى ذلك الصحَّةُ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ حُميدٍ ومحمدُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ عبدِ الحكمِ والمُثَنَّى بنُ إبراهيمَ ، قالوا : حدَّثنا أبو عبدِ الرحمنِ المُقْرِئُ ، قال : ثنا حَيْوَةُ بنُ شُريحٍ وابنُ لَهيعةَ ، قالا : أخبَرنا شُرَحْبيلُ بنُ شَريكٍ المَعافريُّ ، أنه سمِع عكرمةَ مولى ابنِ عباسٍ يقولُ في هذه الآيةِ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : السبيلُ الصحَّةُ[2] .

وقال آخرون بما حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ ، قال : مَن وجَد قوةً في النفقةِ والجسدِ والحُمْلانِ . قال : وإن كان في جسدِه ما لا يستطيعُ الحجَّ ، فليس عليه الحجُّ ، وإن كان له قوةٌ في مالٍ ، كما إذا كان صحيحَ الجسدِ ولا يجدُ مالًا ولا قوةً ، يقولون : لا يُكَلَّفُ أن يَمْشِيَ .

وأولى الأقوالِ في ذلك عندَنا بالصوابِ قولُ مَن قال بقولِ ابنِ الزُّبيرِ وعطاءٍ : إن ذلك على قَدْرِ الطاقةِ ؛ لأن السبيلَ في كلامِ العربِ الطريقُ . فمن كان واجدًا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٣/٣ (٣٨٥٨) من طريق أبي بكر الحنفي به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧١٤/٣ (٣٨٦١) من طريق أبي عبد الرحمن المقرئ به .

طريقًا إلى الحجِّ لا مانعَ له منه ؛ مِن زَمانَةٍ ، أو عجزٍ ، أو عدوٍّ ، أو قِلَّةِ ماءٍ فى طريقِه ، أو زادٍ ، وضعفٍ عن المشيِ ، فعليه فرضُ الحجِّ ، لا يُجْزِئُه إلَّا أداؤُه . فإن لم يكنْ واجدًا سبيلًا - أعنى بذلك : فإن لم يكنْ مُطيقًا الحجَّ بتَعَذُّرِ بعضِ هذه المعانى التى وَصَفْناها عليه - فهو ممن لا يجدُ إليه طريقًا ولا يستطيعُه ؛ لأن الاستطاعةَ إلى ذلك هو القدرةُ عليه . ومن كان عاجزًا عنه ببعضِ الأسبابِ التى ذَكَرْنا أو بغيرِ ذلك ، فهو غيرُ مطيقٍ ولا مُستَطِيعٍ إليه السبيلَ .

وإنما قلنا : هذه المقالةُ أولى بالصحَّةِ مما خالَفها ؛ لأن اللَّهَ عزَّ وجلَّ لم يَخْصُصْ - [١/٤٣٥ظ] إذ أَلْزم الناسَ فرضَ الحجِّ - بعضَ مستطيعى السبيلِ إليه ، بسقوطِ فَرْضِ ذلك عنه . فذلك على كلِّ مستطيعٍ إليه سبيلًا بعمومِ الآيةِ .

فأمَّا الأخبارُ التى رُوِيَتْ عن رسولِ اللَّهِ ﷺ فى ذلك بأنه الزادُ والراحلةُ ، فإنها أخبارٌ فى أسانيدِها نظرٌ ، لا يجوزُ الاحتجاجُ بمثلِها فى الدينِ .

واختَلف القرَأةُ فى قراءةِ « الحجِّ » ، فقرَأ ذلك جماعةٌ من قرأةِ أهلِ المدينةِ والعراقِ بالكسرِ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ ﴾[1] .

وقرَأ ذلك جماعةٌ أُخرى منهم بالفتحِ : (ولِلَّهِ على النَّاسِ حَجُّ البَيْتِ)[2] .

وهما لغتان معروفتان للعربِ ، فالكسرُ لغةُ أهلِ نَجْدٍ ، والفتحُ لغةُ أهلِ العاليةِ ، ولم نرَ أحدًا مِن أهلِ العربيةِ ادَّعى فرقًا بينَهما فى معنًى ولا غيرِه ، غيرَ ما ذَكَرْنا مِن اختلافِ اللغتين ، إلَّا ما **حدَّثنا** به أبو هشامٍ الرِّفاعىُّ ، قال : قال

---

(١) وهى قراءة حمزة والكسائى وحفص عن عاصم . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٤ .

(٢) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو وأبى بكر عن عاصم ، وابن عامر . المصدر السابق .

حسينٌ[(١)] الجُعْفِىُّ : الحَجُّ مفتوحٌ : اسمٌ ، والحِجُّ مكسورٌ : عَملٌ .

وهذا قولٌ لم أرَ أهلَ المعرفةِ بلغاتِ العربِ ومعانى كلامِهم يَعْرِفونه ، بل رأيتُهم مُجْمِعِين على ما وصَفتُ من أنهما لغتان بمعنًى واحدٍ .

والذى نقولُ به فى قراءةِ ذلك : إن القراءتين إذ كانتا مستفيضتين فى قرأةِ أهلِ الإسلامِ ، ولا اختلافَ / بينَهما فى معنًى ولا غيرِه ، فهما قراءتان قد جاءتا مجىءَ الحُجَّةِ ، فبأىِّ القراءتين - أعنى بكسرِ الحاءِ من الحجِّ أو فتحِها - قرَأ القارئُ ، فمصيبٌ الصوابَ فى قراءتِه .

١٩/٤

وأما ﴿ مَنِ ﴾ التى مع قولِه : ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ ﴾ . فإنه فى موضعِ خفضٍ على الإبدالِ من ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ . لأن معنى الكلامِ : وللّهِ على مَن استطاعَ مِن الناسِ سبيلًا إلى حجِّ البيتِ ، حجُّه . فلما تقدَّم ذكرُ ﴿ ٱلنَّاسِ ﴾ قبلَ ﴿ مَنِ ﴾ ، بيَّن بقولِه : ﴿ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًاۚ ﴾ ، الذى عليه فرضُ ذلك منهم ؛ لأنَّ فَرضَ ذلك على بعضِ الناسِ دونَ جميعِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : ومَن جحَد ما أَلْزَمه اللّهُ مِن فرضِ حجِّ بيتِه ، فأَنْكَره وكفَر به ، فإن اللّهَ غنىٌّ عنه وعن حجِّه وعملِه ، وعن سائرِ خلقِه مِن الجنِّ والإنسِ .

كما حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا عبدُ الواحدِ بنُ زيادٍ ، عن الحجَّاجِ بنِ أَرْطاةَ ، عن محمدِ بنِ أبى المُجالِدِ ، قال : سَمِعتُ

---

(١) فى النسخ : « حسن » . وتقدم فى ١٧٢/١ .

مِقْسمًا، عن ابنِ عباسٍ فى قولِه : ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ . قال : مَن زعَم أنه ليس بفرضٍ عليه[(١)] .

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ، قال : ثنا هُشيمٌ، قال : أخبَرنا الحجَّاجُ، عن عطاءٍ، وجُويبرٌ، عن الضحَّاكِ، فى قولِه : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قالا : من جحَد الحجَّ وكفَر به[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ، قال : ثنا هُشيمٌ، عن الحجَّاجِ بنِ أَرْطاةَ، عن عطَاءٍ، قال : مَن جحَد به .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ، قال : ثنا عِمرانُ القطَّانُ، يقولُ : مَن زعَم أن الحجَّ ليس عليه[(٢)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ، قال : ثنا أبو بكرٍ، عن عبَّادٍ، عن الحسَنِ فى قولِه : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾، قال : مَن أَنْكَرَه، ولا يرى أن ذلك عليه حقًّا، فذلك كفرٌ[(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو، قال : ثنا أبو عاصمٍ، عن عيسى، عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ قال : من كفَر بالحجِّ .

حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بَيانٍ، قال : أخبَرنا إسحاقُ بنُ يوسفَ، عن أبى بشرٍ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . قال : مَن كفَر بالحجِّ كفَر باللَّهِ[(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧١٥ (٣٨٧١) من طريق عاصم بن أبى النجود عن ابن عباس بنحوه .

(٢) ينظر البحر المحيط ٣/ ١٢.

(٣) ينظر تفسير البغوى ٢/٧٤، والبحر المحيط ٣/١٢ .

(٤) ينظر تفسير البغوى ٢/ ٧٤.

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا يَعْلَى بنُ أَسَدٍ ، قال : ثنا خالدٌ ، عن هشامِ بنِ حسَّانَ ، عن الحسنِ في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ ﴾ . قال : من لم يَرَه عليه واجبًا[(١)] .

حدَّثني المُثَنَّى ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبي نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ قال : بالحجِّ .

وقال آخرون : معنى ذلك ألّا يكونَ معتقدًا في[(٢)] حجِّه أن له الأجرَ عليه ، ولا أن عليه بتركِه إثمًا ، ولا عقوبةً .

/ ذكرُ مَن قال ذلك

٢٠/٤

حدَّثني يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا ابنُ عُلَيَّةَ ، قال : أخبَرنا ابنُ جُريجٍ ، قال : ثني عبدُ اللَّهِ بنُ مسلمٍ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ قال : هو ما إن حجَّ لم يَرَه بِرًّا ، وإن قعَد لم يَرَه مأثمًا .

حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بَيانٍ ، قال : أخبَرنا إسحاقُ بنُ يوسفَ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : هو ما إن حجَّ لم يَرَه بِرًّا ، وإن قعَد لم يَرَه مأثمًا[(٣)] .

حدَّثني أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا فِطْرٌ[(٤)] ، عن أبي داودَ نُفيعٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٧- تفسير) من طريق هشام بن حسان به .

(٢) بعده في ص : « عمله و » ، وبعده في ت ٢: « عمله » .

(٣) أخرجه الشافعي ٩٣/٢، والبيهقي في معرفة السنن والآثار ٤٦٩/٣ من طريق ابن جريج به ، أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ١٢٨/١، وسعيد بن منصور في سننه (٥١٦- تفسير) ، والبيهقي ٣٢٤/٤ من طريق ابن أبي نجيح ، عن مجاهد .

(٤) في م : « مطر » .

سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . فقام رجلٌ من هُذيلٍ ، فقال : يا رسولَ اللَّهِ ، من ترَكه كفر ؟ قال : « من ترَكه ولا يخافُ عقوبتَه ، ومن حجَّ ولا يرجو ثوابَه ، فهو ذاك »[(١)] .

حدَّثني المُثنَّى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . يقولُ : مَن كفر بالحجِّ ، فلم يرَ حجَّه بِرًّا ، ولا ترْكَه مأثمًا[(٢)] .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومَن كفَر باللَّهِ واليومِ الآخرِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جَريرٌ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ ، قال : سألتُه عن قولِه : ﴿ وَمَن كَفَرَ [٤٣٦/١و] فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ . ما هذا الكفرُ ؟ قال : مَن كفَر باللَّهِ واليومِ الآخرِ[(٣)] .

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ بنُ مهدىٍّ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن منصورٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه : ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ . قال : من كفَر باللَّهِ واليومِ الآخرِ[(٤)] .

حدَّثنا يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبَرنا جُويبرٌ ، عن

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٧/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٥/٣ (٣٨٧٢) ، والبيهقى ٤/ ٣٢٤، من طريق أبى صالح به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٧/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٥/٣ (٣٨٦٨) من طريق عبد الرحمن بن مهدى به .

الضحَّاكِ فى قولِه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ . قال : لما نَزَلتْ آيةُ الحجِّ جمَع رسولُ اللَّهِ ﷺ أهلَ الأديانِ كلَّهم ، فقال : « يا أيُّها الناسُ ، إنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ كَتَب عليكم الحجَّ فحُجُّوا » . فآمنت به ملةٌ واحدةٌ ، وهى مَن صدَّق النبىَّ ﷺ وآمَن به ، وكَفرتْ به خمسُ مِلَلٍ ، قالوا : لا نؤمنُ به ، ولا نصلِّى إليه ، ولا نستَقْبِلُه . فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَالَمِينَ ﴾ [(١)] .

حدَّثنى أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : أخبَرنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا أبو هانئٍ ، قال : سُئل عامرٌ عن قولِه : ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ . قال : مَن كفَر من الخلقِ ، فإن اللَّهَ غنىٌّ عنه [(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو حذيفةَ ، قال : ثنا سفيانُ ، عن إبراهيمَ ، عن محمدِ بنِ عَبَّادٍ ، عن ابنِ عمرَ ، عن النبىِّ ﷺ فى قولِ اللَّهِ : ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ . قال : « مَن كفَر باللَّهِ واليومِ الآخرِ » [(٣)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن عكرمةَ مولى / ابنِ عباسٍ فى قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَامِ دِينًا ﴾ [آل عمران : ٨٥] . فقالت المللُ : نحن مسلمون . فأنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ

٢١/٤

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥١٥- تفسير) من طريق جويبر به نحوه . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٧ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ينظر تفسير القرطبى ٤/ ١٤٨.

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧١٤ (٣٨٦٧) ، والبيهقى فى الشعب (٣٩٧٤) من طريق أبى حذيفة به .

﴿ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ . فحجَّ المؤمنون وقعَد الكفارُ[(١)] .

وقال آخرون : معنى ذلك : ومَن كفَر بهذه الآياتِ التى فى مَقامِ إبراهيمَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ . فقرَأ : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران : ٩٦] . فقرَأ حتى بلَغ : ﴿مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ﴾ . قال : مَن كفَر بهذه الآياتِ : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ . ليس كما يقولون : إذا لم يحُجَّ ، وكان غنيًّا ، وكانت له قوةٌ ، فقد كفَر بها . وقال قومٌ من المشركين : فإنا نكفُرُ بها ولا نفعَلُ . فقال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾[(٢)] .

وقال آخرون بما حدَّثنى إبراهيمُ بنُ عبدِ اللَّهِ بنِ مسلمٍ ، قال : أخبَرنا أبو عمرَ الضريرُ ، قال : ثنا حمادٌ ، عن حبيبِ بنِ أبى بقيَّةَ ، عن عطاءِ بنِ أبى رباحٍ فى قولِه : ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ . قال : مَن كفَر بالبيتِ[(٣)] .

وقال آخرون : كفرُه به تركُه إيَّاه حتى يموتَ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنى أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن

---

(١) أخرجه البيهقى ٤/ ٣٢٤، ومعرفة السنن والآثار ٣/ ٤٦٨، ٤٦٩ (٢٦٥٢) من طريق ابن أبى نجيح به بنحوه ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٧ إلى المصنف ، وعبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٧ إلى المصنف مختصرًا .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٧ إلى المصنف وعبد بن حميد .

السُّدىّ : أما ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ فمَن وجَد ما يحجُّ به ، ثم لا يحجُّ ، فهو كافرٌ[(١)] .

وأولى التأويلاتِ بالصوابِ فى ذلك قولُ مَن قال : معنى ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ : ومن جحَـد فرْضَ ذلك وأنْكَر وجوبَه فإن اللَّهَ غنىٌّ عنه وعن حجِّه ، وعن العالمين جميعًا .

وإنما قلنا ذلك أولى به ؛ لأن قولَه : ﴿ وَمَن كَفَرَ ﴾ . بعَقِبِ قولِه : ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ . بأن يكونَ خبرًا عن الكافرِ بالحجِّ ، أحقُّ منه بأن يكونَ خبرًا عن غيرِه ، مع أن الكافرَ بفرضِ الحجِّ على من فرَضه اللَّهُ عليه ، باللَّهِ كافرٌ ، وأن الكفرَ أصْلُه الجحودُ ، ومن كان له جاحدًا ، ولفرضِه منْكرًا ، فلا شكَّ إنْ حجَّ لم يَرْجُ بحجِّه برًّا ، وإن تَرَكَه فلم يَحُجَّ لم يَرَهُ مأثمًا .

فهذه التأويلاتُ ، وإن اخْتلَفَت العباراتُ بها ، فمتقارباتُ المعانى .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ ﴾ .

يعنى بذلك : يا معشرَ يهودِ بنى إسرائيلَ وغيرِهم من سائرِ مَن يَنْتَحِلُ الدِّيانةَ بما أَنْزل اللَّهُ عزَّ وجلَّ من كتبِه ، ممن كفَر بمحمدٍ ﷺ ، وجحَد نبوَّتَه : لمَ تجْحَدون ﴿ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ ؟ يقولُ : لمَ تجحَدون / حُججَ اللَّهِ التى آتاها محمدًا ﷺ فى كتبِكم وغيرِها ، التى قد ثَبَتَتْ عليكم بصدقِه ونبوتِه حُجَّتُه . وأنتم تعلَمون[(٢)] . يقولُ : لم تجحَدون ذلك من أمرِه وأنتم تعلَمون صدقَه ؟ فأَخْبر جلَّ ثناؤُه عنهم أنهم

٢٢/٤

---

(١) ذكره البغوى فى تفسيره ٧٤/٢ بنحوه ، وذكره أبو حيان فى البحر المحيط ١٢/٣ وفيه ، فهذا كفر معصية .

(٢) ليس هذا من الآية ، فتمام الآية : ﴿ والله شهيد على ما تعملون ﴾ . ويمكن أن يكون المصنف أورد هذه العبارة من عنده ، أو اقتباسًا من الآيات الأخرى ؛ لاعتباره ذلك متسقا مع علم اليهود بصدق النبى ﷺ .

متعمّدون الكفرَ باللَّهِ وبرسولِه ، على علمٍ منهم ومعرفةٍ مِن كفرِهم .

وقد حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ : أما آياتُ اللَّهِ فمحمدٌ ﷺ .

حدَّثنى محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ ، قال : ثنا عَبّادٌ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَكۡفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعۡمَلُونَ ﴾ . قال : هم اليهودُ والنصارَى[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا وَأَنتُمۡ شُهَدَآءُۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : يا معشرَ يهودِ بنى إسرائيلَ وغيرِهم ممن يَنْتَحِلُ التصديقَ بكتبِ اللَّهِ ، ﴿ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ يقولُ : لم تُضِلُّون عن طريقِ اللَّهِ ومَحَجَّتِه التى شرَعها لأنبيائِه [٤٣٦/١ظ] وأوليائِه وأهلِ الإيمانِ ﴿ مَنۡ ءَامَنَ ﴾ يقولُ : من صدَّق باللَّهِ ورسولِه وما جاء به من عندِ اللَّهِ ، ﴿ تَبۡغُونَهَا عِوَجٗا ﴾ يعنى : تبغُون لها عوجًا .

والهاءُ والألفُ اللتان فى قولِه : ﴿ تَبۡغُونَهَا ﴾ عائدتان على ﴿ سَبِيلِ ﴾ ، وأنَّثها لتأنيثِ السبيلِ .

ومعنى قولِه : [2]تَبْغون لها عِوَجًا[2] . مِن قولِ الشاعرِ ، وهو سُحيمٌ عبدُ بنى الحَسْحاسِ[3] :

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٦/٣ (٣٨٨٠) من طريق أبى بكر به .

(٢ - ٢) كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : تبغونها عوجا : تطلبون لها عوجا .

(٣) تقدم تخريجه فى ٥٠٢/٣ .

بغَاك وما تَبْغِيه حتى وجَدْتَهُ كأنَّك قد وَاعَدْتَه أمسِ مَوْعِدَا

يعنى : طَلَبَك وما تَطْلُبه .

يقالُ : ابْغِنى كذا . يُرادُ : ابْتَغِه لى . فإذا أرادوا : أَعِنِّى على طلبِه وابْتَغِه معى . قالوا : أَبْغِنى . بفتحِ الألفِ . وكذلك يقالُ : احْلِبْنى . بمعنى : اكْفِنى الحَلْبَ . وأَحْلِبْنى : أعنِّى عليه . وكذلك جميعُ ما ورَد من هذا النوعِ فعلى هذا .

وأما العِوَجُ فهو الأَوَدُ والمَيْلُ . وإنما يعنى بذلك الضلالَ عن الهدَى . يقولُ جلَّ ثناؤُه : لِمَ تصدُّون عن دينِ اللَّهِ مَن صَدَّق اللَّهَ ورسولَه ، تَبْغون دينَ اللَّهِ اعوجاجًا عن سَنَنِه واستقامتِه .

وخرَج الكلامُ على « السبيلِ » والمعنى لأهلِه . كأن المعنى : تَبْغون لأهلِ دينِ اللَّهِ ولمن هو على سبيلِ الحقِّ ، ﴿ عِوَجًا ﴾ . يقولُ : ضلالًا عن الحقِّ ، وزَيْغًا عن الاستقامةِ على الهدى والمحجَّةِ .

والعِوَجُ بكسرِ أولِه : الأَوَدُ فى الدينِ والكلامِ . والعَوَجُ بفتحِ أولِه : المَيْلُ فى الحائطِ والقناةِ وكلِّ شىءٍ منتصبٍ قائمٍ .

وأما قولُه : ﴿ وَأَنتُمْ شُهَدَآءُ ﴾ . فإنه يعنى : شهداءَ على أن الذى تصُدُّون عنه من السبيلِ حقٌّ ، تعلَمونه وتجدونه فى كتبِكم . ﴿ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . يقولُ : ليس اللَّهُ بغافلٍ عن أعمالِكم التى تَعْمَلونها / مما لا يَرْضاه لعبادِه ، وغيرِ[1] ذلك من أعمالِكم ، حتى يُعاجلكم بالعقوبةِ عليها مُعجَّلةً ، أو يُؤخِّرَ ذلك لكم حتى تَلْقَوه فيُجازيَكم عليها . ٢٣/٤

وقد ذُكِر أن هاتين الآيتين من قولِه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ

(١) فى ص ، ت ١ : « عن » .

﴿ ٱللَّهِ ﴾ والآياتِ بعدَهما[١] ، إلى قولِه : ﴿ [٢]وَأُوْلَٰٓئِكَ[٢] لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . نَزَلتْ في رجلٍ من يهودَ ، حاوَل الإغراءَ بين الحيَّيْن من الأوسِ والخزرجِ بعدَ الإسلامِ ، ليُراجِعوا ما كانوا عليه في جاهليَّتِهم من العداوةِ والبغضاءِ ، فعَنَّفَه اللَّهُ بفعلِه ذلك ، وقبَّح له ما فعَل ، ووَبَّخه عليه ، ووعَظ أيضا أصحابَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ونهاهم عن الافتراقِ والاختلافِ ، وأمَرهم بالاجتماعِ والائتلافِ .

ذكرُ الروايةِ بذلك

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى الثقةُ ، عن زيدِ بنِ أسلمَ ، قال : مرَّ شَأْسُ بنُ قيسٍ - وكان شيخًا قد عسَا[٣] في الجاهليَّةِ ، عظيمَ الكفرِ ، شديدَ الضِّغْنِ على المسلمين ، شديدَ الحسَدِ لهم - على نفرٍ من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ مِن الأوسِ والخزرجِ ، في مجلسٍ قد جَمَعَهم يتحدَّثون فيه ، فغاظَه ما رأى من جماعتِهم وأُلْفَتِهم ، وصلاحِ ذاتِ بَيْنِهم على الإسلامِ ، بعدَ الذى كان بينَهم من العداوةِ في الجاهليةِ ، فقال : قد اجْتَمع مَلَأُ بنى قَيْلَةَ[٤] بهذه البلادِ ، لا[٥] واللَّهِ ما لنا معهم إذا اجْتَمع مَلَؤُهم بها من قرارٍ . فأمرَ فتًى شابًّا مِن يَهودَ ، وكان معه[٦] ، فقال : اعمِدْ إليهم ، فاجْلِسْ معهم ، وذكِّرْهم يومَ بُعاثٍ وما كان قبلَه ، وأَنْشِدْهم بعضَ ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعارِ . وكان يومُ بُعاثٍ يومًا اقْتَتَلَتْ

(١) في ت ١ : « بعدها » .

(٢ - ٢) في النسخ : « فأولئك » . والمثبت قراءة الآية .

(٣) في ص ، ت ١ : « عتا » . وعسا وعتا : أسن وكبِر وولَّى . اللسان (ع ت و ، ع س و) .

(٤) بنو قيلة : الأنصار من الأوس والخزرج ، وقيلة اسم أم لهم قديمة ، وهى قيلة بنت كاهل ، قضاعية ، ويقال : بنت جفنة . غسانية . ينظر اللسان والتاج (ق ى ل) ، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٣٢ .

(٥) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٦) في سيرة ابن هشام : « معهم » .

فيه الأوسُ والخزرجُ ، وكان الظَّفَرُ فيه للأوسِ على الخزرجِ ، ففعَلَ . فتكَلَّم القومُ عندَ ذلك ، فتنازعوا وتفاخروا ، حتى تَوَاثَبَ رجلان من الحيَّيْن على الرُّكَبِ ؛ أَوْسُ بنُ قَيْظِيٍّ ، أحدُ بنى حارثةَ بنِ الحارثِ ، من الأوسِ ، وجَبَّارُ بنُ صخرٍ ، أحدُ بنى سَلِمةَ من الخزرجِ ، فتقاولا ، ثم قال أحدُهما لصاحبِه : إن شئتم واللَّهِ رَدَدْناها الآنَ جَذَعةً[1] . وغضِب الفريقان ، وقالوا : قد فعَلْنا ، السلاحَ السلاحَ ، موعدُكم الظاهِرةُ . والظاهرةُ الحَرَّةُ . فخرَجوا إليها ، وتَحَاوَزَ[2] الناسُ ، فانْضَمَّتِ الأوسُ بعضُها إلى بعضٍ ، والخزرجُ بعضُها إلى بعضٍ ، على دعواهم التى كانوا عليها فى الجاهليةِ ، فبلَغ ذلك رسولَ اللَّهِ ﷺ ، فخرَج إليهم فى مَن معه مِن المهاجرين من أصحابِه ، حتى جاءهم ، فقال : « يا معشرَ المسلمين ، اللَّهَ اللَّهَ ، أبدعوَى الجاهليةِ وأنا بينَ أَظْهُرِكم ، بعدَ إذ هداكم اللَّهُ إلى الإسلامِ ، وأَكْرَمَكم به ، وقطَع به عنكم أمرَ الجاهليةِ ، واسْتَنْقَذكم به من الكفرِ ، وألَّف به بينَكم ، تَرْجِعون إلى ما كنتم عليه كفارًا » ؟ فعرَف القومُ أنها نَزْغةٌ مِن الشيطانِ ، وكيدٌ من عدوِّهم ، فألْقَوُا السلاحَ مِن أيدِيهم ، وبكَوْا ، وعانَق الرجالُ من الأوسِ والخزرجِ بعضُهم بعضًا ، ثم انْصَرَفوا مع رسولِ اللَّهِ ﷺ سامعين مطيعين ، قد أَطْفأ اللَّهُ عنهم كيدَ عدوِّ اللَّهِ شأْسِ بنِ قيسٍ وما صنَع ، فأَنْزَل اللَّهُ فى شأْسِ بنِ قيسٍ وما صنَع : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ/ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ الآية . وأَنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ فى أوسِ بنِ قَيْظيٍّ وجبَّارِ بنِ

٢٤/٤

(١) أعدتُ الأمرَ جذعًا : جديدًا كما بدأ . التاج (ج ذ ع) .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تحاور » ، وقد سقط هذا الحديث بطوله وفقرة بعده من « س » . وتحاوروا : تراجعوا الكلام بينهم ، وتجادلوا . وتَحَاوَز الفريقان فى الحرب : انحاز كل واحد منهما عن الآخر . وواضح من هنا بُعدُ معنى التحاور - بالراء - عن السياق وغرابته ، لذا أثبتناها بالزاى . وينظر التاج (ح و ر ، ح و ز) .

صخرٍ ، ومَن كان معهما من قومِهما ، الذين صنَعوا ما صنَعوا عمَّا[1] أَدْخَل عليهم شأْسُ بنُ قيسٍ من أمرِ الجاهليةِ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ . إلى قولِه : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[2] .

وقيل : إنه عَنَى بقولِه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ [٤٣٧/١و] لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ جماعةَ يهودِ بنى إسرائيلَ الذين كانوا بينَ أَظْهُرِ مدينةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أيامَ نزَلت هذه الآياتُ ، والنصارى ، وأن صدَّهم عن سبيلِ اللَّهِ كان بإخبارِهم مَن سأَلهم عن أمرِ نبيِّ اللَّهِ محمدٍ ﷺ : هل يجدون ذكرَه فى كتبِهم ؟ أنهم لا يجدون نَعْتَه فى كتبِهم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا ﴾ : كانوا إذا سأَلهم أحدٌ : هل تجدون محمدًا ؟ قالوا : لا . فصدُّوا عنه الناسَ . وبَغَوْا محمدًا عِوَجًا : هلاكًا[3] .

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓأَهْلَ

---

(١) فى م : « مما » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٥٥/١ - ٥٥٧، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧١٦، ٧١٨ (٣٨٧٨، ٣٨٩٣) من طريق سلمة به مختصرًا جدًّا، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٥٧، ٥٨ إلى ابن المنذر وأبى الشيخ .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٧/٣ (٣٨٨٤) من طريق أحمد بن المفضل به .

﴿ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ . يقول : لمَ تَصُدُّون عن الإسلامِ وعن نبيِّ اللَّهِ مَن آمن باللَّهِ ، وأنتم شهداءُ فيما تَقْرَءون من كتابِ اللَّهِ أن محمدًا رسولُ اللَّهِ ، وأن الإسلامَ دينُ اللَّهِ الذى لا يقبَلُ غيرَه ، ولا يَجْزِى إلَّا به ، تجدونه[1] مكتوبًا عندَكم[2] فى التوراةِ والإنجيلِ[3] ؟

حدَّثنى المُثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ نحوَه[4] .

حدَّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ ، قال : ثنا عَبَّادٌ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ . قال : هم اليهودُ والنصارى ، نَهاهم أن يَصُدُّوا المسلمين عن سبيلِ اللَّهِ ، ويريدون أن يَعْدِلوا الناسَ إلى الضلالةِ[5] .

فتأويلُ الآيةِ على ما قاله[6] السُّدِّىُّ : يا معشرَ اليهودِ ، لم تصُدُّون عن محمدٍ ، وتَمْنَعون مِن اتِّباعِه المؤمنين به ؛ بكتمانِكم صفتَه التى تَجِدونها فى كتبِكم . ومحمدٌ على هذا القولِ هو السبيلُ . ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ : تبغون محمدًا هلاكًا .

وأما سائرُ الرواياتِ غيرِه ، والأقوالِ فى ذلك ، فإنه نحوُ التأويلِ الذى بيَّنَّاه

(١) فى ت ٢، والدر المنثور : « يجدونه » .

(٢) فى ت ١، ت ٢، ت ٣، والدر المنثور : « عندهم » .

(٣) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٧/٣ عقب الأثر (٣٨٨٣) معلقا مختصرا ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٨/٢ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٧/٣ (٣٨٨٣) من طريق عبد اللَّه بن أبى جعفر به نحوه مختصرا .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٧/٣ من طريق أبى بكر الحنفى به مختصرًا .

(٦) فى ص ، ت ٢: « قال » .

قبلُ ، مِن أنَّ معنى السبيلِ التى ذكَرها فى هذا الموضعِ الإسلامُ ، وما جاء به محمدٌ من الحقِّ من عندِ اللَّهِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ .

اختلف أهلُ التأويلِ فى من عنَى بذلك ؛ **فقال بعضُهم** : عنَى بقولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ الأوسَ والخزرجَ ، وبـ ﴿ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ : شأسَ بنَ قيسٍ اليهوديَّ . على ما قد ذكَرْنا قبلُ من خبرِه عن زيدِ بنِ أسلمَ[1] .

/ **وقال آخرون** فى مَن عنَى بـ ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ مثلَ قولِ زيدِ بنِ أسلمَ ، غيرَ أنهم قالوا : الذى جرَى الكلامُ بينَه وبينَ غيرِه من الأنصارِ حتى همُّوا بالقتالِ ، ووجَد اليهوديُّ به مَغْمَزًا فيهم ، ثعلبةُ بنُ عَنَمَةَ[2] الأنصاريُّ . ٢٥/٤

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ : قال : نزَلتْ فى ثعلبةَ بنِ عَنَمةَ[2] الأنصاريِّ ؛ كان بينَه وبينَ أناسٍ من الأنصارِ كلامٌ ، فمشَى بينَهم يهوديٌّ من قَيْنُقَاعَ ، فحمَل بعضَهم على بعضٍ[3] ، حتى همَّت الطائفتان من الأوسِ والخزرجِ أن يَحْمِلوا السلاحَ فيُقاتِلوا ، فأنزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ

---

(١) هو الأثر المتقدم فى الصفحة السابقة .

(٢) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « غنمة » . بالغين . وينظر أسد الغابة ١/ ٢٩١ ، والإصابة ١/ ٤٠٦ .

(٣) حملت على بنى فلان : إذا أرشتَ بينهم . التاج (ح م ل) . والمعنى هنا : الإيقاع والإفساد بينهم .

كَفِرِينَ ﴾ . يقولُ : إن حمَلتم السلاحَ فاقْتَتَلْتُم كفَرْتم[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا جعفرُ[(٢)] بنُ سليمانَ ، عن حُميدٍ الأعرجِ ، عن مجاهدٍ في قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ قال : كان جِماعُ قبائلِ الأنصارِ بَطْنَيْنِ ؛ الأوسَ والخزرجَ ، وكان بينَهما في الجاهليةِ حربٌ ودماءٌ وشَنآنٌ ، حتى منَّ اللَّهُ عليهم بالإسلامِ وبالنبيِّ ﷺ ، فأَطْفأَ اللَّهُ الحربَ التي كانت بينَهم ، وأَلَّف بينَهم بالإسلامِ . قال : فبَيْنَا رجلٌ مِن الأوسِ ورجلٌ من الخزرجِ قاعدان يَتَحَدَّثان ، ومعهما يهوديٌّ جالسٌ ، فلم يَزَلْ يُذَكِّرُهما أيامَهما ، والعداوةَ التي كانت بينَهم ، حتى اسْتَبَّا ، ثم اقْتَتَلا . قال : فنادَى هذا قومَه ، وهذا قومَه ، فخرَجوا بالسلاحِ ، وصفَّ بعضُهم لبعضٍ . قال : ورسولُ اللَّهِ ﷺ شاهدٌ يومَئذٍ بالمدينةِ ، فجاء رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلم يزلْ يمشي بينَهم إلى هؤلاءِ وإلى هؤلاءِ ؛ ليُسَكِّنَهم[(٣)] ، حتى رَجَعوا ووَضَعوا السلاحَ ، فأَنْزَل اللَّهُ عزَّ وجلَّ القرآنَ في ذلك : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ إلى قولِه : ﴿ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[(٤)] .

فتأويلُ الآيةِ : يا أيها الذين صدَّقوا اللَّهَ ورسولَه ، وأَقَرُّوا بما جاءهم به نبيُّهم ﷺ من عندِ اللَّهِ ، إن تُطيعوا جماعةً ممن يَنْتَحِلُ الكتابَ من أهلِ التوراةِ والإنجيلِ ، فتَقْبَلوا

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧١٨، ٧١٩ (٣٨٩٢، ٣٨٩٧) من طريق أحمد بن المفضل به مختصرًا .

(٢) في تفسير عبد الرزاق : « معمر » خطأ . وينظر تهذيب الكمال ٥/ ٤٣.

(٣) في ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « فيسكنهم » ، وفي تفسير عبد الرزاق : « يسكنهم » . والمثبت موافق لما في تفسير ابن أبي حاتم .

(٤) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٨، ١٢٩. وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧١٩ (٣٨٩٤) عن الحسن به .

منهم ما يأمُرونكم بهِ ، يُضِلُّوكم فيَرُدُّوكم بعدَ تصديقِكم رسولَ ربِّكم ، وبعدَ إقرارِكم بما جاء به من عندِ ربِّكم ﴿ كَفِرِينَ ﴾ . يقولُ : جاحِدِين لما قد آمنتم به وصَدَّقْتُموه من الحقِّ الذى جاءكم من عندِ ربِّكم . فنهاهم جلَّ ثناؤُه أن يَنْتَصِحوهم ويَقْبَلوا منهم رَأْيًا أو مَشُورةً ، ويُعْلِمُهم تعالى ذكرُه أنهم لهم مُنْطَوون على غِلٍّ وغشٍّ وحسدٍ وبَغْضاءَ[1] .

[٤٣٧/١ظ] كما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ كَٰفِرِينَ ﴾ : قد تقدَّم اللَّهُ إليكم فيهم كما تَسْمَعون ، وحذَّركم وأنبأكم بضلالتِهم ، فلا تَأْمَنوهم على دينِكم ، ولا تَنْتَصِحوهم على أنفسِكم ، فإنهم الأعداءُ الحَسَدةُ الضُّلَّالُ ، كيف تَأْتَمِنون قومًا كفروا بكتابِهم ، وقتلوا رسلَهم ، وتَحَيَّروا فى دينِهم ، وعجَزوا عن أنفسِهم ؟ أولئك واللَّهِ هم أهلُ التُّهَمةِ والعداوةِ[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ مثلَه[3] .

/ القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ ﴾ . ٢٦/٤

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ ﴾ أيها المؤمنون بعدَ إيمانِكم باللَّهِ وبرسولِه ، فتَرْتدُّوا على أعقابِكم ، ﴿ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ . يعنى : حُجَجَ

(١) فى م : « بغض » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٨/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧١٩/٣ (٣٨٩٥) من طريق عبد اللَّه بن أبى جعفر به .

اللَّهِ عليكم التي أَنْزلها في كتابِه على نبيِّه محمدٍ ﷺ ، ﴿ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾ حُجَّةٌ أُخرَى عليكم للَّهِ ، مع آيِ كتابِه ، يدعوكم جميعُ ذلك إلى الحقِّ ، ويُبصِّرُكم الهدَى والرشادَ ، ويَنْهاكم عن الغيِّ والضلالِ . يقولُ لهم تعالى ذكرُه : فما [١]وجهُ عذرِكم[١] عندَ ربِّكم في جحودِكم نبوَّةَ نبيِّكم ، وارتدادِكم على أعقابِكم ، ورجوعِكم إلى أمرِ جاهليتِكم ، إن أنتم راجَعْتم ذلك وكفَرْتم ، وفيه هذه الحُجَجُ الواضحةُ ، والآياتُ[٢] البينةُ على خطأِ فعلِكم ذلك إن فَعَلْتُموه .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُريعٍ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾الآية : عَلَمان بيِّنان ؛ وِجدانُ نبيِّ اللَّهِ ﷺ ، وكتابُ اللَّهِ ؛ فأما نبيُّ اللَّهِ فمَضَى ﷺ ، وأما كتابُ اللَّهِ فأبقاه اللَّهُ بينَ أَظْهُرِكم رحمةً مِن اللَّهِ ونعمةً ، فيه حلالُه وحرامُه ، وطاعتُه ومعصيتُه[٣] .

وأما قولُه : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ . فإنه يعنى : ومَن يَتَعَلَّقْ بأسبابِ اللَّهِ ، ويَتَمَسَّكْ بدينِه وطاعتِه ، ﴿ فَقَدْ هُدِىَ ﴾ . يقولُ : فقد وُفِّق لطريقٍ واضحٍ ، ومحجةٍ مستقيمةٍ غيرِ مُعوَجَّةٍ ، فيَسْتَقيمُ به إلى رضا اللَّهِ ، وإلى النجاةِ من عذابِ اللَّهِ ، والفوزِ بجنتِه .

كما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ قولَه : ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ ﴾ . قال : يؤمنْ باللَّهِ[٤] .

(١ - ١) في ص : « وحد عدوكم » ، وفي ت ١ : « وجد عدوكم » .

(٢) في ص ، ت ١ : « الأيام » .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٢٠ (٣٨٩٩) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٥٨ إلى عبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٢٠ (٣٩٠١) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٥٨ إلى ابن المنذر .

وأصلُ العَصْمِ المنعُ . فكلُّ مانِعٍ شيئًا فهو عاصِمُه ، والمُمْتَنِعُ به مُعْتَصِمٌ به . ومنه قولُ الفَرَزْدَقِ[(١)] :

أنا ابنُ العاصِمِينَ بنى تَمِيمٍ إذا ما أَعْظَمُ الحَدَثانِ نَابَا

ولذلك قيل للحبلِ : عِصامٌ . وللسببِ الذى يَتَسَبَّبُ به الرجلُ إلى حاجتِه : عِصامٌ . ومنه قولُ الأعشى[(٢)] :

إلى المَرْءِ قَيْسٍ أُطِيلُ السُّرَى[(٣)] وآخُذُ من كلِّ حَىٍّ عُصُمْ

يعنى بالعُصُمِ الأسبابَ ؛ أسبابَ الذِّمةِ والأمانِ . يقالُ منه : اعْتَصَمْتُ بحَبْلٍ مِن فلانٍ ، واعتصمتُ حبلًا منه ، واعتصمتُ به ، واعتصمتُه . وأفصحُ اللغتين إدخالُ الباءِ ، كما قال عزَّ وجلَّ : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . وقد جاء : اعتصمتُه . كما قال الشاعرُ[(٤)] :

/إذا أنتَ جازَيْتَ الإخاءَ بمثلِهِ وآسَيْتَنى ثُمَّ اعتصمتَ حِبالِيَا ٢٧/٤

فقال : اعتصمتَ حِبالِيَا . ولم يُدخِلِ الباءَ . وذلك نظيرُ قولِهم : تناولتُ الخِطامَ ، وتناولتُ بالخطامِ ، وتعلَّقتُ به ، وتعلَّقتُه . كما قال الشاعرُ[(٥)] :

تَعَلَّقْتَ هندًا ناشئًا[(٦)] ذاتَ مِئْزَرٍ وأنتَ وقد قارَفْتَ[(٧)] لم تَدْرِ ما الحِلْمُ

---

(١) ديوانه ص ١١٥.

(٢) ديوانه ص ٣٧.

(٣) السُّرَى : سيرُ الليل عامته ، وقيل : سير الليل كله . يُذكَّر ويُؤنَّث . اللسان (س ر ى) .

(٤) معانى القرآن للفراء ١/ ٢٢٨.

(٥) معانى القرآن للفراء ١/ ٢٢٨.

(٦) الناشئ : فويق المحتلم ، وقيل : هو الغلام والجارية وقد جاوزا حد الصغر ، وكذلك الأنثى ناشئ . التاج (ن ش أ) .

(٧) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فارقت » . وقارفت : قاربْتَ . التاج (ق ر ف) .

وقد بيَّنَّا[١] معنى « الهدى » و« الصراطِ » ، وأنه معنِيٌّ به الإسلامُ ، فيما مضَى قبلُ بشواهدِه ، فكرِهْنا إعادتَه فى هذا الموضعِ[٢] .

وقد ذُكِر أن الذى نزَل فى سببِ تحاوُزِ[٣] القَبِيلَيْنِ[٤] ؛ الأوسِ والخزرجِ ، كان مِنْ[٥] قولِه : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا حسنُ بنُ عطيةَ ، قال : ثنا قيسُ بنُ الرَّبيعِ ، عن الأغرِّ ابنِ الصَّبَّاحِ ، عن خَليفةَ بنِ حُصينٍ ، عن أبى نَصرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كانت الأوسُ والخزرجُ بينَهم حربٌ فى الجاهليةِ [٦]كلَّ شهرٍ[٦] ، فبينما هم جلوسٌ إذ ذكَروا ما كان بينَهم حتى غضِبوا ، فقام بعضُهم إلى بعضٍ بالسلاحِ ، فنَزَلتْ هذه الآيةُ : ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ﴾ إلى آخرِ الآيتين ، ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ إلى آخرِ الآيةِ[٧] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ .

---

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « بينت » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/١٦٥ وما بعدها .

(٣) فى النسخ : « تحاور » . وينظر ما تقدم فى ص ٦٢٨.

(٤) فى م : « القبيلتين » . والقبيل : كالقبيلة . ينظر اللسان (ق ب ل) .

(٥) فى م : « منه » .

(٦ - ٦) كذا فى النسخ ، وفى تفسير ابن أبى حاتم : « كل شىء » ، وفى تفسير القرطبى : « قتال وشر » ، وفى الدر المنثور : « بينهم شر » .

(٧) أخرجه الفريابى ومن طريقه الطبرانى (١٢٦٦٦) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٢٠ (٣٨٩٨) من =

يعنى بذلك جلَّ ثناؤُه : يا معشرَ مَن صدَّق اللَّهَ ورسولَه ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ﴾ : خافوا اللَّهَ وراقِبوه بطاعتِه واجتنابِ معاصيه ، ﴿ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ : حقَّ خوفِه ، وهو أن يُطاعَ فلا يُعْصَى ، ويُشكَرَ فلا يُكفَرَ ، ويُذكَرَ فلا يُنْسَى ، ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ ﴾ أيها المؤمنون باللَّهِ ورسولِه ﴿ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ لربِّكم ، مُذعِنون له بالطاعةِ ، مخلصون له الأُلُوهَةَ[(١)] والعبادةَ .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ [١/٤٣٨و] الرحمنِ ، قال : ثنا سفيانُ ، وحدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : / أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا الثورىُّ ، عن زُبَيْدٍ ، عن مُرَّةَ ، عن عبدِ اللَّهِ : ﴿ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ . قال : أن يُطاعَ فلا يُعْصَى ، ويُذكَرَ فلا يُنسَى ، ويُشكَرَ فلا يُكْفَرَ[(٢)] . ٢٨/٤

حدَّثنا ابنُ بشارٍ ، قال : ثنا عبدُ الرحمنِ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن زُبيدٍ ، عن مرةَ ، عن عبدِ اللَّهِ مثلَه[(٣)] .

= طريق قيس بن الربيع به نحوه ، وأخرجه البخارى فى الكبير ٧٦/٩ ، والطبرانى (١٢٦٦٧) من طريق الأغر ابن الصباح به بلفظ : كان بين الأوس والخزرج . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٨/٢ إلى ابن المنذر . وينظر تفسير القرطبى ٥/ ١٥٦.

(١) فى م : « الألوهية » .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٩. وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ (٣٩٠٨) من طريق عبد الرحمن به ، وأخرجه الطبرانى (٨٥٠٢) ، وابن مردويه فى تفسيره - كما فى تفسير ابن كثير ٧٢/٢ من طريق الفريابى وابن وهب عن الثورى ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/٢ إلى عبد بن حميد والفريابى وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ (٣٩٠٨) من طريق عبد الرحمن به ، وابن المبارك فى الزهد (٢٢) عن شعبة به .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا محمدُ بنُ جعفرٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن زُبيدٍ ، عن مرةَ الهَمْدانيِّ ، عن عبدِ اللَّهِ مثلَه .

حدَّثنا أبو كُريبٍ وأبو السائبِ ، قالا : ثنا ابنُ إدريسَ ، قال : سَمِعتُ ليثًا ، عن زُبيدٍ ، عن مرةَ بنِ شَرَاحِيلَ البَكِيليِّ[1] ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ مثلَه[2] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن زُبيدٍ ، عن عبدِ اللَّهِ مثلَه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو نُعيمٍ ، قال : ثنا مِسْعرٌ ، عن زُبيدٍ ، عن مرةَ ، عن عبدِ اللَّهِ مثلَه[3] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : أخبَرنا هُشيمٌ ، عن المَسْعوديِّ ، عن زُبيدٍ الإياميِّ[4] ، عن مرةَ ، عن عبدِ اللَّهِ مثلَه[5] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن زُبيدٍ ، عن مرةَ ، عن عبدِ اللَّهِ مثلَه .

حدَّثنا محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا يحيى ، عن[6] سفيانَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ . قال : أن يُطاعَ فلا يُعْصى ، ويُشْكَرَ

---

(١) في م ، ت ٢، ت ٣، س : « الهمداني » . وكلتاهما صواب ، ينظر تهذيب الكمال ٢٧/ ٣٧٩.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٢٩٧، ٢٩٨ عن ابن إدريس به .

(٣) أخرجه الطبراني (٨٥٠١) ، والحاكم ٢/ ٢٩٤ من طريق أبي نعيم به .

(٤) في ت٢ : « اليامي » . وكلتاهما صواب . ينظر تهذيب الكمال ٩/ ٢٨٩.

(٥) أخرجه النحاس في ناسخه ص ٢٨١ من طريق المسعودي به .

(٦) في النسخ : « بن » . وينظر تهذيب الكمال ٢٥/ ٣٢٣، ٣١/ ٢٤٥.

فلا يُكفَرَ ، ويُذكَرَ فلا يُنْسَى[(١)] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبي ، عن إسرائيلَ ، عن أبي إسحاقَ ، عن عمرِو بنِ ميمونٍ نحوَه .

حدَّثنا ابنُ المثنى ، قال : ثنا يحيى بنُ سعيدٍ ، قال : ثنا شعبةُ ، قال : ثنا عمرُو بنُ مرةَ ، [(٢)]عن مرةَ[(٢)] ، عن الرَّبيعِ بنِ خُثَيْمٍ[(٣)] قال : أن يطاعَ فلا يُعْصَى ، ويُشكَرَ فلا يُكفَرُ ، ويُذكَرَ فلا يُنْسَى[(٤)] .

حدَّثنا المثنى ، قال : ثنا أبو داودَ ، قال : ثنا شعبةُ ، عن عمرِو بنِ مرةَ ، قال : سمِعتُ مرةَ الهَمْدانيَّ يُحدِّثُ عن الرَّبيعِ بنِ خُثَيْمٍ في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ . فذكَر نحوَه .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن قيسِ بنِ سعدٍ ، عن طاوسٍ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ : أن يُطاعَ فلا يُعْصَى[(٥)] .

حدَّثني محمدُ بنُ سِنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنَفيُّ ، قال : ثنا عَبَّادٌ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ . قال : حقُّ تقاتِه أن يُطاعَ

---

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٢٢ عقب الأثر (٣٩٠٨) معلقًا، وينظر تفسير ابن كثير ٢/ ٧٢.

(٢ - ٢) سقط من : م .

(٣) في م : « خيثم » .

(٤) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٢٢ عقب الأثر (٣٩٠٨) معلقًا .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٢٣ (٣٩١٣) من طريق أبي حذيفة به .

فلا يُعْصَى[(١)] .

حدَّثني محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ثم تقدَّم إليهم - يعني إلى المؤمنين من الأنصارِ - فقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ : أما حقُّ تقاتِه ؛ يُطاعُ فلا يُعصى ، ويُذكَرُ فلا يُنْسَى ، ويُشكَرُ فلا يُكفَرُ[(٢)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا حجّاجُ بنُ المِنْهالِ ، قال : ثنا همَّامٌ ، عن قتادةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ : أن يُطاعَ فلا يُعْصَى . قال : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[(٣)] .

وقال آخرون : بل تأويلُ ذلك كما حدثني به المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ،/ عن عليٍّ ، عن ابن عباسٍ قولَه : ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ . قال : حقُّ تقاتِه أن يجاهِد[(٤)] في[(٥)] اللَّهِ حقَّ جهادِه ، ولا يَأْخُذَهم[(٦)] في اللَّهِ لومةُ لائمٍ ، ويقوموا[(٧)] للَّهِ بالقسطِ ولو على [(٨)]أنفسِهم وآبائِهم وأبنائِهم[(٨)] .

٢٩/٤

(١) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩٠٨) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

(٣) أخرجه النحاس في الناسخ والمنسوخ ص ٢٨١، ٢٨٢ من طريق شيبان عن قتادة به .

(٤) في م ، والدر المنثور : « يجاهدوا » ، وفي ت ١ : « تجاهدوا » ، والمثبت موافق لما في تفسير ابن أبي حاتم والناسخ والمنسوخ ، وينظر الأثر الآتي فهو نفسه .

(٥) بعده في م ، وتفسير ابن أبي حاتم : « سبيل » .

(٦) في الناسخ والمنسوخ : « تأخذكم » ، وفي الدر المنثور : « تأخذهم » .

(٧) في الناسخ والمنسوخ : « وتقوموا » .

(٨ - ٨) في الناسخ والمنسوخ : « آبائكم وأبنائكم » ، وفي الدر المنثور : « أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم » . =

ثم اختلف أهلُ التأويلِ في هذه الآيةِ ؛ هل هي مَنْسوخَةٌ أم لا ؟ فقال بعضُهم : هي مُحْكَمَةٌ غيرُ منسوخةٍ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ : إنها لم تُنْسَخْ ، ولكن حقّ تقاتِه أن يُجاهَدَ[1] في اللَّهِ حقَّ جهادِه . ثم ذكَر تأويلَه الذى ذكَرناه عنه آنفًا .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن قيس بنِ سعدٍ ، عن طاوسٍ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ ﴾ : فإن لم تَفْعَلوا ولم تَستَطيعوا فلا تَموتُنَّ إلَّا وأنتم مُسلِمُونَ[2] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، قال : قال طاوسٌ : قولُه : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ . يقولُ : إن لم تتَّقوه ، فلا تموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون .

وقال آخرون : هى منسوخةٌ ، نَسَخها قولُه : ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [التغابن : ١٦] .

= والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٢٢ (٣٩١٠) ، والنحاس فى الناسخ والمنسوخ ص ٢٨٣، وابن الجوزى فى نواسخه ص ٢٤٤ من طريق أبى صالح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٥٩ إلى ابن المنذر .

(١) فى م : « تجاهد » .

(٢) تتمة الأثر المتقدم فى ص ٦٣٩، وليس فى الإسناد ذكر ابن أبى نجيح ، وكذا فيما سيأتى فى ص ٦٤٣، وهو الموافق لما فى تفسير ابن أبى حاتم .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ : ثم أَنْزَل التخفيفَ واليُسرَ ، وعاد بعائِدَتِه ورحمتِه على ما يَعْلَمُ مِن ضَعْفِ خَلْقِه ، فقال : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ . فجاءتْ هذه الآيةُ فيها تخفيفٌ وعافيةٌ ويسرٌ[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا الحجاجُ بنُ المنهالِ الأَنْماطيُّ ، قال : ثنا همامٌ ، عن قتادةَ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ . قال : نَسَختْها هذه الآيةُ التي في « التَّغابُنِ » : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ ﴾ . وعليها بايَعَ رسولُ اللَّهِ ﷺ ؛ على السمعِ والطاعةِ فيما استطاعوا .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ بنِ أنسٍ ، قال : لما نَزَلَتْ : ﴿ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ ، ثم نَزَل بعدَها : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ . فنَسَخَتْ هذه الآيةُ [٤٣٨/١ظ] التي في « آلِ عِمْرانَ »[(٢)] .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّديِّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ : فلم يُطقِ الناسُ هذا ،

---

(١) تفسير عبد الرزاق ٢٩٥/٢ عن معمر ، عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/٢ إلى عبد بن حميد وأبى داود فى ناسخه والمصنف .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩١١) من طريق ابن أبى جعفر به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٥٩/٢ إلى المصنف .

فنَسَخه اللَّهُ عنهم ، فقال : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾[(١)] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ / ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾ . قال : جاء أمرٌ شديدٌ ، قالوا[(٢)] : ومَن يَعْرِفُ قَدْرَ هذا أو يَبْلُغُه ؟ فلما عَرَف أنه قد اشْتَدَّ ذلك عليهم ، نسَخها عنهم ، وجاء بهذه الأُخرَى ، فقال : ﴿ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾ فنسَخها . ٣٠/٤

وأما قولُه : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ . فإن تأويلَه كما حدَّثني المثنى ، قال : ثنا أبو حُذيفةَ ، قال : ثنا شبلٌ ، عن قيسِ بنِ سعدٍ ، عن طاوسٍ : ﴿ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ . قال : على الإسلامِ وعلى حُرمةِ الإسلامِ[(٣)] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ .

يعني بذلك جلَّ ثناؤُه : وتعلَّقوا بأسبابِ اللَّهِ جميعًا . يريدُ بذلك تعالى ذكرُه : وتَمَسَّكوا بدينِ اللَّهِ الذي أمَرَكم به ، وعهْدِه الذي عهِده إليكم في كتابِه إليكم ، مِن الأُلْفةِ والاجتماعِ على كلمةِ الحقِّ ، والتسليمِ لأمرِ اللَّهِ .

وقد دَلَّلْنا فيما مضى قبلُ على معنى الاعتصامِ .

وأما الحبلُ ؛ فإنه السببُ الذي يُوصَلُ به إلى البُغْيَةِ والحاجةِ . ولذلك سُمِّي الأمانُ حبلًا ؛ لأنه سببٌ يُوصَلُ به إلى زَوالِ الخوفِ ، والنجاةِ من الجَزَعِ والذعرِ . ومنه قولُ أعشى بني ثَعْلبةَ[(٤)] :

---

(١) أخرجه ابن الجوزى فى نواسخه ص ٢٤٣ من طريق أحمد بن المفضل به ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٢/٣ عقب الأثر (٣٩١١) من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « قال » ، وفى س : « فقال » .

(٣) تتمة الأثر المتقدم فى ص ٦٣٩ ، وينظر ص ٦٤١ .

(٤) ديوانه ص ٢٩ .

وإذا تُجَوِّزُها حبالُ قبيلةٍ أخَذَتْ مِن الأُخرَى إليك حبالَها[١]

ومنه قولُ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٢] .

وبنحوِ الذى قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذِكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى يعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، قال : أخبَرنا العوَّامُ ، عن الشَّعْبىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ أنه قال فى قولِه : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . قال : الجماعةُ[٢] .

٣١/٤ / **حدَّثنا** المثنى ، قال : ثنا عمرُو بنُ عونٍ ، قال : ثنا هُشيمٌ ، عن العَوَّامِ ، عن الشعبىِّ ، عن عبدِ اللَّهِ فى قولِه : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . قال : حبلُ اللَّهِ الجماعةُ .

وقال آخرون : عنَى بذلك القرآنَ والعهدَ الذى عهِد فيه .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ : حبلُ اللَّهِ المتينُ الذى أمرَ أن يُعتصَمَ به هذا

---

(١) كان من عادة العرب أن يُخيف بعضُها بعضًا فى الجاهلية ، فكان الرجل إذا أراد سفرًا أخذ عهدًا من سيد كل قبيلة ، فيأمن به ما دام فى تلك القبيلة حتى ينتهى إلى الأخرى ، فيأخذ مثل ذلك أيضًا ، يريد به الأمان . اللسان (ح ب ل) والبيت فيه .

(٢) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥٢٠ - تفسير) ، والطبرانى (٩٠٣٣) من طريق هشيم به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٠/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

القرآنُ[(١)] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ فى قولِه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . قال : بعهدِ اللَّهِ وأمرِه[(٢)] .

حدَّثنا ابنُ حُميدٍ ، قال : ثنا جريرٌ ، عن منصورٍ ، عن شَقيقٍ ، عن عبدِ اللَّهِ ، قال : إن الصراطَ مُحتَضَرٌ ، تَحْضُرُه الشياطينُ ، ينادُون : يا عبدَ اللَّهِ ، هلمَّ ، هذا الطريقُ ؛ ليَصُدُّوا عن سبيلِ اللَّهِ ، فاعْتَصِموا بحبلِ اللَّهِ ، فإنَّ حبلَ اللَّهِ هو كتابُ اللَّهِ[(٣)] .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، عن أسباطَ ، عن السُّدىِّ : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ : أمَّا حبلُ اللَّهِ ، فكتابُ اللَّهِ[(٤)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ : بعهدِ اللَّهِ[(٥)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجَّاجٌ ، عن ابنِ جُريجٍ ، عن عطاءٍ : ﴿ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : العهدُ[(٦)] .

---

(١) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق شيبان ومعمر عن قتادة به .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٩، وأخرجه ابن حاتم فى تفسيره ٧٢٤/٣ (٣٩١٩) عن الحسن به .

(٣) أخرجه الطبرانى (٩٠٣١) من طريق سفيان عن منصور به ، وأخرجه الدارمى ٤٣٢/٢، وابن الضريس فى فضائله ص ٥٠ (٧٤) ، والبيهقى فى الشعب (٢٠٢٥) من طرق عن الأعمش عن شقيق به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٠/٢ إلى الفريابى ، وعبد بن حميد ، وابن الأنبارى فى المصاحف وابن مردويه .

(٤) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق عمرو بن حماد عن أسباط به .

(٥) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق مسلم بن خالد الزنجى عن ابن أبى نجيح به .

(٦) أخرجه البغوى فى تفسيره ٧٨/٢ من طريق ابن جريج به .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن الأعمشِ ، عن أبي وائلٍ ، عن عبدِ اللَّهِ : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ ﴾ . قال : حبلُ اللَّهِ القرآنُ[(١)] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا أبو زُهيرٍ ، عن جُويبرٍ ، عن الضحَّاكِ في قولِه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . قال : القرآنُ .

حدَّثنا سعيدُ بنُ يحيى ، قال : ثنا أسباطُ بنُ محمدٍ ، عن عبدِ الملكِ بنِ أبي سليمانَ العَرْزَميِّ ، [(٢)] عن عطيةَ [(٢)] ، عن أبي سعيدٍ الخدريِّ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « كتابُ اللَّهِ ، هو حبلُ اللَّهِ المَمْدودُ من السماءِ إلى الأرضِ »[(٣)] .

وقال آخرون : بل ذلك هو إخلاصُ التوحيدِ للَّهِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ، عن أبي العاليةِ في قولِه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . يقولُ : اعْتَصِموا بالإخلاصِ للَّهِ وحدَه[(٤)] .

٣٢/٤ /حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا ﴾ . قال : الحبلُ الإسلامُ . وقرأ : ﴿ وَلَا

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في سننه (٥١٩ - تفسير) ، والطبراني (٩٠٣٢) من طريق أبي وائل به ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٠/٢ إلى ابن أبي شيبة وابن المنذر .

(٢ - ٢) سقط من النسخ ، والمثبت من تفسير ابن كثير ٧٣/٢ ومصادر التخريج .

(٣) ذكره ابن كثير ٧٣/٢ عن المصنف ، وأخرجه أحمد ٣٠٨/١٧ (١١٢١١) ، وابن أبي عاصم في السنة (١٥٥٣) ، وأبو يعلى (١١٤٠) ، والطبراني (٢٦٧٨) من طريق عبد الملك بن أبي سليمان به ، وأخرجه ابن أبي شيبة ٥٠٦/١٠ - ومن طريقه ابن أبي عاصم في السنة (١٥٥٤) من طريق عطيه به .

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٤/٣ (٣٩١٨) من طريق ابن أبي جعفر به .

تَفَرَّقُوا۟ ﴾[1] .

القولُ فى تأويلِ قولِه عز وجل : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ .

يعنى جلَّ ثناؤُه بقولِه : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ : ولا تتفرَّقوا عن دينِ اللَّهِ وعهدِه الذى عهِد إليكم فى كتابِه ، من الائْتلافِ والاجتماعِ على طاعتِه وطاعةِ رسولِه ﷺ ، والانتهاءِ إلى أمرِه .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ [١/٤٣٩و] عَلَيْكُمْ ﴾ : إن اللَّهَ عزّ وجلَّ قد كرِه لكم الفُرْقةَ ، وقدَّم إليكم فيها ، وحَذَّرَكموها ، ونهاكم عنها ، ورضِى لكم السمعَ والطاعةَ ، والأُلْفةَ والجماعةَ ، فارْضَوْا لأنفسِكم ما رضِى اللَّهُ لكم إن استطعْتم ، ولا قوةَ إلا باللَّهِ[2] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الرَّبيعِ ، عن أبى العاليةِ : ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ﴾ : لا تَعادَوْا عليه . يقولُ : على الإخلاصِ للَّهِ ، وكونوا[3] عليه إخوانًا[4] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ بنُ صالحٍ ، أن الأوزاعىَّ حدَّثه ، أن يزيدَ الرَّقَاشىَّ حدَّثه ، أنه سمِع أنسَ بنَ مالكٍ قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « إن بنى إسرائيلَ افْتَرَقتْ على إحدى وسبعين فِرْقةً ، وإن أُمَّتى ستَفْتَرِقُ على اثنتيْن وسبعين فرقةً ، كلُّهم فى النارِ إلّا واحدةً » . قال : فقيل : يا رسولَ اللَّهِ ،

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦١ إلى المصنف .

(٢) ينظر التبيان ٢/ ٥٤٦.

(٣) فى ص ، ت ١: « تكونوا » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٢٤ (٣٩٢١) من طريق عبد الله بن أبى جعفر به .

وما هذه الواحدةُ ؟ قال : فقبَض يدَه وقال : « الجماعةُ ، ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ﴾ »[1] .

حدَّثني عبدُ الكريمِ بنُ أبي عُميرٍ ، قال : ثنا الوليدُ بنُ مسلمٍ ، قال : سَمِعتُ الأوزاعيَّ يُحدِّثُ عن يزيدَ الرَّقَاشيِّ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، عن النبيِّ ﷺ نحوَه[2] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا المُحارِبيُّ ، عن ابنِ أبي خالدٍ ، عن الشَّعْبيِّ ، عن ثابتِ بنِ قُطْبةَ[3] المُزَنيِّ[4] ، عن عبدِ اللَّهِ ، أنه قال : يا أيها الناسُ ، عليكم بالطاعةِ والجماعةِ ، فإنها[5] حبلُ اللَّهِ الذى أمَر به ، وإنَّ ما تَكْرَهون فى الجماعةِ والطاعةِ ، هو خيرٌ مما تَسْتَحِبُّون فى الفُرْقةِ[6] .

حدَّثنا عبدُ الحميدِ بنُ بَيانٍ السكريُّ[7] ، قال : أخبَرنا محمدُ بنُ يزيدَ ، عن إسماعيلَ بنِ أبى خالدٍ ، عن الشعبيِّ ، عن ثابتِ بنِ قُطْبَةَ[3] ، قال : سَمِعتُ ابنَ مسعودٍ وهو يَخْطُبُ ، وهو يقولُ : يا أيها الناسُ . ثم ذكَر نحوَه[8] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٣/٣ (٣٩١٥) من طريق أبى صالح عبد الله بن صالح به .

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣) من طريق الوليد بن مسلم عن أبى عمرو الأوزاعى عن قتادة عن أنس به .

(٣) فى م ، س : « قطنة » . وينظر التاريخ الكبير ٢/ ١٦٨ .

(٤) فى ص : « المرنى » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المرى » . والمثبت موافق لما فى طبقات ابن سعد ٦/ ١٩٧ ، وثقات ابن حبان ٤/ ٩٢ ، ونسبه فى التاريخ الكبير : « المدنى » .

(٥) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، وتفسير ابن أبى حاتم : « فإنهما » . وينظر الأثر بعد الآتى .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٣/٣ (٣٩١٦) من طريق إسماعيل - وهو ابن أبى خالد - به .

(٧) فى م : « اليشكرى » .

(٨) أخرجه اللالكائى فى شرح أصول الاعتقاد ١٠٨/١ من طريق محمد بن يزيد به .

حدَّثنا إسماعيلُ بنُ حفصٍ الأُبُلِّيُّ[(١)] ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ نُميرٍ أبو هشامٍ ، قال : ثنا مجالدُ بنُ سعيدٍ ، عن عامرٍ ، عن ثابتِ بنِ قُطْبَةَ[(٢)] المُزَنِيِّ[(٣)] ، قال : قال عبدُ اللَّهِ : عليكم بالطاعةِ والجماعةِ ، فإنها حبلُ اللَّهِ الذى أمَر به . ثم ذكَر نحوَه[(٤)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ .

٣٣/٤ / يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ : واذكُروا ما أنعَم اللَّهُ به عليكم مِن الأُلْفةِ والاجتماعِ على الإسلامِ .

واختلَف أهلُ العربيةِ فى قولِه : ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّى البصرةِ فى ذلك : انقطَع الكلامُ عندَ قولِه : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . ثم فسَّر بقولِه : ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . وأخبَرَ بالذى كانوا فيه قبلَ التأليفِ ، كما تقولُ : أمسِكِ الحائطَ[(٥)] أن يَميلَ .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : قولُه : ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . تابعٌ قولَه : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . غيرُ مُنْقَطِعةٍ منها .

والصوابُ مِن القولِ فى ذلك عندى أن قولَه : ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . متصلٌ بقولِه : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ ﴾ . غيرُ منقطعٍ عنه .

وتأويلُ ذلك : واذكُروا أيها المؤمنون نعمةَ اللَّهِ عليكم التى أنعَم بها عليكم حينَ

---

(١) فى م : « الآملى » ، وفى س : « الايلى » . وينظر تهذيب الكمال ٣/ ٦٢.

(٢) فى م ، س : « قطنة » .

(٣) فى ص : « المرنى » ، وفى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « المرى » .

(٤) أخرجه الآجرى فى الشريعة (١٧) من طريق مجالد به ، وأخرجه الحاكم ٤/٥٥٥ من طريق أبى حصين عن عامر .

(٥) بعدها فى ت ١ : « قبل » .

كنتُم أعداءً ، أى بشركِكم[(١)] ، يَقْتُلُ بعضُكم بعضًا عصبيةً ، فى غيرِ طاعةِ اللَّهِ ولا طاعةِ رسولِه ، فألَّف اللَّهُ بالإسلام بينَ قلوبِكم ، فجعَل بعضَكم لبعضٍ إخوانًا - بعدَ أن[(٢)] كنتم أعداءً - تَتَواصلون بأُلْفَةِ الإسلامِ ، واجتماعِ كلمتِكم عليه .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : حدَّثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ : كنتم تَذابَحون فيها ، يَأْكُلُ شديدُكم ضعيفَكم ، حتى جاء اللَّهُ بالإسلامِ ، فآخَى به بينَكم وألَّف به بينَكم ، أما واللَّهِ الذى لا إلهَ إلا هو ، إنَّ الأُلْفَةَ لرحمةٌ ، وإنَّ الفُرْقةَ لعذابٌ[(٣)] .

حدَّثنى المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ فى قولِه : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ : يَقْتُلُ بعضُكم بعضًا ، ويَأْكُلُ شديدُكم ضعيفَكم ، حتى جاء اللَّهُ بالإسلامِ ، فألَّف به بينَكم ، وجمَع جمعَكم عليه ، وجعَلكم عليه إخوانًا[(٤)] .

فالنعمةُ التى أنعَم اللَّهُ على الأنصارِ ، التى أمَرهم تعالى ذكرُه فى هذه الآيةِ أن يَذْكُروها ، هى أُلْفةُ الإسلامِ ، واجتماعُ كلمتِهم عليها ، والعداوةُ التى كانت بينَهم ، التى قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ . فإنها عداوةُ الحروبِ التى كانت بينَ الحيين مِن الأوسِ والخزرجِ فى الجاهليةِ قبلَ الإسلامِ ، يَزْعُمُ العلماءُ بأيامِ العربِ أنها تطاوَلت بينَهم عشرين ومائةَ سنةٍ .

---

(١) فى ص : « شرككم » .

(٢) فى م : « إذ » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦١/٢ إلى ابن المنذر وفيه زيادة مرسلة إلى النبى ﷺ .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٥/٣ (٣٩٢٥) من طريق ابن أبى جعفر به مختصرًا .

كما حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : قال ابنُ إسحاقَ : كانت الحربُ بينَ الأوسِ والخزرجِ عشرين ومائةَ سنةٍ ، حتى قام الإسلامُ وهم على ذلك ، فكانت حربُهم بينَهم وهم أخوان لأبٍ وأمٍّ ، فلم يُسمَعْ بقومٍ كان بينَهم مِن العداوةِ والحربِ ما كان بينَهم ، ثم إن اللَّهَ عزَّ وجلَّ أطفأَ ذلك بالإسلامِ ، وألَّف بينَهم برسولِه محمدٍ ﷺ[1] .

فذكَّرهم جلَّ ثناؤه إذ وعظَهم ، عظيمَ ما كانوا فيه فى جاهليتِهم مِن البلاءِ والشقاءِ ، بمعاداةِ بعضِهم بعضًا ، وقتلِ بعضِهم بعضًا ، وخوفِ بعضِهم [١/٤٣٩ظ] مِن بعضٍ ، وما صاروا / إليه بالإسلامِ ، واتباعِ الرسولِ ﷺ والإيمانِ به ، وبما جاء به مِن الائتلافِ والاجتماعِ ، وأمْنِ بعضِهم مِن بعضٍ ، ومصيرِ بعضِهم لبعضٍ إخوانًا . ٣٤/٤

وكان سببَ ذلك ما حدَّثنا به ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، قال : ثنى ابنُ إسحاقَ ، قال : ثنا عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ المدنىُّ[2] ، عن أشياخٍ مِن قومِه ، قالوا : قدِم سُويدُ بنُ صامتٍ ، أخو بنى عمرِو بنِ عوفٍ ، مكةَ حاجًّا أو معتمِرًا . قال : وكان سويدٌ إنما يُسَمِّيه قومُه فيهم الكاملَ ؛ لجَلَدِه وشِعْرِه ونسبِه وشرفِه . قال : فتَصدَّى له رسولُ اللَّهِ ﷺ حينَ سمِع به ، فدعاه إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ وإلى الإسلامِ ، قال : فقال له سُويدٌ : فلعلَّ الذى معك مثلُ الذى معى . قال : فقال له رسولُ اللَّهِ ﷺ : « وما الذى معك ؟ » قال : مَجَلَّةُ لُقْمانَ - يعنى حكمةَ لقمانَ - فقال له رسولُ اللَّه ﷺ : « اعْرِضْها علىَّ » . فعرَضها عليه ، فقال : « إن هذا لكلامٌ[3] حسَنٌ ، معى أفضلُ مِن

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦١/٢ إلى المصنف مختصرًا .

(٢) فى ص ،ت ١، ت ٣، س : « الكفرى » ، وفى ت ٢: « الكفوى » .

(٣) فى م : « الكلام » .

هذا ، قرآنٌ أنزَله اللَّهُ عليَّ ، هدًى ونورٌ » . قال : فتلا عليه رسولُ اللَّهِ ﷺ القرآنَ ، ودعاه إلى الإسلامِ ، فلم يَبْعُدْ[1] منه ، وقال : إن هذا القولَ حسنٌ ، ثم انصرَف عنه ، وقدِم المدينةَ ، فلم يَلْبَثْ أن قَتَلَتْه الخزرجُ ، فإن كان قومُه لَيَقُولُون : قد قتِل وهو مسلمٌ . وكان قتلُه قبلَ يومِ بُعاثٍ[2] .

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى الحُصَينُ[3] بنُ عبدِ الرحمنِ بنِ عمرِو بنِ سعدِ بنِ مُعاذٍ ، أحدُ بنى عبدِ الأشهلِ ، أن محمودَ بنَ لَبِيدٍ[4] ، أحدَ بنى عبدِ الأشهلِ ، قال : لما قدِم أبو الحَيْسَرِ[5] أنسُ بنُ رافعٍ مكةَ ، ومعه فتيةٌ مِن بنى عبدِ الأشهلِ ، فيهم[6] إياسُ بنُ معاذٍ ، يلتمِسون الحِلْفَ مِن قريشٍ على قومِ مِن الخزرجِ ، سمِع بهم رسولُ اللَّهِ ﷺ فأتاهم ، فجلَس إليهم ، فقال : « هل لكم إلى خيرٍ مما جِئْتُم له ؟ » قالوا : وما ذاكَ ؟ قال : « أنا رسولُ اللَّهِ ، بعَثنى إلى العبادِ ، أدْعُوهم إلى اللَّهِ ، أن يَعْبُدُوا[7] اللَّهَ ولا يُشْرِكُوا[8] به شيئًا ، وأنْزَل علىَّ الكتابَ » . ثم ذكَر لهم الإسلامَ ، وتلا عليهم القرآنَ ، فقال إياسُ بنُ معاذٍ ، وكان غلامًا حدثًا : أىْ قومُ ، هذا واللَّهِ خيرٌ مما جِئْتُم له . قال : فأخَذ[9] أبو الحيسرِ[10]

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « يبعده » ، وفى س : « يتعده » .

(٢) سيرة ابن هشام ٢/٤٢٥ - ٤٢٧ ، وأخرجه المصنف فى تاريخه ٢/ ٣٥١ ، ٣٥٢ .

(٣) فى م ، ت ١ ، س : « الحسين » . وينظر تهذيب الكمال ٦/ ٥١٧ .

(٤) فى م : « أسد » .

(٥) فى ص ، م ، ت ١ : « أبو الجيش » ، وفى ت ٢ ، ت ٣: « الحسين » ، والمثبت من تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام .

(٦) فى س : « منهم » .

(٧) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يعبدون » .

(٨) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يشركون » .

(٩) فى تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام : « فيأخذ » .

(١٠) فى ص ، م ، س : « الجيش » ، وفى ت ١: « الحسن » ، وفى ت ٢ ، ت ٣: « الحسين » .

أنسُ بنُ رافعٍ حَفْنةً مِن البطحاءِ فضرَب بها وجهَ إياسِ بنِ معاذٍ ، وقال : دَعْنا منك ، فلَعَمْرى لقد جِئْنا لغيرِ هذا ، قال : فصمَت إياسُ بنُ مُعاذٍ ، وقام رسولُ اللَّهِ ﷺ عنهم ، وانصرَفوا إلى المدينةِ ، وكانت وقعةُ بُعاثٍ بينَ الأوسِ والخزرجِ . قال : ثم لم يَلْبَثْ إياسُ بنُ معاذٍ أن هلَك . قالَ : فلمَّا أراد اللَّهُ إظهارَ دينِه ، وإعزازَ نبيِّه ﷺ ، وإنجازَ موعدِه له ، خرَج رسولُ اللَّهِ ﷺ فى[1] الموسمِ الذى لقِى فيه النفرَ مِن الأنصارِ ، فعرَض[2] نفسَه على قبائلِ العربِ ، كما كان يَصْنَعُ فى كلِّ موسمٍ ، فبينا هو عندَ العقبةِ ، إذ لقِى رهطًا مِن الخزرجِ أراد اللَّهُ لهم[3] خيرًا ، قال ابنُ حميدٍ : قال سلمةُ : قال محمدُ بنُ إسحاقَ : فحدَّثنى عاصمُ بنُ عمرَ بنِ قتادةَ ، عن أشياخٍ مِن قومِه ، قالوا : لما لقِيَهم رسولُ اللَّهِ ﷺ قال لهم : « مَن أنتم ؟ » قالوا : نفرٌ مِن الخزرجِ . قال : « أمِنْ مَوالى يَهُودَ ؟ » قالوا : نعم . قال : « أفلا تجلِسون حتى أُكلِّمَكم ؟ » قالوا : بلى . قال : فجلَسوا معه ، فدعاهم إلى اللَّهِ ، وعرَض عليهم الإسلامَ ، وتلا عليهم القرآنَ . قال : وكان مما صنَع اللَّهُ لهم به فى الإسلامِ ، أن يَهُودَ كانوا / معهم ببلادِهم ، وكانوا أهلَ كتابٍ وعلمٍ ، وكانوا أهلَ شركٍ أصحابَ أوثانٍ ، وكانوا قد عزُّوهم[4] ببلادِهم ، فكانوا إذا كان بينَهم شىءٌ قالوا لهم : إن نبيًّا الآنَ مبعوثٌ قد أظلَّ زمانُه ، نَتَّبِعُه ونَقْتُلُكم معه قتلَ عادٍ وإرَمَ ، فلما كلَّم رسولُ اللَّهِ ﷺ أولئك النفرَ ، ودعاهم إلى اللَّهِ عزَّ وجلَّ ، قال بعضُهم لبعضٍ : يا قومُ ،

٣٥/٤

---

(١) سقط من النسخ ، والمثبت من تاريخ المصنف وسيرة ابن هشام .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « يعرض » . وهو صحيح أيضا ، والمثبت موافق لما فى مصدرى التخريج .

(٣) فى تاريخ المصنف ، وسيرة ابن هشام : « بهم » .

(٤) فى م ، وسيرة ابن هشام : « غزوهم » . وعزُّوهم : غلبوهم . اللسان (ع ز ز) .

تعلمون[١] واللَّهِ إنه للنبيُّ الذى توعَّدُكم به يهودُ ، فلا[٢] يَسْبِقُنَّكم إليه . فأجابوه فيما[٣] دعاهم إليه بأن صدَّقوه ، وقبِلوا منه ما عرَض عليهم مِن الإسلامِ ، وقالوا له : إنا قد ترَكنا قومَنا ولا قومَ بينَهم مِن العداوةِ والشرِّ ما بينَهم ، وعسى [٤]اللَّهُ أن يَجْمَعَهم[٤] بك ، وسنَقْدَمُ[٥] عليهم فنَدْعُوهم[٦] إلى أمرِك ، ونعرِضُ[٧] عليهم[٨] الذى أجَبْناك إليه[٩] مِن هذا الدينِ ، فإن يَجْمَعْهم اللَّهُ عليه فلا رجلَ أعزُّ منك . ثم انصرَفوا عن رسولِ اللَّهِ ﷺ راجعِين إلى بلادِهم ، قد آمَنوا وصدَّقوا ، وهم فيما ذكِر لى ستةُ نفرٍ . قال : فلما قدِموا المدينةَ على قومِهم ، ذكَروا لهم رسولَ اللَّهِ ﷺ ، ودعَوهم إلى الإسلامِ حتى فشا فيهم ، فلم يَبْقَ دارٌ من دورِ الأنصارِ إلا وفيها ذِكرٌ من رسولِ اللَّهِ ﷺ ، حتى إذا كان العامُ المقبلُ ، وافى[١٠] الموسمَ مِن الأنصارِ اثنا عشَرَ رجلًا ، فلقُوه بالعقبةِ ، وهى العقبةُ الأولى ، فبايَعوا رسولَ اللَّهِ ﷺ على بيعةِ النساءِ ، وذلك قبلَ أن يُفْتَرَضَ عليهم الحربُ[١١] .

---

(١) فى م ، وسيرة ابن هشام : « تعلموا » ، وفى تاريخ المصنف : « تعلمن » .

(٢) فى النسخ : « ولا » . والمثبت من تاريخ المصنف وسيرة ابن هشام .

(٣) فى س : « إلى ما » .

(٤ - ٤) فى م : « أن يجمعهم الله » .

(٥) فى ص ، ت ١ : « ستقدم » .

(٦) فى ت ١ : « فتدعوهم » .

(٧) فى ص ، ت ١ ، وسيرة ابن هشام : « تعرض » .

(٨) بعده فى ت ٢ : « الإسلام » .

(٩) فى س : « عليه » .

(١٠) فى ص ، ت ١ : « واتى » .

(١١) سيرة ابن هشام ١/٤٢٧- ٤٣١، وأخرجه المصنف فى تاريخه ٢/٣٥٢ - ٣٥٥ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبرَنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرَنا مَعْمَرٌ ، عن أيوبَ ، عن عكرمةَ ، أنه لقِى النبىَّ ﷺ ستةُ نفرٍ مِن الأنصارِ ، فآمَنوا به وصدَّقوه ، [١/٤٤٠و] فأراد أن يَذْهَبَ معهم ، فقالوا : يا رسولَ اللَّهِ ، إن بينَ قومِنا حربًا ، وإنا نَخافُ إن جئتَ على حالِك هذه ألَّا يتهيأَ الذى تُريدُ . فواعَدوه[١] العامَ المقبلَ ، وقالوا : يا رسولَ اللَّهِ نَذْهبُ ، فلعل[٢] اللَّهَ أن يُصْلِحَ تلك الحربَ . قال : فذهَبوا ففعَلوا ، فأصلَح اللَّهُ عزَّ وجلَّ تلك الحربَ ، وكانوا يُرَوْنَ أنها لا تَصْلُحُ ، وهو يومُ بُعاثٍ ، فلقُوه مِن العامِ المقبلِ سبعين رجلًا قد آمنوا ، فأخذ عليهم[٣] النقباءَ اثْنَىْ عشرَ رجلًا[٤] نقيبًا ، فذلك حينَ يقولُ : ﴿ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾[٥] .

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : أما ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً ﴾ : ففى حربِ سُمَيْرٍ[٦] ، ﴿ فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾ . بالإسلامِ[٧] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنا أبو سفيانَ ، عن معمرٍ ، عن أيوبَ ، عن عكرمةَ بنحوِه ، وزاد فيه : فلما كان مِن أمرِ عائشةَ ما كان ، فتثَاوَر[٨] الحيَّانِ ،

---

(١) فى م : « فوعدوه » .

(٢) فى س ، وتفسير عبد الرزاق : « لعل » .

(٣) فى تفسير عبد الرزاق ، والدر المنثور : « منهم » .

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٥) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٢٩ . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٦١ إلى ابن المنذر .

(٦) سقط من النسخ ، والمثبت مما سيأتى فى الصفحة التالية . وينظر ما تقدم فى ٢/ ٢٠٨ .

(٧) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٢٥ (٣٩٢٧) من طريق أحمد بن المفضل به مقتصرًا على آخره .

(٨) تثاورا : تواثبا . ينظر التاج (ث و ر) .

فقال بعضُهم لبعضٍ : موعدُكم الحَرَّةُ . فخرَجوا إليها ، فنزَلت هذه الآيةُ : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ الآية . فأتاهم رسولُ اللَّهِ ﷺ ، فلم يَزَلْ يَتْلُوها عليهم حتى اعتَنَق بعضُهم بعضًا ، وحتى إن لهم لخَنِينًا[١] ، يعنى البكاءَ[٢] .

وشُمَيرٌ الذى زعَم السدىُّ أن قولَه : ﴿ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً ﴾ . عنى به حربَه ، هو شُمَيرُ بنُ زيدِ[٣] بنِ مالكٍ ، أحدُ بنى عمرِو بنِ عوفٍ ، الذى ذكَره مالكُ بنُ العجلانِ فى قولِه[٤] :

٣٦/٤ / إنَّ سُمَيرًا أرَى عَشيرتَهُ قد حدِبوا[٥] دونَه وقد أَنِفوا[٦]
إنْ يَكُنِ الظنُّ صادِقى ببنى النـ ـجّارِ لم يَطْعَموا الذى عُلِفوا[٧]

وقد ذكَر علماءُ الأنصارِ أن مبدأَ العداوةِ التى هيَّجت[٨] الحروبَ التى كانت بينَ قبيلتَيها الأوسِ والخزرجِ وأولَها ، كان بسببِ قتلِ[٩] مولًى لمالكِ بنِ العجلانِ الخزرجىِّ ، يقالُ له : الحُرُّ[١٠] بنُ سُميرٍ . مِن مُزَيْنَةَ ، وكان حليفًا لمالكِ بنِ

(١) فى م ، ت ١، ت ٢، ت ٣: « لحنينا » ، وفى س : « لنحيبا » .
(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٦١ إلى المصنف .
(٣) ذكره أبو الفرج فى الأغانى ٣/ ٤٠: « يزيد » ، وكذا ذكر أخاه درهم بن يزيد ، وفى نسخ منه فى اسم أخيه « زيد » .
(٤) جمهرة أشعار العرب ٢/ ٦٣٧، والأغانى ٣/ ٢٠، والخزانة ٤/ ٢٧٩.
(٥) حدب : تعطَّف وحنا . ينظر التاج (ح د ب) .
(٦) فى م : « أبقوا » .
(٧) فى ص ، م ، ت ٢، ت ٣، س : « علقوا » . وقال أبو الفرج فى الأغانى : يقال : عُلِفوا الضيم : إذا أقروا به . أى : ظنى أنهم لا يقبلون الضيم .
(٨) فى ص ، ت ١، س : « هاجت » .
(٩) فى ص ، ت ١: « قتلة » ، وفى س : « قبيلة » .
(١٠) كذا فى النسخ ، وفى خزانة الأدب : « بجير » ، وفى شرح ديوان حسان ص ٨١ نقلا عن ابن الكلبى وغيره : « أبجر » .

العجلانِ ، ثم اتصلت تلك العداوةُ بينَهم ، إلى أن أطفأَها اللَّهُ بنبيِّه محمدٍ ﷺ .
فذلك معنى قولِ السدىِّ : حربُ سُميرٍ[1] .

وأما قولُه : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ . فإنه يعنى : فأصبَحتم بتأليفِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ بينَكم بالإسلامِ وكلمةِ الحقِّ ، والتعاونِ على نصرةِ أهلِ الإيمانِ ، والتآزرِ على مَن خالَفكم مِن أهلِ الكفرِ ، إخوانًا متصادِقين ، لا ضغائنَ بينَكم ولا تحاسدَ .

كما حدَّثنى بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا ﴾ : ذُكِر[2] لنا أن رجلًا قال لابنِ مسعودٍ : كيف أصبَحتم ؟ قال : أصبَحنا بنعمةِ اللَّهِ إخوانًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ .

يعنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ : وكنتم يا معشرَ المؤمنين مِن الأوسِ والخزرجِ ، على حرفِ حفرةٍ مِن النارِ . وإنما ذلك مَثَلٌ لكفرِهم الذى كانوا عليه قبلَ أن يَهْدِيَهم اللَّهُ للإسلامِ ، يقولُ تعالى ذكرُه : وكنتم على طرْفِ جهنمَ بكفرِكم الذى كنتم عليه قبلَ أن يُنْعِمَ اللَّهُ عليكم بالإسلامِ ، فتصيروا بائتلافِكم عليه إخوانًا ، ليس بينَكم وبينَ الوُقوعِ فيها إلا أن تموتوا على ذلك مِن كفرِكم ، فتكونوا مِن الخالدين فيها ، فأنقَذكم اللَّهُ منها بالإيمانِ الذى هداكم له .

وشفا الحفرةِ طرْفُها وحرفُها ، مثلُ شفا الرَّكِيَّةِ والبئرِ ، ومنه قولُ الراجزِ :

نحن حفرْنا للحجيجِ سَجْلَهْ
نابتةٌ فوقَ شفاها بَقْلَهْ[3]

(١) فى م : « ابن سمير » .
(٢) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ : « وذكر » .
(٣) لم نجد هذا الرجز ، وأقرب ما ورد إليه ما ذكره أبو عبيد البكرى فى معجم ما استعجم ٣/ ٧٢٤ . تعريف =

يعنى : فوقَ حرفِها . يقالُ : هذا شفَا هذه الرَّكِيَّةِ ، مَقْصورٌ ، وهما شفَواها .

٣٧/٤ / وقال : ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ . يعنى[1] : فأنقَذكم مِن الحفرةِ . فردَّ الخبرَ إلى الحفرةِ ، وقد ابتدَأ الخبرَ عن الشَّفَا ؛ لأن الشَّفا مِن الحفرةِ ، فجاز ذلك ، إذ كان الخبرُ عن الشفا على السبيلِ التى ذكَرَها فى هذه الآيةِ خبرًا عن الحفرةِ ، كما قال جريرُ بنُ عطيةَ[2] :

رَأَتْ مرَّ السنينَ أخَذْنَ منى كما أخَذ السّرارُ[3] مِن الهلالِ

فذكر « مرَّ السنين » ، ثم رجَع إلى الخبرِ عن السنينَ ، وكما قال العجاجُ[4] :

طُولُ اللَّيالى أسْرَعَتْ فى نَقْضِى

طَوَيْنَ طُولى وطَوين عرضى

وقد بيَّنتُ العلةَ التى مِن أجلِها قيل ذلك كذلك فيما مضَى قبلُ[5] .

وبنحوِ الذى قلْنا فى ذلك مِن التأويلِ قال أهلُ التأويلِ .

= سجلة فقال : بئر احتفرها قصى بمكة ، وقال :

أنا قصى وحفرت سَجْلَة

تُرْوِى الحجيجَ زُغْلَةً فزُغْلَة

وقيل : بل حفرها هاشم ، ووهبها أسد بن هاشم لعدى بن نوفل ، وفى ذلك تقول خالدة بنت هاشم :

نحن وهبنا لعدى سَجْلَة

تُروِى الحجيجَ زُغْلَةً فزُغْلَة

(١) بعده فى ص : « فأنقذكم منها » .

(٢) شرح ديوان جرير ص ٥٤٦. وتفسير الآية ٣٣ من سورة الرعد .

(٣) السرار بكسر السين وفتحها : آخر ليلة من الشهر ، يستسر الهلال بنور الشمس . وينظر التاج (س ر ر) والمراد فى البيت نقصان القمر حتى يبلغ أن يكون هلالا .

(٤) وكذا نسبه إليه سيبويه فى الكتاب ١/ ٥٣، ونسبه أبو حاتم فى المعمرين ص ١٠٨، وأبو الفرج فى الأغانى ٢٨/٢١ إلى الأغلب العجلى ، وفى روايته اختلاف ، وينظر الخزانة ٤/٢٢٤ - ٢٢٦.

(٥) ينظر ما تقدم فى ٤/٢٤٧، ٢٤٨ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ : كان هذا الحيُّ مِن العربِ أذلَّ الناسِ ذلًّا ، وأشقاه عيشًا ، وأبينَه ضلالةً ، وأعْراهُ جلودًا ، وأجوعَه بطونًا ، مَكْعُومين[1] على رأسِ حجرٍ بينَ الأسدَين فارسَ والرومِ ، لا واللَّهِ ، ما فى بلادِهم يومَئذٍ مِن شىءٍ يُحْسَدُون عليه ، مَن عاش منهم عاش شقِيًّا ، ومن مات رُدِّى فى النارِ ، يُؤْكَلون ولا يَأْكُلون ، واللَّهِ ما نَعْلَمُ قبِيلًا يومَئذٍ مِن حاضرِ الأرضِ كانوا فيها أصغَرَ حظًّا وأدقَّ فيها شأنًا منهم ، حتى جاء اللَّهُ عزَّ وجلَّ بالإسلامِ ، فورَّثكم [١/٤٤٠ظ] به الكتابَ ، وأحلَّ لكم به دارَ الجهادِ ، ووضَع لكم به مِن الرزقِ ، وجعَلكم به ملوكًا على رقابِ الناسِ ، وبالإسلامِ أعطى اللَّهُ ما رأيتم ، فاشْكُروا نعمَه[2] ، فإن ربَّكم مُنْعِمٌ يُحِبُّ الشاكرين ، وإن أهلَ الشكرِ فى مزيدِ اللَّهِ ، فتعالى ربُّنا وتبارَك[3] .

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بنِ أنسٍ قولَه : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ . يقولُ : كنتم على الكفرِ باللَّهِ ، ﴿ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ : من ذلك وهداكم إلى الإسلامِ .

/حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدىِّ : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ : بمحمدٍ ﷺ . يقولُ : ٣٨/٤

---

(١) فى م : « معكومين » ، وكعم البعير : شدَّ فاه فى هياجه لئلا يعض أو يأكل ، وكعمه الخوف : أمسك فاه . اللسان (ك ع م) .

(٢) فى س : « نعمة اللَّه » .

(٣) ذكره ابن كثير فى تفسيره ٥٨١/٣ عن قتادة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ١٧٧/٣ إلى المصنف وابن المنذر وأبى الشيخ .

كنتم على طرْفِ النارِ ، من مات منكم أُوبِق[(١)] فى النارِ ، فبعَث اللَّهُ محمدًا ﷺ فاستَنقَذكم به مِن تلك الحفرةِ[(٢)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا حسنُ بنُ حيٍّ[(٣)] : ﴿ وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ﴾ . قال : عصبيةٌ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .

يَعْنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ كَذَٰلِكَ ﴾ : كما بيَّن لكم ربُّكم فى هذه الآياتِ أيُّها المؤمنون مِن الأوسِ والخزرجِ ، مِن غِلِّ[(٤)] اليهودِ الذى يُضْمِرونه لكم ، وغشِّهم لكم ، وأمرِه[(٥)] إياكم بما أمَركم به فيها ، ونهيِه لكم عما نهاكم عنه ، والحالِ التى كنتم عليها فى جاهليتِكم والتى صِرْتم إليها فى إسلامِكم ، مُعَرِّفَكم[(٦)] فى كلِّ ذلك مواقعَ نعمِه قِبَلكم وصنائعَه لدَيكم - فكذلك يبينُ[(٧)] سائرَ حُجَجِه لكم فى تنزيلِه ، وعلى لسانِ رسولِه ﷺ ، ﴿ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ يَعْنى : لتَهْتَدُوا إلى سبيلِ الرشادِ وتَسْلُكوها فلا تَضِلُّوا عنها .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلَّ ثناؤه : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ ﴾ أيها المؤمنون ﴿ أُمَّةٌ ﴾ . يقولُ :

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وبقى » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٢٦ (٣٩٣٠ ، ٣٩٣١) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٣) فى م : « يحيى » . وينظر تهذيب الكمال ٦/ ١٧٧ .

(٤) فى م : « علماء » .

(٥) فى ص ، ت ١ ، س : « أمرهم » .

(٦) فى م : « يعرفكم » .

(٧) بعده فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « لكم » .

جماعةٌ ﴿ يَدْعُونَ ﴾ الناسَ ﴿ إِلَى ٱلْخَيْرِ ﴾ يَعْنى : إلى الإسلامِ وشرائِعِه التى شرَعها اللَّهُ لعبادِه ، ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ يقولُ : يأمُرون الناسَ باتباعِ محمدٍ [١]رسولِ اللَّهِ[١] ﷺ ، ودينِه الذى جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ يَعْنى : ويَنْهون عن الكفرِ باللَّهِ ، والتكذيبِ بمحمدٍ ﷺ ، وبما جاء به مِن عندِ اللَّهِ ، بجهادِهم بالأيدى والجوارحِ حتى يَنْقادوا لكم بالطاعةِ .

وقولُه : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ . يعنى : المُنجِحون عندَ اللَّهِ ، الباقون فى جِنانِه[٢] ونعيمِه .

وقد دلَّلنا[٣] على معنى الإفلاحِ فى غيرِ هذا الموضعِ بما أغْنى عن إعادتِه هٰلهنا[٤] .

حدَّثنا أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نعيمٍ ، قال : ثنا عيسى بنُ عمرَ القارئُ ، عن أبى عونٍ الثقفىِّ ، أنه سمِع صُبَيْحًا ، قال : سمِعتُ عثمانَ يَقْرأُ : (ولْتكُنْ منكم أُمَّةٌ يدعون إلى الخيرِ ويأمرون بالمعروفِ وينهَون عن المنكرِ ويَسْتَعينون اللَّهَ على ما أصابهم)[٥] .

حدَّثنى أحمدُ بنُ حازمٍ ، قال : ثنا أبو نعيمٍ ، قال : ثنا ابنُ عيينةَ ، عن عمرِو بنِ دينارٍ ، قال : سمِعتُ ابنَ الزبيرِ يَقْرأُ[٦] . فذكَر مثلَ قراءةِ عثمانَ التى ذكَرناها قبلُ

(١ - ١) سقط من : م ، س ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٢) فى م : « جناته » .

(٣) بعده فى م : « فيما مضى » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ١/٢٥٦ - ٢٥٨ .

(٥) أخرجه ابن أبى داود فى المصاحف ص ٣٩ من طريق عيسى بن عمر ، به . وذكره ابن أبى حاتم فى الجرح والتعديل ٤/٤٤٩ فى ترجمة صبيح ، وفيه : يهدون . بدلا من : يدعون . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦٢ إلى عبد بن حميد وابن الأنبارى ، وهذه القراءة شاذة لم يقرأ بها أحد من القراء العشرة ، وهى مخالفة لرسم المصحف .

(٦) فى ت ١: « يقول » .

سواءٌ[١] .

حدَّثنا يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : أخبَرَنا يزيدُ ، قال : أخبرنا جويبرٌ ، عن الضحاكِ : ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ . قال : هم خاصَّةُ أصحابِ [٢]رسولِ اللَّهِ[٢] ، وهم خاصَّةُ الرواةِ[٣] .

٣٩/٤ /**القولُ فى تأويلِ قولِه** : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ .

يَعْنى بذلك عزَّ وجلَّ : ولا تكونوا يا معشرَ الذين آمَنوا ﴿ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ ﴾ مِن أهلِ الكتابِ ، ﴿ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ فى دينِ اللَّهِ وأمرِه ونهيِه ، ﴿ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ مِن حُجَجِ اللَّهِ ، فيما اختلَفوا فيه وعلِموا الحقَّ فيه فتعمَّدُوا خلافَه ، وخالَفوا أمرَ اللَّهِ ونقَضُوا عهدَه وميثاقَه جراءةً على اللَّهِ ، ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ ﴾ يَعْنى : ولهؤلاءِ الذين تفرَّقوا واختلَفوا مِن أهلِ الكتابِ مِن بعدِ ما جاءهم ﴿ عَذَابٌ ﴾[٤] عندَ اللَّهِ ﴿ عَظِيمٌ ﴾ .

يقولُ جلَّ ثناؤه : فلا تَتَفرَّقوا[٥] يا معشرَ المؤمنين فى دينِكم تَفرُّقَ هؤلاءِ فى دينِهم ، ولا تَفْعَلوا فعلَهم ، وتَسْتَنُّوا فى دينِكم بسنتِهم ، فيكونَ لكم مِن عذابِ اللَّهِ العظيمِ مثلُ الذى لهم .

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥٢١ - تفسير) ، وابن أبى داود فى المصاحف ص ٨٢، ٨٣ من طريق ابن عيينة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٦١، ٦٢ إلى عبد بن حميد وابن الأنبارى .

(٢ - ٢) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣: «الرسول» .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٢/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٤) بعده فى م ، س : «من» .

(٥) فى م : «تفرقوا» .

كما حدَّثني المثنَّى ، قال : ثنا إسحاقُ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ في قولِه : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾ . قال : هم أهلُ الكتابِ ، نهَى اللَّهُ أهلَ الإسلامِ أن يَتَفرَّقوا ويَخْتَلِفوا كما تَفرَّق واختلَف أهلُ الكتابِ ، قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

حدَّثني المثنى ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثني معاويةُ بنُ صالحٍ ، عن عليِّ بنِ أبي طلحةَ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ ﴾ . ونحو هذا في القرآنِ : أمَر اللَّهُ جلَّ ثناؤه المؤمنين بالجماعةِ ، ونهاهم عن الاختلافِ والفُرْقةِ ، وأخبَرهم أنما هلَك مَن كان قبلَهم بالمراءِ والخُصوماتِ في [١/٤٤١و] دينِ اللَّهِ[2] .

حدَّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، عن عبادٍ ، عن الحسنِ في قولِه : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ . قال : هم اليهودُ والنصارى[3] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ .

يَعْني بذلك جلَّ ثناؤه : أولئك لهم عذابٌ عظيمٌ في يومِ تَبْيضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٢/٢ إلى المصنف .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٨/٣ (٣٩٤٥) من طريق عبد الله بن صالح به .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٢٨/٣ (٣٩٤٦) من طريق أبي بكر الحنفي به .

وأما قولُه : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ . فإن معناه : فأما الذين اسودَّت / وجوهُهم فيقالُ لهم : أكفَرْتُم بعدَ إيمانِكم فَذُوقُوا العذابَ بما كنتم تكفُرُون .

٤٠/٤

ولابدَّ لـ « أمّا » مِن جوابٍ بالفاءِ ، فلما أُسقِط الجوابُ سقَطت الفاءُ معه ، وإنما جاز تركُ ذكرِ « فيقالُ » ، لدلالةِ ما ذكِر مِن الكلامِ عليه .

وأما معنى قولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ . **فإنَّ أهلَ التأويلِ اختلَفوا في مَن عُنى به ؛ فقال بعضُهم** : عُنى به أهلُ قبلتِنا مِن المسلمين .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ الآية : لقد كفَر أقوامٌ بعدَ إيمانِهم كما تَسْمَعون ، ولقد ذُكِر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ كان يقولُ : « والذى نفسُ محمدٍ بيدِه ، لَيَرِدَنَّ عليَّ الحوضَ ممن صحِبنى أقوامٌ ، حتى إذا رُفِعوا إليَّ ورأيتُهم ، اخْتُلِجوا[1] دُونى ، فَلأَقُولَنَّ : ربِّ ، أصحابى ، أصحابى . فَلَيُقالَنَّ : إنك لا تَدْرِى ما أحدَثوا بعدَك » . وقولُه : ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ : هؤلاء أهلُ[2] طاعةِ اللَّهِ[2] والوفاءِ بعهدِ اللَّهِ ، قال اللَّهُ عزَّ وجلَّ : ﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[3] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ

---

(١) اختلجوا : اجتذبوا واقتطعوا . التاج (خ ل ج) .

(٢ - ٢) فى س : « الطاعة » .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٠/٣ (٣٩٦٠) من طريق يزيد به ، مقتصرًا على آخره . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٣/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد . دون المرفوع . والمرفوع أخرجه البخارى (٦٥٧٦) ، ومسلم (٢٢٩٧) من حديث ابن مسعود .

إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ : فهذا مَن كفَر مِن أهلِ القبلةِ حينَ اقتتَلوا[١] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن حمادِ بنِ سلمةَ والربيعِ بنِ صَبيحٍ ، عن أبى غالبٍ[٢] ، عن أبى أمامةَ : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ . قال : هم الخوارجُ[٣] .

وقال آخرون : عُنِى بذلك كلُّ مَن كفَر باللَّهِ بعدَ الإيمانِ الذى آمَن ، حينَ أخَذ اللَّهُ مِن صلبِ آدمَ ذريتَه ، وأشهدَهم على أنفسِهم[٤] بما بيَّن فى كتابِه[٥] .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى المثنى ، قال : ثنا علىُّ بن الهَيْثمِ ، قال : أخبَرنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، عن أبى العاليةِ ، عن أُبىِّ بنِ كعبٍ فى قولِه : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ . قال : صاروا يومَ القيامةِ فريقين ؛ فقال لمن اسودَّ وجهُه وعيَّرَهم : ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . قال : هو الإيمانُ الذى كان قبلَ الاختلافِ فى زمانِ آدمَ ، حينَ أخَذ منهم عهدَهم وميثاقَهم ، وأقرُّوا

---

(١) فى س : « اختلفوا » . والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٣٠ (٣٩٥٨) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٢) فى النسخ : « مجالد » . والمثبت من مصادر التخريج . وينظر تهذيب الكمال ٣٤/ ١٧٠.

(٣) أخرجه الطبرانى (٨٠٣٤، ٨٠٣٧) من طريق حماد والربيع به مرفوعا .

وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٢٩ (٣٩٥٥) من طريق أبى غالب به مرفوعًا أيضًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٦٣ إلى عبد بن حميد .

(٤) فى ص ، ت ٢، ت ٣، س : « نفسه » .

(٥) يشير المصنف إلى قوله جل وعز : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ﴾ . الآية ١٧٢ من سورة الأعراف .

كلُّهم بالعبوديةِ ، وفطَرهم على الإسلامِ ، فكانوا أمةً واحدةً مسلمين ، يقولُ : ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ . يقولُ : بعد ذلك الذى كان فى زمانِ آدمَ . وقال فى الآخرين : الذين استقاموا على إيمانِهم ذلك ، فأخلَصوا[1] له الدينَ والعملَ ، فبيَّض اللَّهُ وُجوهَهم ، وأدخلَهم فى رضوانِه وجنتِه[2] .

وقال آخرون : بل الذين عُنوا بقولِه : ﴿ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ . المنافقون .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفىُّ ، عن عبّادٍ ، عن الحسنِ : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ / وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ الآية . قال : هم المنافقون ، كانوا أعطَوا كلمةَ الإيمانِ بألسنتِهم وأنكَروها بقلوبِهم وأعمالِهم[3] . ٤١/٤

وأولى الأقوالِ التى ذكَرناها فى ذلك بالصوابِ القولُ الذى ذكَرناه عن أُبىِّ بنِ كعبٍ ، أنه عُنِى بذلك جميعُ الكفارِ ، وأن الإيمانَ الذى يُوَبَّخون على ارتدادِهم عنه هو الإيمانُ الذى أقرُّوا به يومَ قيل لهم : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ﴾ [الأعراف : ١٧٢] . وذلك أن اللَّهَ جلَّ ثناؤه جعَل جميعَ أهلِ الآخرةِ فريقين ؛ أحدُهما سودًا[4] وجوهُه ، والآخرُ بيضًا[5] وجوهُه ، فمعلومٌ إذ لم يكنْ هنالك إلا هذان الفريقان ، أن جميعَ الكفارِ داخلون فى فريقِ مَن سُوِّد وجهُه ، وأن جميعَ المؤمنين داخلون فى فريقِ مَن بُيِّض وجهُه ، فلا وجهَ إذنْ لقولِ قائلٍ : عُنِى بقولِه : ﴿ أَكَفَرْتُم

---

(١) فى ص ، ت ١ ، س : « وأخلصوا » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٠/٣ (٣٩٥٦، ٣٩٥٩) من طريق أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٢٩/٣ (٣٩٥٣) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٤) فى م : « سوداء » .

(٥) فى م : « بيضاء » .

﴿ بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ بعضُ الكفارِ دونَ بعضٍ . وقد عمَّ اللَّهُ جلَّ ثناؤه الخبرَ عنهم جميعِهم ، وإذا دخل جميعُهم فى ذلك ، ثم لم يكنْ لجميعِهم حالةٌ آمنوا فيها ثم ارْتَدُّوا كافرين بعدُ إلا حالةٌ واحدةٌ ، كان معلومًا أنها المرادُ بذلك .

فتأويلُ الآيةِ إذن : أولئك لهم عذابٌ عظيمٌ فى يومِ تَبْيَضُّ وجوهُ قومٍ[(١)] ، وتسودُّ وجوهُ آخرين ؛ فأما الذين اسودَّت وجوهُهم فيقالُ : أجحَدتم توحيدَ اللَّهِ وعهدَه وميثاقَه الذى واثَقْتُمُوه عليه ، بألَّا تشركوا به شيئًا ، وتُخْلِصوا له العبادةَ ﴿ بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾ . يَعْنى : بعدَ تصديقِكم به ، ﴿ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ . يقولُ : بما كنتم تَجْحَدون فى الدنيا ما كان اللَّهُ قد أخذَ ميثاقَكم بالإقرارِ به والتصديقِ .

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ ﴾ ممن ثبَت على [١/٤٤١ظ] عهدِ اللَّهِ وميثاقِه ، فلم يُبدِّلْ دينَه ، ولم يَنْقَلِبْ على عَقِبَيْه بعدَ الإقرارِ بالتوحيدِ ، والشهادةِ لربِّه بالأُلوهةِ ، وأنه لا إلهَ غيرُه ، ﴿ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾ . يَقُولُ : فهمْ فى رحمةِ اللَّهِ . يعنى : فى جنتِه ونعيمِها ، وما أعدَّ اللَّهُ لأهلِها فيها ، ﴿ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ . أى : باقون فيها أبدًا بغيرِ نهايةٍ ولا غايةٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ (١٠٨) ﴾ .

يَعْنى بقولِه[(٢)] جلَّ ثناؤه : ﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ : هذه آياتُ اللَّهِ .

وقد بيَّنَّا كيف وضَعت العربُ « تلك » و « ذلك » مكانَ « هذا » و « هذه » فى غيرِ هذا الموضعِ فيما مضَى قبلُ ، بما أغنى عن إعادتِه[(٣)] .

---

(١) سقط من : ص ، ت ١ ، س .

(٢) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بذلك » .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/٢٢٨ - ٢٣١ .

وقولُه : ﴿ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ . يعنى مواعظَ اللَّهِ وعِبرَه وحُجَجَه ، ﴿ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ ﴾ : نَقْرَؤُها عليك ونَقُصُّها ﴿ بِٱلۡحَقِّۗ ﴾ . يعنى بالصدقِ واليقينِ .

وإنما يَعْنى بقولِه : ﴿ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ : هذه الآياتُ التى ذكَر فيها أمورَ المؤمنين مِن أنصارِ رسولِ اللَّهِ ﷺ وأمورَ يهودِ بنى إسرائيلَ وأهلِ الكتابِ ، وما هو فاعلٌ بأهلِ الوفاءِ بعهدِه ، وبالمبدِّلين دينَه ، والناقضين عهدَه بعدَ الإقرارِ به . ثم أخبَر عزَّ وجلَّ نبيَّه محمدًا ﷺ أنه يَتْلو ذلك عليه بالحقِّ ، وأعلَمه أن مَن عاقَبَ[(١)] مِن خلقِه بما أخبَر أنه معاقبُه ؛ مِن تسويدِ وجهِه ، وتخليدِه فى أليمِ عذابِه ، وعظيمِ عقابِه ، ومَن جازاه منهم بما جازاه ؛ مِن تبييضِ وجهِه ، وتكريمِه ، وتشريفِ منزلتِه[(٢)] لديه ، بتَخليدِه فى دائمِ نعيمِه ، فبغيرِ ظلمٍ منه لفريقٍ منهم ، بل بحقٍّ[(٣)] استوجَبوه ، وأعمالٍ لهم سلَفت ، جازاهم / عليها ، فقال تعالى ذكرُه : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ . ٤٢/٤

يعنى بذلك : وليس اللَّهُ يا محمدُ بتسويدِ وجوهِ هؤلاءِ ، وإذاقتِهم العذابَ العظيمَ ، وتَبْييضِه[(٤)] وجوهَ هؤلاءِ ، وتنعيمِه إياهم فى جنَّتِه ، طالبًا وضعَ شىءٍ مما فعَل مِن ذلك فى[(٥)] غيرِ موضعِه الذى هو موضعُه . إعلامًا بذلك عبادَه أنه لن يَصْلُحَ فى حكمتِه بخلقِه غيرُ ما وعَد أهلَ طاعتِه والإيمانِ به ، وغيرُ ما أوعَد[(٦)] أهلَ معصيتِه والكفرِ به ، وإنذارًا منه هؤلاء ، وتبشيرًا منه هؤلاء .

---

(١) فى م : « عاقبه » .

(٢) فى ص ، ت ١ : « متوليه » .

(٣) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « لحق » .

(٤) فى م : « تبييض » .

(٥) زيادة من : م .

(٦) فى ص : « وعد » .

القولُ فى تأويلِ قولِه عزَّ وجلَّ : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .

يَعْنى بذلك جلَّ ثناؤه أنه يُعاقِبُ الذين كفَروا بعد إيمانِهم ، بما ذكَر أنه معاقبُهم به ، مِن العذابِ العظيمِ وتسويدِ الوجوهِ ، ويُثِيبُ[1] أهلَ الإيمانِ به الذين ثبتوا على التصديقِ والوفاءِ بعُهودِهم التى عاهَدوا عليها ، بما وصَف أنه مُثيبُهم به ، مِن الخلودِ فى جِنانِه[2] ، مِن غيرِ ظلمٍ منه لأحدِ الفريقَين فيما فعَل ؛ لأنه لا حاجةَ به إلى الظلمِ ، وذلك أن[3] الظالمَ إنما يَظْلِمُ غيرَه ليَزْدادَ إلى عزِّه[4] عزةً بظلمِه إياه ، وإلى سلطانِه سلطانًا ، أو[5] إلى مُلكِه مُلكًا ؛ [6]أو إلى نقصانٍ[6] فى بعضِ أسبابِه ، يُتَمِّمُ بها[7] ظلمَ غيرِه فيه ما كان ناقصًا مِن أسبابِه عن التمامِ ، فأما مَن كان له جميعُ ما بينَ أقطارِ المشارقِ والمغاربِ ، وما فى الدنيا والآخرةِ ، فلا معنى لظلمِه أحدًا ، فيَجُوزَ[8] أن يَظْلِمَ شيئًا ؛ لأنه ليس مِن أسبابِه شىءٌ ناقصٌ يَحْتاجُ إلى تمامٍ ، فيتمَّ ذلك بظلمِ غيرِه ، تعالى اللَّهُ عُلُوًّا كبيرًا . ولذلك قال جلَّ ثناؤه عَقِيبَ قولِه : ﴿ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ .

---

(١) فى ص : « يثبت » ، وفى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « تثبت » ، وفى س : « تثبيت » .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « جناته » .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤) فى م : « عزته » .

(٥) فى م : « و » .

(٦ - ٦) فى م : « لنقصان » .

(٧) فى م : « بما » .

(٨) فى س : « فلا يجوز » .

واختلَف أهلُ العربيةِ فى وجهِ تكريرِ اللَّهِ تعالى ذكرُه اسمَه مع قولِه : ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ . ظاهرًا ، وقد تقدَّم اسمُه ظاهرًا مع قولِه : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ ؛ فقال بعضُ أهلِ العربيةِ مِن أهلِ البصرةِ : ذلك نظيرُ قولِ العربِ : أمَّا زيدٌ فذهَب زيدٌ . وكما قال الشاعرُ[(١)] :

لا أرَى الموتَ يَسْبِقُ الموتَ شىءٌ نغَّصَ الموتُ ذا الغِنَى والفقيرا

فأظهَر فى موضعِ الإضمارِ .

وقال بعضُ نحويِّى الكوفةِ : ليس ذلك نظيرَ هذا البيتِ ؛ لأن موضعَ الموتِ الثانى فى البيتِ موضعُ كنايةٍ ؛ لأنه كلمةٌ واحدةٌ ، وليس ذلك كذلك فى الآيةِ ؛ لأن قولَه : ﴿ وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ ﴾ . خبرٌ ليس مِن قولِه : ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴾ فى شىءٍ ، وذلك أن كلَّ واحدةٍ[(٢)] مِن القصتين مفارقٌ معناها معنى الأخرى ، مكتفيةٌ كلُّ واحدةٍ منهما بنفسِها ، غيرُ محتاجةٍ إلى الأخرى ، كما[(٣)] قال الشاعرُ : لا أرى الموت . محتاجٌ إلى تمامِ الخبرِ عنه .

وهذا القولُ الثانى عندَنا أولى بالصوابِ ؛ لأن كتابَ اللَّهِ عزَّ وجلَّ لا تُوجَّهُ[(٤)] معانيه وما فيه مِن البيانِ إلى الشواذِّ مِن الكلامِ والمعانى ، وله فى الفصيحِ مِن المنطقِ والظاهرِ مِن المعانى المفهومِ وجهٌ صحيحٌ موجودٌ .

---

(١) البيت لعدى بن زيد ، كما فى أمالى ابن الشجرى ١/ ٢٤٣، والخزانة ١/ ٣٨١. ونسبه فى الكتاب ١/ ٦٢، واللسان (ن غ ص) إلى ابنه سوادة . وفى نسخة من الكتاب : سواد . والصحيح أنه لعدى بن زيد ، فهو فى ديوانه ص ٦٥، كما فى حاشية النكت للأعلم ١/ ١٩٨.

(٢) فى ص ، ت ١، س : « واحد » .

(٣) كذا فى النسخ ، ولعل الصواب : « وما » .

(٤) فى م ، ت ٢، ت ٣: « تؤخذ » ، وفى ت ١، س : « يوجد » ، وغير منقوطة فى ص . والمثبت ما يقتضيه السياق .

٤٣/٤ /وأما قولُه : ﴿ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾ . فإنه يَعْنى تعالى ذكرُه : إلى اللَّهِ مصيرُ أمرِ جميعِ خلقِه ؛ الصالحِ منهم والطالحِ ، والمحسنِ والمسيءِ ، فيُجازِى كلًّا على قدرِ استحقاقِهم منه الجزاءَ ، بغيرِ ظلمٍ منه أحدًا منهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه جلّ ثناؤه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ .

اختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ قولِه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : هم الذين هاجَروا مع رسولِ [١/٤٤٢و] اللَّهِ ﷺ مِن مكةَ إلى المدينةِ ، وخاصةً مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا عمرُو بنُ حمادٍ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن سِماكٍ ، عن سعيدِ بنِ جُبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال فى : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : هم الذين خرَجوا معه مِن مكةَ[(١)] .

حدَّثنا أبو كُريبٍ ، قال : ثنا ابنُ عليةَ[(٢)] ، عن قيسٍ ، عن سِماكٍ ، عن عكرمةَ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : هم الذين هاجَروا مِن مكةَ إلى المدينةِ .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ .

---

(١) أخرجه ابن أبى شيبة ١٥٥/١٢، وأحمد ٢٧٢/٤ (٢٤٦٣) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٧٢) ، والطبرانى (١٢٣٠٣) ، والحاكم ٢٩٤/٢ من طريق إسرائيل ، عن سماك به .

(٢) فى النسخ : « عطية » . وقد تقدم مرارًا .

قال عمرُ بنُ الخطابِ : لو شاء اللَّهُ لقال : أنتم . فكنا[١] كلُّنا ، ولكن قال[٢] : ﴿ كُنتُمْ ﴾ . فى خاصةٍ مِن أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ومَن صنَع مثلَ صنيعِهم[٣] ، كانوا خيرَ أمةٍ أُخْرِجت للناسِ ، يَأْمُرون بالمعروفِ ويَنْهون عن المنكرِ[٤] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال عكرمةُ : نزَلت فى ابنِ مسعودٍ وسالمٍ مولى أبى حذيفةَ وأُبىِّ بنِ كعبٍ ومعاذِ بنِ جبلٍ[٥] .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا مصعبُ بنُ المقدامِ ، عن إسرائيلَ ، عن السدىِّ ، عمن حدَّثه ، قال عمرُ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : تكونُ لأولِنا ولا تكونُ لآخرِنا[٦] .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا إسرائيلُ ، عن سِماكِ بنِ حربٍ ، عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : هم الذين هاجَروا مع النبىِّ ﷺ إلى المدينةِ[٧] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذكِر لنا أن عمرَ ابنَ الخطابِ قال فى حَجّةٍ حجَّها ورأى مِن الناسِ رِعةً سيئةً[٨] ، فقرَأ هذه : ﴿ كُنتُمْ

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وكنا » .

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « ما صنعتم » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٧٠) من طريق أحمد بن المفضل به .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٣/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٦٩) من طريق إسرائيل به .

(٧) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣٠، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٦٨) عن الحسن بن يحيى به .

(٨) الرعة هلهنا : الاحتشام والكف عن سوء الأدب ، أى : لم يحسنوا ذلك . النهاية ٥/ ١٧٥.

خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ الآية . ثم قال : يا أيها الناسُ ، مَن سرَّه أن يكونَ مِن تلكم[(١)] الأمةِ ، فليؤدِّ شرطَ اللَّهِ منها[(٢)] .

٤٤/٤ /حدَّثني يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبرَنا يزيدُ ، قال : أخبرَنا جويبرٌ ، عن الضحاكِ في قولِه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : هم[(٣)] أصحابُ رسولِ اللَّهِ ﷺ خاصةً . يعني : وكانوا هم الرواةَ الدعاةَ الذين أمَر اللَّهُ المسلمين بطاعتِهم[(٤)] .

وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خيرَ أمةٍ أُخْرِجت للناسِ ، إذا[(٥)] كنتم بهذه الشروطِ التي وصَفهم جلَّ ثناؤه بها . فكان تأويلُ ذلك عندَهم : كنتم خيرَ أمةٍ تَأْمُرون بالمعروفِ وتَنْهَون عن المنكرِ وتُؤْمِنون باللَّهِ ، أُخْرِجوا للناسِ في زمانِكم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ في قولِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : على هذا الشرطِ ؛ أن تَأْمُروا بالمعروفِ وتَنْهَوا عن المنكرِ وتُؤْمِنوا باللَّهِ . يقولُ : لمن أنتم بينَ ظَهرانَيه ، كقولِه : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾[(٦)] [الدخان : ٣٢] .

---

(١) في م : « تلك » ، وفي س : « هذه » .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٣/٢ إلى المصنف .

(٣) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٤) تقدم في ص ٦٦٢ .

(٥) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « إذ » .

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، عن مجاهدٍ قولَه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : يقولُ : كنتم خيرَ الناسِ للناسِ ، على هذا الشرطِ ؛ أن تأمُروا بالمعروفِ وتَنْهَوا عن المنكرِ وتُؤْمِنوا باللَّهِ . يقولُ : لمن بينَ ظَهْرَيه ، كقولِه : ﴿ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الدخان : ٣٢] .

حدَّثنا ابنُ وكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن ميسرةَ ، عن أبى حازمٍ ، عن أبى هريرةَ : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : كنتم خيرَ الناسِ للناسِ ، تَجيئون بهم فى السلاسلِ تُدْخِلُونهم[(١)] فى الإسلامِ[(٢)] .

حدَّثنا عُبيدُ بنُ أسباطَ ، قال : ثنا أبى ، عن فُضيلِ بنِ مرزوقٍ ، عن عطيةَ فى قولِه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : خيرُ الناسِ للناسِ[(٣)] .

وقال آخرون : إنما قيل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ ؛ لأنهم أكثرُ الأممِ استجابةً للإسلامِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حُدِّثت عن عمَّارِ بنِ الحسنِ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ . قال : لم تكنْ أمةٌ أكثرَ استجابةً فى الإسلامِ مِن هذه الأمةِ ، فمِن ثَمَّ

---

(١) فى ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « فتدخلوا بهم » ، وفى صحيح البخارى : « حتى يدخلوا » .

(٢) أخرجه البخارى (٤٥٥٧) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٧١) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٢/٣ (٣٩٧١) ، والحاكم ٨٤/٤ من طريق سفيان به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/٢ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٣/٣ (٣٩٧٥) من طريق عيسى بن موسى عن عطية به ، وعقب الأثر (٣٩٧٢) معلقًا . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/٢ إلى عبد بن حميد .

قال : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[(١)] .

وقال بعضُهم : عنَى بذلك أنهم كانوا خيرَ أمةٍ أُخْرِجت للناسِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفيُّ ، عن عبادٍ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ / أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ﴾ . قال : قد كان ما تَسْمَعُ مِن الخيرِ فى هذه الأمةِ . ٤٥/٤

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : كان الحسنُ يقولُ : نحن آخِرُها وأكرمُها على اللَّهِ .

قال أبو جعفرٍ : وأولى هذه الأقوالِ بتأويلِ الآيةِ ما قال الحسنُ ؛ وذلك أن يعقوبَ ابنَ إبراهيمَ **حدَّثنى** قال : ثنا ابنُ عليةَ ، عن بَهْزِ بنِ حكيمٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، قال : سمِعتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ يقولُ : « ألا إنكم وفَّيتم سبعين أمةً ، أنتم خيرُها[(٢)] وأكرمُها على اللَّهِ[(٣)] » .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، [١/٤٤٢ظ] قال : أخبَرنا

---

(١) بعدها فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « واللَّه أعلم » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٣/٣ (٣٩٧٣) من طريق ابن أبى جعفر ، عن أبيه ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، عن أبى بن كعب .

(٢) فى ص ، م ، والمسند ، والمنتخب ، والموضع الثانى من سنن ابن ماجه : « آخرها » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الناس » .

والحديث أخرجه ابن ماجه (٤٢٨٨) من طريق ابن علية به .

وأخرجه أحمد ٥/ ٣ ، ٥ (الميمنية) ، والدارمى ٢/ ٣١٣ ، وعبد بن حميد (٤٠٩ - منتخب) ، وابن ماجه (٤٢٨٧) ، والطبرانى ٤٢٢/١٩ (١٠٢٣) من طرق عن بهز به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/٢ إلى ابن المنذر وابن مردويه .

معمرٌ ، عن بهزِ بنِ حكيمٍ ، عن أبيه ، عن جدِّه ، أنه سمِع النبيَّ ﷺ يقولُ في قولِه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . قال : « أنتم تُتِمُّون سبعين أمةً ، أنتم خيرُها وأكرمُها على اللَّهِ »[(١)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ ، قال : ذُكِر لنا أن نبيَّ اللَّهِ ﷺ قال ذاتَ يومٍ وهو مُسنِدٌ ظهرَه إلى الكعبةِ : « نحن نُكْمِلُ يومَ القيامةِ سبعين أمةً ، نحن آخرُها وخيرُها »[(٢)] .

وأما قولُه : ﴿ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ . فإنه يعني : تَأْمُرون بالإيمانِ باللَّهِ ورسولِه والعملِ بشرائعِه ، ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ . يعني : وتَنْهَون عن الشركِ باللَّهِ وتكذيبِ رسولِه ، وعن العملِ بما نهَى عنه .

كما حدَّثنا عليُّ بنُ داودَ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : تَأْمُرونهم بالمعروفِ ؛ أن يَشْهَدوا ألَّا إلهَ إلا اللَّهُ ، والإقرارُ بما أنزَل اللَّهُ ، وتُقَاتِلونهم عليه ، ولا إلهَ إلا اللَّهُ هو أعظمُ المعروفِ ، وتَنْهَونهم عن المنكرِ ، والمنكرُ هو التكذيبُ ، وهو أنكرُ المنكرِ[(٣)] .

وأصلُ المعروفِ كلُّ ما كان معروفًا [(٤)] فعلُه ، جميلًا مستحسنًا [(٤)] ، غيرَ مستقبَحٍ في أهلِ الإيمانِ باللَّهِ ، وإنما سُمِّيَت طاعةُ اللَّهِ معروفًا ؛ لأنه مما يَعْرِفُه أهلُ الإيمانِ ولا

---

(١) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣٠، ومن طريقه الترمذى (٣٠٠١) ، والحاكم ٨٤/٤، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣١/٣ (٣٩٦٧) عن الحسن بن يحيى به .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/٢ إلى المصنف .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٣٣، ٧٣٤ (٣٩٧٧، ٣٩٧٨) ، والبيهقى فى الأسماء والصفات (٢٠٦) ، من طريق عبد الله بن صالح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/٢ إلى ابن المنذر .

(٤ - ٤) فى م : « ففعله جميل مستحسن » .

يَسْتَنْكِرون فعلَه . وأصلُ المنكرِ ما أنكره اللَّهُ ، ورأَوه قبيحًا فعلُه ، ولذلك سُمِّيَت معصيةُ اللَّهِ منكرًا ؛ لأن أهلَ الإيمانِ باللَّهِ يَسْتَنْكِرون فعلَها ، ويَسْتَعْظِمون رُكوبَها .

وقولُه : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِۗ ﴾ . يعنى : وتُصَدِّقون باللَّهِ ، فتُخْلِصون له التوحيدَ والعبادةَ .

فإن سأَل سائلٌ فقال : وكيف قيل : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ ﴾ . وقد زعَمتَ أن تأويلَ الآيةِ أن هذه الأمةَ خيرُ الأممِ التى مضَت ، وإنما يُقالُ : كنتم خيرَ أمةٍ . لقومٍ كانوا خيارًا فتَغَيَّروا عما كانوا عليه ؟

قيل : إن معنى ذلك بخلافِ ما ذهَبتَ إليه ، وإنما معناه : أنتم خيرُ أمةٍ . كما قيل : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ ﴾ [الأنفال : ٢٦] . وقد قال فى موضعٍ آخرَ : ﴿ وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْۖ ﴾ [الأعراف : ٨٦] ، فإدخالُ « كان » فى مثلِ هذا وإسقاطُها بمعنًى واحدٍ ؛ لأن الكلامَ معروفٌ معناه .

ولو قال أيضًا فى ذلك قائلٌ : ﴿ كُنتُمْ ﴾ بمعنى التمامِ . كان تأويلُه : خُلِقْتم خيرَ أمةٍ ، أو : وُجِدْتم خيرَ أمةٍ ، كان معنًى صحيحًا .

وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ أن معنى / ذلك : كنتم خيرَ أمةٍ عندَ اللَّهِ فى اللوحِ المحفوظِ ، أُخْرِجت للناسِ . ٤٦/٤

والقولان الأولان اللذان قلنا أشبهُ بمعنى الخبرِ الذى رَوَيناه قبلُ .

وقال آخرون : معنى ذلك : كنتم خيرَ أهلِ طريقةٍ . وقال : الأُمَّةُ الطريقةُ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكرُه : ولو صدَّق أهلُ التوراةِ والإنجيلِ ، مِن اليهودِ

والنصارى ، بمحمدٍ ﷺ وما جاءهم به مِن عندِ اللَّهِ ، ﴿ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴾ عندَ اللَّهِ في عاجلِ دنياهم وآجلِ آخرتِهم ، ﴿ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ . يعنى : مِن أهلِ الكتابِ مِن اليهودِ والنصارى ، المؤمنون المصدِّقون رسولَ اللَّهِ ﷺ فيما جاءهم به مِن عندِ اللَّهِ ، وهم عبدُ اللَّهِ بنُ سلَامٍ وأخوه ، وثعلبةُ بنُ سَعْيَةَ[(١)] وأخوه ، وأشباهُهم ممن آمَنوا[(٢)] باللَّهِ ، وصدَّقوا [(٣)] برسولِه محمدٍ[(٣)] ﷺ ، واتبَعوا ما جاءهم به مِن عندِ اللَّهِ ، ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ يعنى : الخارجون عن دينِهم ؛ وذلك أن مِن دينِ اليهودِ اتِّباعَ ما في التوراةِ والتصديقَ بمحمدٍ ﷺ ، ومِن دينِ النصارى اتباعَ ما في الإنجيلِ والتصديقَ به وبما في التوراةِ ، وفي[(٤)] الكتابين صفةُ محمدٍ ﷺ ونعتُه ومبعثُه ، وأنه نبيُّ اللَّهِ . وكلتا الفرقتين - أعنى اليهودَ والنصارى - مكذبةٌ ، فذلك فسقُهم وخروجُهم عن دينِهم الذى يَدَّعُون أنهم يَدِينون به ، الذى قال جلَّ ثناؤه : ﴿ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ .

وقال قتادةُ بما حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ : ذمَّ اللَّهُ أكثرَ الناسِ[(٥)] .

[١١/ظ١] **القولُ * في تأويلِ قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ .**

قال أبو جعفرٍ : يَعْنى بذلك جلَّ ثناؤه : لن يَضُرَّكم[(٦)] يا أهلَ الإيمانِ باللَّهِ

---

(١) في م : « سعيد » . وينظر سيرة ابن هشام ٢/ ٢٣٨، ٢٤٥.

(٢) في ص ، ت ١، س : « آمن » .

(٣ - ٣) في ص : « رسوله محمدًا » .

(٤) بعده في ص ، م : « كل » .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/ ٧٣٤ (٣٩٨٢) من طريق يزيد به . وعزاه السيوطى في الدر المنثور ٢/ ٦٤ إلى عبد بن حميد .

* من هنا تبدأ قطعة من مخطوط جامعة القرويين ولعلها الجزء الحادى عشر ، وسيجد القارئ أرقام صفحاتها بين معقوفين .

(٦) في ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « يضروكم » .

ورسولِه ، هؤلاء الفاسقون مِن أهلِ الكتابِ شيئًا ، بكفرِهم وتكذيبِهم نبيَّكم محمدًا ﷺ ، ﴿إِلَّآ أَذًى﴾ . يعنى بذلك : ولكنهم يُؤْذُونكم بشركِهم وإسماعِكم كفرَهم ، وقولِهم فى عيسى وأمِّه وعُزَيرٍ ، ودعائِهم إياكم إلى الضلالةِ ، ولا يَضُرُّونكم[(١)] بذلك .

وهذا مِن الاستثناءِ المنقطعِ الذى هو مخالفٌ معنى ما قبلَه ، كما قيل : ما أشتكى شيئًا إلا خيرًا . وهذه كلمةٌ محكيةٌ عن العربِ سماعًا .

وبنحوِ ما قلنا فى تأويلِ ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ . يقولُ : لن يَضُرُّوكم إلا أذًى تَسْمَعونه منهم[(٢)] .

٤٧/٤ /**حُدِّثت** عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ . قال : أذًى تَسْمَعونه منهم[(٣)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ قولَه : ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ . قال : إشراكُهم فى عُزَيرٍ وعيسى والصليبِ[(٤)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفىُّ ، عن عبادٍ ، عن الحسنِ فى

---

(١) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يضروكم » .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/ ٦٤ ، إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٤/٣ عقب الأثر (٣٩٨٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٥/٣ (٣٩٨٥) من طريق ابن ثور ، عن ابن جريج .

قولِه : ﴿ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ﴾ الآية . قال : تَسْمَعون منهم كذِبًا على اللَّهِ ، يَدْعُونكم إلى الضلالةِ[1] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ﴾ .

يَعْنى بذلك جلَّ ثناؤُه[2] : وإن يُقَاتِلْكم أهلُ الكتابِ مِن اليهودِ والنصارى يُهْزَموا عنكم ، فيُوَلُّوكم أدبارَهم انهزامًا .

فقولُه[3] : ﴿ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ . كنايةٌ عن انهزامِهم ؛ لأن المنهزمَ يُحَوِّلُ ظهرَه إلى قِرنِه[4] الطالبِ هرَبًا إلى مَلْجأٍ وموئلٍ يَئِلُ إليه منه ، خوفًا على نفسِه ، والطالبُ في أثَرِه . فدُبُرُ المطلوبِ حينئذٍ يَكونُ مُحاذِىَ وجهِ الطالبِ الهازِمِه .

﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ . يَعْنى : ثم لا يَنْصرُهم اللَّهُ أيها المؤمنون عليكم ؛ لكفرِهم باللَّهِ ورسولِه ، وإيمانِكم بما آتاكم نبيُّكم محمدٌ ﷺ ؛ لأن اللَّهَ تبارك وتعالى قد ألقى الرعبَ في قلوبِهم[5] ، فأيدكم[6] أيها المؤمنون بنصرِكم . وهذا وعدٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه نبيَّه محمدًا ﷺ وأهلَ الإيمانِ نَصْرَهم على مَن كفرَ به مِن أهلِ الكتابِ .

وإنما رفَع قولَه : ﴿ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ . وقد جزَم قولَه : [٢/١١و] ﴿ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾ . على جوابِ الجزاءِ ، ائتنافًا للكلامِ ؛ لأن رُءوسَ الآياتِ قبلَها بالنونِ ، فألْحَق هذه بها ، كما قال : ﴿ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات : ٣٦] . رفعًا ، وقد

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٣٤/٣ (٣٩٨٤) من طريق أبي بكر الحنفي به .

(٢) بعده في ت ١، ت ٢، ت ٣: « وإن يقاتلوكم » .

(٣) في ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « وأما قوله » .

(٤) في م : « جهة » . والقِرن : الكفء والنظير في الشجاعة والحرب . اللسان (ق ر ن) .

(٥) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قلوب » .

(٦) في م : « كائدكم » .

قال فى موضعٍ آخرَ[(١)] : ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ ﴾ [فاطر : ٣٦] . إذ لم يَكُنْ رأسَ آيةٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .

يَعْنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ ﴾ : أُلْزِموا الذلةَ . والذلةُ الفِعْلةُ مِن الذُّلِّ .

وقد بيَّنا ذلك بشواهدِه فى غيرِ هذا الموضعِ[(٢)] .

﴿ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ ﴾ . يعنى : حيثما لُقُوا . يقولُ جلَّ ثناؤه : أُلْزِم اليهودُ المكذِّبون بمحمدٍ ﷺ الذلةَ أينما[(٣)] كانوا مِن الأرضِ ، وبأىِّ مكانٍ كانوا مِن بقاعِها ، مِن بلادِ المسلمين والمشركين ، ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ .

كما **حدَّثنا** محمدُ بنُ بشارٍ ، قال : ثنا هَوْذةُ ، قال : ثنا عوفٌ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ﴾ . قال : أدركتهم هذه الأمةُ وإن المجوسَ لَتجبيهم الجزيةَ[(٤)] .

/**حدَّثنى** محمدُ بنُ سنانٍ ، قال : ثنا أبو بكرٍ الحنفىُّ ، قال : ثنا عبادٌ ، عن الحسنِ فى قولِه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٤٨/٤

---

(١) بعدها فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « وقد قال » .

(٢) ينظر ما تقدم فى ٢٦/٢ .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أين » .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٥/٣ (٣٩٨٧) من طريق هوذة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : أذلَّهم اللَّهُ ، فلا منَعةَ لهم ، وجعَلهم اللَّهُ تحت أقدامِ المسلمين[(١)] .

وأما الحبلُ الذى ذكَره اللَّهُ فى هذا الموضعِ ، فإنه السببُ الذى يَأْمَنون به على أنفسِهم مِن المؤمنين ، وعلى أموالِهم وذراريِّهم ، من عهدٍ وأمانٍ تَقَدَّم لهم عقدُه قبلَ أن يُثْقَفوا فى بلادِ الإسلامِ .

كما حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِه جلَّ وعزَّ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . قال : بعهدٍ ، ﴿ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : بعهدِهم[(٢)] .

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : إلا بعهدٍ مِن اللَّهِ وعهدٍ مِن الناسِ .

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا معمرٌ ، عن قتادةَ مثلَه[(٣)] .

حدَّثنا حميدُ بنُ مسعدةَ ، قال : ثنا يزيدُ ، عن عثمانَ بنِ غِياثٍ[(٤)] ، قال عكرمةُ : يقولُ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : بعهدٍ مِن اللَّهِ وعهدٍ مِن الناسِ[(٥)] .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٣٥ (٣٩٨٨) من طريق أبى بكر الحنفى به .

(٢) تفسير مجاهد ص ٢٥٧.

(٣) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣٠.

(٤) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « عتاب » .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٣٥ عقب الأثر (٣٩٩٠) معلقًا .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : إلا بعهدٍ مِن اللَّهِ وعهدٍ مِن الناسِ (١) .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : إلا بعهدٍ مِن اللَّهِ وعهدٍ مِن الناسِ (٢) .

حدَّثنى محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى [١١/٢ظ] أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ : فهو عهدٌ مِن اللَّهِ وعهدٌ مِن الناسِ ، كما يَقولُ الرجلُ : ذمةُ اللَّهِ وذمةُ رسولِه ﷺ . فهو الميثاقُ (٣) .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جريجٍ ، قال : قال مجاهدٌ : ﴿ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : بعهدٍ مِن اللَّهِ وعهدٍ مِن الناسِ لهم (٤) . قال ابنُ جريجٍ : وقال عطاءٌ : العهدُ حبلُ اللَّهِ (٥) .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبرَنا ابنُ وهبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ فى قولِه : ﴿ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . قال : إلا بعهدٍ ، وهم يهودُ . قال : والحبلُ العهدُ . قال : وذلك قولُ أبى الهيثمِ بنِ التَّيِّهانِ لرسولِ اللَّهِ ﷺ حين أتَتْه الأنصارُ فى العقبةِ : أيُّها الرجلُ ، إنا قاطعون فيك حبالًا بيننا وبينَ الناسِ . يقولُ : عهودًا . قال : واليهودُ لا يَأْمَنون فى أرضٍ مِن أرضِ اللَّهِ إلا بهذا الحبلِ الذى قال

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به.

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٥/٣ (٣٩٩٠، ٣٩٩١) من طريق هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/٢ إلى ابن المنذر .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٥٧.

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٥/٣ عقب الأثر (٣٩٩٠) معلقًا .

اللَّهُ عزَّ وجلَّ . وقرأ : ﴿ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [آل عمران : ٥٥] . قال : فليس بلدٌ فيه أحدٌ مِن النصارى إلا وهم فوق يهودَ في [١]شرقٍ ولا غربٍ[١] ، هم في البلدانِ كلِّها مُسْتَذَلُّون ، قال اللَّهُ : ﴿ وَقَطَّعْنَـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ [الأعراف : ١٦٨] . قال : يهودُ[٢] .

٤٩/٤ /حُدِّثت عن الحسينِ ، قال : سمِعتُ أبا معاذٍ ، قال : ثنا عبيدُ بنُ سليمانَ ، قال : سمِعتُ الضحَّاكَ في قولِه : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . يقولُ : بعهدٍ مِن اللَّهِ وعهدٍ مِن الناسِ[٣] .

حدَّثني يحيى بنُ أبي طالبٍ ، قال : أخبَرنا يزيدُ ، قال : أخبرَنا جويبرٌ ، عن الضحاكِ مثلَه .

واختلَف أهلُ العربيةِ في المعنى الذي جلَب الباءَ في قولِه : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ ؛ فقال بعضُ نحويِّي الكوفةِ : الذي جلَب الباءَ في ذلك[٤] فعلٌ مضمَرٌ قد تُرِك ذكرُه . قال : ومعنى الكلامِ : ضُرِبت عليهم الذلةُ أينما ثُقِفوا إلا أن يَعْتَصِموا بحبلٍ مِن اللَّهِ . فأُضْمِرَ ذلك . واسْتَشْهَد لقولِه ذلك بقولِ الشاعرِ[٥] :

رأتْني بحَبْلَيْها فصَدَّت مخافةً وفي الحبلِ رَوْعاءُ الفؤادِ[٦] فَرُوقُ

(١ - ١) في ص ، ت ١ ، ت ٣ ، س : « فسوق ولا غيرهم » ، وفي ت ٢ : « فوق ولا غيرهم » .
(٢) ينظر ما تقدم في ص ٤٥٥ .
(٣) ذكره ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٣٥ عقب الأثر (٣٩٩١) معلقًا .
(٤) في ص : « بحبل فقال بعضهم ذلك » ، وفي م : « قوله بحبل » ، وفي ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قوله بحبل فقال بعضهم في ذلك » .
(٥) هو حميد بن ثور الهلالي ، والبيت في ديوانه ص ٣٥ . ورواية البيت فيه هكذا :
فجئت بحبليها فردت مخافة إلى النفس روعاء الجنان فروق
(٦) روعاء الفؤاد : ذكية الفؤاد . ينظر اللسان (ر و ع) .

وقال : أراد : أَقْبَلَتْ بحَبْلَيها[1] . وبقولِ الآخرِ[2] :

حَنَتْنى حانِياتُ الدهرِ حتى كأنِّى خاتِلٌ[3] أدنو[4] لصيدِ

[5]قريبُ الخطوِ يَحْسَبُ من رآنى -ولستُ مُقَيَّدًا- أنى بقَيْدِ[5]

[6]يريدُ : مقيدًا بقيدٍ[6] .

فأوجَب إعمالَ فعلٍ محذوفٍ وإظهارَ صلتِه[7] وهو متروكٌ .

وذلك فى مذاهبِ العربيةِ ضعيفٌ ، ومِن كلامِ العربِ بعيدٌ . وأما ما اسْتَشْهدَ به لقولِه مِن الأبياتِ ، فغيرُ دالٍّ على صحةِ دعواه ؛ لأن فى قولِ الشاعرِ : رَأَتْنى بحَبْلَيها . دلالةٌ بينةٌ فى أنها رَأَتْه بالحبلِ مُمْسِكًا . [٣/١١و] ففى إخبارِه عنها أنها رَأَتْه بحَبْلَيها ، إخبارٌ منه أنها رَأَتْه مُمْسِكًا بالحَبْلَين ، فكان فيما ظهَر مِن الكلامِ مُسْتَغْنًى عن ذكرِ الإمساكِ ، وكانت الباءُ صلةً[8] لقولِه : رَأَتنى . كما[9] قولُ القائلِ : أنا باللَّهِ . مكتفٍ بنفسِه ومعرفةِ السامعِ معناه ، أن تكونَ الباءُ محتاجةً إلى كلامٍ يكونُ لها جالبًا غيرَ الذى ظهَر ، وأن[10] المعنى : أنا باللَّهِ مستعينٌ .

وقال بعضُ نحويِّى البصرةِ : قولُه : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . استثناءٌ

---

(١) فى ص ، س : « بحبلها » .

(٢) هو أبو الطمحان القينى حنظلة بن الشرقى ، كما فى المعمرين ص ٧٢، والمعانى الكبير ٣/ ١٢١٤، وقال أبو الفرج فى الأغانى ٢/ ٣٥٧: يقال : إنه لعدى بن زيد .

(٣) المخاتلة : مشى الصياد قليلا قليلا فى خفية لئلا يسمع الصيد حسه . اللسان (خ ت ل) والبيت فيه .

(٤) فى النسخ : « أحنو » . والمثبت من معانى القرآن للفراء ١/ ٢٣٠، فهذه مقالته ، وفى مصادر التخريج الأخرى : « يدنو » .

(٥ - ٥) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ .

(٦ - ٦) سقط من النسخ ، والمثبت من معانى القرآن .

(٧) الصلة هنا : الجار والمجرور .

(٨) فى م : « وصلة » .

(٩) بعده فى م : « فى » .

(١٠) بعده فى الأصل ، ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ : « كان » .

خارجٌ مِن أولِ الكلامِ . قال : وليس ذلك بأشدَّ مِن قولِه : ﴿ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ﴾ [مريم : ٦٢] .

٤/٥٠ /وقال آخرون مِن نحويِّي الكوفةِ : هو استثناءٌ متصلٌ . والمعنى : ضُرِبت عليهم الذلةُ أينَما ثُقِفوا . أى : بكلِّ مكانٍ ، إلا بموضعِ حبلٍ مِن اللَّهِ . كما تقولُ : ضُرِبت عليهم الذلةُ فى الأمكنةِ إلا فى هذا المكانِ .

وهذا أيضًا طلَبَ الحزَّ[(١)] ، فأخطأَ المَفْصِلَ ، وذلك أنه زعَم أنه استثناءٌ مُتَّصلٌ ، ولو كان متصلًا كما زعَم ، لوجَب أن يكونَ القومُ إذا ثُقِفوا بحبلٍ مِن اللَّهِ وحبلٍ مِن الناسِ غيرَ مضروبةٍ عليهم الذلةُ[(٢)] . وليس ذلك صفةَ اليهودِ ؛ لأنهم أينما ثُقِفُوا بحبلٍ مِن اللَّهِ وحبلٍ مِن الناسِ ، أو بغيرِ حبلٍ مِن اللَّهِ وغيرِ حبلٍ مِن الناسِ ، فالذلةُ مضروبةٌ عليهم ، على ما ذكَرنا عن أهلِ التأويلِ قبلُ[(٣)] . فلو كان قولُه : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . استثناءً متصلًا ، لوجَب أن يكونَ القومُ إذا ثُقِفوا بعهدٍ وذمةٍ ، ألا تكون الذلةُ مضروبةً عليهم ، وذلك خلافُ ما وصَفهم اللَّهُ به مِن صفتِهم ، وخلافُ ما هم به مِن الصفةِ ، فقد تبيَّنَ أيضًا بذلك فسادُ قولِ هذا القائلِ أيضًا .

ولكنَّ القولَ عندَنا أن الباءَ فى قولِه : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . أُدْخِلت لأن الكلامَ الذى قبلَ الاستثناءِ مُقتضٍ فى المعنى الباءَ . وذلك أن[(٤)] معنى قولِه : ﴿ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ ﴾ : ضرِبت عليهم الذلةُ بكلِّ مكانٍ ثُقِفُوا . ثم قال : ﴿ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾ . على غيرِ وجهِ الاتصالِ بالأولِ ، ولكنه على

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « الحق » . وهو من قولهم : إنك لتكثر الحزَّ وتخطئ المفصل . مثل يضرب لمن يجتهد فى السعى ثم لا يظفر بالمراد . ينظر نهاية الأرب ٣/ ١١، ومجمع الأمثال ١/ ٩٦.

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت٢، ت ٣ ، س : « المسكنة » .

(٣) فى ص ، ت ١: « قيل » .

(٤) فى ص ، ت ١، ت ٢، ت ٣، س : « هو » .

الانقطاعِ عنه ، ومعناه : ولكن قد[1] يُثْقَفون بحبلٍ مِن اللَّهِ وحبلٍ مِن الناسِ ، كما قيل : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ﴾ [النساء : ٩٢] . فالخطأُ وإن كان منصوبًا بما عمِل فيما قبلَ الاستثناءِ ، فليس قولُه باستثناءٍ متصلٍ بالأولِ بمعنى : إلا خطأً فإن له قتلَه كذلك . ولكنّ معناه : ولكن قد يَقْتُلُه خطأً . فكذلك قولُه : ﴿ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓاْ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ . وإن كان الذى جلَب الباءَ التى بعدَ ﴿ إِلَّا ﴾ الفعلُ الذى يَقْتَضِيها قبلَ ﴿ إِلَّا ﴾ ، فليس الاستثناءُ بالاستثناءِ المتصلِ بالذى قبلَه ، بمعنى أن القومَ إذا لُقُوا فالذلةُ زائلةٌ عنهم ، بل الذلةُ ثابتةٌ لهم[1] بكلِّ حالٍ ، ولكن معناه ما بيَّنا آنفًا .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ [٣/١١ظ] يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ﴾ .

يعنى تعالى ذكرُه بقولِه : ﴿ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ : وتحمَّلوا غضبَ اللَّهِ فانصرَفوا به مستحقِّيه . وقد بيَّنا أصلَ ذلك بشواهدِه ، ومعنى المسكنةِ ، وأنها ذُلُّ الفاقةِ والفقرِ وخُشوعُهما ، ومعنى الغضبِ مِن اللَّهِ ، فيما مضَى بما أغنى عن إعادتِه فى هذا الموضعِ[2] .

وقولُه : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ﴾ . يعنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أى : بَوْءُهم الذى باءوا به مِن غضبِ اللَّهِ ، وضَرْبُ الذلةِ عليهم ، بَدَلٌ مما كانوا يَكْفُرون بآياتِ اللَّهِ . يقولُ : مما كانوا يَجْحَدُون أعلامَ اللَّهِ وأدلتَه على صدقِ أنبيائِه ، وما فُرِض عليهم مِن فرائضِه ، ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) ينظر ما تقدم فى ١/ ١٨٩، ١٩٠، ٢/ ٢٦، ٢٧.

حَقٍّ ﴾ . يقولُ : وبما كانوا يَقْتُلون أنبياءَهم ورُسُلَ اللَّهِ إليهم ، اعتداءً على اللَّهِ ، وجراءةً عليه بالباطلِ ، وبغيرِ حقٍّ استحقُّوا منهم القتلَ .

فتأويلُ الكلامِ : أُلزِموا الذلةَ بأيِّ مكانٍ لُقُوا ، إلا بذمةٍ مِن اللَّهِ وذمةٍ مِن الناسِ ، وانصرَفوا بغضبٍ مِن / اللَّهِ مُتَحَمِّليه[1] ، وأُلزِموا ذُلَّ الفاقةِ وخشوعَ الفقرِ ، بدلًا مما كانوا يَجْحَدُون بآياتِ اللَّهِ وأدلتِه وحججِه ، ويَقْتُلون أنبياءَه بغيرِ حقٍّ ظلمًا واعتداءً . ٥١/٤

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ (١١٢) ﴾ .

يعنى[2] تعالى ذكرُه : فعَلنا بهم ذلك بكفرِهم وقَتْلِهم الأنبياءَ ومعصيتِهم ربَّهم واعتدائِهم أمرَه .

وقد بيَّنّا معنى « الاعتداءِ » فى غيرِ موضعٍ فيما مضَى مِن كتابِنا بما[3] فيه الكفايةُ عن إعادتِه[4] .

فأعلَم ربُّنا جلَّ ثناؤُه عبادَه ما فعَل بهؤلاءِ القومِ مِن أهلِ الكتابِ ؛ مِن إحلالِ الذلةِ والخزى بهم فى عاجلِ الدنيا ، مع ما ذخَر لهم فى الآجلِ مِن العقوبةِ والنكالِ وأليمِ العذابِ ، إذ تعدَّوا حدودَه واستحَلُّوا محارمَه ؛ تذكيرًا منه تعالى ذكرُه لهم ، وتنبيهًا على موضعِ البلاءِ الذى مِن قِبَلِه أُتوا ، ليُنيبوا ويَذَّكَّروا ، وعِظةً منه لأمتِنا ألا يَسْتَنُّوا بسنتِهم ويَرْكَبوا منهجَهم[5] ، فيَسْلُكَ بهم مسالِكَهم ، ويُحِلَّ بهم مِن نقمِ اللَّهِ ومَثُلاتِه[6] ما أحلَّ بهم .

---

(١) فى الأصل : « محتمليه » .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يقول » .

(٣) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « مما » .

(٤) ينظر ما تقدم فى ٣٢/٢ .

(٥) فى ص : « مناهجهم » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « منهاجهم » .

(٦) فى س : « بلائه » .

كما حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴾ : اجْتَنِبوا المعصيةَ والعُدوانَ ، فإن بهما أُهْلِك من أَهْلِك مِن[١] قبلِكم مِن الناسِ[٢] .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) ﴾ .

[٤/١١و] يعْنى بقولِه جلَّ ثناؤه : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً ﴾ : ليس فريقَا أهلِ الكتابِ ؛ أهلُ الإيمانِ منهم والكفرِ ، سواءً . يعنى بذلك أنهم غيرُ متساوين[٣] . يقولُ : ليسوا مُتعادِلين ، ولكنهم مُتفاوِتون في الصلاحِ والفسادِ ، والخيرِ والشرِّ .

وإنما قيل : ﴿ لَيْسُوا[٤] ﴾ ؛ لأن فيه ذكرَ الفريقين مِن أهلِ الكتابِ اللذيْن ذكَرهما اللَّهُ في قولِه : ﴿ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ ثم أخبَر جلَّ ثناؤه عن حالِ الفريقين عندَه ؛ المؤمنةِ منهما والكافرةِ ، فقال : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً ﴾ . أى : ليس هؤلاء سواءً ؛ المؤمنون منهم والكافرون . ثم ابتدأ الخبرَ جلَّ ثناؤه عن صفةِ الفرقةِ المؤمنةِ من أهلِ الكتابِ ، ومدَحهم وأثنى عليهم ، بعدَ ما وصَف الفرقةَ الفاسقةَ منهم بما وصَفها به ؛ مِن الهَلَع ونَخْبِ الجنانِ ، ومحالفةِ الذلِّ والصَّغارِ ، وملازمةِ الفاقةِ والمسكنةِ ، وتحمُّلِ خزيِ الدنيا وفضيحةِ الآخرةِ ، فقال : ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ . الآيات الثلاث إلى قولِه : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴾ .

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢) فى ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « المسلمين » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣٣٧/٣ (٣٩٩٩) من طريق يزيد به .

(٣) فى ت ٢ ، س : « متساويين » .

(٤) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « سواء » .

فقولُه[١] : ﴿ أُمَّةٌ قَآبِمَةٌ ﴾ . مرفوعةٌ بقولِه : ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ ﴾ .

وقد توهَّم جماعةٌ مِن نحويِّى الكوفةِ والبصرةِ والمتقدِّمين منهم فى صناعتِهم[٢] ، أن ما بعدَ ﴿ سَوَآءً ﴾ فى هذا الموضعِ مِن قولِه : ﴿ أُمَّةٌ قَآبِمَةٌ ﴾ . ترجمةٌ عن ﴿ سَوَآءً ﴾ وتفسيرٌ عنه ، بمعنى : لا يستوى مِن أهلِ الكتابِ أمةٌ قائمةٌ يَتْلون آياتِ اللَّهِ آناءَ الليلِ ، وأخرى كافرةٌ . وزعَموا أن ذكرَ الفرقةِ الأخرى تُرِك اكتفاءً بذكرِ إحدى الفِرقَتين ، وهى الأمةُ القائمةُ ، ومثَّلوه بقولِ أبى ذُؤيبٍ[٣] :

٥٢/٤ /عصَيتُ إليها القلبَ إنِّى لأمرِها سميعٌ فما أدرى أرُشْدٌ طِلابُها

ولم يَقُلْ : أم غيرُ رشدٍ . اكتفاءً بقولِه : أرُشْدٌ . مِن ذِكرِ : أم غيرُ رشدٍ . وبقولِ الآخرِ[٤] :

أرَاكَ[٥] فلا أدْرِى أهَمٌّ هَمَمْتُه وذو الهَمِّ قِدْمًا خاشعٌ متضائلُ

وهو مع ذلك خطأٌ عندَهم قولُ القائلِ المريدِ أن يَقُولَ : سواءٌ أقُمْتَ أم قعَدْتَ : سواءٌ أقُمْتَ . حتى يَقُولَ : أم قعَدت . وإنما يُجيزُون حذفَ الثانى فيما كان مِن الكلامِ مكتفيًا بواحدٍ ، دونَ ما كان ناقصًا عن ذلك ، وذلك نحوُ : ما أُبالى . أو : ما أدرى . فأجازوا فى ذلك : ما أبالى أقُمْتَ . وهم يريدون : ما أُبالى أقُمْتَ أم قعَدت . لاكتفاءِ : ما أبالى . بواحدٍ ، وكذلك فى[٦] : ما[٧] أدرى . وأبَوا الإجازةَ فى

(١) فى م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قوله » .
(٢) ينظر معانى القرآن للفراء ١/ ٢٣٠، ٢٣١.
(٣) تقدم تخريج البيت فى ١/٣٤٤ .
(٤) معانى القرآن للفراء ١/٢٣١ .
(٥) فى م : « أزال » .
(٦) بعده فى ت ٢: « ما أبالى أو » .
(٧) بعده فى الأصل : « لا » .

« سواء » ، مِن أجلِ نقصانِه ، وأنه غيرُ مكتفٍ بواحدٍ . فأغفَلوا فى توجيهِهم قولَه : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ . على ما حكَينا عنهم إلى ما وجَّهوه [١١/٤ظ] إليه - مذاهبَهم فى العربيةِ ، إذ أجازوا فيه مِن الحذفِ ما هو غيرُ جائزٍ عندَهم فى الكلامِ مع « سواء » . وأخطَئوا تأويلَ الآيةِ ، فـ ﴿ سَوَآءً ﴾ فى هذا الموضعِ بمعنى التمامِ والاكتفاءِ ، لا بالمعنى الذى تأوَّله مَن حكَينا قولَه .

وقد ذُكر أن قولَه : ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ . الآياتُ الثلاثُ نزَلت فى جماعةٍ مِن اليهودِ أسلَموا فحسُن إسلامُهم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا ابنُ حميدٍ ، قال : ثنا سلمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن عكرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جبيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : لما أَسلَم عبدُ اللَّهِ بنُ سلَامٍ ، وثعلبةُ بنُ سَعْيَةَ[1] ، وأُسَيدُ بنُ سَعية ، وأسدُ بنُ عبيدٍ ، ومَن أسلَم مِن يهودَ معهم ، فآمَنوا وصدَّقوا ، ورغِبوا فى الإسلامِ ، وتنحَّوا[2] فيه ، قالت أحبارُ يهودَ وأهلُ الكفرِ منهم : ما آمَن بمحمدٍ ولا اتَّبَعه إلَّا أشرارُنا ، ولو كانوا مِن خيارِنا ما تَرَكوا / دينَ آبائِهم وذهَبوا إلى غيرِه . فأنزَل اللَّهُ تبارك وتعالى فى ذلك مِن قولِهم : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ إلى قولِه : ﴿ وَأُوْلَـٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴾[3] . ٥٣/٤

(١) فى ص ، ت ٢ ، س : « سعيد » .

(٢) فى الأصل : « تنخوا » ، وبدون نقط فى ص ، وفى ت ١ ، ت ٣ : « نجوا » ، وفى ت ٢ : « محرا » ، وفى م ، وتفسير ابن أبى حاتم : « منحوا » ، وفى سيرة ابن هشام : « رسخوا » . وتنحوا فيه : توجهوا له ، وصاروا فى ناحيته ، وقصدوه . ينظر النهاية ٣٠/٥ ، والتاج (ن ح و) .

(٣) سيرة ابن هشام ٥٥٧/١ ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٧/٣ (٤٠٠٣) من طريق سلمة به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/٢ إلى ابن المنذر .

حدَّثنا أبو كريبٍ ، قال : ثنا يونسُ بنُ[1] بكيرٍ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ مولى زيدِ بنِ ثابتٍ ، قال : ثنى سعيدُ بنُ جبيرٍ ، أو عكرمةُ ، عن ابنِ عباسٍ بنحوِه[2] .

حدثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ الآية . يَقُولُ : ليس كلُّ القومِ هلَك ، قد كان للَّهِ فيهم بقيةٌ[3] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ : عبدُ اللَّهِ بنُ سلَامٍ ، وثعلبةُ بنُ سلَامٍ أخوه ، وسَعيةُ ومُبَشِّرٌ ، وأُسَيدٌ وأسَدٌ ابنا كعبٍ[4] .

وقال آخرون : معنى ذلك : ليس أهلُ الكتابِ وأمةُ محمدٍ القائمةُ بحقِّ اللَّهِ سواءً عندَ اللَّهِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نجيحٍ ، عن الحسنِ بنِ يزيدَ[5] العجليِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ أنه كان يَقُولُ فى قولِه : ﴿لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ . قال : لا يَستوى أهلُ الكتابِ

(١) فى النسخ : « عن » .

(٢) أخرجه الطبرانى (١٣٨٨) من طريق أبى كريب به ، وأخرجه البيهقى فى الدلائل ٥٣٣/٢ - ومن طريقه ابن عساكر فى تاريخه ١١٥/٢٩- من طريق يونس به .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٤/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٥/٢ إلى المصنف .

(٥) فى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أبى يزيد » ، وفى س : « أبى زيد » . وينظر التاريخ الكبير ٣٠٨/٢، والجرح ٤٢/٣.

وأمةُ محمدٍ ﷺ[(١)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّيِّ : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ الآية . يقولُ : ليس هؤلاءِ اليهودُ كمثَلِ هذه الأمةِ التي هي قائمةٌ[(٢)] .

وقد بيَّنا أن أوْلى [١١/٥و] القولين بالصوابِ في ذلك قولُ مَن قال : قد تمَّت القصةُ عند قولِه : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً ﴾ . عن إخبارِ اللَّهِ بأمرِ مؤمني أهلِ الكتابِ وأهلِ الكفرِ منهم ، وأن قولَه : ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ . خبرٌ مبتدأٌ عن مدحِ مؤمنيهم ، ووصفِهم بصفتِهم ، على ما قاله ابنُ عباسٍ وقتادةُ وابنُ جريجٍ .

ويَعْنى جلَّ ثناؤه بقولِه : ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ : جماعةٌ ثابتةٌ على الحقِّ .

وقد دلَّلنا على معنَى « الأمةِ » فيما مضَى ، بما أغنَى عن إعادتِه[(٣)] .

وأما « القائمةُ » ، فإن أهلَ التأويلِ اختلَفوا في تأويلِه ؛ فقال بعضُهم : معناها العادلةُ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن مجاهدٍ : ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ . قال : عادلةٌ[(٤)] .

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٣٧ (٤٠٠٠) من طريق ابن أبي نجيح به ، وستأتي بقيته في ص ٦٩٧ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣/٧٣٧ (٤٠٠١) من طريق أحمد بن المفضل به ، وفيه : قانتة لله .

(٣) ينظر ما تقدم في ١/ ٢٢٤ .

(٤) تفسير مجاهد ص ٢٥٨ ، ومن طريقه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢/٤٨٦ (١٢٢٣ - تحقيق حكمت بشير) ، وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٢/٦٥ إلى عبد بن حميد .

وقال آخرون : بل معنَى ذلك أنها قائمةٌ على كتابِ اللَّهِ وما أمَر به فيه .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرُ بنُ معاذٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ . يقولُ : قائمةٌ على كتابِ اللَّهِ وفرائضِه وحدودِه .

حُدِّثت عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ يقولُ : قائمةٌ على كتابِ اللَّهِ وحدودِه وفرائضِه[1] .

٥٤/٤ /**حدَّثنى** محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ . يقولُ : أمّةٌ مهتديةٌ ، قائمةٌ على أمرِ اللَّهِ ، لم تنزِعْ عنه وتترُكْه ، كما ترَكه الآخرون وضيَّعوه[2] .

وقال آخرون : بل معنَى ﴿ قَآئِمَةٌ ﴾ : مُطِيعةٌ .

ذكرُ مِن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السدِّىِّ : ﴿ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ ﴾ الآية . يقولُ : ليس هؤلاء اليهودُ كمثَلِ هذه الأمةِ التى هى قائمةٌ[3] للَّهِ ، والقائمةُ[4] المطيعةُ[5] .

وأولى هذه الأقوالِ بالصوابِ فى تأويلِ ذلك ما قاله ابنُ عباسٍ وقتادةُ ومَن قال

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٨/٣ (٤٠٠٦) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٨/٣ (٤٠٠٤، ٤٠٠٥) عن محمد بن سعد به .

(٣) فى م ، وتفسير ابن أبى حاتم : « قانتة » .

(٤) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣: « القانتة » .

(٥) تقدم فى الصفحة السابقة ، إلى قوله : قائمة .

بقولِهما ، على ما روَينا عنهم ، وإن كان سائرُ الأقوالِ الأُخَرِ متقاربةَ المعنى مِن معنى ما قاله ابنُ عباسٍ وقتادةُ في ذلك ، وذلك أن معنى قولِه : ﴿ قَآئِمَةٌ ﴾ : مستقيمةٌ على الهُدَى وكتابِ اللَّهِ وفرائضِه وشرائعِ دينِه ، بالعدلِ والطاعةِ ، وغيرِ ذلك مِن أسبابِ الخيرِ مِن صفةِ أهلِ الاستقامةِ على كتابِ اللَّهِ وسنةِ رسولِ اللَّهِ ﷺ . ونظيرُ ذلك الخبرُ الذي رواه النعمانُ بنُ بشيرٍ عن النبيِّ ﷺ أنه قال : « مثَلُ القائمِ على حدودِ اللَّهِ والواقعِ فيها كمثَلِ قومٍ ركِبوا سفينةً »[1] . [١١/٥ظ] ثم ضرَب لهم مثَلًا ، فالقائمُ على حدودِ اللَّهِ هو الثابتُ على التمسكِ بما أمرَه اللَّهُ به واجتنابِ ما نهاه اللَّهُ عنه .

فتأويلُ الكلامِ : مِن أهلِ الكتابِ جماعةٌ معتصمةٌ بكتابِ اللَّهِ مُتَمسكةٌ به ، ثابتةٌ على العملِ بما فيه وبما[2] سنَّ لهم[3] رسولُه ﷺ .

القولُ في تأويلِ قولِه : ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) ﴾ .

يعني بقولِه : ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ : يقْرَءون كتابَ اللَّهِ آناءَ الليلِ . ويَعْنى بقولِه : ﴿ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ﴾ . ما أنزَل اللهُ في كتابِه من العِبَرِ والمواعظِ . يقولُ : يَتْلُون ذلك آناءَ الليلِ[4] فيَتَدبَّرونه ويَتَفكَّرون فيه .

وأمّا ﴿ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ . فساعاتُ الليلِ ، واحدُها إِنْيٌ ، كما قال الشاعرُ[5] :

حُلْوٌ ومُرٌّ كعَطْفِ القِدْحِ مِرَّتُه ... في[6] كلِّ إِنْيٍ حَذَاه[7] الليلُ يَنْتَعِلُ[8]

---

(١) أخرجه الحميدى (٩١٩) ، وأحمد ٣٠/٣١ (١٨٣٦١)، والبخارى (٢٤٩٣، ٢٦٨٦)، والترمذى (٢١٧٣).

(٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، وفى م : « ما » .

(٣) فى النسخ : « له » . والمثبت ما يقتضيه السياق .

(٤) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يقول فى ساعات الليل » .

(٥) هو المتنخل الهذلى ، والبيت فى ديوان الهذليين ٢/ ٣٥.

(٦) فى الأصل ، ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « من » .

(٧) فى م : « قضاه » .

(٨) كعطف القدح : يريد : طُوِى كما يطوى القدح . ومرتُه : فَتْلته . ينتعل : يسرى فى كل ساحة من الليل =

وقد قيل إن واحدَ الآناءِ : إِنًى مقصورٌ ، كما واحدُ الأمعاءِ مِعًى .

واختلَف أهلُ التأويلِ فى تأويلِ ذلك ؛ فقال بعضُهم : تأويلُه : ساعاتُ الليلِ . كما قلنا .

٥٥/٤

/ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ : أى ساعات الليلِ[١] .

حُدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ ، قال : آناءُ الليلِ ساعاتُ الليلِ[٢] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال ابنُ جريجٍ : قال عبدُ اللَّهِ بنُ كثيرٍ : سمِعنا العربَ تقولُ : آناءُ الليلِ ساعاتُ الليلِ .

وقال آخرون : آناءُ الليلِ جوفُ الليلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المفضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السديِّ : ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ : أمّا ﴿ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾: فجوفُ الليلِ[٣] .

وقال آخرون : بل عُنى بذلك قومٌ كانوا يُصَلُّون العشاءَ الآخِرَةَ[٤] .

= من هدايته . ينظر شرح أشعار الهذليين ٣/ ١٢٨٣.

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٩/٣ عقب الأثر (٤٠١٣) معلقا .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٩/٣ عقب الأثر (٤٠١٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٨/٣ عقب الأثر (٤٠١٠) من طريق عمرو ، عن أسباط به .

(٤) فى م : « الأخيرة » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثني محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبي نجيحٍ ، عن الحسنِ بنِ يزيدَ[1] العجليِّ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ في قولِه : ﴿ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ ﴾ : صلاةُ العَتَمةِ هم يُصَلُّونها ، ومَن سِواهم مِن أهلِ الكتابِ لا يُصَلِّيها[2] .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وهبٍ ، قال : ثني يحيى بنُ أيوبَ ، عن عبيدِ اللَّهِ بنِ زَحْرٍ ، عن سليمانَ ، عن زِرِّ بنِ حُبَيشٍ ، [٦/١١و] عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : احتبَس علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ ذاتَ ليلةٍ ، كان عندَ بعضِ أهلِه أو[3] نسائِه ، فلم يَأْتِنا لصلاةِ العشاءِ حتى ذهَب ليلٌ ، فجاء ومنّا المصلِّي ومنّا المضطجعُ ، فبشَّرنا وقال : « إنه لا يُصَلِّي هذه الصلاةَ أحدٌ مِن أهلِ الكتابِ » . فأنزَل اللَّهُ : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[4] .

حدَّثني يونسُ ، قال : ثنا عليُّ بنُ مَعْبَدٍ ، عن [5]أبي يحيى[5] الخراسانيِّ ، عن نصرِ ابنِ طَريفٍ ، عن عاصمٍ ، عن زرِّ بنِ حُبَيشٍ ، عن عبدِ اللَّهِ بنِ مسعودٍ ، قال : خرَج علينا رسولُ اللَّهِ ﷺ ونحن نَنْتَظِرُ العِشاءَ - يُريدُ العَتَمةَ - فقال لنا : « ما على الأرضِ أحدٌ مِن أهلِ الأديانِ يَنْتَظِرُ هذه الصلاةَ في هذا الوقتِ غيرُكم » . قال :

---

(١) في ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « أبي يزيد » .

(٢) أخرجه البخارى فى التاريخ الكبير ٣٠٨/٢، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٩/٣ (٤٠١٤) من طريق ابن أبى نجيح به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٥/٢ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر . وتقدم أوله فى ص ٦٩٢، ٦٩٣.

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « و » .

(٤) أخرجه الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٨ من طريق يونس به ، وأخرجه الطبرانى فى الكبير (١٠٢٠٩) ، وأبو نعيم فى الحلية ١٨٧/٤ من طريق يحيى بن أيوب به .

(٥ - ٥) فى س : « ابن أبى نجيح » .

فنزَلت : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾[1] .

وقال آخرون : بل عُنى بذلك قومٌ كانوا يُصَلُّون فيما بينَ المغربِ والعِشاءِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا الحسنُ بنُ يحيى ، قال : أخبَرنا عبدُ الرزاقِ ، قال : أخبَرنا الثوريُّ ، عن منصورٍ ، قال : / بلَغنى أنها نزَلت - : ﴿ لَيْسُوا سَوَآءً مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ - فيما بينَ المغربِ والعِشاءِ[2] . ٥٦/٤

وهذه الأقوالُ التى ذكَرتُها على اختلافِها متقاربةُ المعانى ، وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه وصَف هؤلاءِ القومَ بأنهم يَتْلُون آياتِ اللَّهِ فى ساعاتِ الليلِ ، وهى آناؤُه ، وقد يكونُ تاليها فى صلاةِ العشاءِ تاليًا لها آناءَ الليلِ ، وكذلك مَن تلاها فيما بينَ المغربِ والعشاءِ ، ومَن تلاها جوفَ الليلِ ، فكلٌّ تالٍ لها[3] ساعاتِ الليلِ . غيرَ أن أوْلى الأقوالِ بتأويلِ الآيةِ قولُ مَن قال : عُنى بذلك تلاوتُه[4] القرآنَ فى صلاةِ العشاءِ ؛ لأنها صلاةٌ لا يُصَلِّيها أحدٌ مِن أهلِ الكتابِ ، فوصَف اللَّهُ جل ثناؤه أمّةَ محمدٍ ﷺ بأنهم يُصَلُّونها دونَ أهلِ الكتابِ الذين كفَروا باللَّهِ ورسولِه .

وأما قولُه : ﴿ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ . فإن بعضَ أهلِ العربيةِ[5] زعَم أن معنى

---

(١) أخرجه أحمد ٣٠٤/٦ (٣٧٦٠) ، والنسائى فى الكبرى (١١٠٧٣) ، والبزار (٣٧٥) ، وأبو يعلى (٥٣٠٦) ، وابن أبى حاتم ٧٣٨/٣ (٤٠٠٨ ، ٤٠٠٩) ، وابن حبان (١٥٣٠) ، والواحدى فى أسباب النزول ص ٨٧، ٨٨ من طريق عاصم به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٥/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) تفسير عبد الرزاق ١/ ١٣١، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٣٩/٣ (٤٠١٢) من طريق الثورى به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٥/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « له » .

(٤) فى م ، ت ٢، ت ٣، س : « تلاوة » .

(٥) هو الفراء فى معانى القرآن ١/ ٢٣١.

السجودِ فى هذا الموضعِ اسمٌ للصلاةِ لا للسجودِ ؛ لأن التلاوةَ لا تكونُ فى السجودِ ولا فى الركوعِ ، فكأنَّ معنى الكلامِ كان[(١)] عندَه : يتلون آياتِ اللَّهِ آناءَ الليلِ وهم يُصلُّون .

وليس المعنى على ما ذهَب إليه ، وإنما معنى الكلامِ : مِن أهلِ الكتابِ أمةٌ قائمةٌ يَتْلُون آياتِ اللَّهِ آناءَ الليلِ فى صلاتِهم ، وهم مع ذلك يَسْجُدون فيها . فالسجودُ هو السجودُ المعروفُ فى الصلاةِ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ [٦/١١ظ] وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَأُولَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه : ﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ ﴾ : يُصَدِّقون باللَّهِ وبالبعثِ بعدَ المماتِ ، ويَعْلَمون أن اللَّهَ مُجازِيهم بأعمالِهم ، وليسوا كالمشركين الذين يَجْحَدُون وحدانيةَ اللَّهِ ، ويَعْبُدون معه غيرَه ، ويُكَذِّبون بالبعثِ بعدَ المماتِ ، ويُنْكِرون المجازاةَ على الأعمالِ ، والثوابَ والعقابَ .

وقولُه : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ . يقولُ : ويَأْمُرون الناسَ بالإيمانِ باللَّهِ ورسولِه وتصديقِ محمدٍ [(٢)]وما[(٢)] جاءهم به . ﴿ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ . يَقُولُ : ويَنْهونَ الناسَ عن الكفرِ باللَّهِ وتكذيبِ محمدٍ وما جاءهم به مِن عندِ اللَّهِ . يعنى بذلك أنهم ليسوا كاليهودِ والنصارى الذين يَأْمُرون الناسَ بالكفرِ باللهِ وتكذيبِ محمدٍ فيما جاءهم به ، ويَنْهونَهم عن المعروفِ مِن الأعمالِ ، وهو تصديقُ محمدٍ فيما أتاهم به مِن عندِ اللَّهِ ، ﴿ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ . يقولُ : ويَبْتَدِرون فعلَ الخيراتِ ؛ خشيةَ أن يَفُوتَهم ذلك قبلَ معاجَلتِهم مَنَاياهم .

---

(١) سقط من : م ، ت٢ ، ت ٣.

(٢ - ٢) فى الأصل : « بما » .

ثم أخبر جلَّ ثناؤه أنَّ هؤلاءِ الذين هذه صفتُهم مِن أهلِ الكتابِ ، هم مِن عِدادِ الصالحين ؛ لأن مَن كان منهم فاسقًا قد باء بغضبٍ مِن اللَّهِ ؛ لكفرِه باللَّهِ وآياتِه ، وقتلِهم الأنبياءَ بغيرِ حقٍّ ، وعصيانِه ربَّه ، واعتدائِه فى حدودِه .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾ .

٥٧/٤ /**اختلفت القرأةُ فى قراءةِ ذلك** ؛ فقرَأته عامةُ قرأةِ الكوفةِ : ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ . بالياءِ[1] جميعًا ، ردًّا على صفةِ القومِ الذين وصَفهم جلَّ ثناؤه بأنهم يَأْمُرون بالمعروفِ ويَنْهون عن المنكرِ .

وقرَأته عامةُ قرأةِ المدينةِ والحجازِ وبعضُ قرأةِ الكوفةِ ، بالتاءِ فى الحرفين جميعًا : (ومَا تَفْعَلُوا منْ خَيْرٍ فَلَن تُكْفَرُوهُ)[2] . بمعنى : وما تَفْعَلوا أنتم أيُّها المؤمنون مِن خيرٍ فلن يَكْفُرَكُمُوه ربُّكم .

وكان بعضُ قرأةِ أهلِ البصرةِ يَرَى القراءتين فى ذلك جائزًا بالياءِ والتاءِ فى الحرفين .

والصوابُ مِن القراءةِ فى ذلك عندَنا : ﴿ وَمَا يَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ . بالياءِ فى الحرفين كليهما ، يَعْنى بذلك الخبرَ عن الأمةِ القائمةِ ، التاليةِ آياتِ اللَّهِ . وإنما اختَرنا ذلك لأن ما قبلَ هذه الآيةِ مِن الآياتِ خبرٌ عنهم ، فإلحاقُ هذه الآيةِ - إذ كان لا دلالةَ فيها تدلُّ على الانصرافِ عن صفتِهم - بمعانى الآياتِ

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، وهى قراءة حمزة والكسائى وعاصم فى رواية حفص . ينظر حجة القراءات ص ١٧٠.

(٢) وهى قراءة ابن كثير ونافع وابن عامر وأبى عمرو البصرى وعاصم فى رواية أبى بكر عنه . ينظر السبعة لابن مجاهد ص ٢١٥.

قبلَها أولى مِن صرفِها عن معانى ما قبلَها .

وبالذى اختَرنا مِن القراءةِ كان ابنُ عباسٍ يَقْرأُ .

[٧/١١و] **حدَّثني** أحمدُ بنُ يوسفَ التَّغْلِبيُّ ، قال ثنا القاسمُ بنُ سلَّامٍ ، قال : ثنا حجاجٌ ، عن هارونَ ، عن أبى عمرِو بنِ العلاءِ ، قال : بلَغنى عن ابنِ عباسٍ أنه كان يَقْرَؤُهما جميعًا بالياءِ[1] .

فتأويلُ الآيةِ إذن على ما اخترنا مِن القراءةِ : وما تَفْعَلْ هذه الأمةُ من خيرٍ ، وتعملْ مِن عملٍ للَّهِ فيه رضًا ، فلن يَكْفُرَهم اللَّهُ ذلك . يَعْنى بذلك : فلن يُبْطِلَ اللَّهُ ثوابَ عملِهم ذلك ، ولا يَدَعَهم بغيرِ جزاءٍ منه لهم عليه ، ولكنَّه يُجْزِلُ لهم الثوابَ عليه ، ويُسْنى[2] لهم الكرامةَ والجزاءَ .

وقد دلَّلنا على معنى « الكفرِ » فيما مضَى قبلُ بشواهدِه ، وأن أصلَه تغطيةُ الشىءِ[3] . فكذلك ذلك فى قولِه : ﴿ فَلَن يُكْفَرُوهُ ﴾ : فلن يُغَطَّى على ما فعَلوا مِن خيرٍ ، فيُتْرَكُوا بغيرِ مجازاةٍ ، ولكنهم يُشْكَرون على ما فعَلوا مِن ذلك ، فيُجْزَلُ لهم الثوابُ منه .

وبنحوِ ما قلنا[4] مِن التأويلِ تأوَّل مَن تأوَّل ذلك مِن أهلِ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بشرٌ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زريعٍ ، قال ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : (وَما تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فلن تُكْفَرُوهُ) . يقولُ : لن يُضَلَّ عنكم[5] .

---

(١) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦٥ إلى المصنف .

(٢) يعنى : يزيد .

(٣) ينظر ما تقدم فى ١/ ٢٦٢.

(٤) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فى ذلك » .

(٥) عزاه السيوطى فى الدر ٢/٦٥ إلى المصنف وعبد بن حميد .

حدِّثتُ عن عمارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ،عن الربيعِ مثلَه[1] .

وأما قولُه : ﴿ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ . فإنه يقولُ تعالى ذكرُه : واللَّهُ ذو علمٍ بمن اتَّقاه بطاعتِه واجتنابِ معاصِيه ، وحافظَ أعمالَهم الصالحةَ حتى يُثيبَهم عليها ، ويجازِيَهم بها ؛ تبشيرًا منه لهم جلَّ ذكرُه فى عاجلِ الدنيا ، وحضًّا لهم على التمسكِ بالذى هم عليه مِن صالحِ الأخلاقِ التى ارتَضاها لهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١٦﴾ ﴾ .

٤/٥٨ /وهذا وعيدٌ من اللَّهِ جل ثناؤه للأُمةِ الأُخرى الفاسقةِ من أهلِ الكتابِ ، الذين أخبَر عنهم بأنهم فاسقون ، وأنهم قد باءُوا بغضبٍ منه ، ولمن كان من نُظَرائِهم من أهلِ الكفرِ باللَّهِ ورسولِه ، وما جاء به محمدٌ ﷺ من عندِ اللَّهِ . يقولُ تعالى ذكرُه : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ . يعنى : الذين جَحَدوا نُبوَّةَ محمدٍ ﷺ ، وكذَّبوا به ، وبما جاءهم به من عندِ اللَّهِ ، ﴿ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ ، يعنى : لن تَدْفَعَ أموالُه التى جمَعها فى الدنيا ، وأولادُه الذين رَبَّاهم فيها ، شيئًا من عقوبةِ اللَّهِ يومَ القيامةِ ، إن أَخَّرَها لهم إلى يومِ القيامةِ ، ولا فى الدنيا إن عَجَّلَها لهم فيها .

وإنما خَصَّ أموالَه وأولادَه ؛ [١١/٧ظ] لأن أولادَ الرجلِ أقربُ أنْسِبائِه إليه ، وهو على مالِه أقدرُ[2] منه على مالِ غيرِه ، وأمرُه فيه أجوزُ من أمرِه فى مالِ غيرِه ، فإذا لم يُغْنِ عنه ولدُه لصُلْبِه ، ومالُه الذى هو نافِذُ الأمرِ فيه ، فغيرُ ذلك من أقربائِه وسائرِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/٧٤٠ (٤٠٢٠) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أقرب » .

أنسبائِه وأموالِهم ، أبعدُ من أن تُغْنِيَ عنه من اللَّهِ شيئًا .

ثم أخبَر جلّ ذكرُه أنهم هم أهلُ النارِ الذين هم أهلُها بقولِه : ﴿ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ ﴾ . وإنما جعَلَهم أصحابَها ؛ لأنهم أهلُها الذين لا يخرُجون منها ولا يُفارِقونها ، كصاحبِ الرجلِ الذى لا يُفارِقُه ، وقَرِينِه الذى لا يُزايِلُه ، ثم وَكَّدَ ذلك بإخبارِه عنهم أنهم فيها خالدون : إنَّ[1] صُحْبَتَهم إيَّاها صحبةٌ لا انقِطاعَ لها ، إذْ كان من الأشياءِ ما يُفارِقُ صاحبَه فى بعضِ الأحوالِ ، ويُزايِلُه فى بعضِ الأوقاتِ ، وليس كذلك صحبةُ الذين كفَروا باللهِ النارَ التى أُصْلُوها ،ولكنها صحبةٌ دائمةٌ لا نهايةَ لها ولا انقطاعَ ، نعوذُ باللَّهِ منها ، ومما قرَّب منها من قولٍ وعملٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤُه : شَبَهُ ما يُنْفِقُ الذين كفروا - أى : شَبَهُ ما يَتَصدَّقُ به الكافرُ من مالِه ، فيُعْطِيه مَن يُعطِيه على وَجْهِ القُربةِ إلى ربِّه ، وهو لوحدانيةِ اللَّهِ جاحدٌ ، ولمحمدٍ نبيِّه ﷺ مُكذِّبٌ ، فى أنَّ ذلك غيرُ نافعِه مع كُفْرِه ، وأنه مُضْمَحِلٌّ عندَ حاجتِه إليه ، ذاهبٌ بعدَ الذى كان يَرْجو من عائدةِ نَفْعِه عليه - كشَبَهِ ﴿ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ ﴾ يعنى : فيها[2] بَرْدٌ شديدٌ ، ﴿ أَصَابَتۡ ﴾ هذه الريحُ التى فيها البَرْدُ الشديدُ : ﴿ حَرۡثَ قَوۡمٖ ﴾ . يعنى : زرعَ قومٍ ، قد أمَّلُوا إدراكَه ، ورَجَوا رَيْعَه ، وعائدةَ نَفْعِه ، ﴿ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ﴾ . يعنى : أصحابَ الزرعِ ، عَصَوا اللَّهَ وتَعَدَّوا حدودَه ؛ ﴿ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ ﴾ ، يقولُ : فأهلَكَت الريحُ التى فيها الصِّرُّ زرعَهم ذلك ، بعدَ الذى كانوا عليه من الأملِ ، ورجاءِ عائدةِ نَفْعِه عليهم .

---

(١) سقط من : م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٢ - ٢) سقط من : م .

يقولُ تعالى ذكرُه : فكذلك فِعْلُ اللَّهِ بنفقةِ الكافرِ وصدقتِه فى حياتِه حينَ يَلْقاه ، يُبْطِلُ ثَوابَها ، ويُخيبُ رجاءَه منها .

وخَرَج المثَلُ للنفقةِ ، والمرادُ بالمثَلِ صنيعُ اللَّهِ بالنفقةِ ، يُبيِّنُ ذلك قولُه : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . فهو كما قد بيَّنَّا فى مثلِه من قولِه : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾ [البقرة : ١٧] . وما أشبَه ذلك .

فتأويلُ الكلامِ : مَثَلُ إبطالِ اللَّهِ أجرَ ما يُنْفِقون فى هذه الحياةِ الدنيا ، كمثلِ ريحٍ فيها صِرٌّ . وإنما جاز/ تَرْكُ ذِكْرِ إبطالِ اللَّهِ أجرَ ذلك لدلالةِ آخرِ الكلامِ عليه ، وهو قولُه : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . ولمعرفةِ السامعِ [٨/١١و] ذلك معناه . ٥٩/٤

واختلف أهلُ التأويلِ فى معنى « النفقةِ » التى ذكَرها فى هذه الآيةِ ؛ فقال بعضُهم : هى النَّفقةُ المعروفةُ فى الناسِ .

ذكرُ من قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ ، فى قولِ اللَّهِ عزّ وجلّ : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . قال : نَفَقةُ الكافرِ فى الدنيا(١) .

وقال آخرون : بل(٢) الذى يقولُه بلسانِه مما لا يُصَدِّقُه قلبُه(٣) .

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٤١ (٤٠٢٤) من طريق ابن أبى نجيح به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٥/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « ذلك قوله » .

(٣) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، س : « بقلبه » .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنى محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنى أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ﴾ . يقولُ : مَثَلُ ما يُنْفِقُ[١] فلا يُقْبَلُ منه كمثلِ هذا الزرعِ إذا زَرَعه القومُ الظالمون ، فأصابَتْه ريحٌ فيها صِرٌّ ، أصابَته فأهلَكته . فكذلك أنفقوا ، فأهلَكَهم شِرْكُهم[٢] .

وقد بَيَّنَّا أولى ذلك بالصوابِ قبلُ .

وقد تقدَّم بَيانُنا تأويلَ : ﴿ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ . بما فيه الكفايةُ من إعادتِه فى هذا الموضعِ[٣] .

وأما الصِّرُّ فإنه شدةُ البَرْدِ ، وذلك بعُصُوفٍ من الشمالِ فى إعصارِ الطَّلِّ والأَنْدَاءِ ، فى صبيحةٍ مُغيمةٍ[٤] بعَقِبِ ليلةٍ مُصْحِيَةٍ .

كما حدَّثنا حُمَيدُ بنُ مَسْعَدةَ ، قال : ثنا يزيدُ بنُ زُرَيعٍ ، عن عثمانَ بنِ غِيَاثٍ ، قال : سمِعتُ عِكْرِمةَ يقولُ : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قال : بَرْدٌ شَديدٌ[٥] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، قال : قال لى ابنُ جُرَيجٍ : قال ابنُ عباسٍ : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قال : بَرْدٌ شديدٌ وزَمْهَريرٌ .

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « يقول » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤١/٣ (٤٠٢٨) من طريق أحمد بن مفضل به .

(٣) ينظر ما تقدم فى ٢١٦/٢، ٦٠٥/٣ .

(٤) فى م : « معتمة » . ومعنى الكلام فى صبيحة لا يرى فيها شمس من شدة الدَّجْن ، تعقب ليلة انقشع عنها الغيم . اللسان (غ ى م ، ص ح و) .

(٥) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) معلقًا .

حدَّثنا عليُّ بنُ داودَ ، قال : ثنا عبدُ اللَّهِ بنُ صالحٍ ، قال : ثنى معاويةُ ، عن عليٍّ ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . يقولُ : بَرْدٌ .

حدَّثنا ابنُ وَكيعٍ ، قال : ثنا أبى ، عن سفيانَ ، عن هارونَ بنِ عنترةَ ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : الصِّرُّ البَرْدُ[1] .

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . أى بَرْدٌ شديدٌ[2] .

حُدِّثتُ عن عَمَّارٍ ، قال : حدثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[3] .

حدَّثنا محمدٌ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : « الصِّرُّ » : البردُ[4] .

٤/٦٠ /حدَّثنا محمد بنُ سعدٍ ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . يقولُ : ريحٌ فيها بَرْدٌ .

حدَّثنى يونسُ ، قال : أخبَرنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قال : صِرٌّ باردةٌ أهلكَت حَرْثَهم . قال : والعربُ تَدْعوها الضَّريبَ . تأتى الريحُ باردةً ، فتُصبحُ ضَريبًا قد احْتَرق الزرعُ . تقولُ : ضُرِب الليلةَ . أصابه ضَريبٌ ، تلك الصِّرُّ التى أصابَته .

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور فى سننه (٥٢٢ - تفسير) ، وابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤١/٣ (٤٠٢٥) من طريق عنترة به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٥/٢ إلى الفريابى وعبد بن حميد وابن المنذر .

(٢) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) معلقا .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) بعده فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « الشديد » .

والأثر أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) من طريق عمرو بن حماد ، عن أسباط به .

حدَّثنى يحيى بنُ أبى طالبٍ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا جُوَيبرٌ ، عن الضحاكِ : ﴿ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ ﴾ . قال : رِيحٌ فيها بَرْدٌ[1] .

[١١/٨ظ] **القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (١١٧)﴾.**

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : وما فعَل اللَّهُ بهؤلاءِ الكفارِ ما فعَل بهم ، من إحباطِه ثوابَ أعمالِهم وإبطالِه أجورَها ؛ ظُلْمًا منه لهم ، يعنى : وَضْعًا منه لِما فعَل بهم من ذلك فى غيرِ مَوْضعِه ، وعندَ غيرِ أهلِه ، بل وَضَع فعلَه ذلك فى مَوْضعِه ، وفعَل بهم ما هم أهلُه ؛ لأن عَمَلَهم الذى عَمِلوه لم يكنْ للَّهِ وهم له بالوحدانيةِ دائِنون ، ولأمرِه مُتَّبِعون ، ولرسلِه مُصَدِّقون ، بل كان ذلك منهم وهم به مشركون ، ولأمرِه مخالِفون ، ولرسلِه مُكذِّبون ، بعدَ تَقَدُّمٍ منه إليهم أنه لا يَقْبَلُ عملًا من عاملٍ ، إلا مع إخلاصِ التوحيدِ له ، والإقرارِ بنُبوّةِ أنبيائِه ، وتصديقِ ما جاءوهم به ، وتوكيدِه الحُجَجَ بذلك عليهم ، فلم يكنْ بفعلِه ما فعَل بمَن كفَر به ، وخالَف أمرَه فى ذلك ، بعدَ الإعذارِ إليه ، من إحباطِ أجرِ[2] عملِه ، له ظالمًا ، بل الكافرُ[3] هو الظالمُ نفسَه ، لإكسابِها من معصيةِ اللَّهِ ، وخلافِ أمرِه ، ما أورَدها به نارَ جهنمَ ، وأصلَاها به سعيرَ سَقَرَ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ .

يعنى بذلك جل ذكرُه : يا أيها الذين صَدَّقوا اللَّهَ ورسولَه ، وأقرُّوا بما جاءهم به نَبِيُّهم من عندِ ربِّهم ، ﴿ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً ﴾ . يقولُ : لا تتخِذوا أولياءَ وأصدقاءَ

---

(١) ذكره ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤١/٣ عقب الأثر (٤٠٢٥) معلقًا .

(٢) فى ص : « وفر » ، وفى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « وافر » .

(٣) بعده فى الأصل : « و » .

لأنفسِكم ﴿ مِّن دُونِكُمْ ﴾ . يقولُ : من دونِ أهلِ دينِكم ومِلَّتِكم . يعنى : من غيرِ المؤمنين . وإنما جعَل البطانةَ مَثَلًا لخليلِ الرجلِ ، فَشَبَّهَه بما وَلِى بطنَه من ثيابِه ؛ لحلولِه[1] منه فى اطِّلاعِه على أسرارِه وما يَطْويه عن أباعدِه وكثيرٍ من أقاربِه ، مَحِلَّ ما وَلِى جَسَدَه من ثيابِه .

فنَهَى اللَّهُ المؤمنين به أن يتخِذوا من الكفارِ به أخِلَّاءَ وأصفياءَ ، ثم عَرَّفهم ما هم عليه لهم مُنْطَوون ، من الغِشِّ والخيانةِ ، وبُغْيَتِهم[2] إيَّاهم الغَوائلَ ، مُحَذِّرَهم بذلك منهم ومن[3] مُخَالَّتِهم ، فقال تعالى ذكرُه : ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ . يعنى : لا يستطيعونكم شَرًّا . من : أَلَوتُ آلُو أَلْوًا . يقالُ : ما أَلَا فلانٌ كذا . أى : ما استطاع ، كما قال الشاعرُ[4] :

٦١/٤ /جَهْراءُ لا تَأْلُو إذا هى أظهَرَت بَصَرًا ولا مِن عَيْلَةٍ تُغْنِينى

يعنى : لا تستطيعُ عندَ الظهرِ إبصارًا . [٩/١١و]

وإنما يعنى جلّ ذكرُه بقولِه : ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ . البِطانةَ التى نهَى المؤمنين عن اتخاذِها من دونِهم ، فقال : إن هذه البِطانةَ لاتَتْرُكُكم طاقتَها خَبالًا . أى : لا تَدَعُ جهدَها فيما أورَثكم الخبالَ .

وأصلُ الخَبْلِ والخَبالِ الفسادُ ، ثم يُستعملُ فى معانٍ كثيرةٍ ، يدُلُّ على ذلك الخبرُ عن النبىِّ ﷺ : « مَن أُصِيب بخَبْلٍ أو جِراحٍ »[5] .

---

(١) فى الأصل : « لجلوله » .

(٢) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « بغيهم » .

(٣) فى الأصل : « عن » .

(٤) هو أبو العيال الهذلى ، والبيت فى ديوان الهذليين ٢/ ٢٦٣.

(٥) أخرجه أحمد ٢٩٦/٢٦، ٢٩٧ (١٦٣٧٥) ، والدارمى ٢/ ١٨٨، وأبو داود (٤٤٩٦) ، وابن ماجه (٢٦٢٣) من حديث أبى شريح الخزاعى .

وأما قولُه : ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ . فإنه يعنى : وَدُّوا عَنَتَكم . يقولُ : يَتَمَنَّون لكم العَنَتَ والشَّرَّ فى دينِكم ، وما يسوءُكم ولا يَسُرُّكم .

وذُكِر أن هذه الآيةَ نَزَلَت فى قومٍ من المسلمين كانوا يُخالِطون حلفاءَهم من اليهودِ وأهلِ النفاقِ منهم ، ويُصافونهم المَوَدَّةَ ، بالأسبابِ التى كانت بينَهم فى جاهليتِهم قبلَ الإسلامِ ، فَنَهاهم اللَّهُ عن ذلك ، وأن يَسْتَنصِحوهم فى شىءٍ من أمورِهم .

ذكرُ [(١)] الخبرِ بذلك [(١)]

حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : قال محمدُ ابنُ أبى محمدٍ ، عن عِكْرِمَةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ ، قال : كان رجالٌ من المسلمين يواصِلون رجالًا من يهودَ ؛ لِما كان بينَهم من الجِوارِ والحِلْفِ فى الجاهليةِ ، فأنزَل اللَّهُ تبارك وتعالى فيهم ، يَنْهاهم عن مُباطَنتِهم ؛ تَخَوُّفَ الفتنةِ عليهم منهم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ . إلى قولِه : ﴿وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾[(٢)] .

حدَّثنى محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، قال : ثنا عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ فى قولِ اللَّهِ تبارك وتعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ : فى المنافِقين من أهلِ المدينةِ ، نهَى اللَّهُ جل ثناؤه المؤمنين أن يَتولَّوهم[(٣)] .

(١ - ١) فى ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س : « من قال ذلك » .

(٢) سيرة ابن هشام ٥٥٨/١، وذكره الواحدى فى أسباب النزول ص ٨٨ عن ابن عباس معلقًا ، وأخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٣/٣ (٤٠٣٧) من طريق سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبى محمد قوله . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٨، ومن طريقه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٢/٣ (٤٠٣٤) ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ ﴾ : نهَى اللَّهُ جلّ ثناؤُه المؤمنين أن يَسْتدخِلوا المنافِقين أو يُؤاخوهم ، أو[1] يَتولَّوهم من دونِ المؤمنين[2] .

حدَّثني محمدُ بنُ سعدٍ ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابنِ عباسٍ قولَه : ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ : هم المنافِقون[3] .

٦٢/٤ /حُدِّثتُ عن عَمّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه عن الربيعِ قولَه : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ . يقولُ : لا تَسْتدخِلوا المنافِقين ، فتَولَّوْهم دونَ المؤمنينَ[4] .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ويعقوبُ بنُ إبراهيمَ ، قالا : ثنا هُشَيمٌ ، قال : أخبَرنا العَوَّامُ بنُ حَوشبٍ ، عن الأزهرِ بنِ راشدٍ ، عن أنسِ بنِ مالكٍ ، قال : قال رسولُ اللَّهِ ﷺ : « لاتَسْتَضِيئوا بنارِ أهـلِ الشِّركِ ، ولا تَنْقُشوا فى خَواتيمِكم عَرَبِيًّا » . [٩/١١ظ] قال : فلم يَدْرُوا ما ذلك حتى أتَوا الحسنَ فسألوه ، فقال : نعم ، أما قولُه : « لاتَنْقُشوا فى خَواتيمِكم عَرَبِيًّا » . فإنه يقولُ : لاتَنْقُشوا فى خَواتيمِكم محمدًا . وأما قولُه : « ولا تَسْتَضِيئوا بنارِ أهلِ الشركِ » . فإنه يعنى به المشركين ، يقولُ لاتَسْتَشيروهم فى شيءٍ من أمورِكم . قال : وقال الحسنُ : وتصديقُ ذلك فى كتابِ اللَّهِ . ثم تَلا هذه الآيةَ : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾[5] .

---

(١) فى ص ، ت ٢: « أن » ، وفى م ، ت ١ ، س : « أى » .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٣/٣ (٤٠٣٥) من طريق شيبان ، عن قتادة .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٢/٣ (٤٠٣٣) عن محمد بن سعد به .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٣/٣ عقب الأثر (٤٠٣٥) من طريق ابن أبى جعفر به ،

(٥) أخرجه بتمامه أبو يعلى - كما فى تفسير ابن كثير ٨٩/٢، ومسدد - كما فى المطالب العالية (٢٤٧٩) - والبيهقى ١٢٧/١٠، وفى الشعب (٩٣٧٥) من طريق هشيم به ، وأخرجه أحمد =

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا [١/٤٤٧و] أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ : أما البِطانةُ ، فهم المنافِقون[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ قولَه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ الآية . قال : لايَسْتدخِلُ المؤمنُ المنافقَ دونَ أخيه .

حدَّثني يونسُ ، قال : أخبَرَنا ابنُ وَهْبٍ ، قال : قال ابنُ زيدٍ في قولِه : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾ الآية . قال : هؤلاء المنافِقون ، وقرَأ قولَه : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ الآية .

واختَلفوا في تأويلِ قولِه : ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ ؛ **فقال بعضُهم** : معناه : وَدُّوا ما ضَلَلْتم عن دينِكم .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّيِّ : ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ . يقولُ : ما ضَلَلْتم[2] .

وقال آخرون بما حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ : ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ . يقولُ : في دينِكم ، يعني أنهم يَوَدُّون أن تَعْنَتوا في دينِكم .

فإن قال لنا قائلٌ : وكيف قيل : ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ . فجاء بالخبرِ عن البِطانةِ

= ١٨/١٩(١١٩٥٤) ، والنسائي (٥٢٢٤) وغيرهما من طريق هشيم به - بدون ذكر تفسير الحسن - وعزاه السيوطي في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد وابن المنذر .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ عقب الأثر (٤٠٣٥) من طريق عمرو بن حماد ، أسباط به .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٣/٣ (٤٠٤٠) من طريق أسباط به .

بلفظِ الماضى فى مَحِلِّ الحالِ والقَطْعِ ، بعدَ تَمامِ الخبرِ ، والحالاتُ لا تكونُ إلا بصُورِ الأسماءِ أو الأفعالِ المَستقبَلةِ ، دونَ الماضيةِ منها ؟

قيل : ليس الأمرُ فى ذلك على ما ظَنَنتَ من أن قولَه : ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ حالٌ للبِطانةِ(١) ، وإنما هو خبرٌ عنهم ثانٍ ، منقطعٌ عن الأوَّلِ ، غيرُ مُتَّصِلٍ به .

وإنما تأويلُ الكلامِ : يا أيُّها الذين آمنوا لاتتَّخِذوا بِطانةً صِفَتُهم كذا ، صِفَتُهم كذا . فالخبرُ عن الصفةِ الثانيةِ غيرُ مُتَّصِلٍ بالصفةِ الأولى ، وإن كانَتا جميعًا من صفةِ شخصٍ واحدٍ .

٦٣/٤ /وقد زعَم بعضُ أهلِ العربيةِ أن قولَه : ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ . من صلةِ البِطانةِ ، (٢)وأن معنى ذلك : لا تتَّخِذوا بطانةً ودُّوا - أى : أحَبُّوا - ما عنِتُّم .

وليس لهذا القولِ الذى قاله صاحبُ هذه المقالةِ وجهٌ معروفٌ ؛ وذلك أن البِطانةَ(٢) قد وُصِلَت بقولِه : ﴿ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ﴾ . فلا وَجْهَ لصلةٍ أخرى بعدَ تَمامِ البِطانةِ بصِلتِه ، ولكنّ القولَ فى ذلك كما بَيَّنا قبلُ من أن قولَه : ﴿ وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ ﴾ . خبرٌ مبتدأٌ عن البِطانةِ غيرُ الخبرِ الأولِ ، وغيرُ حالٍ من البِطانةِ ولا قَطْعٍ منها .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ .

يعنى بذلك تعالى ذكرُه : قد بَدَت بَغْضاءُ هؤلاء الذين نَهَيْتُكم أيُّها المؤمنون أن تَتَّخِذوهم [١١/١٠و] بِطانةً من دونِكم ، لكم بأفواهِهم ، يعنى : بألسنتِهم ، والذى بَدا لهم منهم بألسنتِهم ، إقامتُهم على كُفرِهم ، وعداوتُهم مَن خالَف ما هم عليه مُقِيمون من الضَّلالةِ ، فذلك من أوكدِ الأسبابِ فى مُعاداتِهم أهلَ الإيمانِ ؛ لأن ذلك

---

(١) فى ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « من البطانة » .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س ، وفى م : « و » .

عداوةٌ على الدِّينِ ، والعداوةُ على الدينِ العداوةُ التى لا زَوالَ لها إلا بانتقالِ أحدِ المتَعادِيَين إلى مِلَّةِ الآخرِ منهما ، وذلك انتقالٌ مِن هدًى إلى ضلالةٍ ، كانت عندَ المُنْتقِلِ إليها ضَلالةً قبلَ ذلك ، فكان فى إبدائِهم ذلك للمؤمنين ومُقامِهم عليه ، أبْيَنُ الدلالةِ لأهلِ الإيمانِ على ماهم عليه لهم[1] من البَغْضاءِ والعَداوةِ .

وقد قال بعضُهم : معنى قولِه : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ : قد بَدَت بَغْضاؤُهم لأهلِ الإيمانِ إلى أوليائِهم من المنافِقين وأهلِ الكفرِ ، بإطْلاعِ بعضِهم بعضًا على ذلك .

وزعَم قائِلو هذه المقالةِ أن الذين عُنُوا بهذه الآيةِ أهلُ النفاقِ ، دونَ مَن كان مُصَرِّحًا بالكفرِ من اليهودِ وأهلِ الشِّرْكِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ . يقولُ : قد بَدَت البغضاءُ من أفواهِ المنافِقين إلى إخوانِهم من الكفارِ ، مِن غِشِّهم للإسلامِ وأهلِه ، وبُغْضِهم إياهم[2] .

حُدِّثتُ عن عَمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ : ﴿ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ . يقولُ : من أفواهِ المنافِقين[3] .

وهذا القولُ الذى ذكَرناه عن قتادةَ قولٌ لا معنى له ، وذلك أن اللَّهَ تعالى ذكرُه إنما نهَى المؤمنين أن يَتَّخِذوا بِطانةً ممن قد عَرَفوه بالغِشِّ للإسلامِ وأهلِه والبَغْضاءِ ؛ إما

---

(١) سقط من : م .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٤/٣ (٤٠٤٢) من طريق شيبان ، عن قتادة ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٤/٣ عقب الأثر (٤٠٤٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

بأدلةٍ ظاهرةٍ دَالَّةٍ على أن ذلك من صِفَتِهم ، وإما بإظهارِ الموصوفين بذلك العداوةَ والشَّنآنَ وبالمُناصَبةِ لهم ، فأما مَن لم يُثْبِتوه[1] معرفةً أنه الذى نَهاهم اللَّهُ عزّ وجلّ عن مُخالَّتِه ومُباطَنتِه ، فغيرُ جائزٍ أن يكونوا نُهُوا عن مُخالَّتِه ومُصادقتِه ، إلا بعدَ تعريفِهم إياهم ، إما بأعيانِهم وأسمائِهم ، وإما بصفاتٍ قد عرَفوهم بها .

وإذ كان ذلك كذلك ، وكان إبداءُ المنافِقين بألسنتِهم ما فى قلوبِهم من بَغْضاءِ المؤمنين إلى إخوانِهم من الكفارِ ، غيرَ مُدْرِكٍ به المؤمنون معرفةَ ما هم عليه لهم ، مع إظهارِهم الإيمانَ بألسنتِهم لهم ، والتَّوَدُّدِ إليهم ، كان بَيِّنًا أن الذى نهَى اللَّهُ المؤمنين عن اتِّخاذِهم لأنفسِهم بِطانةً دونَهم ، هم الذين قد ظهَرَت لهم بَغْضاؤُهم بألسنتِهم ، على ما وصَفهم اللَّهُ تبارك وتعالى به ، فعَرَفهم المؤمنون بالصفةِ التى نَعَتَهم اللَّهُ بها ، وأنهم هم الذين وصَفهم تعالى ذكرُه بأنهم أصحابُ النارِ هم فيها خالدون ، ممن كان له ذِمَّةٌ وعهدٌ من رسولِ اللَّهِ ﷺ وأصحابِه ، من أهلِ /الكتابِ ؛ لأنهم لو كانوا المنافقين ، لكان الأمرُ فيهم على ما قد بيَّنا ، ولو كانوا الكفارَ [١١/١٠ظ] ممن قد ناصَب المؤمنين الحربَ ، لم يكنِ المؤمنون مُتَّخِذيهم لأنفسِهم بِطانةً من دونِ المؤمنين مع اختلافِ بلادِهم ، وافتراقِ أمصارِهم ، ولكنهم الذين كانوا بينَ أظْهُرِ دُورِ[2] المؤمنين من أهلِ الكتابِ ، أيامَ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، ممن كان له مِن رسولِ اللَّه ﷺ عهدٌ وعقدٌ ، من يهودِ بنى إسرائيلَ . ٦٤/٤

والبَغْضاءُ مصدرٌ ، وقد ذُكِر أنها فى قراءةِ ابنِ مسعودٍ[3] : (قَدْ بَدَا البَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) . على وَجْهِ التذكيرِ ، وإنما جاز ذلك بالتَّذكيرِ ولَفْظُه لَفْظُ المؤنثِ ؛ لأن المصادرَ تأنيثُها ليس بالتأنيثِ اللازمِ ، فيجوزُ تذكيرُ ما خرَج منها على لفظِ

---

(١) لم يثبتوه : لم يعرفوه حق المعرفة .

(٢) سقط من : م .

(٣) معانى القرآن للفراء ١/ ٢٣١، البحر المحيط ٣/ ٣٨.

المؤنثِ وتأنيثُه ، كما قال اللهُ جل ثناؤُه : ﴿ وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [هود : ٦٧] . وكما قال : ﴿ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾ [الأنعام : ١٥٧] . وفى موضعٍ آخَرَ : ﴿ وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [هود : ٩٤] ، و﴿ جاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ [الأعراف : ٧٣، ٨٥] .

وقال : ﴿ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ﴾ وإنما بَدا ما بَدا من البغضاءِ منهم[١] بألسنتِهم ؛ لأن المعنىَّ به الكلامُ الذى ظهَر للمؤمنين منهم من أفواهِهم ، فقال : قد بدَتِ البغضاءُ بألسنتِهم من أفواهِهم .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ .

يعنى جل ثناؤه بذلك : والذى تُخْفِى ﴿صُدُورُهُمْ﴾ . يعنى : صدورُ هؤلاء الذين نَهاهم عن اتخاذِهم بِطانةً ، فتَخْبِئُه[٢] عنكم أيُّها المؤمنون ، ﴿أَكْبَرُ﴾ . يقولُ : أكبرُ مما قد بَدا لكم بألسنتِهم من أفواهِهم من البَغْضاءِ وأعظمُ .

كما حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ . يقولُ : وما تُخْفِى صدورُهم أكبرُ مما قد أبدَوا بألسنتِهم[٣] .

حُدِّثتُ عن عَمَّارٍ ، عن ابنِ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ . يقولُ : ما تُكِنُّ صدورُهم أكبرُ مما قد أبدَوا بألسنتِهم[٤] .

القولُ فى تأويل قولِه : ﴿ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : قد بيَّنّا لكم أيُّها المؤمنون ﴿ ٱلْءَايَٰتِ ﴾ . يعنى بالآيات

---

(١) سقط من : ص ، م ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س .

(٢) فى م ، ت ٢، ت ٣، س : « فتخفيه » .

(٣) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى المصنف وعبد بن حميد .

(٤) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٤/٣ (٤٠٤٣) من طريق ابن أبى جعفر به .

العبَرَ . يقولُ : قد بيَّنا لكم من أمرِ هؤلاء اليهودِ الذين نَهَيناكم أن تتَّخِذوهم بِطانةً من دونِ المؤمنين ، ماتَعْتَبِرون وتتَّعِظون به من أمْرِهم ﴿ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ . يعنى : إن كنتم تَعْقِلون عن اللَّهِ مَواعظَه ، وأمرَه ونهيَه ، وتعرِفون مواقعَ نَفْعِ ذلك منكم ، ومَبْلَغَ عائدتِه عليكم .

[١١/١١و] **القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ .**

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : ها أنتم أيُّها المؤمنون الذين ﴿ تُحِبُّونَهُمْ ﴾ . يقولُ : تُحِبُّون هؤلاء الكفارَ الذين نَهَيتُكم/ عن اتِّخاذِهم بِطانةً من دونِ المؤمنين ، فتَوَدُّونهم وتُواصِلونهم ، وهم لا يُحِبُّونكم ، بل يَنْطَوُون[1] لكم على[2] العداوةِ والغِشِّ ، ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ . ٤/٦٥

ومعنى الكتابِ فى هذا الموضعِ معنى الجمعِ ، كما يقالُ : كثُر الدِّرْهَمُ فى أيدى الناسِ . بمعنى : الدَّراهم . فكذلك قولُه : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ . إنما معناه : بالكُتُبِ كلِّها ؛ كتابِكم الذى أنزَله اللَّهُ تبارك وتعالى إليكم ، وكتابِهم الذى أنزَله إليهم ، وغيرِ ذلك من الكتبِ التى أنزَلها اللَّهُ تعالى ذكرُه على عبادِه .

يقولُ جل ثناؤُه : فأنتم - إذ كنتم أيُّها المؤمنون تُؤمِنون بالكُتُبِ كُلِّها ، وتعلَمون أن الذين نَهَيتُكم عن أن تتَّخِذوهم بِطانةً من دونِكم ، كفارٌ بذلك كلِّه ؛ بجُحودِهم [3]ما فى[3] ذلك كلِّه ، من عُهودِ اللَّهِ إليهم ، وتَبديلِهم ما فيه من أمرِ اللَّهِ ونَهْيِه - أولى بعَداوتِكم إياهم ، وبَغْضائِهم وغِشِّهم ، منهم بِعَداوَتِكم وبَغْضائِكم ، مع جُحودِهم بعضَ الكتبِ ، وتكذيبِهم ببعضِها .

---

(١) فى م ، ت ٢، ت ٣، س : « ينتظرون » ، وفى ت ١ : « ينظرون » .
(٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت٣ ، س .
(٣ - ٣) سقط من م ، س ، وفى ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ : « فى » .

كما حدَّثنا ابنُ حُمَيدٍ ، قال : ثنا سَلَمةُ ، عن محمدِ بنِ إسحاقَ ، قال : ثنى محمدُ بنُ أبى محمدٍ ، عن عِكْرمةَ ، أو عن سعيدِ بنِ جُبَيرٍ ، عن ابنِ عباسٍ : ﴿ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَـٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ . أى : بكتابِكم وكتابِهم ، وبما مضَى من الكتبِ قبلَ ذلك ، وهم يكفُرون بكتابِكم ، فأنتم أحقُّ بالبَغْضاءِ لهم ، منهم لكم[1] .

وقال : ﴿ هَـٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ ﴾ . ولم يَقُلْ : هؤلاء[2] أنتم . ففرَّق بينَ « ها » و « أولاءِ » ، بكنايةِ اسمِ المخاطَبين ؛ لأن العربَ كذلك تفعَلُ فى « هاذا » ، إذا أرادَت به التقريبَ ومَذْهبَ النُّقْصانِ الذى يَحتاجُ إلى تَمامِ الخبرِ ، وذلك مثلُ أن يقالَ لبعضِهم : أين أنت ؟ فيجيبُ المقولُ ذلك له : ها أنا ذا . فتُفَرِّقُ بينَ التَّنبيهِ ، و « ذا »[3] بمَكْنِيِّ اسمِ نفسِه ،ولا يَكادون يقولون : هذا أنا . ثم يُثَنَّى ويُجْمَعُ على ذلك ، وربما أعادوا حرفَ التَّنْبيهِ مع « ذا » ، فقالوا : ها أنا هذا . ولا يفعَلون ذلك إلا فيما كان تقريبًا ، فأما إذا كان على غيرِ التَّقريبِ والنقصانِ ، قالوا : هذا هو ، وهذا أنت . وكذلك يفعَلون مع الأسماءِ الظاهرةِ ، يقولون : هذا عمرٌو قائمًا وإن كان « هذا » تَقْريبًا . وإنما فعَلوا ذلك فى المكْنِيِّ مع التقريبِ ؛ تَفْرقةً بينَ « هذا » إذا كان بمعنى الناقصِ الذى يحتاجُ إلى تَمامٍ ، وبينَه إذا كان بمعنى الاسمِ الصحيحِ .

وقولُه : ﴿ تُحِبُّونَهُمْ ﴾ خبرٌ للتقريبِ .

وفى هذه الآيةِ إبانةٌ مِن اللَّهِ تعالى ذكرُه عن حالِ الفريقَين - أعنى المؤمنين والكافرين - ورحمةِ أهلِ [١١/١١ظ] الإيمانِ ورَأْفتِهم بأهلِ الخلافِ لهم ، وقَساوةِ قلوبِ أهلِ الكفرِ وغِلْظتِهم على أهلِ الإيمانِ .

---

(١) سيرة ابن هشام ٥٥٨/١، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى ابن المنذر .

(٢) فى الأصل ، ص ، ت ١ : « هذا » .

(٣) فى الأصل ، ص ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « أولاء » .

كما حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ ﴾ : فواللَّهِ ، إن المؤمنَ لَيُحِبُّ المُنافِقَ ، ويَأْوِى له ويَرْحَمُه ، ولو أن المنافقَ يَقْدِرُ على ما يقدِرُ عليه المؤمنُ منه ، لأَباد خضراءَه[1] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حجاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ ، قال : المؤمنُ خيرٌ للمنافقِ من المنافقِ للمؤمنِ ، يَرحَمُه ، ولو يَقدِرُ المنافقُ من المؤمنِ على مثلِ ما يَقدِرُ المؤمنُ عليه منه ، لأَبادَ خضراءَه[2] .

وكان مجاهدٌ يقولُ : نزَلت هذه الآيةُ فى المنافِقين .

٦٦/٤ /حدَّثنى بذلك محمدُ بنُ عمرٍو ، قال : ثنا أبو عاصمٍ ، عن عيسى ، عن ابنِ أبى نَجيحٍ ، عن مجاهدٍ[3] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ .

يعنى بذلك جل ثناؤُه أن هؤلاء الذين نهَى اللَّهُ تبارك وتعالى المؤمنين أن يَتَّخِذوهم بِطانةً من دونِهم ، ووصَفهم بصفتِهم ، إذا لَقُوا المؤمنين من أصحابِ رسولِ اللَّهِ ﷺ ، أعطَوهم بألسنتِهم تَقِيَّةً ؛ حَذرًا على أنفسِهم منهم ، فقالوا لهم : قد آمَنَّا وصَدَّقنا بما جاء به محمدٌ . وإذا هم خَلَوا فصاروا فى خَلاءٍ حيثُ لا يَراهم المؤمنون ، عَضُّوا - على ما يَرَون من ائتلافِ المؤمنين واجتماعِ كلمتِهم وصلاحِ

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٥/٣ (٤٠٤٧) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٢) عزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى المصنف وابن المنذر .

(٣) تفسير مجاهد ص ٢٥٨ .

ذاتِ بينِهم - أنامِلَهم ، وهى أطرافُ أصابعِهم ؛ تَغَيُّظًا مما بهم من المَوْجِدَةِ عليهم ، وأَسًى على ظَهْرٍ يستندون إليه ؛ لمُكاشَفتِهم العداوةَ ، ومُناجَزتِهم المُحاربةَ .

وبنحوِ ما قلنا فى ذلك قال أهلُ التأويلِ .

ذكرُ مَن قال ذلك

حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ ﴾ : إذا لَقُوا المؤمنين قالوا : آمَنَّا . ليس بهم إلا مَخافةٌ على دمائِهم وأموالِهم ، فَصانَعوهم بذلك ، ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ ﴾ . يقولُ : مما يَجِدون فى قلوبِهم من الغَيْظِ والكَراهةِ للذى هم عليه ، لو يَجِدون رِيحًا[1] لَكانوا على المؤمنين ، فهم كما نَعَت اللَّهُ تبارك وتعالى[2] .

حُدِّثْتُ عن عَمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبى جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ بمثلِه ، إلا أنه قال : من الغيظِ لكَراهيةِ الذى هم عليه . ولم يَقُلْ : لو يَجِدون رِيحًا . وما بعدَه[3] .

حدَّثنا العباسُ بنُ محمدٍ ، قال : ثنا مسلمُ بنُ إبراهيمَ ، قال : ثنى يحيى بنُ عمرِو ابنِ مالكٍ النُّكْرِيُّ[4] ، قال : ثنا أبى ، قال : كان أبو الجَوزاءِ إذا تَلا هذه الآيةَ : ﴿ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِۚ ﴾ . قال : هم الإباضِيَّةُ[5] [١٢/١١و] .

---

(١) الريح هنا بمعنى الغلبة والقوة .

(٢) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٦/٣ (٤٠٥٦) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

(٣) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٥/٣ عقب الأثر (٤٠٥٢) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٤) فى م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « البكرى » . وينظر الأنساب ٥/ ٥٢٢ .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٧٤٥/٣ ، ٧٤٦ (٤٠٥١ ، ٤٠٥٥) من طريق يحيى بن عمرو بن مالك به . وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد . =

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ ٱلْأَنَامِلَ ﴾

والأناملُ جمعُ أَنْمُلَةٍ ، ويقالُ : أُنْمُلَةٌ . وربما جُمِعَت أَنْمُلًا ، قال الشاعرُ[(١)] :

أُوفِّيكما[(٢)] ما بَلَّ حَلْقِيَ رِيقَتِى وما حَمَلَت كَفَّاىَ أَنْمُلِيَ العَشْرَا

وهى أطرافُ الأصابعِ .

كما حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ : الأناملُ أطرافُ الأصابعِ[(٣)] .

٦٧/٤ /حُدِّثتُ عن عَمَّارٍ ، (٤) عن ابنِ أبى (٤) جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ مثلَه[(٥)] .

حدَّثنا محمدُ بنُ الحسينِ ، قال : ثنا أحمدُ بنُ المُفَضَّلِ ، قال : ثنا أسباطُ ، عن السُّدِّىِّ : ﴿ وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ ﴾ : الأصابعُ[(٦)] .

حدَّثنا أبو كُرَيبٍ ، قال : ثنا وكيعٌ ، عن إسرائيلَ ، (٧) عن أبى إسحاقَ (٧) ، عن أبى الأحوصِ ، عن عبدِ اللَّهِ قولَه : ﴿ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ﴾ . قال : عَضُّوا

= والإباضية : فرقة من الخوارج ، وهم أصحاب عبد الله بن إباض التميمى ، الذى خرج فى أيام مروان بن محمد ، ومن معتقداتهم أن مخالفيهم من أهل القبلة كفار غير مشركين ، ومناكحتهم جائزة ، وموارثتهم حلال ، وغنيمة أموالهم من السلاح والكراع عند الحرب حلال ، وما سواه حرام ، ودار مخالفيهم من أهل الإسلام دار توحيد إلا معسكر السلطان ، فإنه دار بغى ، ومرتكبى الكبائر موحدون لا مؤمنون . ينظر الملل والنحل ١/ ٢٤٤.

(١) البيت فى اللسان والتاج (ك ف ف) .

(٢) فى الأصل : «أودبكما» ، وفى ص : «أود كها» ، وفى م : «أود كما» ، وفى ت ١ : «أودىكها» ، وفى ت ٢ : «أودفكما» ، وفى س : «أوذيلها» . والمثبت موافق لما فى اللسان والتاج ، وما فى هذه النسخ تحريف عنه .

(٣) ذكره ابن كثير ٢/ ٩٠ .

(٤ - ٤) فى الأصل : «قال : ثنا أبو» .

(٥) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٤٦ عقب الأثر (٤٠٥٤) من طريق ابن أبى جعفر به .

(٦) أخرجه ابن أبى حاتم فى تفسيره ٣/ ٧٤٦ عقب الأثر (٤٠٥٤) من طريق عمرو عن أسباط به .

(٧ - ٧) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س . وينظر تهذيب الكمال ٢٢/ ١٠٢ .

على أصابعِهم[(١)] .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ قُلْ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١١٩﴾ ﴾ .

يعنى بذلك جلّ ثناؤه : قلْ يا محمدُ لهؤلاء اليهودِ الذين وصَفتُ لك صفتَهم ، وأخبَرتُك أنهم إذا لَقُوا أصحابَك قالوا : آمَنَّا . وإذا خلَوا عَضُّوا عليكم الأناملَ من الغيظِ - : ﴿ مُوتُوا۟ بِغَيْظِكُمْ ﴾ . (٢)أى : موتُوا بالغَيظِ(٢) الذى بكم على المؤمنين ؛ لاجتماعِ كلمتِهم ، وائتلافِ جماعتِهم .

وخَرَج هذا الكلامُ مَخْرجَ الأمرِ ، وهو دعاءٌ من اللَّهِ تبارك وتعالى نبيَّه محمدًا ﷺ بأن يَدْعُوَ عليهم بأن يُهْلِكَهم اللَّهُ عزّ وجلّ كَمَدًا مما بهم من الغَيْظِ على المؤمنين ، قبلَ أن يَرَوا فيهم ما يَتَمَنَّون لهم من العَنَتِ فى دينِهم ، والضلالةِ بعدَ هُداهم ، فقال لنبيِّه ﷺ : قل يا محمدُ : اهلِكوا بغَيْظِكم ، ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ . يعنى بذلك : إن اللَّهَ ذو علمٍ بالذى فى صُدورِ هؤلاءِ الذين إذا لَقُوا المؤمنين قالوا : آمَنَّا . وما يَنْطَوون عليه لهم من الغِلِّ والغِمْرِ[(٣)] ، ويَعْتَقِدون لهم من العَداوةِ والبَغْضاءِ ، وبما فى صدورِ جميعِ خلقِه ، حافِظٌ على جميعِهم ما هو عليه مُنْطَوٍ من خيرٍ وشَرٍّ ، حتى يُجازِىَ جميعَهم على ما قدَّم من خيرٍ وشرٍّ ، واعتقد من إيمانٍ وكفرٍ ، وانطَوى عليه لرسولِه وللمؤمنين من نصيحةٍ أو غِلٍّ وغِمْرٍ .

القولُ فى تأويلِ قولِه : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ ﴾ .

يعنى بقولِه جل ثناؤه [١١/١٢ظ] : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ : إنْ تنالُوا أيُّها

---

(١) أخرجه ابن أبى حاتم ٣/٧٤٦ (٤٠٥٤) من طريق أبى إسحاق به ، وعزاه السيوطى فى الدر المنثور ٢/٦٦ إلى ابن المنذر .

(٢ - ٢) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س .

(٣) الغمر ، بكسر الغين : الحقد . النهاية ٣/ ٣٨٤.

أيُّها المؤمنون سرورًا بظُهورِكم على عدوٍّ لكم ، وتَتابُعِ الناسِ في الدخولِ في دينِكم وتَصْديقِ نبيِّكم ، ومُعاونتِكم على أعدائِكم ، يَسُؤْهم[(١)] [(٢)] فيَحزَنُوا لذلك ، ويكتئبوا له ، ﴿ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ . يقولُ[(٢)] . وإنْ تَنَلْكم مَساءةٌ بإخفاقِ سَرِيَّةٍ لكم ، أو بإصابةِ عدوٍّ لكم منكم ، أو اختلافٍ يكونُ بينَ جماعتِكم ، يفرَحوا بها .

كما حدَّثنا بِشْرٌ ، قال : ثنا يزيدُ ، قال : ثنا سعيدٌ ، عن قتادةَ قولَه : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ : فإذا رَأَوا من أهلِ الإسلامِ أُلْفةً وجماعةً وظُهورًا على عدوِّهم ، غاظَهم ذلك وساءَهم ، وإذا رَأَوا من أهلِ الإسلامِ فُرْقةً واختلافًا ، أو أُصيب طَرَفٌ من أطرافِ المسلمين ، سَرَّهم ذلك وأُعْجِبوا به وابتَهَجوا به ، [(٣)] فهو دَأْبُهم[(٣)] ، كلَّما خرَج منهم فِرْقٌ[(٤)] أكذَب اللَّهُ أُحْدوثتَه ، وأوطَأَ مَحِلَّتَه ، وأبطَل حُجَّتَه ، وأظهَر عَوْرتَه ، فذاك قضاءُ اللَّهِ في مَن مضَى منهم ، وفي مَن بقِي إلى يومِ القيامةِ[(٥)] .

٤/٦٨ /حُدِّثتُ عن عَمَّارٍ ، قال : ثنا ابنُ أبي جعفرٍ ، عن أبيه ، عن الربيعِ قولَه : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ . قال : هم المنافِقون ، إذا رَأَوا من أهلِ الإسلامِ جماعةً وظُهورًا على عدوِّهم ، غاظَهم ذلك غَيْظًا شديدًا وساءَهم ، وإذا رَأَوا من أهلِ الإسلامِ فُرْقةً واختلافًا ، أو أُصِيب طَرَفٌ من أطرافِ المسلمين ، سَرَّهم ذلك وأُعْجِبوا به ، قال اللَّهُ عزّ وجلَّ : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا

---

(١) سقط من : ص ، ت ٢، س .

(٢ - ٢) سقط من ص ، ت١ ، ت٢ ، ت٣ ، س .

(٣ - ٣) في م ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « فهم » .

(٤) في ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ ، س : « قرن » .

والفرق : الطائفة من الناس . اللسان (ف ر ق) .

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٧٤٧/٣ (٤٠٦٠ ، ٤٠٦٢) من طريق يزيد به ، وعزاه السيوطي أيضا في الدر المنثور ٦٦/٢ إلى عبد بن حميد .

يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾[(١)] .

حدَّثنا القاسمُ ، قال : ثنا الحسينُ ، قال : ثنى حَجَّاجٌ ، عن ابنِ جُرَيجٍ قولَه : ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ . قال : إذا رَأَوا من المؤمنين جماعةً وأُلْفةً ساءَهم ذلك ، وإذا رَأَوا منهم فُرْقةً واختلافًا فَرِحوا[(١)] .

وأما قولُه : ﴿ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ . فإنه يعنى بذلك جلّ ثناؤه : وإن تَصْبِروا أيُّها المؤمنون على طاعةِ اللَّهِ واتّباعِ أمرِه فيما أمَركم به ، واجتنابِ ما نَهاكم عنه ، من اتخاذِ بِطانةٍ لأنفسِكم من هؤلاء اليهودِ الذين وَصَف اللَّهُ جلَّ ثناؤه صفتَهم من دونِ المؤمنين ، وغيرِ ذلك من سائرِ ما نَهاكم ، وتَتَّقوا ربَّكم ، فَتَخافوا التَّقدُّمَ بينَ يَديه فيما ألزَمكم وأوجَب عليكم من حقِّه وحَقِّ رسولِه ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾ . أى : كَيْدُ هؤلاء الذين وَصَف صفتَهم .

ويعنى بـ ﴿ كَيْدُهُمْ ﴾ غَوائلَهم التى [(٢)] يَبْتَغونها للمسلمين [(٢)] ، ومَكْرَهم بهم ؛ لِيَصُدُّوهم عن الهُدى وسبيلِ الحقِّ .

واختلفت القرأةُ فى قراءةِ قولِه : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ ؛ فقَرأ ذلك جماعةٌ من أهلِ الحجازِ وبعضُ البَصْريين [١٣/١١و] : (لَا يَضِرْكُمْ) . مخففةً بكَسْرِ الضادِ[(٣)] ، من قولِ القائلِ : ضَارَنى فلانٌ ، فهو يَضِيرُنى ضَيْرًا . وقد حُكِى سَماعًا من العربِ : ما يَنْفَعُنى ذاك[(٤)] ولا يَضُورُنى . فلو كانت قُرِئت على هذه اللغةِ لقيل : لَا يَضُرْكُمْ كيدُهم شَيْئًا . ولكنى لا أعلمُ أحدًا قرأ به .

---

(١) ينظر البحر المحيط ٣/ ٤٣.

(٢ - ٢) فى ص : « تنعوبها المسلمين » .

(٣) وهى قراءة ابن كثير ونافع وأبى عمرو . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٥.

(٤) سقط من : ص ، م ، ت ١ ، ت ٢ ، ت ٣ س .

وقرَأ ذلك جماعةٌ من أهلِ المدينةِ وعامةُ قرأةِ أهلِ الكوفةِ : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ﴾ . بضَمِّ الضادِ وتشديدِ الراءِ[1] ، من قولِ القائلِ : ضَرَّنى فلانٌ فهو يَضُرُّنى ضَرًّا .

وأما الرفعُ فى قولِه : ﴿ لَا يَضُرُّكُمْ ﴾ . فمن وجهَين ؛ **أحدُهما** على إتْباعِ الراءِ فى حركتِها - إذ كان الأصلُ فيها الجزمَ ، ولم يُمْكِنْ جَزْمُها ؛ لتَشْديدِها - أقربَ حركاتِ الحروفِ التى قبلَها ، وذلك حركةُ الضَّادِ وهى الضمةُ ، فأُلْحِقَت بها حركةُ الراءِ لقُرْبِها منها ، كما قالوا : مُدُّ ياهذا . **والوجهُ الآخرُ** من وجهى الرفعِ فى ذلك ، أن تكونَ مرفوعةً على صحةٍ ، وتكونَ « لا » بمعنى « ليس » ، وتكونَ الفاءُ التى هى جوابُ الجَزاءِ متروكةً ؛ لعلمِ السامعِ بموضعِها .

وإذا كان ذلك معناه ، كان تأويلُ الكلامِ : وإن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا فليس يَضُرُّكم كَيْدُهم شيئًا . ثم تُرِكَت الفاءُ من قولِه : ﴿ لَا[2] يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ ﴾ . ووُجِّهَت « لا » إلى معنى « ليس » ، كما قال الشاعرُ[3] :

فإنْ كان لا يُرْضِيكَ حتى تَرُدَّنى إلى قَطَرِىٍّ لا إخالُكَ راضِيا

ولو كانت الراءُ مُحَرَّكَةً إلى الخفضِ والنصبِ كان جائزًا ، كما قيل : مُدُّ ياهذا ، ومُدَّ .

٦٩/٤ /وقولُه : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ . يقولُ جل ثناؤه : إن اللَّهَ تبارك وتعالى بما يعمَلُ هؤلاء الكفارُ فى عبادِه وبلادِه من الفسادِ ، والصَّدِّ عن سبيلِه ،

---

(١) وهى قراءة ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى . السبعة لابن مجاهد ص ٢١٥ .

(٢) فى الأصل : « فلا » .

(٣) هو سوار بن المضرب السعدى ، والبيت فى النوادر لأبى زيد ص ٤٥ ، ومعانى القرآن للفراء ١/ ٣٣٢ ، والكامل للمبرد ٢/ ١٠٢ .

والعَداوةِ لأهلِ دينِه ، وغيرِ ذلك من معاصى اللَّهِ جلَّ وعزَّ ، مُحِيطٌ بجميعِه ، حافظٌ له ، لا يَعْزُبُ عنه شيءٌ منه ، حتى يُوَفِّيَهم جَزاءَهم على ذلك كلِّه ، ويُذِيقَهم عقوبتَه عليه .

فهرس الجزء الخامس

تابع تفسير سورة البقرة

الموضوع الصفحة

تم بحمد الله ومنّه

الجزء الخامس ، ويليه الجزء السادس

وأوله : القول فى تأويل قوله :

﴿ وإذا غدوت من أهلك ... ﴾

رقم الإيداع ٢٠٠١/١١٩٠٧